سلسلة من تراث الإمام البنا
الكتاب الخامس عشر

مَجمُوعَةُ رَسَائِلِ الإِمَامِ البَنَّا

المشرف العام
جمعة أمين عبد العزيز







النداء

اسم الكتاب	مجموعة رسائل الإمام البنا
ترتيب الكتاب في مطبوعات الدار	56
تحرير	رجب صونكول
الغلاف	طارق علوش
الترقيم الدولي	978-605-9102-29-2
الطبعة	الطبعة الأولى، أبريل ٢٠١٥
رقم الإيداع	27580
دار النشر	**Nida Yayıncılık Dağıtım Pazarlama** **İç ve Dış Ticaret Ltd. Şti.** Balaban Ağa Mahallesi Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümni İş Merkezi No: 16/11 34080 Fatih/İstanbul Tel: 0212 527 93 86 Faks: 0212 635 03 58 nida@nidayayincilik.com.tr - nidayayincilik.com.tr
دار الطباعة	**Step Ajans Matbaa Ltd. Şti.** **Göztepe Mahallesi Bosna Caddesi No: 11** Bağcılar/İstanbul - Tel: 0212 446 88 46 stepajans@stepajans.com - stepajans.com

بتصريح خاص من دار النشر والتوزيع الإسلامية في القاهرة لدار النداء في تركيا.


شباب
النادي الشبابي

سلسلة من تراث الإمام البنا

الكتاب الخامس عشر

مجموعة رسائل الإمام البنا

إعداد

البصائر للبحوث والدراسات

شارك في تحقيق هذا الكتاب

* إسماعيل تركي (رئيس فريق العمل)
* السيد علي شعيب (عضو)
* محمد فتحي النادي (عضو)
* محمد علي إبراهيم (عضو)

لجنة المراجعة

* أ/ جمعة أمين عبد العزيز
* م/ حلمي عبد المجيد
* د/ فتحي السيد لاشين
* الشيخ/ محمد عبد الله الخطيب
* د/ محمود غزلان

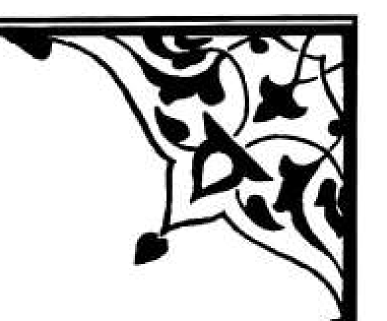
تمَّ ترتيب الأسماء ترتيبًا أبجديًا

رئيس التحرير

د. أسامة سعد

المشرف العام

جمعة أمين عبد العزيز

إهداء

إلى روح الشهيد..

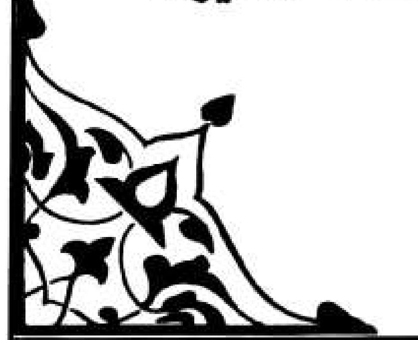
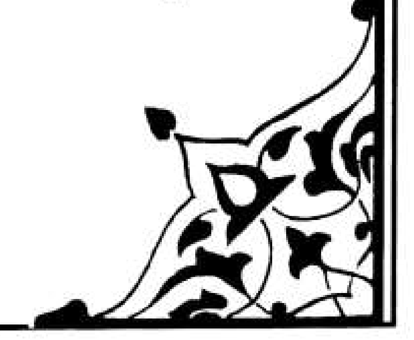
مجدد الدعوة وإمام الدعاة في زمانه.. وفاءً للمعلم والمربي، وردًّا الفضل إلى أهله.

إلى الإمام حسن البنا..

وإلى أتباعه في كل عصر ومصر؛ لتطمئن القلوب إلى نصاعة التاريخ.

إلى هؤلاء جميعًا..

نهدي هذه السطور المضيئة وهذه الصفحات المنيرة.



تقديم بقلم:

فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين

الأستاذ الدكتور محمد بديع

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين والهادي إلى صراط الله المستقيم.

أما بعد...

فإن الأوقات العصيبة التي تحياها أمتنا اليوم لهي الباعث الحقيقي للجيل المنشود الذي يتحقق نصر الله على يديه، وما أحوج هذا الجيل لأن ينهل من معين الإسلام الصافي الذي تربى عليه جيل الصحابة الفريد، وقد جلى الإمام حسن البنا معالم هذا المعين الصافي بعد أن فهمه من كتاب الله العزيز وسنة رسولنا الكريم، ورسم الطريق أمام جيل النصر المنشود فقال: إن تكوين الأمم، وتربية الشعوب، وتحقيق الآمال، ومناصرة المبادئ، تحتاج من الأمة التي تحاول هذا، أو من الفئة التي تدعو إليه- على الأقل- قوة نفسية عظيمة تتمثل في عدة أمور: إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له، يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره.. وكل شعب فقد هذه الصفات الأربعة، أو على الأقل فقدها قواده ودعاة الإصلاح فيه، فهو شعب عابث مسكين، لا يصل إلى خير، ولا يحقق أملاً. وحسبه أن يعيش في جو من الأحلام والظنون والأوهام ﴿إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦].

هذا القانون هو قانون الله -تبارك وتعالى- وسنته في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. وهو أيضًا القانون الذي عبر عنه النبي ﷺ في الحديث الصحيح ومعناه: «**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن**». **فقال قائل: أومن قلة نحن -يا رسول الله- يومئذ؟ قال: «لا، إنكم حينئذ كثير،**

ولكنكم غثاء كغثاء السيل». فقال قائل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»(١).

فهذا تراث إمامنا الشهيد حسن البنا - رضوان الله عليه - ذلك الرجل الذي جدد الله به الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»(٢)، ونحسب الإمام البنا - رضوان الله عليه - كان مجدد هذا القرن، ولا نزكي على الله أحدًا.

وقد شهد له شيوخ أجلاء وعلماء أفذاذ ومجاهدون مخلصون عاصروه وعايشوه فقال عنه الشيخ محب الدين الخطيب -رحمه الله: «إن الأستاذ البنا أمة وحده، وقوة كنت أنشدها في نفس المؤمن، فلم أجدها إلا يوم أن عرفته في تلك الغرفة المتواضعة، وكنت ابن صنعته يوم اكتشفت بيني وبين نفسي حاجة الإسلام إلى هذا الداعية القوي الصابر المثابر، الذي يعطي الدعوة من ذات نفسه ما هي في حاجة إليه من: قوة، ومرونة، وجد، وصبر، وثبات إلى النهاية» انتهى.

رحم الله الإمام البنا رحمة واسعة، فقد أرشد أمته بوجه عام وأتباعه بوجه خاص إلى حقائق كثيرة، وأحيا فيها معاني قد ماتت، وأمورًا قد اندرست، وبعث الهمم والعزائم بعثًا جديدًا. فلقد تحدث في أمور الدين والدنيا معًا، وانتقل بدعوته من حيز الدعوة الخاصة -أو الدعوة الدينية في المساجد والزوايا- إلى الدعوة العامة في: الشوارع، والمقاهي، والأندية، والجمعيات، وكافة المحافل الشعبية والرسمية.

كما خاطب بدعوته الناس على اختلاف عقولهم ومستوياتهم، فخاطب المثقف والسياسي والعالم والجاهل والأمي والطالب، كما خاطب الرجل والمرأة على السواء.

---

(١) أخرجه أحمد في «باقي مسند الأنصار»، ح(٢١٣٦٣)، وأبو داود في «الملاحم»، باب: «فِي تَدَاعِي الأُمَمِ عَلَى الإِسْلامِ»، ح(٣٧٤٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»، (٢/ ٦٨٤).

(٢) أخرجه أبو داود في «الملاحم»، باب: «ما يذكر في قرن المائة»، ح(٣٧٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٤٢٩١).

كما تحلى بصفات عظيمة، فجمع إلى علم العلماء، وزهد الزاهدين، وتقوى المتقين حنكة السياسيين، وذكاء القادة، وخبرة الاجتماعيين، وحصافة المربين، وإقدام المحاربين؛ لذا كان لإمامنا الأثر الكبير في الجيل الذي تربى على يديه وتتلمذ في مدرسته ونهل من معينه، فأخرج نماذج من الرجال أشبه ما يكونون بالرعيل الأول في الجد والكفاح، والصبر والثبات، والتضحية والجهاد، فظهر جيل أثرى الحياة الإسلامية في جميع مجالاتها، وبرز من هذا الجيل العلماء الأفذاذ، والدعاة المجددون، والقادة النابهون، والجنود البواسل، ولقد امتد أثر هؤلاء في محيطهم العربي والإسلامي، بل وفي العالم بأسره، ولا زال هذا الأثر مستمرًا. لقد كانوا -بحق- صناعًا لنهضة المسلمين من جديد.

وعندما اشتدت الأزمات وحلت الملمات ضرب هؤلاء أروع الأمثلة في الثبات على الحق، وعدم التزحزح عنه قيد أنملة، مهما بغى عليهم البغاة، وطغى عليهم الطغاة، فآثروا ظلمات السجون -كما آثره يوسف الصديق عليه السلام من قبل؛ إذ قال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]- على أن يسيروا في ركب الظالمين لأنفسهم ولأمتهم.

ولقد كان - ولا يزال- لاشتداد الأزمات أثر في تثبيت الحق في النفوس، ونقاء الصف واستوائه، بل وساعدت - من قبل- في نشر الدعوة، والانطلاق بها نحو آفاق جديدة. وإن تجدد الأزمات في وقتنا الراهن لن يزيد دعوتنا إلا قوة وانتشارا، ولن يزيدنا - بإذن الله- إلا ثباتا، وثقة في نصر الله عز وجل، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾[الأسراء: ٥١]

ولقد قيض الله بعض تلاميذ الإمام البنا ومحبيه لجمع تراثه الثمين، فبلغ خمسة عشر مجلدا: ستة منها في الجانب الشرعي، وتسعة أخرى في الجانب الدعوي والحركي، ويعد هذا التراث الذي بين يديك الآن أهم ما كتب الإمام البنا، فقد أوضح من خلاله الفكرة، وحدد معالم الدعوة، وجلى المواقف، ورد كيد الأعداء والمتربصين، وأجاب عن استفسار السائلين، فتضمنت كتاباته العقيدة والحديث والتفسير وظلال قرآنية والفقه والفتوى والأخلاق والسير والخطابة والوعظ والإرشاد والتصوف والمناسبات الإسلامية، كما

بيَّنت أسس النهضة الإسلامية الحديثة، ومقوماتها، وخصائصها، وموقف الإسلام من الأفكار والتيارات المختلفة.

كما عالج الإمام البنا مظاهر الانحراف الاجتماعي الخطير الذي ابتليت به مصر في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين مثل: انتشار البغاء، وتعاطي الخمور، وانتشار التبرج والسفور.

وقد قدم رؤيته الإصلاحية في كافة المظاهر والشئون الاجتماعية، قدمها في التربية والتعليم.. في الآداب والسلوكيات.. في المرأة والأسرة... إلخ.

كما عرض لرؤيته في الإصلاح السياسي الداخلي، وألقى الضوء على جانب مهم من جوانب الحياة المصرية، فبيَّن الطريق لمواجهة الاحتلال الإنجليزي، والاستبداد السياسي، ودعا للوحدة وترك التناحر الحزبي، واهتم بمعالجة الأوضاع السياسية من منظور إسلامي، ونادى بتطبيق الشريعة الإسلامية، وبيَّن علاقة الدين بالسياسة، وناشد الحكام والرؤساء والوزراء بضرورة الإصلاح السياسي وإطلاق الحريات.

وانطلاقًا من الأخوة الإسلامية تعرض لشئون العالم الإسلامي، وأهاب بالشعوب الإسلامية في إندونيسيا والباكستان والهند واليمن وسوريا وليبيا والمغرب العربي والسودان إلى التوحد والتكاتف من أجل الاستقلال والنهوض، وندد بجرائم الاحتلال الأجنبي في المنطقة العربية وفي الأمة الإسلامية، وكشف عن المؤامرات الخفية التي تدبرها الصهيونية العالمية والشيوعية والصليبية، فنافح عن القضية الفلسطينية، وناشد الأمة العربية والإسلامية شعوبًا وحكومات بضرورة الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني، وفتح باب الجهاد لتحرير أرض فلسطين.

وفي ذات الوقت كان يعرف بالدعوة، وخصائصها، وأهدافها، ومراحلها، ووسائلها، ومواقفها المختلفة من الحكومات والهيئات والأحزاب.

وقد أحسن الإخوة صنعًا أن عرضوا لبعض خطبه ومقالاته الأدبية ورسائله الخاصة

إلى أهله وإخوانه ومعاصريه حتى يتعرف القراء والباحثون على بعض الجوانب المضيئة في شخصية إمامنا الشهيد.

رحم الله الإمام البنا، فلقد ترك تراثًا يعد معلمًا لكل من يسلك طريق الدعوة إلى الله، فعلى الأجيال أن تطالع ذلك التراث وتدرسه درسًا جيدًا إن أرادت أن تحيي مجد الإسلام.

أسأل الله ﷻ أن يتقبل من إخواننا هذا الجهد المبارك ويجعله في ميزان حسناتهم، كما أهيب بكل أخ لديه شيء من تراث إمامنا ألا يبخل به على إخوانه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

أ.د. محمد بديع

المرشد العام للإخوان المسلمين

القاهرة – ٢٧ من المحرم ١٤٣٦هـ

توطئة وكلمة عن هذا التراث

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

جمع الإمام البنا ثروة معرفية هائلة من خلال دراسته للإسلام وحفظه للقرآن وتذوقه له وتعمقه في فهم أسراره وإحاطته بالسنة وبالسيرة والتاريخ الإسلامي وبراعته في الفقه وإتقانه للأصول، فضلاً عن اطلاعه الواسع على معارف عصره، وخوضه غمار الحياة وتقلبه في دروبها ومسالكها.

كما اكتنه أسرار الحوادث، وشارك في صنع التاريخ الحديث، والتقى بعلماء وشيوخ ومفكري عصره وأدبائه المشهورين في مصر والعالم الإسلامي أمثال الشيخ رشيد رضا والشيخ طنطاوي جوهري والشيخ محمد أبو زهرة والدكتور مصطفى السباعي والفضيل الورتلاني وأمير البيان شكيب أرسلان وغيرهم، وكتب وحرر العديد من المقالات في مختلف شئون الإصلاح السياسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي والتربوي... إلخ.

وساجل كتاب عصره المشهورين أمثال الدكتور طه حسين والأستاذ العقاد والدكتور هيكل وأرسل البرقيات العديدة والرسائل إلى الملك والوزراء والمسئولين في الداخل والخارج، وكتب في شتى ألوان المعارف الإسلامية في العقيدة والتفسير والفقه والحديث والفتوى.

فضلاً عن ذلك أصدر العديد من المجلات والصحف الناطقة باسم دعوته كالإخوان المسلمين والنذير والشهاب والتي تعد ذخيرة ثقافية وسياسية وفكرية وشرعية لا تقل شأوا عن المجلات الإسلامية أو السياسية أو الأدبية الأخرى مثل مجلة المنار للشيخ محمد رشيد رضا أو مجلة الرسالة لأحمد حسن الزيات أو غيرها.

فإذا كان الشعر ديوان العرب كما قال الفاروق ﷺ، فإن الصحف والمجلات الإخوانية مثل الإخوان الأسبوعية واليومية ونصف الشهرية والدعوة والنذير والشهاب -تعد بمثابة ديوان الإخوان؛ حيث جمعت في طياتها الأصول الفكرية للإخوان المسلمين.

لقد امتاز الإمام البنا عن كتاب عصره بميزات كثيرة رفعت من قدره وأثبتت مصداقية دعوته من هذه المميزات:

- أنه لم يكن مفكرًا قابعًا في صومعته المعزولة يضع النظريات والأفكار، ولكنه كان صانع أمة، وباعث نهضة ومؤسس جيل إسلامي فريد فجمع إلى ملكة التأليف والتنظير موهبة الزعامة والقيادة والاحتكاك بالجماهير.

- كما كان الإمام البنا صاحب قلم فذ، وذاكرة فولاذية، وإحاطة علمية شمولية واسعة بشهادة الكتاب والعلماء والسياسيين المصريين والأجانب.

- الابتعاد عن التقعير اللفظي والإغراق في المعاني وتخيره الأسلوب السهل والعبارات القريبة التي تناسب جمهور القراء والمثقفين.

- تنوع الأسلوب وبراعة الانتقال بين الموضوعات المختلفة ما بين فكر وسياسة وتربية وتهذيب وتزكية... إلخ.

لقد ظن الناس أن الإمام البنا لم يكن كاتبا أو مؤلفا بالمعنى السطحي أو المعاصر للكتابة والتأليف وهو العكوف على الكتابة والبحث وإخراج الكتاب جملة واحدة كما يحدث الآن، ولكن الكتابة والتأليف في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين كان لها شكل آخر وهي الكتابة الصحفية؛ حيث كانت الصحف والمجلات هي اللسان الناطق للكتاب والمفكرين، فكانت كتابات العقاد وطه حسين والمازني وهيكل والزيات تخرج في ثوب مقالات في الصحف والمجلات المختلفة ثم تجمع هذه المقالات لتصدر في شكل كتاب وهكذا كانت كتابات الإمام البنا مقالات متناثرة في الفكر والسياسة والتربية والتزكية هنا وهناك في المنار والشهاب والنذير والإخوان المسلمين والأهرام والكشكول الجديد والمصري وغير ذلك من المجلات والصحف.

وحين البحث والتحري فيما كتبه الإمام وجدنا الكثير والكثير مما كتبه في أصول العلوم وفروعها في صورة مقالات وأبحاث كتبت في مجلات شتى، أظهرت قدر الرجل ومكانته بين العلماء؛ فانعقدت النية، وصدقت الإرادة، وقويت العزيمة على جمع هذا التراث وتقديمه كاملاً غير منقوص إلى كل من ينتظره من علماء وقراء وتلاميذ ومحبين في صورته الأولى بغير تحليل أو دراسة؛ وفاءً لبعض ما قدم في خدمة الإسلام والمسلمين،

وخدمة العلم والعلماء، وأخيرًا لنميط اللثام عن جوانب مهمة من جوانب شخصية الإمام الشهيد -رحمه الله.

وكم هي كثيرة تلك الجوانب التي تحتاج إلى استجلاء وتوضيح؛ فكلما جنينا ثمرة من ثمرات علمه الواسع وفقهه الدقيق في الفهم والسلوك والحركة والتطبيق ظهرت لنا ثمار أخرى في الجرائد والمجلات تشجعنا على زيادة البحث والتنقيب.

ونحن إذ نقدم هذا التراث نهيب بتلاميذه وتابعيه أن يعتنوا به ويعكفوا على دراسته وفهمه؛ فقد كان الرجل ملهمًا حقًا، موهوبًا صدقًا، سبق عصره فيما قدم من أفكار وجعلها موضع التطبيق بل نتمنى عليهم أن يتقدموا حتى يلحقوا بفكره وأسلوبه في العمل، كما نهيب بالعلماء والباحثين أن يتناولوا هذا التراث بالتحليل والتدقيق حتى تتضح للقارئ أيًا كانت ثقافته وعلمه جوانب العظمة في ذلك التراث؛ فينتفع به، ويعمل على نشره وشيوعه بين الناس؛ ليكون علمًا ينتفع به، وتزداد به حسنات الرجل في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

مصادر التراث

والذي نريد أن نؤكد عليه ونوضحه أن هذا التراث تيسر لنا جمعه عبر رحلة طويلة من البحث في بطون الدوريات القديمة؛ بدءًا من مجلة الفتح إلى جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، ومرورًا بدوريات الإخوان المسلمين التي صدرت في حياة الإمام الشهيد كـ«النذير» و«الإخوان المسلمين نصف الشهرية» و«الشهاب»، أو الدوريات التي نشرت للإمام الشهيد مقالاته في تلك الفترة كـ«الشبان المسلمين» و«المنار»، وانتهاءً بـ«جريدة الإخوان المسلمين اليومية» في رحلة استمرت نيف وعشرين عامًا من الكتابة، وسوف نقف وقفة سريعة مع أهم المصادر من تلك الدوريات لنتعرف على ما جمعناه منها كتراث للإمام الشهيد.

أولاً: جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية:

ظهر العدد الأول من هذه المجلة في ٢٢ من صفر ١٣٥٢هـ الموافق ١٥ من يونيو ١٩٣٣م، وظلت تصدر باسم الإخوان حتى العدد (٦٨) من السنة الخامسة في ١٢ من رمضان ١٣٥٧هـ الموافق ٤ من نوفمبر ١٩٣٨م، إلا أنها لم تكن تعبر عن وجهة نظر الإخوان فعليًا ابتداء من العدد ٣٤ من السنة الخامسة الصادر ٢٤ من ذي الحجة ١٣٥٦هـ

الموافق ٢٥ من فبراير ١٩٣٨م[١]؛ حيث بَعُدَ بها رئيس تحريرها الأستاذ محمد الشافعي المحامي عن وجهة الإخوان كما أوضحنا ذلك في كتاب «أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين»، والجدير بالذكر أن الإمام الشهيد كان يكتب في المجلة نوعين من المقالات: النوع الأول هو ما كان يكتبه في القسم الديني من المجلة وكان أهم أقسامها، وقد أسند إليه تحريره منذ صدور العدد الأول منها؛ فكتب فيه على مدار ما يقرب من خمس سنوات سلسلة مقالات في فروع العلوم الشرعية المختلفة كالتفسير، والعقائد، والفقه والفتاوى، والتصوف والأخلاق، وعظة المنبر... وغيرها.

وتميزت تلك المقالات بوحدة موضوعها، وترتيب أفكارها وتسلسلها؛ فكانت مقالات كل فرع من فروع العلوم الشرعية تمثل رسالة أو كتابًا في العلم، باستثناء التفسير الذي أسند كتابته إلى الشيخ مصطفى محمد الطير بدءًا من العدد الخامس في السنة الأولى.

وقد كانت موضوعات القسم الديني في المجلة حوالي (٢٠١٦) موضوعًا من جملة (٣٠٩٣) موضوعًا؛ أي ما يعادل حوالي ٦٥.١٨٪ من جملة موضوعات المجلة[٢].

أما النوع الثاني من مقالات الإمام الشهيد، فكان في موضوعات عامة سياسية، واجتماعية، وأخلاقية، حسب المناسبات والأحداث التي تمر بها المملكة المصرية أو العالم الإسلامي في ذلك الوقت، بالإضافة إلى أنه كان يكتب غالبًا افتتاحية المجلة، وعادة ما كان يخصصها لتوجيه الإخوان في الموضوعات الدعوية، والتي منها «إلى أي شيء ندعو الناس» و«دعوتنا»... إلى غير ذلك من الموضوعات التي جمعت في كتاب عرف عند الإخوان بـ«رسائل الإمام الشهيد»، وهذا النوع من المقالات يتميز بتنوع موضوعاته، وعدم تسلسلها إلا القليل، وارتباطه بالمناسبات والأحداث الطارئة في المجتمع أو العالم، أو لحاجة الإخوان والدعوة لتلك التوجيهات.

والحق يقال: أننا ونحن نبحث في مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية اكتشفنا كنزًا ثمينًا لم نكن نتوقعه من تراث الإمام الشهيد، وكان ذلك دافعًا قويًا على مواصلة البحث

---

(١) كان آخر مقال كتبه الإمام البنا في المجلة بتاريخ ١٠ من ذي الحجة ١٣٥٦هـ الموافق ١٣ من فبراير ١٩٣٨م في العدد (٣٣) من السنة الخامسة بعنوان: «طريق الإخوان المسلمين الاستمساك بأهداب الدين».

(٢) شعيب الغباشي: صحافة الإخوان المسلمين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، الملاحق جدول رقم (١).

والتنقيب عن باقي تراثه في الدوريات الأخرى التي صدرت في تلك الفترة؛ فكان من الطبيعي أن نستمر في البحث لننهل من هذا النهر العذب.

ثانيًا: مجلة النذير

وهي مجلة أصدرها الإخوان المسلمون لتعبر عنهم فكرًا وحركة وفهمًا بعد فقد جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، وقد صدر العدد الأول في ٣٠ من ربيع الأول ١٣٥٧هـ الموافق ٣٠ من مايو ١٩٣٨م، وكان صاحب الامتياز ومدير التحرير الأستاذ محمود أبو زيد، كما رأس تحريرها الأستاذ صالح عشماوي، وقد عرّفت المجلة نفسها بأنها سياسية إسلامية أسبوعية تصدر على مبادئ الإخوان المسلمين، وظلت كذلك حتى حاد بها رئيس التحرير محمود أبو زيد عن مسار ونهج الإخوان، وكوّن مع آخرين ما عرف بجماعة «شباب سيدنا محمد ﷺ»، وكان آخر عدد للنذير صدر معبرًا عن الإخوان في ٢٨من ذي القعدة ١٣٥٨هـ الموافق ٨ من يناير ١٩٤٠م.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مجلة النذير اختلفت عن سابقتها جريدة الإخوان المسلمين بالاهتمام بالجانب السياسي والاجتماعي، وقد كتب الإمام البنا بها ما يزيد عن ثمانين مقالاً حظي الجانب السياسي والاجتماعي بنصيب وافر فيها مع توضيح الجانب الشرعي وقضايا العالم الإسلامي في الأمور التي تحتاج إلى توضيح.

ثالثًا: مجلة المنار

وهذه المجلة أصدرها الشيخ رشيد رضا في ٢٢ من شوال ١٣١٥هـ الموافق ١٥من مارس ١٨٩٨م، واستمرت في الصدور حتى توفي -رحمه الله- في ٢٢ من أغسطس ١٩٣٥م، فتوقفت المجلة التي كانت تعنى بتقديم الإسلام في صورته الصافية، وتشخيص الأمراض التي انتشرت في حينها، ووصف علاجها الناجع، فضلاً عن الحث على التمسك بالدين الحنيف، كما اهتمت بتفسير القرآن الكريم. وكانت في مجملها دينية اجتماعية لكنها لم تهمل الجوانب السياسية التي يهتم بها المسلمون في مناحي حياتهم، إلا أنه بعد مرور ما يقرب من سبعة أشهر من وفاة صاحبها أُسندت رئاستها إلى العالم السوري الجليل المحقق بهجة البيطار، لكنه ما لبث أن اعتذر عن عدم القيام بهذه المهمة بعد عددين فقط، فتوقفت المجلة ثانية إلى ما يقرب من ثلاث سنوات، وفي هذه الأثناء طلبت أسرة الشيخ رشيد رضا -رحمه الله- من الإمام البنا أن يتولى مسئولية إصدار

«المنار»؛ إذ لم يكن الإمام البنا غريبًا على أسرة الشيخ، وقد قبل الإمام البنا ذلك بعد إلحاح من الأسرة والمحبين لها، وقد أخرج الإمام الشهيد المجلة في نفس المستوى العلمي والثقافي الذي كانت تصدر به في عهد صاحبها.

وقد صدر العدد الأول برئاسة تحرير الإمام البنا في غرة جمادى الآخرة ١٣٥٨هـ الموافق ١٨من يوليو ١٩٣٩م.

والذي تجدر الإشارة إليه أن الإمام البنا استمر في تفسير القرآن الذي بدأه الشيخ رشيد رضا بالمجلة، والذي كان قد توقف عند سورة «يوسف»، وقد بدأ الإمام البنا بتفسير سورة الرعد استمرارًا لما كتبه الشيخ رضا رحمه الله، علمًا بأن الإمام البنا كان يقوم بتحرير معظم موضوعات المجلة تقريبًا؛ حيث كان يكتب الافتتاحية، وباب تفسير القرآن الكريم، وفتاوى المنار، وموقف العالم الإسلامي السياسي، والمرأة المسلمة، وظلت المجلة هكذا رغم مضايقات الجهات الرسمية التي كانت تتعرض لها من حين لآخر؛ وهو ما كان سببًا في تأخيرها عن الصدور في موعدها، إلى أن صودرت وتوقفت عن الظهور بعد عدد شعبان ١٣٥٩هـ سبتمبر ١٩٤٠م الذي صدر فعليًا في نهاية نوفمبر ١٩٤٠م.

رابعًا: مجلة التعارف

بعد ابتعاد النذير عن مسار ونهج الإخوان المسلمين الإعلامي والدعوي استأجر الإخوان مجلة «التعارف»، وذلك في ٢٣ من محرم ١٣٥٩هـ الموافق ٢ من مارس ١٩٤٠م، والتي أصبحت كمرحلة وسط بين جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية والنذير، وجمعت بين الجوانب الشرعية والسياسية والاجتماعية بصورة متوازنة، إلا أن المجلة التي صدرت في ظل الأحكام العرفية بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية سرعان ما تعرضت لمضايقات، إلى أن صودرت وتوقفت في شعبان ١٣٥٩هـ الموافق ٧ من سبتمبر ١٩٤٠م بعد مضي ما يقرب من سبعة أشهر من استئجار الإخوان لها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإمام البنا كان يقوم بتحرير بعض الافتتاحيات إضافة إلى باب «صحيفتنا الفقهية»، ومقالات أخرى توضح رؤية الإخوان للإصلاح السياسي والاجتماعي في ذلك الوقت.

خامسًا: مجلة الإخوان المسلمين نصف الشهرية

بعد توقف دام سنتين تقريبًا لصحف الإخوان المسلمين سمحت حكومة الوفد للإخوان بإصدار مجلتهم مرة ثانية بعد تنازل الإمام البنا عن الترشيح في الانتخابات البرلمانية عام ١٩٤٢م، وصدر العدد الأول من المجلة نصف شهري في ١٧ من شعبان ١٣٦١هـ الموافق ٢٩ من أغسطس ١٩٤٢م، ثم أصبحت المجلة أسبوعية من العدد الخامس والستين في السنة الثالثة في ١من رمضان ١٣٦٤هـ الموافق ٩ من أغسطس ١٩٤٥م، ثم صودرت هي الأخرى بعد صدور العدد ٢٢٤ للسنة السابعة في ٣ من صفر ١٣٦٨هـ الموافق ٤ من ديسمبر ١٩٤٨م، عندما صدر قرار حل جماعة الإخوان المسلمين، ومصادرة جميع ممتلكاتها في عهد وزارة النقراشي.

ولقد رأس تحرير المجلة خلال فترة صدورها الأستاذ صالح عشماوي، وعرّفت المجلة نفسها بأنها مجلة إسلامية اجتماعية يصدرها المركز العام للإخوان المسلمين، ثم غيرت المجلة شعارها بعد ذلك بداية من العدد الثاني والستين ليكون شعارها الجديد «دعوة الحق والقوة والحرية».

وكتب الإمام البنا بها أكثر من مائة مقال في مختلف القضايا الشرعية والفكرية والاجتماعية والسياسية والدعوية، تحت عنوان «من أهداف الدعوة» بيّن فيها رؤية الإخوان في الإصلاح في كافة المجالات. كما اهتم بتوعية الرأي العام بقضايا المسلمين وموضحًا ما يحاك لمجتمعاتهم حتى يكونوا على بينة من أمرهم أملا أن يقوموا من سباتهم.

سادسًا: جريدة الإخوان المسلمين اليومية

كان إنشاء جريدة يومية إسلامية حلمًا يراود كثيرًا من قادة الفكر الإسلامي، وإذا بالإمام البنا يضع ذلك موضع التنفيذ وذلك في ٣ من جمادى الآخرة ١٣٦٥هـ الموافق ٥من مايو ١٩٤٦م؛ حيث صدر العدد الأول من «جريدة الإخوان المسلمين اليومية»؛ ذلك المشروع الضخم الذي استُنفر فيه الإخوان جميعًا حتى تحقق لهم ما يريدون، وأصبح الحلم حقيقة واقعة، وكان مدير إدارة المجلة الأستاذ أحمد السكري، ورئيس التحرير المسئول الأستاذ زكريا خورشيد، وتولى الأستاذ صالح عشماوي رئاسة التحرير بدءًا من العدد ٣٧٣ من السنة الثانية، ثم تولى الأستاذ عبد الحليم الوشاحي مدير إدارة الجريدة بعد خروج الأستاذ أحمد السكري من الجماعة للأسباب المعروفة تاريخيًا.

ولقد أوضح الإمام البنا في العدد الأول السياسة التي ستسير عليها الجريدة كجريدة إسلامية لكل المسلمين؛ بل والمنبر العام للهيئات الإسلامية والجماعات الإصلاحية جميعها، وأن الرسالة الأولى لها هي قول الحق والجهر به بلا رغبة أو رهبة، وظلت الصحيفة تواصل نهجها وأسلوبها كمنبر للرأي الحر والمعارضة النزيهة المجردة عن الغرض والبعيدة عن الهوى، تحارب الاستعمار في أشكاله المختلفة كما تحارب الاستبداد في صوره المتعددة، إلى جانب أنها تحارب الطغيان، بالإضافة إلى محاربة الفقر والجهل والمرض والخلاعة وجميع أمراض المجتمع، إلى جانب دعوة الأمة إلى الرجوع إلى آداب الإسلام وتعاليمه، واستمرت الجريدة إلى أن تمت مصادرتها قبيل حل الجماعة في ٧ من صفر ١٣٦٨هـ ٨ من ديسمبر ١٩٤٨م، وكان آخر عدد صدر منها في ٢صفر ١٣٦٨هـ ٣ديسمبر ١٩٤٨م، وصدر من هذه الجريدة خلال هذه الفترة ٧٩٤ عددًا.

ولأن هذه الجريدة كانت أحد أهم مشروعات الإخوان الكبرى فقد أولاها الإمام الشهيد اهتمامًا كبيرًا؛ فكتب فيها ما يزيد على ٣٧٠ مقالاً في كافة القضايا، سواء في الجانب الشرعي الذي كتب فيه الإمام البنا الباب الأسبوعي بعنوان: «حديث الجمعة» الذي تناول فيه المعاني الإيمانية والروحية، أو في الجوانب السياسية والاجتماعية. ولقد كتب الإمام البنا العديد من المقالات بالإضافة إلى سلسلة مقالات بعنوان: «نحن» ليبيِّن حقيقة دعوة الإخوان المسلمين وعلاقتها بالهيئات والمؤسسات الأخرى ورؤيتها في إصلاح المجتمع.

سابعًا: مجلة الشهاب

أصدرها الإمام الشهيد في غرة المحرم ١٣٦٧هـ الموافق ١٤ من نوفمبر ١٩٤٧م لتكون مجلة شرعية على منوال مجلة المنار، تهتم بالبحوث والقضايا الإسلامية، وكانت شهرية جامعة تصدر مع غرة كل شهر عربي، وقد رأس الإمام البنا تحريرها، وكان صاحب امتيازها. أما مدير الإدارة فكان الأستاذ سعيد رمضان، وبيّن الإمام البنا رسالة الشهاب التي تتمثل في محاولة عرض الأحكام الإسلامية عرضًا مبسطًا عمليًا شاملا بلسان العصر، مع محاولة تقديم الإسلام كنظام اجتماعي كامل لا مجرد دين نظري، والدفاع عن عقيدة «الإيمان بالله» ضد الأفكار الإلحادية التي شاعت في تلك الأيام، وقد خرجت المجلة حافلة بالآراء والأفكار والبحوث العلمية المهمة التي كتبها ثلة من العلماء والمفكرين داخل مصر وخارجها، إلا أنها لم تستمر في الصدور أكثر من خمسة أعداد، وكان العدد الأخير

منها في غرة جمادى الأولى ١٣٦٧هـ الموافق ١٢ من مارس ١٩٤٨م، وقد كتب الإمام البنا بها شيئًا من التفسير، مبتدئا بتفسير سورة الفاتحة كما كتب في علوم القرآن ومصطلح الحديث.

ثامنًا: مجلة الفتح

وهي مجلة إسلامية علمية أخلاقية أصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب في ٢٩ من ذي الحجة ١٣٤٤هـ الموافق ١٠ من يونيو ١٩٢٦م، وظلت تصدر لمدة أربعة وعشرين عامًا، ثم توقفت عام ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م، وقال صاحبها مقولته المشهورة: «أوقفتها من يوم أصبح حامل المصحف في هذا البلد مجرمًا يفتَّش ويعاقَب»، يشير بذلك إلى مطاردة الإخوان المسلمين، وقد اهتمت هذه المجلة خلال فترة صدورها بقضايا العالم الإسلامي شرقًا وغربًا، والرد على خصوم الإسلام والحملات التغريبية، وكان لها دور ريادي في مواجهة أعداء الدعوة.

وقد أفسحت المجلة للإمام البنا المجال للكتابة فيها، فكتب بها ما يربو على ثلاثة وعشرين مقالاً في الدعوة إلى الله، والسبيل إلى الإصلاح الاجتماعي، والسياسي والاقتصادي وغيرها من القضايا، وجل هذه المقالات نُشر عامي ١٩٢٨، ١٩٢٩م.

صعوبات البحث والتنقيب

ومن الجدير بالذكر أننا واجهنا صعوبة بالغة في تجميع كل مقالات الإمام بالمجلات والصحف التي تهالكت، وأصبح من العسير الحصول عليها أو قراءتها، فجمعنا ما تيسر لنا جمعه.

لقد كانت كل المصادر التي اعتمدنا عليها في جمع هذا التراث المفيد دوريات قديمة، صدرت في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي؛ فكان كل أملنا معقودًا بعد الله ﷻ على دار الكتب المصرية؛ حيث إنها منوطة بجمع وحفظ نسخة على الأقل من كل ما يصدر من كتب ودوريات، ومهمتها الأولى المحافظة عليها، وتيسير الاطلاع عليها، والاستفادة منها. وقد فُجعنا عندما لمسنا إهمالا كبيرًا في ذلك الصرح العريق من صروح المحافظة على كنوز تراثنا الثمين، وذخائر تاريخنا المضيء؛ فالدوريات كثير منها مفقود، والقليل الموجود نوعان: جزء كبير متهالك لا يصلح للاطلاع أو البحث، ومن ثم لا

يسمحون بخروجه من المخازن إلى القاعات، والجزء القليل الآخر الذي يسمح بالاطلاع عليه حالته يرثى لها؛ فالورق متآكل والتراب على دفتيه، والحشرات تمرح فيه كيف شاءت، وكم نود أن يزداد الاهتمام بالمحافظة على تراث الأمة قبل أن يندثر مع الأيام.

ومن هنا بدأنا نفكر في جمع هذا التراث القيم من طريق آخر؛ فبدأنا رحلة شاقة من البحث في المكتبات القديمة، وفي البقية الباقية من الإصدارات التي استطاعت تلك المكتبات أن تحتفظ بها، وهي نادرة ومع هذه الندرة يشتد الحذر والحظر في التعامل معها من خلال هذه المكتبات، ولكن مع كل هذه الصعاب أتم الله علينا فضله ومنته حيث استطعنا أن نجمع جل تراث إمامنا الشهيد، وها نحن نقدمه لتلاميذه ومن ساروا على دربه فضلاً عن العلماء والباحثين والناس أجمعين، سائلين المولى تعالى أن يتقبله ويجعله في ميزان حسنات كل من بذل جهدًا، وأعاننا على إخراجه بهذه الصورة التي ما كانت لتتحقق لولا جهد رجال صدقوا وأخلصوا وواصلوا العمل ليل نهار؛ ليكون هذا التراث بين يدي القارئ الكريم لينهل منه وينشره؛ فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، والله نسأل أن يكون هذا كله في ميزان حسنات شهيدنا الإمام حسن البنا أجزل الله له العطاء.

منهجنا في عرض التراث

اخترنا في عرض تراث الإمام الشهيد أن نعتمد منهج التحقيق والتوثيق لا الدراسة والتحليل؛ فقد كان كل ما يشغلنا أن يخرج ذلك التراث الثمين إلى النور في صورة موثوق من مصادرها؛ فنتحقق من نسبتها إلى إمامنا الشهيد؛ لذا فقد كنا نُراجع في ذلك الكثير، ولا نقبل للنشر إلا ما هو بتوقيع الإمام البنا نفسه أو ما أشارت المصادر الموثقة إلى أنه بقلمه، وأكدت الشواهد والأحداث ذلك؛ كأن تخصص المجلة بابًا معينًا أو عنوانًا بعينه يحرره الإمام الشهيد وشهد بذلك تلاميذه المعاصرون.

ومن الأمور التي كانت جديدة علينا واكتشفناها في بعض المقالات والأبواب توقيع الإمام الشهيد بكنية له، مثل: أبو وفاء، وأبو علي، والحسن، ولم نعتمد تلك المقالات إلا بعد تأكُدنا من نسبتها إليه؛ إما عن طريق نص المجلة على ذلك، أو عن طريق تحليل المحتوى، وضم الشواهد والأحداث بعضها إلى بعض، وتأكيد ذلك بقرائن قوية، فضلا عن الرجوع إلى العارفين من تلاميذه.

ولقد اقتصر عملنا في تحقيق نص مقالات التراث على:

١- تخريج الآيات والأحاديث الواردة فيها حتى وإن كان الإمام الشهيد قد قام بتخريج بعضها، وفي تلك الحالات نعتمد على تخريجه أو نستكمل تخريج الإمام أو نستدل عليه.

٢- تعريف بالشخصيات الواردة في النص، خاصة غير المشهورة أو المجهولة لدى القارئ غير المتخصص.

٣- نسبة النصوص التي اقتبسها الإمام البنا من السابقين إلى مصادرها المنقولة عنها قدر الاستطاعة.

٤- تحقيق التواريخ والأحداث الواردة في النص والتعليق عليها في الهامش عند الضرورة.

٥- التعريف ببعض المصطلحات العلمية المتخصصة.

٦- توضيح معاني بعض الكلمات اللغوية التي نشعر فيها بصعوبة على القارئ العادي؛ نظرًا لندرة استخدامها في عصرنا الحاضر.

٧- كتابة مقدمات لفروع العلوم المختلفة التي تناولها الإمام الشهيد في مقالاته.

٨- إضافة بعض العناوين الرئيسية والجانبية لتوضيح المعنى المقصود في المقالات التي لم يضع لها الإمام البنا عنوانًا، واكتفى بعنوان الباب.

مجالات التراث

لقد كتب الإمام البنا العديد من الرسائل والمقالات في الموضوعات المختلفة الشرعية منها والفكرية والاجتماعية والأدبية والدعوية. ويمكن تفصيل ذلك على النحو الآتي:

أولاً: التراث الشرعي

حرر الإمام البنا الكثير من الموضوعات الشرعية فكتب في مسائل العقيدة والتفسير ومصطلح الحديث والتزكية والأخلاق... إلخ.

ونحب أن نلفت نظر القارئ إلى عدة أمور:

أولاً: حرصنا على جمع كل تراث الإمام الشهيد المطبوع حديثًا ويعرفه الناس، أو المطبوع قديمًا ولا يعرفه كثير منهم، أو غير المطبوع؛ باستثناء كتاب حديث الثلاثاء الذي

طبعه الأستاذ أحمد عيسى عاشور وذلك لأن هذا الكتاب قد جمعه صاحبه ودونه بنفسه من خلال استماعه للأحاديث التي كان يلقيها فضيلة الإمام البنا كل ثلاثاء والتي سميت بعاطفة الثلاثاء فكان في ذلك مظنة الزيادة أو النقصان على كلام الإمام البنا وذلك مخالف لمنهجنا في هذه السلسلة.

ثانيًا: كتب الإمام الشهيد هذا التراث على مدار فترة زمنية طويلة تصل إلى عشرين عامًا (من ١٩٢٨م إلى ١٩٤٨م)[1]؛ لذا فسوف يجد القارئ تنوعًا في الأسلوب وطريقة التناول والعرض في الموضوع الواحد الذي كُتب على مدار تلك الفترة، وقد ظهر ذلك جليًا في تراثه حول تفسير القرآن الكريم، وقد نبهْنا القارئ إلى ذلك، وعالجنا مثل هذه الموضوعات بطريقة تبرز هذا التنوع، وتركنا لغيرنا الدراسة والتحليل والاستنباط.

ثالثًا: آثرنا بدء هذه السلسلة بالعقيدة؛ لأهميتها وأثرها على الفرد والمجتمع، وضممنا إليها الحديث؛ لتبدأ السلسلة بكتاب فريد يحتاجه وينتظره القراء.

رابعًا: يحكمنا في تقسيم كتب السلسلة أمران: أولهما وحدة الموضوع، وثانيهما كمّ الكتاب، على هذا الترتيب في الأولوية؛ فإذا كان كمّ الموضوع الواحد كبيرًا جعلناه في مجلدين كما في التفسير، وإذا كان كمّ الموضوع الواحد صغيرًا بعض الشيء أضفنا له موضوعًا آخر قريبًا من بابه كما في العقيدة والحديث، والسير والتصوف والأخلاق، وهكذا كان منهجنا في التصنيف.

هذا، وقد جاء التراث الشرعي في ستة كتب هي على التالي:

الكتاب الأول: **العقيدة والحديث.**

الكتاب الثاني: **التفسير.**

الكتاب الثالث: **خواطر من وحي القرآن.**

الكتاب الرابع: **الفقه والفتوى.**

الكتاب الخامس: **عظات وأحاديث منبرية.**

الكتاب السادس: **المناسبات الإسلامية.**

---

(١) على اعتبار أن أول مقال كتبه كان في مجلة الفتح، العدد (١٠٠)، السنة الثانية، بتاريخ ٢٥ من ذي الحجة ١٣٤٦هـ- ١٤ من يونيو ١٩٢٨م، بعنوان: «الدعوة إلى الله».

ثانيًا: التراث الفكري والسياسي والاجتماعي والدعوي

وحديثنا في هذه السلسلة عن كتاباته الفكرية والسياسية والاجتماعية والدعوية التي كتبها في فترتي الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، والتي لا تقل أهمية عن كتاباته الشرعية، وننتهز هذه الفرصة لنلقي الضوء على جانب مهم من فكر الإمام الذي لم يطلع عليه الكثير من الباحثين؛ وذلك لأن تلك الكتابات لم يسبق لأحد تحقيقها وجمعها في كتاب واحد.

ولقد جاءت هذه الكتابات على النحو التالي:

الكتاب السابع: إلى الأمة الناهضة

ويضم مقالات الإمام البنا في أصول النهضة الحديثة ومقوماتها وخصائصها ومعوقاتها.

الكتاب الثامن: في الإصلاح الاجتماعي

ويضم مقالات الإمام في مجال الإصلاح الاجتماعي؛ حيث يعالج مظاهر الفساد الاجتماعي المنتشر في مصر، مثل: المقامرة والبغاء وشرب الخمر وحوادث التكفير والتبشير وأوضاع الريف المصري وأوضاع التربية والتعليم في مصر، وقضايا المرأة والأسرة.

الكتاب التاسع: في الإصلاح السياسي

ويناقش فيه الأوضاع السياسية التي كانت تمر بها مصر في تلك الفترة مثل الاحتلال والحزبية السياسية والوحدة والجلاء والدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية... إلخ.

الكتاب العاشر: قضايا العالم الإسلامي

ويضم مقالات الإمام الداعية إلى الاهتمام بشئون العالم الإسلامي وقضاياه الداخلية والخارجية والتي يأتي الاحتلال الأجنبي على قمتها، كذا يتعرض إلى مناقشة القضايا الشائكة بين البلاد العربية والإسلامية... إلخ.

الكتاب الحادي عشر: القضية الفلسطينية

ويضم مقالات الإمام البنا التي كتبها إزاء القضية الفلسطينية فيشرح أبعادها المختلفة ودور اليهود في اغتصاب فلسطين وتشريد أهلها وتواطؤ الدول الكبرى على التمكين لليهود في المنطقة العربية لخدمة مصالحها الاستعمارية.

كما يتناول دور الإخوان المسلمين في نشر الوعي الوطني والقومي بين المسلمين بخصوص القضية الفلسطينية سواء بالكلمات والخطب أو بالجهاد والاستشهاد أو بإرسال البرقيات والرسائل إلى ولاة الأمر والمسئولين في الداخل والخارج.

الكتاب الثاني عشر: في الدعوة والتربية

ويضم مقالات الإمام البنا في شئون الدعوة والجماعة، بالإضافة إلى مجموعة الرسائل التي تعود القارئ على مطالعتها تحت هذا الاسم، والتي يعالج فيها الإمام قضايا الإصلاح العام في مصر من منظور إسلامي، مبينًا موقف الإخوان المسلمين من القضايا والأحداث، وشارحًا الدعوة وخصائصها وغاياتها ومناهجها ووسائلها.

الكتاب الثالث عشر: الدعوة والحكومات والهيئات

ويضم مقالات الإمام البنا حول الدعوة ومواقفها المختلفة مع الحكومات المصرية المتعاقبة وجوانب الإصلاح الداخلي التي نادى بها الإخوان... كذلك موقف الإخوان من الهيئات السياسية والإسلامية والاجتماعية التي قامت في تلك الفترة.

الكتاب الرابع عشر: حوارات ومراسلات وأدبيات

ويضم محاضرات الإمام البنا ودروسه التي ألقاها في مناسبات مختلفة، ورواها تلاميذه من بعده بالإضافة إلى مكاتبات الإمام ورسائله الخاصة كما يضم الأحاديث الصحفية التي أجريت معه، كذا يضم آراء الإمام البنا التجديدية حول الأدب العربي الحديث.

الكتاب الخامس عشر: مجموعة رسائل الإمام البنا

ويختم هذا الكتاب السلسلة حيث يضم الرسائل التي كتبها الإمام البنا سواء إلى الإخوان المسلمين للتعريف بدعوة الإخوان وخصائصها وأهدافها أو إلى الملك أو الرؤساء والوزراء للإصلاح الداخلي والنهوض بالأمة المصرية.

ولقد تميزت هذه الطبعة بميزات عديدة منها:

المراجعة الدقيقة والتحقيق العلمي والتخريجات والإضافات والتوثيقات المهمة، وإضافة بعض الرسائل الجديدة كرسالة المنهج، والإخوان والانتخابات، والمؤتمر الشعبي.

وفي الختام نقول: هذا جهدنا؛ بذلناه لإخراج تراث بات مجهولا - جله- ردحا من الزمن، لرجل أحيا الله به موات أمة ابتعثها الله لتقود غيرها إلى طريق الرشاد، راجين أن ينفع الله به الناس أجمعين، والله نسأل أن نكون قد وفقنا في ذلك؛ فإن أصبنا فبتوفيق الله لنا، وإن كانت الأخرى فمن أنفسنا، ونسأل الله أن يغفر لنا، ويسدد خطانا، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

البصائر للبحوث والدراسات

* * *

مقدمة الكتاب

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلامًا على نبيه المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

وبعد...

فإن رسائل الإمام الشهيد قد طبقت شهرتها الآفاق، وانتشرت في جميع البلدان والأصقاع، وكل من يبغي أن يتعرف على آراء الإمام يبادر بالاطلاع عليها، ويغرف من معينها، فيجد فيها تاريخ دعوة الإخوان متجسدًا منذ نشأتها وحتى اغتيال الإمام ﷺ، يجد فيها الدعوة بأفراحها وأتراحها، حلوها ومرها، نشأتها وتطورها وارتقائها، وعلاقاتها بغيرها، أطرها ونظمها، بنائها وتكوينها، مناهجها وأساليبها، وكل ذلك وغيره تجده ماثلاً فيها.

ولقد اُعتبر كتاب الرسائل أنه المنظر لفكر الإخوان، والمؤطر لرؤيتهم، والمرجعية لهم عند اختلافهم، فكان من نتيجة ذلك تماثل وتوحد فكر الإخوان من أقصى المعمورة إلى أقصاها.

والأستاذ البنا قد توجه برسائله إلى إخوانه موضحًا لهم طريقهم، وراسمًا لهم منهجهم في إطار من كتاب الله وسنة رسوله، إضافة إلى أنه قد خاطب بها أناسًا يريد أن يعرفهم فكر الإخوان ومنهجهم ورؤيتهم، وأساليبهم الدعوية، كما وضح من خلالها الموقف الفكري للإخوان من القضايا الشائكة في المجتمع.

ولكن لنا وقفة لابد أن نشير إليها، وهي أنه لظروف قد مرت بها الجماعة لم تتوجه العناية إلا بالرسائل حتى ظن معظم الناس -إخوان وغير إخوان- أن رؤية الإمام الشهيد وفكره منحصر في رسائله تلك؛ لأن مقالاته التي سال بها قلمه في فترة تربو على عشرين عامًا لم يعتن بها أحد، ولم يتنبه لها أحد؛ ففكر الإمام في الرسائل ركيزة لمنظومة ضخمة وعمل منهجي كبير؛ فالمطلع على الرسائل يأخذ صورة مصغرة عن فكر الجماعة وأهدافها، ووسائلها ومواقفها، ولكن من أراد أن يحيط بآراء الإمام البنا فعليه أن يراجع جميع ما كتب وما نشر.

وقد يسر الله لنا الأمر، وامتن علينا بمزيد الشرف أن قمنا بجمع تراث الإمام الشهيد ﷺ، فزادت الصورة عمقًا واتساعًا؛ فرأينا الإمام يضرب بسهمه في كل مناحي الحياة من: اجتماعية وسياسية واقتصادية... إلخ؛ لأنه اعتبر ذلك كله جزءًا لا يتجزأ من دعوته ومنهجه.

وإصدارنا هذا للرسائل تميز عن غيره من الإصدارات بميزات عدة، نذكر منها:

١- أننا قمنا بمراجعتها على الأصول المنشورة كالمقالات في المجلات، أو الكتيبات التي صدرت عن المركز العام للإخوان.

٢- إثبات الفروق التي قد تقع عند إعادة نشر الرسائل.

٣- ضبط المتن ضبطًا جيدًا.

٤- تحقيق الأحاديث النبوية.

٥- الإشارة للأحداث التاريخية المذكورة.

٦- التعريف بالأعلام.

٧- إضافة ملاحق للمؤتمرات الدورية التي كانت تنعقد، كالمقررات والتوصيات والخطابات الموجهة للحكام، كل ذلك ليحيط القارئ الكريم بالأحداث إحاطة جيدة.

٨- استدراك بعض النقص في الإصدارات السابقة؛ وذلك كالمقال الذي استدركناه في رسالة «دعوتنا في طور جديد»، وهو بعنوان: «المدرسة التي نريدها...».

٩- إضافة بعض الرسائل الجديدة كرسالة «المنهج»، و«الإخوان والانتخابات»، و«المؤتمر الشعبي».

١٠- ترتيب الرسائل ترتيبًا تاريخيًّا؛ وذلك اعتمادًا على التواريخ المذكورة عند إصدارها، والرسائل التي جاءت غفلاً عن ذكر التاريخ رجعنا لمعرفة تواريخها لإخوة من الرعيل الأول فأفادونا في تحديد التواريخ على وجه التقريب.

١١- وضع مقدمات مختصرة لكل رسالة على حدة توضح تاريخ صدورها والظروف والملابسات التي صاحبتها ما أمكننا ذلك.

ونحب أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أن رسالة «العقائد» لم نضعها في هذا الكتاب؛ لأننا سبق وأن وضعناها في الكتاب الأول من السلسلة، وهو كتاب: «العقيدة والحديث».

وبعد: فهذا جهد متواضع نخدم به تراث الإمام البنا وعلى رأسه الرسائل، نسأل الله جل وعلا أن يجزل لنا عليه المثوبة، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

البصائر للبحوث والدراسات


النادي الشبابي

رسالة

إلى أي شيء ندعو الناس؟

٢٦ محرم ١٣٥٣هـ - ١١ مايو ١٩٣٤م

تقديـــم

صدرت هذه الرسالة بعد انتشار الدعوة في كثير من القرى والمدن، وطلب الإخـوان من الإمام الشهيد كتابة رسالة توضح كيفية دعوة الناس، وتبين كـذلك مبـادئ الـدعوة، فكانت هذه الرسالة.

وهي الرسالة الثالثة في ترتيب الرسائل، والأولى فيما وصل إلينا من رسـائل الإمـام البنا، وقد صدرت قبلها رسالتان كانت كل منهما تسمى برسالة المرشد.

وهـذه الرسـالة الـتي بـين أيـدينا صـدرت لأول مـرة في مجلـة الإخـوان المسـلمين الأسبوعية، وصدرت في مقـالات متتاليـة بلغـت تسـع مقـالات، وكـان المقـال الأول في ٢٦من المحرم ١٣٥٣هـ الموافق ١١مـايو ١٩٣٤م، وصـدر آخـر مقـال في ٢١ربيـع الثـاني ١٣٥٣هـ الموافق ٣من أغسطس ١٩٣٤م.

ثم أعيد نشر الرسالة كاملة مرة أخرى في مجلة النذير في العدد (٤٢) من السنة الثانية في ٣٠ شوال ١٣٥٨هـ، وكان بها اختصار لكثير من الفقرات، وبعض الإضافات اليسيرة.

وقد اعتمدنا في كتابة هذه الرسالة على الإصدار الأول لها مع الإشارة إلى الزيادة أو النقص بين الإصدار الأول في الإخوان المسلمين الأسبوعية والإصدار الثاني في النذير.

كما لاحظنا أن إصدار النذير والذي اعتمدت عليه كتب الرسائل المتداولة بين أيدينا أخطأ في ترتيب مقالات الإمام البنا؛ فجعلت المقالات: السابعة والثامنة والتاسـعة تتقـدم المقالة السـادسة.

وقد تم إعادة نشر هذه الرسالة من قبل المركز العام في كتيب ضم أول ثلاث رسـائل هي: دعوتنا– إلى أي شيء ندعو الناس– نحو النور.

***

إلى أي شيء ندعو الناس؟[1]

تمهيد:

قد تتحدث إلى كثير من الناس في موضوعات مختلفة فتعتقد أنك قد أوضحت كل الإيضاح، وأبنت كل الإبانة، وأنك لم تدع سبيلاً إلى الكشف عما في نفسك إلا سلكتها، حتى تركت من تحدثهم على المحجة[2] البيضاء، وجعلت لهم ما تريد بحديثك من الحقائق كفلق الصبح، أو كالشمس في رابعة النهار كما يقولون، وما أشد دهشتك بعد قليل حين ينكشف لك أن القوم لم يفهموا عنك، ولم يدركوا قولك.

رأيت ذلك مرات، ولمسته في عدة مواقف، وأعتقد أن السر فيه لا يعدو أحد أمرين:

إما أن المقياس الذي يقيس به كل منا ما يقول وما سمع مختلف، فيختلف تبعًا لذلك الفهم والإدراك، وإما أن يكون القول في ذاته ملتبسًا غامضًا، وإن اعتقد قائله أنه واضح مكشوف.

المقياس:

وأنا أريد في هذه الكلمة أن أكشف للناس عن دعوة الإخوان المسلمين وغايتها ومقاصدها وأساليبها ووسائلها في صراحة ووضوح، وفي بيان وجلاء، فأحب[3] أولاً أن أحدد المقياس الذي نقيس به هذا التوضيح، وسأجتهد في أن يكون القول سهلاً ميسورًا لا يتعذر فهمه على قارئ يحب أن يستفيد، وأظن أن أحدًا من الأمة الإسلامية جميعًا لا يخالفني في أن يكون هذا المقياس هو «كتاب الله» نستقي من فيضه، ونستمد من بحره، ونرجع إلى حكمه.

يا قومنا:

إنَّ القرآن الكريم كتاب جامع جمع الله فيه أصول العقائد وأسس المصالح

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد الثاني، السنة الثانية، ٢٦ محرم ١٣٥٣هـ - ١١مايو ١٩٣٤م، ص(١-٣)، وأعيد نشر الرسالة كاملة بمجلة النذير، العدد (٤٢)، السنة الثانية، ٣٠ شوال ١٣٥٨هـ، ص(٣-١٦)، وهناك تاريخان على مجلة النذير التاريخ المذكور، وتاريخ على الغلاف وهو ٧ذو القعدة ١٣٥٨هـ- ١٨ديسمبر ١٩٣٩م، والواضح كما هو مذكور أن العدد الذي بتاريخ ٣٠شوال أعيد نشرها كما هي بتاريخ ٧ذو القعدة، ويؤكد ذلك الاعتذار المذكور في ص(١٩) عن الصدور أسبوعًا.

(٢) المحجّة: الطريق الواضح البيّن. [ابن سيده: المخصص، (٢/ ٤٦٧)].

(٣) في النذير: «وأحب».

الاجتماعية، وكليات الشرائع الدنيوية، فيه أوامر وفيه نواه، فهل عمل المسلمون بما في القرآن فاعتقدوا وأيقنوا بما ذكر الله من المعتقدات، وفهموا ما أوضح لهم من الغايات؟ وهل طبقوا شرائعه الاجتماعية والحيوية على تصرفاتهم في شئون حياتهم؟ إن انتهينا من بحثنا إلى أنهم كذلك فقد وصلنا معًا إلى الغاية، وإن تكشف البحث عن بعدهم عن طريق القرآن وإهمالهم لتعاليمه وأوامره، فاعلم أن مهمتنا أن نعود بأنفسنا وبمن تبعنا إلى هذه السبيل.

غاية الحياة في القرآن:

إنَّ القرآن حدد غايات الحياة ومقاصد الناس فيها، فبين أن قومًا همهم من الحياة الأكل والمتعة، فقال -تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

وبيَّن أن قومًا آخرين مهمتهم الزينة والعَرض[1] الزائل فقال -تبارك وتعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وبين أن قومًا آخرين شأنهم في الحياة إيقاد الفتن، وإحياء الشرور والمفاسد، أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

تلك مقاصد من مقاصد الناس في الحياة نزه الله المؤمنين عنها، وبرأهم منها، وكلفهم مهمة أرقى، وألقى على عاتقهم واجبًا أسمى، ذلك هو[2]: هداية البشر إلى الحق، وإرشاد الناس جميعًا إلى الخير، وإنارة العالم كله بشمس الإسلام، فذلك قوله -تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ

---

(١) العَرَضُ بالتحريك: ما يَعرِضُ للإنسان من مرضٍ ونحوه. وعَرَضُ الدنيا أيضًا: ما كانَ من مالٍ، قلَّ أو كثر [الصحاح، مادة (عرض)].

(٢) في النذير: «ذلك الواجب هو».

سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

[ومعنى هذا أن القرآن يقيم المسلمين أوصياء على البشرية القاصرة، ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على الدنيا لخدمة هذه الوصاية النبيلة، وإذًا فذلك من شأننا لا من شأن الغرب، ولمدنية الإسلام لا لمدنية المادة][1].

وصاية المسلم تضحية لا استفادة:

ثم بيَّن الله -تبارك وتعالى- أن المؤمن في سبيل هذه الغاية قد باع لله نفسه وماله، فليس له فيها شيء، وإنما هي وقف على نجاح هذه الدعوة وإيصالها إلى قلوب الناس، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

[ومن ذلك ترى أن المسلم يجعل دنياه وقفًا على دعوته ليكسب آخرته جزاء تضحيته، ومن هنا كان الفاتح المسلم أستاذًا يتصف بكل ما يجب أن يتحلى به الأستاذ من نور وهداية ورحمة ورأفة، وكان الفتح الإسلامي فتح تمدين وتحضير وإرشاد وتعليم، وأين هذا مما يقوم به الاستعمار الغربي الآن؟][2].

أين المسلمون من هذه الغاية؟

فبربك -يا عزيزي- هل فهم المسلمون من كتاب ربهم هذا المعنى، فسمت نفوسهم، ورقت أرواحهم، وتحرروا من رق المادة، وتطهروا من لذة الشهوات والأهواء، وترفعوا عن سفاسف الأمور ودنايا المقاصد، ووجهوا وجوههم للذي[3] فطر السموات والأرض حنفاء يعلون كلمة الله ويجاهدون في سبيله، وينشرون دينه، ويذودون عن حياض شريعته، أم هم هؤلاء أسرى الشهوات، وعبيد الأهواء والمطامع، كل همهم لقمة لينة، ومركب فاره[4]، وحلة جميلة، ونومة مريحة، وامرأة وضيئة، ومظهر كاذب، ولقب أجوف.

---

(١) زيادة من النذير.

(٢) زيادة من النذير.

(٣) في النذير: «لله الذي».

(٤) أي: الحسن الجميل. [المعجم الوجيز، ص(٤٧٠)].

رضـوا بالأمـاني وابتلـوا بحظـوظهم وخاضوا بحار الجد دعـوى فـما ابتلـوا(١)

وصدق رسول الله ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْقَطِيفَةِ»(٢).

[الغاية أصل والأعمال فروع لها ولما كانت الغاية هي التي تدفع إلى الطريق، وكانت الغاية في أمتنا غامضة مضطربة، كان لابد من أن نوضح ونحدد، وأظننا وصلنا إلى كثير من التوضيح والتحديد، واتفقنا على أن مهمتنا سيادة الدنيا، وإرشاد الإنسانية كلها إلى نظم الإسلام الصالحة، وتعاليمه التي لا يمكن بغيرها أن يسعد الناس](٣). [إذا عرفت هذا -أيها القارئ الكريم- فاعلم أن من غاية الإخوان المسلمين أن ينادوا في الناس بهذه الغاية التي ندب إليها القرآن أبناءه جميعًا، ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وإذا فهم المسلمون هذه الغاية، وجعلوها نصب أعينهم؛ فإنها وحدها كفيلة أن تكشف عنهم حجب الغفلة، وتبصرهم بمواطن النقص، وترشدهم إلى صنوف من الفلاح تسعد بها حياتهم، ويصح بها مجتمعهم، وتحقق آمالهم. وذلك ما سنعالجه في الأعداد التالية -إن شاء الله تعالى](٤).

***

---

(١) البيت لابن الفارض الصوفي، وهو من بحر الطويل، من قصيدته التي مطلعها:

هـو الحُبّ فاسلم بالحشا ما الهوى سهل فـما اختـاره مُضْنى بـه ولـه عقـلُ

(٢) أخرجه البخاري في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «الْحِرَاسَةِ فِي الْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(٢٦٧٣) بلفظ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»، أما اللفظ الذي أورده الإمام البنا فهو لفظ الطبراني الذي أخرجه في «المعجم الكبير»، ح(٤٢٢)، «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ».

(٣) زيادة من النذير.

(٤) ناقصة من النذير.

(٢) إلى أي شيء ندعو الناس؟[١]

ألا إننا ندعوك -أيها المسلم الكريم - إلى:

«إصلاح الحياة الإسلامية الاجتماعية بتجديد نفسك على هذه الأصول:

١- أن تعتز بنسبتك إلى «الله» جل شأنه؛ حيث نسبك إلى نفسه، ومنحك فضل ولايته، واختارك لتعميم رسالته إلى خلقه.

٢- وأن تقدر المهمة التي ألقاها الله على عاتقك، وتعد نفسك لما تحتاجه من جهود وتضحيات.

٣- أن تقدر الأثر الدنيوي والجزاء الأخروي الذي يترتب على اهتمامك بأداء رسالتك، أو قعودك عن الجهاد في سبيلها.

٤- أن تعلم أن الحجر الأساسي في أداء هذه الرسالة هو إصلاح نفوس الأمة الإسلامية وتجديد أفكارها وأخلاقها، فإن النفوس الحالية لا تصلح لعمل جدي.

٥- أن تعتقد أن كل مسلم أخ لك تألم لألمه وتفرح لفرحه، وأن كل شبر من الأرض فيه مسلم يقول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» إنما هو قطعة من حمى الله الذي يجب على كل مسلم أن يذود عنه، ويحتفظ به، ويعمل لخير أهله.

٦- أن تعتقد أن كل نظام لا يعتمد على الأسس الإسلامية ولا يبنى على قواعد القرآن الكريم لا يصلح أبدًا لبناء النهضة الحديثة.

٧- أن يمتلئ صدرك بالأمل في النجاح، فليس اليأس من أخلاق المؤمنين، وحسبك شرفًا أن تموت في ميدان الجهاد لخير أمتك.

مصدر غايتنا:

تلك هي الرسالة التي يريد الإخوان المسلمون أن يبلغوها للناس، وأن تفهمها الأمة الإسلامية حق الفهم، وتهب لإنفاذها في عزم وفي مضاء، لم يبتدعها الإخوان ابتداعًا، ولم يختلقوها من أنفسهم، وإنما هي الرسالة التي تتجلى في كل آية من آيات القرآن الكريم،

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد الرابع، السنة الثانية، ١٠ صفر ١٣٥٣- ٢٥ مايو ١٩٣٤، ص(١-٣).

وتبدو في غاية [الجلاء و][1] الوضوح في كل حديث من أحاديث الرسول العظيم ﷺ، وتظهر في كل عمل من أعمال الصدر الأول الذين هم المثل الأعلى لفهم الإسلام، وإنفاذ تعاليم الإسلام، فإن شاء المسلمون أن يتقبلوا[2] هذه الرسالة كان ذلك دليل الإيمان والإسلام الصحيح، وإن رأوا فيها حرجًا أو غضاضة فبيننا وبينهم كتاب الله -تبارك وتعالى- حكم عدل، وقول فصل، يحكم بيننا وبين إخواننا، ويظهر الحق لنا أو علينا ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

استطراد:

يتساءل كثير من إخواننا الذين أحببناهم من كل قلوبنا، ووقفنا لخيرهم وللعمل[3] لمصلحتهم الدنيوية والأخروية جهودنا وأموالنا وأرواحنا، وفنينا في هذه الغاية، غاية إسعاد أمتنا وإخواننا عن أموالنا وأنفسنا، وذهلنا في سبيلهم عن أبنائنا والحلائل.

وكم أتمنى أن يطلع هؤلاء الإخوان المتسائلون على شبان الإخوان المسلمين وقد سهرت عيونهم والناس نيام، وشغلت نفوسهم والخليون هجع[4]، وأكب أحدهم على مكتبه من العصر إلى منتصف الليل عاملاً مجتهدًا، ومفكرًا مجدًا، ولا يزال كذلك طول شهره، حتى إذا ما انتهى الشهر جعل مورده موردًا لجماعته، ونفقته نفقة لدعوته، وماله خادمًا لغايته، ولسان حاله يقول لبني قومه الغافلين عن تضحيته: لا أسألكم عليه أجرًا إن أجري إلا على الله. ومعاذ الله أن نمن على أمتنا، فنحن منها ولها، وإنما نتوسل إليها بهذه التضحية أن تفقه دعوتنا، وتستجيب لندائنا.

[غاية الإخوان المسلمين]:[5]

يتساءل هؤلاء الإخوان المحبوبون الذين يرمقون الإخوان المسلمين على بعد، ويرقبونهم عن كثب قائلين: [لأي شيء يعمل هؤلاء، وماذا يقصدون، وإلى أي غاية

---

(١) زيادة من النذير.

(٢) في النذير: «يقبلوا».

(٣) في النذير: «والعمل».

(٤) الخَلِيُّ: الذي لا هم له، قال:

نـام الخَلِيُّ وبتُّ الليلَ مُرْتَفِقـا ... مما أعالج من همٍ وأحزانِ

الهُجوعُ: النومُ [العين، مادة (خلو)، الصحاح، مادة (هجع)].

(٥) زيادة من عندنا.

يسيرون؟

ألا فليعلم هؤلاء المتسائلون أن الإخوان المسلمين إنما يعملون للنهوض بالأمة الإسلامية، وتجديد حياتها المريرة في هذه الظروف العصيبة على أساس إصلاح النفوس، وتطهير الأرواح، وقد أوضحوا مبادئهم في عقيدتهم، ونادوا بغايتهم في جريدتهم، وبابهم مفتوح على مصراعيه لمن أراد أن يتثبت من غايتهم، ويستطلع خفي شئونهم، وما يوم حليمة بسر[1].

من أين المال؟

ويتساءل قوم آخرون][2]: من أين ينفقون؟ وأنى لهم بالمال اللازم لدعوة نجحت وازدهرت كدعوتهم، والوقت عصيب، والنفوس شحيحة؟

وإني أجيب هؤلاء بأن الدعوات الدينية عمادها الإيمان قبل المال، والعقيدة قبل الأعراض الزائلة، وإذا وجد المؤمن الصحيح وجدت معه وسائل النجاح جميعًا، وإن في مال الإخوان المسلمين القليل الذي يقتطعونه من نفقاتهم، ويقتصدونه من ضرورياتهم، ومطالب بيوتهم وأولادهم، ويجودون به طيبة به نفوسهم، سخية به قلوبهم، يود أحدهم لو كان له أضعاف أضعافه فينفقه في سبيل الله، فإذا لم يجد بعضهم شيئًا تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون.

في هذا المال القليل والإيمان الكبير -ولله الحمد والعزة- بلاغ لقوم عابدين، ونجاحٌ للعاملين الصادقين، وإن الله الذي بيده كل شيء ليبارك في القرش الواحد من قروش الإخوان فإذا هو أزكى من مئات، وأبرك من جنيهات، و﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، ﴿وَمَا آتَيْتُم مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾

---

(١) «يوم حليمة هو من أشهر أيام العرب، ولذلك قيل: ما يوم حليمة بسر، وفيه يقول النابغة:

تخيرن من أزمان يوم حليمة ... إلى اليوم قد جربن كل التجارب

وحليمة بنت الحارث بن أبي شمر، وإنما نسب اليوم إليها؛ لأن أباها وجه جيشًا إلى المنذر بن ماء السماء، فحضرت حليمة المعركة محرضةً لعسكر أبيها على القتال. وقيل: إنها أخرجت لهم طيبًا في مركن فطيبتهم به. ويزعم العرب أن الغبار ارتفع في ذلك اليوم حتى غطى عين الشمس، فظهرت الكواكب؛ فسار المثل بذلك، وقال أبو عبيد بن سلام: «وقد يضرب يوم حليمة لكل أمر متعالم مشهور» [الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص(٩٦)، والأمثال، ص(١٠٣)].

(٢) ناقصة من النذير.

[الروم: ٣٩].

نحن والسياسة:

ويقول قوم آخرون: إن الإخوان المسلمين قوم سياسيون، ودعوتهم سياسية، ولهم من وراء ذلك مآرب أخرى، ولا ندري إلى متى تتقارض أمتنا التهم، وتتبادل الظنون، وتتنابز بالألقاب، وتترك يقينًا يؤيده الواقع في سبيل ظن توحيه الشكوك؟

يا قومنا، إننا نناديكم والقرآن في يميننا، والسنة في شمالنا، وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة الصالحة قدوتنا، وندعوكم إلى الإسلام وتعاليم الإسلام وأحكام الإسلام وهدي الإسلام، فإن كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا، وإن كان من يدعوكم إلى هذه المبادئ سياسيًّا فنحن أعرق الناس -والحمد لله- في السياسة، وإن شئتم أن تسموا ذلك سياسة [وهو ليس بها][1] فقولوا ما شئتم، فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات.

يا قومنا:

لا تحجبنكم[2] الألفاظ عن الحقائق، ولا الأسماء عن الغايات، ولا الأعراض عن الجواهر، وإن للإسلام لسياسة في طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة، وتلك هي سياستنا لا نبغي بها بديلاً، ولا نرضى سواها دينًا، فسوسوا بها أنفسكم، واحملوا عليها غيركم تظفروا بالعزة [الدنيوية، والسعادة][3] الأخروية، ولتعلمن نبأه بعد حين.

[وأما بعد: فأرجو أن أكون في الكلمة الأولى قد تكلمت عن الغاية الإسلامية العامة، وفي الكلمة الثانية عن المبادئ التي تمليها هذه الغاية، وأرجو أن أوفق في الأعداد التالية إلى التكلم على هذه المبادئ واحدًا واحدًا، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين][4].

* * *

---

(١) ناقصة من النذير.

(٢) في النذير: «لا تحجبكم».

(٣) ناقصة من النذير.

(٤) ناقصة من النذير.

(٣) إلى أي شيء ندعو الناس؟[١]

﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧]

قوميتنا وعلى أي أساس ترتكز؟

أيها الأخ [المسلم][٢]، تعال نصغ معًا إلى صوت العزة الإلهية يدوي في أجواء الآفاق، ويملأ الأرض والسبع الطباق، ويوحي في نفس كل مؤمن أسمى معاني العزة والفخار، حين يسمع هذا النداء الذي تستمع له السموات السبع والأرض ومن فيهن من لدن بلغه الأمين إلى هذا الوجود، إلى حيث لا نهاية؛ إذ كتب له الخلود ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧].

أجل أجل -يا أخي- هذا نداء ربك إليك، فلبيك اللهم لبيك، وحمدًا وشكرًا لك لا نحصي ثناء عليك، أنت أنت ولي المؤمنين، ونصير العاملين، والمدافع عن المظلومين الذين حوربوا في بيوتهم، وأخرجوا من ديارهم، عز من لجأ إليك، وانتصر من احتمى بحماك، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

أجل أجل -يا أخي- تعال نستمع معًا إلى صوت القرآن الكريم، ونطرب بتلاوة هذه الآيات البينات، ونسجل جمال هذه العزة في صحائف ذلكم الكتاب المطهر.

إليَّ إليَّ يا أخي، واسمع قول الله -تبارك وتعالى:

١- ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

٢- ﴿بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

٣- ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد الخامس، السنة الثانية، ١٧ صفر ١٣٥٣هـ- ١يونيو ١٩٣٤م، ص(١-٣).

(٢) ناقصة من النذير.

٤- ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الذي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

٥- ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١].

٦- ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

٧- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

ألست ترى في هذه الآيات البينات أن الله -تبارك وتعالى- ينسبك إلى نفسه، ويمنحك فضل ولايته، ويفيض عليك من فيض عزته؟ ﴿وَلله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وفي الحديث الشريف الذي يرويه المختار ﷺ عن ربه ما معناه: «يقول الله -تبارك وتعالى- يوم القيامة: يا بني آدم، جعلت نسبًا وجعلتم نسبًا، فقلتم: فلان بن فلان، وقلت: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم»[(١)].

هنا أيها الأخ الكريم فضل السلف الصالح أن يرفعوا نسبتهم إلى الله -تبارك وتعالى، ويجعلوا أساس صلاتهم ومحور أعمالهم تحقيق هذه النسبة الشريفة فينادي أحدهم صاحبه:

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي[(٢)]

في حين يجيب الآخر من سأله عن أبيه أتميمي هو أم قيسي:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم[(٣)]

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، (٢/ ٤٦٣)، وقال: «هذا حديث عال غريب الإسناد والمتن ولم يخرجاه، وله شاهد من حديث طلحة بن عمرو، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة»، وتعقبه الذهبي بقوله: «قلت: المخزومي ابن زبالة ساقط». وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٥/ ٤٥٦): «ضعيف جدًّا».

(٢) من الأبيات مجهولة القائل، ولكنها كثيرة التمثل بها على ألسنة الصوفية.

(٣) البيت من الوافر، وهو لسلمان الفارسي، وقيل: إنه لنهار بن توسعة.

ليس بعد ذلك عزة:

أيها الأخ العزيز، إن الناس إنما يفخرون بأنسابهم لما يأنسون من المجد والشرف في أعمال جدودهم، ولما يقصدون من نفخ روح العزة والكرامة في نفوس أبنائهم، ليس وراء هذين المقصدين شيء، أفلا ترى أن في نسبتك إلى الله -تبارك وتعالى- أسمى ما يطمح إليه الطامحون من معاني العزة والمجد: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لله جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]، وأولى ما يرفع نفسك إلى أعلى عليين، وينفخ فيها روح النهوض مع العاملين، وأي شرف أكبر، وأي رافع إلى الفضيلة أعظم من أن ترى نفسك ربانيًّا، بالله صلتك، وإليه نسبتك، ولأمر ما قال الله -تبارك وتعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

أعظم مصادر القوة:

وفي النسبة إلى الحق -تبارك وتعالى- معنى آخر يدركه من تحقق بهذه النسبة، ذلك هو الفيض الأعم من الإيمان، والثقة بالنجاح الذي يغمر قلبك ويملأ نفسك فلا تخشى الناس جميعًا، ولا ترهب العالم كله إن وقف أمامك يحاول أن ينال من عقيدتك، أو ينتقص من مبدئك: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ولأمر ما كان الرجل الواحد من أولئك القلائل المؤمنين بالله وثقته وتأييده يقف أمام الجحفل[١] اللجب[٢]، والجيش اللهام[٣]، فلا يرهب صولته، ولا يخشى أذاه؛ لأنه لا يخشى أحدًا إلا الله، وأي شيء أعظم من تلك القوة التي تنسكب في قلب الرجل المؤمن حين يجيش صدره بقول الله -[تبارك][٤] وتعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

---

(١) الجَحْفَل: الجيش الكثير، ولا يكون ذلك حتى يكون فيه خَيْل [لسان العرب، مادة (جحفل)].
(٢) اللَّجَبُ: الصوت والجَلَبَةُ، وجيش لَجِبٌ عَرَمْرَم، أي: ذو جَلَبَةٍ وكثرةٍ. [الصحاح، مادة (لجب)].
(٣) جيش لهام: يغتمر من يدخله يغيّبه في وسطه. [أساس البلاغة، مادة (لهم)].
(٤) ناقصة من النذير.

قوميتنا نسبة عالمية:

وهناك معنى من معاني السمو الاجتماعي في انتساب الناس إلى الله -تبارك وتعالى، ذلك هو تآخي الشعوب، وتآزر الجماعات، والقضاء على تلك المطامع التي توحي بها العصبية، ويؤرث[١] نيرانها بين الأمم التقاطع والتناكر، فمن للعالم بأن يجتمع بقوة حول راية الله؟

أحلام الأمس مقاليد اليوم:

هذا كلام طال عهد المسلمين باستماعه، فقد يكون غامضًا عليهم غير مفهوم لديهم، وقد يقول قائل: ما لهؤلاء الجماعة يكتبون في هذه المعاني التي لا يمكن أن تُحقق، وما بالهم يسبحون في جو من الخيال والأحلام؟

على رسلكم -أيها الإخوان في الإسلام والملة- فإن ما ترونه اليوم غامضًا بعيدًا كان عند أسلافكم بدهيًّا قريبًا، ولن يثمر جهادكم حتى يكون كذلك عندكم، وصدقوني إن المسلمين الأولين فهموا من القرآن الكريم لأول ما قرءوه ونزل فيهم[٢] ما ندلي به اليوم إليكم ونقصه عليكم.

وأصارحكم بأن عقيدة الإخوان المسلمين يحيون بها ويأملون الخير فيها ويموتون عليها، ويرون فيها كل ما تصبو إليه نفوسهم من متعة وجمال وإسعاد وحق، فهل لم ﴿يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

أيها الإخوان: إذا اتفقتم معنا على هذا الأساس فاعلموا أن انتسابكم إلى الله -تبارك وتعالى- يفرض عليكم أن تقدروا المهمة التي ألقاها على عاتقكم، وتنشطوا للعمل لها، والتضحية في سبيلها، فهل أنتم فاعلون؟

* * *

(١) في النذير: «ويورث»، و«أَرَّثَ بين القوم: أَفْسَدَ. والتَّأْرِيثُ: الإِغْراء بين القوم. والتَّأْرِيثُ أَيضًا: إِيقادُ النار. وأَرَّثَ النارَ: أَوْقَدها» [لسان العرب، مادة (أرث)].

(٢) في الإخوان: «فهم».

(٤) إلى أي شيء ندعو الناس؟[١]

[﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]

هذه -يا أخي- هي المهمة التي أسندها الله إليك، وأمرك بالعمل لها، والجهاد في سبيلها، أن ترث الرسول ﷺ في إبلاغ دعوته، وتعميم رسالته، والمناداة بشريعته، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله][٢].

مهمة المسلم:

إنَّ مهمة المسلم الحق لخصها الله -تبارك وتعالى- في آية واحدة من كتابه، ورددها القرآن الكريم بعد ذلك في عدة آيات، فأما تلك الآية التي اشتملت على مهمة المسلمين في الحياة فهي قول الله -تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

هذا كلام عربي مبين لا لبس فيه ولا غموض، ووالله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة[٣]، وإنه لواضح كالصبح ظاهر كالنور، يملأ الآذان، ويدخل على القلوب بغير استئذان، فهل لم يسمعه المسلمون قبل الآن؟ أم سمعوه ولكن على قلوبهم أقفالها فلا تعي ولا تتدبر؟

يأمر الله المؤمنين أن يركعوا ويسجدوا، وأن يقيموا الصلوات[٤] التي هي لب العبادة، وعمود الإسلام، وأظهر مظاهره، وأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأن يفعلوا الخير

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد السادس، السنة الثانية، ٢٥ صفر ١٣٥٣هـ-٨ يونيه ١٩٣٤م، ص (١-٤).

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) الطُلاوَة والطَلاوَةُ: الحسن والقبول. [الصحاح، مادة (طلا)].

(٤) في النذير: «الصلاة».

ما استطاعوا. وهو حين يأمرهم بفعل الخير ينهاهم بذلك عن الشر[١]؛ لأن من يعتاد الخير لا يفكر في الشر، وإن من أول الخير أن تترك الشر، فما أوجز وما أبلغ! ورتب لهم على ذلك الفلاح والنجاح والفوز، وتلك هي المهمة الفردية لكل مسلم التي يجب عليه أن يقوم بها بنفسه في خلوة أو جماعة.

حق الإنسانية:

ثم أمرهم بعد ذلك أن يجاهدوا في الله حق جهاده بنشر هذه الدعوة، وتعميمها بين الناس بالحجة والبرهان، فإن أبوا إلا العسف والجور والتمرد فبالسيف والسنان:

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا ... فالحرب أجدى على الدنيا من السلم[٢]

حراسة الحق بالقوة:

وما أحكم ذلك القائل: «القوة أضمن طريق لإحقاق الحق، وما أجمل أن تسير القوة والحق جنبًا إلى جنب»، فهذا الجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية -فضلاً عن الاحتفاظ بمقدسات الإسلام- فريضة أخرى فرضها الله على المسلمين، كما فرض عليهم الصوم والصلاة والحج والزكاة، وفعل الخير وترك الشر، وألزمهم إياها، وندبهم إليها، ولم يعذر في ذلك أحدًا فيه قوة وفيه استطاعة، وإنها لآية زاجرة رادعة، وموعظة بالغة صارخة[٣]: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٤١].

وقد كشف الله عن سر هذا التكليف، وحكمة هذه الفريضة التي افترضها على المسلمين بعد هذا الأمر، فبين لهم أنه اجتباهم واختارهم واصطفاهم دون الناس ليكونوا سواس خلقه، وأمناءه على شريعته، وخلفاءه في أرضه، وورثة رسوله ﷺ في دعوته، ومهد لهم الدين، وأحكم التشريع، وسهل الأحكام، وجعلها من الصلاحية لكل زمان ومكان بحيث يتقبلها العالم، وترى فيها الإنسانية أمنيتها المرجوة، وأملها المنتظر ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ

---

(١) ورد في المطبوع: «ينهاهم بذلك عن ترك الشر» ووجود كلمة «ترك» لا يؤدي المعنى الذي أراده الإمام.

(٢) البيت للشاعر محمد عبد المطلب، وهو من بحر البسيط، من قصيدة مطلعها:

أغرى بك الشوق بعد الشيب والهرم ... سارٍ طوى البيد من نجد إلى الهرم

(٣) في النذير: «زاجرة».

وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

وتلك هي المهمة الاجتماعية التي ندب الله إليها المسلمين جميعًا أن يكونوا صفًا واحدًا وكتلة وقوة، وأن يكونوا هم جيش الخلاص الذي ينقذ الإنسانية ويهديها سواء السبيل.

رهبان بالليل وفرسان بالنهار:

ثم أوضح الحق -تبارك وتعالى- للناس بعد ذلك الرابطة بين التكاليف من صلاة وصوم بالتكاليف الاجتماعية، وأن الأولى وسيلة للثانية، وأن العقيدة الصحيحة أساسهما معًا، حتى لا يكون لأناس مندوحة[1] من القعود عن فرائضهم الفردية بحجة أنهم يعملون للمجموع، وحتى لا يكون لآخرين مندوحة من القعود [عن العمل][2] للمجموع بحجة أنهم مشغولون بعباداتهم، مستغرقون في صلتهم بربهم، فما أدق وما أحكم، ومن أحسن من الله حديثًا؟

أيها المسلمون: عبادة ربكم، والجهاد في سبيل التمكين لدينكم، وإعزاز شريعتكم هي مهمتكم في الحياة، فإن أديتموها حق الأداء فأنتم الفائزون، وإن أديتم بعضها أو أهملتموها جميعًا فإليكم أسوق قول الله -تبارك وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

ولهذا المعنى جاء في أوصاف أصحاب محمد ﷺ -وهم صفوة الله من خلقه، والسلف الصالح من عباده: «رهبان بالليل فرسان بالنهار»[3]، ترى أحدهم في ليله ماثلاً

---

(١) لي عن هذا الأمر مَنْدوحَةٌ ومُنْتَدَحٌ، أي: سعةٌ. [الصحاح، مادة (ندح)].

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(٩٩٠٣) بلفظ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِفَتِي أَحْمَدُ الْمُتَوَكِّلُ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ، يَجْزِي بِالْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ، وَلا يُكَافِئ السَّيِّئَةَ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجَرُهُ طَيْبَةَ، وَأُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، يَأْتَزِرُونَ عَلَى أَنْصَافِهِمْ، وَيُوضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ، أَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، يَصُفُّونَ لِلصَّلاةِ كَمَا يَصُفُّونَ لِلْقِتَالِ، قُرْبَانُهُمُ الذي يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَيَّ دِمَاؤُهُمْ، رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ، لُيُوثٌ بِالنَّهَارِ». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم»، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»، ح(٣٤٧٣).

في محرابه، قابضًا على لحيته، يتململ تململ السليم[١]، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: «يا دنيا غري غيري»[٢]، فإذا انفلق الصبح ودوى النفير يدعو المجاهدين، رأيته ليثًا رئبالاً[٣] على صهوة[٤] جواده، يزأر الزأرة فتدوي لها جنبات الميدان.

يا لله، ما هذا التناسق العجيب، والتزاوج الغريب، والمزج الفريد بين عمل الدنيا ومهامها، وشئون الآخرة وروحانيتها؟ ولكنه الإسلام الذي جمع من كل شيء أحسنه.

استعمار الأستاذية والإصلاح:

ولهذا المعنى -أيها المسلمون- نفر المسلمون -بعد أن اختار نبيهم ﷺ[٥] الرفيق الأعلى- في أقطار الأرض. قرآنهم[٦] في صدورهم، ومساكنهم على سروجهم[٧]، وسيوفهم بأيديهم، وحجتهم واضحة على أطراف ألسنتهم، يدعون الناس إلى إحدى ثلاث: الإسلام أو الجزية أو القتال. فمن أسلم فهو أخوهم له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن أدى الجزية فهو في ذمتهم وعهدهم يقومون بحقه، ويراعون عهده، ويوفون له بشرطه، ومن أبى جالدوه[٨] حتى يظهرهم الله عليه، ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢].

ما فعلوا ذلك لسلطان، فزهادتهم في الجاه والشهرة معروفة عند الخاص والعام، ولقد قضى دينهم على تلك المظاهر الزائفة التي يستمتع بها أقوام على حساب آخرين،

---

(١) السليم: اللديغ، وهو من لدغته الحية، وإنما سمِّي بذلك لأنهم تطيروا من اللديغ، فقلبوا المعنى. [لسان العرب، مادة (سلم)].

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة»، ح(٨٥١)، والآجري في «الشريعة»، ح(١١٩٦).

(٣) الرِّئْبالُ: الأسدُ، وهو مهموزٌ، والجمع الرآبيلُ. وفلان يَتَرَأْبَلُ، أي: يُغيرُ على الناس ويَفْعَلُ فعْلَ الأسد. [الصحاح، مادة (رئبل)].

(٤) صَهْوَةُ كلّ شيء: أَعْلاهُ. وهي منَ الفَرَسِ موضِعُ اللِّبْدِ من ظَهْرِه، وقيل: مَقْعَدُ الفارِسِ. [لسان العرب، مادة (صها)].

(٥) في النذير: «نبيه».

(٦) في النذير: «قرآنه».

(٧) السَّرْجُ: رحل الدابة، والجمع سُروج. وأَسْرَجَها إسراجًا: وضع عليها السرج. [لسان العرب، مادة (سرج)].

(٨) جالدوهم بالسيوف: ضاربوهم. واستحر بينهم الجلاد والمجالدة، [أساس البلاغة، مادة (جلد)].

فكان خليفتهم أحدهم، يفرض له من المال والعطاء ما لرجل منهم، ليس بأفضلهم ولا أدركهم، وأمرهم بينهم لا تميزه إلا بما أفاض الله عليه من جلال الإيمان وهيبة اليقين، ولم يكن ذلك لمال، فحسب أحدهم كسرة يرد بها جوعته، وجرعة يطفئ بها ظمأته، والصوم لديهم قربة، والجوع أحب عندهم من الشبع، وحظ أحدهم من الملبس ما يستر به عورته، وكتابهم يناديهم [بقوله تعالى][1]: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]. ونبيهم يقول لهم: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة».

إذن لم يكن مخرجهم من ديارهم لجاه أو مال أو سلطة أو استعمار أو استبداد، وإنما كان لأداء رسالة خاصة، هي رسالة نبيهم ﷺ التي تركها أمانة بين أيديهم، وأمرهم أن يجاهدوا في سبيلها؛ ﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾ [الأنفال: ٣٩].

آن لنا أن نتفهم:

كان المسلمون يفهمون هذا قديمًا، ويعملون له، ويحملهم إيمانهم على التضحية في سبيله، أما في هذه الأيام فقد تفرق المسلمون في فهم مهمتهم، واتخذوا من التأويل والتعطيل سنادًا للقعود والكسل، فمن قائل يقول لك: مضى وقت الجهاد والعمل، وآخر يثبط همتك بأن الوسائل معدومة، والأمم الإسلامية مقيدة، وثالث رضي من دينه بكلمات يلوكها لسانه صباح مساء، وقنع من عبادته بركعات يؤديها وقلبه هواء.

لا لا أيها [الإخوان][2] المسلمون، القرآن بينكم يناديكم بوضوح وجلاء: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وأما السُّنة، فيقول لكم الرسول ﷺ: «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أدخل الله تعالى عليهم ذلاً لا يرفعه

(١) زيادة من النذير.
(٢) زيادة من النذير.

عنهم حتى يراجعوا دينهم»[١] رواه الإمام أحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عبد الله بن عمر.

وأنتم تقرءون في كتب الفقه ما ألف منها قديمًا أو حديثًا متى يكون الجهاد فرض كفاية، ومتى يكون فرض عين، وتعلمون حقائق ذلك ومعناه حق العلم، فما هذا الخمول الذي ضرب بجرانه[٢]؟ وما هذا اليأس الذي قبض على القلوب فلا تعي ولا تفيق؟

هذا -أيها المسلمون- عصر التكوين فكوّنوا أنفسكم، وبذلك[٣] تتكون أمتكم.

إن هذه الفريضة تحتاج منكم نفوسًا مؤمنة، وقلوبًا سليمة، فاعملوا على تقوية إيمانكم، وسلامة صدوركم، وتحتاج منكم تضحية بالمال والجهود فاستعدوا لذلك، فإن ما عندكم ينفد وما عند الله باق، وإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بجنة عرضها السموات والأرض.

[فإن آمنتم بما أقول، بل بما قال ربكم ونبيكم وعملتم على أداء هذه الرسالة والقيام بالمهمة التي ألقاها الله على عاتقكم، وأعددتم لها نفوسكم، فإن جزاء ذلك في الدنيا العزة والسيادة، وفي الآخرة الجنة والسعادة.

وإن أبيتم إلا ما أنتم فيه من كسل وخمول، فإن عاقبة ذلك في الآخرة نار تلظى، وجزاءه في الدنيا الذل والهوان، ثم الفناء والاستئصال ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

ولعلكم بعد ذلك فهمتم معنى ما قدمت إليكم آنفًا: أن تقدر المهمة التي ألقاها الله على عاتقك، وتعد نفسك لما تحتاجه من جهود وتضحيات.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد في «مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب»، ح(٤٥٩٣)، والطبراني في «الكبير»، ح(١٣٤٠٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان»، ح(٤٠٦٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، ح(٦٧٥).

(٢) أي: ثبت واستقر، ويقال: ألقى فلان على هذا الأمر جرانه إذا وطن عليه نفسه. [أساس البلاغة، مادة (جرن)].

(٣) في النذير: «ولذلك».

(٥) إلى أي شيء ندعو الناس؟[١]

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]

حدثتك عن بعض فكرة الإخوان المسلمين في الأعداد السابقة، واعترض هذا الحديث تلك المناسبات التي رأيت من واجبي أن أتحدث إلى قراء هذه الجريدة عنها في حينها، وها أنا ذا أعود إلى الموضوع الأول حتى يفهمنا إخواننا الذين ما زالوا يتساءلون عن فكرة الإخوان المسلمين، وليست بالمعضلة التي تستوجب هذا التساؤل.

قلت لك: إننا نريد أن يعتز المسلمون بنسبتهم إلى الله -تبارك وتعالى، وبذلك الميراث المجيد الذي خلفه لهم نبيهم ﷺ، ميراث الهداية العامة للإنسانية جميعًا، وقلت: إننا نريد أن يقدر المسلمون هذا الميراث حق قدره، ويتفهموا المهمة الملقاة على عاتق كل منهم بالنسبة إليه، والأثر الذي سيترتب على ذلك في الدنيا والآخرة، وأبنت لك هذه المهمة وكشفت لك عن العاقبة الدنيوية والأخروية للقعود والعمل معًا.

وإذا كنا قد تفاهمنا جميعا إلى هذا الحد، واتفقنا على ما قدمت لك من وجهة نظر الإخوان المسلمين، وكله مؤيد بالكتاب مشيد بالسنة مدعم بالدليل والبرهان لا يشك فيه إلا أحد رجلين: شخص لم تتشرب نفسه بروح الإسلام، ولم يتعرف مقاصد القرآن الكريم. وشخص آخر عرف ذلك ولكن قعد به الضعف النفسي عن الجد والعمل، وثم صنف ثالث لا نعده من بني قومنا الذين نقصدهم وندلي بالقول إليهم، ذلك صنف من أشباه الناس يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ونحن نربأ بقارئنا الكريم أن يكون صنفًا من هذه الأصناف، ونحن لهذا نعتقد أن الذين قرروا ما قدمنا بإخلاص متفقون معنا تمام الاتفاق.

بعد هذا أصارحك -يا عزيزي القارئ- بأن نفوسنا الحالية لا تصلح مطلقًا لتحقيق هذه الغاية السامية، بل لا تصلح لتحقيق ما هو دونها من الغايات][٢].

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد التاسع، السنة الثانية، ٢٣ ربيع أول ١٣٥٣- ٦ يوليو ١٩٣٤، ص(٣-٥).

(٢) ناقصة من النذير.

من أين نبدأ؟

إن تكوين الأمم، وتربية الشعوب، وتحقيق الآمال، ومناصرة المبادئ، تحتاج من الأمة -التي تحاول هذا أو من الفئة التي تدعو إليه على الأقل- قوة نفسية عظيمة تتمثل في عدة أمور: إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له، يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره. على هذه الأركان الأولية التي من خصائص النفوس وحدها، وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادئ وتتربى الأمم الناهضة، وتتكون الشعوب الفتية، وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمنًا طويلاً.

وكل شعب فقد هذه الصفات الأربعة، أو على الأقل فقدها قواده ودعاة الإصلاح فيه، فهو شعب عابث مسكين، لا يصل إلى خير، ولا يحقق أملاً. وحسبه أن يعيش في جو من الأحلام والظنون والأوهام ﴿إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦].

هذا [القانون][1] هو قانون الله -تبارك وتعالى- وسنته في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وهو أيضًا القانون الذي عبر عنه النبي ﷺ في الحديث الصحيح ومعناه: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن». فقال قائل: أومن قلة نحن -يا رسول الله- يومئذ؟ قال: «لا، إنكم حينئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل». فقال قائل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»[2].

أولست تراه ﷺ قد بيَّن أن سبب ضعف الأمم وذلة الشعوب وهن نفوسها، وضعف قلوبها، وخلاء أفئدتها من الأخلاق الفاضلة وصفات الرجولة الصحيحة، وإن كثر عددها، وزادت خيراتها وثمراتها؟!

وإن الأمة إذا رتعت في النعيم، وأنست بالترف، وغرقت في أعراض المادة، وافتتنت

(١) ناقصة من النذير.

(٢) أخرجه أحمد في «باقي مسند الأنصار»، ح(٢١٣٦٣)، وأبو داود في «الملاحم»، باب: «فِي تَدَاعِي الأُمَمِ عَلَى الإِسْلاَمِ»، ح(٣٧٤٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»، (٢/ ٦٨٤).

بزهرة الحياة الدنيا، ونسيت احتمال الشدائد ومنازعة الخطوب والمجاهدة في سبيل الحق، فقل على عزتها وآمالها العفاء.

بين القوتين:

يظن كثير من الناس أن الشرق تعوزه القوة المادية من المال والعتاد وآلات الحرب والكفاح لينهض ويسابق الأمم التي سلبت حقه وهضمت أهله، ذلك صحيح ومهم، ولكن أهم منه وألزم القوة الروحية من: الخلق الفاضل، والنفس النبيلة، والإيمان بالحقوق ومعرفتها، والإرادة الماضية، والتضحية في سبيل الواجب، والوفاء الذي تنبني عليه الثقة والوحدة، وعنهما تكون القوة.

لو آمن الشرق بحقه، وغير من نفسه، واعتنى بقوة الروح، وعني بتقويم الأخلاق، لواتته وسائل القوة المادية من كل جانب، وعند صحائف التاريخ الخبر اليقين.

يعتقد الإخوان المسلمون هذا تمام الاعتقاد، وهم لهذا دائبون في تطهير أرواحهم، وتقوية نفوسهم، وتقويم أخلاقهم، وهم لهذا يجاهرون بدعوتهم، ويريدون الناس على مبادئهم، ويطالبون الأمة بإصلاح النفوس وتقويم الأخلاق.

وهم لم يبتدعوا ذلك ابتداعًا شأنهم في كل ما يقولون، ولكنهم يستمدونه من القاموس[1] الأعظم، والبحر الخضم، والدستور المحكم، والمرجع الأعلى، ذلكم هو كتاب الله -تبارك وتعالى، وقد سمعت من قبل تلك المادة الخالدة من ذلكم القانون: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ولقد كشف القرآن عن هذا المعنى في كثير من آياته، بل إنه ضرب لنا مثلاً تطبيقيًا خالدًا واضحًا كل الوضوح، صادقًا كل الصدق في قصة بني إسرائيل، تلك القصة الرائعة التي ترسم لكل أمة يائسة طريق [الحياة][2] والتكوين، [فإلى العدد القادم أحدثك عن ذلك -إن شاء الله.

* * *

(١) القاموس والقَومَس: قعر البحر، وقيل: وسَطه ومُعظمه. قال أبو عبيد: القاموس أبعد موضع غَوْرًا في البحر. [لسان العرب، مادة (قمس)].

(٢) ناقصة من النذير.

(٦) إلى أي شيء ندعو الناس؟[1]

قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم

ترسم للأمم طريق التكوين بين الحرية والاستعباد

أيها القارئ الكريم، اقرأ هذه الآيات الكريمة بتفهم وإنعام، واقرأ ما بعدها كذلك، فإنك سترى فكرة لم تكن تخطر ببالك وجرب.

١ - فجر الحرية

﴿طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ١-٧].

٢ - صيحة الحق

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٦-٢٢].

٣ - صراع الحق والباطل

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ * قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد العاشر، السنة الثانية، ٣٠ ربيع أول ١٣٥٣ - ١٣ يوليو ١٩٣٤، ص(٣-٧).

تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧-١٢٩].

٤ - نموذج من إيمان المجاهدين في سبيل الحق

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٠-٧٣].

٥ - ثواب الإيمان

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى * يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ [طه: ٧٧- ٨٠].

٦ - مثال من تطهير نفوس الأمم حتى تصلح للنضال

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢١- ٢٦].

٧ - الفوز للحق والبقاء للحرية

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

أما بعد - أيها القارئ الكريم؛ فإنك إن كنت قد تفهمت هذه الآيات البينات، فإنك سترى نفسك منها أمام قصة رائعة تمثل لك بأوضح بيان، وأسمى عبارة، وأجمل معنى كيف يكون الصراع بين الحق والباطل، وبين الحرية والاستعباد، ثم يكون في النهاية البقاء للأصلح][1].

[قصة أمة تتكون:

١ -ضعف][2]

[في القسم الأول من الآيات الكريمة ترى نفسك][3] أمام جبار متكبر يستعبد عباد الله ويستضعفهم ويتخذهم خدمًا وحشمًا وعبيدًا وخولاً[4]، وبين شعب من الشعوب الكريمة المجيدة استعبده ذلك الطاغية الجبار، ثم أراد الله -تبارك وتعالى- أن يعيد لهذا الشعب المجيد حريته المسلوبة، وكرامته المغصوبة، ومجده الضائع، وعزه البائد، فكان أول شعاع من فجر حرية هذا الشعب إشراق شمس زعيمه العظيم «موسى» على هذا الوجود طفلاً رضيعًا [﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٣-٦]][5].

[٢ -زعامة][6]

[وأنت في الثاني][7] أمام هذا الزعيم وقد بلغ أشده واستوى وتربته[8] العناية الإلهية،

---

(١) ناقصة من النذير.

(٢) زيادة من النذير، وقد جاءت القصة في آخر الرسالة في مجلة النذير.

(٣) في النذير: «نحن الآن».

(٤) خَوَلُ الرجلِ: حَشَمُهُ، الواحد خائِلٌ [الصحاح، مادة (خول)].

(٥) زيادة من النذير.

(٦) زيادة من النذير.

(٧) في النذير: «ونحن بعد هذا».

(٨) رَبَتَ الصبيَّ، ورَبَّتَه: رَبَّاه. ورَبَّتَه يُرَبِّتُه تَرْبيتًا: رَبَّاه تَرْبيةً، والمرأة تربّت صبيها، وهو أن تضرب بيدها على جنبه قليلاً قليلاً حتى ينام. [لسان العرب وأساس البلاغة، مادة (ربت)].

بعد أن أنفت نفسه الظلم، وعافت الضيم، ففر بنفسه وهرب بحريته حيث اصطنعه الله لنفسه، وحمله عبء رسالته، وأسند إليه خلاص شعبه، فآب مملوءًا بالإيمان، مؤيدًا باليقين، يواجه ذلك الجبار، فيطلب إليه أن يعيد إلى شعبه حريته، ويترك له كرامته، ويؤمن به ويتبعه، وما أروع ذلك التهكم المر اللاذع حين يحكي القرآن الكريم قول الرسول العظيم: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢].

أيها الجبار المتحكم[١] في عباد الله لا عبادك هل من النعمة التي تذكرني بها، والجميل الذي تسديه إلي أن تستعبد شعبي، وتحقر[٢] أمتي، وتمتهن قومي؟ إنها صيحة الحق دوت من فم النبي الكريم، فزلزلت عرش الجبار وهزت ملكه، [﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦-٢١)][٣].

[٣ - صراع][٤]

[وأنت في القسم الثالث تشهد][٥] غضبة القوة على الحق كيف تثور عليه، وتنتقم منه، وتعذب أهله، وتقهر مناصريه، ثم كيف يصبر أهل الحق على كل ذلك، وكيف يعللهم[٦] رؤساؤهم بالآمال الحلوة، والأماني العذبة، حتى لا يجد الخور إلى نفوسهم سبيلاً: ﴿قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ في الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، [﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ * قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِالله وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لله يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٧-١٢٨].

---

(١) في الأسبوعية: «المتهكم».

(٢) في الأسبوعية: «تخفر».

(٣) زيادة من النذير.

(٤) زيادة من النذير.

(٥) في النذير: «ونحن الآن نشهد».

(٦) علل فلانًا بطعام أو غيره: شغله به ولهاه. [المعجم الوجيز، ص(٤٣١)].

[٤ - إيمان][(١)]

وما أروع أن [تشهد في القسم الرابع][(٢)] ذلك النموذج الخالد من الثبات والصبر والاستمساك بعروة الحق، والاستهانة بكل شيء حتى الحياة في سبيل الإيمان والعقيدة [من أتباع هذا الزعيم الذين آمنوا بدعوته، وقد تحدوا هذا الجبار في استهانة واستماتة][(٣)]: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٢-٧٣].

[٥ - انتصار][(٤)]

فإذا [رأيت][(٥)] كل ذلك [رأيت][(٦)] عاقبته في القسم الخامس، وما أدراك ما هيه[(٧)]، فوز وفلاح، وانتصار ونجاح، وبشرى تزف إلى المهضومين، وأمل يتحقق للحالمين، وصيحة الحق المبين تدوي في آفاق الأرض: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ [طه: ٨٠]، [وإلى هنا تحقق لبني إسرائيل النصف الأول من تأسيس ملكهم وعودة مجدهم؛ ذلك بأنهم تحرروا من مستعبدهم، ونجوا من سلطة قاهرهم، وبقي عليهم النصف الثاني وهو استخلاص أرضهم من أيدي العمالقة[(٨)] الذين اغتصبوها بعد خروجهم منها وسكنوها بعد جلائهم عنها.

فتراك في القسم السادس أمام قوم جبنت نفوسهم عن مقارعة عدوهم، فرهبوا قوته، وخافوا بأسه، وفضلوا ترك بلادهم في يده على مناضلته ومقارعته حتى يحصلوا على حقهم ويخلصوا وطنهم، فكلما أهاب بهم زعيمهم موسى على احتمال الشدائد، والصبر على المكاره، وهون عليهم أمر هذا العدو، وذكرهم نعمة الله عليهم ليحيي

---

(١) زيادة من النذير.

(٢) في النذير: «نشهد».

(٣) زيادة من النذير.

(٤) زيادة من النذير.

(٥) في النذير: «رأينا».

(٦) في النذير: «رأينا».

(٧) في النذير: «هي».

(٨) هم العرب العاربة الذين سكنوا بلاد الشام.

بالإيمان نفوسهم، ويشجع بمعرفة الله قلوبهم، وساعده المؤمنون المتوكلون على ربهم من قومهم كيوشع بن نون وكالب بن يوقنا[١] على ذلك، كلما كان هذا جمحت بهم طباعهم، وندت[٢] أرواحهم، وأبوا إلا الارتكاس عن الفضيلة، والرضا بالذلة، وإعطاء الدنية، وتلك جريرة[٣] لا يرضاها الله، وهي ضعف في النفوس، ووهن في القلوب ران على قلوبهم لطول عهدهم بالحرية، وبعدهم عن شمسها المشرقة التي تقتل جراثيم الذل في نفوس الأحرار، لهذا قضى الله عليهم أن يظلوا هائمين على وجوههم في الصحراء الحرة الطليقة أربعين سنة، يموت فيها من ألفوا المذلة، وانطبعت نفوسهم على المهانة، وينشأ الجيل الجديد حرًا من القيود، بعيدًا عن الأصفاد في أرض تسافر في مسافتها العيون، وتحت سماء تقنص جناح الفكر[٤]، لا يخاف إلا ربه، ولا يخشى إلا ذنبه، ولا يدين لأحد ولا يتعبد لمخلوق، فما أجملها عقوبة في طيها رحمة فيها تربية وإرشاد.

حتى إذا ما صقلت النفوس، وطهرت الأرواح، وأحرقت الحرية المتيقظة فضلات الجبن، هناك ترى نفسك في القسم السابع من الآيات أمام أمة كريمة عزيزة أورث الله بنيها مشارق الأرض ومغاربها، وتمت عليهم كلمة ربك الحسنى بما صبروا.

وأما بعد، ففي ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وهو أروع مثل تطبيقي نسوقه إلى القراء الكرام تدعيمًا لمقالنا السابق في شرائط تكوين الشعوب والأمم، وبيان أن ذلك إنما يكون على طهارة الأخلاق والنفوس، وأن الإخوان المسلمين لينادون بأعلى صوتهم: أيها المسلمون، كوّنوا أنفسكم على الفضيلة بقواعد الإسلام ليورثكم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويكون لكم العلاء في الدنيا والآخرة][٥].

* * *

---

(١) قام في بني إسرائيل بعد يوشع بن نون كالبُ بن يوقنا بن بارض بن يهوذا، ويوشع وكالب الرجلان اللذان أنعم الله عليهما [المسعودي: مروج الذهب، (١/ ١٦)].

(٢) نَدَّ البعيرُ يَنِدُّ نَدًّا ونِدادًا ونُدودًا: نَفَرَ وذهبَ على وجهه شاردًا. [الصحاح، مادة (ندد)].

(٣) جر عليهم جريرة، أي: جنى عليهم جناية. [الصحاح، مادة (جرر)].

(٤) أخذ الإمام البنا هذه الصورة من البارودي في قوله:

فَضَاءٌ يَرُدُّ الْعَيْنَ حَسْرَى وَمَسْرَحٌ ... يَقُصُّ جَنَاحَ الْفِكْرِ وَهْوَ مُحَلِّقُ

(٥) ناقصة من النذير.

(٧) إلى أي شيء ندعو الناس؟[١]

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

المنهاج واضح:

يعتقد الإخوان المسلمون أن الله -تبارك وتعالى- حين أنزل القرآن، وأمر عباده أن يتبعوا محمدًا ﷺ، ورضي لهم الإسلام دينًا، وضع في هذا الدين القويم كل الأصول اللازمة لحياة الأمم ونهضتها وإسعادها، وذلك مصداق قول الله -تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ التي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومصداق قول الرسول ﷺ في الحديث الشريف ما معناه: «والله ما تركت من [خير إلا وأمرتكم به، وما تركت من][٢] شر إلا ونهيتكم عنه»[٣].

وأنت إذا أنعمت النظر في تعاليم الإسلام وجدته قد وضع أصح القواعد، وأنسب النظم، وأدق القوانين لحياة الفرد رجلاً وامرأة، وحياة الأسرة في تكوينها وانحلالها، وحياة الأمة في نشوئها وقوتها وضعفها، وحلل الفِكَر التي وقف أمامها المصلحون وقادة الأمم.

فالعالمية، والقومية، والاشتراكية، والرأسمالية، والبلشفية، والحرب والسلام، وتوزيع الثروة، والصلة بين المنتج والمستهلك، وما يمت بصلة قريبة أو بعيدة إلى هذه البحوث التي

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١١)، السنة الثانية، ٧ ربيع الثاني ١٣٥٣هـ- ٢٠ يوليو ١٩٣٤م، ص(٣-٥).

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) المحفوظ عن النبي ﷺ ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، (٨/ ١٢٩) أن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس! إنه ليس من شيء يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم من النار ويبعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصي الله فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته»، وقد صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»، (٦/ ٨٦٥).

تشغل بال ساسة الأمم وفلاسفة الاجتماع، كل هذه نعتقد أن الإسلام خاض في لبها، ووضع للعالم النظم التي تكفل له الانتفاع بما فيها من محاسن، وتجنب ما تستتبعه من خطر وويلات. وليس ذلك مقام تفصيل هذا المقال، فإنما نقول ما نعتقد، ونبين للناس ما ندعوهم [إليه](١)، ولنا بعد ذلك جولات نفصل فيها ما نقول.

لا بدَّ من أن نتبع:

وإذا كان الإخوان المسلمون يعتقدون ذلك، فهم يطالبون الناس بأن يعملوا على أن تكون قواعد الإسلام هي الأصول التي تبنى عليها نهضة الشرق الحديث في كل شأن من شئون الحياة. ويعتقدون أن كل مظهر من مظاهر النهضة الحديثة يتنافى مع قواعد الإسلام، ويصطدم بأحكام القرآن، فهو تجربة قاسية(٢) فاشلة ستخرج منها الأمة بتضحيات كبيرة في غير فائدة، فخير للأمم التي تريد النهوض أن تسلك إليه أخصر الطرق باتباعها أحكام الإسلام.

والإخوان المسلمون لا يختصون بهذه الدعوة قطرًا دون قطر من الأقطار الإسلامية، ولكنهم يرسلونها صيحة يرجون أن تصل إلى آذان القادة والزعماء في كل قطر يدين أبناؤه بدين الإسلام. وإنهم لينتهزون لذلك هذه الفرصة التي تتحد(٣) فيها الأقطار الإسلامية، وتحاول بناء مستقبلها على دعائم ثابتة من أصول الرقي والتقدم والعمران.

احذروا الانحراف:

وإن أكبر ما يخشاه الإخوان المسلمون أن تندفع الشعوب الشرقية الإسلامية في تيار التقليد، فترقع نهضاتها بتلك النظم البالية التي انتقضت على نفسها، وأثبتت التجربة فسادها وعدم صلاحيتها. إن لكل أمة من أمم الإسلام دستورًا عامًّا فيجب أن تستمد مواد دستورها العام من أحكام القرآن الكريم، وإن الأمة التي تقول في أول مادة من مواد دستورها: إن دينها الرسمي الإسلام، يجب أن تضع بقية المواد على أساس هذه القاعدة، وكل مادة لا يسيغها الإسلام ولا تجيزها أحكام القرآن يجب أن تستبدل بما يتفق وهذه الأحكام؛ حتى لا يظهر التناقض في القانون الأساسي للدولة.

---

(١) زيادة من عندنا.

(٢) في النذير: «فاسدة».

(٣) في الإخوان: «تتجدد».

أصلحوا القانون:

وإن لكل أمة قانونًا يتحاكم إليه أبناؤها، وهذا القانون يجب أن يكون مستمدًا من أحكام الشريعة الإسلامية، مأخوذًا عن القرآن الكريم، متفقًا مع أصول الفقه الإسلامي. وإن في الشريعة الإسلامية، وفيما وضعه المشترعون المسلمون ما يسد الثغرة، ويفي بالحاجة، وينقع الغُلة[1]، ويؤدي إلى أفضل النتائج وأبرك الثمرات. وإن في حدود الله - لو نفذت- لزاجرًا يردع المجرم وإن اعتاد الإجرام، ويكف العادي وإن تأصل في نفسه العدوان، ويريح الحكومات من عناء التجارب الفاشلة، والتجربة تثبت ذلك وتؤيده، وأصول التشريع الحديث تنادي به وتدعمه، والله -تبارك وتعالى- يفرضه ويوجبه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

أصلحوا مظهر الاجتماع:

وإن في كل أمة مظاهر من الحياة الاجتماعية تشرف عليها الحكومات، وينظمها القانون، وتحميها السلطات، فعلى كل أمة شرقية إسلامية أن تعمل على أن تكون كل هذه المظاهر مما يتفق وآداب الدين، ويساير تشريع الإسلام وأوامره. إن البغاء الرسمي لطخة عار في جبين كل أمة تقدر الفضيلة، فما بالك بالأمم الإسلامية التي يفرض عليها دينها محاربة البغاء والضرب على يد [الزاني والزانية بشدة وقسوة][2]، ﴿وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢].

إن حانات الخمر في أظهر شوارع المدن وأبرز أحيائها، وتلك اللوحات الطويلة العريضة عن المشروبات الروحية، وهذه الإعلانات الظاهرة الواضحة عن أم الخبائث: مظاهر يأباها الدين، ويحرمها القرآن الكريم أشد التحريم.

---

(١) نَقَعَ الماء العطش نَقْعًا ونُقوعًا، أي: سكَّنه. والغُلَّةُ: حرارة العطش [الصحاح، مادة (نقع)، (غلل)].

(٢) في النذير: «الزانية بشدة».

حاربوا الإباحية:

وإن هذه الإباحية المغرية، والمتعة الفاتنة، واللهو العابث في الشوارع والمجامع والمصايف والمرابع، يناقض [ما أوصى به الإسلام أتباعه](١) من: عفة، [وحياء](٢)، وشهامة، وإباء، وانصراف إلى الجد، وابتعاد عن الإسفاف. «إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها»(٣).

فكل هذه المظاهر وأشباهها، على الأمم الإسلامية أن تبذل في محاربتها ومناهضتها كل ما في وسع سلطانها وقوانينها من طاقة ومجهود، لا تني في ذلك ولا تتواكل.

نظموا التعليم:

وإن لكل أمة وشعب إسلامي سياسة في التعليم وتخريج الناشئة وبناء رجال المستقبل، الذين تتوقف عليهم حياة الأمة الجديدة، فيجب أن تبنى هذه السياسة على أصول حكيمة تضمن للناشئين مناعة دينية، وحصانة خلقية، ومعرفة بأحكام دينهم، واعتدادًا بمجده الغابر(٤)، وحضارته الواسعة.

هذا قليل من كثير من الأصول التي يريد الإخوان المسلمون أن ترعاها الأمم الإسلامية في بناء النهضة الحديثة، وهم موجهون دعوتهم هذه إلى كل المسلمين شعوبًا وحكومات. ووسيلتهم في الوصول إلى تحقيق هذه الغايات الإسلامية السامية وسيلة واحدة: أن يبينوا ما فيها من مزية(٥) وإحكام، حتى إذا ذكر الناس ذلك واقتنعوا بفائدته أنتج ذلك عملهم له ونزولهم على حكمه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

* * *

(١) في النذير: «ما أوصى الإسلام باتباعه».

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(٢٨٢٦)، وقد صححه الألباني في «الصحيحة»، (٤/ ١٦٨).

(٤) أي: الماضي. [العين، مادة (غبر)].

(٥) المَزْو والمَزْيُ والمَزِيَّة في كل شيء: التَّمام والكَمَال. وتَمازَى القومُ: تَفاضَلُوا. [لسان العرب، (مزا)].

(٨) إلى أي شيء ندعو الناس؟[١]

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]

انتفعوا بإخاء إخوانكم:

[الإسلام عقيدة ثابتة تفترض على من يؤمنون بها أن يكونوا إخوة: في سبيلها تأتلف أرواحهم، وترتبط[٢] قلوبهم، وتتحد نفوسهم، وتفنى أنانيتهم في سبيل غايتهم ومعتقدهم؛ لأن الله -الذي أمرهم بالإيمان، ووفقهم إليه- قد اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.

وكذلك][٣] ينادي الإسلام أبناءه ومتبعيه فيقول لهم: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول القرآن الكريم في آية أخرى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، وفي آية ثالثة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، ويقول النبي الكريم ﷺ: «وكونوا عباد الله إخوانًا»[٤].

وكذلك فهم المسلمون الأولون -رضوان الله عليهم- من الإسلام هذا المعنى الأخوي، وأملت عليهم عقيدتهم في دين الله أخلد عواطف الحب والتآلف، وأنبل مظاهر الأخوة والتعارف، فكانوا رجلاً واحدًا، وقلبًا واحدًا، ويدًا واحدة، حتى امتن الله بذلك في كتابه فقال -تبارك وتعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٢)، السنة الثانية، ١٤ربيع الثاني١٣٥٣هـ- ٢٧يوليو ١٩٣٤م، ص(٣-٧).

(٢) في الأصل: «تربط».

(٣) ناقصة من النذير.

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب»، باب: «ما ينهى عن التحاسد والتدابر»، ح(٥٦٠٤)، ومواضع أخر، ومسلم في «البر والصلة والآداب»، باب: «تحريم التحاسد والتباغض والتدابر»، ح(٤٦٤١) ومواضع أخر.

تطبيق:

وإن ذلك المهاجري الذي كان يترك أهله، ويفارق أرضه في مكة، ويفر بدينه إلى المدينة، كان يجد أمامه [هناك أهلاً بأهل، وإخوانًا بإخوان، يجد أمامه][١] أبناء الإسلام من فتيان يثرب ينتظرونه[٢] وكلهم شوق إليه، وحب له، وسرور بمقدمه، وما كان لهم سابق معرفة ولا قديم صلة، وما ربطتهم به وشيجة[٣] من صهر أو عمومة، وما دفعتهم إليه غاية أو منفعة. وإنما هي عقيدة الإسلام جعلتهم يحنون إليه ويتصلون به، ويعدونه جزءًا من أنفسهم، وشقيقًا لأرواحهم، وما هو إلا أن يصل المسجد حتى يلتف حوله الغر الميامين من الأوس والخزرج، كلهم يدعوه إلى بيته ويؤثره على نفسه، ويفديه بروحه وعياله، ويتشبث بمطلبه هذا حتى يئول الأمر إلى الاقتراع، حتى روى الإمام البخاري ما معناه: ما نزل مهاجري على أنصاري إلا بقرعة[٤].

وحتى خلد[٥] القرآن للأنصار ذلك الفضل أبد الدهر، فما زال[٦] يبدو غرة مشرقة في جبين السنين في قول الله -تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

---

(١) ناقصة من النذير.

(٢) في النذير: «يتنظرون».

(٣) «الوشيجة: القرابة المشتبكة المتصلة» [المعجم الوسيط، (٢/ ٩٩٠)].

(٤) يشير للحديث الذي أخرجه البخاري في «الشهادات»، باب: «الْقُرْعَةِ فِي الْمُشْكِلاتِ...»، ح(٢٤٩٠) أَنَّ أُمَّ الْعَلاءِ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِمْ قَدْ بَايَعَتْ النَّبِي ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُون طَارَ لَهُ سَهْمُهُ فِي السُّكْنَى حِينَ أَقْرَعَتْ الأَنْصَارُ سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ قَالَتْ أُمُّ الْعَلاءِ: فَسَكَنَ عِنْدَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُون، فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى إِذَا تُوُفِّي وَجَعَلْنَاهُ فِي ثِيَابِهِ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ. فَقَالَ لِي النَّبِي ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ؟» فَقُلْتُ: لا أَدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ وَاللهِ الْيَقِينُ، وَإِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِهِ». قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا. وَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ قَالَتْ: فَنِمْتُ فَأُرِيتُ لِعُثْمَانَ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «ذَاكِ عَمَلُهُ».

(٥) في النذير: «قلد».

(٦) في النذير: «يزال».

وعلى هذا درج أبناء الإسلام، وخص الرعيل الأول ممن وجدت بين نفوسهم الأخوة الإيمانية، لا فرق في[1] ذلك بين مهاجرهم وأنصاريهم، ولا بين مكيهم ويمنيهم، حتى أثنى الرسول الكريم على الأشاعرة من أهل اليمن بقوله ﷺ ما معناه: «نعم القوم الأشعريون، إذا جهدوا في سفر أو حضر. جمعوا ما عندهم فوضعوه في مزادة[2] ثم قسموه بينهم بالسوية»[3].

وأنت إذا قرأت القرآن الكريم، وأحاديث النبي العظيم ﷺ، وطالعت سير الغر الميامين من أبناء هذا الدين، رأيت من ذلك ما يقر عينك ويملأ سمعك وقلبك.

أخوة تعلن الإنسانية:

ولقد أثمرت هذه العقيدة ثمرتين لا بدَّ لنا من أن نجنيهما، ونتحدث إليك عما فيهما من حلاوة ولذة وخير وفائدة. فأما الأولى منهما[4]؛ فقد أنتجت هذه العقيدة أن الاستعمار الإسلامي لم يشبهه استعمار في التاريخ أبدًا، لا في غايته، ولا في مسالكه وإدارته، ولا في نتائجه وفائدته، فإن المستعمر المسلم إنما كان يفتح الأرض حين يفتحها ليعلي فيها كلمة الحق، وينير أفقها بسنا القرآن الكريم، فإذا أشرقت على نفوس أهلها شمس الهداية المحمدية فقد زالت الفوارق، ومحيت المظالم، وشملها العدل والإنصاف والحب والإخاء، ولم يكن هناك فاتح غالب وخصم مغلوب، ولكن إخوان متحابون متآلفون، ومن هنا تذوب فكرة القومية، وتنجاب[5] كما ينجاب الثلج سقطت عليه أشعة الشمس قوية مشرقة أمام فكرة الأخوة الإسلامية التي يبثها القرآن في نفوس من يتبعونه جميعًا.

---

(١) ناقصة من النذير.

(٢) في النذير: «مزادتهم».

(٣) المحفوظ عن النبي ﷺ قوله: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»، والذي أخرجه البخاري في «الشركة»، باب: «الشَّرِكَةِ فِي الطَّعَامِ وَالنَّهْدِ وَالْعُرُوضِ...»، ح(٢٣٠٦)، ومسلم في «فضائل الصحابة»، باب: «مِنْ فَضَائِلِ الأَشْعَرِيِّينَ ﷺ»، ح(٤٥٥٦).

(٤) في النذير: «منه».

(٥) انجاب: انخرق وانشق وانقطع، والسحاب: انكشف، والظلام: انقشع وزال [المعجم الوسيط، (١/ ٣٠٢)].

إن ذلك الفاتح المسلم -قبل أن يغزو من غزا، ويغلب من غلب- قد باع نفسه وأهله، وتجرد من عصبيته وقوميته في سبيل الله، فهو لا يغزو لعصبية، ولا يغلب لقومية، ولا ينتصر لجنسية، ولكنه يعمل حين يعمل (لله)، بل لله وحده لا شريك له، وإن أروع ما أثر من الإخلاص في الغاية، وتجريد النفس من الهوى ما جاء في الحديث الشريف ومعناه: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أحب أن أجاهد في سبيل الله، وأحب أن يرى موقفي، فسكت النبي ﷺ ولم يجبه، فنزلت الآية الكريمة: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠][١].

أفرأيت[٢] كيف اعتبر الإسلام تطلع هذا الشخص إلى الثناء والمدح -وهما من طبائع النفوس- شركًا خفيًا يجب أن يتنزه منه، ويسمو لشرف[٣] الغاية النبيلة عنه، وهل هناك أخلص من أن ينسى الإنسان نفسه في سبيل غايته؟ وهل تظن أن رجلاً يشترط عليه دينه أن يتجرد من نفسه، ويكبت عواطفها وميولها وأهواءها، حتى يكون جهاده خالصًا لله وحده، يفكر بعد هذا في أن يجاهد لعصبية، أو يغزو لجنس، أو قومية؟ اللهم لا.

[و][٤] إن ذلك المغلوب الذي شاء له القدر أن يسعد بالإسلام ويهتدي بهديه، ما ترك بلده وأرضه لأجنبي عنه يتحكم فيها، ويسخره تسخير العبد الذليل، ويستأثر دونه بخيراتها، ولكنه ترك ما ترك لأخ يخلطه بنفسه، ويمزجه بروحه، ويناديه بإخلاص: لك ما لنا وعليك ما علينا، وكتاب الله -تبارك وتعالى- يفصل بيننا، فكلاهما فني في غايته، وضحى في سبيل مبدئه، وترك ما ترك ليعم الإنسانية نور الله، وتسطع عليها شمس القرآن الكريم، وفي ذلك تمام إسعادها، وكمال رقيها لو كانوا يعلمون.

أفق الوطن الإسلامي:

وأما الثمرة الثانية، فإن الأخوة الإسلامية جعلت كل مسلم يعتقد أن كل شبر من الأرض -فيه أخ يدين بدين القرآن الكريم- قطعة من الأرض الإسلامية العامة التي

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، ح(٢٤٨١)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، ح(٦٥٨٨)، وقال: «رواه عبدان، عن ابن المبارك، فأرسله لم يذكر فيه ابن عباس»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»، ح(٩).

(٢) في النذير: «أرأيت».

(٣) في النذير: «بشرف».

(٤) ناقصة من النذير.

يفرض الإسلام على كل أبنائه أن يعملوا لحمايتها وإسعادها، فكان عن ذلك أن اتسع أفق الوطن الإسلامي، وسما عن حدود الوطنية الجغرافية، والوطنية الدموية، إلى وطنية المبادئ السامية والعقائد الخالصة الصحيحة، والحقائق التي جعلها الله للعالم هدى ونورًا، والإسلام حين يشعر أبناءه بهذا المعنى، ويقرره في نفوسهم يفرض عليهم فريضة لازمة لحماية أرض الإسلام من عدوان المعتدين، وتخليصها من [غصب الغاصبين][1]، وتحصينها من مطامع المعتدين.

[وهنا ترى أن الفكرة الوطنية صارت حرزًا هامًا واضحًا في الفكرة الإسلامية، واجتمع بذلك للمسلم ما لم يجتمع لغيره من أبناء الأمم الأخرى، أن يعمل للوطن، وأن يعمل للإنسانية كلها دون تعارض أو اختلاف، ولم يجتمعا من قبل في مبدأ من المبادئ التي عرفها الناس من قبل ومن بعد، وقد قررها الإسلام قبل مئات السنين، وفي الوقت الذي يرتفع فيه صوت أبناء الأمم الحديثة: ألمانيا فوق الجميع، وإيطاليا فوق الجميع، وفرنسا فوق الجميع، فيكون هذا النداء دليل الأنانية، ومثير البغضاء، ونذير الفرقة، وشعلة الخلاف بين أمم العالم، في هذا الوقت يرتفع صوت المسلم داويًا فصيحًا يمده القرآن وتحدوه البلاغة النبوية: الأخوة على الحق شعار الجميع، وأرض الإسلام لأبناء الإسلام. ما أجمل هذا الامتزاج! وأروع معناه وأسمى مرماه!

إن الذين يظنون الإسلام يهدم الوطنيات مخطئون؛ لأنه يفترض على أبنائه حماية أرضهم، وإن الذين يظنون أن الإسلام عصبة خطيرة على العالم مخطئون؛ لأنه أخوة توحد بينهم وتسوي صفوفهم، وإن الذين أدركوا الإسلام حق الإدراك علموا أنه -بحق- صيانة للوطن ورحمة للعالمين. وهي كلمة حكيمة سمعتها من سياسي كبير تشربت روحه بفضائل الإسلام لا تزال ترن في أذني، وستظل كذلك لما فيها من روعة وعذوبة، إنه قال في إيمان عقيدة: «لو عرف الناس الإسلام حق معرفته لعلموا أنه دين وجنسية».

وأظنك بعد هذا -أيها القارئ الكريم- قد فهمت ما قدمت لك من قبل ندعوك إلى أن تعتقد أن كل مسلم أخ لك، تألم لألمه، وتفرح لفرحه، وأن كل شبر من الأرض فيه مسلم يقول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» إنما هو قطعة من حمى الله الذي يجب على كل مسلم أن يذود عنه، ويحتفظ به، ويعمل لخير أهله.

* * *

---

(١) في النذير: «غضب الغاضبين».

(٩) إلى أي شيء ندعو الناس؟[(١)]

﴿وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ الله إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَوْحِ الله إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧][(٢)]

طريق طويلة:

أرجو أن تكون هذه الكلمات المتتاليات في بيان دعوة الإخوان المسلمين قد كشفت للقراء الكرام عن غايتهم، وأبانت لهم -ولو إلى حد ما- عن منهاجهم في السير إلى هذه الغاية، وقد تحدثت من قبل إلى كثير من إخواننا الغيورين على الإسلام ومجده حديثًا طويلاً هو أشبه بهذه الكلمات التي رآها القراء تحت عنوان: «إلى أي شيء ندعو الناس».

ولقد أصغى إليَّ من حدثتهم إصغاءً مشكورًا، وكنا نتفهم القول تباعًا أولاً فأولاً، حتى خرجنا من المحادثة مقتنعين تمامًا بشرف الغاية، ونجاح الوسيلة. وكم كانت دهشتي عظيمة حين رأيت منهم شبه إجماع على أن هذه السبيل -مع التسليم بنجاحها- طويلة، وأن التيارات الجارفة الهدامة في البلد قوية، مما يجعل اليأس يدب إلى القلوب، والقنوط يستولي على النفوس، وحتى لا يجد القراء الكرام في أنفسهم هذا الشعور الذي وجده أولئك المتحدثون من قبل أحببت أن تكون هذه الكلمة مفعمة بالأمل، فياضة باليقين في النجاح -إن شاء الله، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وسأحصر الموضوع [في نقاط ثلاث][(٣)]:

[١ -النظرة الفلسفية الاجتماعية:][(٤)]

يقول علماء الاجتماع: إن حقائق اليوم هي أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد. وتلك نظرة يؤيدها الواقع، ويعززها الدليل والبرهان، بل هي محور تقدم الإنسانية وتدرجها مدارج الكمال، فمن ذا الذي كان يصدق أن يصل العلماء إلى ما وصلوا إليه من المكتشفات والمخترعات قبل حدوثها ببضع سنين، بل إن أساطين العلم أنفسهم

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٣)، السنة الثانية، ٢١ ربيع الثاني ١٣٥٣هـ- ٣ أغسطس ١٩٣٤م، ص(٣-٦).

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) في النذير: «نظرتين إيجابيتين».

(٤) في النذير: «نظرة فلسفية اجتماعية».

أنكروها لأول عهدهم بها، حتى أثبتها الواقع وأيدها البرهان، والمثل على ذلك كثيرة، وهي من البداهة بحيث يكفينا ذلك عن الإطالة بذكرها.

[٢ -النظرة التاريخية:][١]

فإن[٢] نهضات الأمم جميعًا[٣] إنما بدأت على حال من الضعف يخيل للناظر إليها أن وصولها إلى ما تبتغي ضرب من المحال، ومع هذا الخيال فقد حدثنا التاريخ أن الصبر والثبات والحكمة والأناة وصلت بهذه النهضات الضعيفة النشأة، القليلة الوسائل إلى ذروة ما يرجو القائمون بها من توفيق ونجاح. من[٤] ذا الذي كان يصدق أن الجزيرة العربية -وهي تلك الصحراء الجافة المجدبة- تنبت النور والعرفان، وتسيطر بنفوذ أبنائها الروحي والسياسي على أعظم دول العالم؟

ومن ذا الذي كان يظن أن أبا بكر وهو ذلك القلب الرقيق اللين، وقد انتقض الناس عليه، وحار أنصاره في أمرهم، يستطيع أن يخرج في يوم واحد أحد عشر جيشًا تقمع العصاة، وتقيم المعوج، وتؤدب الطاغي، وتنتقم من المرتدين، وتستخلص حق الله في الزكاة من المانعين؟

ومن ذا الذي كان يصدق أن هذه الشيعة الضئيلة المستترة من بني علي والعباس تستطيع أن تقلب ذلك الملك الأقوى[٥] الواسع الأطراف، المترامي الأكناف ما بين عشية أو ضحاها، وهي ما كانت يومًا من الأيام إلا عرضة للقتل والتشريد والنفي والتهديد؟

ومن ذا الذي كان يظن أن صلاح الدين الأيوبي يقف الأعوام الطوال، فيرد ملوك أوروبا على أعقابهم [مدحورين، على][٦] توافر عددهم، وكثرة عددهم، وتظاهر جيوشهم، حتى اجتمع عليه خمسة وعشرون ملكًا من ملوكهم الأكابر، ذلك في التاريخ القديم.

---

(١) في النذير: «نظرة إيجابية».
(٢) في النذير: «إن».
(٣) في النذير: «جميعها».
(٤) في النذير: «ومن».
(٥) في النذير: «القوي».
(٦) في النذير: «داحرين مع».

وفي التاريخ الحديث أروع المثل على ذلك، فمن [ذا الذي][1] كان يظن أن الملك عبد العزيز آل سعود، وقد نفيت أسرته، وشرد أهله، وسلب ملكه يسترد هذا الملك ببضعة وعشرين رجلاً، ثم يكون بعد ذلك أملاً من آمال العالم الإسلامي في إعادة مجده وإحياء وحدته؟

ومن كان يصدق أن ذلك العامل الألماني (هتلر) يصل إلى ما وصل إليه من قوة النفوذ ونجاح الغاية؟ [حتى سمعناه بالأمس وبعد الفتنة يقول بلهجة الواثق بنفسه، المغتبط بنجاحه: لقد كنت أقول للناس: إني سأصل إلى الحكم فيعدون ذلك جنونًا حتى وصلت إليه، وها أنا ذا أقول لهم: إنني سأبقى في الحكم، فليظنوا في ذلك ما شاءوا.

٣ - النظرة القرآنية:

إن القرآن الكريم يحرم اليأس والقنوط على المؤمنين، ويعتبر ذلك كفرًا مرة وضلالاً مرة أخرى، فتقول الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ويقول في آية أخرى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، ثم يبشر المؤمنين بالنصر القريب، ويبين لهم أن الفرج بعد الشدة، والنصر بعد اللأواء، وأن تلك سنة الله -تبارك وتعالى- فيقول: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]، وفي آية أخرى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

ثم يبين لهم في موضع آخر أن هذه أعراض تصيب الأمم، ثم تبرأ منها وتصح بعد أن يمحصها الله ويطهرها، فذلك قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

---

(١) ناقصة من النذير.

فأنت ترى من هذا أن القرآن الكريم يحرم اليأس والقنوط على المؤمنين، ويفتح أمامهم باب الأمل سهلاً فسيحًا، يدعوهم إلى ولوجه ويناديهم مناديه: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] تلك هي(١) النظرات الإيجابية التي تحدونا إلى العمل، وتمد قلوبنا بحرارة الأمل القوية المشرقة](٢).

هل هناك طريق أخرى:

وَثمَّ نظرتان سلبيتان تحدثان النتيجة بعينها، وتوجهان قلب الغيور إلى العمل توجيهًا قويًا صحيحًا:

أولاهما: أن هذه الطريق مهما طالت فليس هناك غيرها في بناء النهضات بناء صحيحًا، وقد أثبتت التجربة صحة هذه النظرة(٣).

[الواجب أولاً](٤)

وثانيتهما(٥): أن العامل يعمل لأداء الواجب أولاً، ثم للأجر الأخروي ثانيًا، ثم للإفادة ثالثًا، وهو إن عمل فقد أدى الواجب، وفاز بثواب الله ما في ذلك [من](٦) شك، متى توفرت شروطه، وبقيت الإفادة وأمرها إلى الله، فقد تأتي فرصة لم تكن في حسابه تجعل عمله يأتي بأبرك الثمرات، على حين أنه إذا قعد عن العمل فقد لزمه إثم التقصير، وضاع منه أجر الجهاد، وحرم الإفادة قطعًا.

فأي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًا؟ وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في صراحة

---

(١) في الأصل: «هذه».
(٢) ناقصة من النذير.
(٣) في النذير: «النظرية».
(٤) زيادة من النذير.
(٥) في النذير: «وثانيهما».
(٦) زيادة من النذير.

ووضوح في الآية الكريمة: ﴿[وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ][1] لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٦٥].

[لهذا كان لا مندوحة من العمل والجهاد للمسلم الغيور الذي تشربت نفسه بمبادئ الإسلام وتعاليمه، ولهذا يعمل الإخوان المسلمون جهدهم، ويتفانون في غايتهم، ويبذلون كل شيء في جهادهم، فإن وفقوا فذاك، وإن فاتهم ذلك فحسبهم أن يكونوا قنطرة تعبر عليها الفكرة إلى من هم أقدر منهم على تحقيقها، وإلا فحسبهم أن يعذروا إلى الله][2].

***

(١) ناقصة من النذير.

(٢) ناقصة من النذير.



شباب
النادي الشبابي

رسالة

هل نحن قوم عمليون؟

٢٨ربيع الثاني ١٣٥٣هـ -١٠ أغسطس ١٩٣٤م

تقـــديم

صدرت هذه الرسالة بعد «رسالة إلى أي شيء ندعو الناس»، وذلك ردًا على بعض التساؤلات التي كانت تتردد على بعض ألسنة الناس حول جماعة الإخوان المسلمين، وهل هي جماعة عملية، وهل أعضاؤها قوم عمليون؟

وقد وضح فيها الإمام أن الإخوان المسلمين انتهجوا المنهج العملي، وأنهم طبقوا المبادئ التي ينادون بها؛ فأنشئوا المصانع، وأقاموا المدارس والشركات، وتعاملوا مع مشكلات المجتمع بصورة عملية، ومع ذلك لم ينسوا التربية الروحية والتي هي الأساس في نهضة الأمم.

وقد صدرت هذه الرسالة في مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية في عشرة مقالات، وكان أول مقال في العدد (١٤) من السنة الثانية، بتاريخ ٢٨ ربيع الآخر ١٣٥٣هـ الموافق ١٠ أغسطس ١٩٣٤م، وتوالى نشر المقالات تباعًا في الأعداد (١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦)، واختتمها الإمام البنا في العدد (٢٧) من نفس السنة بتاريخ ٣٠ رجب ١٣٥٣هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩٣٤م.

وتعد هذه الرسالة هي الرسالة الثانية للإمام البنا إذا استثنينا رسالتي المرشد التي لم نستطع الحصول عليهما.

❊ ❊ ❊

(١) هل نحن قوم عمليون؟[١]

تمهيد:

قد أجبنا في المقالات السابقة (إلى أي شيء ندعو الناس؟) عن سؤال يتردد كثيرًا على أفواه كثير من الناس؛ فهم كانوا يسألون دائمًا كلما دعاهم داع إلى تشجيع (جمعية الإخوان المسلمين)، وإلى أي شيء تدعو جمعية الإخوان المسلمين؟ وأحسبني أوضحت مبادئ هذه الدعوة في المقالات التسع السابقة بما يجعل الجواب على هذا السؤال واضحًا لا لبس فيه ولا غموض، وأظنني أجملت لهؤلاء السائلين مبادئ هذه الدعوة في الكلمة الأولى، ثم فصلتها في الكلمات التي تلتها، فلم يبق عذر للذي يريد أن يتعرف حقيقة دعوة الإخوان إجمالاً أو تفصيلاً.

[سؤال مهم.. وأصناف سائليه][٢]

وبقي سؤال آخر يتردد كثيرًا على أفواه الناس كذلك كلما دعاهم داع إلى تشجيع هذه الجماعة، التي تدأب على العمل ليل نهار لا تبتغي من أحد جزاء ولا شكورًا، ولا تعمل إلا لله وحده، ولا تعتمد في خطواتها إلا على تأييده ونصره ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وشعار كل عامل من العاملين فيها: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]. هذا السؤال الآخر أن يقول لك ذلك الذي تدعوه في استهانة وإعراض غالبًا: وهل هذه الجماعة جماعة عملية؟ وهل أعضاؤها قوم عمليون؟

وهذا السائل أحد أصناف من الناس..

إما شخص متهكم مستهتر لا يعنيه إلا أمر نفسه، ولا يقصد من إلقاء هذا السؤال إلا أن يهزأ بالجماعات والدعوات والمبادئ والمصلحين؛ لأنه لا يدين بغير مصلحته الشخصية، ولا يهمه من أمر الناس إلا الناحية التي يستغلهم منها لفائدته فقط.

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٤)، السنة الثانية، ٢٨ربيع الثاني ١٣٥٣هـ- ١٠أغسطس ١٩٣٤م، ص(٣-٥).

(٢) هذه العناوين وضعت لحسن التقسيم والإيضاح، وإلا فهي ليست في أصل المقالات.

أو هو شخص غافل عن نفسه وعن الناس جميعًا، فلا غاية ولا وسيلة ولا فكرة ولا عقيدة.

وإما شخص مغرم بتشقيق الكلام[١]، وتنميق[٢] الجمل والعبارات، وإرسال الألفاظ فخمة ضخمة ليقول السامعون: إنه عالم وليس به، وليظن الناس أنه على شيء وليس على شيء، وليلقي في روعك أنه يود العمل ولا يقعده عن مزاولته إلا أنه لا يجد الطريق العملي إليه، وهو يعلم كذب نفسه في هذه الدعوى، وإنما يتخذها ستارًا يغطي به قصوره وخوره وأنانيته وأثرته..

وإما شخص يحاول تعجيز من يدعوه ليتخذ من عجزه عن الإجابة عذرًا للقعود وتعلة للخمول والمكسلة، وسببًا للانصراف عن العمل للمجموع.

وآية ذلك عند هؤلاء جميعًا أنك إذا فاجأتهم بالطريق العمليّ، وأوضحت لهم مناهج العمل المثمر، وأخذت بأبصارهم وأسماعهم وعقولهم وأيديهم إلى الطريق المستقيم لوّوا رءوسهم، وحاروا في أمرهم، وسقط في يدهم، وظهر الاضطراب والتردد في ألفاظهم وحركاتهم وسكناتهم، وأخذوا ينتحلون المعاذير ويرجئونك إلى وقت الفراغ، ويتخلصون منك بمختلف الوسائل، ذلك بعد أن يكونوا أمضوك[٣] اعتراضًا، وأجهدوك نقاشًا ومحاورة، ورأيتهم بعد ذلك يصدون وهم مستكبرون.

وإنما مثلهم في ذلك كالذي حدثوا أن رجلاً أعد سيفًا قاطعًا ورمحًا نافذًا وعدة وسلاحًا، وأخذ كل ليلة ينظر إليها ويتحرق أسفًا؛ لأنه لا يرى خصمًا أمامه يُظهر في نزاله براعته، ويؤيد بحربه شجاعته، فأرادت امرأته أن تختبر صدق قوله، فأيقظته ذات ليلة مع السحر ونادته بلهجة المستغيث: قم أبا فلان فقد طرقتنا الخيل، فاستيقظ فزعًا تعلوه صفرة الجبن، وتهز أوصاله رعدة الخوف، وأخذ يردد في ذهول واضطراب: الخيل.. الخيل.. لا يزيد على ذلك، ولا يحاول أن يدفع عن نفسه، وأصبح الصبح وقد ذهب

---

(١) شَقَّقَ الكلامَ: إذا أخرجه أَحْسَنَ مَخْرَج. وفي حديث البيعة: «تَشْقِيقُ الكلام عليكم شديدٌ»، أي: التطلُّبُ فيه لِيُخْرِجَه أَحسنَ مخرج. [لسان العرب، مادة (شقق)].

(٢) نمق الشيء: نقشه وزيّنه. ونمّق الكتاب: حسّنه. [أساس البلاغة، مادة (نمق)].

(٣) أَمَضَّنِي الجرحُ إِمْضاضًا، إذا أوجعَك. وفيه لغةٌ أخرى مَضَّنِي الجرحُ. يقال: قد أَمَضَّنِي الجرحُ. وكان من مضى يقول: مَضَّنِي بغير ألف. والكُحْلُ يُمِضُّ العين، أي: يحرقها. وكَحَلَهُ بمُلْمولٍ مَضٍّ، أي: حارّ. والمَضَضُ: وجعُ المصيبةِ. [الصحاح، مادة (مضض)].

عقله خوفًا وإشفاقًا، وطار لبه وجلاً ورعبًا، وما نازل خصمًا ولا رأى عدوًا، وذلك كما قال القائل:

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا[١]

بل كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إلا قَلِيلاً ۞ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالذي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٨-١٩].

وليس لنا مع هذه الألوان من الناس قول، وليس لهم عندنا جواب إلا أن نقول لهم: سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين. وما لهؤلاء كتبنا ولا إياهم خاطبنا. فلقد أملنا فيهم الخير طويلاً، وانخدعنا بمعسول دعاويهم وعذب ألفاظهم حينًا.. ثم تكشف أمرهم عن وقت أضيع، ومجهود عقيم، وتعويق عن الطريق، ورأينا منهم ضروبًا وألوانًا وأصنافًا وأشكالاً جعلت النفس لا تركن إليهم، ولا تعتمد في شأن من الشئون مهما كان صغيرًا عليهم.

وهناك صنف آخر من الناس قليل بعدده كثير بجهده، نادر ولكنه مبارك ميمون، يسألك هذا السؤال إذا دعوته إلى المشاركة والتشجيع بغيرة وإخلاص، إنه غيور تملأ الغيرة قلبه، عامل يود لو علم طريق العمل المثمر ليندفع فيها، مجاهد ولكنه لا يرى الميدان الذي تظهر فيه بطولته، خبر الناس ودرس الهيئات وتقلب في الجماعات فلم ير ما يملأ نفسه، ويشبع نهمته، ويسكن فؤاده، ويقر ثائر شعوره، ويرضي يقظة ضميره، ولو رآه لكان أول الصف، ولعد في الميدان بألف، ولكان في حلبة العاملين سابقًا مجليًا[٢]، سائل الغرة[٣]، ممسوح الجبين[٤].

---

(١) البيت للمتنبي، وهو من بحر الخفيف، من قصيدته التي مطلعها:

ذي المَعالي فَليَعلُوَن مَن تَعالى هَكَذا هَكَذا وَإِلاّ فَلا لا

(٢) جلّى الفرس تجلية: سبق في الحلبة. [المعجم الوجيز، ص(١١٤)].

(٣) السائِلَةُ: الغُرَّةُ التي عَرُضَتْ في الجبهة وقصبَةِ الأنف. وقد سالَتِ الغُرَّةُ، أي: استطالت وعَرُضَتْ [الصحاح، مادة (سيل)].

(٤) يقتبس الإمام هذا الكلام من بيت لأحمد شوقي يقول فيه:

رُبَّ يَومٍ لَكَ جَلّى وَانثَنى سائِلَ الغُرَّةِ مَمسوحَ الجَبين

هذا الصنف هو الحلقة المفقودة، والضالة المنشودة، وأنا على ثقة أنه إن وقع في أذنه هذا النداء، وتلقى فؤاده هذا النجاء[1]، لن يكون إلا أحد رجلين: إما عامل مع المجدين، وإما عاطف من المحبين، ولن يكون غير ذلك أبدًا. فهو إن لم يكن للفكرة فلن يكون عليها. ولهذا الصنف نكتب.. وإياه نخاطب، ومعه نتفاهم.. وإن الله وحده هو الذي يختار جنده، وينتخب صفوة العاملين له: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، ولعلنا نوفق إلى ما قصدنا إليه، ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

❊ ❊ ❊

(١) ناجاه مناجاة، ونجاء: سارّه. [المعجم الوجيز، ص(٦٠٥)].

(٢) هل نحن قوم عمليون؟[١]

لهذا الصِّنْف: الكريم المعادن، النفيس الجواهر، العالي الهمة، النبيل النفس، الذي يود العمل ويتمناه، ويقعد به عن تحقيق أمنيته قول القائل:

وزهدني في الناس معرفتي بهم ... وطول اختباري[٢] صاحبًا بعد صاحب

فلم ترني الأيام خِلاًّ تسرني ... مباديه[٣] إلا ساءني في العواقب[٤]

نقول: أنت الآن أمام دعوة جديدة، وقوم ناشئين يدعونك إلى العمل معهم، والانضمام إليهم، والسعي بجوارهم إلى الغاية التي هي أمل كل مسلم، ورجاء كل مؤمن، ومن حقك أن تسأل عن مدى وسائلهم العملية، ومن واجبك أن تتحرى وتتفقه فيما يدعونك إليه.

ولقد أعجبني من صديق دعوته إلى جماعتنا أنه كان يراجعني في كل كلمة، ويقف أمام كل عبارة، ويناقش كل وسيلة، حتى إذا اقتنعت نفسه قال كلمته، فما زالت مرعية الجانب، محققة المعنى، واضحة الأثر، وما زال هو العامل المجد إلى الآن، وأرجو أن يظل كذلك بحول الله تعالى، ولكنا مع هذا نسوق لمثل هذا الأخ الكريم هذه الملاحظات:

ألا يرى الأخ معنا أن الأجدر بنا بدل أن نسأل هذا السؤال أن ندخل ضمن الجماعة، ونعمل مع العاملين فيها، ونلقي بدلونا بين الدلاء، فإن رأينا خيرًا فذاك، وإن كانت الأخرى فطريق الانفصال واضحة، ولاسيما إذا كان الباب على مصراعيه لمن يدخل أو يخرج وكانت أعمال الجماعة جلية على المكشوف -كما يقولون- لا خفاء بها ولا سر فيها؟ ولقد حدثوا أن النحويين اختلفوا فيما بينهم على عدد أبيات ألفية ابن مالك، فكان هذا الخلاف مثار جدل عنيف لم يوصلهم إلى شيء، حتى تدخل أحد عقلائهم فأحضر نسخة منها وقال: ها هي ذه عدوها واتفقوا... فكان في ذلك حسم الخلاف.

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٥)، السنة الثانية، ٦ جمادى الأولى، ١٣٥٣هـ- ١٧ أغسطس ١٩٣٤م، ص(٣-٥).

(٢) في الديوان: «اختياري».

(٣) في الديوان: «بواديه».

(٤) البيتان لابن الرومي، وهما من بحر الطويل.

هذه جمعية الإخوان -يا عزيزي- في كل مكان تنادي الناس، وتفتح لهم قلبها وبابها وناديها، فهلمّ.. فإن رأيت ما تحب فعلى بركة الله، وإن لم تر ذلك فقل كما قال بشار:

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها ... خرجت[1] مع البازي عليَّ سواد

وألا يرى الأخ معنا أن الجماعات هي الأفراد منضمة، فإذا كان كل فرد يسأل هذا السؤال فأين الجماعة إذن؟ هذه خدعة عقلية يقع فيها كثير من الناس، فأنت إذا شئت أن تُعَرِّفَ الكرسي قلت: هو جسم يتركب من مقعد ومسند وأربع أرجل، ولكن ألست ترى أن هذه خدعة، وأن ذلك ليس بصحيح، فهل الجسم غير هذه الثلاثة؟ وإذا جردت الكرسي من أرجله ومقعده ومسنده فهل يبقى هناك جسم أو أثر يصح أن تطلق عليه صفة الوجود فضلاً عن الصفات الأخرى؟

كذلك يخدع الناس أنفسهم في قضية الجماعات والأفراد، فهم يظنون أن الجماعات شيء والأفراد شيء آخر، وما الجماعات في الحقيقة إلا الأفراد، وما الأفراد إلا حقائق الجماعات ولبنات بنائها، فإذا تنافرت هذه اللبنات وأخذ كل فرد يسأل عن الجماعة.. فأين الجماعة إذن؟ ومن السائل ومن المسئول؟ وإنما أوقعنا في هذه الورطة ما تعودناه من خلق التواكل الذي جعلنا نترك العبء كله لفرد واحد، أو يدفعه كل منا إلى أخيه فلا يزال مهملاً لا يستقر على حال ولا ينهض به أحد، وها أنا ذا أصارح كل الغيورين من أبناء الإسلام بأن كل جماعة إسلامية في هذا العصر محتاجة أشد الحاجة إلى الفرد العامل المفكر.. إلى العنصر الجريء المنتج. فحرام على كل من آنس من نفسه شيئًا من هذا أن يتأخر عن النفير دقيقة واحدة.

وألا يرى الأخ -أيده الله، وأيد به- أن عليه أن يدخل إلى الجماعة التي تدعوه فإن وجدها عملية كما يحب قرت عينه وفرحت نفسه، وإن لم يجدها كذلك حملها بوضوح شخصيته وقوة تأثيره على ما يحب من وسائل العمل، فإن لم تستقم له كان قد أعذر إلى ربه ونفسه ولعلهم يتقون؟ ولاسيما إذا كان الذين يوجهون إليه هذه الدعوة قوم يعلمون أن فوق كل ذي علم عليم، وأن لكل ذي رأي حقًا في إبداء رأيه، وأن المصطفى ﷺ -وهو أصح الناس رأيًا، وأنضجهم فكرًا، وأكبرهم عقلاً- أخذ برأي الحباب في بدر، وبرأي سلمان في الخندق، وهم يفرحون بكل من يأخذ بفكرتهم إلى وسائل العمل الصحيح.

---

(١) في الديوان: «نهضت».

وألا يرى الأخ -كذلك- أنه إن كان قد جرب مرة أو مرتين أو فوق ذلك فإن ذلك لا يؤيسه، ومن واجبه أن يعاود الكرة مرات حتى يظفر بأمنيته ويصادف بغيته، فإنه إن قنط فاته بذلك خير كثير؟ كالذي حدثوا: أنَّ صيادًا ظفر بسمكة كبيرة، ثم رأى في قاع الماء صدفة ظنها لؤلؤة، فترك السمكة وأخذ الصدفة، فلما رآها ندم على ما فرط منه، ثم وقع له حوت صغير وعرضت لؤلؤة ظنها صدفة فأعرض عنها وقنع بحوته ففاته خير كثير.

أو كالذي حدثوا: أن بطة في غدير رأت في الماء ظلاً ظنته سمكة فأخذت تهوي بمنقارها تلتقطه حتى أتعبها ذلك فتركته غاضبة، ثم عرضت لها سمكة فظنتها ظلاً وتركتها ففاتتها الفرصة السانحة، وخسرت الأمنية المطلوبة.

هذه ملاحظات نتقدم بها إلى الذين يريدون أن يعملوا للإسلام من أبنائه الغيورين، وهي جديرة بالنظر -فيما نعتقد. وندعوهم بدعوة الإخوان المسلمين، فعليهم أن يجربوا ولا يتواكلوا، ويندمجوا، فإن وجدوا صالحًا شجعوه، وإن وجدوا معوجًا أقاموه، ولا تكن تجربتهم حائلاً بينهم وبين التقدم، ونأمل أن يروا من الإخوان ما تقر به أعينهم -إن شاء الله تعالى، وإنا موجزون بعض ذلك في الكلمات التالية.

* * *

(٣) هل نحن قوم عمليون؟[(١)]

يعتقد كثير من إخواننا أن الجمعية العملية هي التي تقوم بعمل المشروعات العامة النافعة، وتترك في مقرها أثرًا خالدًا من المؤسسات المفيدة. وسنجاريهم في هذا المقال، ونزن «جمعية الإخوان المسلمين» بهذا الميزان، ولنا في الكلمات التالية -إن شاء الله تعالى- ميزان آخر -نزن به جماعتنا، ونقدر به الجهود العملية- قد يكون في باب نهضات الأمم أصح تقديرًا وأدق تعبيرًا من ميزان اليوم، وكلاً وعد الله الحسنى.

انتشرت فكرة الإخوان المسلمين فيما يزيد على خمسين بلدًا من بلدان القطر المصري، وقامت في كل بلد من هذه البلدان تقريبًا بمشروع نافع أو مؤسسة مفيدة، فأنت تراها في الإسماعيلية قد أسست مسجد الإخوان المسلمين، ونادي الإخوان المسلمين، وأنشأت معهد حراء الإسلامي لتعليم البنين، ومدرسة أمهات المؤمنين لتعليم البنات.

وفي شبراخيت قد أسست -كذلك- مسجد الإخوان، ونادي الإخوان، ومعهد حراء، وأقامت بجوار هذه العمارة الفخمة دارًا للصناعة يتعلم فيها طلبة المعهد الذين لا يستطيعون إتمام التعليم، وتريد الجمعية أن تهيئ لهم سبيل الحياة العملية بتخريجهم صناعًا مثقفين، وعمالاً مهذبين..

وفي محمودية البحيرة قامت بمثل ذلك، فأنشأت منسجًا للنسيج والسجاد إلى جوار معهد تحفيظ القرآن بدار نادي الإخوان المسلمين الرحيب.. وفي المنزلة دقهلية معهد لتحفيظ القرآن ظهرت ثمرته رغم قصر المدة، وها هو يقدم لنا حفاظًا متقنين في هذه الفترة الوجيزة التي أنشئ فيها.. وقل مثل ذلك أو بعضه -ولا لزوم للتكرار- في كل شعبة من شعب الإخوان المسلمين المنتشرة في أنحاء القطر المصري من إدفو إلى الإسكندرية..

وفي كثير من جمعيات الإخوان المسلمين تجد لجانًا تطوعت للمصالحات بين الأفراد والأسر المتخاصمة، يجري الله على يديها خيرًا كثيرًا، ويحل بها من المشاكل ما شغل القضاء مدة طويلة.

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٦)، السنة الثانية، ١٣ جمادى الأولى، ١٣٥٣هـ- ٢٤ أغسطس ١٩٣٤م، ص(٣-٦).

وفي كثير منها لجان للصدقات تتفقد البائسين والمعوزين في المواسم والأعياد وغيرها، وتحاول بذلك القيام بواجب رعاية هؤلاء من جهة، ورد غائلة ذئاب المبشّرين عنهم من ناحية أخرى.

وفي كثير منها لجان للوعظ والتذكير في المجتمعات التي لا يظن أن تكون مجامع وعظ كالمقاهي والأندية العامة وحفلات الأفراح والتعزية ونحوها.

وفي كثير منها ولاسيما في النواحي القروية لجان تطوعت للإشراف على المرافق العامة في القرية من: ترميم المساجد، وتنظيف الشوارع، وإضاءة الطرقات، والسعي في إيجاد المشافي المتنقلة، وما إلى ذلك من كل ما يعود على القرية بفائدة في دينها ودنياها.

وفي كثير منها لجان لمحاربة العادات الفاسدة والجهالات المنتشرة في البيئات البعيدة عن مناهل العلم كالزار[1] ونحوه، وإلى جانبها لجان لإحياء السنن والفرائض التي نسيها الناس بالعمل لا بالقول كـ: جمع زكاة الحبوب في مخزن خاص، وتوزيعها بمعرفة الجمعية على المستحقين بدون محاباة ولا تحيز، كما فعلت ذلك دائرة الإخوان ببرمبال القديمة مثلاً.

وفي القاهرة أنشئت «جريدة الإخوان المسلمين» الأسبوعية، ولم تمض فترة وجيزة قليلة حتى وجدت إلى جانبها «مطبعة الإخوان المسلمين»، وكل ذلك في وقت لم يتجاوز عامًا.

ولقد كان لجمعية الإخوان المسلمين في حركة التبشير الأخيرة -بل في كل وقت- عمل جليل في دفع خطر التبشير عن المستضعفين والفقراء وأبناء الأمة، فبيوت الإخوان لإيوائهم، ودور صناعاتهم مستعدة لتعليمهم، ومدارسهم ترحب بقبولهم، ولجانهم تحذر الناس من شرور هؤلاء المضللين الذين يخادعون الناس عن عقائدهم، ويستغلون الفقر والمرض في إضلالهم وإذلالهم.

تلك بعض آثار جمعية الإخوان المسلمين العملية، ولا أذكر لك الدروس والمحاضرات والخطب والمقالات والوفود والرحلات والمجامع والزيارات، فلعل هذه في عرف الناس

---

(١) الزار: حفلة راقصة تقام لطرد الأرواح الخبيثة التي تمس أجسام بعض الناس، في زعمهم. [المعجم الوجيز، ص(٢٩٦)].

وسائل قولية، وقد قلنا حتى مللنا القول، وتكلمنا حتى سئمنا الكلام، ولم يبق إلا أن نعمل.

ولعلك تعجب حين تعلم أن جمعية الإخوان المسلمين التي قامت بهذه الأعمال العظيمة لم تأخذ إعانة حكومية مرة من المرات، ولم تستعن بمال هيئة من الهيئات اللهم إلا خمسمائة جنيه تبرعت بها شركة قناة السويس للجمعية بمناسبة عمارة المسجد والمدرسة بالإسماعيلية.

وإن الناس ليتقولون كثيرًا، وليظنون وبعض الظن إثم، ولينطقون بما ليس لهم به علم، وما علينا في ذلك من بأس. وحسبنا أن يعلم الله أن ذلك بتوفيقه، وأنها أموال الإخوان الخاصة أنفقت بإخلاص فأثمرت وبوركت وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، وحسبنا أن نقول لهم في عبارة صريحة واضحة نتحدى بها كل إنسان وكل هيئة وكل شخص كائنًا من كان: إن جمعية الإخوان المسلمين لم تستعن في مشروعاتها بغير أعضائها، وهي بذلك جد فخورة تجد لذة التضحية ونشوة الفرح بالإنفاق في سبيل الله.

ولعلك تعجب كذلك إذا علمت أن الاشتراك المالي في جمعية الإخوان المسلمين اختياري لا إجباري، وأن العضو الذي يتخلف عن دفع الاشتراك لا ينقص ذلك من حقوق أخوّته شيئًا، ومع أن هذا نص صريح في القانون الأساسي للجماعة فإن الإخوان -جزاهم الله خيرًا- يبادرون إلى التضحية في سبيل الله إذا دعاهم إليها داعي الواجب، ويأتون في ذلك بالعجب العاجب، واسمع أحدثك.

في بناء مسجد الإسماعيلية، دعاهم رئيسهم إلى التبرع فقام أحد الأعضاء الصناع وتبرع بجنيه ونصف يدفعها بعد ثلاثة أيام، هو صانع فقير أنى له بهذا المبلغ؟ أراد أن يقترض فأبت نفسه وخشي المماطلة.. حاول الحصول على هذا المبلغ من غير هذا الباب فلم يجد السبيل ميسرة.. لم يبق أمامه إذًا إلا أن يبيع دراجته، دراجته التي يركبها من منزله إلى محل عمله، ومن محل عمله إلى منزله، وبينهما ستة كيلو مترات! وفعلاً أنفذ الفكرة وأحضر المبلغ في نهاية الموعد تمامًا، فجمع بين الوفاء بموعده والقيام بتبرعه..

ولاحظ رئيس الإخوان أنه صار يتأخر عن درس العشاء ولا يدركه إلا بشق النفس، وسأله عن ذلك فلم يجب، فأجاب عنه صديق عرف سره وأخبر الرئيس أنه باع عجلته ليفي بتبرعه، وأصبح يعود على رجليه فيتأخر عن الدرس، وأكبر الرئيس والإخوان هذه

الهمة وحيوا فيه هذه الأريحية[1]، وأقروا تبرعه كما هو، واكتتبوا له في دراجة جديدة خير من دراجته لتكون عنده ذكرى الإعجاب بهذا الوفاء.

بمثل هذه النفوس التي تمتُّ بصلة إلى نفوس السابقين الأولين من رجال الإسلام الغرّ الميامين نهضت فكرة الإخوان المسلمين، ونجحت مؤسساتهم وتمت مشروعاتهم.

إنهم فقراء ولكنهم كرماء، إنهم قليلو المال ولكنهم أسخياء النفوس، فهم يجودون بالكثير من هذا القليل فيكون كثيرًا وتباركه نعمة الله فيأتي بالخير العميم.

ولعلي بهذه الناحية قد كشفت ناحية غمضت على بعض الذين رأوا جهود الإخوان فلم يجدوا لنجاحهم سرًّا إلا أن يتهموهم باستجداء الهيئات وخدمة المصالح والأغراض، وهم -والحمد لله- من ذلك براء.

وأما بعد...

فهي صفحة من صفحات جهاد الإخوان المسلمين العملي نتقدم بها إلى الذين يريدون أن يزِنوا الجماعة بميزان المؤسسات والمشروعات. والإخوان دائبون في أن تصبح هذه الصفحة صفحات يتألف منها -إن شاء الله تبارك وتعالى- كتاب من أعمال الخير البريئة النزيهة الخالصة لوجه الله تبارك وتعالى. ولعلهم بذلك يفكرون في تشجيع هذه الجماعة الماضية قدمًا إلى غايتها، تعتمد على ربها، وتثق بصدق وعده، وهناك صفحة أخرى سنتحدث عنها -إن شاء الله.

❊ ❊ ❊

(١) الأريحية: الارتياح للندى والبذل، والنشاط إلى المعروف. [المعجم الوجيز، ص(٢٨١)].

(٤) هل نحن قوم عمليون؟[(١)]

رأيت في المقال السابق أن «جماعة الإخوان المسلمين» كانت في طليعة الجمعيات المنتجة من حيث المشروعات العامة والمؤسسات النافعة من: مساجد، ومدارس، ولجان خير وبر، ودروس، ومحاضرات، وخطب، وعظات، وأندية يتنابها القول والفعل.

ولكن الأمم المجاهدة التي تواجه نهضة جديدة، وتجتاز دور انتقال خطير، وتريد أن تبني حياتها المستقبلة على أساس متين يضمن للجيل الناشئ الرفاهة والهناءة، وتطالب بحق مسلوب وعز مغصوب، في حاجة إلى بناء آخر غير هذه الأبنية...

إنها في مسيس الحاجة إلى بناء النفوس، وتشييد الأخلاق، وطبع أبنائها على خلق الرجولة الصحيحة، حتى يصمدوا لما يقف في طريقهم من عقبات، ويتغلبوا على ما يعترضهم من مصاعب.

إن الرجل سر حياة الأمم، ومصدر نهضاتها، وإن تاريخ الأمم جميعًا إنما هو تاريخ من ظهر بها من الرجال النابغين الأقوياء النفوس والإرادات، وإن قوة الأمم أو ضعفها إنما تقاس بخصوبتها في إنتاج الرجال الذين تتوفر فيهم شرائط الرجولة الصحيحة، وإني أعتقد -والتاريخ يؤيدني- أن الرجل الواحد في وسعه أن يبني أمة إن صحت رجولته، وفي وسعه أن يهدمها كذلك إذا توجهت هذه الرجولة إلى ناحية الهدم لا ناحية البناء.

وإن الأمم تجتاز أدوارًا من الحياة كتلك الأدوار التي يجتازها الأفراد على السواء؛ فقد ينشأ هذا الفرد بين أبوين مترفين آمنين ناعمين فلا يجد من مشاغل الحياة ما يشغل باله ويؤلم نفسه، ولا يطالب بما يرهقه أو يضنيه، وقد ينشأ الفرد الآخر في ظروف عصيبة، وبين أبوين فقيرين ضعيفين، فلا يطلع عليه فجر الحياة حتى تتكدس على رأسه المطالب، وتتقاضاه الواجبات من كل جانب، وسبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامة!

وقد شاءت لنا الظروف أن ننشأ في هذا الجيل الذي تتزاحم الأمم فيه بالمناكب، وتتنازع البقاء أشد التنازع، وتكون الغلبة دائمًا للقوي السابق..

وشاءت لنا الظروف -كذلك- أن نواجه نتائج أغاليط الماضي، ونتجرع مرارتها،

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٧)، السنة الثانية، ٢٠ جمادى الأولى، ١٣٥٣هـ- ٣١ أغسطس ١٩٣٤م، ص(٣-٦).

وأن يكون علينا رأب الصدع وجبر الكسر، وإنقاذ أنفسنا وأبنائنا، واسترداد عزتنا ومجدنا، وإحياء حضارتنا وتعاليم ديننا.

وشاءت لنا الظروف -كذلك- أن نخوض لجة عهد الانتقال الأهوج؛ حيث تلعب العواصف الفكرية، والتيارات النفسية، والأهواء الشخصية بالأفراد وبالأمم وبالحكومات وبالهيئات وبالعالم كله، وحيث يتبلبل الفكر، وتضطرب النفس، ويقف الربان في وسط اللجة يتلمس الطريق ويتحسس السبيل، وقد اشتبهت عليه الأعلام[1]، وانطمست أمامه الصوى[2]، ووقف على رأس كل طريق داع يدعو إليه في ليل دامس معتكر وظلمات بعضها فوق بعض، حتى لا تجد كلمة تعبر بها عن نفسية الأمم في مثل هذا العهد أفضل من «الفوضى».

كذلك شاءت لنا ظروفنا أن نواجه كل ذلك، وأن نعمل على إنقاذ الأمة من الخطر المحدق بها من كل ناحية.

وإن الأمة التي تحيط بها ظروف كظروفنا، وتنهض لمهمة كمهمتنا، وتواجه واجبات كتلك التي نواجهها، لا ينفعها أن تتسلى بالمسكنات، أو تتعلل بالآمال والأماني، وإنما عليها أن تعد نفسها لكفاح طويل عنيف، وصراع قوي شديد بين الحق والباطل، وبين النافع والضار، وبين صاحب الحق وغاصبه، وسالك الطريق وناكبه[3]، وبين المخلصين الغيورين والأدعياء المزيفين. وإن عليها أن تعلم أن الجهاد من الجهد، والجهد هو التعب والعناء، وليس مع الجهاد راحة حتى يضع النضال أوزاره، و«عند الصباح يحمد القوم السرى»[4].

وليس للأمة عدة في هذه السبيل الموحشة إلا النفس المؤمنة، والعزيمة القوية الصادقة، والسخاء بالتضحيات، والإقدام عند الملمّات، وبغير ذلك تغلب على أمرها، ويكون الفشل حليف أبنائها.

---

(١) العلم: الجبل. جمعها: أعلام. [المعجم الوجيز، ص(٤٣٢)].

(٢) الصُّوى: الأعلام من الحجارة، وما غلُظ وارتفع من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً، الواحدة صُوَّة. [الصحاح، مادة (صوى)].

(٣) نَكَبَ عن الشيء وعن الطريق يَنْكُب نَكْبًا ونُكُوبًا: عَدَلَ. [اللسان، مادة (نكب)].

(٤) يضرب في الحث على مزاولة الأمر بالصبر وتوطين النفس حتى تحمد عاقبته. [الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، فصل العين مع النون].

ومع أن ظروفنا هي ما علمت، فإن نفوسنا لا تزال تلك النفوس الرخوة اللينة المترفة الناعمة التي تجرح خديها خطرات[١] النسيم، ويدمي بنانها لمس الحرير[٢]. وفتياتنا وفتياننا هم عدة المستقبل ومعقد الأمل لا يزال حظ أحدهم أو إحداهن مظهرًا فاخرًا، أو أكلة طيبة، أو حلة أنيقة، أو مركبًا فارهًا، أو وظيفة وجيهة، أو لقبًا أجوف، وإن اشترى ذلك بحريته، وإن أنفق عليه من كرامته، وإن أضاع في سبيله حق أمته.

وهل رأيت أولئك الشبان الذين تنطق وجوههم بسمات الفتوة، وتلوح على محياهم[٣] مخايل النشاط، ويجري في قسماتهم ماء الشباب المشرق الرقراق، وهم يتذللون على أبواب رؤساء المصالح والدواوين بأيديهم طلبات الوظائف؟

وهل رأيتهم يتوسلون بالصغير والكبير، ويرجون الحقير والأمير، ويوسطون حتى سعاة المكاتب وحجاب الوزارات في قضاء المآرب وقبول الطلبات؟

هل تظن -يا عزيزي القارئ- أن هذا الشباب إذا أسعفه الحظ، وتحقق له الأمل، والتحق بوظيفة من هذه الوظائف الرسمية يفكر يومًا من الأيام في تركها أو التخلي عنها في سبيل عزة أو كرامة وإن سيم الخسف[٤] وسوء العذاب؟

نفوسنا الحالية في حاجة إلى علاج كبير، وتقويم شامل، وإصلاح يتناول الشعور الخامد والخلق الفاسد والشح المقيم. وإن الآمال الكبيرة التي تطيف[٥] برءوس المصلحين من رجالات هذه الأمة، والظروف العصيبة التي نجتازها تطالبنا بإلحاح بتجديد نفوسنا، وبناء أرواحنا بناءً غير هذا الذي أبلته السنون، وأخلقته[٦] الحوادث، وذهبت الأيام بما

---

(١) مِن المَجَاز: يقال: ما لَقِيتُه إلاَّ خَطْرَةً بَعْد خَطْرةٍ، وما ذَكَرْتُه إلا خَطْرةً بعد خَطْرَة، أي: أَحْيَاناً بعد أَحْيَان. أَصابَتْه خَطْرَةٌ من الجِنّ، أي: مَسٌّ [تاج العروس، مادة (خطر)].

(٢) اقتبس الإمام البنا هذا الكلام من قول المتغزل:

خَطَرَاتُ النَّسِيمِ تَجْرَحُ خَدَّيـ ـهِ ولَمْسُ الحَرِيرِ يُدْمِي بَنَانَهْ

[عبد الرحمن الميداني: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص(٨٠٦)].

(٣) المحيا: الوجه. [اللسان، مادة (وجه)].

(٤) السومُ: هو تكليف الشخص المشقّة والذلَّ. [الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة، مادة (سوم)].

(٥) قال ابن منظور: «طافَ به الخَيالُ طَوْفًا: أَلَمَّ به في النوم، وسنذكره في طيف أيضًا؛ لأن الأصمعي يقول: طاف الخيال يَطيف طَيْفًا، وغيره يَطوف». [اللسان، مادة (طوف)].

(٦) أخلقت الثوب: لبسته حتى بلي. [أساس البلاغة، مادة (خلق)].

كان فيه من مناعة وقوة، وبغير هذه التقوية الروحية والتجديد النفسي لا يمكن أن نخطو إلى الأمام خطوة.

إذا علمت هذا وكنت معي في أن هذا المقياس أصح وأدق في نهضات الأمم والشعوب، فاعلم أن الغرض الأول الذي ترمي إليه جمعيات الإخوان المسلمين (التربية الصحيحة)، تربية الأمة على النفس الفاضلة، والخلق النبيل السامي، وإيقاظ ذلك الشعور الحي الذي يسوق الأمم إلى الذود عن كرامتها، والجد في استرداد مجدها، وتحمل كل عنت ومشقة في سبيل الوصول إلى الغاية.

ولعلك تسأل بعد هذا: وما الوسائل التي اتخذها الإخوان المسلمون لتجديد نفوسهم وتقويم أخلاقهم؟ وهل جرب الإخوان هذه الوسائل؟ وإلى أي مدى نجحت تجربتهم؟

وموعدنا الكلمات التالية -إن شاء الله.

❊ ❊ ❊

(٥) هل نحن قوم عمليون؟(١)

قد علمت -أيها القارئ الكريم- أن الإخوان المسلمين يقصدون أول ما يقصدون إلى تربية النفوس، وتجديد الأرواح، وتقوية الأخلاق، وتنمية الرجولة الصحيحة في نفوس الأمة، ويعتقدون أن ذلك هو الأساس الأول الذي تبنى عليه نهضات الأمم والشعوب.

ولقد استعرضوا وسائل ذلك وطرائق الوصول إليه فلم يجدوا فيها أقرب ولا أجدى من الفكرة الدينية والاستمساك بأهداب(٢) (الدين).

الدين: الذي يحيي الضمير، ويوقظ الشعور، وينبه القلوب، ويترك مع كل نفس رقيبًا لا يغفل، وحارسًا لا يسهو، وشاهدًا لا يجامل ولا يحابي ولا يضل ولا ينسى، يصاحبها في الغدوة والروحة، والمجتمع والخلوة، ويرقبها في كل زمان، ويلحظها في كل مكان، ويدفعها إلى الخيرات دفعًا، ويدعّها(٣) عن المآثم دعًّا، ويجنبها طريق الزلل، ويبصرها سبيل الخير والشر ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

الدين: الذي يجمع أشتات الفضائل، ويلم أطراف المكارم، ويجعل لكل فضيلة جزاءً، ولكل مكرمة كفاءً، ويدعو إلى تزكية النفوس، والسمو بها، وتطهير الأرواح وتصفيتها ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

الدين: الذي يدعو إلى التضحية في سبيل الحق، والفناء في إرشاد الخلق، ويضمن لمن فعل ذلك أجزل المثوبة، ويعد من سلك هذا النهج أحسن الجزاء، ويقدر الحسنة وإن صغرت ويزن السيئة وإن حقرت، ويبدل الفناء في الحق خلودًا، والموت في الجهاد وجودًا، ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠]، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٨)، السنة الثانية، ٢٧ جمادى الأولى، ١٣٥٣هـ- ٧ سبتمبر ١٩٣٤م، ص(٣-٥).

(٢) أي: أطراف. [المعجم الوجيز، ص(٦٤٦)].

(٣) دعّ اليتيم: دفعه بجفوة. [أساس البلاغة، مادة (دعع)].

الدين: الذي يشتري من المرء هذه الأعراض الدنيوية وتلك المظاهر المادية بسعادة تمتلئ بها نفسه، ويهنأ بها قلبه من فضل الله ورحمته ورضوانه ومحبته، ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

الدين: الذي يجمع كل ذلك، ثم هو بعد يصافح الفطرة، ويمازج القلوب، ويخالط النفوس، فيتحد بها وتتحد به، ويتخلل ذرات الأرواح، ويساير العقول فلا يشذ عنها ولا تنبو عنه[1].. يهش له الفلاح في حقله، ويفرح به الصانع في معمله، ويفهمه الصبي في مكتبه، ويجد لذته وحلاوته العالم في بحوثه، ويسمو بفكرته الفيلسوف في تأملاته. وهل رأيت على نفوس البشر أقوى سلطانًا من الدين؟ وهل رأيت في تاريخ البشرية أعظم تأثيرًا في حياة الأمم والشعوب منه؟ وهل رأيت للفلاسفة والعلماء ما كان من التأثير البليغ للمرسلين والأنبياء؟

لا وأبيك، فإنما الدين قبس من روح الله السارية في ذرات هذه النفوس وفطرها يضيء ظلامها، وتشرق بنوره، ويأوي إليها فتهش له. فإذا تمكن منها كان كل شيء له فداء: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

الدين: الذي يسمو بقدسيته وجلاله فوق كل نفس، ويعلو على كل رأس، ويجل عن الاختلاق، ويتنزه عن التقليد والمحاكاة، فيوحد بذلك بين القلوب، ويؤلف بين النفوس، ويقطع مادة النزاع، ويحسم أصول الخلاف، ويزيد ذلك ثباتًا وقوة بتوجيه القلوب إلى الله وحده، وصرف النفوس عن الأغراض والمطامع والشهوات واللذائذ، والسمو بالمقاصد والأعمال إلى مراتب المخلصين الصادقين الذين يبتغون بعملهم وجه الله لا يرجون من ورائه جزاءً ولا شكورًا ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

---

(١) نبا عنّي فلانٌ: فارقني، وبيني وبينه نبوة. وهو يشكو نبوة الزمان وجفوته، وأصابتهم نبوات الزمان وجفواته. ونبا السهم عن الهدف: لم يصبه [أساس البلاغة، مادة (نبو)].

الدين: الذي يسمو بالوفاء إلى درجة الشهادة، ويعده فريضة يسأل بين يدي الله عنها، وفضيلة يتقرب إلى الله بها، ودليلاً على الرجولة الكاملة والعزيمة الصادقة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤].

الدين: مجتمع الفِكَر الصائبة، ومعقد الآمال المتشعبة، ورمز الأماني الفردية والاجتماعية والقومية والعالمية، وذلك تعبير له تعبير، ﴿وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

رأى قوم أن يصلحوا من أخلاق الأمة عن طريق العلم والثقافة، ورأى آخرون أن يصلحوه من طريق الأدب والفن، ورأى غيرهم أن يكون هذا الإصلاح عن طريق أساليب السياسة، وسلك غير هؤلاء طريق الرياضة. وكل أولئك أصابوا في تحديد معاني هذه الألفاظ أو أخطئوا، وسددوا أو تباعدوا، وليس هذا مجال النقد والتحديد، ولكن أريد أن أقول: إن الإخوان المسلمين رأوا أن أفعل الوسائل في إصلاح نفوس الأمم: (الدين).

ورأوا إلى جانب هذا أن الدين الإسلامي جمع محاسن كل هذه الوسائل وبعد عن مساويها، فاطمأنت إليه نفوسهم وانشرحت به صدورهم، وكان أول وسائلهم العملية في تطهير النفوس وتجديد الأرواح: (تحديد الوسيلة واختيار المبدأ)، وعلى هذا الأساس وضعت (عقيدة الإخوان المسلمين) مستخلصة من كتاب الله وسنة رسوله لا تخرج عنهما قيد شعرة. وفرض الإخوان على أنفسهم حفظها، والتزام حدودها، وتنفيذ نصوصها، والقيام بتعهداتها. وأعتقد أنها وسيلة عملية في تربية النفوس وتقويم الأخلاق، وبهذه المناسبة أذكر كل أخ مسلم بأن من واجبه أن يحفظ عقيدته، ويعمل على إنفاذ ما تستلزمه من تعهدات.. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

* * *

(٦) هل نحن قوم عمليون؟[١]

قد علمت -أعزك الله- أن الإخوان المسلمين رأوا في الإسلام أفضل الوسائل لتهذيب نفوسهم، وتجديد أرواحهم، وتزكية أخلاقهم، فاقتبسوا من نوره عقيدتهم، واغترفوا من فيضه مشربهم، وأنت جد عليم بأن منزلة الصلاة من الإسلام منزلة الرأس من الجسد، فهي: عماده ودعامته، وركنه وشعيرته، ومظهره الخالد، وآيته الباقية، وهي مع ذلك قرة العين، وراحة الضمير، وأنس النفس، وبهجة القلب، والصلة بين العبد والرب، والمرقاة تصعد برقيها أرواح المحبين إلى أعلى عليين فتنعم بالأنس، وترتع في رياض القدس، وتجتمع لها أسباب السعادة من عالمي الغيب والشهادة.

وتلك بارقة تسطع في نفس من قدح زنادها، وحلاوة يستشعرها من تذوق شهدها، وهل رأيت بربك أعذب وأحلى وأروع وأجلى من مظهر ذلك الخاشع العابد الراكع الساجد القانت آناء الليل يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، وقد نامت العيون، وهدأت الجفون، واطمأنت الجنوب في المضاجع، وخلا كل حبيب بحبيبه، ونادى منادي العارفين من المحبين:

سهر العيون لغير وجهك ضائع　　　وبكاؤهن لغير فقدك باطل[٢]

آه يا أخي، إن موقفًا واحدًا من هذه المواقف أنفع للقلب، وأفعل في النفس، وأزكى للروح من ألف عظة قولية، وألف رواية تمثيلية، وألف محاضرة كلامية، وجرب تر، ولأمر ما كان ذلك في لسان القرآن آية الإحسان، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٦- ١٨].

ولأمر ما كان أجر هؤلاء سنيًا[٣] خفيًا، ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، ألم يكن عملهم خفيًا كذلك؟ وهل تصلح

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢١)، السنة الثانية، ١٨ جمادى الثانية، ١٣٥٣هـ- ٢٨ سبتمبر ١٩٣٤م، ص(٣-٦).

(٢) البيت من الكامل، وهو لخالد الكاتب، ولكن البيت ورد كما يلي:

سَهَرُ العُيُونِ لِغَيرِ وَجهِكَ باطِلُ　　　وَبُكاؤُهُنَّ لِغَيرِ هَجرِكَ ضائِعُ

(٣) السَّنِيُّ: الرَّفيعُ. [لسان العرب، مادة (سنا)].

الخلوات في حضرة الرقباء؟ وهل يلذ لمحب في غير خلوة نجاء؟ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ ولقد حدثوا أن أبا القاسم الجنيد(١) رؤي بعد وفاته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت الإشارات، وفنيت العبارات، وغابت العلوم، وضاعت الرسوم، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في جوف الليل.

لا تستغرب -أيها القارئ الكريم- فما نفع القلب خير من خلوة يدخل بها ميدان فكره، وما تزكت النفس بأفضل من ركعات خاشعات تجلو القلوب، وتقشع صدأ الذنوب، وتغسل درن العيوب، وتقذف في القلب نور الإيمان، وتثلج الصدر ببرد اليقين.

والمسلمون في هذا العصر أمام الصلاة طرائق قدد وطوائف بدد:

فمنهم قوم أضاعوها وأهملوها وتركوها وجهلوها، وإذا ذكرتهم بأمرها أو خضت معهم في شأنها ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥]، ويحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم.

ولا أحب أن أقول: إن منهم من ينهى عنها، ويحقر من أدّاها، ويصفه بالرجعية والتأخر والجمود والتقهقر، وإنك لتسمع من هؤلاء وأشباههم أذى كثيرًا، ومزاعم غريبة، وكلامًا تعجب منه وتندهش له، وكأنهم لم يسمعوا قول الله -تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥].

وإنه ليزداد عجبك، ويتضاعف اندهاشك حين تعلم أن من الذين يعملون لدعوة الإسلام، ويتصدرون كراسي الدفاع في القضية الإسلامية، من يهمل أمر الصلاة ويصغر من شأنها كأن النبي ﷺ لم يصرح بأنها عماد الدين وفريضة المؤمنين، وكأنهم لم يسمعوا

---

(١) الجنيد البغدادي [... - ٢٩٧هـ = ... - ٩١٠م]: الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير. وعرف الجنيد بالخزاز؛ لأنه كان يعمل الخز، إمام الدنيا في زمانه، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف؛ لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسُّنة، ولكونه مصونًا من العقائد الذميمة، محمي الأساس من شبه الغلاة، سالمًا من كل ما يوجب اعتراض الشرع. [الزركلي: الأعلام، (٢/ ١٤١)].

قوله ﷺ: «ليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك»[(١)].

ولسنا نحاول أن نقنع هؤلاء بما هو أوضح من الصبح، وأجلى من الضوء، وأظهر من الشمس، ولكنا نسأل الله لنا ولهم كمال الهداية وتمام التوفيق.

ونحن بعد هؤلاء أمام صنفين من المسلمين:

الغالبية العظمى والكثرة الساحقة، وهؤلاء يؤدون صلاة آلية ميكانيكية ورثوها عن آبائهم، واعتادوها بمرور الأيام وكر الأعوام، لا يتعرفون أسرارها، ولا يستشعرون آثارها، وحسب أحدهم أن يلفظ الكلمات ويأتي بالحركات ويسرد الهيئات، ثم ينصرف معتقدًا أنه أدى الفريضة وأقام الصلاة وخلص من العقوبة ونال الثواب.

هذا وهم لا حقيقة له. وليست هذه الأقوال والأفعال من الصلاة إلا جسمًا روحه الفهم وقوامه الخشوع وعماده التأثر، وقد ورد في الحديث: «إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه... إلخ»[(٢)].

ولهذا رأيت أكثر الناس لا ينتفعون بصلاتهم، ولا ينتهون بها عن الفحشاء والمنكر، مع أنها لو كملت لأثمرت تزكية النفس وتطهير القلب، ولمنعت صاحبها اقتراف الآثام وغشيان المحارم.

وصنف ثان من الناس -وهو قليل نادر- فهم هذه المعاني من أسرار الصلاة، فهو جاد في تحقيقها، عامل على استكمالها، يصلي بخشوع وتدبر واطمئنان وتفكر، ويخرج من صلاته وقد تذوق حلاوة العبادة، وتأثر بمشاعر الطاعة، واستنار بنور الله الذي يتجلى به

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا»، باب: «مَا جَاءَ فِيمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ»، ح(١٠٧٠)، وقد صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»، ح(١٠٨٠).

(٢) أخرجه بنحوه أبو داود في «الصَّلَاةِ»، باب: «فِي صَلَاةِ النَّهَارِ»، ح(١١٠٤)، والترمذي في «الصَّلَاةِ»، باب: «مَا جَاءَ فِي التَّخَشُّعِ فِي الصَّلَاةِ»، ح(٣٥١)، وابن ماجه في «إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا»، باب: «مَا جَاءَ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَثْنَى مَثْنَى»، ح(١٣١٥)، ولم ينقل الإمام البنا الحديث من السنن ولكنه نقله عن الغزالي من «الإحياء»، (١/ ١٥٨)، وقال الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء: «أخرجه الترمذي والنسائي بنحوه من حديث الفضل بن عباس بإسناد مضطرب».

على من وصلوا نفوسهم بجلال معرفته. وفي الحديث: «مَن صلى صلاة لوقتها، وأسبغ وضوءها، وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول: حفظك الله كما حفظتني. ومَن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها، ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول: ضيعك الله كما ضيعتني، حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه»[1].

ولهذا تفاوتت درجات الناس واختلف ثوابهم، وإن اتحدت الصلاة شكلاً ومظهرًا وقولاً وفعلاً.

ولهذا كانت عناية السلف الصالحين -رضوان الله عليهم- عظيمة بإحضار قلوبهم في صلواتهم وتمام خشوعهم في عباداتهم. ولهذا كان أول وصفٍ وصف به المؤمنون: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢].

علم الإخوان المسلمون هذا فأخذوا أنفسهم به، وحاولوا أن يدرجوا عليه، وكان أهم مظهر من مظاهرهم العملية أن يحسنوا الصلاة، وهم يعتقدون أنهم بهذا يسلكون أقرب السبل إلى تجديد النفوس وتطهير الأرواح، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

فيا أيها الأخ المسلم: تفهم ذلك جيدًا، وكن مثال الإحسان في صلاتك، وأعتقد أن أول الخطوات العملية فيما بيننا أن نحسن الصلاة.

* * *

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، ح(٣٢١٣)، والطيالسي في مسنده، ح(٥٨٠)، والبيهقي في «الشعب»، (٣/ ١٤٣-١٤٤)، والهيثمي في «المجمع»، (١/ ٣٠٢)، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه عباد بن كثير وقد أجمعوا على ضعفه»، وكذا ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»، ح(٣٠١).

(٧) هل نحن قوم عمليون؟[(١)]

هما فريضتان جعلهما الله سياج الملة ومظهر الشريعة، وقرن بينهما في كثير من آيات كتابه الكريم تنبيهًا على عظيم فضلهما، وإظهارًا لجلالة قدرهما: هما الصلاة والزكاة، فبالأولى: صلاح ما بينك وبين الله. وبالثانية: صلاح ما بينك وبين الخلق. وهل في الوجود إلا خالق ومخلوق؟ فإذا صلح شأنك معهما فقد بلغت غاية الصلاح ووصلت إلى ذروة السعادة.

الزكاة:

ولئن كانت الصلاة مطهرة النفس وتصفية الروح، فإن الزكاة مطهرة المال وتصفية الكسب ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ولقد جعل الله تبارك وتعالى الصلاة والزكاة مظهر الإيمان، ودليل صحة العقيدة، وأشار القرآن إلى ذلك في الآية الكريمة: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وهو بمفهومه يدل على أن من قصر في أداء الصلاة والزكاة فليس من الإخوان في الدين.

وكأن هذا المعنى هو الذي فهمه أبو بكر ﷺ حين قاتل مانعي الزكاة، وأقره عليه صحابة رسول الله ﷺ، وأطلق على كثير ممن منعوا الزكاة (المرتدون)، وروى الستة عن أبي هريرة ﷺ قال: «لما توفي النبي ﷺ، وكفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر - رضي الله عنهما: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله تعالى؟»، فقال أبو بكر ﷺ: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢٢)، السنة الثانية، ٢٥ جمادى الثانية، ١٣٥٣هـ- ٥ أكتوبر ١٩٣٤م، ص(٣-٦).

ما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق»[١]. وفي رواية: «عقالاً». والعناق: الأنثى من ولد المعز. والعقال: الحبل الذي تقيد به الدابة.

فانظر -يا رعاك الله- كيف عبر أبو هريرة ﷺ عن مانعي الزكاة بقوله: (وكفر من كفر)، وكيف رأى أبو بكر أن منع الزكاة هدم للدين يستوجب قتال مانعها، وإن شهد أن لا إله إلا الله، وكيف أقر عمر رأي أبي بكر وعرف أنه الحق.

ولقد توعد الله ورسوله مانعي الزكاة أشد الوعيد، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد[٢] زكاته مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه يقول: أنا مالك.. أنا كنزك»[٣]. والشجاع الأقرع: الثعبان الخطر. واللهزمتان: الشدقان.

وفي الحديث -كذلك: «ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: ربنا ظلمونا حقوقنا التي جعلت لنا. فيقول الله -تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لأدنينكم ولأبعدنهم»[٤].

وإنما كان ذلك كذلك؛ لأن الزكاة نظام المشروعات، وقوام الأعمال النافعة، وتقويم الفطرة الشحيحة. تعود السخاء، وتدرب على القصد، وتطبع القلوب على الحب، وتدعو النفوس إلى الألفة، وتنزع الأغلال والأحقاد، وتدعو إلى التعاون والتساند في الخيرات، وتجنب أصول الشرور والمفاسد، وتخمد نار الثورات والفتن.

---

(١) أخرجه البخاري في «الزكاة»، باب: «وُجُوبِ الزَّكَاةِ»، ح(١٣١٢)، ومسلم في «الإيمان»، باب: «الأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ...»، ح(٢٩).

(٢) في الأصل: «تؤد».

(٣) أخرجه البخاري في «الزكاة»، باب: «إِثْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ»، ح(١٣١٥)، ومسلم في «الزكاة»، باب: «إِثْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ»، ح(١٦٤٩).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، ح(٤٩٦٩)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»، ح(٦١٤٠).

وكـل امـرئ يـولي الجميـل محبـب ومـن وجـد الإحسـان قيـدًا تقيـدا[(١)]

والزكاة مهمة من مهمات الحاكم: عليه القيام بجمعها، وتنظيم تحصيلها، والإشراف على إنفاقها في مصارفها التي جعلها الله لها. ولو أن الحكومات الإسلامية عنيت بشأن الزكاة لكانت لها موردًا حلالاً طيبًا يغنيها عن الضرائب الجائرة، والمكوس[(٢)] الظالمة، ولأحيت بذلك فريضة ضائعة، وركنًا مهملاً من أركان الإسلام، فأما إذا نسيت الحكومات الإسلامية واجبها حيال الزكاة جمعًا وإعطاءً، فإن على الأفراد أن يقوموا بإحياء هذه الشعيرة، وإعادة هذه الفريضة، وإخراج حق الله لعيال الله، فمن قصر في ذلك فإثمه على نفسه، وجريرته على عنقه، وجزاؤه أليم عند ربه.

وها أنت ترى أن أفراد المسلمين تغافلوا عن حق الله في أموالهم، ولم يخرجوا نصيب الفقراء من إيرادهم؛ مما قطع العلائق، وأكثر الجرائم، ولوث النفوس، وزاد أحقادها وأضغانها.

رأى الإخوان المسلمون ذلك فأرادوا أن يكونوا الرعيل الأول يضربون للناس المثل عمليًا في إحياء هذا الركن، ويبدءون بأنفسهم فيخرجون زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم، فإذا نجحوا في ذلك كانوا حجة على المقصرين، ودليلاً للراغبين، ودعاة للقاعدين.

وقد سبقت إلى الخير في هذا الشأن برمبال القديمة من أعمال مديرية الدقهلية بالقطر المصري، فجمعت الزكاة وصرفتها في مصارفها التي جاءت بها الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ...﴾ [التوبة: ٦٠].

ولقد كنت عظيم الإشفاق شديد الخوف من انقسام الوحدة وانصداع الكلمة؛ لأن في المسلمين الآن[(٣)] خصال تحول دون اجتماعهم على مثل هذا الخير، ولاسيما إذا اتصل بالمادة والمال، فما بالك إذا كان المشروع من أساسه ماليًا؟ كنت أخشى على إخوان برمبال شح الأغنياء وغلهم أيديهم[(٤)] عن الإعطاء.. وتهم الظنينين[(٥)] الذين يخلقون لكل شيء عيبًا، ولو كان هو الكمال مجسمًا، فيلمزون المطوعين بالرياء، ويلمزون الجامعين بالمحاباة، وجشع الآخذين الذين يود أحدهم أن لو كان ما جمع له كله ليس لغيره منه

---

(١) البيت المذكور من بيتين مختلفين كلاهما للمتنبي، وكلاهما من بحر الطويل، البيت الأول:

وَكُلُّ امْرِئٍ يُولِي الجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ

والبيت الثاني:

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا

(٢) المَكْسُ: الجِبَايَة، وجَمْعُه مُكُوسٌ. [المحيط في اللغة، مادة (مكس)].

(٣) في الأصل: «الأول».

(٤) أي: إمساكهم عن الإنفاق. [المعجم الوجيز، ص(٤٥٣)].

(٥) الظنون من الرجال: السيئ الظن. [السابق، ص(٤٠١)].

نصيب، والعادات المتوارثة التي درجنا عليها، والتي تجعل كل بيت ممن بقيت فيهم بقية من المحافظة على إخراج الزكاة يفضل أن يشرف بنفسه على صرف زكاة ماله، ولا يؤثر بذلك غيره مهما كان في هذا الإيثار من فائدة.

كنت أخشى على إخوان برمبال هذه المعوقات الأربعة، وهي واضحة ملموسة في مجتمعاتنا مما يبكي ويؤسف، ولكن إخوان برمبال وأهل برمبال كانوا أرفع من ذلك وأسمى فقرت بهم العين، وسعدت بهم النفس، واطمأن بعملهم القلب، وأثبتوا للناس أن الطهارة -إن خالطت نفوسهم، والثقة -إن تبودلت بينهم، كفيلتان بتذليل كل عقبة. لقد كان أغنياء برمبال أرفع من أن يمتنعوا عن أداء حق الله إذا داعي الزكاة بهم أهابا[1].. ولقد كان فقراء برمبال أرفع من أن تمتد أعينهم إلى حقوق إخوانهم، فما هو إلا أن وصل إلى كل منهم ما قسم له من الزكوات المجموعة[2] حتى سرت نفسه، ولهج لسانه بالدعاء للمزكين وللمنظمين.

ولقد كان إخوان برمبال أحكم وأحزم بتوفيق الله تعالى من أن يدعوا للتهم مجالاً وللظنة شبهة. فتكونت منهم لجنة أولى لعمل الكشوف بالمستحقين أخذ عليها العهد والميثاق: ألا تحابي، ولا تجامل، ولا تفشي سرًّا، ولا تظهر عورة، ثم تلتها لجنة أخرى للفحص عن هذه الكشوف ومراجعتها والتثبت من صحتها، ثم لجنة ثالثة لتقدير الأنصبة المستحقة لكل من تثبت حاجته واستحقاقه، ثم لجنة رابعة لمراجعة هذا التقدير وإقراره، ثم لجنة خامسة للقيام بالتوزيع عمليًّا.

كان هذا النظام الدقيق الموفق مدعاة إلى الإعجاب والفرح من كل من شاهدوه، أو علموا به، أو رأوا آثاره الرضية في نفوس برمبال وجيران برمبال.. وكان أهل برمبال بعد ذلك أكبر من العادات وأسمى من القيود فاتبعوا الرشد وآثروا التعاون، وضربوا في ذلك أروع المثل في تحقيق أمنية كنا نحلم بها من زمن بعيد.

أفلست ترى -أيها القارئ- بعد هذا البيان أن الإخوان المسلمين قوم عمليون... وأفلا يرى الإخوان المسلمون في ذلك تحقيقًا لآمالهم، فيعملوا على أن نسمع في القريب عن هذه الخطوات الموفقة في بقية الشعب النشيطة ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

***

---

(١) يشير ﷺ لقول أمير الشعراء أحمد شوقي من الوافر:

عَجِبتُ لِمَعشَرٍ صَلَّوا وَصاموا ... عَواهِرَ خِشيَةً وَتُقى كِذابا

وَتُلفيهُمُ حِيالَ المالِ صُمًّا ... إِذا داعي الزَّكاةِ بِهِم أَهابا

(٢) في الأصل: «المجموع».

(٨) هل نحن قوم عمليون؟[1]

مر الأسبوع الفائت ولم أناج القراء الكرام فيه بهذه الخطرات التي تمليها العاطفة، ويفيض بها القلب عن جهود الإخوان المسلمين، ولا أكتم القراء الكرام أني وجدت لذلك ألم الحرمان ووخز الضمير، لا لأننا نحب أن نرائي الناس بعملنا، أو نظهرهم على جهودنا، فقد يعلم الله أن الإخوان المسلمين يعملون حين يعملون وهم يبتغون وجه الله، ويريدون بذلك رضوانه، ولا ينتظرون من أحد جزاء ولا شكورًا، ويعتقدون أنهم إنما يقومون ببعض ما يوجبه الإسلام على أبنائه، ولا يزالون بعدُ مقصرين.

وإنما نحب أن نبلغ الناس دعوتنا، ونحدد لهم وجهتنا، ونكشف عن حقيقتنا، لعلنا نجد منهم أعوانًا على الخير، وهداة إلى البر، فيتضاعف النفع، ويقرب المدى، وتدنو الغاية، ويتحقق ما نرجو من إصلاح شامل، وإنقاذ عاجل، وإن كل يوم يمضي لا تعمل فيه الأمة عملاً للنهوض من كبوتها يؤخرها أمدًا طويلاً، وإن في دعوة الإخوان لو فقهها الناس لمنقذًا، وإن في منهاجهم لو اتبعته الأمة لنجاحًا، وإن في جهودهم لو أعينوا عليها لأملاً، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وبعــــد...

فقد ورد في الصحيح -ما معناه- أن معاذًا ﷺ كان يسير مع رسول الله ﷺ فقال له: «إن شئت -يا معاذ- حدثتك برأس هذا الأمر وذروة السنام منه؟ إن رأس هذا الأمر أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإن قوام هذا الأمر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وإن ذروة السنام منه الجهاد في سبيل الله، فإذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله ﷻ، والذي نفس محمد بيده ما شحب وجه، ولا اغبرت قدم في عمل تبتغي به درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله، ولا ثقل ميزان عبد كدابة تنفُقُ (أي: تموت) في سبيل الله، أو يحمل عليها في سبيل

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢٤)، السنة الثانية، ٩رجب ١٣٥٣هـ- ١٨أكتوبر ١٩٣٤م، ص(٣-٧).

الله»[(١)].

(١) أخرج أحمد في «حَدِيث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ»، ح(٢١١٠٦) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ بِالنَّاسِ قِبَلَ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ صَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَكِبُوا، فَلَمَّا أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ نَعَسَ النَّاسُ عَلَى أَثَرِ الدُّلْجَةِ، وَلَزِمَ مُعَاذٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتْلُو أَثَرَهُ، وَالنَّاسُ تَفَرَّقَتْ بِهِمْ رِكَابُهُمْ عَلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ تَأْكُلُ وَتَسِيرُ، فَبَيْنَمَا مُعَاذٌ عَلَى أَثَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَاقَتُهُ تَأْكُلُ مَرَّةً وَتَسِيرُ أُخْرَى عَثَرَتْ نَاقَةُ مُعَاذٍ فَكَبَحَهَا بِالزِّمَامِ فَهَبَّتْ حَتَّى نَفَرَتْ مِنْهَا نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَشَفَ عَنْهُ قِنَاعَهُ فَالْتَفَتَ فَإِذَا لَيْسَ مِنَ الْجَيْشِ رَجُلٌ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنْ مُعَاذٍ فَنَادَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ». قَالَ: لَبَّيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ. قَالَ: «ادْنُ دُونَكَ». فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى لَصِقَتْ رَاحِلَتَاهُمَا إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا كُنْتُ أَحْسِبُ النَّاسَ مِنَّا كَمَكَانِهِمْ مِنَ الْبُعْدِ». فَقَالَ مُعَاذٌ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ نَعَسَ النَّاسُ فَتَفَرَّقَتْ بِهِمْ رِكَابُهُمْ تَرْتَعُ وَتَسِيرُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَنَا كُنْتُ نَاعِسًا». فَلَمَّا رَأَى مُعَاذٌ بُشْرَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ وَخَلْوَتَهُ لَهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي أَسْأَلْكَ عَنْ كَلِمَةٍ قَدْ أَمْرَضَتْنِي وَأَسْقَمَتْنِي وَأَحْزَنَتْنِي. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «سَلْنِي عَمَّ شِئْتَ». قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ لا أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا. قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «بَخٍ بَخٍ، لَقَدْ سَأَلْتَ بِعَظِيمٍ ثَلَاثًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ الْخَيْرَ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ الْخَيْرَ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ الْخَيْرَ»، فَلَمْ يُحَدِّثْهُ بِشَيْءٍ إِلا قَالَهُ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَعْنِي: أَعَادَهُ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حِرْصًا لِكَيْ مَا يُتْقِنَهُ عَنْهُ». فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا حَتَّى تَمُوتَ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ». فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَعِدْ لِي فَأَعَادَهَا لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ -يَا مُعَاذُ- بِرَأْسِ هَذَا الْأَمْرِ وَقَوَامِ هَذَا الْأَمْرِ وَذُرْوَةِ السَّنَامِ». فَقَالَ مُعَاذٌ: بَلَى، بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَحَدِّثْنِي. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَأْسَ هَذَا الْأَمْرِ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِنَّ قَوَامَ هَذَا الْأَمْرِ إِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَإِنَّ ذُرْوَةَ السَّنَامِ مِنْهُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَيَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ اعْتَصَمُوا وَعَصَمُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ ﷻ». وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا شَحَبَ وَجْهٌ، وَلا اغْبَرَّتْ قَدَمٌ فِي عَمَلٍ تُبْتَغَى فِيهِ دَرَجَاتُ الْجَنَّةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ كَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلا ثَقُلَ مِيزَانُ عَبْدٍ كَدَابَّةٍ تَنْفُقُ لَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ يَحْمِلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ»، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: «الحديث من سؤال معاذ إلى آخره صحيح بطرقه وشواهده دون قوله: «ما شحب وجه... إلخ» فإنه حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف شهر بن حوشب»، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»، ح(٨٢٧).

ذلك تعريف النبي ﷺ للإسلام، وهو أعرف الناس بالإسلام، وإن الإخوان المسلمين لا يحملون الناس على غير الإسلام، ومبادئ الإسلام، ولا ينهجون إلا مناهج الإسلام، وشعاب الإسلام، وقد حدثتك عنهم في الصلاة والزكاة، وما يريدون من أنفسهم ومن الناس حيالها، وهي قوام الأمر ودعامته. فلأتحدث إليك -الآن- عن الإخوان المسلمين مجاهدين، وماذا يريدون من أنفسهم ومن الناس حيال الجهاد في سبيل الله، وهو في الإسلام ذروة السنام؟!

من الجهاد في الإسلام -أيها الحبيب- عاطفة حية قوية تفيض حنانًا إلى عز الإسلام ومجده، وتهفو شوقًا إلى سلطانه وقوته، وتبكي حزنًا على ما وصل إليه المسلمون من ضعف، وما وقعوا فيه من مهانة، وتشتعل ألمًا على هذا الحال الذي لا يرضي الله، ولا يرضي محمدًا ﷺ، ولا يرضي نفسًا مسلمة، وقلبًا مؤمنًا.

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان[1]

و«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[2]، كما ورد في الحديث الصحيح.

ومن الجهاد في سبيل الله -أيها الحبيب- أن يحملك هذا الهمّ الدائم، والجوى اللاحق على التفكير الجدي في طريق النجاة، وتلمس[3] سبيل الخلاص، وقضاء وقت طويل في فكرة عميقة تمحص بها سبيل العمل، وتتلمس فيها أوجه الحيل لعلك تجد لأمتك منفذًا، أو تصادف منقذًا، ونية المرء خير من عمله[4]، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ومن الجهاد في سبيل الله -أيها الحبيب- أن تنزل عن بعض وقتك، وبعض مالك، وبعض مطالب نفسك لخير الإسلام وبني المسلمين، فإن كنت قائدًا ففي مطالب القيادة تنفق، وإن كنت تابعًا ففي مساعدة الداعين تفعل، وفي كلٍ خير، وكلاً وعد الله الحسنى،

---

(١) البيت لأبي البقاء الرندي.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، ح(٧٦٨٦)، والهيثمي في «المجمع»، (١٠/ ٢٤٨)، وقال: «رواه الطبراني وفيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو متروك»، وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٤٨٠): «ضعيف جدًا».

(٣) في الأصل: «وتتلمس».

(٤) يشير ﷺ للحديث الذي أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(٥٨٠٩)، بلفظ: «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ»، وقد ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة»، ح(٢٢١٦).

والله تبارك وتعالى يقول: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ الله وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ الله وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلا إلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ الله لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ الله أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠-١٢١].

ومن الجهاد في سبيل الله -أيها الحبيب- أن تأمر بالمعروف، وأن تنهى عن المنكر، وأن تنصح لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأن تدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وما ترك قوم التناصح إلا ذلوا، وما أهملوا التآمر بالمعروف، والتناهي عن المنكر إلا خذلوا، ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

ومن الجهاد في سبيل الله -أيها الحبيب- أن تتنكر لمن تنكر لدينه، وأن تقاطع من عادى الله ورسوله، فلا يكون بينك وبينه صلة ولا معاملة ولا مؤاكلة ولا مشاربة ولا موادة ولا مؤاخاة، وفي الحديث ما معناه: إن أول هلاك بني إسرائيل أن علماءهم وأحبارهم كانوا يرونهم على المعصية فينهونهم فإذا لم ينتهوا تركوهم، وواكلوهم وشاربوهم وخالطوهم وجالسوهم، فلعنهم الله بذلك[1]، وإنما واجبهم أن يحادّوهم ويقاطعوهم، ولا يمتوا إليهم بسبب، ولا يتصلوا بهم بصلة معاملة أو نسب.

ومن الجهاد في سبيل الله -أيها الحبيب- أن تكون جنديًا لله تقف له نفسك ومالك، لا تبقي على ذلك من شيء، فإذا هدد مجد الإسلام، وديست كرامة الإسلام، ودوى نفير

---

(١) أخرج الترمذي في «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «وَمِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ»، ح(٢٩٧٣)، وأحمد في «مُسْنَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ»، ح(٣٥٢٩)، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْمَعَاصِي نَهَتْهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَوَاكَلُوهُمْ، وَشَارَبُوهُمْ، فَضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾». قَالَ: فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -وَكَانَ مُتَّكِئًا- فَقَالَ: «لا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى تَأْطُرُوهُمْ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا»، واللفظ للترمذي، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي»، ح(٣٠٤٧).

النهضة لاستعادة مجد الإسلام كنت أول مجيب للنداء، وأول متقدم للجهاد، ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

وفي الحديث: «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق»(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي، وبذلك يتحقق ما يريد الله من نشر الإسلام حتى يعم الأرض جميعًا.

ومن الجهاد في سبيل الله -أيها الحبيب- أن تعمل على إقامة ميزان العدل، وإصلاح شئون الخلق، وإنصاف المظلوم، والضرب على يد الظالم مهما كان مركزه وسلطانه، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان أو أمير جائر»(٢) رواه أبو داود والبخاري بمعناه. وعن جابر ﷺ قال رسول الله ﷺ: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»(٣) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.

ومن الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى -إن لم توفق إلى شيء من ذلك كله- أن تحب المجاهدين من كل قلبك، وتنصح لهم بمحض رأيك، وقد كتب الله لك بذلك الأجر، وأخلاك من التبعة، ولا تكن غير ذلك فيطبع الله على قلبك(٤)، ويؤاخذك أشد المؤاخذة، ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩١-٩٣].

---

(١) أخرجه مسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «ذَمِّ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ»، ح(٣٥٣٣).

(٢) أخرجه أبو داود في «الْمَلاحِمِ»، باب: «الأَمْرِ وَالنَّهْيِ»، ح(٣٧٨١)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٤٣٤٤).

(٣) أخرجه الحاكم (٣ / ٢١٥) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»، (١ / ٦٤٨)، وقد سها الإمام رحمه الله بعزو الحديث إلى ابن ماجه.

(٤) في الأصل: «ذلك».

وبعد: فهذه بعض مراتب الجهاد في الإسلام ودرجاته، فأين الإخوان المسلمون من هذه الدرجات؟

فإما أنهم محزونون لما وصل إليه، آلمون لذلك أشد الألم، فعلم الله أن أحدهم يجد من ذلك ما يذيب لفائف قلبه، وينال من أعماق نفسه، ويحز في قرارة فؤاده، ويمنعه في كثير من الأحايين الأنس بأهله وإخوانه، والمتعة بكل ما في الوجود من لذة وجمال.

وإما أنهم يفكرون في سبيل الخلاص، فعلم الله أنه ما من فكرة تحتل أفكارهم، وما من خطة تستهوي عواطفهم، وما من شأن يشغل عقولهم كهذا الشأن الذي ملك عليهم رءوسهم وقلوبهم، واستبد منهم بشعورهم وتفكيرهم.

وإما أنهم يبذلون في هذا السبيل وقتًا ومالاً، فحسبك أن تزور ناديًا من أنديتهم لترى عيونًا أذبلها السهر، ووجوهًا أشحبها الجهد، وجسومًا أضناها النصب، وأخذ منها الإعياء، على أنها فتية بإيمانها قوية بعقيدتها، وشبانًا يقضون ليلهم إلى ما بعد انتصافه مكبين على المكاتب، أو عاكفين على المناضد، وأترابهم في لهوهم وأنسهم ومتعتهم وسمرهم، ورب عين ساهرة لعين نائمة، وإنما نحتسب ذلك عند الله، ولا نمتن به بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين.

فإذا سألت عن المال الذي ينفق على دعوتهم، فما هو إلا مالهم القليل يبذلونه في سخاء ورضاء، وراحة وطمأنينة، وإنهم ليحمدون الله إذا ترقت تضحيتهم بالمال من درجة السخاء بكماليات العيش إلى درجة الاقتصاد من ضرورياته، وإنفاق ما يقتصد في سبيل الدعوة، ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، وما أسعدنا أن يقبل الله منا ذلك، وهو منه وإليه.

وإما أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقد بدءوا في ذلك بأنفسهم، ثم بأسرهم وبيوتهم، ثم بإخوانهم وأصدقائهم، وهم يتدرعون في ذلك بالصبر والأناة والحكمة والموعظة، وهل ترى جريدتهم هذه إلا مظهرًا من مظاهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وهل ترى عظاتهم وأقوالهم إلا سبيلاً في هذه السبيل؟

وأما ما بقي من درجات الجهاد فواجب الجماعة، فعلى الجماعة أن تجيب، وإن الإخوان

المسلمين في الرعيل الأول لا يدخرون وسعًا ولا يحتجزون جهدًا، وهم يعلمون منزلة ذلك من الإسلام، ويعلمون أن النبي ﷺ قال: «من لقي الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثلمة»[1] رواه الترمذي وابن ماجه، وهم يسألون الله أن يوفقهم إلى لقائه وليس بهم ثلمات، وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿لا تُكَلَّفُ إلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤].

وإنا لنرجو أن نكون بذلك قد أبلغنا الجماعة، وأن يكون هذا الصوت قد وصل إلى نفوسهم فوجد منها خصوبة يزداد بها عدد العاملين، وتنتظم معها صفوف المجاهدين، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

* * *

(١) أخرجه الترمذي في «فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ في فَضْلِ الْمُرَابِطِ»، ح(١٥٨٩)، وابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «التَّغْلِيظِ في تَرْكِ الْجِهَادِ»، ح(٢٧٥٣)، والحاكم في «المستدرك»، ح(٢٣٧٩)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي»، ح(١٦٦٦).

(٩) هل نحن قوم عمليون؟[١]

ما رأيت ضائعًا أشبه بمحتفظ به، ولا مهملاً أشبه بمعني بشأنه من القرآن الكريم في أمتنا هذه: أنزل الله القرآن الكريم كتابًا محكمًا، ونظامًا شاملاً، وقوامًا لأمر الدين والدنيا، ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وأعتقد أن أهم الأغراض التي تجب[٢] على الأمة الإسلامية حيال القرآن الكريم ثلاثة مقاصد:

أولها: الإكثار من تلاوته، والتعبد بقراءته، والتقرب إلى الله تبارك وتعالى به.

وثانيها: جعله مصدرًا لأحكام الدين وشرائعه، منه تؤخذ وتستنبط وتستقى وتتعلم.

وثالثها: جعله أساسًا لأحكام الدنيا، منه تستمد وعلى مواده الحكيمة تطبق.

تلك أهم المقاصد والأغراض التي أنزل الله لها كتابه، وأرسل به نبيه، وتركه فينا من بعده واعظًا مذكرًا، وحكمًا عدلاً، وقسطاسًا مستقيمًا.

ولقد فهم السلف رضوان الله عليهم هذه المقاصد فقاموا بتحقيقها خير قيام، فكان منهم من يقرأ القرآن في ثلاث، ومنهم من يقرأه في سبع، ومنهم من يقرأه في أقل من ذلك أو أكثر، ولقد كان بعضهم إذا شغل عن ورده من القرآن نظر في المصحف وقرأ بعض الآيات الكريمة وقال: حتى لا أكون ممن اتخذوا القرآن مهجورًا، فكان القرآن ربيع قلوبهم، وورد عباداتهم يتلونه آناء الليل وأطراف النهار، ورضي الله عن الخليفة الثالث الذي لم يسلَ المصحف والحصار على بابه والسيف على عنقه:

تمنى كتاب الله أول ليله ... وآخره لاقى[٣] حمام المقادر[٤]

ويرحم الله ذلك الذي لم يجد في رثائه أفضل من أن يقول:

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢٦)، السنة الثانية، ٢٣ رجب ١٣٥٣هـ- ١نوفمبر ١٩٣٤م، ص(٣-٦).

(٢) في الأصل: «يجب».

(٣) في الأصل: «لا في».

(٤) البيت من الطويل، وهو لكعب بن مالك الأنصاري.

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحًا وقرآنا[١]

وأنت إذا رجعت إلى سيرهم لم تجد واحدًا منهم هجر كتاب الله، أو ترك تلاوته أسبوعًا واحدًا فضلاً عن شهر كامل، فضلاً عن السنين والأعوام، ولا أحب أن أطيل عليك بما أشرقت به[٢] كتب السير، واستنارت بضوء سناه صحائف كتب التاريخ.

وهم حينما أرادوا أن يستنبطوا أحكام دين الله كان القرآن أول المصادر، وما الأول إذن إن لم يكن كتاب الله؟ وها أنت ترى أن المصطفى ﷺ قد أقرَّ معاذًا حين سأله: «بم يحكم»؟ فقال: بكتاب الله وبدأ به، ثم ثنى بالسنة المطهرة[٣].

وقد علمت أن عمر رضي الله عنه حظر على كثير من الصحابة الكرام أن يحدثوا الناس وهم حديثو عهدٍ بالإسلام بالأحاديث والوقائع حتى يفقهوهم في كتاب الله أولاً، ويقفوهم على حلاله وحرامه.

وقد علمت كذلك أن الأئمة من صدور التابعين وتابعيهم بإحسان أمثال سعيد بن المسيب ما كانوا يسمحون للناس بتدوين فتاويهم حذر الانصراف بأقوالهم عن كتاب الله، ولقد مزق سعيد الصحيفة من يد من دون إفتاءه وقال: تأخذ كلامي، وتدع كتاب الله؟! ثم تذهب تقول: قال سعيد. قال سعيد. عليك بكتاب الله وسنة رسوله.

أفلست ترى من هذا وغيره أن السلف الصالحين -رضوان الله عليهم- قد جعلوا كتاب الله تعالى أصل الأصول التي يستنبطون منها دين الله وأحكامه؟

وما كانت أحكام الدنيا عندهم إلا وفق ما يأمر به، ونزولاً على حكمه... حقوق تؤدى،

---

(١) البيت من البسيط، وهو لحسان بن ثابت من قصيدته التي مطلعها:

مَن سَرَّهُ المَوتُ صِرفًا لا مِزاجَ لَهُ فَليَأتِ مَأسَدَةً في دارِ عُثمانا

(٢) في الأصل: «بهم».

(٣) يشير الإمام البنا للحديث الذي أخرجه أبو داود في «الأَقْضِيَةِ»، باب: «اجْتِهَادِ الرَّأْيِ فِي الْقَضَاءِ»، ح(٣١١٩) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟» قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ الله؟» قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، وَلا فِي كِتَابِ الله؟» قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلا آلُو. فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرَهُ وَقَالَ: «الْحَمْدُ للهِ الذي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ الله لِمَا يُرْضِي رَسُولَ الله»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٣٥٩٢).

وحدود تقام، وأحكام تنفذ، وأوامر تسري، لا إلغاء ولا تعطيل ولا تعليل ولا تأويل.

كذلك كان يوم كان الإسلام غضًا طريًا، وثمر الدين بالغًا جنيًا، ويوم فهم المسلمون حكمة وجود القرآن بينهم كما علمهم رب القرآن ونبي القرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

ثم دالت[١] تلك الدولة، وذهب ما كان للقرآن على عقول الناس وألبابهم من صولة، وسرت في ألسنتهم وعقولهم لوثة العجمة، فإذا هم في ناحية والقرآن في ناحية أخرى، وبين الناحيتين بعد المشرقين.

سارت مشرقة وسرت مغربًا ... شتان بين مشرق ومغرب[٢]

فأما التعبد بتلاوة القرآن وقراءته آناء الليل وأطراف النهار فالنذر اليسير منا من عني بذلك وعمل عليه.

وأما بقية المتعبدين فلهم فيما وضعوا لأنفسهم ووضع لهم شيوخهم من أوراد وأحزاب ووظائف وصلوات ما تركوا به كتاب الله، وأحلوه محله حفظًا واهتمامًا وتعبدًا وتلاوة وترديدًا وتكرارًا.

وما نحرم تلاوة الأوراد الصحيحة، ولا نحول بين الناس والأدعية والأحزاب التي لا تخالف ظاهر الشريعة، ولكن نقول لهم: كتاب الله أولاً، رتبوا على أنفسكم منه أحزابًا تصل قلوبكم به، وتربط أرواحكم بفيضه وإشراقه، ثم اذكروا الله بعد ذلك ما شئتم من الصيغ التي تنطبق على أحكام الدين، أما أن تهملوا القرآن جملة، وتجعلوا عبادتكم كلها مما وضعتم لأنفسكم، أو وضع غيركم لكم، فتركٌ لكتاب الله، وإهمالٌ لحقوقه.

وأما استنباط الأحكام منه فقد وقع الناس في جهالة بكتاب الله تجعل بينهم وبين ذلك حجابًا كثيفًا، وسدًا منيعًا، مما اضطرهم إلى القناعة بالملخصات والرضا بالتعليقات، وقصر هممهم عن السمو إلى ما هو أرقى من ذلك من الغايات.

وأما تطبيق أحكامه الدنيوية فقد استبدلها القوم بغيرها، وأحلوا سواها محلها،

---

(١) دالَت الأيامُ، أي: دارت، والله يُداولها بين الناس. وتَداولته الأيدي: أخذته هذه مرَّة وهذه مرَّة. ودالَ الثوبُ يَدُول، أي: بَلِي. وقد جَعَل وِدُّه يَدُول، أي: يَبْلى. [لسان العرب، مادة (دول)].

(٢) البيت من الكامل، وهو للشيخ أبي إسحاق الشيرازي الشافعي.

وجعلوا تشريع الأجانب، وما وضع الفرنسيون والرومان أساسًا لتشريعهم، ومصدرًا لأحكامهم، وبذلك تعطلت أحكام كتاب الله، وأصبحت بين المسلمين نسيًا منسيًّا، وفيها علم الله لهم كل خير لو كانوا يسمعون، واكتفى المسلمون بعد هذا كله من القرآن الكريم بأن جعلوه تمائم لأمراضهم، وزينة لمجتمعاتهم، وسلوة في حفلهم وأفراحهم وأحزانهم، وليتهم إذ جعلوه كذلك أعطوه حقه، بل تراهم في مجلسه لاهين غافلين لاعبين منصرفين إلى اللغو والحديث واللهو والعبث، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

كان القرآن -فيما مضى- زينة الصلوات فأصبح اليوم زينة الحفلات، وكان قسطاس العدالة في المحاكم فصار سلوة العابثين في المواسم، وكان واسطة العقد في الخطب والعظات فصار واسطة العقد في الحلي والتميمات، أفلست محقًا حين قلت: ما رأيت ضائعًا أشبه بمحتفظ به من كتاب الله؟!

تناقض عجيب في هذا الموقف منا أمام القرآن، إننا نعظمه ما في ذلك شك، ونذود عنه ما في ذلك شك، ونتقرب إلى الله به ما في ذلك شك، ولكن يا قوم أخطأتم طريق التعظيم، وتنكبتم سبيل الذود عنه، وضللتم عن جادة التقرب إلى الله به.

أليس من الإضاعة لكتاب الله أن ترى المراكز التي كان القرآن يعفي منها عددًا عظيمًا من القرعة العسكرية صارت اليوم خلوًا ممن يحفظه ويتقدم للمعافاة به؟

وأليس من الإضاعة لكتاب الله أن ترى الطالب يدخل الأزهر الشريف وهو يحفظه؛ لأن ذلك شرط دخوله، ثم يخرج منه وقد نسيه؛ لأن القرآن لم يشترط في إجازته بنهاية مدة تعليمه، فتراه إن خرج ليكون إمامًا يصلي بالناس قصر بهم، وإن كان واعظًا استند إلى فقهاء الريف الحافظين في عظاته ودروسه، وإن كان محاميًا أو قاضيًا لجأ إلى المصحف في تصحيح الآيات التي يستشهد بها من كتاب الله، إننا حقيقة أضعنا كتاب الله، وكأنه بيننا كتاب أثري لا يسري مفعوله، ولا ينفذ حكمه، وهذا في الحقيقة أصل ما أصابنا من بلاء وشر.

وإذا علمت هذا -أيها القارئ الكريم- فاعلم أن الإخوان المسلمين يحاولون في جد أن يعودوا هم أولاً إلى كتاب الله، ويتعبدون بتلاوته، ويستنيرون في تفهم أقوال الأئمة الأعلام بآياته، ويطالبون الناس بإنفاذ أحكامه، ويدعون الناس معهم إلى تحقيق هذه الغاية التي هي أنبل غايات المسلم في الحياة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

(١٠) هل نحن قوم عمليون؟[1]

أنت إذا راجعت تاريخ النهضات في الأمم المختلفة شرقية وغربية قديمًا وحديثًا رأيت أن القائمين بكل نهضة موفقة نجحت وأثمرت كان لهم منهاج محدود عليه يعملون، وهدف محدود إليه يقصدون، وضعه الداعون إلى النهوض، وعملوا على تحقيقه ما امتد بهم الأجل، وأمكنهم العمل، حتى إذا حيل بينهم وبينه وانتهت بهم تلك الفترة القصيرة فترة الحياة في هذه الدنيا خلفهم من قومهم غيرهم يعملون على منهاجهم، ويبدؤون من حيث انتهى أولئك، لا يقطعون ما وصلوا، ولا يهدمون ما بنوا، ولا ينقضون ما أسسوا وشادوا، ولا يخربون ما عمروا، فإما زادوا عمل أسلافهم تحسينًا، أو مكنوا نتائجه تمكينًا، وإما تبعوهم على آثارهم فزادوا البناء طبقة، وساروا بالأمة شوطًا إلى الغاية، حيث يصلون بها إلى ما تبتغي، أو ينصرفون راشدين ويخلفهم غيرهم، وهكذا دواليك حتى تحقق الآمال، وتصدق الأحلام، ويتم النهوض، ويثمر الجهاد، وتصل الأمة إلى ما إليه قصدت، وله عملت، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

راجع تاريخ الهيئات والشعوب تر هذا القول واضحًا بينًا، وأن أساس النجاح في كل نهضاتها منهج محدود، وقوم يعملون في حدود هذا المنهج لا يملون ولا يفترون ولا يسأمون ولا يمتنون، ذلك واضح جلي في الخطوات التي سلكتها دعوة الإسلام الأولى؛ فقد وضع الله لها منهجًا محدودًا يسير بالمسلمين الأولين -رضوان الله عليهم- إليه، دعوة في السر ثم إعلان بهذه الدعوة ونضال في سبيلها لا يمل، ثم هجرة إلى حيث القلوب الخصبة والنفوس المستعدة، فإخاء بين هذه النفوس، وتمكين عرى[2] الإيمان في قلوبها، ثم نضال جدي، وانتصاف من الباطل للحق.

وهذا أبو بكر يريد أن يخرج من مكة إلى المدينة فيأمره النبي ﷺ أن ينتظر حتى يأتيه هو إذن الله بذلك، حتى إذا تمت الخطوات في القسم الأول من منهاج الدعوة، وهي التي

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢٧)، السنة الثانية، ٣٠ رجب ١٣٥٣هـ- ٨ نوفمبر ١٩٣٤م، ص(٣-٥).

(٢) في الأصل: «عبارتي».

أنيطت بالرسول ﷺ تشريعًا وتطبيقًا[1] أنزل الله قوله[2]: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ثم جاء بعد رسول الله ﷺ من الصحابة والتابعين من نقلوا هذا النموذج الكامل من جزيرة العرب إلى غيرها من بلدان العالم؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وحتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.

وأنت إذا رجعت بذاكرتك إلى تاريخ الفرق الإسلامية، وإلى الأدوار التي سبقت، وقارنت قيام الدولة العباسية في الشرق، ثم إلى نهضة الدول الحديثة الأوروبية من فرنسا وإيطاليا وروسيا وتركيا سواء في الدور الأول، وهو دور تكوين الوحدات، وتأسيس الحكومات، أو في هذا الدور وهو دور تكوين المبادئ ومناصرة النظريات، لرأيت كل ذلك يخضع إلى مناهج معروفة الخطوات تؤدي إلى النتيجة الحتمية التي تعمل لها الأمة.

أعتقد -يا عزيزي- أن كل انقلاب تاريخي، وكل نهضة في أمة تسير طبق هذا القانون، حتى النهضات الدينية التي يرأسها الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليهم، إلا أن هذه النهضات يرسم منهاجها الحق تبارك وتعالى، ويهدي الرسول ومن ورائه قومه، ويرشدهم إلى خطوات المنهج خطوة خطوة، كل خطوة في وقتها المناسب، ويؤيدهم في كل ذلك بنصره، فتكون النهضة موفقة لا محالة، ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

ومن أين يأتي الخطأ إذا كان واضع المنهج العليم الخبير، ومنفذ معصوم من الزلل، محفوظ من الخطل، مؤيد بالتوفيق والنصر؟ ومن هنا كانت النبوات رحمة للعالمين.

هذا كلام أعتقد أن القراء فيه على قسمين: قسم درس تاريخ الأمم وأطوار نهوضها، فهو مؤمن به معتقد له، وقسم لم تتح له هذه الفرصة، فإن شاء درس ليعلم أني لم أقل إلا الحق، وإن شاء وثق. فما أريد إلا الإصلاح ما استطعت.

كان ذلك في النهضات الموفقة، فهل سارت نهضتنا وفق هذا القانون الكوني والسنة

---

(١) في الأصل: «تطبيعًا».

(٢) في الأصل: «قول».

الاجتماعية؟

ذلك ما أشك فيه كثيرًا، فإني ألاحظ أن خلق التسرع المركوز في طباعنا، وسرعة التأثر، وهياج العواطف الذي يبدو فينا واضحًا، وغيرهما من أسباب اجتماعية وغير اجتماعية جعلت نهضاتنا فورات عاطفية تشتد وتقوى بقوة المؤثر الوقتي وشدته، ثم تخمد وتزول كأن لم يكن شيء، ولئن كانت الغاية التي نعمل لها جميعًا واضحة معروفة للكثيرين، فأنا واثق من أمرين يلازمان هذه المعرفة:

الأمر الأول: أن الوسائل غير معروفة ولا محدودة، وقد تكون متعاكسة يحيط بعضها بعضًا، ونحن لا نشعر.

والأمر الثاني: أن الصلة منقطعة[1] تمامًا بين السابق واللاحق، فقد يصل السابق إلى نصف الطريق، فإذا جاء اللاحق لم يتبعه لانقطاع الصلة بينهما، فيبدأ طريقًا جديدًا قد يصل فيه إلى مقدار ما وصل سابقه، وقد يقصر عنه، وقد يسبق قليلاً، ولكنه على كل حال لا يصل بالأمة إلى النهاية؛ لأن أعمار الأفراد قصيرة جد قصيرة بالنسبة لأعمار النهضات والشعوب، ونحن نتصور أن الواحد يستطيع أن يحقق للأمة كل ما تبتغي، وهي فكرة خيالية، وخدعة نفسية عاطفية يجب أن تزول من نفس كل عامل حتى ينتفع بما عمل سلفه.

هذا استطراد لابد منه، وبعده أقول لك: إن للإخوان المسلمين منهاجًا محدودًا يتابعون السير عليه، ويزنون أنفسهم بميزانه، ويعرفون بين الفينة والفينة أين هم منه، فإذا سألتهم عن أصول هذا المنهاج النظرية ما هي؟ فإني أجيبك في صراحة تامة: هي الأصول والقواعد التي جاء بها القرآن الكريم.

فإذا قلت: ما وسائلهم وخطواتهم العملية؟

أقول لك في صراحة كذلك: هي الوسائل والخطوات التي أُثرت عن الرسول العظيم ﷺ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

---

(١) في الأصل: «منعطفة».

وأما بعد...

فبهذه الكلمة تنتهي تلك السلسلة المجملة من الحديث عن الإخوان المسلمين العمليين، وأرجو أن تكون لها أثرها المنشود في نفس قرائنا الكرام، فيؤازروا أولئك القوم الذين وقفوا كل شيء في سبيل الله والدعوة، وينضموا إليهم ليساهموا معهم في هذه النهضة الموفقة التي يكسب العامل فيها كل يوم نصرًا جديدًا، إن لم يؤده إلى الفتح فسيؤدي إليه من بعده بفضل مجهوده إن شاء الله، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٠٥].

❊ ❊ ❊



شباب
النادي الشبابي

رسالة
دعوتنا

٢٠ محرم ١٣٥٤هـ -٢٣ أبريل ١٩٣٥م

تقـــديم

نشرت مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية هذه الرسالة على هيئة مقالات بلغت سبع مقالات، ونشرت المقالة الأولى في العـدد (٢) والـذي صـدر بتـاريخ ٢٠ محـرم ١٣٥٤هـ الموافق ٢٣أبريل ١٩٣٥م، ثم توالى النشر في الأعـداد: (٣، ٤، ٦، ٧، ٨)، وكـان العـدد (١٠) من نفس السنة الصادر بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٣٥٤هـ الموافق ١٨ يونيو ١٩٣٥م هو آخر تلك الأعداد، والذي به تمت الرسالة.

غير أنها أعيد نشرها مرة أخرى في مجلة النـذير في عـددها (٣٩) مـن السـنة الثانيـة، والذي صدر بتاريخ ٩ شوال ١٣٥٨هـ الموافق ٢١ نوفمبر ١٩٣٩م.

وقد أعيد نشرها في كتيب ضم رسالتين بجانبها وهما: «إلى أي شيء نـدعو النـاس»، و«نحو النور».

وقد استهل الإمام البنا الرسالة بالتعريف بغاية الإخوان، وذكر أصناف الناس، كمـا شخص الداء الذي أصاب الأمة الإسلامية، ووصف لها الـدواء الـذي يتمثـل في المـنهج الصحيح وهو اتباع كتاب الله، وسنة رسوله، والسير على نهج السلف الصالح.

❋ ❋ ❋

(١) دعـــوتنا[١]

مصارحة[٢]:

نحب أن نصارح الناس بغايتنا، وأن نجلي أمامهم منهاجنا، وأن نوجه إليهم دعوتنا، في غير لبس ولا غموض، أضوأ من الشمس، وأوضح من فلق الصبح، وأبين من غرة النهار.

براءة:

ونحب مع هذا أن يعلم قومنا -وكل المسلمين قومنا- أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة بريئة نزيهة، قد تسامت في نزاهتها حتى جاوزت المطامع الشخصية، واحتقرت المنافع المادية، وخلفت وراءها الأهواء والأغراض، ومضت قدمًا في الطريق التي رسمها الحق تبارك وتعالى للداعين إليه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فلسنا نسأل الناس شيئًا، ولا نقتضيهم مالاً، ولا نطالبهم بأجر، ولا نتزيد بهم وجاهة، ولا نريد منهم جزاءً ولا شكورًا، إن أجرنا في ذلك إلا على الذي فطرنا.

عاطفة:

ونحب كذلك أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا، وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداء لعزتهم إن كان فيها الفداء، وأن تزهق ثمنًا لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم إن كان فيها الغناء، وما أوقفنا هذا الموقف منهم إلا هذه العاطفة التي استبدت[٣] بقلوبنا، وملكت علينا مشاعرنا، فأقضت مضاجعنا[٤]، وأسالت مدامعنا، وإنه لعزيز علينا

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد الثاني، السنة الثالثة، ٢٠ محرم ١٣٥٤هـ - ٢٣ أبريل ١٩٣٥م، ص(٣-٥)، وقد أعيد نشر الرسالة كاملة في مجلة النذير، العدد (٣٩)، السنة الثانية، ٩شوال ١٣٥٨هـ - ٢١ نوفمبر ١٩٣٩م، ص(٣- ١٧)، وقد كانت هناك فروق بين الإصدارين أشرنا إليها في مكانها.

(٢) هذه العناوين غير موجودة بمجلة الإخوان المسلمين.

(٣) استبد الأمر بفلان: إذا غلبه فلم يقدر على ضبطه. [أساس البلاغة، مادة (بدد)].

(٤) يقال: أقضّ على فلان مضجعه: إذا لم يطمئن به النوم. [تهذيب اللغة، مادة (قض)].

جد عزيز أن نرى ما يحيط بقومنا ثم نستسلم للذلة، أو نرضى بالهوان، أو نستكين لليأس، فنحن حين نعمل للناس في سبيل الله أكثر مما نعمل لأنفسنا، فنحن لكم لا لغيركم -أيها الأحباب، ولن نكون عليكم يومًا[١] من الأيام.

لله الفضل والمنة:

ولسنا نمتن بشيء، ولا نرى لأنفسنا في ذلك فضلاً، وإنما نعتقد قول الله -تبارك وتعالى: ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

كم[٢] نتمنى -لو تنفع المنى- أن تتفتح هذه القلوب على مرأى ومسمع من أمتنا، فينظر إخواننا هل يرون فيها إلا حب الخير لهم، والإشفاق عليهم، والتفاني في صالحهم؟ وهل يجدون إلا ألمًا ممضًا[٣] مضنيًا من هذه الحال التي وصلنا إليها؟ ولكن حسبنا أن الله يعلم ذلك كله، وهو وحده الكفيل بالتأييد الموفق للتسديد، بيده أَزِمّة[٤] القلوب ومفاتيحها، من يهد الله[٥] فلا مضل له، ومن يضلل الله[٦] فلا هادي له، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[٧] [الزمر: ٣٦].

أصناف أربعة:

وكل الذي نريده من الناس أن يكونوا أمامنا واحدًا من أربعة:

مؤمن:

إما شخص آمن بدعوتنا، وصدق بقولنا، وأعجب بمبادئنا، ورأى فيها خيرًا اطمأنت إليه نفسه، وسكن له فؤاده، فهذا ندعوه أن يبادر بالانضمام إلينا والعمل معنا حتى يكثر

---

(١) في النذير: «في يوم».

(٢) في النذير: «ولكم».

(٣) ناقصة من النذير، ومَضَّهُ الشيءُ مَضًّا ومضيضًا: بلغَ من قَلْبِهِ الحُزْنُ به، كأَمَضَّهُ الخَلُّ فاهُ: أحرَقَهُ، الكُحْلُ العينَ يَمُضُّها، بالضم والفتح: آلَمَها، كأَمَضَّها. [القاموس المحيط، (٢/ ٢٠١)].

(٤) زَمَّ الشيءَ يَزُمُّه زَمًّا فانْزَمَّ: شده. والزِّمامُ: ما زُمَّ به، والجمع أَزِمَّةٌ [لسان العرب، مادة (زمم)].

(٥) زيادة من النذير.

(٦) زيادة من النذير.

(٧) في النذير: «عباده».

به عدد المجاهدين، ويعلو بصوته صوت الداعين، ولا معنى لإيمان لا يتبعه عمل، ولا فائدة في عقيدة لا تدفع صاحبها إلى تحقيقها والتضحية في سبيلها، وكذلك كان السابقون الأولون ممن شرح الله صدورهم لهدايته فاتبعوا أنبياءه، وآمنوا برسالاته، وجاهدوا فيه حق جهاده، ولهؤلاء من الله أجزل الأجر، وأن يكون لهم مثل ثواب من اتبعوهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا.

متردد:

وإما شخص لم يستبن له وجه الحق، ولم يتعرف في قولنا معنى الإخلاص والفائدة، فهو متوقف متردد، فهذا نتركه لتردده، ونوصيه بأن يتصل بنا عن كثب، ويقرأ عنا من بعيد أو من قريب، ويطالع كتاباتنا، ويزور أنديتنا، ويتعرف إلى إخواننا، فستطمئن [بعد ذلك نفسه، وسيهدأ قلبه، وسيكون][1] بعد ذلك لنا إن شاء الله، وكذلك كان شأن المترددين من أتباع الرسل من قبل.

نفعي:

وإما شخص لا يريد أن يبذل معونته إلا إذا عرف ما يعود عليه من فائدة، وما يجره هذا البذل له من مغنم فنقول له: حنانيك ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله إن أخلصت، والجنة إن علم الله فيك خيرًا، أما نحن فمغمورون جاهًا، فقراء مالاً، شأننا التضحية بما معنا وبذل ما في أيدينا، ورجاؤنا رضوان الله وهو نعم المولى ونعم النصير، فإن كشف الله الغشاوة عن قلبه، وأزاح كابوس الطمع عن فؤاده فسيعلم أن ما عند الله خير وأبقى، وسينضم إلى كتيبة الله ليجود بما معه من عرض هذه الحياة الدنيا؛ لينال ثواب الله في العقبى، و﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

وإن كانت الأخرى فالله غني عمن لا يرى لله الحق الأول في نفسه وماله ودنياه وآخرته وموته وحياته، وكذلك كان شأن قوم من أشباهه حين أبوا مبايعة رسول الله ﷺ إلا أن يجعل لهم الأمر من بعده، فما كان جوابه ﷺ إلا أن أعلمهم أن ﴿الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

---

(١) ناقصة من النذير.

متحامل:

وإما شخص ساء فينا ظنه، وأحاطت بنا شكوكه وريبه(١)، فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود القاتم، ولا يتحدث عنا إلا بلسان المتحرج المتشكك، ويأبى إلا أن يلج(٢) في غروره، ويسدر(٣) في شكوكه، ويظل مع أوهامه، فهذا ندعو الله لنا وله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يلهمنا وإياه الرشد، ندعوه إن قبل الدعاء، ونناديه إن أجاب النداء، وندعو الله فيه وهو -سبحانه- أهل الرجاء.

ولقد أنزل الله على نبيه الكريم في صنف من الناس [قوله تعالى](٤): ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وهذا سنظل نحبه، ونرجو فيئه(٥) إلينا، واقتناعه بدعوتنا، وإنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى ﷺ من قبل: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»(٦).

نحب أن يكون الناس معنا واحدًا من هؤلاء، وقد حان الوقت الذي يجب فيه على المسلم أن يدرك غايته ويحدد وجهته، ويعمل إلى هذه الوجهة حتى يصل إلى الغاية، أما تلك الغفلة السادرة، والخطرات اللاهية، والقلوب الساهية، والانصياع الأعمى، واتباع كل ناعق، فما هو من سبيل المؤمنين في شيء.

فناء:

ونحب أن يعلم قومنا إلى جانب هذا أن هذه الدعوة لا يصلح لها إلا من أحاطها من كل جوانبها، ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

---

(١) ناقصة من النذير.

(٢) لَجَّ في الأمر: تمادى عليه وأبى أن يَنْصَرِفَ عنه [لسان العرب، مادة (لجج)].

(٣) سدر بصره واسمدر: إذا تحير فلم يحسن الإدراك، وفي بصره سدر وسمادير، وعينه سدرة. وإنه لسادر في الغيّ: تائه. وتكلم سادرًا: غير متثبت في كلامه. [أساس البلاغة، مادة (سدر)].

(٤) ناقصة من النذير.

(٥) فاء إلى الله فيئة حسنة: إذا تاب ورجع. [السابق، مادة (فيأ)].

(٦) أخرجه البخاري في «أحاديث الأنبياء»، باب: «حديث الغار»، ح(٣٢١٨)، ومسلم في «الجهاد والسير»، باب: «غزوة أحد»، ح(٣٣٤٧).

وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

فهي دعوة لا تقبل الشركة؛ إذ إن طبيعتها الوحدة، فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به، ومن ضعف عن هذا العبء فسيحرم ثواب المجاهدين، ويكون مع المخلفين، ويقعد مع القاعدين، ويستبدل الله لدعوته به قومًا آخرين ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

[وقد أطلت في هذه المقدمات بين يدي حديثي عن دعوتنا، فحسبي ذلك الآن، وإلى اللقاء][١].

* * *

(١) ناقصة من النذير.

(٢) دعوتنا[1]

وضوح:

نحن ندعو الناس إلى (مبدأ).. مبدأ واضح محدود مسلّم به منهم جميعًا، هم جميعًا يعرفونه ويؤمنون به ويدينون بأحقيته، ويعلمون أن فيه خلاصهم وإسعادهم وراحتهم.. مبدأ أثبتت التجربة وحكم التاريخ بصلاحيته[2] للخلود وأهليته لإصلاح الوجود.

إيمانان:

والفرق بيننا وبين قومنا -بعد اتفاقنا في الإيمان بهذا المبدأ- أنه عندهم إيمان مخدر نائم في نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا على حكمه، ولا أن يعملوا بمقتضاه، على حين أنه إيمان ملتهب مشتعل قوي يقظ في نفوس الإخوان المسلمين.

ظاهرة نفسية عجيبة نلمسها ويلمسها غيرنا في نفوسنا نحن الشرقيين أن نؤمن بالفكرة إيمانًا يخيل للناس حين نتحدث إليهم عنها أنها ستحملنا على نسف الجبال، وبذل النفس والمال، واحتمال المصاعب، ومقارعة الخطوب، حتى ننتصر بها أو تنتصر بنا، حتى إذا هدأت ثائرة الكلام وانفض نظام الجمع نسي كل إيمانه وغفل عن فكرته، فهو لا يفكر في العمل لها، ولا يحدث نفسه بأن يجاهد أضعف الجهاد في سبيلها، بل إنه قد يبالغ في هذه الغفلة وهذا النسيان حتى يعمل على ضدها وهو يشعر أو لا يشعر!

وألست تضحك عجبًا حين ترى رجلاً من رجال الفكر والعمل والثقافة في ساعتين اثنتين متجاورتين من ساعات النهار ملحدًا مع الملحدين وعابدًا مع العابدين!

هذا الخور أو النسيان أو الغفلة أو النوم أو قل ما شئت هو الذي جعلنا نحاول أن نوقظ (مبدأنا)، وهو هو المبدأ المسلم به من قومنا في نفوس هؤلاء القوم المحبوبين.

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد الثالث، السنة الثالثة، ٢٧ محرم ١٣٥٤هـ- ٣٠ أبريل ١٩٣٥م، ص(٣-٤، ٩).

(٢) في النذير: «صلاحيته».

دعـــوات:

وإذن سأعود إلى أول كلمتي فأقول: إن دعوة الإخوان المسلمين دعوة مبـدأ، وفي الشرق والغرب اليوم دعوات ومبادئ وفكـر ومـذاهب وآراء ومنـازع كلـها تتقسـم عقول الناس وتتنازع ألبابهم، وكلها يزينه أهله، ويقـوم بالدعايـة لـه أبنـاؤه وأتباعـه وعشاقه ومريدوه، ويدّعون له من المزايا والمحاسن ويبالغون في هذا الادعاء ما يـبرزه للناس جميلاً خلابًا رائعًا.

دعـــاة:

والدعاة اليوم غيرهم بالأمس؛ فهم مثقفـون مجهـزون مـدربون أخصـائيون[1] - ولاسيما في البلاد الغربية؛ حيث تختص بكل فكـرة كتيبـة مدربـة توضـح غامضـها، وتكشف عن محاسنها، وتبتكر لها وسـائل النشـر وطرائـق الدعايـة، وتـتلمس لهـا في نفوس الناس أيسر السبل وأهونها وأقربها إلى الاقتناع والاتباع.

وســـائل:

ووسائل الدعاية الآن غيرها بالأمس كذلك؛ فقد كانت دعاية الأمس كلمة تلقى في خطبة أو اجتماع، أو كلمة تكتب في رسالة أو خطاب، أما الآن فنشرات ومجـلات وجرائد ورسالات ومسارح و(خيالات) وحاكٍ ومذياع، وقد ذلـل ذلـك كلـه سـبل الوصول إلى قلوب الناس جميعهم نساء ورجـالاً في بيـوتهم ومتـاجرهم ومصـانعهم ومزارعهم.

لهذا كان من واجب أهل الـدعوة أن يحسـنوا تلـك الوسـائل جميعًـا حتـى يـأتي عملهم بثمرته المطلوبة.

وما لي ولهذا الاستطراد؟ سأعود مرة ثانية فأقول: إن العـالم الآن في حـال تخمـة بالدعوات ما بين سياسية وقومية ووطنية واقتصادية وعسكرية وسلمية، فـأين دعـوة الإخوان المسلمين من هذا المزيج المركب كله؟

سيدعوني ذلك [إلى][2] أن نتكلم[3] في أمرين: أولهمـا: هيكـل دعوتنـا الإيجـابي المجرد، ثم بعد ذلك موقفها من كل نوع من أنواع هذه الدعوات.

---

(١) هذا التعبير خطأ لغوي شائع، والصواب: «اختصاصيون أو مختصون».

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) في النذير: «أتكلم».

ولا تؤاخذني بهذا الاستطراد في القول؛ فقد أخذت على نفسي أن أكتب كما أتحدث، وأن أتناول موضوعي بهذا اللون من ألوان الكتابة في غير تكلف ولا عناء، وإنما أريد أن يفهمني [القراء][1] كما أنا، ويصل كلامي إلى نفوسهم خاليًا من التزويق والتقسيم [والتفريع][2].

إسـلامنا:

اسمع يا أخي، هيكل دعوتنا أنها دعوة أجمع ما توصف به أنها دعوة (إسلامية)، ولهذه الكلمة معنى واسع غير ذلك المعنى الضيق الذي يفهمه الناس، [فإن الإسلام نعتقد أنه][3] معنى شامل ينتظم شئون الحياة جميعًا، ويفتي في كل شأن منها، ويضع له نظامًا محكمًا دقيقًا، ولا يقف مكتوفا أمام المشاكل الحيوية والنظم التي لا بد منها لإصلاح الناس. فهم بعض الناس خطأ أن الإسلام قاصر على ضروب من العبادات، أو أوضاع من الروحانيات، وحصروا أنفسهم وأفهامهم في هذه الدوائر الضيقة من دوائر الفهم المحصور.

ولكنا نفهم الإسلام على غير هذا الوجه: نفهمه فهمًا فسيحًا واسعًا ينتظم شئون الدنيا والآخرة، ولسنا ندعي هذا ادعاء، أو نتوسع فيه من أنفسنا، وإنما هو ما فهمناه من كتاب الله، وسيرة المسلمين الأولين، [والقرآن بيننا وبين قومنا، ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]][4].

فإن شاء القارئ أن يفهم دعوة الإخوان بشيء أوسع من كلمة «الإسلامية» فليمسك بمصحفه، وليجرد نفسه من الهوى والغاية، ثم يتفهم ما عليه القرآن فسيرى في ذلك دعوة الإخوان، [وسنتحدث بعد ذلك عن موقفنا من الدعوات الأخرى، والله المستعان][5].

* * *

(١) في النذير: «الناس».

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) في النذير: «فإنا نعتقد أن الإسلام».

(٤) ناقصة من النذير.

(٥) ناقصة من النذير.

(٣) دعـــوتنا[١]

[أجل][٢]: دعوتنا (إسلامية)، بكل ما تحتمل الكلمة من معان، فافهم فيها ما شئت بعد ذلك، وأنت في فهمك هذا مقيد بكتاب الله، وسنة رسوله، وسيرة السلف الصالحين من المسلمين، فأما كتاب الله فهو أساس الإسلام ودعامته، وأما سنة [رسوله][٣] فهي مبينة الكتاب وشارحته، وأما سيرة السلف الصالح فهم رضوان الله عليهم منفذو أوامره، والآخذون بتعاليمه، وهم المثل العملية، والصورة الماثلة لهذه الأوامر والتعاليم.

موقفنا من الدعوات:

وموقفنا من الدعوات المختلفة -التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار- أن نزنها بميزان دعوتنا، فما وافقها فمرحبًا به، وما خالفها فنحن براء منه، ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامة محيطة لا تغادر جزءًا صالحًا من أية دعوة إلا ألمت به وأشارت إليه.

الوطنية:

افتتن الناس بدعوة الوطنية تارة، والقومية تارة أخرى، وبخاصة في الشرق؛ حيث تشعر الشعوب الشرقية بإساءة الغرب إليها إساءة نالت من عزتها وكرامتها واستقلالها، وأخذت من مالها ومن دمها؛ حيث تتألم هذه الشعوب من هذا النير[٤] الغربي الذي فرض عليها فرضًا، فهي تحاول الخلاص منه بكل ما في [نفسها][٥] من قوة ومنعة وجهاد وجلاد، فانطلقت ألسن الزعماء، وسالت أنهار الصحف، وكتب الكاتبون، وخطب الخطباء، وهتف الهاتفون باسم الوطنية وجلال القومية.

حسن ذلك وجميل، ولكن غير الحسن وغير الجميل أنك حين تحاول إفهام الشعوب

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد الرابع، السنة الثالثة، ٤ صفر ١٣٥٤هـ- ٧ مايو ١٩٣٥م، ص(٣-٥، ١٩).

(٢) زيادة من النذير.

(٣) في النذير: «نبيه».

(٤) النير: الخشبة توضع على عنق الثور، أو عنقي الثورين المقرونين لجر المحراث أو غيره، وقد استعيرت الكلمة هنا لوصف الاحتلال. [المعجم الوجيز، ص(٦٤١)].

(٥) في النذير: «وسعها».

الشرقية -وهي مسلمة- أن ذلك في الإسلام بأوفى وأزكى وأسمى وأنبل مما هو في أفواه الغربيين وكتابات الأوروبيين أبوا ذلك عليك ولجوا في تقليدهم يعمهون[1]، وزعموا لك أن الإسلام في ناحية وهذه الفكرة في ناحية أخرى، وظن بعضهم أن ذلك مما يفرق وحدة الأمة، ويضعف رابطة الشعب.

هذا الوهم الخاطئ [بكلتا ناحيتيه][2] كان خطرًا على الشعوب الشرقية من كل الوجهات، وبهذا الوهم أحببت أن أعرض هنا إلى موقف الإخوان المسلمين ودعوتهم من فكرة الوطنية، ذلك[3] الموقف الذي ارتضوه لأنفسهم، والذي يريدون ويحاولون أن يرضاه الناس معهم.

وطنية الحنين:

إن كان دعاة الوطنية يريدون بها حب هذه الأرض وألفتها والحنين إليها والانعطاف نحوها، فذلك أمر مركوز في فطر النفوس من جهة، مأمور به في الإسلام من جهة أخرى، وإن بلالاً الذي ضحى بكل شيء في سبيل عقيدته ودينه هو بلال الذي كان يهتف في دار الهجرة بالحنين إلى مكة في أبيات تسيل رقة وتقطر حلاوة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر[4] وجليل[5]

وهل أردن يومًا مياه مجنة[6] ... وهل يبدون لي شامة وطفيل[7]

[وكان غيره من المهاجرين يقول:

---

(١) العَمَهُ: التردد في الضلالة، والتحير في منازعة أو طريق. وقيل: هو ألا يعرف الحجة. وقيل: هو تردده، لا يدري أين يتوجه. [المحكم والمحيط الأعظم، (١/ ٤١)].

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) في النذير: «وذلك».

(٤) الإذخِرُ بكسر الهمزة: حشيشة طيبة الرائحة تُسَقَّفُ بها البيوُت فوق الخشبِ. [أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير): النهاية في غريب الحديث والأثر، (١/ ٦٥)].

(٥) الجَلِيل: الثُّمام (حِجازيَّة): نبت ضعيف يحشى به خَصاص البيوت. [لسان العرب، (جلل)].

(٦) عند مر الظهران، قُربَ مَكَّة، وكانت سُوقًا في الجاهلية. وقال السكري: مجنة على أميال من مَكَّة. [الحازمي: الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، ص(١١٣)].

(٧) شامة وطفيل: هما جبلان مُشْرِفانِ قرب مكة، وقيل: عينان. والأول أكثر. [الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، ص(٦٧)، لسان العرب، (١٢/ ٣٢٩)].

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي الخزامى[1] حيث ربتني أهلي][2]

ولقد سمع رسول ﷺ وصف مكة من أصيل فجرى دمعه حنينًا إليها وقال: «يا أصيل، دع القلوب تقر»[3].

وطنية الحرية والعزة:

وإن كانوا يريدون أن من الواجب العمل بكل جهد في تحرير البلد من الغاصبين وتوفير استقلاله له، وغرس مبادئ العزة والحرية في نفوس أبنائه، فنحن معهم في ذلك أيضًا، وقد شدد الإسلام في ذلك أبلغ التشديد، فقال -تبارك وتعالى: ﴿وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، ويقول: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١].

وطنية المجتمع:

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد، وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم، فذلك نوافقهم فيه أيضًا، ويراه الإسلام فريضة لازمة، فيقول نبيه ﷺ: «وكونوا عباد الله إخوانًا»[4]، ويقول القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

[وطنية الفتح:

وإن كانوا يريدون بالوطنية فتح البلاد وسيادة الأرض فقد فرض ذلك الإسلام

---

(١) ذكره اليوسي في كتابه «زهر الأكم في الأمثال والحكم»، ص(١٥٣)، وذكر تكملة له، وهو:

بلادٌ بها نيطت علي تمائمي وقطعن عني حين أدركني عقلي

ووادي الخزامي: موضع.

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) أخرجه أبو الفتح الأزدي في «المخزون في علم الحديث»، ح(٨٥٨)، وأبو الشيخ في «العظمة»، ح(٧٢٩)، وابن أبي الدنيا في «المطر والرعد والبرق»، ح(٧٩).

(٤) سبق تخريجه.

ووجه الفاتحين إلى أفضل استعمار وأبرك فتح، فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾ [الأنفال: ٣٩]][1].

وطنية الحزبية:

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر، وتتضاغن، وتتراشق بالسباب، وتترامى بالتهم، ويكيد بعضها لبعض، وتتشيع لمناهج وضعية أملتها الأهواء، وشكلتها الغايات والأغراض، وفسرتها الأفهام وفق المصالح الشخصية، والعدو يستغل كل ذلك لمصلحته، ويزيد وقود هذه النار اشتعالاً، يفرقهم في الحق ويجمعهم على الباطل، ويحرم عليهم اتصال بعضهم ببعض وتعاون بعضهم مع بعض، ويحل لهم هذه الصلة به والالتفاف حوله، فلا يقصدون إلا داره، ولا يجتمعون إلا زواره، فتلك وطنية زائفة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس.

فها أنت قد رأيت أننا مع دعاة الوطنية، بل مع غلاتهم في كل معانيها الصالحة التي تعود بالخير على العباد والبلاد، وقد رأيت مع هذا أن تلك الدعوى الوطنية الطويلة العريضة لم تخرج عن أنها جزء من تعاليم الإسلام.

حدود وطنيتنا:

أما وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة، وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية، فكل بقعة فيها مسلم يقول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وطن عندنا له حرمته وقداسته وحبه والإخلاص له والجهاد في سبيل خيره، وكل المسلمين في هذه الأقطار الجغرافية أهلنا وإخواننا نهتم لهم ونشعر بشعورهم ونحس بإحساسهم.

ودعاة الوطنية فقط ليسوا كذلك، فلا يعنيهم إلا أمر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الأرض، ويظهر لك الفارق العملي فيما إذا أرادت أمة من الأمم أن تقوي نفسها على حساب غيرها فنحن لا نرضى ذلك على حساب أي قطر إسلامي، وإنما نطلب القوة لنا جميعًا، ودعاة الوطنية المجردة لا يرون [بذلك][2] بأسًا، ومن هنا تتفكك الروابط، وتضعف القوى، ويضرب

---

(١) زيادة من النذير.

(٢) في النذير: «في ذلك»

العدو بعضهم ببعض.

غاية وطنيتنا:

هذه واحدة[١]. والثانية أن الوطنيين فقط جل ما يقصدون إليه تخليص بلادهم، فإذا ما[٢] عملوا لتقويتها بعد ذلك ففي النواحي المادية، وفي سبيل المطامع المادية كما تفعل أوروبا الآن، أما نحن فنعتقد أن المسلم في عنقه أمانة عليه أن يبذل نفسه ودمه وماله في سبيل أدائها، تلك هي هداية البشر بنور الإسلام، ورفع علمه خفاقًا في كل ربوع الأرض، لا يبغي بذلك مالاً ولا جاهًا ولا سلطانًا على أحد ولا استعبادًا لشعب، وإنما يبغي وجه الله وحده، وإسعاد العالم بدينه، وإعلاء كلمته، وذلك ما حدا السلف[٣] الصالحين -رضوان الله عليهم- إلى هذه الفتوح القدسية التي أدهشت الدنيا، وأربت على كل ما عرف التاريخ من سرعة وعدل ونبل وفضل.

[أطلت عليك في هذا فأمللتك، وأشعر أن الموقف دقيق، والفوارق غير واضحة رغم هذا البيان المفصل، ولعلي إن أجملت لك وأوضحت فسأجمل لك في كلمتين: فاعلم أننا حين نعمل يحدونا إلى العمل إنفاذ أمر الله، وإعلاء كلمته، ورجاء رضوانه، وغيرنا إنما يعمل لعاطفة في نفسه حقيقية أو متكلفة، فنحن نألم كما يألمون، ونرجو من الله ما لا يرجون][٤].

وحدة:

وأحب [قبل أن أختم هذه الكلمة][٥] أن أنبهك إلى سقوط ذلك الزعم القائل: إن الجري على هذا المبدأ يمزق وحدة الأمة التي تتألف من عناصر دينية مختلفة، فإن الإسلام -وهو دين الوحدة والمساواة- كفل هذه الرابطة[٦] بين الجميع ما داموا متعاونين على الخير، ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، فمن أين يأتي التفريق إذًا؟

---

(١) في النذير «هذه هي واحدة».
(٢) زيادة من النذير.
(٣) في النذير: «بالسلف».
(٤) ناقصة من النذير.
(٥) ناقصة من النذير.
(٦) في النذير: «الروابط».

[وبعد: فحسبنا أن يعلم الناس عنا][1] أننا متفقون مع أشد الناس غلوًّا في الوطنية في حب الخير للبلاد، والجهاد في سبيل تخليصها وخيرها وارتقائها، ونعمل ونؤيد كل من يسعى في ذلك بإخلاص، [ذلك هو المهم العملي الآن، وإن كنا حين نعمل نرى ذلك فريضة إسلامية، ويراه فريضة وطنية، حتى إذا ما نجحت هذه الخطوة المشتركة بين الجميع كان هناك المجال واسعًا لغيرها من الخطوات][2].

***

---

(١) في النذير: «أفرأيت بعد هذا كيف».

(٢) هذه الفقرة ليست في النذير، ولكن الموجود فيها: «بل أحب أن تعلم أن مهمتهم إن كانت تنتهي بتحرير الوطن واسترداد مجده فإن ذلك عند الإخوان المسلمين بعض الطريق فقط أو مرحلة منه واحدة ويبقى بعد ذلك أن يعملوا لترفع راية الوطن الإسلامي على كل بقاع الأرض ويخفق لواء المصحف في كل مكان».

(٤) دعوتنا[١]

[وقفت بك عند موقفنا من فكرة الوطنية، وأبنت لك أننا في الوقت الذي نحنُّ فيه إلى هذا الوطن بفطرنا، ونستشعر حقه وواجبنا نحوه بقلوبنا وعواطفنا وشعورنا، نعتقد إلى جانب هذا أن المحافظة على كل شبر أرض من أرضه فريضة إسلامية يسألنا الله عنها بين يديه، وأبنت لك كذلك أننا نفهم هذا الوطن بأوسع حدوده؛ فكل شبر أرض فيه مسلم يقول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» من وطننا الذي تجب له هذه الحقوق، ويقتضينا هذه الواجبات][٢].

القومية:

وأنا[٣] الآن سأتحدث إليك عن موقفنا من مبدأ القومية:

قومية المجد:

فإن[٤] كان الذين يعتزون بمبدأ «القومية» يقصدون به أن الأخلاف يجب أن ينهجوا نهج الأسلاف في مراقي المجد والعظمة ومدارج النبوغ والهمة، وأن تكون لهم بهم في ذلك قدوة حسنة، وأن عظمة الأب مما يعتز به الابن ويجد لها الحماس والأريحية[٥] بدافع الصلة والوراثة، فهو مقصد حسن جميل نشجعه ونأخذ به، وهل عدتنا في إيقاظ همة الحاضرين إلا أن نحدوهم بأمجاد الماضين؟ ولعل الإشارة إلى هذا في قول رسول الله ﷺ ما معناه: «الناس معادن وخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد السادس، السنة الثالثة، ١٨ صفر ١٣٥٤هـ- ٢١ مايو ١٩٣٥م، ص(٣-٥).

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) ناقصة من النذير.

(٤) في النذير: «إن».

(٥) الأَرْيَحُ: الواسع من كل شيء. والأَرْيَحِيُّ: الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف. وأخذه لذلك أَرْيَحِيَّةٌ، أي: خفة وهشة. [المحكم والمحيط الأعظم، (ريح)].

فتهوا»[1]، فها أنت ترى أن الإسلام لا يمنع من القومية بهذا المعنى الفاضل النبيل.

قومية الأمة:

وإذا قصد بالقومية أن عشيرة الرجل وأمته أولى الناس بخيره وبره، وأحقهم بإحسانه وجهاده، فهو حق كذلك، ومن ذا الذي لا يرى أولى الناس بجهوده قومه الذين نشأ فيهم ونما بينهم؟

لعمري لرهط المرء خير بقية ... عليه وإن عالوا به كل مركب[2]

قومية التنظيم:

وإذا قصد بالقومية أننا جميعا مبتلون مطالبون بالعمل والجهاد، فعلى كل جماعة أن تحقق الغاية من جهتها حتى نلتقي [جميعًا][3] -إن شاء الله- في ساحة النصر فنعم التقسيم هذا، ومن لنا بمن يحدو الأمم الشرقية كتائب كتائب كل في ميدانها حتى تلتقي جميعًا في بجبوحة[4] الحرية والخلاص؟

كل هذا وأشباهه في معنى القومية جميل معجب لا يأباه الإسلام، «وهو مقياسنا»، بل ينفسح صدرنا له ونحض عليه.

قومية الجاهلية:

أما أن يراد بالقومية إحياء عادات جاهلية درست، وإقامة ذكريات بائدة خلت، وتعفية حضارة نافعة استقرت، والتحلل من عقدة الإسلام ورباطه بدعوى القومية

---

(١) أخرجه البخاري في «أحاديث الأنبياء»، باب: «قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾»، ح(٣١٣١)، ومواضع أخر، ومسلم في «فضائل الصحابة»، باب: «خيار الناس»، ح(٤٥٨٨) ومواضع أخر.

(٢) قاله خالد بن نَضْلة الجَحْواني الأَسَدِي، وهو من الطويل، وتكملته:

مِنَ الجانِبِ الأقصَى- وإنْ كانَ ذا نَدى ... كثيرٍ ولا يُنْبِيكَ مثلُ المجرِّبِ
إذا كنْتَ في قومٍ عِدًا لستَ مِنْهُمُ ... فكلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبيثٍ وَطَيِّبِ
فإنْ تَلْتَبِسْ بي خَيلُ دُودَانَ لا أَرِمْ ... وإن كنتُ ذا ذَنْبٍ وإن غَيْرَ مُذْنِبِ

(٣) ناقصة من النذير.

(٤) بَحْبَحَ الرَّجُلُ وتَبَحْبَحَ: إذا اتسع. والبَحْبَحَة: الاتساع. [جمهرة العرب، مادة (بحبح)].

والاعتزاز بالجنس، كما فعلت [تركيا مثلاً][١] في المغالاة بتحطيم مظاهر الإسلام والعروبة، حتى الأسماء وحروف الكتابة وألفاظ اللغة، وإحياء ما اندرس من عادات [طورانية][٢]، فذلك في القومية معنى ذميم وخيم العاقبة سيئ[٣] المغبة، يؤدي بالشرق إلى خسارة فادحة يضيع معها تراثه، وتنحط به منزلته، ويفقد أخص مميزاته وأقدس مظاهر شرفه ونبله وهو دين الإسلام، ولا يضر ذلك دين الله شيئًا، فـ﴿إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

قومية العدوان:

وأما أن يراد بالقومية الاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدي إلى انتقاص الأجناس الأخرى، والعدوان عليها، والتضحية بها في سبيل عزة أمة وبقائها، كما تنادي بذلك ألمانيا وإيطاليا مثلاً، بل كما تدعي كل أمة تنادي بأنها فوق الجميع. فهذا معنى ذميم كذلك ليس من الإنسانية في شيء، ومعناه: أن يتناحر الجنس البشري في سبيل وهم من الأوهام لا حقيقة له ولا خير فيه.

دعامتان:

الإخوان المسلمون لا يؤمنون بالقومية بهذه المعاني ولا بأشباهها، ولا يقولون: فرعونية وعربية وفينيقية[٤] وسورية، ولا شيئًا من هذه الألقاب والأسماء التي يتنابز[٥] بها الناس، ولكنهم يؤمنون بما قال رسول الله ﷺ الإنسان الكامل، بل أكمل معلم علم الإنسانية الخير: «إنَّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس لآدم وآدم

(١) في النذير: «بعض الدول».

(٢) في النذير: «جاهلية». والطورانية نسبة إلى طُورَانُ: بضم أوله وآخره نون. من قرى هراة الواقعة بخراسان، وكان يسكن بها الجنس التركي قبل هجرة آل عثمان الأتراك إلى آسيا الصغرى فيما يعرف بتركيا، وقد اتخذت الطورانية علمًا على القومية التركية.

(٣) في النذير: «وسيئ».

(٤) الفينيقيون: شعب سام انتقل من شبه الجزيرة العربية إلى الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، وهم من يطلق عليهم: «الكنعانيون»، وهم قوم أصحاب حضارة كانت لهم أساطيل بحرية تجارية كبيرة.

(٥) النَّبْز، بالفَتْح: مِثْلُ اللَّمْز. النَّبْز، مصدرُ نَبَزَه يَنْبِزه، إذا لَقَّبه. النَّبَز، بالتحريك: اللقَبُ والجَمعُ الأَنْبَاز، والتَّنابُز: التَّعايُر، وهو أن يُلقِّبَ بَعْضُهم بعضًا بما يُعيِّرُه به [تاج العروس، مادة (نبز)].

من تراب، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»[(١)].

ما أروع هذا وأجمله وأعدله! الناس لآدم فهم في ذلك أكفاء، والناس يتفاضلون بالأعمال، فواجبهم التنافس في الخير، دعامتان قويمتان قويتان لو بنيت عليهما[(٢)] الإنسانية لارتفعت بالبشر إلى علياء السموات، الناس لآدم فهم إخوان، فعليهم أن يتعاونوا، وأن يسالم بعضهم بعضًا، ويرحم بعضهم بعضًا، ويدل بعضهم بعضًا على الخير، والتفاضل بالأعمال. فعليهم أن يجتهدوا كل من ناحيته حتى ترقى الإنسانية، فهل رأيت سموًا بالإنسانية أعلى من هذا السمو، أو تربية أفضل من هذه التربية؟

خواص العروبة:

ولسنا مع هذا ننكر خواص الأمم ومميزاتها الخلقية، فنحن نعلم أن لكل شعب ميزته وقسطه من الفضيلة والخلق، ونعلم أن الشعوب في هذا تتفاوت وتتفاضل، ونعتقد أن العروبة لها من ذلك النصيب الأوفى الأوفر.

ولكن ليس معنى هذا أن تتخذ الشعوب هذه المزايا ذريعة إلى العدوان، بل عليها أن تتخذ ذلك وسيلة إلى تحقيق المهمة السابقة التي كلفها كل شعب، تلك هي النهوض بالإنسانية، ولعلك لست واجدًا في التاريخ من أدرك هذا المعنى من شعوب الأرض كما أدركته تلك الكتيبة العربية من صحابة رسول الله ﷺ.

هذا استطراد اقتضاه السير في البحث ولا أحب أن أتابعه حتى لا يشط بنا القول، ولكني أعود بك إلى ما نحن بسبيله [فأقول:][(٣)]

رباط العقيدة:

أما إذ عرفت هذا فاعلم -أيدك الله- أن الإخوان المسلمين يرون الناس بالنسبة إليهم قسمين:

قسم اعتقد ما اعتقدوه من دين الله وكتابه، وآمن ببعثة رسوله وما جاء به، وهؤلاء تربطنا بهم أقدس الروابط، رابطة العقيدة، وهي عندنا أقدس من رابطة الدم ورابطة

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة»، ح(٧١٣)، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة»، ح(١١٦٣).
(٢) في الأصل: «عليها».
(٣) ناقصة من النذير.

الأرض، فهؤلاء هم قومنا الأقربون الذين نحنّ إليهم، ونعمل في سبيلهم، ونذود عن حماهم، ونفتديهم بالنفس والمال في أي أرض كانوا، ومن أية سلالة انحدروا.

وقوم ليسوا كذلك ولم نرتبط معهم بعد بهذا الرباط، فهؤلاء نسالمهم ما سالموا، ونحب لهم الخير ما كفوا عدوانهم عنا، ونعتقد أن بيننا وبينهم رابطة هي رابطة الدعوة، علينا أن ندعوهم إلى ما نحن عليه؛ لأنه خير الإنسانية كلها، وأن نسلك إلى نجاح هذه الدعوة ما حدد لها الدين نفسه من سبل ووسائل، فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يرد به عدوان المعتدين.

أما إذا أردت ذلك من كتاب الله فاسمع:

١- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

٢- ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ [الممتحنة: ٨-٩].

ولعلي أكون بذلك قد كشفت لك عن هذه الناحية من دعوتنا بما لا يدعها في نفسك ملتبسة أو غامضة، ولعلك بعد ذلك عرفت إلى أي قبيل ينتسب الإخوان المسلمون.

* * *

(٥) دعوتنا(١)

أمام الخلافات الدينية:

أتحدث إليك الآن عن دعوتنا أما الخلافات الدينية والآراء المذهبية [بعد أن كشفت لك عن ماهية دعوتنا، وتحدثت إليك عنها مع القومية تارة، ومع الوطنية تارة أخرى](٢).

نجمع ولا نفرق:

فاعلم -فقهك الله- أولاً أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة عامة لا تنتسب إلى طائفة خاصة، ولا تنحاز إلى رأي عرف عند الناس بلون خاص، ومستلزمات وتوابع خاصة، وهي تتوجه إلى صميم الدين ولبه، وتود(٣) أن تتوحد وجهة الأنظار والهمم حتى يكون العمل أجدى، والإنتاج أعظم وأكبر، فدعوة الإخوان دعوة بيضاء نقية غير ملونة بلون، وهي مع الحق أينما كان، تحب الإجماع، وتكره الشذوذ، وإن أعظم ما مني به المسلمون الفرقة والخلاف، وأساس ما انتصروا به الحب والوحدة. ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، هذه قاعدة أساسية وهدف معلوم لكل أخ مسلم، وعقيدة راسخة في نفوسنا، نصدر عنها وندعو إليها.

الخلاف ضروري:

ونحن مع هذا نعتقد أن الخلاف في فروع الدين أمر لا بدَّ منه ضرورة، ولا يمكن أن نتحد في هذه الفروع والآراء والمذاهب لأسباب عدة:

منها: اختلاف العقول في قوة الاستنباط وضعفه، وإدراك الدلائل والجهل بها والغوص على أعماق المعاني، وارتباط الحقائق بعضها ببعض، والدين آيات وأحاديث ونصوص يفسرها العقل والرأي في حدود اللغة وقوانينها، والناس في ذلك جد متفاوتين فلا بد من خلاف.

ومنها: سعة العلم وضيقه، وأن هذا بلغه ما لم يبلغ ذاك والآخر شأنه كذلك، وقد

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد السابع، السنة الثالثة، ٢٥ صفر ١٣٥٤هـ- ٢٨ مايو ١٩٣٥م، ص(٣-٤، ١٠).

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) في النذير: «ونود».

قال مالك لأبي جعفر[1]: إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار وعند كل قوم علم، فإذا حملتهم على رأي واحد تكون فتنة. ومنها: اختلاف البيئات حتى إن التطبيق ليختلف باختلاف كل بيئة، وإنك لترى الإمام الشافعي ﷺ يفتي بالقديم في العراق ويفتي بالجديد في مصر، وهو في كليهما آخذ بما استبان له وما اتضح عنده لا يعدو أن يتحرى الحق في كليهما.

ومنها: اختلاف الاطمئنان القلبي إلى الرواية عند المتلقين لها، فبينا تجد هذا الراوي ثقة عند هذا الإمام تطمئن إليه نفسه وتطيب بالأخذ عنه، تراه مجروحًا عند غيره لما علم من حاله.

ومنها: اختلاف تقدير الدلالات؛ فهذا يعتبر عمل الناس مقدمًا على خبر الآحاد مثلاً، وذاك لا يقول معه به، وهكذا..

الإجماع على أمر فرعي متعذر:

كل هذه أسباب جعلتنا نعتقد أن الإجماع على أمر واحد في فروع الدين مطلب مستحيل، بل هو يتنافى مع طبيعة الدين نفسه[2]، وإنما يريد الله لهذا الدين أن يبقى ويخلد ويساير العصور، ويماشي الأزمان، وهو لهذا سهل مرن هين لين، لا جمود فيه ولا تشديد.

نعتذر لمخالفينا:

نعتقد هذا فنلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات، ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبدًا حائلاً دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير، وأن يشملنا [وإياهم][3] معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده، وأوسع مشتملاته، ألسنا

---

(١) المنصور العباسي [٩٥- ١٥٨هـ = ٧١٤- ٧٧٥م]: عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، المنصور: ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب، وهو والد الخلفاء العباسيين جميعا، ولد في الحميمة من أرض الشراة (قرب معان) وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ، وهو باني مدينة «بغداد» أمر بتخطيطها سنة ١٤٥هـ، وجعلها دار ملكه بدلا من «الهاشمية» التي بناها السفاح. توفي ببئر ميمون (من أرض مكة) محرما بالحج. ودفن في الحجون (بمكة) ومدة خلافته ٢٢ عامًا [الأعلام، (٤/ ١١٧)]، بتصرف.

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) في الإخوان: «وإياه».

مسلمين وهم مسلمون[١]؟ وألسنا نحب أن ننزل على [حكم][٢] اطمئنان نفوسنا وهم يحبون ذلك؟ أولسنا مطالبين بأن نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا؟ ففيم الخلاف إذن؟ ولماذا لا يكون رأينا مجالاً للنظر عندهم كرأيهم عندنا؟ ولماذا لا نتفاهم في جو من الصفاء والحب إذا كان هناك ما يدعو إلى التفاهم؟

هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ كان يخالف بعضهم بعضًا في الإفتاء، فهل أوقع ذلك اختلافًا بينهم في القلوب؟ وهل فرق وحدتهم وفرق رابطتهم؟ اللهم لا، [وما حديث صلاة العصر في قريظة ببعيد][٣].

وإذا كان هؤلاء قد اختلفوا وهم أقرب الناس عهدًا بالنبوة، وأعرفهم بقرائن الأحكام، فما بالنا نتناحر في خلافات تافهة لا خطر لها؟ وإذا كان الأئمة -وهم أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسوله- قد اختلف بعضهم على بعض، وناظر بعضهم بعضًا، فلم لا يسعنا ما وسعهم؟ وإذا كان الخلاف قد وقع في أشهر المسائل الفرعية وأوضحها كالأذان الذي ينادى به خمس مرات في اليوم الواحد، ووردت به النصوص والآثار، فما بالك في دقائق المسائل التي مرجعها إلى الرأي والاستنباط؟ [وَثَمَّ أمر آخر جدير بالنظر، إن الناس كانوا إذا اختلفوا رجعوا إلى (الخليفة) وشرطه الإمامة، فيقضي بينهم ويرفع حكمه الخلاف، أما الآن فأين الخليفة؟ وإذا كان الأمر كذلك فأولى بالمسلمين أن يبحثوا عن القاضي، ثم يعرضوا قضيتهم عليه، فإن اختلافهم من غير مرجع لا يردهم إلا إلى خلاف آخر][٤].

يعلم الإخوان المسلمون كل هذه الحيثيات، فهم لهذا أوسع الناس صدرًا مع مخالفيهم، ويرون أن مع كل قوم علمًا، وفي كل دعوة حقًّا وباطلاً، فهم يتحرون الحق

---

(١) في النذير: «كذلك».

(٢) ناقصة من الإخوان.

(٣) ناقصة من الإخوان، ويشير الإمام البنا لما أخرجه البخاري في «المغازي»، باب: «مَرْجَعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَحْزَابِ وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ»، ح(٤١١٩) من طريق ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ. إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ». فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ.

(٤) ناقصة من الإخوان.

ويأخذون به، ويحاولون في هوادة ورفق إقناع المخالفين بوجهة نظرهم. فإن اقتنعوا فذاك، وإن لم يقتنعوا فإخوان في الدين، نسأل الله لنا ولهم الهداية.

حاربوا المنكر:

وليعلم الإخوان المسلمون أن هناك ناحية اجتماعية هي أخطر النواحي على كيان هذا الدين، فحبذا لو وجهت جهود الدعاة من المسلمين إلى جمع الناس حول محاربة هذه النواحي الخطرة التي تهدد الدين من أساسه، والتي نحن جميعًا مجمعون على استنكارها ووجوب العمل لإزالتها.

ذلك منهاج الإخوان المسلمين أمام مخالفيهم في المسائل الفرعية في دين الله يمكن أن أجمله لك في أن الإخوان يجيزون الخلاف، ويكرهون التعصب للرأي، ويحاولون الوصول إلى الحق، ويحملون الناس على ذلك بألطف وسائل اللين والحب.

[بقي بعد هذا أن أتحدث إليك عن الأهداف التي نرمي إليها، ثم عن الوسائل التي أعددناها لإصابة هذه الأهداف، ولعلي لا أعدو بعد ذلك كلمة أو كلمتين -إن شاء الله، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

* * *

(٦) دعوتنا[١]

عرفت موقف الإخوان المسلمين من كل دعوة من الدعوات التي تهفو بقلوب الشرق وعقول أبنائه في هذه الأيام العصيبة، وقد قدمت لك أن دعوة الإخوان (إسلامية) بكل ما تحتمله هذه الكلمة الفخمة العظيمة الواسعة المعاني والمشتملات من نواح واتجاهات، وقد وعدتك أن أتكلم لك في كلمة أو كلمتين عن بقية ما قصدت إليه من الكشف عن غاية الإخوان ووسائلهم، وأرجو أن أوفق بذلك إلى إتمام هذه السلسلة البيانية، والله المستعان][٢].

إلى العلاج:

تشخيص:

يا أخي، أَعْلَمُ وَتَعْلَمُ أن مثل الأمم في قوتها وضعفها وشيخوختها وشبابها وصحتها وسقمها مثل الأفراد سواء بسواء، فالفرد بينا تراه قويًّا معافى صحيحًا سليمًا، إذا بك تراه قد انتابته العلل، وأحاطت به الأسقام، وهدّت من بنيته القوية الأمراض والآلام، ولا يزال يشكو ويئن حتى تتداركه رحمة الله -تبارك وتعالى- بطبيب ماهر ونطاسي بارع يعلم موطن العلة ويحسن تشخيصها، ويتعرف موضع الداء ويخلص في علاجه، فإذا بك بعد حين ترى هذا المريض وقد عادت إليه قوته ورجعت له[٣] صحته، وربما كان بعد هذا العلاج خيرًا منه قبله.

قل مثل ذلك في الأمم تمامًا، تعترضها حوادث الزمن بما يهدد كيانها، ويصدع بنيانها، ويسري في مظاهر قوتها سريان الداء، ولا يزال يلح عليها ويتشبث بها حتى ينال منها فتبدو هزيلة ضعيفة يطمع فيها الطامعون، وينال منها الغاصبون، فلا تقوى على رد غاصب، ولا تمنع من مطامع[٤] طامح، وعلاجها إنما يكون بأمور ثلاثة: معرفة موطن الداء، والصبر على آلام العلاج، والنطاسي الذي يتولى ذلك حتى يحقق الله على يديه

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد الثامن، السنة الثالثة، ٤ ربيع الأول ١٣٥٤هـ- ٤ يونيو ١٩٣٥م، ص(٣-٤).

(٢) ناقصة من النذير.

(٣) في النذير: «إليه».

(٤) في النذير: «مطامح».

الغاية ويتمم الشفاء والظفر.

الأعراض:

وقد علمتنا التجارب وعرفتنا الحوادث أن داء هذه الأمم الشرقية متشعب المناحي كثير الأعراض قد نال من كل مظاهر حياتها، فهي مصابة في ناحيتها السياسية بالاستعمار من جانب أعدائها، والحزبية والخصومة والفرقة والشتات من جانب أبنائها.

وفي ناحيتها الاقتصادية بانتشار الربا بين كل طبقاتها، واستيلاء الشركات الأجنبية على مواردها وخيراتها.

ومن ناحيتها الفكرية بالفوضى والمروق، والإلحاد يهدم عقائدها ويحطم المثل العليا في نفوس أبنائها.

وفي ناحيتها الاجتماعية بالإباحية في عاداتها وأخلاقها والتحلل من عقدة الفضائل التي ورثتها عن الغر الميامين من أسلافها، وبالتقليد الغربي يسري في شئونها سريان لعاب الأفاعي فيسمم دماءها، ويعكر صفو [هناءتها][1]، وبالقوانين الوضعية التي لا تزجر مجرمًا، ولا تؤدب معتديًا، ولا ترد ظالمًا، ولا تغني يومًا من الأيام غناء القوانين السماوية التي وضعها خالق الخلق، ومالك الملك، ورب النفوس وبارئها.

وبفوضى في سياسة التعليم والتربية تحول دون التوجيه الصحيح لنشئها ورجال مستقبلها وحملة أمانة النهوض بها.

وفي ناحيتها النفسانية بيأس قاتل، وخمول مميت، وجبن فاضح، وذلة حقيرة، وخنوثة فاشية، وشح وأنانية تكف الأيدي عن البذل وتقف حجابًا دون التضحية، وتخرج الأمة من صفوف المجاهدين إلى اللاهين اللاعبين.

وماذا ترجو من أمة اجتمعت على غزوها كل هذه العوامل بأقوى مظاهرها، وأشد أغراضها: الاستعمار، والحزبية، والربا، والشركات الأجنبية، والإلحاد، والإباحية، وفوضى التعليم، والتشريع، واليأس، والشح، والخنوثة، والجبن، والإعجاب بالخصم إعجابًا يدعو إلى تقليده في كل ما صدر عنه، وبخاصة من سيئات أعماله.

---

(١) في النذير: «هنائها».

إن داء واحدًا من هذه الأدواء يكفي لقتل أمم متظاهرة، فكيف وقد تفشت جميعًا في كل أمة على حدة؟ لولا مناعة وحصانة وجلادة وشدة في هذه الأمم الشرقية التي جاذبها خصومها حبل العداء من بعيد، ودأبوا على تلقيحها بجراثيم هذه الأمراض زمنًا طـويلاً حتى باضت وأفرخت، لولا ذلك لعفت آثارها، ولبادت مـن الوجـود، ولكـن يـأبى الله ذلك والمؤمنون.

يا أخي:

هذا هو التشخيص الذي يلمسه الإخوان المسلمون في أمراض هذه الأمة، وهذا هـو الذي يعملون في سبيل أن يبرئها الله منه، ويعيد إليها ما فقدت من صحة وشـباب، [أمـا الوسيلة إلى التحقيق -وهي خاتمة هذه الكلمات- فموعدنا العدد القادم -إن شاء الله.

* * *

(٧) دعوتنا[(١)]

انتهيت من كلمتي السابقة إلى تشخيص الداء العضال الذي جثم على صدر الأمة الإسلامية قرونًا عدة، فضايق أنفاسها، وحرمها نسيم القوة، وحال بينها وبين النهوض أمدًا طويلاً، وأبنت لك أن من أظهر مظاهر أعراض هذا الداء: الاستعمار، والحزبية، والربا، والشركات الأجنبية، والإلحاد، والإباحية، وفوضى التعليم والتشريع، واليأس، والشح، والخنوثة، والجبن، والإعجاب بالخصم إعجابًا يدعو إلى تقليده تقليدًا أعمى.

وقد علمت أن كل واحد من هذه الأعراض يكفي لإفساد أمم متضافرة، فكيف إذا تضافرت هذه الأعراض جميعًا في كل أمة على حدة؟

ووقفت عند الوسيلة لعلاج الأمم الشرقية، وإنقاذها من هذا الكابوس الثقيل الظل الوخيم الأثر][(٢)].

أمل وشعور:

وأحب أن تعلم -يا أخي- قبل أن أتحدث لك عن هذه الوسيلة أننا لسنا يائسين من أنفسنا، وأنا نؤمل خيرًا كثيرًا، ونعتقد أنه لا يحول بيننا وبين النجاح إلا هذا اليأس، فإذا قوي الأمل في نفوسنا فسنصل إلى خير كثير -إن شاء الله، لهذا نحن لسنا يائسين ولا يتطرق اليأس إلى قلوبنا والحمد لله.

وكل ما حولنا يبشر بالأمل رغم تشاؤم المتشائمين، إنك إذا دخلت على مريض فوجدته تدرج من كلام إلى صمت ومن حركة إلى سكون شعرت بقرب نهايته وعسر شفائه واستفحال دائه، فإذا انعكس الأمر وأخذ يتدرج من صمت إلى كلام ومن همود إلى حركة شعرت بقرب شفائه وتقدمه في طريق الصحة والعافية.

ولقد أتى على هذه الأمم الشرقية حين من الدهر جمدت فيه حتى ملها الجمود، وسكنت حتى أعياها السكون، ولكنها الآن تغلي غليانًا بيقظة شاملة في كل مناحي الحياة، وتضطرم اضطرامًا بالمشاعر الحية القوية والأحاسيس العنيفة. ولولا ثقل القيود من جهة والفوضى في

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد العاشر، السنة الثالثة، ١٧ ربيع الأول ١٣٥٤هـ- ١٨ يونيو ١٩٣٥م، ص(٣-٤).

(٢) ناقصة من النذير.

التوجه من جهة أخرى لكان لهذه اليقظة أروع الآثار، ولن تظل هذه القيود قيودًا أبد الدهر فإنما الدهرُ قُلَّبٌ[١]، وما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال[٢]، ولن يظل الحائر حائرًا فإنما بعد الحيرة هدى، وبعد الفوضى استقرار، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

لهذا لسنا يائسين أبدًا، وآيات الله -تبارك وتعالى- وأحاديث رسوله ﷺ وسنته تعالى في تربية الأمم وإنهاض الشعوب بعد أن تشرف على الفناء، وما قصه علينا من ذلك في كتابه، كل ذلك ينادينا بالأمل الواسع، ويرشدنا إلى طريق النهوض الصحيح، ولقد علم المسلمون -لو يتعلمون.

وإنك لتقرأ الآية الكريمة في أول سورة القصص: ﴿طسم ۞ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ١-٦].

تقرأ هذه الآية الكريمة فترى كيف يطغى الباطل في صولته[٣]، ويعتز بقوته، ويطمئن إلى جبروته، ويغفل عن عين الحق التي ترقبه، حتى إذا فرح بما أوتي أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وأبت إرادة الله إلا أن تنتصر للمظلومين وتأخذ بناصر المهضومين المستضعفين، فإذا الباطل منهار من أساسه، وإذا الحق قائم البنيان متين الأركان، وإذا أهله هم الغالبون، وليس بعد هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الكتاب المحكم عذر في اليأس والقنوط لأمة من أمم الإسلام تؤمن بالله ورسوله وكتابه. فمتى يتفقه المسلمون في كتاب الله؟

لمثل هذا يا أخي -وهو كثير في دين الله- لم ييأس الإخوان المسلمون من أن ينزل نصر الله على هذه الأمم رغم ما يبدو أمامها من عقابيل[٤]، وعلى ضوء هذا الأمل يعملون عمل الآمل المجد، والله المستعان.

---

(١) أي: كثير التقلب والتغير.

(٢) يقتبس الإمام البنا ذلك الكلام من قول الطغرائي من بحر البسيط:

فبينَ غفوةِ عينٍ وانتباهتِها ... يُقلِّبُ الدهرُ من حالٍ إلى حالِ

(٣) رجل ذو صَوْلَة، إذا كان ذا سُلطان. وصالَ عليه، إذا استطال. [الصحاح، (صول)].

(٤) في النذير: «عقبات»، والعَقابيلُ: الشدائد من الأُمور. [لسان العرب، مادة (عقبل)].

أما الوسيلة التي وعدتك الكلام عليها فهي أركان ثلاثة تدور عليها فكرة الإخوان:

أولاً: المنهاج الصحيح: وقد وجده الإخوان في كتاب الله، وسنة رسوله، وأحكام الإسلام حين يفهمها المسلمون على وجهها غضة نقية بعيدة عن الدخائل والمفتريات، فعكفوا على دراسة الإسلام على هذا الأساس دراسة سهلة واضحة[١] مستوعبة.

وثانيها: العاملون المؤمنون: ولهذا أخذ الإخوان أنفسهم بتطبيق ما فهموه من دين الله تطبيقًا لا هوادة فيه ولا لين، وهم بحمد الله مؤمنون بفكرتهم، مطمئنون إلى غايتهم، واثقون بتأييد الله إياهم ما داموا له يعملون، وعلى هدي رسوله ﷺ يسيرون.

وثالثها: القيادة الحازمة الموثوق بها: وقد وجدها الإخوان المسلمون كذلك، فهم لها مطيعون، وتحت لوائها يعملون.

ذلك -يا أخي- مجمل ما أردت أن أتحدث إليك به عن دعوتنا، وهو تعبير له تعبير[٢]، وأنت يوسف هذه الأحلام، فإذا راقك ما نحن عليه فيدك مع أيدينا لنعمل سويًّا في هذا السبيل، والله ولي توفيقنا وتوفيقك وهو حسبنا ونعم الوكيل، فنعم المولى ونعم النصير. [والله أكبر ولله الحمد][٣].

* * *

---

(١) في النذير: «واسعة».

(٢) عَبَرْتُ الرؤيا أَعْبُرُها عِبارَةً: فَسَّرتها. [الصحاح، مادة (عبر)].

(٣) زيادة من النذير.


النادي الشبابي

رسالة
نحو النور

رجب الفرد ١٣٥٥هـ - أكتوبر ١٩٣٦م

تقـديم

من مبادئ دعوة الإخوان المسلمين تقديم النصيحة وشرح الدعوة للكافة، وأولى هؤلاء بالنصح الحكام عملاً بقول رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم: «الدين النصيحة». قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[1]، وعلى ذلك أرسل الإمام البنا هذه الرسالة إلى الحكام والملوك يوضح لهم حال الأمة، وضرورة النهوض بها على أساس من الكتاب والسنة.

وقد صدرت هذه الرسالة عن لجنة نشر رسائل الإخوان المسلمين بالمركز العام في رجب ١٣٥٥هـ الموافق أكتوبر ١٩٣٦م، وأعادت النذير نشرها مرة أخرى في العدد (٣٦) من السنة الثانية الصادر بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٥٨هـ الموافق ٣١ أكتوبر ١٩٣٩م، وقد اعتمدنا في توثيق تلك الرسالة على المصدرين.

* * *

(١) أخرجه مسلم في «الإيمان»، باب: «بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ»، ح(٨٢).

نحو النور[(١)]

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

القاهرة عاصمة الديار المصرية في رجب الفرد ١٣٥٥هـ[(٢)]

---

(١) مجلة النذير، العدد (٣٦)، السنة الثانية، ١٧ رمضان ١٣٥٨هـ- ٣١ أكتوبر ١٩٣٩م، ص(٣-١٨).

(٢) أخذت جميع طبعات الرسائل بأن تاريخ هذه الرسالة هو سنة ١٣٦٦هـ، اعتمادًا على كتيبات كانت معنية بنشر رسائل الإخوان المسلمين، ففي عام ١٣٦٦هـ الموافق ١٩٤٧م قامت لجنة نشر رسائل الإخوان المسلمين بالمركز العام بطبع كتيب بعنوان: «الرسائل الثلاث: ١- دعوتنا ٢- إلى أي شيء ندعو الناس ٣- نحو النور»، وكان ضمن سلسلة عنوانها: «من رسائل الإخوان المسلمين».

وقد قدمت لجنة النشر لهذه الرسالة بقولها: «في رجب من سنة ١٣٥٥ الهجرية بعث الأستاذ المرشد العام للإخوان المسلمين بهذا الخطاب إلى حضرة صاحب الجلالة (الملك فاروق) الأول ملك مصر، وإلى حضرة صاحب المقام الرفيع (مصطفى النحاس باشا) رئيس حكومتها حينذاك، وإلى حضرات أصحاب الجلالة والسمو ملوك وأمراء وحكام بلدان العالم الإسلامي المختلفة، كما بعث به كذلك إلى عدد عظيم من كبار البارزين في هذه البلدان من ذوي الصفات الدينية والدنيوية، وها نحن أولاء نعيد طبعه وتوزيعه الآن للمرة الخامسة، فلا زالت كثير من النظريات التي تضمنها والتوجيهات التي اشتمل عليها أمنية عزيزة لكل عربي ولكل مسلم نسأل الله تحقيقها».

ورغم ذلك فإنها غيرت في تاريخ الرسالة الداخلي فجاء فيها: «القاهرة عاصمة الديار المصرية في رجب الفرد ١٣٦٦هـ».

ثم زاد الخطأ في طبعة تالية تحت نفس العنوان: «الرسائل الثلاث» نشرتها دار الكتاب العربي بمصر في بداية الخمسينيات من القرن الماضي، ونقلت نفس المقدمة السابقة مع بعض الحذف، وغيرت تاريخ الخطاب فقالت: «في رجب من سنة ١٣٦٦ الهجرية بعث الإمام الشهيد حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين بهذا الخطاب إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان، وإلى حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس حكومتها حينذاك، وإلى حضرات أصحاب الجلالة والسمو ملوك وأمراء وحكام بلدان العالم الإسلامي المختلفة، كما بعث به كذلك إلى عدد عظيم من كبار البارزين في هذه البلدان من ذوي الصفات الدينية والدنيوية، وها نحن أولاء نعيد طبعه وتوزيعه الآن، فلا زالت كثير من النظريات التي تضمنها والتوجيهات التي اشتمل عليها أمنية عزيزة لكل عربي ولكل مسلم، نسأل الله تحقيقها».

فهي هنا غيرت في المقدمة التي نقلتها عن الطبعة السابقة، وكذلك أبقت على الخطأ في متن الخطاب وهو «القاهرة عاصمة الديار المصرية في رجب الفرد ١٣٦٦هـ».

حضرة صاحب...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد...

فإنما حملنا على التقدم بهذه الرسالة إلى مقامكم الرفيع رغبة أكيدة في توجيه الأمة التي استرعاكم الله أمرها، ووكل إليكم شأنها في «عهدها الجديد»، توجيها صالحا يقيمها على أفضل المسالك، ويرسم لها خير المناهج، ويجنبها التجارب المؤلمة الطويلة، ويقيها التزلزل والاضطراب.

ولسنا نبغي من وراء ذلك شيئًا إلا أن نكون قد أدينا الواجب وتقدمنا بالنصيحة. وثواب الله خير وأبقى.

تبعة الراعي:

يا صاحب:

إنَّ الله وكل إليكم أمر هذه الأمة، وجعل مصالحها وشئونها وحاضرها ومستقبلها أمانة لديكم ووديعة عندكم، وأنتم مسئولون عن ذلك كله بين يدي الله تبارك وتعالى، ولئن كان الجيل الحاضر عدتكم، فإن الجيل الآتي من غرسكم، وما أعظمها أمانة وأكبرها تبعة أن يسأل الرجل عن أمة: «وكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»[(١)].

وقديمًا قال الإمام العادل: «لو عثرت بغلة بالعراق لرأيتني مسئولاً عنها بين يدي الله تبارك وتعالى لِمَ لَم أسوّ لها الطريق؟».

وصوَّر الإمام عمر بن الخطاب عظيم التبعة في جملة فقال: «لوددت أن أخرج منها كفافًا لا لي ولا علي»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في «الْجُمُعَةِ»، باب: «الْجُمُعَةِ فِي الْقُرَى وَالْمُدُنِ»، ح(٨٤٤)، ومواضع أخر، ومسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «فَضِيلَةِ الإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثُّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ»، ح(٣٤٠٨).

(٢) انظر: المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص(١٩١).

مقدمـــات:

(أ) عهد الانتقال:

وإن أخطر العهود في حياة الأمم وأولاها بتدقيق النظر عهد الانتقال من حال إلى حال، إذ توضع مناهج العهد الجديد وترسم خططه وقواعده التي يراد تنشئة الأمة عليها والتزامها إياها، فإذا كانت هذه الخطط والقواعد والمناهج واضحة صالحة قويمة فبشر هذه الأمة بحياة طويلة مديدة وأعمال جليلة مجيدة، وبشر قادتها إلى هذا الفوز، وأدلتها في هذا الخير بعظيم الأجر وخلود الذكر وإنصاف التاريخ وحسن الأحدوثة.

(ب) على مفترق طريقين:

ولقد كانت المهمة ذات شطرين:

أولهما: تخليص الأمة من قيودها السياسية حتى تنال حريتها، ويرجع إليها ما فقدت من استقلالها وسيادتها.

وثانيهما: بناؤها من جديد لتسلك طريقها بين الأمم، وتنافس غيرها في درجات الكمال الاجتماعي.

والآن وقد وضع النضال السياسي أوزاره إلى حين، وأصبحتم تستقبلون بالأمة عهدا جديدا، فإنكم سترون أمامكم طريقين، كل منهما يهيب بكم أن توجهوا الأمة وجهته وتسلكوا بها سبيله، ولكل منهما خواصه ومميزاته وآثاره ونتائجه ودعاته ومروجوه. فأما الأول فطريق الإسلام وأصوله وقواعده وحضارته ومدنيته، وأما الثاني فطريق الغرب ومظاهر حياته ونظمها ومناهجها.

وعقيدتنا: أن الطريق الأول طريق الإسلام وقواعده وأصوله هو الطريق الوحيد الذي يجب أن يسلك وأن توجه إليه الأمة في كل شئونها، وأن الطريق الثاني أخطر شيء على حياة الأمة الحاضرة والمستقبلة.

(ج) مزايا التوجيه الإسلامي:

وإننا إذا سلكنا بالأمة هذا المسلك استطعنا أن نحصل على فوائد كثيرة؛ منها أن المنهاج الإسلامي قد جرب من قبل وشهد التاريخ بصلاحيته، وأخرج للناس أمة من أقوى الأمم وأفضلها وأرحمها وأبرها وأبركها على الإنسانية جميعًا؛ وله من قدسيته

واستقراره في نفوس الناس ما يسهل على الجميع تناوله وفقهه والاستجابة له والسير عليه متى وجهوا إليه، فضلاً عن الاعتزاز بالقومية والإشادة بالوطنية الخالصة، إذ إننا نبني حياتنا على قواعدنا وأصولنا ولا نأخذ عن غيرنا، وفي ذلك أفضل معاني الاستقلال الاجتماعي والحيوي بعد الاستقلال السياسي.

وفي السير على هذا المنهاج تقوية للوحدة العربية أولاً، ثم للوحدة الإسلامية ثانيًا، فيمدنا العالم الإسلامي كله بروحه وشعوره وعطفه وتأييده، ويرى فينا إخوة ينجدهم وينجدونه ويمدهم ويمدونه، وفي ذلك ربح أدبي كبير لا يزهد فيه عاقل.

وهذا المنهاج تام شامل، كفيل بتقرير أفضل النظم للحياة العامة في الأمة عملية وروحية. وهذه هي الميزة التي يمتاز بها الإسلام، فهو يضع نظم الحياة للأمم على أساسين مهمين: أخذ الصالح وتجنب الضار.

فإذا سلكنا هذا السبيل استطعنا أن نتجنب المشاكل[1] الحيوية التي وقعت فيها الدول الأخرى التي لم تعرف هذا الطريق ولم تسلكه، بل استطعنا أن نحل كثيرًا من المشاكل المعقدة التي عجزت عن حلها النظم الحالية، وإنا نذكر هنا كلمة برنارد شو: «ما أشد حاجة العالم في عصره الحديث إلى رجل (كمحمد) يحل مشاكله القائمة المعقدة بينما يتناول فنجانًا من القهوة».

وبعد ذلك كله، فإننا إذا سلكنا هذه السبيل، كان تأييد الله من ورائنا، يقوينا عند الوهن، وينقذنا في الشدائد، ويهون علينا المشاق، ويهيب بنا دائمًا إلى الأمام: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

(د) المدنية الغربية الآن:

ومن تمام هذا البحث أن نقول: إن مدنية الغرب، التي زهت بجمالها العلمي حينًا من الدهر، وأخضعت العالم كله بنتائج هذا العلم لدوله وأممه، هي الآن تفلس وتندحر، وتندك أصولها، وتنهدم نظمها وقواعدها، فهذه أصولها السياسية تقوضها الدكتاتوريات، وأصولها الاقتصادية تجتاحها الأزمات، ويشهد ضدها ملايين البائسين من العاطلين

---

(١) في الكتيب: «المشكلات».

والجائعين، وأصولها الاجتماعية تقضي عليها المبادئ الشاذة والثورات المندلعة في كل مكان، وقد حار القوم في علاج شأنها وضلوا السبيل، مؤتمراتهم تفشل، ومعاهداتهم تخرق، ومواثيقهم تمزق، وعصبة أممهم شبح لا روح فيه ولا نفوذ له، ويد العظيم فيهم توقع مع غيره ميثاق السلام والطمأنينة في ناحية، بينما تلطمه الثانية في ناحية أخرى أقسى اللطمات، وهكذا أصبح العالم -بفضل هذه السياسات الجائرة الطامعة- سفينة في وسط اليم، حار ربانها، وهبت عليها العواصف من كل مكان. الإنسانية كلها معذبة شقية قلقة مضطربة، وقد اكتوت بنيران المطامع والمادة، فهي في أشد الحاجة إلى عذب من سؤر[1] الإسلام الحنيف يغسل عنها أوضار الشقاء ويأخذ بها إلى السعادة.

لقد كانت قيادة الدنيا في وقت «ما» شرقية بحتة، ثم صارت بعد ظهور اليونان والرومان غربية، ثم نقلتها النبوات الموسوية والعيسوية والمحمدية إلى الشرق مرة ثانية، ثم غفا الشرق غفوته الكبرى، ونهض الغرب نهضته الحديثة، فكانت سنة الله التي لا تتخلف، وورث الغرب القيادة العالمية، وها هو الغرب يظلم ويجور ويطغى ويحار ويتخبط، فلم يبق إلا أن تمتد يد «شرقية» قوية، يظللها لواء الله، وتخفق على رأسها راية القرآن، ويمدها جند الإيمان القوي المتين، فإذا بالدنيا مسلمة هانئة، وإذا بالعوالم كلها هاتفة: ﴿الْحَمْدُ لله الذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ليس ذلك من الخيال في شيء، بل هو حكم التاريخ الصادق، إن لم يتحقق بنا، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

بيد أننا نحرص على أن نكون ممن يحوزون هذه الفضيلة، ويكتبون في ديوان هذا الشرف، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

الإسلام كفيل بإمداد الأمة الناهضة بما تحتاج إليه:

ليس في الدنيا نظام يمد الأمة الناهضة بما تحتاج إليه من نظم وقواعد وعواطف ومشاعر كما يمد الإسلام بذلك كله أممه الناهضة، ولقد امتلأ القرآن الكريم بتصوير هذه الناحية خاصة، وضرب الأمثال فيها بالإجمال تارة وبالتفصيل تارة أخرى، وعالج هذه

---

(١) السُّؤْرُ، بالضَّمّ: البَقِيَّةُ من كلّ شيْءٍ، والفَضْلَةُ. [تاج العروس، مادة (سأر) و(حضج)].

النواحي علاجًا دقيقًا واضحًا، لا تأخذ به أمة حتى تصل إلى ما تريد.

أ -الإسلام والأمل:

تحتاج الأمة الناهضة إلى الأمل الواسع الفسيح، وقد أمد القرآن أممه بهذا الشعور بأسلوب يخلق من الأمة الميتة أمة كلها حياة وهمة وأمل وعزم، وحسبك أنه يجعل اليأس سبيلاً إلى الكفر والقنوط من مظاهر الضلال، وإن أضعف الأمم إذا سمعت قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: ٥-٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤٠].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الذي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ الله فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر:٢].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ الله أَلا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

إنَّ أضعف الأمم إذا سمعت هذا التبشير كله، وقرأت ما إليه من قصص تطبيقية واقعية، لابد أن تخرج بعد ذلك أقوى الأمم إيمانًا وأرواحًا، ولابد أن ترى في هذا الأمل ما يدفعها إلى اقتحام المصاعب مهما اشتدت، ومقارعة الحوادث مهما عظمت، حتى تظفر بما تصبو إليه من كمال.

ب - الإسلام والعزة القومية:

وتحتاج الأمم الناهضة إلى الاعتزاز بقوميتها كأمة فاضلة مجيدة لها مزاياها وتاريخها، حتى تنطبع الصورة في نفوس الأبناء، فيفدون ذلك المجد والشرف بدمائهم وأرواحهم، ويعملون لخير هذا الوطن وإعزازه وإسعاده.

هذا المعنى لن تراه[1] واضحًا في نظام من النظم عادلاً فاضلاً رحيمًا كما هو في الإسلام الحنيف، فإن الأمة التي تعلم أن كرامتها وشرفها قد قدسه الله في سابق علمه وسجله في محكم كتابه فقال تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، لهي أجدر الأمم بافتداء عزتها الربانية بالدنيا وما فيها.

ولقد عملت الأمم الحديثة على ترسيخ هذا المعنى في نفوس شبابها ورجالها وأبنائها جميعا، ومن هنا سمعنا: «ألمانيا فوق الجميع»، و«إيطاليا فوق الجميع»، «وسودي يا بريطانيا واحكمي». ولكن الفارق بين الشعور الذي يمليه المبدأ الإسلامي وبين الشعور الذي أملته هذه الكلمات والمبادئ، أن شعور المسلم يتسامى حتى يتصل بالله، على حين ينقطع شعور غيره عند حد القول[2] فقط هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإسلام حدد[3] الغاية من خلق هذا الشعور وشدد في التزامها، وبين أنها ليست العصبية الجنسية والفخر الكاذب بل قيادة العالم إلى الخير، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومعنى ذلك مناصرة الفضيلة، ومقارعة الرذيلة، واحترام المثل الأعلى وملاحظته عند كل عمل. ولهذا أنتج الشعور بهذه السيادة في السلف المسلم منتهى ما أثر عن الأمم من عدالة ورحمة، أما مبدأ السيادة في نفس الأمم الغربية فلم يحدد غايته بغير العصبية الخاطئة، ولهذا أنتج التناحر والعدوان على الأمم الضعيفة، فكأن المبدأ الإسلامي أخذ خير ما في هذه الناحية، وأراد أن ينطبع بذلك أبناؤه، وجنبهم ما فيها من شر وطغيان، ولقد وسع الإسلام حدود الوطن الإسلامي، وأوصى بالعمل لخيره، والتضحية في سبيل حريته وعزته؛ فالوطن في عرف الإسلام يشمل:

١- القطر الخاص أولاً.

٢- ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية الأخرى فكلها للمسلم وطن ودار.

---

(١) في الكتيب: «نراه».
(٢) في الكتيب: «والقول».
(٣) في الكتيب: «حذر».

٣- ثم يرقى إلى الإمبراطورية الإسلامية الأولى التي شادها الأسلاف بدمائهم الغالية العزيزة فرفعوا عليها راية الله، ولا تزال آثارهم فيها تنطق بما كان لهم من فضل ومجد، فكل هذه الأقاليم يُسأل المسلم بين يدي الله تبارك وتعالى: لماذا لم يعمل على استعادتها؟

٤- ثم يسمو وطن المسلم بعد ذلك كله حتى يشمل الدنيا جميعًا، ألست تسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾ [الأنفال: ٣٩].

وبذلك يكون الإسلام قد وفق بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة بما فيه الخير كل الخير للإنسانية جميعًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

ج -الإسلام والقوة الجندية:

وتحتاج كذلك الأمم الناهضة إلى القوة وطبع أبنائها بطابع الجندية، ولاسيما في هذه العصور التي لا يضمن فيها السلم إلا بالاستعداد للحرب، والتي صار شعار أبنائها جميعًا: «القوة أضمن طريق لإحقاق الحق».

والإسلام لم يغفل هذه الناحية، بل جعلها فريضة محكمة من فرائضه، ولم يفرق بينها وبين الصلاة والصوم في شيء، وليس في الدنيا كلها نظام عني بهذه الناحية -لا في القديم ولا في الحديث- كما عني بذلك الإسلام في القرآن وفي حديث الرسول[1] ﷺ وسيرته، وإنك لترى ذلك ماثلا واضحا في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وفي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وهل رأيت منشورًا عسكريًا في كتاب مقدس يتلى في الصلاة والذكر والعبادة والمناجاة كهذا المنشور الذي يبتدئ بالأمر المنجز في قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾، ثم يبين الجزاء بعد ذلك: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

(١) في الكتيب: «رسول الله».

ثم يتلو ذلك باستثارة أنبل العواطف في النفوس وهي استنقاذ الأهل والوطن فيقول: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

ثم يوضح لهم شرف غايتهم ودناءة غاية عدوهم، ليبيّن لهم أنهم يجودون بثمن غال -هو الحياة- على سلعة غالية تستحقه وتربي عليه وهي رضوان الله، على حين يقاتل غيرهم لغير غاية، فهم أضعف نفوسًا وأخوى أفئدة، فذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ[1] آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

ثم يندد بالذين جبنوا عن أداء الواجب، وأخذوا التكاليف السهلة وتركوا تكاليف البطولة، ويبين لهم خطأ موقفهم هذا، وأن الإقدام لن يضرهم شيئا بل سيكسبون به الجزاء الكبير، والإحجام لا يغنيهم شيئًا، فالموت من ورائهم لا محالة، فيقول بعد الآيات السابقة مباشرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ۞ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٧-٧٨].

بربك أي منشور عسكري في هذه القوة وفي هذا الوضوح يبعث في نفس الجندي كل ما يريد القائد من همة وعزم وإيمان؟

وإذا كان قوام الحياة العسكرية في عرفهم أمرين: هما النظام والطاعة، فقد جمعهما[2] الله في آيتين من كتابه فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، كما قال تعالى: ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ ۞ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢٠-٢١].

---

(١) في «النذير» و«الكتيب»: «والذين».
(٢) في «النذير»: «جمعها».

وإنك إذا قرأت ما جاء به الإسلام في إعداد العدة واستكمال القوة وتعليم الرمي ورباط الخيل، وفضل الشهادة وأجر الجهاد وثواب النفقة فيه ورعاية أهله واستيعاب صنوفه، لرأيت من ذلك ما لا يحصيه الحصر، سواء في الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة أو السير المطهرة أو الفقه الحنيف: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩].

عنيت بذلك الأمم الحديثة فبنت أنفسها على هذه القواعد، ورأينا أساس فاشستية موسوليني ونازية هتلر وشيوعية ستالين أساسا عسكريا بحتا، ولكن الفرق بين ذلك كله وبين عسكرية الإسلام فرق عظيم، فإن الإسلام الذي قدس القوة هذا التقديس، هو الذي آثر عليها السلم، فقال تبارك وتعالى بعد آية القوة مباشرة: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

وهو الذي حدد ثمن النصر ومظاهره فقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

وهو الذي وضع أساس القانون الدولي الحربي، فقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

ولأمر ما كانت وصية الرسول ﷺ وخلفائه من بعده لقواد جنودهم أروع مظاهر الرحمة والرفق: «لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا»[(١)]، «ولا تقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا شيخًا كبيرًا، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تعقروا بعيرًا إلا للأكل، ولا تتبعوا مدبرًا، ولا تجهزوا على جريح، وستمرون على أقوام ترهبوا في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له»[(٢)].

كذلك كانت العسكرية في الإسلام «بوليس العدالة وشرطة القانون والنظام»، أما عسكرية أوروبا الآن فقد علم الناس جميعا عنها أنها «جيش الظلم وجند المطامع»، فأي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا؟

---

(١) أخرجه مسلم، في «الجهاد والسير»، باب: «تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها»، (١٧٣١).

(٢) ابن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، (٢/٢٤٦)، وهذا قول أبي بكر الصديق في وصيته لأسامة بن زيد.

د - الإسلام والصحة العامة

ولما كانت الأمم الناهضة في حاجة إلى هذه الجندية الفاضلة، وكان قوام هذه الجندية صحة الأبدان وقوة الأجسام، فقد أشار القرآن إلى هذا المعنى في سياق قصة أمة مجاهدة تحفزت للنهوض بعبء النضال في سبيل حريتها واستقلالها وتكوين نفسها، فاختار الله لها زعيمًا قوي الفكر قوي الخلق، وجعل من أركان نهوضه بعبئه قوة بدنه، فذلك ما حكاه القرآن الكريم عن بني إسرائيل في تزكية الزعيم طالوت: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

ولقد شرح الرسول ﷺ هذا المعنى في كثير من أحاديثه، وحث المؤمنين على المحافظة على قوة أبدانهم، كما حثهم على قوة أرواحهم، فالحديث الصحيح يقول: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف»[(١)]، ويقول: «إن لبدنك عليك حقًا»[(٢)].

ولقد بيّن رسول الله ﷺ للأمة كثيرًا من قواعد الصحة العامة وبخاصة في علم الوقاية، وهو أفضل شطري الطب فقوله ﷺ: «نحن قوم لا نأكل إلا إذا جعنا وإذا أكلنا لا نشبع»[(٣)]، وتحريه ﷺ فيما يشرب من ماء، فقد جاء في الحديث: «كان ﷺ يستعذب

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في «الْقَدَرِ»، باب: «فِي الأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ للهِ»، ح(٤٨١٦)، وتمامه: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِي خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

(٢) أخرجه الهيثمي في «المجمع»، (٧/ ٢٣٩)، وقال: «في الصحيح بعض أوله رواه الطبراني من رواية عبد الملك ابن قدامة الجمحي عن عمرو بن شعيب وعبد الملك وثقه ابن معين وغيره وضعفه أبو حاتم وغيره»، أما ما ورد في الصحيح فهو ما أخرجه البخاري في «الصَّوْمِ»، باب: «حَقِّ الْجِسْمِ فِي الصَّوْمِ»، ح(١٨٣٩) ومواضع أخر من أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: «فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

(٣) شاع بين الناس حديث: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع»؛ حيث إنهم ينسبونه إلى النبي ﷺ وليس له أصل، ولا يوجد في أي مصدر من كتب الرواية، وهذا الحديث ذكره صاحب «السيرة الحلبية» فقال (٣/ ٢٩٩): «وقد قال بعضهم: إن المقوقس أرسل مع الهدية طبيبًا فقال له النبي ﷺ: «ارجع إلى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع»، ولكن ذلك من غير إسناد فلا فائدة في ذلك. وقال العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- في السلسة

الماء»[١]، ونهيه عن البول والتبرز في المياه الراكدة، وإعلانه الحجر الصحي على البلد المطعون وأهله، فلا يتركونه ولا ينزله غيرهم، وتحذيره من العدوى وطلب الفرار من المجذوم[٢]، وأخيرًا عنايته ﷺ بكثير من فروع رياضة البدن كالرمي والسباحة والفروسية والعدو، وحثه أمته عليها وعلى العناية بها حتى جاء في الحديث: «من علم الرمي ثم نسيه فليس مني»[٣]، ونهيه ﷺ نهيًا مشددًا عن التبتل والترهب وتعذيب الجسوم وإضوائها[٤] تقربًا إلى الله تبارك وتعالى، وإرشاده الأمة إلى جانب الاعتدال في ذلك كله، كل هذا ينطق بعناية الإسلام البالغة بصحة الأمة العامة وتشديده في المحافظة عليها وإفساح صدره لكل ما فيه خيرها وسعادتها من هذا الجانب الهام.

هـ - الإسلام والعلم

وكما تحتاج الأمم إلى القوة كذلك تحتاج إلى العلم الذي يؤازر هذه القوة ويوجهها أفضل توجيه، ويمدها بما تحتاج إليه من مخترعات ومكتشفات، والإسلام لا يأبى العلم،

الصحيحة (المجلد السابع القسم الثالث صفحة ١٦٥١و١٦٥٢): «لا أصل له». وقد قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- في «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٢٢-١٢٣) عندما سئل عن صحة حديث: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع»: «هذا يروى عن بعض الوفود وفي سنده ضعف»، يروى أنهم قالوا عن النبي ﷺ: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع» يعنون أنهم مقتصدون. هذا المعنى صحيح لكن السند فيه ضعيف. [يراجع في زاد المعاد والبداية لابن كثير].

لكن وردت أحاديث أخرى في نفس المعنى، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده (٣٥/ ٤٧)، عن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِي قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ فَثُلُثُ طَعَامٍ، وَثُلُثُ شَرَابٍ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ»، وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع»، ح(٥٦٧٤).]

(١) أخرج أبو داود في «الأَشْرِبَةِ»، باب: «فِي إِيكَاءِ الآنِيَةِ»، ح(٣٢٤٦) من طريق عَائِشَةَ -رَضِي اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ النَّبِي ﷺ كَانَ يُسْتَعْذَبُ لَهُ الْمَاءُ مِنْ بُيُوتِ السُّقْيَا. وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٣٧٣٥).

(٢) في الكتيب: «المجزوم».

(٣) أخرج ابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «الرَّمْيِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(٢٨٠٤) من طريق عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِي قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَعَلَّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَقَدْ عَصَانِي»، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»، ولكن بلفظ: «فليس منا».

(٤) أي: إضعافها. والضوى: الهزال. [الصحاح، مادة (ضوا)].

بل يجعله فريضة من فرائضه كالقوة تمامًا ويقدسه ويناصره، وحسبك أن أول آية نزلت من كتاب الله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

وأن رسول الله ﷺ قد جعل من فداء المشركين في بدر أن يعلم أحدهم من الأسرى عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، عملاً على محو الأمية عن الأمة، ولم يسو الله بين العلماء وبين الجاهلين، فقال تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وقد وزن الإسلام مداد العلماء بدم الشهداء، ولازم القرآن بين العلم والقوة في الآيتين الكريمتين: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٢-١٢٣].

ولم يفرق القرآن بين علم الدنيا وعلم الدين، بل أوصى بهما جميعًا، وجمع علوم الكون في آية واحدة، وحث عليها وجعل العلم بها سبيل خشيته وطريق معرفته، فذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وفي ذلك إشارة إلى الهيئة والفلك وارتباط السماء بالأرض، ثم قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾، وفي ذلك الإشارة إلى علم النبات وغرائبه وعجائبه وكيميائه، ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾، وفي ذلك الإشارة إلى علم الجيولوجيا وطبقات الأرض وأدوارها وأطوارها، ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾، وفيها الإشارة إلى علم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من إنسان وحشرات وبهائم، فهل ترى هذه الآية غادرت شيئا من علوم الكون؟ ثم يردف ذلك كله بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

أفلست ترى من هذا التركيب العجيب أن الله يأمر الناس بدراسة الكون ويحضهم على ذلك، ويجعل العارفين منهم بدقائقه وأسراره هم أهل معرفته وخشيته؟ اللهم فقه المسلمين في دينهم.

و -الإسلام والخلق

والأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى الخلق.. الخلق الفاضل القوي المتين والنفس الكبيرة العالية الطموح، إذ إنها ستواجه من مطالب العصر الجديد ما لا تستطيع الوصول إليه إلا بالأخلاق القوية الصادقة من الإيمان العميق والثبات الراسخ والتضحية الكثيرة والاحتمال البالغ، وإنما يخلق هذه النفس الكاملة الإسلام وحده، فهو الذي جعل صلاح النفس وتزكيتها أساس الفلاح، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

وجعل تغير[1] شئون الأمم وقفًا على تغير أخلاقها وصلاح نفوسها فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وإنك لتسمع الآيات البالغة في مفردات الأخلاق الكريمة فتراها القوة التي لا تغالب في إصلاح النفوس وإعدادها وتزكيتها وتصفيتها، مثل قوله تعالى في الوفاء: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤].

وفي البذل والتضحية والصبر والاحتمال ومغالبة الشدائد: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠-١٢١].

وليس كالإسلام عاملاً على إيقاظ الضمير وإحياء الشعور وإقامة رقيب النفس وذلك خير الرقباء، وبغيره لا ينتظم قانون ما إلى أعماق السرائر وخفيات الأمور.

ز -الإسلام والاقتصاد

والأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى تنظيم شئونها الاقتصادية، وهي أهم الشئون في هذه العصور، ولم يغفل الإسلام هذه الناحية بل وضع كلياتها ولم يقف أمام استكمال أمرها، وها أنت تسمع قول الله تبارك وتعالى في المحافظة على المال وبيان قيمته ووجوب

---

(١) في الكتيب: «تغيير».

الاهتمام به: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ التي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥].

ويقول في موازنة الإنفاق والدخل: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

ويقول رسول الله ﷺ: «ما عال من اقتصد»[١]، وهو كما يصدق في الفرد يصدق في الأمة مع قوله ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»[٢]. وأي نظام اقتصادي فاضل يرحب به الإسلام ويدعو الأمة إلى تشجيعه ولا يقف أبدًا في سبيله، والفقه الإسلامي مملوء بأحكام المعاملات المالية، وقد فصلها تفصيلا لا يدع الزيادة[٣] لمستزيد.

وبعد...

فإن الأمة إذا توفرت لها هذه الدعائم من الأمل والوطنية والعلم والقوة والصحة والاقتصاد فهي بلا شك أقوى الأمم والمستقبل لها، ولاسيما إذا أضيف إلى ذلك أنها قد طهرت من الأثرة والعدوان والأنانية والطغيان، وأصبحت تتمنى الخير للعالم كله، وإن الإسلام قد كفل ذلك فلا حجة لأمة تريد النهوض في النكول[٤] عنه والعدول عن طريقه.

ح - نظم الإسلام العامة:

هذه ناحية واحدة من نواحي الجمال في بعض النظم الإسلامية وهي النظم الخاصة بنهضة الأمم، على اعتبار أننا نستقبل عهد النهضة، أما كل نواحي الجمال في كل النظم الإسلامية فذلك ما يحتاج إلى مجلدات ضخام وبحوث واسعة مترامية الأطراف، وحسبنا أن نقول كلمة مجملة كل الإجمال وهي: إن نظم الإسلام فيما يتعلق [بالفرد أو الأسرة أو الأمة][٥] حكومتها وشعبها، أو صلة الأمم بعضها ببعض، نظم الإسلام في ذلك كله قد

---

(١) أخرجه أحمد في «مسند عبد الله بن مسعود ﷺ»، ح(٤٠٤٨)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»، ح(٥١٠١).

(٢) أخرجه أحمد في «مسند الشاميين»، ح(١٧٠٩٦)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح»، ح(٣٧٥٦).

(٣) في الكتيب: «زيادة».

(٤) في الكتيب: «النكوث».

(٥) في الكتيب: «بالفرد أو الأمة أو الأسرة».

جمعت بين الاستيعاب والدقة وإيثار المصلحة وإيضاحها، وإنها أكمل وأنفع ما عرف الناس من النظم حديثًا أو قديمًا. هذا حكم يؤيده التاريخ ويثبته البحث الدقيق في كل مظاهر حياة الأمة.

ولقد كان هذا الحكم خاصًا فصار الآن عامًّا يشهد به كل منصف، وكلما تغلغل الباحثون في بحوثهم كشفوا من نواحي الجمال في هذه النظم الخالدة ما لم يكن قد خطر ببال سلفهم، وصدق الله القائل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

الإسلام يحمي الأقليات ويصون حقوق الأجانب:

يا صاحب:

يظن الناس أن التمسك بالإسلام وجعله أساسًا لنظام الحياة ينافي وجود أقليات غير مسلمة في الأمة المسلمة، وينافي الوحدة بين عناصر الأمة، وهي دعامة قوية من دعائم النهوض في هذا العصر، ولكن الحق غير ذلك بالمرة، فإن الإسلام الذي وضعه الحكيم الخبير الذي يعلم ماضي الأمم وحاضرها ومستقبلها قد احتاط لتلك العقبة وذللها من قبل، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذي لا يحتمل لبسًا ولا غموضًا في حماية الأقليات، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

فهذا نص لم يشتمل على الحماية فقط، بل أوصى بالبر والإحسان إليهم. وإن الإسلام الذي قدّس الوحدة الإنسانية العامة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك، فقضى على التعصب وفرض على أبنائه الإيمان بالأديان السماوية جميعًا في قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۞ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ

صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٨].

ثم قدس بعد ذلك الوحدة الدينية الخاصة في غير صلف ولا عدوان، فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠].

هذا الإسلام الذي بني على هذا المزاج المعتدل والإنصاف البالغ لا يمكن أن يكون اتباعه سببًا في تمزيق وحدة متصلة، بل بالعكس، إنه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدني فقط.

ولقد[1] حدد الإسلام تحديدا دقيقا من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم فقال تعالى بعد الآية السابقة: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

وليس في الدنيا منصف واحد يكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخيلاً فيها وفسادًا كبيرًا بين أبنائها ونقضا لنظام شئونها.

ذلك موقف الإسلام من الأقليات غير المسلمة، واضح لا غموض فيه ولا ظلم معه. وموقفه من الأجانب موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا، فإن فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن موقفنا منهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۞ هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨-١١٩].

وبذلك يكون الإسلام قد عالج هذه النواحي جميعًا أدق العلاج وأنجعه وأشفاه.

الإسلام لا يعكر صفو العلائق بيننا وبين الغرب:

وقد يظن الناس كذلك أن نظم الإسلام في حياتنا الجديدة تباعد بيننا وبين الدول الغربية، وتعكر صفو العلائق السياسية بيننا وبينها بعد أن كادت تستقر، وهو أيضًا ظن عريق في الوهم؛ فإن هذه الدول إن كانت تسيء بنا الظنون، فهي لا ترضى عنا سواء

---

(١) في الكتيب: «وقد».

تبعنا الإسلام أم غيره، وإن كانت قد صادقتنا بإخلاص وتبودلت الثقة بينها وبيننا، فقد صرح خطباؤها وساستها بأن كل دولة حرة في النظام الذي تسلكه في داخل أرضها، مادام لا يمس حقوق الآخرين، فعلى ساسة هذه الدول جميعًا أن يفهموا أن شرف الإسلام الدولي هو أقدس شرف عرفه التاريخ، وأن القواعد التي وضعها الإسلام لصيانة هذا الشرف وحفظه أرسخ القواعد وأثبتها.

فالإسلام هو الذي يقول في المحافظة على التعهدات وأداء الالتزامات: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]، ويقول: ﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، ويقول: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧]، ويقول في إكرام اللاجئين وحسن جوار المستجيرين: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦]، وهذا في المشركين فكيف بالكتابيين؟

فالإسلام الذي يضع هذه القواعد ويسلك بأتباعه هذه الأساليب يجب أن يعتبره الغربيون ضمانة أخرى، تضمن لهم الوفاء بمعاهداتهم وأداء التزامات الدول الإسلامية لهم، بل نقول: إنه من خير أوروبا نفسها أن تسودها هذه النظريات السديدة في معاملات دولها بعضها لبعض، فذلك خير لهم وأبقى.

أصول النهضة في الشرق غير أصولها في الغرب:

يا صاحب:

من الأسباب التي دعت بعض الأمم الشرقية إلى الانحراف عن الإسلام واختيار تقليد الغرب دراسة قادتها للنهضة الغربية واقتناعهم بأنها لم تقم إلا بتحطيم الدين وهدم الكنائس، والتخلص من سلطة البابوية وإلجام القساوسة ورجال الكهنوت، والقضاء على كل مظاهر السلطة الدينية في الأمة، وفصل الدين عن سياسة الدولة العامة فصلاً تامًّا.

وذلك إن صح في الأمم الغربية فلا يصح أبدًا في الأمم الإسلامية؛ لأن طبيعة التعاليم الإسلامية غير طبيعة تعاليم أي دين آخر، وسلطة رجال الدين المسلمين محصورة محدودة لا تملك تغيير الأوضاع ولا قلب النظم، مما جعل القواعد الأساسية في الإسلام محفوظة على ممر القرون تساير العصور وتدعو إلى الرقي وتعضد العلم وتحمي العلماء،

فما كان هناك لا يصح أن يكون هنا، وتلك بحوث واسعة وضعت فيها الكتب الكثيرة، ومهمتنا في هذه الرسالة أن نلم بالموضوع إلمامة قصيرة من باب التذكرة والقضاء على الشبهات، ونحن على يقين من أن كل منصف معنا في هذه القاعدة، وعلى ذلك فلا يجوز أبدا أن يكون هذا الشعور رائدنا في نهضتنا الجديدة، التي يجب أن ترتكز -أول ما ترتكز- على دعائم قوية من الخلق الفاضل والعلم الغزير والقوة السابغة، وهو ما يأمر به الإسلام.

رجال الدين غير الدين نفسه:

ومن المبررات التي اتخذها بعض الذين سلكوا سبيل الغربيين، أنهم أخذوا يشهرون بمسلك رجال الدين المسلمين من حيث موقفهم المناوئ للنهضة الوطنية، وتجنيهم على الوطنيين وممالأتهم للغاصبين، وإيثارهم المنافع الخاصة والمطامع الدنيوية على مصلحة البلد والأمة، وذلك -إن صح- فهو ضعف في رجال الدين أنفسهم لا في الدين ذاته. وهل يأمر الدين بهذا؟ وهل تمليه سيرة الأجلاء الأفاضل من علماء الأمة الإسلامية الذين كانوا يقتحمون على الملوك والأمراء أبوابهم وسدودهم، فيقرعونهم ويأمرونهم وينهونهم ويرفضون أعطياتهم ويبيّنون لهم الحق ويتقدمون إليهم بمطالب الأمة، بل ويحملون السلاح في وجوه الجور والظلم، وما نسي التاريخ بعد كتيبة الفقهاء في صف ابن الأشعث في شرق الدولة الإسلامية[1]، ولا ثورة القاضي يحيى بن يحيى الليثي

(١) ابن الأشعث [...- ٨٥هـ = ...-٧٠٤م]: عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي: أمير، من القادة الشجعان الدهاة، سيره الحجاج بجيش لغزو بلاد رتبيل (ملك الترك) فيما وراء سجستان. وبدلاً من أن يمضي عبد الرحمن بن الأشعث لأداء المهمة المكلّف بها، ارتد ثائرًا في واحدة من أعنف الثورات التي هبت في وجه الدولة الأموية؛ حيث وقعت أحداثها عام (٧٠٣-٧٠٤م)، وشجعه على ذلك استجابة أهل العراق للثورة، وكانوا أغلبية في الجيش الذي بلغ عدده مائة ألف مقاتل، وانضم إليه بعض العلماء من كبار التابعين ودعاهم ابن الأشعث بأنه إذا بويع بالخلافة فسيحكم بالعدل، ويعيد حكم الراشدين، ويمحو مظالم بني أمية، وكان منهم: عامر الشعبي، وسعيد بن جبير. وانتهت بخروج ابن الأشعث من الكوفة، فلجأ إلى (رتبيل) فحماه مدة، فوردت عليه كتب الحجاج إذا هو لم يقتل ابن الأشعث أو يقبض عليه، فأمسكه (رتبيل) وقتله وبعث برأسه إلى الحجاج. [السابق، (٣/ ٣٢٣-٣٢٤)].

المالكي[1] في غربها.

هذه تعاليم الدين وهذا ماضي[2] رجاله من فقهاء المسلمين، فهل فيه شيء من هـذا الذي يزعمون؟ وهل من الإنصاف أن يتحمل الدين تبعة رجال انحرفوا عنه؟

على[3] أن هذه المزاعم إن صحت في قوم فليست صحيحة في الجميع، وإن وقعت لظرف خاص فليست تساير كل الظروف، وهذا تاريخ النهضات الحديثة في الشرق حافل بمواقف رجال الدين المسلمين في كل أمة من الأمم، وما موقف الأزهر في مصر والمجلس الأعلى في سوريا الجنوبية (فلسطين) وسوريا الشمالية (لبنان) ومولانا أبي الكلام[4] وإخوانه من جلة العلماء في الهند وزعماء المسلمين في إندونيسيا بمنسي ولا بعيد، فتلك إذن مزاعم يجب ألا تتخذ ذريعة لتحويل الأمة عن دينها باسم الوطنية المجردة. أوليس الأنفع للأمة أن تصلح رجال الدين وتصطلح عليهم بدلا من أن تقف منهم الموقف المبيد على أن هذه التعبيرات التي سرت إلينا تقليدا ومنها «رجال الدين» لا تنطبق ولا تتفق مع عرفنا، فإنها إن كانت في الغرب خاصة «بالأكليروس»، فإنها في العرف الإسلامي تشمل كل مسلم، فالمسلمون جميعا من أصغرهم لأكبرهم «رجال دين».

---

(١) هو أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس، أصله من البربر من قبيلة يقال لها: «مصمودة»، تولى بني ليث فنسب إليهم، رحل إلى المشرق، فسمع من مالك بن أنس «الموطأ»، وكان مالك يسمِّيه: «عاقل الأندلس»، وعاد إلى الأندلس، وانتهت إليه الرياسة بها، وبه انتشر مذهب مالك في تلك البلاد، قام بثورة الربض على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بسبب فسقه ومجونه وظلمه، وكان يحيى بن يحيى الليثي زعيم الفقهاء فيها، توفي يحيى في رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين. [أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الأندلسي القرطبي: تاريخ علماء الأندلس، ص(٢٠٩)- وسير أعلام النبلاء، (١٠/ ٥٢١)، وغيرهم].

(٢) في الكتيب: «ما مضى».

(٣) في الكتيب: «وعلى».

(٤) أبو الكلام آزاد هو «محيي الدين أحمد بن خير الدين» ولد في مكة المكرمة سنة (١٣٠٦هـ=١٨٨٨م)، أما أبو الكلام آزاد فهي كنية ولقب اتخذه لنفسه، وكلمة آزاد تعني في اللغة الأردية: الحر، أما أبو الكلام فهي كنية لكونه كان خطيبًا بارعًا. أما أسرته فلم تكن هندية الأصل، بل وفدت إلى الهند من بلاد الأفغان أيام الإمبراطور الهندي «بابر» الذي أسس الدولة المغولية في الهند سنة (٩٣٢هـ=١٥٢٦م). عاش قرابة السبعين عامًا، قضاها في إيقاظ العقول والضمائر والهمم. وكان الزعيم الهندي «نهرو» يسميه «صاحب الإمامتين»: إمامة الدين وإمامة السياسة. توفي آزاد في (٣ شعبان ١٣٧٧هـ =٢٢ فبراير ١٩٥٨م).

خطوة جريئة ولكنها موفقة:

يا صاحب:

بعد كل ما تقدم لا عذر لنا إن جانبنا طريق الحق (طريق الإسلام)، واتبعنا طريق الشهوات والزخارف (طريق أوروبا)، وفي طريق أوروبا زينة وبهرج، وفيه لذائذ وترف، وفيه تحلل وإباحية، وفيه ما تهوى الأنفس من متعة، وكل ذلك إلى النفس حبيب وقد قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤].

ولكن طريق الإسلام عزة ومنعة، وحق وقوة، وبركة واستقامة، وثبات وفضيلة ونبل، فاسلكوها بالأمة وفقكم الله: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

وإنما أهلك الأمم الترف، وإنما زلزلت أوروبا المتع والمطامع: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وإن الله تبارك وتعالى قد أرسل رسوله رحمة للعالمين إلى يوم القيامة، وبعث معه كتابه الحق نورًا وهدى إلى يوم القيامة، وإن زعامة الرسول ﷺ باقية بسنته، وإن سلطان القرآن قوي بحجته، وإن الإنسانية صائرة إليهما -لا محالة- بعز عزيز أو بذل ذليل، من قريب أو من بعيد حتى يتحقق قول الله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح: ٢٨].

فكونوا أول من يتقدم باسم رسول الله ﷺ بقارورة الدواء من طب القرآن الكريم لاستنقاذ العالم المعذب المريض.

إنها خطوة جريئة ولكنها موفقة -إن شاء الله تعالى[١]- ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ❁ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤-٥].

---

(١) زيادة من الكتيب.

بعض خطوات الإصلاح العملي:

يا صاحب:

بعدما أوضحنا ما يجب أن يسود الأمة في نهضتنا الجديدة من شعور روحي، نحب أن نعرض ختاما لبعض المظاهر والآثار العملية التي يجب أن يمليها هذا الشعور، وسنذكر هنا رءوس موضوعات فقط، ونحن نعلم تمام العلم أن كل مطلب من هذه المطالب يحتاج إلى بحث فسيح واسع دقيق تتوافر فيه جهود الأخصائيين وكفايتهم، كما أننا نعلم أننا لم نستقص بعد كل حاجيات الأمة ومطالبها ومظاهر النهضة جميعا، ولسنا نعتقد أن تحقيق هذه المطالب من الهنات الهينات بحيث يتم في عشية أو ضحاها، كما أننا نعلم أن كثيرا منها أمامه من العقبات المتشعبة ما يحتاج إلى طول الأناة وعظيم الحكمة وماضي العزيمة، كل ذلك نعلمه ونقدره، ونعلم إلى جانبه أنه إذا صدق العزم وضح السبيل، وأن الأمة القوية الإرادة إذا أخذت في سبيل الخير فهي لابد واصلة إلى ما تريد إن شاء الله تعالى، فلتتوجهوا والله معكم.

أما رءوس مناحي الإصلاح المرتكز على الروح الإسلامي الصحيح فهي:

أولاً: في الناحية السياسية والقضائية والإدارية

١- القضاء على الحزبية وتوجيه قوى الأمة السياسية في وجهة واحدة وصفّ واحد.

٢- إصلاح القانون حتى يتفق مع التشريع الإسلامي في كل فروعه.

٣- تقوية الجيش والإكثار من فرق الشباب وإلهاب حماستها على أسس من الجهاد الإسلامي.

٤- تقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية جميعا، وبخاصة العربية منها تمهيدا للتفكير الجدي العملي في شأن (الخلافة) الضائعة.

٥- بث الروح الإسلامي في دواوين الحكومة بحيث يشعر الموظفون جميعا بأنهم مطالبون بتعاليم الإسلام.

٦- مراقبة سلوك الموظفين الشخصي وعدم الفصل بين الناحية الشخصية والناحية العملية.

٧- تقديم مواعيد العمل في الدواوين صيفا وشتاء حتى يعين ذلك على الفرائض ويقضي على السهر الكثير.

٨- القضاء على الرشوة والمحسوبية والاعتماد على الكفاية والمسوغات القانونية فقط.

٩- أن توزن كل أعمال الحكومة بميزان الأحكام والتعاليم الإسلامية، فتكون نظم الحفلات والدعوات والاجتماعات الرسمية والسجون والمستشفيات لا تصطدم بتعاليم الإسلام، وتكون الدوريات في الأعمال على تقسيم لا يتضارب مع أوقات الصلاة.

١٠- استخدام الأزهريين في الوظائف العسكرية والإدارية وتدريبهم.

ثانيًا: في الناحية الاجتماعية والعلمية

١- تعويد الشعب احترام الآداب العامة، ووضع إرشادات معززة بحماية القانون في ذلك الشأن، وتشديد العقوبات على الجرائم الأدبية.

٢- علاج قضية المرأة علاجًا يجمع بين الرقي بها والمحافظة عليها وفق تعاليم الإسلام، حتى لا تترك هذه القضية التي هي أهم قضايا الاجتماع تحت رحمة الأقلام المغرضة والآراء الشاذة من المفرطين والمفرطين(١).

٣- القضاء على البغاء بنوعيه السري والعلني، واعتبار (الزنا) -مهما كانت ظروفه- جريمة منكرة يحد(٢) فاعلها.

٤- القضاء على القمار بكل أنواعه من ألعاب ويانصيب ومسابقات وأندية.

٥- محاربة الخمر كما تحارب المخدرات، وتحريمها وتخليص الأمة من شرورها.

٦- مقاومة التبرج والخلاعة وإرشاد السيدات إلى ما يجب أن يكون، والتشديد في ذلك بخاصة على المدرسات والتلميذات والطبيبات والطالبات ومن في حكمهن.

٧- إعادة النظر في مناهج تعليم البنات ووجوب التفريق بينها وبين مناهج تعليم

---

(١) أفرط في الأمر: جاوز فيه الحد. وفرّط في الشيء: ضيعه وقدم العجز فيه [لسان العرب، (فرط)].
(٢) في الكتيب: «يجلد».

الصبيان في كثير من مراحل التعليم.

٨- منع الاختلاط بين الطلبة والطالبات، واعتبار خلوة أي رجل بامرأة لا تحل له جريمة يؤخذان بها.

٩- تشجيع الزواج والنسل بكل الوسائل المؤدية إلى ذلك، ووضع تشريع يحمي الأسرة ويحض عليها ويحل مشكلة الزواج.

١٠- إغلاق الصالات والمراقص الخليعة وتحريم الرقص والمخاصرة وما إلى ذلك.

١١- مراقبة دور التمثيل وأفلام السينما والتشديد في اختيار الروايات والأشرطة.

١٢- تهذيب الأغاني واختيارها ومراقبتها والتشديد في ذلك.

١٣- حسن اختيار ما يذاع على الأمة من المحاضرات والأغاني والموضوعات واستخدام محطة الإذاعة في تربية وطنية خلقية فاضلة.

١٤- مصادرة الروايات المثيرة والكتب المشككة المفسدة والصحف التي تعمل على إذاعة الفجور وتستغل الشهوات استغلالاً فاحشًا.

١٥- تنظيم المصايف تنظيمًا يقضي على الفوضى والإباحية التي تذهب بالغرض الأساسي من التصييف.

١٦- تحديد مواعيد افتتاح وغلق المقاهي العامة، ومراقبة ما يشتغل به روادها وإرشادهم إلى ما ينفعهم وعدم السماح لها بهذا الوقت الطويل كله.

١٧- استخدام هذه المقاهي في تعليم الأميين القراءة والكتابة، ويساعد على ذلك هذا الشباب المتوثب من رجال التعليم الإلزامي والطلبة.

١٨- مقاومة العادات الضارة اقتصاديًا أو خلقيا أو غير ذلك، وتحويل تيار الجماهير عنها إلى غيرها من العادات النافعة، أو تهذيب نفسها تهذيبا يتفق مع المصلحة، وذلك كعادات الأفراح والمآتم والموالد والزار والمواسم والأعياد وما إليها، وتكون الحكومة قدوة صالحة في ذلك.

١٩- اعتبار دعوة الحسبة ومؤاخذة من يثبت عليه مخالفة شيء من تعاليم الإسلام أو

الاعتداء عليها، كالإفطار في رمضان وترك الصلاة عمدا أو سب الدين وأمثال هذه الشئون.

٢٠- ضم المدارس الإلزامية في القرى إلى المساجد وشمولهما معًا بالإصلاح التام من حيث الموظفين[1] والنظافة وتمام الرعاية، حتى يتدرب الصغار على الصلاة ويتدرب الكبار على العلم.

٢١- تقرير التعليم الديني مادة أساسية في كل المدارس على اختلاف أنواعها كل بحسبه وفي الجامعة أيضًا.

٢٢- تشجيع تحفيظ القرآن في المكاتب العامة الحرة، وجعل[2] حفظه شرطًا في نيل الإجازات العلمية التي تتصل[3] بالناحية الدينية واللغوية، مع تقرير حفظ بعضه في كل مدرسة.

٢٣- وضع سياسة ثابتة للتعليم تنهض به وترفع مستواه، وتوحد أنواعه المتحدة الأغراض والمقاصد، وتقرب بين[4] الثقافات المختلفة في الأمة، وتجعل المرحلة الأولى من مراحله خاصة بتربية الروح الوطني الفاضل والخلق القويم.

٢٤- العناية باللغة العربية في كل مراحل التعليم وإفرادها في المراحل الأولى عن غيرها من اللغات الأجنبية.

٢٥- العناية بالتاريخ الإسلامي والتاريخ الوطني والتربية الوطنية وتاريخ حضارة الإسلام.

٢٦- التفكير في خير الطرق لتوحيد الأزياء في الأمة تدريجيًا.

٢٧- القضاء على الروح الأجنبية في البيوت؛ من حيث اللغة والعادات والأزياء والمربيات والمرضعات... إلخ، وتمصير ذلك كله وبخاصة في بيوت الطبقات الراقية.

---

(١) في الأصل: «الموظفون».
(٢) في النذير: «جعل».
(٣) في النذير: «بصتل».
(٤) في النذير: «تين».

٢٨- توجيه الصحافة توجيهًا صالحًا وتشجيع المؤلفين والكاتبين على طرق الموضوعات الإسلامية الشرقية.

٢٩- العناية بشئون الصحة العامة، من نشر الدعاية الصحية بمختلف الطرق، والإكثار من المستشفيات والأطباء والعيادات المتنقلة، وتسهيل سبل العلاج.

٣٠- العناية بشأن القرية من حيث نظامها ونظافتها وتنقية مياهها ووسائل الثقافة والراحة والتهذيب فيها.

ثالثًا: في الناحية الاقتصادية

١- تنظيم الزكاة دخلاً ومنصرفًا بحسب تعاليم الشريعة السمحة، والاستعانة بها في المشروعات الخيرية التي لابد منها كملاجئ العجزة والفقراء واليتامى وتقوية الجيش.

٢- تحريم الربا وتنظيم المصارف تنظيمًا يؤدي إلى هذه الغاية، وتكون الحكومة قدوة في ذلك بالتنازل عن «الفوائد» في مشروعاتها الخاصة بها كبنك التسليف والسلف الصناعية وغيرها.

٣- تشجيع المشروعات الاقتصادية والإكثار [منها، وتشغيل][1] العاطلين من الوطنيين فيها، واستخلاص ما في أيدي الأجانب منها للناحية الوطنية البحتة.

٤- حماية الجمهور من عسف الشركات المحتكرة وإلزامها حدودها والحصول على كل فائدة ممكنة للجمهور.

٥- تحسين حال الموظفين الصغار برفع مرتباتهم واستبقاء علاواتهم ومكافآتهم وتقليل مرتبات الموظفين الكبار.

٦- حصر الوظائف وخصوصا الكثيرة منها، والاقتصار على الضروري، وتوزيع العمل على الموظفين توزيعًا عادلاً والتدقيق في ذلك.

٧- تشجيع الإرشاد الزراعي والصناعي، والاهتمام بترقية الفلاح والصانع من الناحية الإنتاجية.

---

(١) في النذير: «ومنها تشغيل».

٨- العناية بشئون العمال الفنية والاجتماعية، ورفع مستواهم في مختلف النواحي الحيوية.

٩- استغلال الموارد الطبيعية كالأرض البور والمناجم المهملة وغيرها.

١٠- تقديم المشروعات الضرورية على الكماليات في الإنشاء والتنفيذ.

وبعد...

فهذه رسالة الإخوان المسلمين نتقدم بها، وإنا لنضع أنفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف أية هيئة أو حكومة تريد أن تخطو بأمة إسلامية نحو الرقي والتقدم، نجيب النداء ونكون الفداء، ونرجو أن نكون قد أدينا بذلك أمانتنا وقلنا كلمتنا. والدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وحسبنا الله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

❊ ❊ ❊


النادي الشبابي

رسالة المأثورات

غرة رمضان ١٣٥٥هـ

تقـــديم

حرص الإمام البنا منذ نشأة جماعة الإخوان المسلمين على إنشاء جيل رباني بمعنى الكلمة كجيل الصحابة والسلف الصالح؛ ولذلك اتخذ من أجل ذلك الوسائل الكثيرة والمتنوعة حتى يكون الأخ ربانيًا في كل سلوكه وحركاته وسكناته.

والذكر من أهم الوسائل التي ترتقي بالإيمان؛ لذلك حرص الإمام على أن يعتاد الإخوان التزام الذكر بالمأثور من أقوال الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- لما فيه من الفائدة والأجر العظيم.

وقد وضع الإمام البنا رسالة مختصرة وسهلة التناول للإخوان تعرفهم بالمأثور من حديث رسول الله ﷺ في الأوقات والأحوال المختلفة، جمعها من كتب الصحاح والسنة، وسمَّاها رسالة «المأثورات»، وهي رسالة يتعدى نفعها الإخوان إلى جميع المسلمين.

وقد صدرت هذه الرسالة عن طريق لجنة نشر رسائل الإخوان بالمركز العام للإخوان المسلمين عام ١٣٥٥هـ الموافق ١٩٣٦م.

***

مأثورات وأدعية

المأثورات

بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد أفضل الذاكرين، وسيد الشاكرين، وإمام المرسلين، وخاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين.

١ -الذكر في كل حال:

وبعد...

فاعلم يا أخي -رزقني الله وإياك حسن التوفيق- أن لكل إنسان غاية أساسية من حياته تدور عليها أفكاره، وتتجه نحوها أعماله، وتتركز حولها آماله، وهي التي يسمونها «المثل الأعلى»، ومتى سمت هذه الغاية وعلت صدرت عنها أعمال سامية مجيدة، وانطبعت نفس صاحبها بصورة من الجمال الروحي، وحدت به إلى الكمال دائمًا حتى يأخذ فيه بالنصيب الذي قدر له.

والإسلام -وقد جاء لإصلاح نفوس البشر، وتزكيتها، والعلو بها إلى منتهى الكمال الممكن لها- أوضح للإنسانية جميعًا الغاية القصوى، وحدا بها نحو المثل الأعلى، وكان هذا المثل هو (قدس حضرة الله جل وعلا)، والآية الكريمة تقول: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

وإذ عرفت هذا -أيها الأخ الكريم- فلا تستغرب بعد أن يكون المسلم ذاكرًا لله على كل حال، وأن تؤثر عن النبي ﷺ -وهو أعرف الخلق بربه- تلك الصيغ الرائعة البليغة من: الذكر، والدعاء، والشكر، والتسبيح، والتحميد، في كل الأحوال: صغيرها، وكبيرها، وعظيمها، وحقيرها؛ فقد كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحواله[1]، ولا تعجب إذا طالبنا الإخوان المسلمين أن يستنوا بسنة نبيهم ويقتدوا به ﷺ، فيحفظوا هذه الأذكار، ويتقربوا بها إلى العزيز الغفار: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

(١) أخرج مسلم في «الْحَيْضِ»، باب: «ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي حَالِ الْجَنَابَةِ وَغَيْرِهَ»، ح(٥٥٨) من طريق عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ».

٢ - فضل الذكر والذاكرين:

وقد ورد الأمر بالذكر والإكثار منه، وبيان فضله وفضل الذاكرين في كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم ﷺ، وحسبك أن كان خاتمة المراتب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقد أمر الله به المؤمنين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وقد وردت الأحاديث الكثيرة في فضل الذكر.. قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: قال الله تبارك وتعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[1] متفق عليه من حديث أبي هريرة.

وعن عبد الله بن بسر ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»[2]. رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

٣ - آداب الذكر:

واعلم -يا أخي- أن الذكر ليس المقصود به الذكر القولي فحسب، بل إن التوبة ذكر، والتفكر من أعلى أنواع الذكر، وطلب العلم ذكر، وطلب الرزق إذا حسنت فيه النية ذكر، وكل أمر راقبت فيه ربك وتذكرت نظره إليك ورقابته فيه عليك ذكر، ولهذا

---

(١) أخرجه البخاري في «التَّوْحِيدِ»، باب: «قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾...»، ح(٦٨٥٦) وموضع آخر، ومسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى»، ح(٤٨٣٢) ومواضع أخر.

(٢) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الذِّكْرِ»، ح(٣٢٩٧)، وابن ماجه في «الأَدَبِ»، باب: «فَضْلِ الذِّكْرِ»، ح(٣٧٨٣)، وأحمد في «حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ الْمَازِنِيِّ ﷺ»، ح(١٧٠٢٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٣٧٥).

كان العارف ذاكرًا على كل حالاته.

ولابد ليكون للذكر أثره في القلب من مراعاة آدابه، وإلا كان مجرد ألفاظ لا تأثير فيها، وقد ذكروا له آدابًا كثيرة أهمها وأولاها بالرعاية:

١- الخشوع والتأدب، واستحضار معاني الصيغ، ومحاولة التأثر بها، وملاحظة مقاصدها وأغراضها.

٢- خفض الصوت ما أمكن ذلك، مع اليقظة التامة والهمة الكاملة حتى لا يشوش على غيره، وقد أشارت الآية الكريمة إلى هذه الآداب فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

٣- موافقة الجماعة إن كان الذكر مع جماعة، فلا يتقدم عليهم ولا يتأخر عنهم، ولا يبني على قراءتهم، بل إن حضر وقد بدءوا ابتدأ معهم من أول صيغة ثم قضى ما فاته بعد انتهائه، وإن تأخر عنهم في أثناء القراءة قرأ ما فاته وأدركهم، ولا يبني على قراءتهم أصلاً؛ لئلا يكون بذلك قد حرف القراءة وغير الصيغ، وذلك حرام اتفاقا.

٤- النظافة في الثوب والمكان، ومراعاة الأماكن المحترمة، والأوقات المناسبة، حتى يكون ذلك أدعى إلى اجتماع همته، وصفاء قلبه، وخلوص نيته.

٥- الانصراف في خشوع وأدب، مع اجتناب اللغط[1] واللهو الذي يذهب بفائدة الذكر وأثره.

فإذا لاحظ هذه الآداب فإنه سينتفع بما قرأ ويجد أثر ذكره حلاوة في قلبه، ونورًا لروحه، وانشراحًا في صدره، وفيضًا من الله، إن شاء الله تعالى.

٤ - الذكر في جماعة:

ورد في الأحاديث ما يشعر باستحباب الاجتماع على الذكر، ففي الحديث الذي يرويه مسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت

---

(١) اللَّغْطُ واللَّغَطُ: الأَصْواتُ المُبْهَمة المُخْتَلطة والجَلَبةُ لا تُفهم. واللغطُ: صوت وضَجَّة لا يُفهم مَعناه. وقيل: هو الكلام الذي لا يَبين، يقال: سمعت لغط القوم. [لسان العرب، مادة (لغط)].

عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[١].

وكثيرًا ما ترى في الأحاديث أنه ﷺ خرج على جماعة وهم يذكرون الله في المسجد فبشرهم ولم ينكر عليهم.

والجماعة في الطاعات مستحبة في ذاتها، ولاسيما إذا ترتب عليها كثير من الفوائد مثل: تألف القلوب، وتقوية الروابط، وقضاء الأوقات فيما يفيد، وتعليم الأمي الذي لم يحسن التعلم، وإظهار شعيرة من شعائر الله تعالى.

نعم، إن الجماعة في الذكر تكره إذا ترتب عليها محظور شرعي كالتشويش على مصل، أو لغو وضحك، أو تحريف لصيغ، أو بناء على قراءة غيره، أو نحو ذلك من المحظورات الشرعية، فحينئذ تمنع الجماعة في الذكر لهذه المفاسد لا للجماعة في ذاتها، وخصوصًا إذا كان الذكر في جماعة بالصيغ المأثورة الصحيحة، كما في هذه الوظيفة. فحبذا لو اجتمع الإخوان على قراءتها صباحًا ومساء في ناديهم، أو في مسجد من المساجد، مع اجتناب هذه المكروهات. ومن فاتته الجماعة فيها فليقرأها منفردًا ولا يفرط في ذلك.

الخاتمة:

وبعد: فإلى الإخوان المسلمين نتوجه بهذه الوظيفة، وما هي بخاصة بهم ولكنها للمسلمين عامة، لعل فيها إعانة لهم على طاعة الله تبارك وتعالى. وهي تقرأ صباحًا من الفجر إلى الظهر، ومساء من العصر إلى ما بعد العشاء فرادى وجماعة، ومن فاتته كلها فلا يفوتنه بعضها حتى لا يعتاد إهمالها وتضييعها.

والورد القرآني في الوقت المناسب ليلاً أو نهارًا، وما بعدهما من الأدعية والأذكار يقرأ عند مناسباته.

ونسأل الله لنا ولهم حسن التوفيق، وكمال الهداية، ونسألهم ألا يحرمونا صالح دعواتهم في الخلوة والجلوة، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

غرة رمضان ١٣٥٥هـ

* * *

---

(١) أخرجه مسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «فَضْلِ الاجْتِمَاعِ عَلَى تِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ»، ح(٤٨٦٨).

القسم الأول : الوظيفة

أَعُوذُ بِالله السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة].

﴿الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۞ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٥-٢٥٧].

﴿لله ما فِي السَّمواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۞ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٤-٢٨٦].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الم ۞ اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١-٢].

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾ [طه: ١١١-١١٢].

﴿حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] (سبعًا)(١).

﴿قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ۞ وَقُلِ الْحَمْدُ لله الذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١٠-١١١].

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۞ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۞ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٨].

﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۞ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۞ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ۞ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [الروم: ١٧-٢٦].

---

(١) أخرج أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ»، ح(٤٤١٨) عن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ موقوفًا أنه قَالَ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ صَادِقًا كَانَ بِهَا أَوْ كَاذِبًا»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٥٠٨١).

بسم اللَّهِ الرحمن الرحيم ﴿حم ۞ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١-٣].

﴿هُوَ اللهُ الذي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۞ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞ اللهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] (ثلاثًا)[1].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ

---

(١) أخرج أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ»، ح(٤٤١٩)، والترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «فِي انْتِظَارِ الْفَرَجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»، ح(٣٤٩٩)، والنسائي في «الاسْتِعَاذَةِ»، ح(٥٣٣٣) كلهم من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ أنه قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ فَقَالَ: «أَصَلَّيْتُمْ؟» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. فَقَالَ: «قُلْ». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. ثُمَّ قَالَ: «قُلْ». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. ثُمَّ قَالَ: «قُلْ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»، واللفظ لأبي داود، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٥٠٨٢).

إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق] (ثلاثًا).

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَهِ النَّاسِ ۞ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۞ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس] (ثلاثًا).

«أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله لا شريك له، لا إله إلا هو وإليه النشور» (ثلاثًا)[1].

«أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين» (ثلاثًا)[2].

«اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر، فأتم عليَّ نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة» (ثلاثًا)[3].

«اللهم ما أصبح بي من نعمة، أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك

---

(١) أخرج بنحوه البخاري في «الأدب المفرد»، ح(٦٢٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(٨٢) من طريق أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا أصبح قال: «أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد كله لله، لا شريك له، لا إله إلا الله وإليه النشور»، وإذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد كله لله، لا شريك له لا إله إلا الله وإليه المصير». وقد قال الهيثمي في «المجمع»، (١٠/ ١١٤): «رواه البزار وإسناده جيد»، ولكنا لم نجده في «مسند البزار»، وقال الألباني في «الأدب المفرد»، (١/ ٢١١): «ضعيف بهذا اللفظ».

(٢) أخرج أحمد في «مُسْنَد الْمَكِّيِّينَ»، ح(١٤٨٢٥)، ومواضع أخر، والنسائي في «الكبرى»، (٦/ ٤) من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى أن النَّبِي ﷺ قَالَ: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الإِخْلاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ»، وقد صححه الألباني في «الصحيحة»، (٦/ ١٢٣٠).

(٣) أخرج ابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(٥٥) من طريق عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله ﷺ من قال إذا أصبح: «اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر، فأتم عليَّ نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة، ثلاث مرات إذا أصبح وإذا أمسى، كان حقًّا على الله ﷻ أن يتم عليه نعمته»، وقال صاحب «روضة المحدثين»، (١١/ ٣٩٦): «قال الحافظ [أي: ابن حجر] في «النتائج»، (٢/ ٣٨٩): عمرو بن الحصين متروك باتفاقهم، اتهمه بعضهم بالكذب».

الحمد ولك الشكر» (ثلاثًا)[(١)].

«يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك» (ثلاثًا)[(٢)].

«رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا ورسولاً» (ثلاثًا)[(٣)].

«سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته» (ثلاثًا)[(٤)].

«بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»

---

(١) أخرج أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ»، ح(٥٠٧٣)، والنسائي في «الكبرى»، (٦/ ٥) من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَنَّامٍ الْبَيَاضِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ. وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ» واللفظ لأبي داود، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(١٠٨٣).

(٢) أخرج ابن ماجه في «الأَدَبِ»، باب: «فَضْلِ الْحَامِدِينَ»، ح(٣٧٩١) من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ «أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ الله قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلالِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا، فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالا: يَا رَبَّنَا، إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا! قَالَ اللهُ ﷻ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالا: يَا رَبِّ، إِنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ. فَقَالَ اللهُ ﷻ لَهُمَا: اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه»، ح(٣٨٠١).

(٣) أخرج الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى»، ح(٣٣١١)، وابن ماجه في «الدُّعَاءِ»، باب: «مَا يَدْعُو بِهِ الرَّجُلُ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى»، ح(٣٨٦٠)، وأحمد في «حَدِيث خَادِمِ النَّبِي ﷺ»، ح(١٨١٩٩)، ومواضع أخر، مِنْ طريق ثَوْبَانَ ﷺ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي: رَضِيتُ بِالله رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُرْضِيَهُ»، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي»، ح(٣٣٨٩).

(٤) أخرج مسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ»، ح(٤٩٠٥) من طريق جُوَيْرِيَةَ أَنَّ النَّبِي ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا»؟! قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِي ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

(ثلاثًا)[١].

«اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه» **(ثلاثًا)**[٢].

«أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» **(ثلاثًا)**[٣].

---

(١) أخرج أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ»، ح(٤٤٢٥)، والترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى»، ح(٣٣١٠)، وابن ماجه في «الدُّعَاءِ»، باب: «مَا يَدْعُو بِهِ الرَّجُلُ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى»، ح(٣٨٥٩)، وأحمد في «مُسْنَد عُثْمَانَ بْن عَفَّانَ ﷺ»، ح(٤١٨) ومواضع أخر، كلهم من طريق عُثْمَانَ بْن عَفَّانَ أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: بِسْمِ الله الذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاءٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ» واللفظ لأبي داود، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٥٠٨٨).

(٢) أخرج أحمد في «حَدِيث أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ»، ح(١٨٧٨١)، أنه خطب في الناس فقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ. فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَزْنٍ وَقَيْسُ بْنُ الْمُضَارِبِ فَقَالا: وَاللَّهِ لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ أَوْ لَنَأْتِيَنَّ عُمَرَ مَأْذُونٌ لَنَا أَوْ غَيْرُ مَأْذُونٍ. قَالَ: بَلْ أَخْرُجُ مِمَّا قُلْتُ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ». فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا نَعْلَمُ»، وقد صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، ح(٣٦).

وأخرج أبو يعلى الموصلي في مسنده، ح(٥٢) من طريق أبي بكر أن النبي ﷺ قال: «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل». قال: قلنا: يا رسول الله، وهل الشرك إلا ما عبد من دون الله، أو دعي مع الله؟ قال: «ثكلتك أمك يا صديق، الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل. ألا أخبرك بقول يذهب صغاره وكباره، أو صغيره وكبيره»؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «تقول كل يوم ثلاث مرات: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم. والشرك أن يقول: أعطاني الله وفلان، والند أن يقول الإنسان: لولا فلان قتلني فلان».

(٣) أخرج مسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ»، ح(٤٨٨٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ. قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ».

«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» (ثلاثًا)[١].

«اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري» (ثلاثًا).

«اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت» (ثلاثًا)[٢].

«اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا

وأخرج الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «فِي الاسْتِعَاذَةِ»، ح(٣٥٢٩)، وأحمد في «مُسْنَد أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ»، ح(٧٥٥٧) أن النَّبِي ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي ثَلاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ» اللفظ للترمذي.

(١) أخرج أبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «فِي الاسْتِعَاذَةِ»، ح(١٣٣٠) مِنْ طريق أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي أنه قال: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمِ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ فَقَالَ: «يَا أَبَا أُمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلاةِ»؟ قَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَفَلا أُعَلِّمُكَ كَلامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ الله ﷻ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ»؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ ﷻ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي. وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(١٥٥٥).

(٢) أخرج أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ»، ح(٤٤٢٦) مِنْ طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّهُ قَالَ لأَبِيهِ: يَا أَبَتِ، إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ: اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ تُعِيدُهَا ثَلاثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلاثًا حِينَ تُمْسِي. فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ. قَالَ عَبَّاسٌ فِيهِ وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ تُعِيدُهَا ثَلاثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلاثًا حِينَ تُمْسِي فَتَدْعُو بِهِنَّ، فَأُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ. قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ». وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٥٠٩٠).

يغفر الذنوب إلا أنت» (ثلاثًا)[1].

«أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه» (ثلاثًا)[2].

«اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد» (عشرًا)[3].

«سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» (مائة)[4].

---

(١) أخرج البخاري في «الدَّعَوَاتِ...»، باب: «أَفْضَلِ الاسْتِغْفَارِ...»، ح(٥٨٣١) مِنْ طريق شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ، عَنْ النَّبِي ﷺ: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ». قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

(٢) أخرج أبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «فِي الاسْتِغْفَارِ»، ح(١٢٩٦) أن بِلالَ بْنَ يَسَارِ بْنِ زَيْدٍ مَوْلَى النَّبِي ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُنِيهِ عَنْ جَدِّي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الذي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٥١٧).

(٣) أخرج البخاري في «أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ»، باب: «قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾»، ح(٣١١٩) ومواضع أخر، ومسلم في «الصَّلاةِ»، باب: «الصَّلاةِ عَلَى النَّبِي ﷺ بَعْدَ التَّشَهُّدِ»، ح(٦١٤) ومواضع أخر، أن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ: أَلا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنْ النَّبِي ﷺ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

(٤) أخرج مسلم في «الآدَابِ»، باب: «كَرَاهَةِ التَّسْمِيَةِ بِالأَسْمَاءِ الْقَبِيحَةِ وَبِنَافِعٍ وَنَحْوِهِ»، ح(٣٩٨٥)، من طريق سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ».

وأخرج النسائي في «السنن الكبرى»، (٦/ ٢٠٥)، والطبراني في «مسند الشاميين»، (٢/ ١٩٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، (١/ ٤٧٧)، من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» (عشرًا)[(١)].

«سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك» (ثلاثًا)[(٢)].

اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا عدد ما أحاط به علمك، وخط به قلمك، وأحصاه كتابك، وارض اللهم عن ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ

رسول الله ﷺ: «من قال: سبحان الله مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من مائة بدنة، ومن قال: الحمد لله مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من مائة فرس يحمل عليها، ومن قال: الله أكبر مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من عتق مائة رقبة، ومن قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لم يجئ يوم القيامة أحد بعمل أفضل من عمله إلا من قال قوله أو زاد»، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، ح(٦٥٨).

(١) أخرج البخاري في «بَدْءِ الْخَلْقِ»، باب: «صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ...»، ح(٣٠٥٠)، من طريق أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ».

وأخرج مسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ»، ح(٤٨٥٩) من طريق عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ﷺ قَالَ: مَنْ قَالَ: «لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مِرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ».

(٢) أخرج أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «فِي كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ»، ح(٤٢١٧)، من طريق أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِي قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى. فَقَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ»، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٤٨٥٩).

الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢][1].

الوظيفة الصغرى:

إذا وجد الأخ ضيقًا في وقته، أو فتورًا في نفسه، أو في إخوانه إذا كان يقرأ الوظيفة بهم، فليختصرها على هذا النحو:

يقرأ الاستعاذة والفاتحة وآية الكرسي وخواتيم البقرة وسورة الإخلاص والمعوذتين كل منهما ثلاثًا، ثم يتبع ذلك بالأذكار الواردة إلى الاستغفار الأخير: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم...» إلخ، ثم يتبع الاستغفار مباشرة بصيغة: «سبحانك اللهم وبحمدك» إلى آخر الوظيفة.

* * *

(١) أخرج الطبراني في «الكبير»، ح(١١٠٥٨)، من طريق ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: كُنَّا نَعْرِفُ انْصِرَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]. وقال الهيثمي في «المجمع»، (١٠/ ١٠): «رواه الطبراني وفيه محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير وهو متروك».

القسم الثاني: الورد القرآني

فضل القرآن:

القرآن الكريم هو الدستور الجامع لأحكام الإسلام، وهو المنبع الذي يفيض بالخير والحكمة على القلوب المؤمنة، وهو أفضل ما يتقرب به المتعبدون بتلاوته إلى الله تبارك وتعالى.

وفي حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول لكم: «الم» حرف، ولكن ألف ولام وميم»[1] رواه الحاكم.

وفي وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر ﷺ: «عليك بتلاوة القرآن؛ فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء»[2] رواه ابن حبان في حديث طويل.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران»[3] رواه البخاري ومسلم.

ولقد كان رسول الله ﷺ يحمل الناس على القرآن حملاً، ويفاضل بينهم بمنزلتهم من القرآن، ويوصي من عجز عن القراءة بأن يستمع ويتفهم، حتى لا يحرم بركة الصلة الروحية بكتاب الله تبارك وتعالى.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، ح(١٩٩٨)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بصالح ابن عمر»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»، ح(٨٦٧).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، ح(٣٦٢)، وقد حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، ح(١٤٢٢).

(٣) أخرجه مسلم في «صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا»، باب: «فَضْلِ الْمَاهِرِ فِي الْقُرْآنِ وَالَّذِي يَتَتَعْتَعُ فِيهِ»، ح(١٣٢٩).

حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نورًا يوم القيامة»[1] رواه أحمد.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وهم ذوو عدد، فاستقرأهم، فاستقرأ كل رجل منهم -يعني ما معه من القرآن- فأتى على رجل منهم من أحدثهم سنًّا فقال: «ما معك يا فلان؟» قال: معي كذا وكذا، وسورة البقرة قال: «أمعك سورة البقرة؟» قال: نعم. قال: «اذهب فأنت أميرهم»[2] رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وعرف سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- فضل القرآن وتلاوته، فجعلوه مصدر تشريعهم، ودستور أحكامهم، وربيع قلوبهم، وورد عبادتهم، وفتحوا له قلوبهم وتدبروه بأفئدتهم، وتشربت معانيه السامية أرواحهم، فأثابهم الله في الدنيا سيادة العالم، ولهم في الآخرة عظيم الدرجات، وأهملنا القرآن فوصلنا إلى ما وصلنا إليه من ضعف في الدنيا ورقة في الدين.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت عليَّ أجور أمتي، حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها»[3] رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

ولهذا عُني الإخوان المسلمون أن يجعلوا كتاب الله تبارك وتعالى أول أورادهم، وكان من تعهدهم أن يرتب الأخ على نفسه كل يوم حزبًا من القرآن الكريم.

مقدار الورد:

تختلف ظروف الإخوان وأحوالهم، ولهذا لم يحدد مقدار الورد، وترك ذلك لظروف

---

(١) أخرجه أحمد في «مُسْنَد أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ»، ح(٨١٣٨)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»، ح(٨٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي في «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي فَضْلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ»، ح(٢٨٠١)، والنسائي في «الكبرى»، (٥/ ٢٢٧)، والحاكم في «المستدرك»، ح(١٥٧٤)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي»، ح(٢٨٧٦).

(٣) أخرجه أبو داود في «الصَّلَاةِ»، باب: «فِي كَنْسِ الْمَسْجِدِ»، ح(٣٩٠)، والترمذي في «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَهُ مِنَ الْأَجْرِ»، ح(٢٨٤٠)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٤٦١).

كل شخص ومقدرته، والمهم ألا يمر به يوم بغير أن يقرأ شيئًا من كتاب الله تعالى.

وسنورد هنا أوجه تقسيم الورد القرآني عند سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- على سبيل المثال والتوضيح فنقول:

١- أقل مدة للختمة ثلاثة أيام، وقد كرهوا أن يختم الإنسان في أقل من ثلاث، وفي أكثر من شهر، وقالوا: إن في الختم في أقل من ثلاث إسراعًا لا يعين على التفهم والتدبر، وفي الختم في أكثر من شهر إسرافًا في هجر التلاوة.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»[1] رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٢- الحد الوسط أن يختم كل أسبوع مرة إذا تمكن من ذلك، وقد أمر رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو أن يختم كل أسبوع مرة، وكذلك كان الصحابة -رضوان الله عليهم يفعلون: كعثمان، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأُبيّ بن كعب ﷺ.

وكان عثمان ﷺ يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم، وليلة الإثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون، «يعني القصص»، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص، وليلة الأربعاء بتنزيل[2] إلى الرحمن، وليلة الخميس يختم الختمة... وكان لابن مسعود ﷺ تقسيم آخر يختلف في عدد السور، لكنه يتفق في الختم كل أسبوع، وقد ورد في التقسيم في الأسبوع أخبار كثيرة.

٣- [ليس هذا التقسيم بمتعين، بل هو على سبيل الاتباع والأفضلية، وللأخ أن يقرأ حسب مقدرته بحيث لا يمضي يوم بغير تلاوة، فإن لم يكن من أهل القراءة فليجتهد في

---

(١) أخرجه أبو داود بنحوه في «الصَّلَاةِ»، باب: «تَحْزِيبِ الْقُرْآنِ»، ح(١١٨٦)، والترمذي في «الْقِرَاءَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ أَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»، ح(٢٨٧٠، ٢٨٧٣)، وابن ماجه في «إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا»، باب: «فِي كَمْ يُسْتَحَبُّ يُخْتَمُ الْقُرْآنُ»، ح(١٣٣٧)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٣٩٤).

(٢) يقصد الزمر.

الاستماع، أو في حفظ بعض السور يتلوها كلما سنحت الفرصة][(١)].

سور يستحب الإكثار من تلاوتها:

من أوراد الإخوان القرآنية المواظبة على تلاوة هذه السور كل يوم، وهي: يس، والدخان، والواقعة، وتبارك الملك، ويتأكد ذلك يوم الجمعة وليلة الجمعة، ويضاف إليها الكهف، وسورة آل عمران، وقد وردت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ:

١- عن معقل بن يسار رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «قلب القرآن يس، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له، اقرءوها على موتاكم»[(٢)] رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم.

٢- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة، وأنها في كتاب الله عز وجل سورة من قرأ بها في ليلة فقد أكثر وأطاب»[(٣)] رواه النسائي، وروى مثله الحاكم وصححه.

٣- وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك»[(٤)] رواه الترمذي والأصبهاني.

٤- وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من قرأ سورة الكهف في

---

(١) ما بين المعكوفتين غير موجود بالنسخة التي اعتمدنا عليها، ولكنها موجودة في نسخة الأستاذ أحمد سيف الإسلام.

(٢) أخرجه أحمد في «حَدِيث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْه»، ح(١٩٤١٥)، والنسائي في «الكبرى»، (٦/ ٢٦٥)، وأبو داود بنحوه في «الْجَنَائِزِ»، باب: «الْقِرَاءَةِ عِنْدَ الْمَيِّتِ»، ح(٢٧١٤)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»، ح(٨٨٤).

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى»، (٦/ ١٧٩)، وقد حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، ح(١٥٨٩).

(٤) أخرجه الترمذي في «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي فَضْلِ حم الدُّخَانِ»، ح(٢٨١٣)، وقد حكم بوضعه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي»، ح(٢٨٨٨).

يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»[١] رواه النسائي والبيهقي مرفوعًا.

٥- وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى عليه الله وملائكته حتى تغيب الشمس»[٢] رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير».

٦- وقد وردت الآثار كذلك مرفوعة وموقوفة من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ بفضل سورة الواقعة[٣]، ولاسيما وفيها البعث والجزاء والاستدلال على ذلك بما لا يدع شبهة لقائل، فيستحب للأخ المسلم ألا يحرم نفسه فضل تلاوة هذه السورة مرة كل يوم، وفي الليل أفضل، وفي يوم الجمعة لا بأس من تلاوتها في الليل مرة وفي النهار مرة، ويجعل وقت العصر إلى المغرب لسورة آل عمران لعلها ساعة الإجابة فيكون فيها مشغولاً بأفضل الذكر وهو تلاوة القرآن.

آداب التلاوة:

ذكرنا في المقدمة طرفًا من آداب الذكر، ونزيد هنا أن من آداب التلاوة:

الاجتهاد كل الاجتهاد في التدبر والتفكر، فذلك هو المقصود الأول منها، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩]، ولاسيما إذا لاحظ أن في ذلك خطاب رب العالمين العزيز الحكيم.

كما أن من آداب التلاوة كذلك مراعاة أحكام التجويد، فيخرج الحروف من مخارجها، ويؤديها على قواعدها، ويمد الممدود، ويغن ما يستحق الغنة، ويفخم المفخم، ويرقق المرقق... وهكذا.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، ح(٣٣٤٩)، والبيهقي في «الكبرى»، (٣/ ٢٤٩)، وقد صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، ح(٧٣٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(٦٣٣٦)، وقال الهيثمي في «المجمع»، (٣/ ٢٤٩): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه طلحة بن زيد الرقي وهو ضعيف»، وقد حكم الألباني بوضعه في «ضعيف الترغيب والترهيب»، ح(٤٥١).

(٣) أخرج الحارث بن أبي أسامة في «بغية الباحث»، ص(٣٤٠) من طريق ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا»؛ فكان ابن مسعود يأمر بناته بقراءتها كل ليلة. وقد ضعفه الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة»، (١/ ٤٥٧).

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ، عن رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن نزل بحُزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنّوا به، فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا»[(١)] رواه ابن ماجه.

والمراد بالتغني هنا: التحزن وإظهار الخشوع مع تجويد القراءة، فقد جاء [في][(٢)] حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله»[(٣)] رواه ابن ماجه.

مجلس الاستماع:

ومن أوراد الإخوان المسلمين القرآنية الاجتماع لسماع كتاب الله تبارك وتعالى ممن يحسن تلاوته، وعلى القارئ في مجلس الاستماع أن يقرأ قراءة مرسلة يلاحظ فيها الآداب السابقة، وعلى الإخوان إذا استمعوا أن ينصتوا ويفكروا في المعاني، وأن يكونوا على غاية الخشوع والتوقير والتعظيم لكتاب الله تبارك وتعالى، ويستحضروا الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يستمعون القرآن وكأن على رءوسهم الطير، وكان مشيخة مكة من الصالحين إذا أرادوا التذكر أقبلوا على الشافعي ﷺ، وكان حسن القراءة، فقرأ عليهم واستمعوا فلا يرى الراءون أكثر بكاءً منهم في حالهم تلك حين الاستماع ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

ويستحب إتمامًا للفائدة إذا حضر مجلسهم هذا أهل العلم أن يلخصوا لهم مقاصد ما تلي من آيات.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا»، باب: «فِي حُسْنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ»، ح(١٣٢٧)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه»، ح(١٣٣٧).

(٢) زيادة من عندنا.

(٣) أخرجه ابن ماجه في «إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا»، باب: «فِي حُسْنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ»، ح(١٣٢٩)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»، ح(١٣٣٩).

ورد الحفظ:

ويستحب كذلك للأخ المسلم، وهو من أورادنا القرآنية، أن يجتهد ما استطاع في حفظ ما يمكن من القرآن الكريم، فيرتب على نفسه كل يوم آية أو آيات بقدر طاقته يحفظها حفظًا جيدًا، وبهذه الطريقة التدريجية يمكنه أن يحفظ الشيء الكثير من كتاب الله تبارك وتعالى.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر ﷺ: «يا أبا ذر، لأن تغدو فتَعلَم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة»(١) رواه ابن ماجه بإسناد حسن، ويعضده حديث مسلم وأبي داود في هذا المعنى(٢).

فاجتهد -يا أخي- أن تفوز بهذه الفضيلة، والله نسأل أن يجعلنا وإياك من أهل القرآن، فنكون بذلك من أهل الله وخاصته، والله حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

(١) أخرجه ابن ماجه في «الْمُقَدِّمَةِ»، باب: «فَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، ح(٢١٥)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه»، ح(٢١٩).

(٢) أخرج مسلم في «صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا»، باب: «فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلاةِ وَتَعَلُّمِهِ»، ح(١٣٣٦)، وأبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «فِي ثَوَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، ح(١٢٤٤)، من طريق عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلا قَطْعِ رَحِمٍ»؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»، واللفظ لمسلم.

القسم الثالث: أدعية اليوم والليلة

أولاً: دعاء الاستيقاظ من النوم

١- عن حذيفةَ بن اليمان وأبي ذر -رضي الله عنهما- قالا: كان رسول الله ﷺ إذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[(١)] رواه البخاري.

٢- وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إذا استيقظ أَحدكم فليقل: الحمد لله الذي ردّ علي روحي، وعافاني في جسدي، وأذن لي بذكره»[(٢)] رواه ابن السني.

٣- وعن عائشة -رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «ما من عبد يقول حين يرد الله تعالى روحه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قَدير، إلا غفر الله تعالى له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[(٣)]. رواه ابن السني.

٤- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل ينتبه من نومه فيقول: الحمد لله الذي خلق النوم واليقظة، الحمد لله الذي بعثني سالمًا سويًا، أشهد أن الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير. إلا قال الله تعالى: صدق عبدي»[(٤)]. رواه ابن السني.

٥- وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: «لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علمًا، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب»[(٥)]. رواه أبو داود.

---

(١) أخرجه البخاري في «الدَّعَوَاتِ...»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا نَامَ»، ح(٥٨٣٧)، ومواضع أخر، ومسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ»، ح(٤٨٨٦) من طريق البراء.

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع»، ح(٣٢٩).

(٣) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(١٠)، وقد ضعفه صاحب «روضة المحدثين»، ح(٤٩٨٤).

(٤) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(١٣)، وضعفه الألباني في «الكلم الطيب»، ح(٥٨).

(٥) أخرجه أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ»، ح(٤٤٠٢)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٥٠٦١).

ثانيًا: دعاء لبس الثوب وخلعه

١- عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن النبي ﷺ كان إذا لبس ثوبًا سماه باسمه قميصًا أو رداء أو عمامة يقول: «اللهم إني أسألك من خيره وَخير ما هو له، وأعوذ بك من شره وشر ما هو له»[(١)]. رواه ابن السني.

٢- وعن معاذ بن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «من لبس ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر الله له ما تقدم من ذنبه»[(٢)]. رواه ابن السني.

٣- وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم أن يقول الرجل المسلم إذا أراد أن يطرح ثيابه: بسم الله الذي لا إله إلا هو»[(٣)]. رواه ابن السني.

ثالثًا: دعاء الخروج من المنزل ودخوله

١- عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال -يعني إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. يقال له: كفيت ووقيت وهديت، وتنحى عنه الشيطان»[(٤)] رواه أبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه أبو داود بنحوه في «اللِّبَاسِ»، ح(٣٥٠٤)، وأحمد في «مُسْنَد أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي -رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ»، ح(١٠٨١٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(١٤)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٤٠٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود في «اللِّبَاسِ»، ح(٣٥٠٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(٢٧٠)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٤٠٢٣).

(٣) أخرجه الطبراني بنحوه في «الأوسط»، ح(٢٦٠٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(٢٧٢)، وقال الهيثمي في «المجمع»، (١/ ٢٠٥): «رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما فيه سعيد بن مسلمة الأموي ضعفه البخاري وغيره. ووثقه ابن حبان وابن عدي وبقية رجاله موثقون».

(٤) أخرجه أبو داود بنحوه في «الأَدَبِ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ»، ح(٤٤٣١)، والترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ»، ح(٣٣٤٨)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٥٠٩٥).

٢- وعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج، وخير المخرج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله»[١] رواه أبو داود.

رابعًا: دعاء المشي إلى المسجد ودخوله والخروج منه

١- عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ خرج إلى المسجد وهو يقول: «اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، واجعل لي نورًا»[٢]. رواه البخاري.

٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما[٣]، عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد يقول: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، فإذا قال ذلك قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم»[٤] رواه أبو داود.

٣- وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: «اللهم صل على محمد». وإذا خرج قال: «اللهم صل على محمد»[٥]. رواه ابن السني.

٤- وعن أبي حميد، أو عن أبي أسيد -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ، ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فإذا

---

(١) أخرجه أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ»، ح(٤٤٣١)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٥٠٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في «الدَّعَوَاتِ...»، باب: «الدُّعَاءِ إِذَا انْتَبَهَ بِاللَّيْلِ»، ح(٥٨٤١)، ومسلم في «صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا»، باب: «الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ»، ح(١٢٧٤)، ومواضع أخر.

(٣) في الأصل: «عنه».

(٤) أخرجه أبو داود في «الصَّلَاةِ»، باب: «فِيمَا يَقُولُهُ الرَّجُلُ عِنْدَ دُخُولِهِ الْمَسْجِدَ»، ح(٣٩٤)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٤٦٦).

(٥) أخرجه الترمذي في «الصَّلَاةِ»، باب: «مَا جَاءَ مَا يَقُولُ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ»، ح(٢٨٩)، وابن ماجه في «الْمَسَاجِدِ وَالْجَمَاعَاتِ»، باب: «الدُّعَاءِ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ»، ح(٧٦٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(٨٨)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣١٤).

خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»[١]. رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

خامسًا: دعاء التخلي والمباشرة

١- عن أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ كان يقول عند دخول الخلاء: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»[٢]. رواه الشيخان.

٢- وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقى في قوته، ودفع عني أذاه»[٣]. رواه ابن السني والطبراني.

٣- وعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ كان إذا خرج من الغائط قال: «غفرانك»[٤]. رواه أبو داود.

٤- وعن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره شيطان أبدًا»[٥] رواه البخاري.

سادسًا: دعاء الوضوء والغسل والأذان

١- عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يتوضأ، فسمعته يقول:

---

(١) أخرجه مسلم في «صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ»، ح(١١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في «الْوُضُوءِ»، باب: «مَا يَقُولُ عِنْدَ الْخَلَاءِ»، ح(١٣٩)، وموضع آخر، ومسلم في «الْحَيْضِ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا أَرَادَ دُخُولَ الْخَلَاءِ»، ح(٥٦٣).

(٣) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(٢٥)، والطبراني في «الدعاء»، ح(٣٣٧)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»، ح(٤٣٨٨).

(٤) أخرجه أبو داود في «الطَّهَارَةِ»، باب: «مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ الْخَلَاءِ»، ح(٢٨)، والترمذي في «الطَّهَارَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنْ الْخَلَاءِ»، ح(٧)، وابن ماجه في «الطَّهَارَةِ وَسُنَنِهَا»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنْ الْخَلَاءِ»، ح(٢٩٦)، وأحمد في «مسند عائشة»، ح(٢٤٠٦٣)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٣٠).

(٥) أخرجه البخاري في «الْوُضُوءِ»، باب: «التَّسْمِيَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَعِنْدَ الْوِقَاعِ»، ح(١٣٨)، ومواضع أخر، ومسلم في «النِّكَاحِ»، باب: «مَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَهُ عِنْدَ الْجِمَاعِ»، ح(٢٥٩١).

«اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي في رزقي». فقلت: يا نبي الله، سمعتك تدعو بكذا وكذا. قال: «وهل تراهن تركن من شيء»؟[١] رواه النسائي وابن السني.

٢- وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء»[٢] رواه مسلم والترمذي.

٣- وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة»[٣] رواه البخاري.

سابعًا: دعاء الطعام

١- عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما[٤]، عن النبي ﷺ أنه كان يقول في الطعام إذا قرب إليه: «اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، وقنا عذاب النار، بسم الله»[٥]. رواه ابن السني.

٢- وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى»، (٦/ ٢٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(٢٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف»، (٧/ ٦٢)، والطبراني في «الدعاء»، (٢/ ١٨٤). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»، (٤/ ٣٨٦): «رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح غير عباد بن عباد المازني، وهو ثقة، وكذلك رواه الطبراني».

(٢) أخرجه مسلم بنحوه في «الطَّهَارَةِ»، باب: «الذِّكْرُ الْمُسْتَحَبُّ عَقِبَ الْوُضُوءِ»، ح(٣٤٥)، والترمذي في «الطَّهَارَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «فِيمَا يُقَالُ بَعْدَ الْوُضُوءِ»، ح(٥٠) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري في «الأَذَانِ»، باب: «الدُّعَاءِ عِنْدَ النِّدَاءِ»، ح(٥٧٩)، وموضع آخر.

(٤) في الأصل: «عنه».

(٥) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(٤٥٦)، والطبراني في «الدعاء»، (٢/ ٤٤٩)، وقال ابن أبي حاتم في «العلل»، (١/ ١٥٢٨): «قَالَ أَبِي: هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَابْنُ أَبِي الزُّعَيْزِعَةِ لا يَشْتَغِلُ بِهِ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ».

فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى فليقل: بسم الله أوله وآخره»[١] رواه أبو داود والترمذي.

٣- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»[٢]. رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

٤- وعن معاذ بن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل طعامًا فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه»[٣]. رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

٥- وعن أنس بن مالك ﷺ، أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة ﷺ، فجاء بخبز وزيت فأكل، ثم قال النبي ﷺ: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة»[٤]. رواه أبو داود.

ثامنًا: دعاء التهجد والأرق والرؤيا

١- عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما[٥]- قال: كان النبي ﷺ إذا قام من

---

(١) أخرجه أبو داود في «الأَطْعِمَةِ»، باب: «التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ»، ح(٣٢٧٥)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٣٧٦٧).

(٢) أخرجه أبو داود في «الأَطْعِمَةِ»، باب: «مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا طَعِمَ»، ح(٣٣٥٢)، والترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا فَرَغَ مِنْ الطَّعَامِ»، ح(٣٣٧٩)، وابن ماجه في «الأَطْعِمَةِ»، باب: «مَا يُقَالُ إِذَا فَرَغَ مِنْ الطَّعَامِ»، ح(٣٢٧٤)، وأحمد في «مُسْنَد أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي ﷺ»، ح(١٠٨٤٦)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٣٨٥٠).

(٣) أخرجه أبو داود في «اللِّبَاسِ»، ح(٣٥٠٥)، والترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا فَرَغَ مِنْ الطَّعَامِ»، ح(٣٣٨٠)، وابن ماجه في «الأَطْعِمَةِ»، باب: «مَا يُقَالُ إِذَا فَرَغَ مِنْ الطَّعَامِ»، ح(٣٢٧٦)، وأحمد في «حَدِيث مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِي ﷺ»، ح(١٥٠٧٩)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٤٠٢٣).

(٤) أخرجه أبو داود في «الأَطْعِمَةِ»، باب: «مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ لِرَبِّ الطَّعَامِ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ»، ح(٣٣٥٦)، وابن ماجه في «الصِّيَامِ»، باب: «فِي ثَوَابِ مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا»، ح(١٧٣٧)، وأحمد في «مُسْنَد أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ»، ح(١١٧٣٢)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٣٨٥٤).

(٥) في الأصل: «عنه».

الليل يتهجد قال: «اللهم لك الحمد، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[1]. **رواه البخاري.**

٢- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها، فإنها هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره، فإنها هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها، ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره»[2]. **رواه البخاري ومسلم.**

٣- وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فزع أحدكم في النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون، فإنها لن تضره»[3]. **رواه أبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث حسن.**

٤- وعن خالد بن الوليد ﷺ أنه أصابه الأرق، فقال رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن نمت؟ قل: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لي جارًا من شر خلقك كلهم أجمعين أن يفرط عليَّ

---

(١) أخرجه البخاري في «الْجُمُعَةِ»، باب: «التَّهَجُّدِ بِاللَّيْلِ...»، ح(١٠٥٣)، ومواضع أخر.

(٢) أخرجه البخاري في «التَّعْبِيرِ»، باب: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ»، ح(٦٤٧٠)، وموضع آخر، ومسلم في «الرُّؤْيَا»، ح(٤١٩٥) وموضع آخر.

(٣) أخرجه أبو داود بنحوه في «الطِّبِّ»، باب: «كَيْفَ الرُّقَى»، ح(٣٣٩٥)، والترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، ح(٣٤٥١)، والنسائي في «الكبرى»، (٦/ ١٩١)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٣٨٩٣).

أحد منهم أو أن يطغى، عز جارك، وتبارك اسمك» فقالهن فنام[١] رواه الطبراني في «الأوسط»، و[ابن أبي شيبة][٢] في مصنفه.

٥- وعن زيد بن ثابت ﷺ قال: شكوت إلى رسول الله ﷺ أرقًا أصابني فقال: «قل: اللهم غارت النجوم، وهدأت العيون، وأنت حي قيوم، لا تأخذك سنة ولا نوم، يا حي يا قيوم أهدئ[٣] ليلي، وأنم عيني» فقلتُها، فأذهب الله ﷻ عني ما كنتُ أجده[٤]. رواه ابن السني.

تاسعًا: دعاء النوم

١- عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات وليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[٥]. رواه الجماعة.

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ونفخ فيهما فقرأ فيهما: «قل هو الله أحد» و«قل أعوذ برب الفلق» و«قل أعوذ برب الناس»، ثُم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرّات»[٦]. رواه البخاري.

٣- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يأوي إلى فراشه:

---

(١) أخرجه الترمذي بنحوه في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، ح(٣٤٤٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه»، (٧/ ١٠٢)، والطبراني في «الكبير»، و«الأوسط»، و«الدعاء»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي»، ح(٣٧٦٩).

(٢) في الأصل: «ابن شيبة».

(٣) في الأصل: «اهد».

(٤) أخرجه الطبراني بنحوه في «الكبير»، ح(٤٦٨٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(٧٤٧)، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة»، (٣/ ٤٩٦): «ضعيف جدًّا».

(٥) أخرجه البخاري في «التَّوْحِيدِ»، باب: «السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالاسْتِعَاذَةِ بِهَا»، ح(٦٨٤٤)، وموضع آخر، ومسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ»، ح(٤٨٨٩).

(٦) أخرجه البخاري في «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ»، باب: «فَضْلِ الْمُعَوِّذَاتِ»، ح(٤٦٣٠).

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، ثلاث مرات، غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد ورق الشجر، وإن كانت عدد رمل عالج[(١)]، وإن كانت عدد أيام الدنيا»[(٢)] رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

٤- وعن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «من قال حين يأوي إلى فراشه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر»[(٣)]. رواه ابن حبان.

٥- وعن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. فإن مِتّ من ليتلك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به»[(٤)]. أخرجه الجماعة.

عاشرًا: ختام الصلاة وختام المجلس

١- عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه

---

(١) عالِج: موضع بالبادية بها رَمْل. وفي حديث الدُّعاء: «وما تحويه عَوَالِجُ الرِّمال»؛ هي جمع عالِج، وهو ما ترَاكَم من الرمل ودخل بعضه في بعض. [لسان العرب، مادة (علج)].

(٢) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، ح(٣٣١٩)، وأحمد «مُسْنَد أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي ﷺ»، ح(١٠٦٥٢)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي»، ح(٣٣٩٧).

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، ح(٥٦١٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه»، (٦/ ٢٤١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(٧٢٠)، وقد حسنه صاحب «روضة المحدثين»، ح(٤٩٨٥).

(٤) أخرجه البخاري في «الْوُضُوءِ»، باب: «فَضْلِ مَنْ بَاتَ عَلَى الْوُضُوءِ»، ح(٢٣٩)، ومسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ»، ح(٤٨٨٤).

وإن كانت مثل زبد البحر»[١] رواه مسلم.

٢- وعن معاذ بن جبل ﷺ، أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ، والله إني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[٢]. رواه أبو داود.

٣- وعن أبي برزة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك». فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى؟ قال: «ذلك كفارة لما يكون في المجلس»[٣] رواه أبو داود والحاكم في «المستدرك».

٤- وعن عليٍّ ﷺ قال: «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل في آخر مجلسه أو حين يقوم: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمدُ لله رب العالمين»[٤] رواه أبو نعيم في «الحلية».

* * *

---

(١) أخرجه مسلم في «الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلاةِ»، باب: «اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلاةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ»، ح(٩٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «فِي الاسْتِغْفَارِ»، ح(١٣٠١)، والنسائي في «السَّهْوِ»، باب: «نَوْعٍ آخَرَ مِنْ الدُّعَاءِ»، ح(١٢٨٦)، وأحمد في «حَدِيثُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ»، ح(٢١١٠٣)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٥٢٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»، (٢/ ٢٣٧)، وأبو نعيم في «الحلية»، (٣/ ٢٠٧)، وقال صاحب «روضة المحدثين»، (١١/ ٣٤٤): «صحيح مرسلاً».

القسم الرابع: الأدعية المأثورة في حالات مختلفة

أولاً: دعاء الاستخارة الشرعية

عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، «أو قال: عاجل أمري وآجله» فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه.. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، «أو قال: في عاجل أمري وآجله»، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني به». قال: «ويسمي حاجته»[1]. رواه البخاري.

ثانيًا: صلاة الحاجة

عن عبد الله بن أبي أوفى -رضي الله عنهما- قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «من كانت له حاجة إلى الله تعالى أو إلى أحد من بني آدم، فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين، ثم يثني على الله تعالى، وليصل على النبي ﷺ وليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والعصمة من كل ذنب، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين، ثم ليسأل من أمر الدنيا والآخرة ما شاء فإنه يُقدَر»[2]. أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

ثالثًا: من أدعية السفر

يقول المقيم للمسافر: «أستودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك، وأقرأ عليك

---

(١) أخرجه البخاري في «الْجُمُعَةِ»، باب: «مَا جَاءَ فِي التَّطَوُّعِ مَثْنَى مَثْنَى...»، ح(١٠٩٦)، وموضع آخر.

(٢) أخرجه الترمذي في «الصَّلاةِ»، باب: «مَا جَاءَ فِي صَلاةِ الْحَاجَةِ»، ح(٤٤١)، وابن ماجه في «إِقَامَةِ الصَّلاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا»، باب: «مَا جَاءَ فِي صَلاةِ الْحَاجَةِ»، ح(١٣٧٤)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي»، ح(٤٧٩).

السلام»[١] رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمر.

ثم يوصيه فيقول: «عليك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف[٢]، اللهم اطو له البعد، وهون عليه السفر»[٣] رواه الترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة.

ثم يدعو له بقوله: «زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ويسر لك الخير حيثما كنت»[٤] أخرجه الترمذي والنسائي من حديث أنس.

ويقول المسافر للمقيم: «أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه»[٥]. رواه الطبراني من حديث أبي هريرة.

ثم يدعو الله بقوله: «اللهم بك أصول، وبك أجول[٦]، وبك أسير»[٧]، «اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل والولد». وإذا رجع قالهنّ وزاد فيهن:

---

(١) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا وَدَّعَ إِنْسَانًا»، ح(٣٣٦٤، ٣٣٦٥)، وابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «تَشْيِيعِ الْغُزَاةِ وَوَدَاعِهِمْ»، ح(٢٨١٦)، وأحمد في «مُسْنَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا»، ح(٤٢٩٥)، والنسائي في «الكبرى»، (٦/ ١٣٢)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٤٤٢).

(٢) الشَّرَفُ: العلوُّ، والمكان العالي. [الصحاح، مادة (شرف)].

(٣) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا وَدَّعَ إِنْسَانًا»، ح(٣٣٦٧)، وأحمد في «مُسْنَدِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ»، ح(٨٠٣٥)، والنسائي في «الكبرى»، (٦/ ١٣٠)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٤٤٥).

(٤) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا وَدَّعَ إِنْسَانًا»، ح(٣٣٦٦)، والحاكم في «المستدرك»، ح(٢٤٣٣)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٤٤٤).

(٥) أخرجه ابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «تَشْيِيعِ الْغُزَاةِ وَوَدَاعِهِمْ»، ح(٢٨١٥)، والنسائي في «الكبرى»، (٦/ ١٣١)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»، ح(٢٨٢٥).

(٦) في رواية: «أحول».

(٧) أخرجه أحمد في «وَمِنْ مُسْنَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ»، ح(١٢٢٩)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»، ح(٤٣٣٤).

«آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»[١] رواه أحمد والبزار ومسلم وغيرهم من حديث علي وابن عمر وعبد الله بن سرجس وغيرهم.

فإذا بدأ الركوب قال: «بسم الله»، فإذا استوى على مركبه قال: «الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون»[٢] رواه أبو داود والترمذي من حديث علي ﷺ.

رابعًا: من أدعية الظواهر الكونية

١- إذا رأى المطر قال: «اللهم صيبًا نافعًا» مرتين أو ثلاثًا[٣]. رواه ابن أبي شيبة من حديث عائشة. فإذا كثر المطر أو خاف ضرره قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام[٤]، والآجام[٥]، والظراب[٦]، والأودية، ومنابت الشجر»[٧] رواه البخاري من حديث أنس.

٢- إذا سمع الرعد والصواعق قال: «اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك»[٨] رواه الترمذي والحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن عمر.

---

(١) أخرجه مسلم في «الْحَجِّ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا رَكِبَ إِلَى سَفَرِ الْحَجِّ وَغَيْرِهِ»، ح(٢٣٩٢).

(٢) أخرجه مسلم بنحوه في «الْحَجِّ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا رَكِبَ إِلَى سَفَرِ الْحَجِّ وَغَيْرِهِ»، ح(٢٣٩٢)، وأبو داود في «الْجِهَادِ»، باب: «مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا سَافَرَ»، ح(٢٢٣٢)، والترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا رَكِبَ النَّاقَةَ»، ح(٣٣٦٨)، وأحمد في «وَمِنْ مُسْنَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ»، ح(٧١٤).

(٣) أخرجه البخاري في «الْجُمُعَةِ»، باب: «مَا يُقَالُ إِذَا مَطَرَتْ...»، ح(٩٧٤).

(٤) أي: التلال. [المعجم الوجيز، ص(٢٢)].

(٥) أي: الشجر الكثير الملتف. [السابق، ص(٧)].

(٦) الظَّرِبُ، بكسر الراءِ: كلُّ ما نَتأَ من الحجارة، وحُدَّ طَرَفُه؛ وقيل: هو الجَبَل المُنْبَسِط؛ وقيل: هو الجَبَلُ الصغير؛ وقيل: الرَّوابي الصغار، والجمعُ: ظِرابٌ. [لسان العرب، مادة (ظرب)].

(٧) أخرجه البخاري في «الْجُمُعَةِ»، باب: «الاسْتِسْقَاءِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ»، ح(٩٥٧)، ومواضع أخر.

(٨) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ»، ح(٣٣٧٢)، وأحمد في «مُسْنَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا»، ح(٥٥٠٣)، والنسائي في «الكبرى»، (٦/ ٢٣٠)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي»، ح(٣٤٥٠).

٣- إذا رأى الهلال قال: «الله أكبر، اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربي وربك الله»[١]، «هلال خير ورشد»[٢]، **ثم يقول ثلاثًا:** «اللهم إني أسألك من خير هذا الشهر، وخير القدر، وأعوذ بك من شره»[٣]. **رواه الدارمي والترمذي والطبراني وغيرهم من حديث عبد الله بن عمر وغيره.**

خامسًا: من أدعية الزواج والأولاد

١- يقول لمن تزوج: «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير»[٤] **رواه البخاري ومسلم والأربعة من حديث أنس وأبي هريرة.**

٢- إذا أتي بمولود أذّن في أذنه حين ولادته[٥]. رواه أبو داود والنسائي.

٣- تعويذ الأطفال: «أعيذك بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامّة»[٦] **رواه البخاري من حديث ابن عباس.**

---

(١) أخرجه احمد في «مُسْنَد أَبِي مُحَمَّدٍ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ»، ح(١٣٢٤)، وقد ذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة»، (٤/ ٤٣٠).

(٢) أخرجه أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا رَأَى الْهِلالَ»، ح(٤٤٢٨)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٥٠٩٢).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(٣٣٧٢)، وقال الهيثمي في «المجمع»، (١٠/ ١٣٩): «رواه الطبراني وإسناده حسن».

(٤) أخرجه أبو داود في «النِّكَاحِ»، باب: «مَا يُقَالُ لِلْمُتَزَوِّجِ»، ح(١٨١٩)، والترمذي في «النِّكَاحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِيمَا يُقَالُ لِلْمُتَزَوِّجِ»، ح(١٠١١)، وأحمد في «مُسْنَد أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ»، ح(٨٥٩٩)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٢١٣٠).

(٥) يشير رحمه الله للحديث الذي أخرجه أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «فِي الصَّبِيِّ يُولَدُ فَيُؤَذَّنُ فِي أُذُنِهِ»، ح(٤٤٤١)، والترمذي في «الأَضَاحِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «الأَذَانِ فِي أُذُنِ الْمَوْلُودِ»، ح(١٤٣٦)، وأحمد في «حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ ﷺ»، ح(٢٥٩٣٣)، من طريق أَبِي رَافِعٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَذَّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلاةِ. واللفظ لأبي داود، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٥١٠٥).

(٦) أخرجه البخاري في «أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ»، باب: «قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ ...»، ح(٣١٢٠) بلفظ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ».

٤- «إذا أفصح الصبي فليعلمه لا إله إلا الله، وإذا اثْغرَ[١] فليأمره بالصلاة»[٢]. **أخرجه ابن السني من حديث عبد الله بن عمرو[٣].**

سادسًا: من أدعية المرئيات

١- إذا رأى ما يحب قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات». **وإذا رأى ما يكره قال:** «الحمد لله على كل حال»[٤]. **رواه الحاكم وابن ماجه من حديث عائشة.**

٢- إذا رأى وجهه في المرآة قال: «اللهم أنت حسنت خلقي فحسن خلقي، وحرم وجهي على النار»[٥]، «الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله، وكرم صورة وجهي فأحسنها، وجعلني من المسلمين»[٦] **رواه ابن حبان وابن مردويه، والطبراني من حديث عبد الله بن مسعود وعائشة وأنس.**

٣- إذا رأى باكورة ثمرة أو فاكهة قال: «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا، اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره»[٧] **ثم يعطيه أصغر من يكون عنده من الصبيان. رواه مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة.**

---

(١) ثُغِرَ الغلامُ ثَغْرًا: سقطت أسنانه الرواضع، ونبتت أسنانه، فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط قيل: اثَّغر واثَّغر. [لسان العرب، مادة (ثغر)].

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(٤٢٢)، بلفظ: «إذا أفصح أولادكم فعلموهم لا إله إلا الله، ثم لا تبالوا متى ماتوا، وإذا أثغروا فمروهم بالصلاة»، وقد ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة»، (٥/ ٣٦٠).

(٣) في الأصل: «عمر».

(٤) أخرجه ابن ماجه في «الأَدَبِ»، باب: «فَضْلِ الْحَامِدِينَ»، ح(٣٧٩٣)، والحاكم في «المستدرك»، ح(١٧٩٤)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»، ح(٣٨٠٣).

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، ح(٨٣٠٤)، وابن حبان في «صحيحه»، ح(٩٦٤)، وزاد ابن مردويه: «وحرم وجهي على النار»، وقد صححه الألباني في «إرواء الغليل»، ح(٧٤).

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، ح(٧٩٩)، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا الحارث بن مسلم، ولا عن الحارث إلا هاشم بن عيسى. تفرد به: سلم بن قادم»، وقد ضعفه الألباني في «الكلم الطيب»، ح(٢٣٢).

(٧) أخرجه مسلم في «الْحَجِّ»، باب: «فَضْلِ الْمَدِينَةِ وَدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ وَبَيَانِ تَحْرِيمِهَا وَتَحْرِيمِ صَيْدِهَا وَشَجَرِهَا وَبَيَانِ حُدُودِ حَرَمِهَا»، ح(١٣٧٣).

٤- إذا رأى أخاه المسلم يضحك قال: «أضحك الله سنك»[١] رواه البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص.

سابعًا: من أدعية السلام والتحية

١- إذا بُلّغ عن أحد سلامًا رده على المبلغ والمسلّم معًا[٢]. أخرجه النسائي وابن القطان من حديث أنس في سلام خديجة.

٢- إذا قال له إنسان: إني أحبك. قال: «أحبك الذي أحببتني له»[٣] رواه أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث أنس.

٣- إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: «أحمد الله إليك»[٤]، أو يقول: «بخير، أحمد

---

(١) أخرجه البخاري في «بَدْءِ الْخَلْقِ»، باب: «صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ...»، ح(٣٠٥١) ومواضع أخر، ومسلم في «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ»، باب: «مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ ﷺ»، ح(٤٤١٠).

(٢) من ذلك ما أخرجه النسائي في «السنن الكبرى»، (٥/ ٩٤)، و«عمل اليوم والليلة»، (١/ ٣٠١)، والحاكم في «المستدرك»، (٤/ ٣٠١)، من طريق أنس ﷺ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعِنْدَهُ خَدِيجَةُ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ يُقْرِئُ خَدِيجَةَ السَّلَامَ». فَقَالَتْ: إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلَامُ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاته». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وسكت عنه الذهبي.

وكذلك ما أخرجه أبو داود في «الْأَدَبِ»، باب: «فِي الرَّجُلِ يَقُولُ: فُلَانٌ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ»، ح(٤٥٥٤)، من طريق إِسْمَاعِيلَ عَنْ غَالِبٍ أنه قَالَ: إِنَّا لَجُلُوسٌ بِبَابِ الْحَسَنِ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ: بَعَثَنِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ائْتِهِ فَأَقْرِئْهُ السَّلَامَ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: إِنَّ أَبِي يُقْرِئُكَ السَّلَامَ. فَقَالَ: «عَلَيْكَ السَّلَامُ وَعَلَى أَبِيكَ السَّلَامُ»، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٥٢٣١).

(٣) أخرج أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «إِخْبَارِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ بِمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُ»، ح(٤٤٦٠) من طريق أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْلَمْتَهُ»؟ قَالَ: لا. قَالَ: «أَعْلِمْهُ». قَالَ: فَلَحِقَهُ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ. فَقَالَ: أَحَبَّكَ الذي أَحْبَبْتَنِي لَهُ، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٥١٢٥).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(١٤٧٥)، وقد صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»، (٦/ ١٠٩٧).

الله»[١] رواه أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمر وأنس.

٤- إذا صنع إليه أحد معروفًا قال: «جزاك الله خيرًا»[٢] رواه الترمذي من حديث أسامة.

ثامنًا: من أدعية عوارض الحياة

١- إذا أصابه الكرب أو الهم أو الغم أو الحزن يقول:

- «لا إله إلا الله الكريم العظيم، سبحانه تبارك الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين»[٣].

- «توكلت على الحي الذي لا يموت، ﴿الْحَمْدُ لله الذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]»[٤].

- «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»[٥].

(١) أخرجه ابن ماجه في «الأَدَبِ»، باب: «الرَّجُلِ يُقَالُ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ»؟، ح(٣٧٠١)، وأحمد في «مُسْنَدِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ»، ح(١٣٠٤٨)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه»، ح(٣٧١١).

(٢) أخرجه الترمذي في «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي الثَّنَاءِ بِالْمَعْرُوفِ»، ح(١٩٥٨)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٢٠٣٥).

(٣) أخرجه أحمد في «مُسْنَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ»، ح(٦٨٨)، والنسائي في «الكبرى»، ح(١٠٤٦٦)، والحاكم في «المستدرك»، ح(١٨٢٦)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه لاختلاف فيه على الناقلين، وهكذا أقام إسناده: محمد بن عجلان، عن محمد بن كعب».

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، ح(١٨٢٩)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»، ح(١١٥٢).

(٥) أخرجه أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ»، ح(٤٤٢٦)، وأحمد في «حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلَدَةَ ﷺ»، ح(١٩٥٣٥)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٥٠٩٠).

- «يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث»[١].

- «﴿لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]»[٢].

- «اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي»[٣].

- «لا حول ولا قوة إلا بالله»[٤] رواه النسائي وابن حبان من حديث علي، والحاكم

---

(١) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، ح(٣٤٤٦)، والحاكم في «المستدرك»، ح(١٨٢٨)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٥٢٤).

(٢) أخرج النسائي في «الكبرى»، ح(١٠٤٩١)، والحاكم في «المستدرك»، ح(١٨١٨) من طريق سعد بن أبي وقاص قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم أو أحدثكم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من الدنيا دعا به فرج عنه»؟ فقيل له: بلى. قال: «دعاء ذي النون ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾» واللفظ للنسائي، وقد صححه الألباني في «الصحيحة»، (٤/ ٣٢٥).

(٣) أخرج احمد في «مُسْنَد عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ»، ح(٣٥٢٨، ٤٠٩١) أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلاَّ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا». قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»، وقد صححه الألباني في «الصحيحة»، (١/ ٣٣٧).

(٤) أخرج الطبراني في «الكبير»، ح(١٢٨٥٢) من طريق ابْنِ عَبَّاسٍ، في قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، قَالَ: أَخْبَرَنَا اللَّهُ ﷻ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا سَلَّمَ لأَمْرِ اللَّهِ وَرَجَعَ، فَاسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ كَتَبَ ثَلاثَ خِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ: الصَّلاةُ، وَالرَّحْمَةُ، وَتَحْقِيقُ سَبِيلِ الْهُدَى، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ جَبَرَ اللهُ مُصِيبَتَهُ، وَأَحْسَنَ عُقْبَاهُ، وَجَعَلَ لَهُ خَلَفًا صَالِحًا يَرْضَاهُ». وقال

من حديث أبي هريرة وعبد الله بن مسعود، والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص، وأحمد والبزار من حديث ابن مسعود.

٢- إذا وقع له ما لا يختاره فليقل: «قدر الله وما شاء فعل، ولا يقول: لو؛ فإن لو تفتح باب الشيطان»[(١)] رواه النسائي من حديث أبي هريرة.

٣- إن غلبه أمر فليقل: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣][(٢)]. رواه أبو داود من حديث عوف بن مالك.

٤- إن أصابته مصيبة قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتي، فأجرني فيها، وأبدلني منها خيرًا»[(٣)]. رواه الترمذي والحاكم من حديث أبي سلمة.

٥- إذا استصعب عليه شيء قال: «اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً»[(٤)] رواه ابن حبان من حديث أنس.

الهيثمي في «المجمع»، (٦/ ٣٣١): «رواه الطبراني في الكبير وفيه علي بن أبي طلحة وهو ضعيف»، وفي (٦/ ٣١٧): «رواه الطبراني وإسناده حسن»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»، ح(٢٠٤٧).

(١) أخرج مسلم في «الْقَدَرِ»، باب: «فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ»، ح(٤٨١٦) من طريق أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِي خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

(٢) أخرج أبو داود في «الْأَقْضِيَةِ»، باب: «الرَّجُلِ يَحْلِفُ عَلَى حَقِّهِ»، ح(٣١٤٣) من طريق عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِي ﷺ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَقَالَ الْمَقْضِي عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ: حَسْبِي اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٣٦٢٧).

(٣) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، ح(٣٤٣٣)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٥١١).

(٤) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، ح(٩٧٩)، وقد صححه الألباني في «الصحيحة»، (٦/ ٩٠٢).

٦- إذا غضب قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[١] رواه البخاري ومسلم من حديث سليمان بن صرد.

٧- إذا ابتلي بالدَّيْن قال: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك»[٢] رواه الترمذي والحاكم من حديث عليٍّ.

تاسعًا: من أدعية المرض والوفاة

١- إذا اشتكى وضع يده على موضع الألم من جسده ثم قال: «بسم الله (ثلاث مرات)، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر (سبع مرات)»[٣] رواه مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص.

٢- إذا عاد مريضًا قال: «اللهم أذهب الباس رب الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا»[٤]، ويمسح بيده عليه ويطيب خاطره. رواه البخاري من حديث عائشة.

٣- وفي العزاء يسلم ويقول: «إنَّ لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل

---

(١) أخرج البخاري في «بَدْءِ الْخَلْقِ»، باب: «صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ...»، ح(٣٠٤٠)، ومواضع أخر، ومسلم في «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ»، باب: «فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ»، ح(٤٧٢٥) وموضع آخر، من طريق سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِي ﷺ وَرَجُلان يَسْتَبَّان فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنْ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ». فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذْ بِالله مِنْ الشَّيْطَانِ». فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ. واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «فِي دُعَاءِ النَّبِي ﷺ»، ح(٣٤٨٦)، وأحمد في «وَمِنْ مُسْنَدِ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ»، ح(١٢٥٠)، والحاكم في «المستدرك»، ح(١٩٢٩)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٥٦٣).

(٣) أخرجه مسلم في «السَّلامِ»، باب: «اسْتِحْبَابِ وَضْعِ يَدِهِ عَلَى مَوْضِعِ الأَلَمِ مَعَ الدُّعَاءِ»، ح(٤٠٨٢).

(٤) أخرجه البخاري في «الْمَرْضَى»، باب: «دُعَاءِ الْعَائِدِ لِلْمَرِيضِ...»، ح(٥٢٤٣)، وموضع آخر، ومسلم في «السَّلامِ»، باب: «اسْتِحْبَابِ رُقْيَةِ الْمَرِيضِ»، ح(٤٠٦١) ومواضع أخر.

مسمى، فلتصبر ولتحتسب»[(١)] رواه البخاري من حديث أسامة.

وكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ يعزيه في ابنه: «بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد؛ فأعظم الله [لك][(٢)] الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، فإن أنفسنا وأموالنا وأهلنا[(٣)] وأولادنا من مواهب الله ﷻ الهنية، وعواريه المستودعة، نمتع بها إلى أجل معدود، ويقبضها لوقت معلوم، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلى، وكان ابنك من مواهب الله الهنية، وعواريه المستودعة، متعك به في غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كثير، الصلاة والرحمة والهدى إن احتسبت، فاصبر، ولا يحبط جزعك أجرك فتندم، واعلم أن الجزع لا يرد شيئًا، ولا يدفع حزنًا، وما هو نازل فكأن قد، والسلام»[(٤)]. رواه الحاكم وابن مردويه.

٤- وفي صلاة الجنازة يدعو للميت بقوله: «**اللهم اغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر، أو من عذاب النار**»[(٥)]. رواه مسلم من حديث عوف بن مالك.

٥- في زيارة القبور يقول: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية،**

---

(١) أخرجه البخاري في «الْجَنَائِزِ»، باب: «قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: يُعَذَّبُ الْمَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ...»، ح(١٢٠٤)، ومواضع أخر، ومسلم في «الْجَنَائِزِ»، باب: «الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ»، ح(١٥٣١).

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) في الروايات: «أهلينا».

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، ح(٥١٩١)، والطبراني في «الكبير»، (١٦٧٤٠)، و«الأوسط»، ح(٨٣)، وقال الهيثمي في «المجمع»، (٣/ ٣): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه مجاشع بن عمرو وهو ضعيف»، وقد حكم الألباني بوضعه في «أحكام الجنائز»، ص(٢٥٥).

(٥) أخرجه مسلم في «الْجَنَائِزِ»، باب: «الدُّعَاءِ لِلْمَيِّتِ فِي الصَّلَاةِ»، ح(١٦٠٠، ١٦٠١).

أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تضلنا بعدهم»[١] رواه مسلم والنسائي وابن ماجه وابن السني.

عاشرًا: صلاة التسبيح

أربع ركعات بتسليمة واحدة أو بتسليمتين، يقرأ في كل ركعة بالفاتحة وسورة، ثم يسبح قائمًا خمس عشرة مرة يقول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»، ويسبح في الركوع عشرًا، وفي الرفع عشرًا، وفي السجود عشرًا، وبين السجدتين عشرًا، وفي السجدة الثانية عشرًا، وفي الرفع منها قبل القيام أو التشهد عشرًا، فهي خمس[٢] وسبعون تسبيحة، يفعل ذلك في كل ركعة[٣].. الحديث أخرجه أبو داود والحاكم من

---

(١) أخرج مسلم في «الْجَنَائِزِ»، باب: «مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ الْقُبُورِ وَالدُّعَاءِ لأَهْلِهَا»، ح(١٦١٩) من طريق عائشة أنها سألت النبي ﷺ: ماذا تقول إذا أتت البقيع؟ فقال: «قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلاحِقُونَ».

وأخرج النسائي في «الْجَنَائِزِ»، باب: «الأَمْرُ بِالاسْتِغْفَارِ لِلْمُؤْمِنِينَ»، ح(٢٠١٣) من طريق بريدة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى عَلَى الْمَقَابِرِ قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ، أَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكُمْ»، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن النسائي»، ح(٢٠٤٠).

وأخرج ابن السني في «عمل اليوم والليلة»، ح(٥٩٠) من طريق عائشة -رضي الله عنها- قالت: فقدت رسول الله ﷺ فاتبعته، فأتى البقيع، فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم لنا فرط، وإنا بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تضلنا بعدهم». وقد قال الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه»، ح(١٥٤٦): «ضعيف، وهو صحيح دون: «اللهم لا...»».

(٢) في الأصل: «خمسة».

(٣) أخرج أبو داود في «الصَّلَاةِ»، باب: «صَلَاةِ التَّسْبِيحِ»، ح(١١٠٥)، من طريق ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: «يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّاهُ، أَلا أُعْطِيكَ، أَلا أَمْنَحُكَ، أَلا أَحْبُوكَ، أَلا أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ، خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ، سِرَّهُ وَعَلانِيَتَهُ، عَشْرَ خِصَالٍ أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ قُلْتَ: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ تَرْكَعُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي

حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما.

من أوراد الإخوان بعد الورد القرآني وورد[1] المأثورات:

١ - ورد الدعاء:

«أستغفر الله» (مائة مرة)، «اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم» (مائة مرة)، «لا إله إلا الله» (مائة مرة)، الدعاء للدعوة والقائمين بها وللإخوان وللنفس والأهل بعد ذلك بما تيسر من الدعوات.

ويقرأ الورد صباحًا بعد صلاة الصبح، ومساء بعد صلاة المغرب أو العشاء أو قبل النوم مع الخشوع التام، وألا يقطع ورده بكلام دنيوي إلا للضرورة استكمالاً للخشوع وتأدبًا في الذكر.

٢ - ورد الرابطة:

يتلو الأخ الآية الكريمة في تدبر كامل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

ثم يتلو الدعاء المأثور بعد ذلك: «اللهم إن هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك فاغفر لي»[2].

ثم يستحضر صورة من يعرف من إخوانه في ذهنه، ويستشعر الصلة الروحية بينه وبين من لم يعرفه منهم، ثم يدعو لهم بمثل هذا الدعاء: اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب

أَرْبَع رَكَعَاتٍ، إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي عُمُرِكَ مَرَّةً»، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٢٩٧).

(١) في الأصل: «ورد».

(٢) أخرجه أبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «مَا يَقُولُ عِنْدَ أَذَانِ الْمَغْرِبِ»، ح(٤٤٦)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٥٣٠).

قد اجتمعت على محبتك، والتقت على طاعتك، وتوحدت على دعوتك، وتعاهدت على نصرة شريعتك، فوثق اللهم رابطتها، وأدم ودها، واهدها سبلها، وأملأها بنورك الذي لا يخبو، واشرح صدورها بفيض الإيمان بك، وجميل التوكل عليك، وأحيها بمعرفتك، وأمتها على الشهادة في سبيلك، إنك نعم المولى ونعم النصير، اللهم آمين، وصل اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

ووقت هذا الورد ساعة الغروب تمامًا من كل ليلة.

٣ - ورد المحاسبة:

وهو استعراض أعمال اليوم ساعة النوم، فإن وجد الأخ خيرًا فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فليستغفر، وليسأل ربه، ثم يجدد التوبة، وينام على أفضل العزائم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

* * *


النادي الشبابي

رسالة

مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين

١٩ ذو الحجة ١٣٥٦هـ - ٢٠ فبراير ١٩٣٨م

تقـديم

في أواخر ١٩٣٣م تكونت أول رابطة لطلاب الإخوان المسلمين من ستة من الطلاب هم: محمد عبد الحميد أحمد (كلية الآداب)، وإبراهيم أبـو النجـا الجـزار (كليـة الطـب)، وأحمد مصطفى (مدرسة التجارة العليا)، ومحمد جمال الفندي (كلية العلوم)، ومحمد رشاد الهواري (كلية الحقوق)، ومحمد صبري (الزراعة العليـا)، ولقـد اعتـبر الشـيخ طنطـاوي جوهري انضمام هؤلاء الطلاب للإخوان فتحًا مبينًا.

وفي ١٩ من ذي الحجة ١٣٥٦هـ الموافق ٢٠ فبراير ١٩٣٨م عقد أول مؤتمر لطـلاب الإخوان تحت رئاسة الإمام البنا وسكرتارية الأستاذ حامد شـريت، وبحضـور الأسـتاذين محمد عبد الحميد أحمد ومحمد الجنيدي جمعة عضوي مكتب الإرشاد عن الطلبة، وقد وجه فيه الإمام البنا هذه الكلمة لطلاب الإخوان.

وقد نشرت هذه الكلمة في كتيب صادر عن لجنة المؤتمر بـدار الإخـوان المسـلمين ٥ ميدان العتبة بتاريخ محرم ١٣٥٧هـ الموافق مارس ١٩٣٨م، وقد اعتمـدنا في توثيـق تلـك الرسالة على هذا الكتيب.

وقد بيَّن الإمام البنا في تلك الرسالة طريـق الـدعوة داخـل صـفوف الطـلاب، وأن الإسلام لا يفصل بـين الـدين والسياسـة، كمـا تطـرق الإمـام البنـا للسياسـة الداخليـة والسياسية الخارجية، كما ذكر الإمام البنا نظام الأحزاب ووضعها في مصر.

* * *

مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين

كلمة فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

إلى العمل أيها الإخوة...

كلما وقفت هذا الموقف من جمهور يستمع، سألت الله في إلحاح أن يقرب اليوم الذي ندع فيه ميدان الكلام إلى ميدان العمل، وميدان وضع الخطط والمناهج إلى ميدان الإنفاذ والتحقيق، فقد طال الوقت الذي قضيناه خطباء متكلمين، والزمن يطالبنا في إلحاح بالأعمال الجدية المنتجة، والدنيا كلها تأخذ في أسباب القوة والاستعداد، ونحن مازلنا بعد في دنيا الأقاويل والأحلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ۞ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٢-٤].

أيها الإخوة:

تحدث إليكم الإخوان في شمول معنى الإسلام وإحاطته واستيعابه لكل مظاهر حياة الأمم، ناهضة أو مستقرة منشئة أو مستكملة، وعرض بعضهم لموقف الإسلام من الوطنية، فأظهركم على أن وطنية الإسلام هي أوسع الوطنية حدودًا، وأعمها وجودًا، وأسماها خلودًا، وأن أشد المتطرفين لوطنه المتعصبين لقومه لن يجد في دعوة الوطنيين المجردين ما يلقاه من حماسة وطنية المؤمنين، ولست أفيض في شرح ذلك بعد إذ عرضوا له، ولكني سأعرض إلى ناحية واحدة كثر لغط الناس بها، وكثر تبعًا لذلك غلطهم فيها، هي: (السياسة والإسلام).

نظرية الفصل:

قلما تجد إنسانًا يتحدث إليك عن السياسة والإسلام إلا وجدته يفصل بينهما فصلاً،

ويضع كل واحد من المعنيين في جانب، فهما عند الناس لا يلتقيان ولا يجتمعان، ومن هنا سميت هذه جمعية إسلامية لا سياسية، وذلك اجتماع ديني لا سياسة فيه، ورأيت في صدر قوانين الجمعيات الإسلامية ومناهجها (لا تتعرض الجمعية للشئون السياسية).

وقبل أن أعرض إلى هذه النظرة بتزكية أو تخطئة أحب أن ألفت النظر إلى أمرين مهمين:

أما أولهما: فهو أن الفارق بعيد بين الحزبية والسياسة، وقد يجتمعان وقد يفترقان، فقد يكون الرجل سياسيًا بكل ما في الكلمة من معان، وهو لا يتصل بحزب ولا يمت إليه، وقد يكون حزبيا ولا يدري من أمر السياسة شيئًا، وقد يجمع بينهما فيكون سياسيًا حزبيًا أو حزبيًا سياسيًا على حد سواء، وأنا حين أتكلم عن السياسة في هذه الكلمة فإنما أريد السياسة المطلقة، وهي النظر في شئون الأمة الداخلية والخارجية غير مقيدة بالحزبية بحال... هذا أمر.

تحديد معنى الإسلام:

والثاني: أن غير المسلمين حينما جهلوا هذا الإسلام، أو حينما أعياهم أمره وثباته في نفوس أتباعه، ورسوخه في قلوب المؤمنين به، واستعداد كل مسلم لتفديته بالنفس والمال، لم يحاولوا أن يجرحوا في نفوس المسلمين اسم الإسلام ولا مظاهره وشكلياته، ولكنهم حاولوا أن يحصروا معناه في دائرة ضيقة تذهب بكل ما فيه من نواح قوية عملية، وإن تركت للمسلمين بعد ذلك قشورًا من الألقاب والأشكال والمظهريات لا تسمن ولا تغني من جوع.

فأفهموا المسلمين أن الإسلام شيء والاجتماع شيء آخر، وأن الإسلام شيء والقانون شيء غيره، وأن الإسلام شيء ومسائل الاقتصاد لا تتصل به، وأن الإسلام شيء والثقافة العامة سواه، وأن الإسلام شيء يجب أن يكون بعيدًا عن السياسة.

فحدثوني بربكم -أيها الإخوان- إذا كان الإسلام شيئًا غير السياسة، وغير الاجتماع، وغير الاقتصاد، وغير القانون، وغير الثقافة، فما هو إذن؟!

أهو هذه الركعات الخالية من القلب الحاضر؟

أم هذا الألفاظ التي هي كما تقول رابعة العدوية[١]: استغفار يحتاج إلى استغفار؟

ألهذا -أيها الإخوان- نزل القرآن نظامًا شاملاً محكمًا مفصلاً: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٢] [النحل: ٨٩].

هذا المعنى المتضائل لفكر الإسلام، وهذه الحدود الضيقة التي حدد بها معنى الإسلام، هي التي حاول خصوم الإسلام أن يحصروا فيها المسلمين، وأن يضحكوا عليهم بأن يقولوا لهم: لقد تركنا لكم حرية الدين، وإن الدستور لينص على أن دين الدولة الرسمي الإسلام.

الإسلام الشامل:

أنا أعلن -أيها الإخوان- من فوق هذا المنبر بكل صراحة ووضوح وقوة، أن الإسلام شيء غير هذا المعنى الذي أراد خصومه والأعداء من أبنائه أن يحصروه فيه ويقيدوه به، وأن الإسلام: عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، وسماحة وقوة، وخلق ومادة، وثقافة وقانون، وأن المسلم مطالب بحكم إسلامه أن يعنى بكل شئون أمته، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

وأعتقد أن أسلافنا رضوان الله عليهم ما فهموا للإسلام معنى غير هذا، فبه كانوا يحكمون، وله كانوا يجاهدون، وعلى قواعده كانوا يتعاملون، وفي حدوده كانوا يسيرون في كل شأن من شئون الحياة الدنيا العملية قبل شئون الآخرة الروحية، ورحم الله الخليفة الأول إذ يقول: «لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله»[٣].

السياسة من الإسلام:

بعد هذا التحديد العام لمعنى الإسلام الشامل، ولمعنى السياسة المجردة عن الحزبية،

---

(١) رابعة العدوية [...-١٣٥هـ =...- ٧٥٢م]: رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية: صالحة مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها، لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر، توفيت بالقدس، قبرها يزار، وهو بظاهر القدس من شرقيه، على رأس جبل يسمى «الطور»، وقيل: وفاتها سنة ١٣٥هـ. [الأعلام، (٣/ ١٠)].

(٢) في الأصل: «تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون».

(٣) ذكر السيوطي في «الإتقان»، ص(٣٨٠) أن صاحب القول هو ابن عباس، وكذا الألوسي في «روح المعاني»، (٥/ ٣٠٩)، والشنقيطي في «أضواء البيان»، (٣/ ٦٠).

أستطيع أن أجهر في صراحة: بأن المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيًا، بعيد النظر في شئون أمته، مهتمًا بها غيورًا عليها.

وأستطيع كذلك أن أقول: إن هذا التحديد والتجريد أمر لا يقره الإسلام، وإن على كل جمعية إسلامية أن تضع في رأس برنامجها الاهتمام بشئون أمتها السياسية، وإلا كانت تحتاج هي نفسها إلى أن تفهم معنى الإسلام.

خطوة في الطريق لا انحراف عنه:

دعوني -أيها الإخوة- أسترسل معكم قليلاً في تقرير هذا المعنى الذي قد يبدو مفاجأة غريبة على قوم تعودوا أن يسمعوا دائمًا نغمة التفريق بين الإسلام والسياسة، والذي قد يدع بعض الناس يقولون بعد انصرافنا من هذا الحفل: إن جمعية الإخوان المسلمين قد تركت مبادئها، وخرجت على صفتها، وصارت جمعية سياسية بعد أن كانت جمعية دينية، ثم يذهب كل متأول في ناحية من نواحي التأويل متلمسًا أسباب هذا الانقلاب في نظره، وعلم الله -أيها السادة- أن الإخوان ما كانوا يومًا من الأيام غير سياسيين، ولن يكونوا يومًا من الأيام غير مسلمين، وما فرقت دعوتهم أبدًا بين السياسة والدين، ولن يراهم الناس في ساعة من نهار حزبيين، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، ومحال أن يسيروا لغاية غير غايتهم، أو يعملوا لفكرة سوى فكرتهم، أو يتلونوا بلون غير الإسلام الحنيف: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

السياسة الداخلية:

دعوني -أيها الإخوة- أسترسل معكم في تقرير هذا المعنى، فأقول: إن كان يراد بالسياسة معناها الداخلي من حيث تنظيم أمر (الحكومة)، وبيان مهماتها، وتفصيل حقوقها وواجباتها، ومراقبة الحاكمين والإشراف عليهم ليطاعوا إذا أحسنوا وينقدوا إذا أساءوا.. فالإسلام قد عني بهذه الناحية، ووضع لها القواعد والأصول، وفصل حقوق الحاكم والمحكوم، وبين مواقف الظالم والمظلوم، ووضع لكل حدًا لا يعدوه ولا يتجاوزه.

فالقوانين الدستورية والمدنية والجنائية بفروعها المختلفة عرض لها الإسلام، ووضع نفسه منها بالموضع الذي يجعله أول مصادرها وأقدس منابعها. وهو حين فعل هذا إنما وضع الأصول الكلية، والقواعد العامة، والمقاصد الجامعة، وفرض على الناس تحقيقها،

وترك لهم الجزئيات والتفاصيل يطبقونها بحسب ظروفهم وأعصارهم، ويجتهدون في ذلك ما وسعتهم المصلحة وواتاهم الاجتهاد.

وقد قرر الإسلام سلطة الأمة وأكدها، وأوصى بأن يكون كل مسلم مشرفًا تمام الإشراف على تصرفات حكومته، يقدم لها النصح والمعونة ويناقشها الحساب، وهو كما فرض على الحاكم أن يعمل لمصلحة المحكومين بإحقاق الحق وإبطال الباطل فرض على المحكومين كذلك أن يسمعوا ويطيعوا للحاكم ما كان كذلك، فإذا انحرف فقد وجب عليهم أن يقيموه على الحق، ويلزموه حدود القانون، ويعيدوه إلى نصاب العدالة، هذه تعاليم كلها من كتاب الله تبارك وتعالى، ومن أحاديث رسوله، لم ننقولها ولم نخترعها، وإلى حضراتكم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۞ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۞ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٨-٥٠]، إلى عشرات من الآيات الكريمة التي تناولت كل ما ذكرنا بالبيان والتفصيل.

ويقول رسول الله ﷺ في تقرير سلطة الأمة وتقرير الرأي العام فيها: «الدين النصيحة». قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[١]، ويقول أيضًا: «إن من أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[٢]، ويقول كذلك: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[٣].. إلى مئات الأحاديث التي تفصل هذا المعنى وتوضحه، وتوجب على المسلمين أن يأمروا بالمعروف، وأن ينهوا عن المنكر، وأن يراقبوا حكامهم ويشرفوا على مبلغ احترامهم

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الحاكم (٣ / ٢١٥) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»، (١/ ٦٤٨).

للحق وإنفاذهم لأحكام الله.

فهل كان رسول الله ﷺ حين يأمر بهذا التدخل، أو الإشراف، أو التناصح، وسمه ما شئت، وحين يحض عليه، ويبين أنه الدين وأنه الجهاد الأكبر، وأن جزاءه الشهادة العظمى يخالف تعاليم الإسلام فيخلط السياسة بالدين، أم أن هذه هي طبيعة الإسلام التي بعث الله به نبيه ﷺ، وإننا في الوقت الذي نعدل فيه بالإسلام عن هذا المعنى نصور لأنفسنا إسلامًا خاصًا غير الذي جاء به رسول الله ﷺ عن ربه. لقد تقرر هذا المعنى الفسيح للإسلام الصحيح في نفوس السلف الصالح لهذه الأمة، وخالط أرواحهم وعقولهم، وظهر في كل أدوار حياتهم الاستقلالية قبل ظهور هذا الإسلام الاستعماري الخانع الذليل.

ومن هنا -أيها الإخوان- كان أصحاب رسول الله ﷺ يتكلمون في نظم الحكم، ويجاهدون في مناصرة الحق، ويحتملون عبء سياسة الأمة، ويظهرون على الصفة التي وصفوا أنفسهم بها «رهبان بالليل فرسان بالنهار»(١) حتى كانت أم المؤمنين عائشة الصدِّيقية تخطب الناس في دقائق السياسة، وتصور لهم مواقف الحكومات في بيان رائع وحجة قوية، ومن هنا كانت الكتيبة التي شقت عصا الطاعة على الحجاج(٢)، وحاربته وأنكرت عليه بقيادة ابن الأشعث تسمى كتيبة الفقهاء؛ إذ كان فيها سعيد بن جبير(٣)

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الحجاج الثقفي [٤٠-٩٥هـ = ٦٦٠-٧١٤م]: الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب، ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز)، وانتقل إلى الشام، وقلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى بغداد فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة، وبنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة)، وكان سفاكا سفاحا باتفاق معظم المؤرخين، مات بواسط. [الأعلام، (٢/ ١٦٨)].

(٣) سعيد بن جبير [٤٥-٩٥هـ = ٦٦٥-٧١٤م]: سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن، فذهب سعيد إلى مكة، فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج، فقتله بـ«واسط». [السابق، (٣/ ٩٣)].

وعامر الشعبي[1] وأضرابهما من فقهاء التابعين وجلة علمائهم.

ومن هنا رأينا من مواقف الأئمة -رضوان الله عليهم- في مناصحة الملوك ومواجهة الأمراء والحكام بالحق ما يضيق بذكر بعضه فضلاً عن كله المقام.

ومن هنا كذلك كانت كتب الفقه الإسلامي قديمًا وحديثًا فياضة بأحكام الإمارة والقضاء والشهادة والدعاوى والبيوع والمعاملات والحدود والتعزيرات، ذلك إلى أن الإسلام أحكام عملية وروحية، إن قررتها السلطة التشريعية فإنما تقوم على حراستها وإنفاذها السلطة التنفيذية والقضائية، ولا قيمة لقول الخطيب كل جمعة على المنبر: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، في الوقت الذي يجيز فيه القانون السكر، وتحمي الشرطة السكيرين، وتقودهم إلى بيوتهم آمنين مطمئنين، ولهذا كانت تعاليم القرآن لا تنفك عن سطوة السلطان، ولهذا كانت السياسة الحكومية جزءًا من الدين، وكان من واجبات المسلم أن يعنى بعلاج الناحية الحكومية كما يعنى بعلاج الناحية الروحية. وذلك موقف الإسلام من السياسة الداخلية.

السياسة الخارجية:

فإن أريد بالسياسة معناها الخارجي، وهو المحافظة على استقلال الأمة وحريتها، وإشعارها كرامتها وعزتها، والسير بها إلى الأهداف المجيدة التي تحتل بها مكانتها بين الأمم ومنزلتها الكريمة في الشعوب والدول، وتخليصها من استبداد غيرها بها وتدخله في شئونها، مع تحديد الصلة بينها وبين سواها تحديدًا يفصل حقوقها جميعًا، ويوجه الدول كلها إلى السلام العالمي العام، وهو ما يسمونه (القانون الدولي).. فإن الإسلام قد عني بذلك كل العناية، وأفتى فيه بوضوح وجلاء، وألزم المسلمين أن يأخذوا بهذه الأحكام في السلم والحرب على السواء، ومن قصر في ذلك وأهمله فقد جهل الإسلام أو خرج عليه.

قرر الإسلام سيادة الأمة الإسلامية وأستاذيتها للأمم في آيات كثيرة من القرآن منها

---

(١) الشعبي [١٩- ١٠٣هـ = ٦٤٠- ٧٢١م]: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة، وكان ضئيلاً نحيفًا، وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز، وكان فقيهًا، نسبته إلى شعب وهو بطن من همدان. [السابق، (٣/ ٢٥١)].

قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وأكد قوميتها وأرشدها إلى طريق صيانتها، وإلى ضرر تدخل غيرها في شئونها بمثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۞ هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨-١١٩]، وأشار إلى مضار الاستعمار وسوء أثره في الشعوب فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

ثم أوجب على الأمة المحافظة على هذه السيادة، وأمرها بإعداد العدة واستكمال القوة، حتى يسير الحق محفوفًا بجلال السلطة كما هو مشرق بأنوار الهداية، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ولم يغفل التحذير من سورة[(١)] النصر ونشوة الاعتزاز وما تجلبه من مجانبة للعدالة وهضم للحقوق، فحذر المسلمين العدوان على أية حال في قوله تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]، مع قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

ومن هنا -أيها الإخوة- رأينا أخلاف[(٢)] المسجد، وأنضاء[(٣)] العبادة، وحفظة الكتاب الكريم، بل وأبناء الربط[(٤)] والزوايا من السلف -رضوان الله عليهم، لا يقنعون باستقلال بلادهم، ولا بعزة قومهم، ولا بتحرير شعوبهم، ولكنهم ينسابون في الأرض، ويسيحون في آفاق البلاد فاتحين معلمين، يحررون الأمم كما تحرروا، ويهدونها بنور الله الذي اهتدوا به، ويرشدونها إلى سعادة الدنيا والآخرة، لا يغلون ولا يغدرون، ولا يظلمون ولا

---

(١) السورة: الوثبة، والسورة من البرد أو الغضب: شدته وحدته وهياجه. [المعجم الوجيز، ص(٣٢٨)].

(٢) الخلف: الجيل يأتي بعد الجيل. ج: أخلاف. [السابق، ص(٢٠٨)].

(٣) النضو: المهزول من الحيوان. ويقال: فلان نضو سفر: مجهد من السفر. [السابق، ص(٦٢١)].

(٤) ملجأ الفقراء من الصوفية. [السابق، ص(٢٥٢)].

يعتدون، ولا يستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا.

ومن هنا رأينا عقبة بن نافع(١) يخوض الأطلسي بلبة(٢) جواده قائلاً: «اللهم لو علمت وراء هذا البحر أرضًا لمضيت في البلاد مجاهدًا في سبيلك»، في الوقت الذي يكون فيه أبناء العباس الأشقاء قد دفن أحدهم بالطائف إلى جوار مكة، والثاني بأرض الترك من أقصى الشرق، والثالث بإفريقية من أقصى المغرب، جهادًا في سبيل الله وابتغاء لمرضاته، وهكذا فهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان أن السياسة الخارجية من صميم الإسلام.

الحقوق الدولية:

وأحب قبل أن أختم هذا الاسترسال أن أؤكد لحضراتكم تأكيدًا قاطعًا أن سياسة الإسلام داخلية أو خارجية تكفل تمام الكفالة حقوق غير المسلمين ما دامت لا تضر بهم ولا تهضم حقوقهم، سواء أكانت حقوقًا دولية أم كانت حقوقًا وطنية للأقليات غير المسلمة؛ ذلك لأن شرف الإسلام الدولي أقدس شرف عرفه التاريخ، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨]، ويقول: ﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، ويقول تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

ولئن كانت إيطاليا المتمدنة قد غزت الحبشة حتى استولت عليها، ولم تعلن عليها حربًا، ولم تسبق إلى ذلك بإنذار، وحذت حذوها اليابان الراقية فهي تحارب الصين ولم تخطرها ولم تعلنها، فإن التاريخ لم يؤثر عن رسول الله ﷺ، ولا عن صحابته أنهم قاتلوا

---

(١) عقبة بن نافع [١ ق.هـ- ٦٣هـ = ٦٢١-٦٨٣م]: عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري: فاتح، من كبار القادة في صدر الإسلام، وهو باني مدينة القيروان، ولد في حياة النبي ﷺ ولا صحبة له، وشهد فتح مصر، وجهه عمرو إلى إفريقية سنة ٤٢هـ واليًا، وولاه معاوية إفريقية استقلالاً سنة ٥٠هـ، وعزله معاوية سنة ٥٥هـ، ولما توفي معاوية بعثه يزيد واليًا على المغرب سنة ٦٢هـ، وتقدم إلى المغرب الأقصى، فلما كان في «تهودة» تقدمته العساكر إلى القيروان، وبقي في عدد قليل، فطمع به الفرنج، فأطبقوا عليه، فقتلوه ومن معه، ودفن بالزاب، [الأعلام، (٤/ ٢٤١)].

(٢) اللَّبَّة: وَسَط الصَّدْر والمَنْحَر. [لسان العرب، مادة (لبب)].

قومًا أو غزوا قبيلاً دون أن يوجهوا الدعوة ويتقدموا بالإنذار وينبذوا[١] إليه على سواء.

حماية الأقليات:

وقد كفل الإسلام حقوق الأقليات بنص قرآني هو قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وهذه الأقلية اليهودية البغيضة تطرد من كل الدنيا، وتشرد في كل مكان، ولا تجد الأمن إلا في كنف إمام مسلم متمسك بدينه، متشدد في إنفاذ حدوده هو إمام اليمن الذي يعطيها حقها، ويأخذ منها حقه في دعة وسكون وأمن منذ مئات السنين.

كما أن هذه السياسة الإسلامية نفسها لا تنافي أبدًا الحكم الدستوري الشوري، وهي واضعة أصله ومرشدة الناس إليه في قوله تعالى من أوصاف المؤمنين: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد كان ﷺ يشاور أصحابه وينزل على رأي الفرد منهم متى وضح له صوابه كما فعل ذلك مع الحباب بن المنذر في غزوة بدر، ويقول لأبي بكر وعمر: «لو اجتمعتما ما خالفتكما»[٢]، وكذلك ترك عمر الأمر شورى بين المسلمين، ومازال المسلمون بخير ما كان أمرهم شورى بينهم.

سعة التشريع الإسلامي:

كما أن تعاليم الإسلام وسياسته ليس فيها معنى رجعي أبدًا، بل هي على أدق قواعد التشريع الصالح، وقد اعترف التشريع لكثير منها -وسيكشف الزمن للناس على جلالة ما لم يعرفوا- بأنها قد سبقته في دقة الأحكام، وتصوير الأمور، وسعة النظر، وشهد بذلك كثير من غير المسلمين، كما ورد كثيرًا في كلام «المسيو لامبير»[٣] وأضرابه،

---

(١) في الأصل: «ينبذون».

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(١٢٠٧٨)، وقال الهيثمي في «المجمع»، (٩/٦٨): «فيه أبو عبيدة بن الفضل بن عياض وهو لين»، وقد ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة»، (٣/٥٩).

(٣) هو إدوار لامبير من أكبر رجال القانون في فرنسا في بدايات القرن العشرين، وهو أستاذ للدكتور السنهوري الفقيه القانوني المعروف، وقد حمله هو وزملاءه من المصريين العمل على الاستفادة من كنوز الشريعة الإسلامية.

وأكدت ذلك مؤتمرات التشريع الدولية على أن الإسلام قد وضع من القواعد الكلية ما يترك للمسلم بابًا واسعًا في الانتفاع بكل تشريع نافع مفيد لا يتعارض مع أصول الإسلام ومقاصده، وأثاب على الاجتهاد بشروطه، وقرر قاعدة المصالح المرسلة، واعتبر العرف، واحترم رأي الإمام، وكل هذه القواعد تجعل التشريع الإسلامي في الذروة السامية بين الشرائع والقوانين والأحكام.

هذه معان أحب -أيها السادة- أن تذيع بيننا، وأن نذيعها في الناس، فإن كثيرًا لازالوا يفهمون من معنى النظام الإسلامي ما لا يتفق بحال مع الحقيقة، وهم لهذا ينفرون منه ويحاربون الدعوة إليه، ولو فقهوه على وجهه لرجعوا به، ولكانوا من أوائل أنصاره، وأشدهم تحمسًا له، وأعلاهم صوتًا في الدعوة إليه.

الحزبية السياسية:

أيها الإخوة الكرام:

بقي للسياسة معنى آخر يؤسفني أن أقول: إنه وحده هو المعنى الذي يرادفها ويلازمها بغير حق في أذهان كثير منا، ذلك هو (الحزبية).

وإن لي في الحزبية السياسية آراء هي لي خاصة، ولا أحب أن أفرضها على الناس؛ فإن ذلك ليس لي ولا لأحد، ولكني كذلك لا أحب أن أكتمها عنهم، وأرى أن واجب النصيحة للأمة -وخصوصًا في مثل هذه الظروف- يدعوني إلى المجاهرة بها وعرضها على الناس في وضوح وجلاء، وأحب كذلك أن يفهم جيدًا أني حينما أتحدث عن الحزبية السياسية فليس معنى هذا أني أعرض لحزب دون حزب، أو أرجح أحد الأحزاب على غيره، أو أن أنتقص أحدها وأزكي الآخر، ليس ذلك من مهمتي، ولكني سأتناول المبدأ من حيث هو، وسأعرض للنتائج والآثار المترتبة عليه، وأدع الحكم على الأحزاب للتاريخ وللرأي العام والجزاء الحق لله وحده، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

لابد من الوحدة:

أعتقد -أيها السادة- أن الحزبية السياسية إن جازت في بعض الظروف في بعض البلدان، فهي لا تجوز في كلها، وهي لا تجوز في مصر أبدًا، وبخاصة في هذا الوقت الذي تستفتح فيه عهدًا جديدًا، ونريد أن نبني أمتنا بناء قويًا يستلزم تعاون الجهود، وتوافر

القوى، والانتفاع بكل المواهب، والاستقرار الكامل، والتفرغ التام لنواحي الإصلاح. إن وراءنا في الإصلاح الداخلي منهاجًا واسعًا مطولاً، يجب أن نصرف كل الجهود إلى تحقيقه، لإنقاذ هذا الشعب الخالد الحيوية، الجم النشاط، المجهز بكل وسائل التقدم، الذي لا ينقصه إلا القيادة الصالحة والتوجيه القويم، حتى يتكون أصلح تكوين، يقضي على الضعف والفقر والجهل والرذيلة، وهي معاول الهدم وسوس النهضات، وليس هنا محل تفصيل هذا المنهاج فذلك له وقت آخر، وأنا أعلم أننا جميعًا نشعر بثقل وطأة مطالب العهد الجديد، وبالمجهودات العظيمة التي يجب أن تبذل في سبيل التنظيم الداخلي في كل مظاهر الحياة.

بين الوحدة والحزبية:

وأعتقد -كذلك- أننا جربنا الوحدة مرتين، كانت كل واحدة منهما ألمع نجم في تاريخ النهضة، أما أولاهما ففي فجر النهضة حينما برزت الأمة صفًا متحدًا تنادي بحقها وتطالب باستحقاقها في اجتماع أفزع الغاصبين، وروع المستعمرين، ووهنت أمام سلطانه قوى الظالمين، أما الثاني فحين تكوين الجبهة الوطنية التي خطت بنا خطوة مهما كانت قصيرة فهي إلى الأمام على كل حال، وجربنا التفرقة في مرات كثيرة من قبل ومن بعد فما رأينا إلا تمزيق الجهود، وإحباط الأعمال، وإفساد الشئون، وإتلاف الأخلاق، وخراب البيوت، وتقطيع الأرحام، واستفادة الخصوم على حساب المختلفين المتنابزين.

الحزبية والتدخل:

وأعتقد -أيها السادة- أن التدخل الأجنبي في شئون الأمة، ليس له من باب إلا التدابر والخلاف، وهذا النظام الحزبي البغيض، وأنه مهما انتصر أحد الفريقين فإن الخصوم بالمرصاد يلوّحون له بخصمه الآخر، ويقفون منهما موقف القرد من القطتين[1]،

(١) يحكى أنه في قديم الزمان كانت هناك قطتان، دخلت إحداهما المطبخ، وكانت سيدة البيت خارج المنزل، فوجدت القطة قطعة من الجبن الأبيض، فاختطفتها وجرت بها لتأكلها وحدها قبل أن يراها أحد، فشاهدتها القطة الأخرى، فجرت وراءها تريد أن تشاركها قطعة الجبن، أسرعت القطة الأولى إلى الشارع لتنفرد بقطعة الجبن، ولحقتها الأخرى تريد أن تقاسمها قطعة الجبن، فرآهما قرد جائع فطلب منهما أن يقسم قطعة الجبن بينهما بالعدل، فوافقتا، فأخذ القرد قطعة الجبن وقسمها قسمين ووضعها في الميزان، لكن إحدى القطعتين كانت أكبر من الأخرى، فأخذ القرد القطعة الكبيرة وقضمها بأسنانه حتى تكون مساوية للقطعة الأخرى، لكنها أصبحت أقل من الثانية، فأخذ الثانية وقضم منها، لكنها أصبحت أقل من الأولى أيضًا وهكذا، حتى كادت قطعة الجبن أن تنتهي

ولا يجني الشعب من وراء ذلك إلا الخسارة من كرامته واستقلاله وأخلاقه ومصالحه.

إننا -يا إخوان- أمة لم نستكمل استقلالنا بعدُ استكمالاً تامًّا، ولا زلنا في الميزان، ولا زالت المطامع تحيط بنا من كل مكان، ولا سياج لحماية هذا الاستقلال والقضاء على تلك المطامع إلا الوحدة والتكاتف.

وإذا جاز لبعض الأمم التي استكملت استقلالها، وفرغت من تكوين نفسها أن تختلف وتتحزب في فرعيات الأمور، فإن ذلك لا يجوز في الأمم الناشئة أبدًا، على أننا نلاحظ أن الحوادث العالمية قد ألجأت الأمم جميعًا إلى التجرد من الحزبية مطلقًا، أو الإبقاء على حزبية صورية تقليدية مع الوحدة في كل الاتجاهات.

هذه تركيا بدأت أعمالها في توجيه الشعب بتوحيد القوى وإبقاء الأحزاب، وهذه شقيقتنا العراق تخطو خطوات حثيثة إلى التكوين الصالح بعد إلغاء الأحزاب، وهذه رومانيا قد ألغت الأحزاب، ووضعت على رأس حكومتها بطريركًا من رجال الكنيسة، فقضت بذلك على مبدأين من خاصة مبادئ السياسة الأوروبية هي: الحرية، وفصل السياسة عن الدين.

لا أقول: أين الأحزاب في إيطاليا وفي ألمانيا فذلك أمر مفروغ منه، ولكني أقول: إن إنجلترا نفسها -وهي كما يزعمون أم النظام الحزبي والدستوري- قد تضاءل فيها المعنى الحزبي حتى صار معنى هو إلى التقاليد أقرب منه إلى التحالف[1] في المناهج والآراء، ولا تزال الوزارات البريطانية قومية لا حزبية، فقد اقتضت الحوادث العالمية الشعب البريطاني بالخروج على نظام الأحزاب.

هذه نماذج من تدهور النظام الحزبي في الشرق وفي الغرب، فلا أدري لأي معنى تظل مصر التي هي أحوج الأمم إلى الوحدة مستمسكة بنظام فشل في قيادة غيرها، وذاقت هي منه الأمرّين[2]، وبلت من ثمره الحنظل والصاب[3].

ولا يبقى منها شيء، فقالت القطتان للقرد: رضينا بهذه القسمة وكفى ما كان، أعطنا ما بقي. قال القرد: إذا رضيتما فإن العدل لا يرضى. وظل يأكل من كل قطعة حتى أتى عليهما. فرجعت القطتان بحزن وخيبة وهما تقولان: من خطف يُخطف منه! ومن ظلم لابد أن يجد من يظلمه! وما من يدٍ إلا ويد الله فوقها، ولا ظالم إلا سيُبلى بأظلم.

(١) كذا بالأصل، ولعلها: «التخالف».

(٢) نزل به الأمران: الهرم والمرض. ولقيت منه الأمرّين: الدواهي [أساس البلاغة، مادة (مرر)].

(٣) الصابُ: عصارة شجرٍ مُرٌّ [الصحاح، مادة (صوب)].

لا أحزاب في مصر:

وأعتقد -كذلك- أن هذه الأحزاب المصرية الحالية أحزاب صناعية أكثر منها حقيقية، وأن العامل في وجودها شخصي أكثر منه وطني، وأن المهمة والحوادث التي كونت هذه الأحزاب قد انتهت فيجب أن ينتهي هذا النظام بانتهائها.

لقد تكوّن الوفد المصري من الأمة كلها للمطالبة بالاستقلال على أساس المفاوضة وتلك هي مهمته، ثم تفرع منه حزب الأحرار الدستوريين للخلاف في أسلوب المفاوضات، وقد انتهت المفاوضة بأساليبها ونظمها وقواعدها فانتهت مهمتها بذلك، وتكوّن حزب الشعب لإيجاد نظام خاص ودستور خاص، وقد انتهى هذا الدستور وذلك النظام بأشكاله وأوضاعه فانتهت مهمته هو الآخر، وتكون حزب الاتحاد لموقف خاص بين السراي والأحزاب، وها هي الأمة كلها مجمعة على محبة جلالة الملك والالتفاف حول عرشه المفدى والدفاع عنه بالأنفس والأموال.

لقد انتهت هذه الظروف جميعًا، وتجددت ظروف أخرى تستدعي مناهج وأعمالاً، فلا معنى أبدًا لبقاء هذه الأحزاب، ولا معنى أبدًا للرجوع إلى الماضي والمستقبل يلح علينا إلحاحًا صارخًا بالعمل والسير بأسرع ما يمكن من الخطوات.

الإسلام لا يقر الحزبية:

وبعد هذا كله أعتقد -أيها السادة- أن الإسلام وهو دين الوحدة في كل شيء، وهو دين سلامة الصدور، ونقاء القلوب، والإخاء الصحيح، والتعاون الصادق بين بني الإنسان جميعًا فضلاً عن الأمة الواحدة والشعب الواحد، لا يقر نظام الحزبية ولا يرضاه ولا يوافق عليه، والقرآن الكريم يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ويقول رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصوم»؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي في «صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ»، باب «منه»، ح(٢٤٣٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٢٥٠٩).

وكل ما يستتبعه هذا النظام الحزبي من: تنابز، وتقاطع، وتدابر، وبغضاء[١] يمقته الإسلام أشد المقت، ويحذر منه في كثير من الأحاديث والآيات، وتفصيل ذلك يطول، وكل حضراتكم به عليم.

وفرق -أيها الإخوان- بين الحزبية التي شعارها الخلاف والانقسام في الرأي والوجهة العامة وفي كل ما يتفرع منها، وبين حرية الآراء التي يبيحها الإسلام ويحض عليها، وبين تمحيص الأمور وبحث الشئون والاختلاف فيما يعرض تحريًا للحق، حتى إذا وضح نزل على حكمه الجميع سواء أكان ذلك اتباعًا للأغلبية أو للإجماع، فلا تظهر الأمة إلا مجتمعة، ولا يرى القادة إلا متفقين.

أيها الإخوان:

لقد آن الأوان أن ترتفع الأصوات بالقضاء على نظام الحزبية في مصر، وأن يستبدل به نظام تجتمع به الكلمة، وتتوحد به جهود الأمة حول منهاج قومي إسلامي صالح تتوافر على وضعه وإنفاذه القوى والجهود.

هذه نظرات، يرى الإخوان المسلمون أن واجبهم الإسلامي أولاً والوطني ثانيًا والإنساني ثالثًا يفرض عليهم فرضًا لا مناص منه أن يجهروا بها، وأن يعرضوها على الناس في إيمان عميق وبرهان وثيق، معتقدين أن تحقيقها هو السبيل الوحيد لتدعيم النهضة على أفضل القواعد والأصول، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤][٢].

* * *

(١) في الأصل: «بغضان».

(٢) في الطبعات الأخرى للرسائل توجد خاتمة في هذه الرسالة، وهي موضوعة خطأ؛ حيث إنها لرسالة المؤتمر السادس.

ملحق مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين[(١)]

مقررات المؤتمر:

١- مطالبة الهيئات الإسلامية جميعًا بالاشتراك الفعلي في السياسة العامة للأمة، مع العمل على تكوين اتحاد عام لها؛ إذ إن من قواعد الإسلام أن يعنى المسلم بكل شئون بلده، وإذ إن حصر معنى الفكرة الإسلامية في حدود الواجبات الروحية والعبادية أمر يتنافى مع طبيعة الإسلام، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

٢- المطالبة بحل جميع الأحزاب الحالية السياسية، وأن تستبدل بها هيئة موحدة لها منهاج إصلاحي إسلامي يتناول كل شئون النهضة، وتتوافر على وضعه وإنفاذه جميع المواهب والقوى؛ لما ثبت من أضرار النظام الحزبي، وفشله بالنهوض بالأمة، ولما نجم عنه من فتن وحزازات[(٢)]، ولما تطلبه النهضة وتكاليفها من تضافر وتعاون واستقرار، ولما عرف من أن الفرقة هي باب التدخل الأجنبي، ولأن هذا التدابر والتقاطع والتعصب المقيت الذي يلائم الحزبية لا يقره الإسلام، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٣- وجوب تجرد كل طالب ينتسب إلى الإخوان المسلمين من كل لون حزبي، مع الاصطباغ التام بالفكرة التي تعتمد على سياسة القرآن وتعاليمه، ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

٤- مطالبة المرشحين الذين تقدموا إلى عضوية مجلس النواب، وكل مرشح يتقدم إلى أي هيئة نيابية عامة أو محلية أن يجعلوا محور دعايتهم المناهج والأعمال، لا المثالب الشخصية ولا الشتائم وتناول البيوت والأسرة، ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

٥- مطالبة الأمة بأن تختار نوابها وممثليها على أساس قويم من الكفاءة الشخصية، والاستقامة، والتمسك بتعاليم الإسلام، لا على أساس الحزبية السياسية المقيتة ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ

---

(١) نفس مرجع الرسالة.

(٢) الحزازة: وَجَعٌ في القَلْب من غَيْظٍ ونحوه [الصحاح، مادة (حزز)].

الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

٦- وضع منهاج الإصلاح الذي يوجه النهضة على أساس يؤدي إلى التخلص بالتدريج من الصبغة الغربية، وقيود التقليد التي تصبغ الحياة المصرية، ويعود بهذه الحياة إلى الأصول القومية الإسلامية في التشريع والعادات والثقافة والاجتماع والاقتصاد، ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۞ بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩-١٥٠].

٧- مطالبة مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين بوضع نموذج لهذا المنهاج، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

٨- يعلن المؤتمرون في صراحة ووضوح وقوة أنه ليس معنى الرجوع إلى المنهاج الإسلامي نقض الاتفاقات الدولية، ولا العدوان على الأقليات المواطنة والأجنبية، ولا الإخلال بنظام الحكم النيابي، ولا إحياء مظاهر رجعية لا تتفق مع المدنية الصحيحة؛ فإن الإسلام خير كله، وقد وضع لكل ذلك أفضل النظم وأعدلها، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٩- يرى المؤتمرون أن الجو السياسي العالمي الآن ملائم كل الملاءمة لتوثيق الروابط بأوسع ما يمكن بين مصر والأقطار الإسلامية العربية تحقيقًا للأخوة المنشودة، وتمهيدًا لاسترجاع الخلافة الضائعة، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

١٠- ينتهز المؤتمرون هذه الفرصة للاحتجاج على حوادث فلسطين الدامية، وحوادث المغرب الأقصى الأسيفة، واستنكار كل خطوة أجنبية يراد بها التدخل بأية صورة من الصور، أو إضافة قيد، أو سلب حق، أو اقتطاع جزء من الوطن الإسلامي العام، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

١١- يعمل المؤتمرون لتحقيق هذه المقررات بكل الوسائل المشروعة، ويذيعونها بكل الطرق، ويرفعونها إلى جهات الاختصاص، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

١٩ من ذي الحجة ١٣٥٦هـ = ٢٠ فبراير ١٩٣٨م

* * *



شباب
النادي الشبابي

رسالة المنهج

رجب ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م

تقــديم

بيَّن الإمام البنا أن مراحل دعوة الإخوان المسلمين ثلاث مراحل، هي: التعريف والتكوين والتنفيذ، وكانت أول رسالة تتحدث عن تلك المراحل بوضوح هي رسالة المنهج، كما بيَّنت تلك الرسالة موقف الإخوان من الهيئات المختلفة، وبيَّنت مواضع الاتفاق والاختلاف معها.

وصدرت تلك الرسالة في بداية مرحلة التكوين، ورسمت ملامح تلك المرحلة، ونظمت أهم وسائلها وهو نظام الكتائب الذي بدأ في سبتمبر عام ١٩٣٧م، وذلك في أبريل عام ١٩٣٨م، ثم طبعت وعممت على جميع شعب القطر في رجب ١٣٥٧هـ الموافق سبتمبر ١٩٣٨م.

وهذه هي المرة الأولى التي تنشر فيها تلك الرسالة.

* * *

المنهج[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. (والله أكبر ولله الحمد)

أولاً: المراحل

طريق الإخوان المسلمين مرسومة محدودة معروفة المراحل والخطوات، ليست متروكة للظروف والمصادفات، ومراحل هذه الطريق ثلاث: التعريف، والتكوين، والتنفيذ، أو الدعوة العامة، ثم الدعوة الخاصة، ثم العمل أو تغيير العرف العام، ثم الإعداد، ثم الإتمام، كل هذه الألفاظ لا تختلف مدلولاتها وردت في تعاريف الإخوان المسلمين من قبل، وسنتناول كل مرحلة من هذه المراحل بالتفصيل ليعلم الجاهل ويتذكر الناسي.

المرحلة الأولى: التعريف

ويراد بها نشر الفكرة بين الناس، وإفهامهم إياها بصورة عامة، وتعرف القائمين بها إلى الشعب، وقد يكون من خطة العاملين للفكر والدعوات الابتداء بالتكوين أولاً، ثم بعد ذلك الإعلان، وتلك طريق طبيعية، ولكن دعوة الإخوان نشأت في ظروف خاصة، وأحاطت بها أسباب خاصة جعلتها تبدأ بالتعرف إلى الشعب كله، ثم تسلك بعد ذلك طريق التكوين، ثم التنفيذ. هل نجحنا في هذا الدور؟ وإلى أي مدى كان هذا النجاح؟ وما الوسائل التي اتخذناها؟ وهل تمت هذه المرحلة؟

أما إننا نجحنا في هذا الدور فنعم والحمد لله نجاحًا نحمد الله عليه، ونسأله المزيد منه، وإلى مدى بعيد فقد طفنا القطر من أقصاه إلى أقصاه، ودرسنا حواضره ومدنه وقراه، واتصلنا بأبنائه من كل الطبقات، وامتدت أشعة هذه الدعوة المباركة إلى الأقطار الخارجية شرقية وغربية، وصار لنا دعوة ودار في كل مكان، واسم يتردد على كل لسان، وأصبحت دعوة الإخوان أملاً، بل لعلها الأمل الباقي في نفوس الغيورين على هذا البلد، وصار في مصر شعور إسلامي قوي له أثره في تسيير أمورها العامة، ولو لم يعرف الناس أن هذا الشباب المتواضع المتواري في أربعة جدران هو أساس الانقلاب الروحي الجديد في نفس الشعب المصري.

لم نتخذ في هذه المرحلة من وسائل إلا الدروس والمحاضرات والكتب والنشرات

---

(١) رسالة المنهج، رجب ١٣٥٧هـ- سبتمبر ١٩٣٨م.

والأسفار والرحلات، ولكنها دروس لا كدروس الناس، ومحاضرات لا كمحاضـراتهم، وأسفار غير ما يتصورون، وبأسلوب غير الأسـلوب الـذي يعرفـون، والحمـد لله الـذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ذلك إلى مساهمة الإخوان في شئون الخير العام من عمارة المساجد، والـبر بـالفقراء، وتقديم المذكرات الإصلاحية، وغير ذلك من الشئون التي تدخل في صميم الخـير العـام، وتقوي هذه المرحلة من مراحل الدعوة، وبهذا نستطيع أن نقول:إن هذه المرحلة قد تمـت وفرغنا من العناية بها، وإن كان لا يفوتنا أن نعمل دائـبين علـى اسـتمرار نشـر الـدعوة، وتأسيس الشعب، ودور الإخوان، وتقوية أنديتهم ومشروعاتهم في كل مكان مـا وجـدنا السبيل إلى ذلك إن شاء الله.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة التكوين، أو الدعوة الخاصة

ويقصد بها استخلاص فريق ممن عرفوا الدعوة واستجابوا لها، يفهمون الفكرة حـق الفهم، ويطبقونها على أنفسهم ومن يليهم تمام التطبيق، ويستعدون لحمل أعبائها، والبذل في سبيلها، يمدهم ويؤازرهم بعض الخاصة من كبار الأمة ورجالها البارزين.

إلى أي مدى وصلنا في هذه المرحلة؟ وما الخطوات والوسائل التي يجـب أن نتخـذها لتتم ونفرغ منها، وننتقل إلى المرحلة الثالثة؟ ومتى نفرغ منها؟

هذه المرحلة هي في الواقع أهم مراحل الدعوة، وعلـى قـوة العمـل فيهـا أو ضـعفه يتوقف نجاحها، وقد بدأنا هذه المرحلة إلى جوار المرحلة السابقة من وقت مضى، وحاولنا في سبيل ذلك محاولات سابقة، وقد وصلنا إلى مدى لا بأس به في قطع خطواتها، ولكـن لا تزال هنالك خطوات أساسية لابد من تحقيقها، ووسائل رئيسـية لابـد مـن اسـتكمالها حتى تنضج هـذه المرحلـة وتـتم، والظـروف الحاليـة أنسـب الظـروف لاسـتكمال هـذه النواحي.

أما هذه الخطوات فهي:

أولاً: تقوية القيادة في المكتب العام بأقصى قدر ممكن بحيث يكون فيه عدد كـبير مـن الإخوان متفرغين تفرغًا تامًا للدعوة، لا يشغلهم عنهـا شـاغل، وعلـى رأسـهم المرشـد، وتقسم عليهم نواحي العمل تقسيمًا منظمًا، ويجب أن يتم ذلك خلال هذا الصيف بحيث يكون مفروغًا منه أول العام الدراسي القادم -إن شاء الله.

ثانيًا: وضع رسالة شاملة تتوحد بها فكرة الإخوان في الشئون العملية والاجتماعية، وفي الأفكار العامة، حتى يصدر الجميع عن رأي واحد، ويجب أن تتم هذه الرسالة وتطبع قبل نهاية شهر يوليو القادم، حتى تكون موضوع دراسة الإخوان في معسكرهم بالإسكندرية، «وتسمى رسالة التعاليم» ثم تدرس في الكتائب.

ثالثًا: تعميم نظام الكتائب في شعب الإخوان، مع ضم الكتائب إلى الفرق، ويجب أن يتم في هذا المصيف تكوين خمس وعشرين كتيبة على الأقل في البلاد القوية، وذلك بأن يسافر إليها مندوبون من الإخوان يكون هذا عملهم.

رابعًا: تعميم الدعاية في بقية مراكز القطر الإدارية، والعمل على وجود كتيبة على الأقل في كل بلد مركزي من هذه البلاد، بحيث يتم عدد هذه الكتائب (٣٠٠) ثلاثمائة كتيبة في مدى أربع سنوات، أي: إلى رجب من سنة ١٣٦٠هـ على النحو الآتي:

- حوالي رجب سنة ١٣٥٧[١] الهجرية ٢٥كتيبة كاملة
- حوالي رجب سنة ١٣٥٨[٢] الهجرية ٧٥كتيبة كاملة
- حوالي رجب سنة ١٣٥٩[٣] الهجرية ١٠٠كتيبة كاملة
- حوالي رجب سنة ١٣٦٠[٤] الهجرية ١٠٠كتيبة كاملة

فيكون مجموع الإخوان المنتسبين إلى هذه الكتائب (١٢٠٠٠) اثني عشر ألفًا من الإخوان المجهزين تمام التجهيز ماديًا وروحيًا.

خامسًا: العمل على ضم بعض الخاصة إلى الإخوان، وتوثيق صلتهم بهم، والنواب الذين ساعدهم الإخوان نواة صالحة لهذه الغاية، ويبدأ العمل في ذلك من الآن.

سادسًا: تقوية مالية المكتب من ذات أعضائه أولاً بفرض اشتراك مالي يسدد للمكتب رأسًا من أعضاء الكتائب أنفسهم، وممن شاء التبرع من الإخوان، أو مجرد الاشتراك المالي كذلك، ويبدأ العمل في ذلك من الآن أيضًا.

---

(١) اغسطس/ سبتمبر ١٩٣٨م.
(٢) اغسطس/ سبتمبر ١٩٣٩م.
(٣) اغسطس/ سبتمبر ١٩٤٠م.
(٤) يوليو/ اغسطس ١٩٤١م.

سابعًا: بيان الدعوة في وضوح، ومصارحة الناس بها، وتوجيهها إلى كافة هيئات الشعب، على أن تتبع الخطوات القولية بخطوات عملية، وإن أدى ذلك إلى الاصطدام بالأفراد أو الحكومات، مع الاستعداد لاحتمال كل نتائجها بصبر وثبات وتضحية وعزيمة، وذلك على النحو الآتي بالتدرج، حتى إذا لم تنتج خطوة نتبعها الثانية والثالثة وهكذا:

١- تقدم المذكرات والبيانات والعرائض بالمطالب الإصلاحية إلى الجهات المختصة.

٢- تدعى الهيئات المنظمة في البلد إلى مشاركة الإخوان في تأييد منهاجهم الإصلاحي.

٣- تهاجم كل جهة تقف في سبيل هذه المطالب بمقالات قوية في صحف الإخوان المسلمين، وترسل إليها هذه الصحف، وفي خطابات الإخوان ورحلاتهم وكلماتهم كذلك.

٤- تطبع المنشورات وتوزع، ويدعى الشعب بها إلى تأييد الفكرة، والانفضاض عن كل هيئة لا تناصرها.

٥- تتكون الوحدات التي تتولى «عمليًا» إزالة المنكر وإقناع الناس بخطره وفساده، وتقوم على شئون الإصلاح «عمليًا» كذلك، وينظم كل ذلك لأول العام الدراسي القادم -إن شاء الله.

ثامنًا: يساهم الإخوان خلال هذه المرحلة في أعمال الخير العام ما سنحت لهم الفرص كبناء المساجد والصدقات وأعمال البر وغيرها، ويجتهدون في تثقيف أنفسهم بالمطالعة والمحاضرة والحفظ والتعبد، ويساهمون كذلك في خدمة القضايا الإسلامية العامة كقضية فلسطين وقضية المغرب، وفي القضايا الداخلية الهامة كدخول مجلس النواب، وتشجيع المرشحين للانتخابات كلها إن كانوا من الإخوان، وكمقاومة الحزبية، وإبداء الرأي في كل شأن يهم الأمة، بحيث يكون لهم في كل ناحية من النواحي الحيوية عمل وجهاد ومساهمة ورأي معروف إيجابي، فذلك مما يقويهم ويشغلهم بالنافع من جهة، وهو في الوقت نفسه أداء لواجبات جسام لا مفر منها ولا محيص عنها.

تاسعًا: تقوية صحف الإخوان تقوية تامة، وتنظيم إدارتها وتحريرها تنظيمًا يكفل حسن نظام صدورها، واشتمالها على الغذاء الروحي الذي يثقف الإخوان في البلاد، مع

وجوب اشتراك كل أعضاء الكتائب فيها اشتراكًا إجباريًا، مع العمل على أن يكون للإخوان صحيفة يومية تنطق بلسانهم.

عاشرًا: العمل على نشر الدعوة خارج القطر، وتوثيق الصلة بالهيئات العاملة هناك.

بهذه الوسائل والخطوات تتم[1] المرحلة الثانية من مراحل طريق دعوة الإخوان المسلمين، ويتهيأ الإقدام على المرحلة «الثالثة»، وهي مرحلة التنفيذ وتحقيق المنهاج الكامل، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤-٥].

ثانيًا: موقف الإخوان من الهيئات المختلفة في مصر

على الأخ المسلم أن يحدد موقفه وصلته بالهيئات المختلفة في مصر ليكون تعامله معها ونظره إليها خاضعًا لهذا التحديد، حتى لا يعادي من يستحق الموالاة، أو يحب من يستحق البغض، أو يشجع ناحية تعتبر حربًا على دعوته.

هناك قاعدة عامة تجب مراعاتها، هي أننا أصحاب دعوة نوجهها للناس جميعًا، فمنزلتنا من الناس منزلة الداعية من المدعوين، ومنزلة الناس منا منزلة المدعوين من الداعي، ذلك يشملهم جميعًا أفرادًا وجماعات وهيئات، ونحن نعتقد أن الجهر بهذه الدعوة وتوجيهها للناس فريضة علينا، وأن حمايتها والذود عنها فريضة كذلك، فالبدهي أن موقفنا العام من كل الناس هيئات وأفرادًا أن نوالي ونحب من والاها وأحبها وساعدها، وأن نكره ونعادي من ناوأها ووقف في طريقها، وإن كانت ظروفنا في الماضي كدعوة ناشئة تدعونا إلى المجاملة والمداراة، فإن ظروفنا الآن وقد أعز الله الدعوة توجب علينا أن نعامل الناس في صراحة ووضوح في حدود الحديث الشريف: «أحب[2] حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[3]، وصلى الله على سيدنا محمد القائل: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[4].

---

(١) في الأصل: «تم».

(٢) في الروايات: «أحبب».

(٣) أخرجه الترمذي في «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي الاقْتِصَادِ فِي الْحُبِّ وَالْبُغْضِ»، ح(١٩٢٠)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(١٩٩٧).

(٤) سبق تخريجه.

أولاً: «السراي»

جلالة الملك هو حاكم البلاد الشرعي، وهو -والحمد لله- ومن جميل توفيقه يؤدي الفرائض، ويعمل على ما فيه إعزاز الإسلام والمسلمين، فموقف الإخوان من السراي موقف الولاء والحب، ومكتب الإرشاد العام يصدر عن هذه الفكرة، ويعمل على توثيق الرابطة، وإفهام رجال السراي هذه الحقيقة، ولا يمنع ذلك من توجيه النصيحة الواجبة، وإعلان كلمة الحق إذا لاحظ المكتب ما يدعو إلى ذلك، فالدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ثانيًا: الأزهر الشريف

الأزهر هو أمل المسلمين الباقي، وهو مظهر الفكرة الإسلامية، وله من ماضيه وحاضره وآثاره ما يجعله كذلك، فإعزازه إعزاز للإسلام، والنيل منه نيل من الإسلام، فموقف الإخوان المسلمين منه المحافظة التامة على مجده وكرامته، والعمل الدائب على إعزازه وإعلاء شأنه، وتأييده في كل خطة يراد بها خدمة الإسلام والمسلمين، وإن كان في الأزهر رجال لم يفهموا الإخوان بعد، ويرونهم منافسًا لهم، فعلى الإخوان المسلمين أن يوضحوا أنفسهم لهذا الصنف، وأن يقنعوا علماء الأزهر جميعًا بأن نجاح الإخوان نجاح للأزهر ذاته، وأن الحلف بين الهيئتين طبعي بحكم وحدة الغاية، وأنهم يرون في علماء الأزهر أوعية العلم الإسلامي، ومادة الإصلاح الإسلامي، ولابد من كسب أكبر عدد ممكن من العلماء والطلاب بأي ثمن، ولابد كذلك من كسب «هيئة الوعظ والإرشاد»، وحضرات أئمة المساجد، والتعاون معهم.

ثالثًا: الحكومات

لا يؤيد الإخوان أية حكومة تقوم على أساس الحزبية، وهم يعتقدون أن كل حكومة تقوم على غير الأصول والقواعد الإسلامية لا يرجى منها صلاح، ولا تستحق تأييدًا ولا مناصرة، ولهذا يطالبون دائمًا بالتعديل الذي يحقق نظام الحكم الإسلامي بكل مظاهره.

والإخوان مع هذا يرون من واجبهم التعاون مع الحكومة التي يأنسون منها استعدادًا صادقًا لتأييد مناهجهم والعمل على تحقيقه.

رابعًا: الهيئات السياسية المختلفة

هذه الهيئات ليس لها برامج محددة، وكل القائمين بشأنها والبارزين من أعضائها متأثرون بأفكار غير إسلامية في سياستهم العامة، حتى المستقيمين منهم في شئونهم

الخاصة، وهم إلى جانب ذلك متخاصمون متنافرون، فالإخوان المسلمون لا يعترفون بهذه الهيئات كلها كقيادات صالحة للأمة، ويرون أن عليهم أن يصرفوا الناس عن اتباعها، ويبينوا للرأي العام الخطر في وجودها، ويوجهوا دعوتهم إلى زعمائها وأنصارها، فمن أجاب منهم فهو منا وعليه أن يتجرد من حزبيته تجردًا تامًّا، ويعمل في معسكر الإخوان بكل جهده، ومن أبى تركناه في حزبيته حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين، والإخوان المسلمون يرون هذا حكمًا شاملاً لكل هذه الهيئات صغيرها وكبيرها لا يستثنون منها واحدة، ولذلك يدأب الإخوان على المطالبة بحل هذه الأحزاب رسميًا.

وعلى الإخوان ألا يفاضلوا بين قوم وقوم، وألا ينحازوا إلى جهة، فالوصف في الجميع سواء، والنتيجة واحدة.

خامسًا: الهيئات الإسلامية

يتمنى الإخوان المسلمون لهذه الهيئات كل نجاح وتوفيق في مهمتها، ويشعرون أن الرابطة بينهم وبينها رابطة طبيعية بحكم وحدة الغاية والمنهاج، ويودون من صميم قلوبهم أن لو توحد المعسكر، واجتمعت الكتيبة، وسوي الصف، وتقدم المجاهدون، والإخوان مع هذا يأخذون على كثير من هذه الهيئات تكاسلها وضعفها وقعودها عن الواجب في كثير من الأحيان، حتى إن كثيرًا منها يكاد يكون اسمًا لا مسمى له، ولا عمل يرجى منه، فحبذا لو أخلت مثل هذه الهيئات الطريق للعاملين، وانصرف أشخاصها إلى طريق أخرى تكون أقرب من هذه إلى ما يريدون.

ويعمل الإخوان جاهدين لتقريب وجهات النظر بين الهيئات الإسلامية، وتعريف بعضها ببعض تمهيدًا لإنشاء اتحاد عام لها، ثم لاندماجها اندماجًا تامًا في سبيل تحقيق منهاج موحد هو «تعاليم الإسلام الفاضلة وأحكامه القويمة».

وهذه الهيئات أنواع:

أ- الهيئات القائمة بمشروعات الخير مثل: الجمعية الخيرية الإسلامية، وجمعية المواساة، وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم، وجمعيات البر والإحسان ودفن موتى الفقراء من المسلمين، وتلحق بها جمعيات الخدمة العامة إلخ، هذه الجمعيات تحقق جانبًا من الخير الذي يعمل له الإخوان المسلمون، فهم يساعدونها ما وسعتهم المساعدة ماديًا وأدبيًا، محتسبين ما ينفقون من وقت ومال في سبيل الله، وهم كذلك يقدمون إليها النصيحة إذا خرجت في بعض أعمالها عن حدود الإسلام وتعاليمه، ويمتنعون عن مساعدتها إذا لم

تقبل هذا النصح، فتعمل في سيرها على منهاج التعاليم الإسلامية.

ب- الهيئات التي تعمل «للدعوة الإسلامية» بوسيلة «التربية»، وهي الطرق الصوفية، وهذه تفيد في نواح كثيرة من نواحي تكوين الأمة، وتتفاوت في الفائدة طبعًا، وهي تلمس ناحية في الصميم من روحانية الناس، وموقف الإخوان منها الرغبة التامة في التعاون معها على تحقيق الفكرة العامة، مع تحذير الناس من الدخلاء في الطريق الذين كل همهم الانتفاع المادي والأدبي، وحشو أدمغة الناس بالخرافات، ومع الإنكار على النواحي المخالفة للشرع إنكارًا رفيقًا رحيمًا يوجه إلى الرؤساء حتى يعدلوا عن المختلف فيه إلى المجمع عليه، فذلك هو شأن أهل الطريق الصادقين.

ج- الهيئات التي تعمل للدعوة الإسلامية بوسيلة التعليم والإرشاد، كهيئة أهل السنة وأنصار السنة، وهذه هيئات تفيد هي الأخرى فائدة كبرى، وتلمس ناحية في الصميم من العقائد والأعمال عند الناس، فموقف الإخوان المسلمين منها الرغبة التامة في التعاون معها أيضًا، والعمل على ذلك ما استطاعوا إليه سبيلاً، والعقبة في طريق هذا التعاون اعتقاد بعض رجال هذه الهيئات أن الإخوان متسامحون فيما يجب أن يكون عليه الداعية المسلم، فعلى الإخوان أن يقنعوهم بوجهة نظرهم في الخلافيات في رفق وهوادة، ويفهموهم أن العاملين إن فرقت بينهم بعض النظرات الخاصة، فإنما تجمعهم الغاية العامة.

د- الهيئات التي تعمل للدعوة الإسلامية عن طريق «الوسائل العصرية المظهرية»، وهي الجمعيات الإسلامية، وهذه في الواقع دور شكلية أكثر منها قيادات روحية عملية، وموقفنا منها على كل حال المسالمة والموادة والتعاون، مع العمل على كسب كثير من أفرادها إلى صف الدعوة الخالصة، والاستفادة بكثير من شكلياتها من دور ومجلات في نشر هذه الدعوة.

سادسًا: والأندية والجماعات الرياضية والعسكرية وشبهها

هذه الهيئات تحقق هي الأخرى جزءًا من برنامج الإخوان المسلمين، فهم يرحبون بها، ولا بأس عندهم بأن يتعاونوا معها[1] فينضم أفراد الإخوان إلى هذه الجماعات، وتستفيد الجماعة الإخوانية من هذه الأندية في التعاليم والنظم والمدربين وما إلى ذلك،

---

(١) في الأصل: «منها».

ويعمل الإخوان مع هذا على تقويم الناحية الخلقية في هذه الجماعات، ودفعها إلى الأخذ بتعاليم الإسلام، والمحافظة على فرائضه، وأن تسودها روح الفضيلة.

سابعًا: موقف الإخوان من الهيئات الهدامة

في الناحية العقدية أو الخلقية أو الاجتماعية، كهيئات التبشير بأديان غير الإسلام، أو مذاهب تتنافى مع تعاليم الإسلام، أو أخلاق وعادات لا يقرها الإسلام: موقفنا من هذه الهيئات «الخصومة»، فما كان منها غير إسلامي فهي خصومة دائمة، وحرب مستمرة عنيفة، حتى يقضى عليها، وما كان منها إسلامي فإنا نتقدم إليه بالنصح أولاً، والزجر الرقيق بعد ذلك، ثم بالخصومة القائمة، حتى يزول سوء أثره عن الناس.

ذلك هو موقف الإخوان المسلمين من كل هذه الهيئات، لا لبس فيه ولا غموض، ولا تذبذب ولا تغير.

نحن مع الدعوة أولاً وأخيرًا، وشعارنا في ذلك قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

ثالثًا: المطالب

منهج الإخوان الإصلاحي يرتكز على قواعد الإسلام وتعاليمه، وهم يريدون سيادة الفكرة الإسلامية، وهيمنتها على كل مظهر من مظاهر حياة الأمة، مع الانتفاع بكل جديد لا يتنافى معها.

مهمة الإخوان المسلمين «تكوين الأمة المسلمة» والاضطلاع بعبء تبليغ دعوة الرسول الأعظم من جديد.

والإصلاح الذي ننشده يتناول كل نواحي الحياة في الأمم الإسلامية عامة وفي مصر على الخصوص على النحو الآتي:

الناحية السياسية:

نريد الحكومة الإسلامية الصالحة، والأمة العزيزة الحرة في الداخل والخارج، وذلك بما يأتي:

١- تعديل الدستور المصري «الذي يستمد الآن أصوله وقواعده من الدستور البلجيكي وغيره من دساتير أوروبا» تعديلاً يحقق نظام الحكومة الإسلامية، ويقضي على الخلاف والحزبية، ويتفق مع تعاليم القرآن الكريم.

٢- تعديل المعاهدة المصرية الإنجليزية تعديلاً يحقق سيادة البلاد، واستقلالها التام في الداخل والخارج فورًا، ولا يمنع من مساعدتنا العملية لأي فرد مظلوم من أحرار الوطن الإسلامي العام في كل وقت، والعمل على تحرير الأمة من كل تعهد خاص أو عام لا يتفق مع التعاليم الإسلامية الحنيفة.

٣- مساعدة الأمم العربية والإسلامية بكل الوسائل على استكمال استقلالها وحريتها تمهيدًا لعودة «الخلافة»، وتقوية الروابط معها في كل ناحية من نواحي الحياة.

٤- المشاركة في حفظ السلام العام بنشر الدعوة الإسلامية في كل جهات العالم، وإبلاغها للأمم جميعًا في كل مكان.

٥- تقوية الجيش في كل وحداته وأسلحته الجوية والبرية والبحرية، مع إنشاء المصانع والمدارس اللازمة لذلك، وتقصير مدة الخدمة العسكرية وجعلها إجبارية لا يعفى منها أحد إلا بشروط مشددة، ولظروف مشددة، وإلغاء البدل النقدي جملة.

٦- دوام تذكير الشعب بعظمته ومجده وسيادته وتوجيهه إلى الأهداف الوطنية العليا بكل الوسائل.

وفي الناحية الإدارية:

نريد الإدارة الصالحة المنتجة التي تؤدي بها الواجبات، وتنهض بها المشروعات، وتصان بها الكرامات، وتنتصر فيها الفضيلة والأخلاق، وتتركز الأعمال، وذلك بما يأتي:

١- تأليف مجلس أعلى لكل وزارة من الوزارات من الفنيين لوضع المشروعات العامة والإشراف على إنفاذها.

٢- تحديد اختصاصات المصالح والموظفين تحديدًا دقيقًا، وتوزيع الأعمال بينهم توزيعًا عادلاً، وإلحاق المصالح المتشابهة بإدارة واحدة.

٣- تبسيط الإجراءات في كل الإدارات والمصالح، والاستغناء عن كثرة الرؤساء.

٤- تقديم المصريين دائمًا، والاعتماد عليهم في الشئون الهامة للدولة.

٥- الاعتماد على الكفايات وحدها في حدود لوائح وقوانين منظمة، والقضاء التام على الرشوة والمحسوبية والاستثناءات من أي نوع كانت.

٦- تعيين الموظفين في النواحي التي اختصوا بها، فلا يعين فني في عمل كتابي

وبالعكس، حتى تثمر الجهود في نواحيها المختلفة.

٧- تعديل مواعيد العمل تعديلاً يتفق مع الحياة الإسلامية البعيدة عن العبث، ويعين على أداء فرائض الله.

٨- عدم التفريق بين الناحية الشخصية والإدارية ومؤاخذة الموظف إداريًا بنقصه الخلقي، وأعماله التي لا تتفق مع آداب الإسلام.

٩- التقليل من أبهة الوظائف وامتيازاتها حتى تقبل الأمة على الأعمال الحرة، وحتى تكون الوظيفة جزية لا مغنمًا، وحتى يشعر الموظفون بأنهم سواء مع الشعب.

وفي الناحية الاجتماعية:

نريد المجتمع الفاضل المسلم الذي يظهر فيه الفرد مسلمًا، والأسرة مسلمة، والأمة متمسكة بتعاليم الإسلام، وذلك بما يأتي:

١- شغل وقت الفراغ بأفضل الوسائل، ومن ذلك بث الروح العسكرية والرياضية، والإشادة بصفات الرجولة في نفوس الشعب بتشكيل الوحدات الرياضية في كل الجهات، وإشراف الحكومة عليها إشرافًا فعليًا، وصبغ المدارس نفسها بهذه الصبغة.

٢- إصلاح القانون بحيث يتفق مع الشريعة الإسلامية في كل فروعه من: مدني وجنائي وتجاري وغير ذلك، مع إفهام الأجانب عن الإسلام والجاهلين بتشريعه أن التشريع الإسلامي يتفق مع أحدث التشريعات وأوفاها بمحاربة الجريمة ومناصرة الفضيلة، ورفع مستوى الشعوب، ويلحق بذلك إصلاح السجون، وتهذيب وسائل العقوبات تهذيبًا إسلاميًا عصريًا.

٣- إصلاح الأسرة، وعلاج مشكلة المرأة بتشجيع الزواج، ونشر التعليم الإسلامي الخلقي بين الفتيات جميعًا، مع تعديل المناهج بحيث تؤدي إلى هذه الغاية، وتحريم التبرج والاختلاط والأعمال الخارجية على الفتيات، وإفهام الأزواج والزوجات معنى الزوجية الصحيحة، وتشجيع النسل وإعالته، وتحريم البغاء العلني والسري.

٤- إصلاح القرية بالعناية بصحة الفلاحين ونشر التعليم بينهم، وإيجاد وسائل التسلية لديهم، وتخفيف أعباء الحياة عنهم، ورفع مستوى معيشتهم، والقضاء على مظاهر بؤسهم.

٥- القضاء على المنكرات الشائعة في المجتمع المصري بالدعاية والإقناع، ثم بالقانون والتشريع، ومن ذلك:

* الخمور والمخدرات.

* البغاء السري والعلني، وما يتبعه من جرائم تشاكله.

* القمار واليانصيب بأنواعه وبكل ما يتعلق به، ومنه المراهنة على السباق.

* التعطل والتبطل والتسول وكل احتراف غير شريف بكل الصور الحقيقية والتحايلية.

* الإسراف في الكيوف، ومنها: الشاي الأسود، «والدخان المعسل وغيرها من السموم».

* الرقص الخليع والصالات والكباريهات ونحوها.

٦- الاعتراف بالحسبة الشرعية، وتقرير عقوبة لكل من يخالف واجباته الوطنية أو الإسلامية أو الإنسانية.

٧- إرشاد الشعب إلى العناية بالآداب العامة بكل الوسائل، مع وضع عقوبات للمخالفين.

٨- ملاحظة الروح الإسلامي والقومي في كل المظاهر من: الحفلات والأندية والبيوت والمدارس والمربيات والأسر، وما إليها.

٩- مقاومة العادات الضارة وبيان أضرارها بالدعاية والإرشاد، ثم بالقانون والزجر، وإرشاد الناس إلى عادات أخرى تتفق مع الإسلام الحنيف.

١٠- القضاء على فوضى الأزياء.

١١- إصلاح المصايف ونحوها من المجتمعات إصلاحًا إسلاميًا فاضلاً تتوفر فيه الراحة والحشمة.

١٢- العناية بالصحة في كل طبقات الأمة.

وفي الناحية الثقافية:

نريد العلم النافع المثمر، والعقل الناضج السليم، والتفكير المنطقي الدقيق، يمد ذلك كله الخلق الفاضل والنفس الزكية الطيبة، وإنما يكون ذلك بما يأتي:

١- وضع سياسة ثابتة للتعليم يكون من شأنها:

* تعميمه بين كل طبقات الأمة.

* توحيد خططه ومناهجه وإصلاحها بحيث تكون مبنية على الناحية العملية الاستقلالية الإسلامية.

* ضم أنواعه المتشابهة بعضها إلى بعض حتى تقرب الثقافات، وتوحد النفقات، ويقضي على الفوارق بين المعاهد المختلفة في الأدوار الواحدة من التعليم.

* التفريق بين مناهج البنين والبنات، والحيلولة بينهما في المعاهد المختلفة في السن الكبيرة.

* تشجيع اللغة العربية والتاريخ القومي والتربية الوطنية في نفوس المتعلمين.

٢- محاربة الأمية ونشر الثقافة بين طبقات الأمة، وإلزام الشعب أن يتعلم، وفرض عقوبة للمتخلف، واستخدام الطلبة وموظفي التعليم الأولى والشبان من الموظفين في ذلك.

٣- اعتبار المساجد والأماكن العامة والمقاهي والمتنزهات ونحوها من وسائل الثقافة العامة، واستخدامها في الأغراض التعليمية كل في ما يناسبه.

٤- استخدام الإذاعة استخدامًا ثقافيًا وتهذيبيًا وإصلاح شأنها.

٥- العناية بالسينما والتمثيل عناية صالحة ومراقبتها مراقبة دقيقة، واستبدال الأفلام والروايات الخليعة بكل ما يرمي إلى أهداف قومية، وتشجيع المؤلفين المسرحيين والسينمائيين على اختيار الموضوعات، وتأليف هيئة خاصة بذلك.

٦- العناية بالأغاني والأناشيد، وصبغها بالصبغة الحماسية مع الروحية، وإبعادها عن العاطفة الغرامية التي تنافي الرجولة.

٧- الاهتمام بالصحافة وتجديد المكتبة الإسلامية.

٨- الاهتمام بحركة التأليف والنشر، ومراقبة المطبوعات، ومصادرة كل الروايات الهازلة الضئيلة المغزى، على أن يستبدل بها روايات وأقاصيص أخرى، مع تهذيب تراثنا القصصي القديم وبعثه من جديد.

٩- العناية باللغة العربية في كل الأوساط والتاريخ العربي والتوقيت العربي كذلك.

١٠- العناية بالفن العربي في كل النواحي الفنية.

منهاجنا الاقتصادي:

نريد الاستغناء بمواردنا، وتوفير الراحة ووسائل العيش لكل الطبقات، وتحقيق المشروعات الضرورية للأمة الناهضة، وتعويد الشعب الاقتصاد بكل شيء، وذلك بما يأتي:

١- تعديل نظام الضرائب والعناية بتطبيق نظام الزكاة وجمعها من القادرين من المسلمين بنسبتها الشرعية، وتحصيل مقدارها كضريبة إيراد من غير المسلمين، وتصرف في النواحي الآتية، وهي النواحي التي تتفق تمامًا مع مصارفها الشرعية.

* الملاجئ وقطع دابر التسول.

* الإعانات والمساعدات للعاطلين.

* الدفاع الوطني وتقوية الجيش.

* الدعاية الإسلامية.

* إمداد المصارف الخاصة بالسلف الصناعية والزراعية والتجارية بما يجعلها في غنى عن نظام الفائدة، وتشجيع الجمعيات التعاونية في القرى والأرياف.

* المحافظة على الثروة العقارية وتسوية مشاكل الديون الأهلية والحكومية.

٢- تأسيس الشركات الوطنية وإحلالها محل الشركات الأجنبية، مع تحريم منح الامتيازات لشركات غير وطنية تحريمًا باتًا.

٣- تأسيس المصانع المصرية، وتشجيع منتجاتها، وحمايتها الجمركية.

٤- الاهتمام بالتجارة الخارجية والداخلية، وتوثيق علاقتنا التجارية والاقتصادية بالبلاد الشرقية والعربية والإسلامية، والانتفاع بالتبادل الاقتصادي معها.

٥- إحياء الأرض البور، والتفكير في تنويع الحاصلات، وعدم الاعتماد على صنف واحد يهدد الثروة المصرية بنزول وهبوط كالقطن.

٦- استغلال الموارد الطبيعية في مصر من المناجم بأنواعها، والمنابع والتيارات استغلالاً[1] صناعيًا بأيد وطنية وشركات وطنية.

---

(١) في الأصل: «استقلالاً».

٧- الاقتصاد في مرتبات الموظفين والمصالح الحكومية.

٨- الاقتصاد في الكماليات وتقديم الأهم على المهم دائمًا.

٩- تحريم الفائدة ولا بأس بأن يستبدل نظام الفائدة بنظام التعويض والشروط الجزائية المؤقتة.

١٠- التأمين الاجتماعي للعامل والموظف والفلاح.

هذه نواح إجمالية لكل ناحية منها تفصيل طويل وبيان واسع، ونعتقد ذلك ممكنًا، ويراه الناس محالاً، ونتمثله حقيقة، ويظنه الناس خيالاً، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ [الروم: ٦٠].

رابعًا: كيف تتكون الكتيبة؟

١- الغرض من تكوين هذه الكتائب تخريج صنف ممتاز من الشباب الإسلامي يقوم بعبء الدعوة، ووسيلة ذلك الدرس والتربية الروحية والرياضية التي تقوم على الطاعة والنظام والاستقامة وتقديس الواجب وتمام الاستعداد.

٢- لا يقل عدد الكتيبة عن عشرة أفراد ولا يزيد على أربعين، ويتسامح في الزيادة إلى عشرة، فإذا كملت تكونت منها كتيبة ثانية، ولكل كتيبة سجل خاص يدون به أسماء أعضائها، والبيانات اللازمة عنهم، وعدد مرات حضورهم وغيابهم، ولكل فرد ملف خاص به.

٣- يشترط في كل عضو من أعضاء هذه الكتائب أن يكون قد سبق له اتصال بالإخوان المسلمين، وألا تقل سنه عن ثماني عشرة سنة هجرية، وألا تزيد عن الأربعين وقت انتسابه، وأن يكون معروفًا لدى بقية أعضاء الكتيبة مزكى منهم جميعًا.

٤- يتعهد كل أخ من أعضاء الكتيبة بالمحافظة على أداء الأوامر، واجتناب النواهي الشرعية، وبأن يجدد التوبة، ويرد الحقوق والمظالم إلى أهلها لأول عهده بالكتيبة، وبأن يمتنع عن المكيفات كلها، وعن السهر في غير ليلة الاجتماع، وبأن يأخذ نفسه بالجد والوقار دائمًا، مع محاسبة النفس والإقلال من الضحك، وبأن يحرص على الوقت فلا ينفق جزءًا منه في غير فائدة، وبأن يقتصد بعض ماله مهما كان دخله للطوارئ، وبأن يسدد اشتراكه الشهري للمكتب العام، وبأن يتحدث بالعربية الفصحى، ويستخدم التاريخ الهجري ما أمكنه ذلك، وبأن يترك حزبيته السياسية، ويتخلى عن صلته بأية هيئة

من الهيئات متى طلب إليه ذلك، وأن يضع ظروف حياته تحت تصرف الدعوة مضحيًا في سبيلها كل شيء عند اللزوم، وأن يكون ملمًا بالقراءة والكتابة، أو يتعهد بتعلمهما إن لم يكن ملمًّا بهما، وأن يستحضر الأدوات اللازمة وهي: «بطانية، سجادة صغيرة، وسادة صغيرة، مصحف، سواك، مجموعة رسائل الإخوان، رداء الكشف ومعه الزمزمية، والجربندية، ولوازم التدريب العسكري كلها».

٥- تجتمع كل كتيبة على حدة ليلة كاملة في الأسبوع تقضيها على النحو الآتي: صلاة العشاء، التدريب الرياضي إذا كان هناك صف ليلي، تناول عشاء خفيف معًا، مذاكرة في شئون الكتيبة ودرس التعاليم، أدعية مأثورة من أذكار المساء ومن أدعية الاستعداد للنوم في هدوء وخشوع تام واستحضار قلبي كامل، النوم بضع ساعات، الاستيقاظ قبل الفجر والوضوء والتهجد، تلاوة حزب من القرآن بغير تشويش ومناجاة ودعاء واستغفار إلى الفجر، صلاة الفجر، الاشتغال بأذكار الصباح إلى قبيل الشروق، تدريبات رياضية إذا كان هناك صف نهاري، تناول الفطور معًا، الانصراف، وتؤدى هذه الأعمال وفق جدول منظم يحدد وقت كل عمل حسب ظروف الكتيبة الخاصة مع مراعاة التغييرات الفصلية صيفًا وشتاء، ويحسن أن يكون هذا الاجتماع خلويًا ما أمكن.

٦- تدرس هذه الكتائب قانون الإخوان المسلمين ورسائلهم، وتحفظ رسالة التعاليم، وتدرب تدريبًا رياضيًّا كاملاً، ويقرأ أعضاؤها وردًا قرآنيًا خاصًا في الصباح وفي المساء طول الأسبوع.

٧- شعار هذه الكتائب العام ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١]، ويطلق على كل كتيبة اسم إسلامي يرمز إلى معنى خاص، ويرتدي أعضاؤها لباس الكشف بعد تسجيلهم والإذن لهم بذلك، ويبايع كل أفراد هذه الكتائب مندوب المكتب بيعة الانتساب، ويؤدون القسم جهرًا أمام إخوانهم ونصه: «أقسم بالله على الطاعة والعمل والكتمان» وذلك بعد صلاة ركعتين والاستغفار سبعين مرة.

٨- يختار لكل كتيبة بالاقتراع السري وحضور مندوب المكتب «نقيب» يكون رئيسها والمشرف عليها، وعلى أعضائها جميعًا طاعته، وعليه أن يختار من بينهم وكيلاً له، ويقسم الباقين إلى عشرات، تختار كل عشرة منها مندوبًا، وهؤلاء المندوبون يساعدون النقيب في مهمته، وعليه أن يشاورهم في شئون الكتيبة، ويأخذ بالصواب من آرائهم في غير إلزام، وعليه أن ينظم مالية الكتيبة بطريق الاكتتاب، أو الاشتراك حسب الظروف.

٩- يجدد النقيب وأعضاء الكتيبة بيعتهم «مع المرشد العام» لأول فرصة يلقونه فيها.

١٠- إذا لم يتم عدد الكتيبة عند بدء تكوينها يظل باب الانتساب إليها مفتوحًا مدة أربعة أسابيع حتى يتم العدد، وبعد تمامه أو نهاية المدة يقفل باب الانتساب، وتبدأ الاجتماعات الرسمية للكتيبة، ويمنح المكتب العام كل أخ حضر أربعين اجتماعًا في الكتيبة، وحفظ رسالة التعاليم، وألم بقانون الإخوان وخطتهم، وشهد له إخوانه بحسن الاستعداد، وشرف المسلك في أثناء هذه المدة، «إجازة شرفية» تخوله الحق في أن يكون نقيبًا لكتيبة جديدة، وداعية من دعاة الإخوان الرسميين، وليس ذلك حقًّا لازمًا لكنه موكول إلى رأي المكتب الذي يصح له أن يسترد هذه الإجازة إذا لم يحافظ الأخ على حقوقها دون أن يكلف ذكر الأسباب، وعند تسلم الأخ إجازته يبايع «البيعة الثانية»، وينشر اسمه وصورته في سجل الإخوان العاملين، وتثبت له حقوق الأخوة الكاملة.

١١- لنقيب الكتيبة أن يتخذ مع أعضائها إجراءات تأديبية منها: التنبيه على انفراد، التأنيب علنًا، العقوبات الروحية المناسبة، الاستغفار والتنفل والصوم إلخ، العقوبات المالية، الهجر من الإخوان مدة، إلغاء اجتماعاته السابقة كلها أو بعضها، الفصل نهائيًّا من الكتيبة، ويتوقف نفاذ هذه العقوبة على إقرار المكتب العام، وإذا لاحظ بعض الإخوان على النقيب شيئًا لا يليق بكرامة مهمته عليهم أن يرفعوا ذلك إلى المكتب العام للنظر.

١٢- للأخ الذي يتم مدة الكتيبة أن يستمر معها أو مع غيرها من الكتائب ما شاء من الجلسات، وللإخوان الذين تزيد سنهم عن الحد المقرر أن ينتسبوا إلى الكتيبة استثناء، ويعفون من ارتداء الزي الخاص، ويصح أن يختار منهم النقيب والمندوبون، ولا يدخلون في عدد الكتيبة الرسمي، وتنتهي مدة الكتيبة بمرور عام على تكوينها الرسمي، ويشترط ألا تقل اجتماعاتها عن أربعين، وتكون اجتماعاتها بعد ذلك تطوعًا.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *


النادي الشبابي

رسالة التعاليم

يوليو ١٩٣٨م

تقـديم

تعد هذه الرسالة أهم رسائل الإمام البنا، وقد وجهها لتربية الأفراد داخل الجماعـة، وذلك لتوحيد المفاهيم، وحتى يصدر جميع أفراد الجماعة عن فهم واحد للإسلام.

وقد وجهها الإمام البنا لصنف خاص من الإخوان هم الإخوان المجاهـدون، وحـدد من خلالها أركان بيعة الإخوان المسلمين، ومراحل العمل، وواجبات الأفراد.

ورغم أن هذه الرسالة موجهة لشريحة معينة من الإخـوان إلا أن الـركن الأول فيهـا هو ركن الفهم، فهو يعتبر دستورًا للثقافة الإسلامية، فقد حدَّد فيـه الإمـام البنـا المفهـوم الصحيح للإسلام، وحدَّد المصادر التي يأخذ منها الإسلام، كما حدَّد منهجية الفصـل في الأمور المختلف فيها، ووضع أطرًا لها، لا يخرج عـن الفهـم الصـحيح للإسـلام إلا مـن خرج عليها.

وقد صدرت هذه الرسالة في يوليو ١٩٣٨م في كتيب تحت عنوان: «رسالة التعاليم»، وقد نشرتها دار الكتاب العربي في عام ١٩٥١م، ولقد اعتمـدنا في التعـرف علـى تـاريخ صدورها على ما ورد في رسالة المنهج التي صدرت قبل هذا التاريخ، وتضـمنت التنويـه عن إعداد رسالة تسمى رسالة التعاليم، وأنها ستطبع قبـل يوليـو حتـى تكـون موضـوع دراسة الإخوان في معسكر الدخيلة بالإسكندرية، ومن المعلوم أن معسكر الإسكندرية تم في ٢٧ جمـادى الأولى ١٣٥٧هـ الموافـق ٢٥ يوليـو ١٩٣٨م، واسـتمر حتـى ٢٩ جمـادى الآخرة ١٣٥٧هـ الموافق ٢٥ أغسطس ١٩٣٨م.

وكان الأستاذ عبد المنعم أحمد تعيلب قد قدم شرحًا مختصرًا للرسالة في عام ١٩٥٢م، وهو أقدم محاولة للشرح وقعت بين أيدينا.

* * *

رسالة التعاليم

مقدمة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقائد المجاهدين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم إلى يوم الدين.

أما بعد...

فهذه رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين الذين آمنوا بسمو دعوتهم، وقدسية فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها، أو يموتوا في سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة، وهي ليست دروسًا تحفظ، لكنها تعليمات تنفذ، فإلى العمل -أيها الإخوة- الصادقون، و﴿سَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. أما غير هؤلاء، فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومقالات، ومظاهر وإداريات، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿وَكُلا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾ [النساء: ٩٥].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أركان البيعة:

أيها الإخوان الصادقون: أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها:

«الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والأخوَّة، والثقة».

الفهم:

إنما أريد بالفهم أن توقن بأن فكرتنا «إسلامية صميمة»، وأن تفهم الإسلام كما

---

(١) العناوين الجانبية ليست بالأصل، وهي من باب حسن التقسيم.

نفهمه، في حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز:

١- الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا؛ فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء.

٢- والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن طبقًا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات.

٣- وللإيمان الصادق، والعبادة الصحيحة، والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه.

٤- والتمائم والرقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب، وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته، إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة.

٥- ورأي الإمام ونائبه فيما لا نص فيه، وفيما يحتمل وجوهًا عدة، وفي المصالح المرسلة، معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات، والأصل في العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعاني، وفي العاديات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد.

٦- وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ، وكل ما جاء عن السلف -رضوان الله عليهم- موافقًا للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع، ولكنا لا نعرض للأشخاص -فيما اختلف فيه- بطعن أو تجريح، ونكلهم إلى نياتهم، وقد أفضوا إلى ما قدموا.

٧- ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إمامًا من أئمة الدين، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلة إمامه، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صدق من أرشده وكفايته، وأن يستكمل نقصه

العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر.

٨- والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببًا للتفرق في الدين، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء، ولكل مجتهد أجره، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة، من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب.

٩- وكل مسألة لا ينبني عليها عمل، فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعًا، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع، والخوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل إليها العلم بعد، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب -رضوان الله عليهم- وما شجر بينهم من خلاف، ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته، وفي التأول مندوحة.

١٠- معرفة الله -تبارك وتعالى- وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يلحق بذلك من التشابه، نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء، ويسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

١١- وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم -سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه- ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها.

١٢- والبدعة الإضافية والتَّركِية، والالتزام في العبادات المطلقة خلاف فقهي، لكل فيه رأيه، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان.

١٣- ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله -تبارك وتعالى، والأولياء هم المذكورون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية، مع اعتقاد أنهم -رضوان الله عليهم- لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا في حياتهم أو بعد مماتهم، فضلاً عن أن يهبوا شيئًا من ذلك

لغيرهم.

١٤- وزيارة القبور أيًا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيًا كانوا، ونداءهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد، والنذر لهم، وتشييد القبور، وسترها، وإضاءتها والتمسح بها، والحلف بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سدًا للذريعة.

١٥- والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء، وليس من مسائل العقيدة.

١٦- والعرف الخاطئ لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصودة بها، والوقوف عندها، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء.

١٧- والعقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعًا، وإن اختلفت مرتبتا الطلب.

١٨- والإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح والنافع من كل شيء، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

١٩- وقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا في القطعي، فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار.

٢٠- لا نكفر مسلمًا أقر بالشهادتين، وعمل بمقتضاهما، وأدى الفرائض، برأي أو معصية، إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر.

وإذا علم الأخ المسلم «دينه» في حدود هذه الأصول، فقد عرف معنى هتافه دائمًا:

(القرآن دستورنا، والرسول قدوتنا).

الإخـــلاص:

وأريد بالإخلاص أن يقصد الأخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله، وابتغاء مرضاته، وحسن مثوبته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر، وبذلك يكون جندي «فكرة وعقيدة»، لا جندي غرض ومنفعة، ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وبذلك يفهم الأخ المسلم معنى هتافه الدائم: (الله غايتنا) و(الله أكبر ولله الحمد).

العمل:

وأريد بالعمل ثمرة العلم والإخلاص، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ومراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق:

١- إصلاح نفسه حتى يكون: قوي الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادرًا على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهدًا لنفسه، حريصًا على وقته، منظمًا في شئونه، نافعًا لغيره، وذلك واجب كل أخ على حدته.

٢- وتكوين بيت مسلم، بأن يحمل أهله على احترام فكرته، والمحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية، وحسن اختيار الزوجة، وتوقيفها على حقها وواجبها، وحسن تربية الأولاد والخدم، وتنشئتهم على مبادئ الإسلام، وذلك واجب كل أخ على حدته كذلك.

٣- وإرشاد المجتمع، بنشر دعوة الخير فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات، وتشجيع الفضائل، والأمر بالمعروف، والمبادرة إلى فعل الخير، وكسب الرأي العام إلى جانب الفكرة الإسلامية، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائمًا، وذلك واجب كل أخ على حدته، وواجب الجماعة كهيئة عاملة.

٤- وتحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبي -غير إسلامي- سياسي أو

اقتصادي أو روحي.

٥- وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق، وبذلك تؤدي مهمتها كخادم للأمة، وأجير عندها، وعامل على مصلحتها، والحكومة الإسلامية ما كان أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام غير متجاهرين بعصيان، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه.

ولا بأس أن نستعين بغير المسلمين عند الضرورة في غير مناصب الولاية العامة، ولا عبرة بالشكل الذي تتخذه، ولا بالنوع، مادام موافقًا للقواعد العامة في نظام الحكم الإسلامي.

ومن صفاتها: الشعور بالتبعة، والشفقة على الرعية، والعدالة بين الناس، والعفة عن المال العام، والاقتصاد فيه.

ومن واجباتها: صيانة الأمن، وإنفاذ القانون، ونشر التعليم، وإعداد القوة، وحفظ الصحة، ورعاية المنافع العامة، وتنمية الثروة، وحراسة المال، وتقوية الأخلاق، ونشر الدعوة.

ومن حقها -متى أدت واجبها: الولاء والطاعة، والمساعدة بالنفس والأموال.

فإذا قصرت: فالنصح والإرشاد، ثم الخلع والإبعاد، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[1].

٦- وإعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية، بتحرير أوطانها، وإحياء مجدها، وتقريب ثقافتها، وجمع كلمتها، حتى يؤدي ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة.

٧- وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام في ربوعه ﴿حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢].

---

(١) يشير الإمام هنا للحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في «مسند علي بن أبي طالب ﷺ»، ح(١٠٤١)، والذي صححه الألباني في «صحيح الجامع»، ح(٧٥٢٠)، ونصه: «لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الله ﷻ»، وأخرج الطبراني في «الكبير»، ح(١٤٧٩٥) من طريق عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ».

وهذه المراتب الأربعة الأخيرة تجب على الجماعة متحدة، وعلى كل أخ باعتباره عضوًا في الجماعة، وما أثقلها تبعات، وما أعظمها مهمات، يراها الناس خيالاً ويراها الأخ المسلم حقيقة، ولن نيأس أبدًا، ولنا في الله أعظم الأمل، ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

الجهـــاد:

وأريد بالجهاد الفريضة الماضية إلى يوم القيامة، والمقصودة بقول رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية»[1]، وأول مراتبه: إنكار القلب، وأعلاها: القتل في سبيل الله، وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر[2]، ولا تحيا دعوة إلا بالجهاد، وبقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد في سبيلها، وضخامة الثمن الذي يطلب لتأييدها، وجزالة الثواب للعاملين: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]. وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم: (الجهاد سبيلنا).

التضحية:

وأريد بالتضحية بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شيء في سبيل الغاية، وليس في الدنيا جهاد لا تضحية معه، ولا تضيع في سبيل فكرتنا تضحية، وإنما هو الأجر الجزيل والثواب الجميل، ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١]، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ...﴾ الآية [التوبة:٢٤]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ...﴾ الآية [التوبة: ١٢٠]، ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الفتح: ١٦]، وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم: (والموت في سبيل الله أسمى أمانينا).

---

(١) أخرجه مسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «ذَمِّ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ»، ح(٣٥٣٣)، وهذا الحديث في جميع رواياته ورد بـ«مات على شعبة من نفاق» بدلاً من «مات ميتة جاهلية».

(٢) يشير الإمام البنا هنا للحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده، ح(١٠٧١٦) من حديث أبي سعيد الخدري، والذي صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»، (١/ ٨٠٦)، ونصه: «إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ».

الطاعة:

وأريد بالطاعة امتثال الأمر وإنفاذه توًّا في العسر واليسر والمنشط والمكره، وذلك أن مراحل هذه الدعوة ثلاث:

١ - التعريف: بنشر الفكرة العامة بين الناس، ونظام الدعوة في هذا الطور: نظام الجمعيات الإدارية، ومهمتها: العمل للخير العام، ووسيلتها: الوعظ والإرشاد تارة، وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى، إلى غير ذلك من الوسائل العملية، وكل شعب الإخوان القائمة الآن تمثل هذا الطور من حياة الدعوة، وينظمها القانون الأساسي، وتشرحها رسائل الإخوان وجريدتهم، والدعوة في هذا الطور عامة.

ويتصل بالجماعة فيها كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة في أعمالها، ووعد بالمحافظة على مبادئها، وليست الطاعة التامة لازمة في هذا الطور بقدر ما يلزم فيه احترام النظم والمبادئ العامة للجماعة.

٢ - التكوين: باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد، وضم بعضها إلى بعض، ونظام الدعوة -في هذا الطور- صوفي بحت من الناحية الروحية، وعسكري بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائمًا: (أمر وطاعة) من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج، وتمثل الكتائب الإخوانية هذا الطور من حياة الدعوة، وتنظمها رسالة المنهج سابقًا، وهذه الرسالة الآن.

والدعوة فيه خاصة لا يتصل بها إلا من استعد استعدادًا تامًّا حقيقيًّا لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات، وأول بوادر هذا الاستعداد كمال الطاعة.

٣ - التنفيذ: والدعوة في هذا الطور جهاد لا هوادة معه، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون، ولا يكفل النجاح في هذا الطور إلا كمال الطاعة كذلك، وعلى هذا بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين في يوم ٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ.

وأنت بانضمامك إلى هذه الكتيبة، وتقبلك لهذه الرسالة، وتعهدك بهذه البيعة، تكون في الدور الثاني، وبالقرب من الدور الثالث، فقدّر التبعة التي التزمتها، وأعدّ نفسك

للوفاء بها.

الثبـــات:

وأريد بالثبات أن يظل الأخ عاملاً مجاهدًا في سبيل غايته مهما بعدت المدة وتطاولت السنوات والأعوام، حتى يلقى الله على ذلك وقد فاز بإحدى الحسنيين، فإما الغاية وإما الشهادة في النهاية، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣]، والوقت عندنا جزء من العلاج، والطريق طويلة المدى، بعيدة المراحل، كثيرة العقبات، ولكنها وحدها التي تؤدي إلى المقصود مع عظيم الأجر وجميل المثوبة.

وذلك أن كل وسيلة من وسائلنا الستة تحتاج إلى حسن الإعداد وتحين الفرص ودقة الإنفاذ، وكل ذلك مرهون بوقته، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء:٥١].

التجـــرد:

وأريد بالتجرد أن تتخلص لفكرتك مما سواها من المبادئ والأشخاص؛ لأنها أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها، ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

والناس عند الأخ الصادق واحد من ستة أصناف: مسلم مجاهد، أو مسلم قاعد، أو مسلم آثم، أو ذمي أو معاهد، أو محايد، أو محارب، ولكل حكمه في ميزان الإسلام، وفي حدود هذه الأقسام توزن الأشخاص والهيئات، ويكون الولاء أو العداء.

الأخـــوة:

وأريد بالأخوة أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط

وأغلاها، والأخوة أخت[1] الإيمان، والتفرق أخو الكفر، وأول القوة: قوة الوحدة، ولا وحدة بغير حب، وأقل الحب: سلامة الصدر، وأعلاه: مرتبة الإيثار، ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه؛ لأنه إن لم يكن بهم، فلن يكون بغيرهم، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره، و«إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»[2]، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا»[3]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وهكذا يجب أن نكون.

الثقـــة:

وأريد بالثقة اطمئنان الجندي إلى القائد في كفاءته وإخلاصه اطمئنانًا عميقًا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة، ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

والقائد جزء من الدعوة، ولا دعوة بغير قيادة، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة، وإحكام خططها، ونجاحها في الوصول إلى غايتها، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب، ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ ۝ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢٠-٢١].

وللقيادة في دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة، ودعوتنا تجمع هذه

---

(١) في الأصل: «أخو».

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، (١/ ٣٣٠)، وقال: «هذا حديث صدوق رواته، شاهد لما تقدمه، متفق على الاحتجاج برواته إلا السائب بن حبيش، وقد عرف من مذهب زائدة أنه لا يحدث إلا عن الثقات»، وقد قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، (١/ ١٠٢): «حسن صحيح».

(٣) أخرجه البخاري في «الصَّلاةِ»، باب: «تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ»، ح(٤٥٩)، ومواضع أخر، ومسلم في «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ»، باب: «تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ»، ح(٤٦٨٤).

المعاني جميعًا، والثقة بالقيادة هي كل شيء في نجاح الدعوات.

ولهذا يجب أن يسأل الأخ الصادق نفسه هذه الأسئلة ليتعرف على مدى ثقته بقيادته:

١- هل تعرف إلى قائده من قبل ودرس ظروف حياته؟

٢- هل اطمأن إلى كفايته وإخلاصه؟

٣- هل هو مستعد لاعتبار الأوامر التي تصدر إليه من القيادة -في غير معصية طبعًا- قاطعةً لا مجال فيها للجدل ولا للتردد ولا للانتقاص ولا للتحوير، مع إبداء النصيحة والتنبيه إلى الصواب؟

٤- هل هو مستعد لأن يفترض في نفسه الخطأ وفي القيادة الصواب، إذا تعارض ما أمر به مع ما تعلم في المسائل الاجتهادية التي لم يرد فيها نص شرعي؟

٥- هل هو مستعد لوضع ظروفه الحيوية تحت تصرف الدعوة؟ وهل تملك القيادة في نظره حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة؟

بالإجابة على هذه الأمثلة وأشباهها يستطيع الأخ الصادق أن يطمئن على مدى صلته بالقائد، وثقته به، والقلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء[1] ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

واجبات الأخ العامل:

أيها الأخ الصادق:

إن إيمانك بهذه البيعة يوجب عليك أداء هذه الواجبات حتى تكون لبنة قوية في البناء:

١- أن يكون لك ورد يومي من كتاب الله لا يقل عن جزء، واجتهد ألا تختم في

(١) يشير الإمام للحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في «مُسْنَد أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ»، ح(١١٦٦٤): «إِنَّ الْقُلُوبَ بِيَدِ اللهِ ﷻ يُقَلِّبُهَا».

أكثر من شهر، ولا في أقل من ثلاثة أيام.

٢- أن تحسن تلاوة القرآن والاستماع إليه والتدبر في معانيه، وأن تدرس السيرة المطهرة وتاريخ السلف بقدر ما يتسع له وقتك، وأقل ما يكفي في ذلك كتاب (حماة الإسلام)[1]، وأن تكثر من القراءة في حديث رسول الله ﷺ، وأن تحفظ أربعين حديثًا على الأقل ولتكن الأربعين النووية[2]، وأن تدرس رسالة في أصول العقائد، ورسالة في فروع الفقه.

٣- أن تبادر بالكشف الصحي العام، وأن تأخذ في علاج ما يكون فيك من أمراض، وتهتم بأسباب القوة والوقاية الجسمانية وتبتعد عن أسباب الضعف الصحي.

٤- أن تبتعد عن الإسراف في قهوة البن والشاي، ونحوها من المشروبات المنبهة، فلا تشربها إلا لضرورة، وأن تمتنع بتاتًا عن التدخين.

٥- أن تعنى بالنظافة في كل شيء في المسكن والملبس والمطعم والبدن ومحل العمل، فقد بني الدين على النظافة.

٦- أن تكون صادق الكلمة فلا تكذب أبدًا.

٧- أن تكون وفيًّا بالعهد والكلمة والوعد، فلا تخلف مهما كانت الظروف.

٨- أن تكون شجاعًا عظيم الاحتمال، وأفضل الشجاعة الصراحة في الحق وكتمان السر، والاعتراف بالخطأ، والإنصاف من النفس، وملكها عند الغضب.

٩- أن تكون وقورًا تؤثر الجد دائمًا، ولا يمنعك الوقار من المزاح الصادق والضحك

---

(١) هو كتاب يتكون من جزأين لمصطفى محمد نجيب [١٢٧٧-١٣١٩هـ = ١٨٦١-١٩٠١م]، وهو أديب مصري، له شعر وإنشاء، تقلب في مناصب صغيرة، آخرها وكالة قسم الإدارة في القاهرة، وكانت له يد في خدمة النهضة الوطنية المصرية. وتوفي بالإسكندرية. [الأعلام، (٧/ ٢٤٣)].
وكتاب «حماة الإسلام» في التراجم، وصل فيه إلى القرن السادس تقريبًا ومات قبل إتمامه. عني بنشره مصطفى باشا كامل، وكتب عليه: تأليف كاتب من كبار الكتاب [معجم المطبوعات (٢/ ١٧٥٦)].

(٢) «الأربعون حديثًا النووية» ليحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. شرحها كثيرون. [الأعلام، (٨/ ١٤٩)].

في تبسم.

١٠- أن تكون شديد الحياء، دقيق الشعور، عظيم التأثر بالحسن والقبح، تسر للأول وتتألم للثاني، وأن تكون متواضعًا في غير ذلة ولا خنوع[١] ولا ملق[٢]، وأن تطلب أقل من مرتبتك لتصل إليها.

١١- أن تكون عادلاً صحيح الحكم في جميع الأحوال، لا ينسيك الغضب الحسنات، ولا تغضي عين الرضا عن السيئات، ولا تحملك الخصومة على نسيان الجميل، وتقول الحق ولو كان على نفسك أو على أقرب الناس إليك وإن كان مرًّا.

١٢- أن تكون عظيم النشاط، مدربًا على الخدمات العامة، تشعر بالسعادة والسرور إذا استطعت أن تقدم خدمة لغيرك من الناس، فتعود المريض، وتساعد المحتاج، وتحمل الضعيف، وتواسي المنكوب ولو بالكلمة الطيبة، وتبادر دائمًا إلى الخيرات.

١٣- أن تكون رحيم القلب كريمًا سمحًا تعفو وتصفح وتلين وتحلم وترفق بالإنسان والحيوان، جميل المعاملة حسن السلوك مع الناس جميعًا، محافظًا على الآداب الإسلامية الاجتماعية فترحم الصغير وتوقر الكبير وتفسح في المجلس، ولا تتجسس ولا تغتاب ولا تصخب، وتستأذن في الدخول والانصراف... إلخ.

١٤- أن تجيد القراءة والكتابة، وأن تكثر من المطالعة في رسائل الإخوان وجرائدهم ومجلاتهم ونحوها، وأن تكون لنفسك مكتبة خاصة مهما كانت صغيرة، وأن تتبحر في علمك وفنك إن كنت من أهل الاختصاص، وأن تلم بالشئون الإسلامية العامة إلمامًا يمكنك من تصورها والحكم عليها حكمًا يتفق مع مقتضيات الفكرة.

١٥- أن تزاول عملاً اقتصاديًّا مهما كنت غنيًّا، وأن تقدم على العمل الحر مهما كان ضئيلاً، وأن تزج بنفسك فيه مهما كانت مواهبك العلمية.

---

(١) الخُنُوع: الخضوع والذّلُّ. خَنَع له وإليه يَخْنَعُ خُنوعًا: ضَرَع إليه وخَضَع وطلَب إليه وليس بأهل أن يُطْلَب إليه. [لسان العرب، مادة (خنع)].

(٢) المَلَقُ: الوُدّ واللطف الشديد، وأصله التليين وقيل: المَلَقُ: شدة لطف الودّ، وقيل: الترفق والمداراة، والمعنيان متقاربان. [السابق، مادة (ملق)].

١٦- ألا تحرص على الوظيفة الحكومية، وأن تعتبرها أضيق أبواب الرزق ولا ترفضها إذا أتيحت لك، ولا تتخل عنها إلا إذا تعارضت تعارضًا تامًا مع واجبات الدعوة.

١٧- أن تحرص كل الحرص على أداء حق مهنتك من حيث الإجادة والإتقان وعدم الغش وضبط الموعد.

١٨- أن تكون حسن التقاضي لحقّك، وأن تؤدي حقوق الناس كاملة غير منقوصة بدون طلب، ولا تماطل أبدًا.

١٩- أن تبتعد عن الميسر بكل أنواعه مهما كان المقصد من ورائها، وتتجنب وسائل الكسب الحرام مهما كان وراءها من ربح عاجل.

٢٠- أن تبتعد عن الربا في جميع المعاملات وأن تتطهر منه تمامًا.

٢١- أن تخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية، وأن تحرص على القرش فلا يقع في يد غير إسلامية مهما كانت الأحوال، ولا تلبس ولا تأكل إلا من صنع وطنك الإسلامي.

٢٢- أن تشترك في الدعوة بجزء من مالك، وأن تؤدي الزكاة الواجبة فيه، وأن تجعل منه حقًا معلومًا للسائل والمحروم مهما كان دخلك ضئيلاً.

٢٣- أن تدخر للطوارئ جزءًا من دخلك مهما قل، وألا تتورط في الكماليات أبدًا.

٢٤- أن تعمل ما استطعت على إحياء العادات الإسلامية وإماتة العادات الأعجمية في كل مظاهر الحياة، ومن ذلك: التحية واللغة والتاريخ والزي والأثاث، ومواعيد العمل والراحة، والطعام والشراب، والقدوم والانصراف، والحزن والسرور.. إلخ، وأن تتحرى السنة المطهرة في كل ذلك.

٢٥- أن تقاطع المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامي، والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التي تناهض فكرتك الإسلامية مقاطعة تامة.

٢٦- أن تديم مراقبة الله -تبارك وتعالى، وتذكر الآخرة وتستعد لها، وتقطع مراحل

السلوك إلى رضوان الله بهمة وعزيمة، وتتقرب إليه سبحانه بنوافل العبادة، ومن ذلك: صلاة الليل، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر على الأقل، والإكثار من الذكر القلبي واللساني، وتحرّي الدعاء المأثور على كل الأحوال.

٢٧- أن تحسن الطهارة، وأن تظل على وضوء غالب الأحيان.

٢٨- أن تحسن الصلاة وتواظب على أدائها في أوقاتها، وتحرص على الجماعة والمسجد ما أمكن ذلك.

٢٩- أن تصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، وأن تعمل على ذلك إن لم تكن مستطيعًا الآن ذلك.

٣٠- أن تستصحب دائمًا نية الجهاد وحب الشهادة، وأن تستعد لذلك ما وسعك الاستعداد.

٣١- أن تجدد التوبة والاستغفار دائمًا، وأن تتحرز من صغائر الآثام فضلاً عن كبارها، وأن تجعل لنفسك ساعة قبل النوم تحاسبها فيها على ما عملت من خير أو شر، وأن تحرص على الوقت فهو الحياة فلا تصرف جزءًا منه من غير فائدة، وأن تتورع عن الشبهات حتى لا تقع في الحرام.

٣٢- أن تجاهد نفسك جهادًا عنيفًا حتى يسلس قيادها لك، وأن تغض طرفك وتضبط عاطفتك وتقاوم نوازع الغريزة في نفسك، وتسمو بها دائمًا إلى الحلال الطيب، وتحول بينها وبين الحرام من ذلك أيًا كان.

٣٣- أن تتجنب الخمر والمسكر والمفتر وكل ما هو من هذا القبيل كل الاجتناب.

٣٤- أن تبتعد عن أقران السوء وأصدقاء الفساد وأماكن المعصية والإثم.

٣٥- أن تحارب أماكن اللهو فضلاً عن أن تقربها، وأن تبتعد عن مظاهر الترف والرخاوة جميعًا.

٣٦- أن تعرف أعضاء كتيبتك فردًا فردًا معرفة تامة، وتعرفهم نفسك معرفة تامة كذلك، وتؤدي حقوق أخوتهم كاملة من الحب والتقدير والمساعدة والإيثار، وأن تحضر

اجتماعاتهم فلا تتخلف عنها إلا بعذر قاهر، وتؤثرهم بمعاملتك دائمًا.

٣٧- أن تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها في مصلحة فكرتك وخاصة إذا أمرت بذلك.

٣٨- أن تعمل على نشر دعوتك في كل مكان، وأن تحيط القيادة علمًا بكل ظروفك، ولا تقدم على عمل يؤثر فيها تأثيرًا جوهريًّا إلا بإذن، وأن تكون دائم الاتصال الروحي والعملي بها، وأن تعتبر نفسك دائمًا جنديًّا في الثكنة[1] تنتظر الأوامر.

خاتمة:

أيها الأخ الصادق:

هذا مجمل لدعوتك، وبيان موجز لفكرتك، وتستطيع أن تجمع هذه المبادئ في خمس كلمات: (الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن شرعتنا، والجهاد سبيلنا، والشهادة أمنيتنا).

وأن تجمع مظاهرها في خمس كلمات أخرى: البساطة، والتلاوة، والصلاة، والجندية، والخلق.

فخذ نفسك بشدة بهذه التعاليم، وإلا ففي صفوف القاعدين متسع للكسالى والعابثين.

وأعتقد أنك إن عملت بها وجعلتها أمل حياتك وغاية غاياتك، كان جزاؤك العزة والنصر في الدنيا والخير والرضوان في الآخرة، وأنت منا ونحن منك، وإن انصرفت عنها وقعدت عن العمل لها فلا صلة بيننا وبينك، وإن تصدرت فينا المجالس وحملت أفخم الألقاب وظهرت بيننا بأكبر المظاهر، وسيحاسبك الله على قعودك أشد الحساب، فاختر لنفسك، ونسأل الله لنا ولك الهداية والتوفيق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ:

(١) تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ

---

(١) الثُّكْنَةُ: مركز الجند على رايتهم، ومجتمعهم على لواء صاحبهم. [العين، مادة (ثكن)].

(٢) وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ:

١- يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

٢- وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

٣- وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ

٤- وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٤].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *


النادي الشبابي



رسالة المناجاة

رجب ١٣٥٧هـ

تقـــديم

بعد أن استحدث الإمام البنا نظام الكتائب والمعسكرات في عـام ١٩٣٨م، كوسـائل للتربية، والتي من فقراتها الذكر والاستغفار والدعاء وقيام الليل، كتب الإمام البنـا تلـك الرسالة لتكون عونًا للأفراد على حسن أداء تلك الفقرات، وتمثل الحد الأدنى الذي يجب أن يلم به أفراد الكتائب في ذلك الباب.

وقد صدرت تلك الرسالة في كتيب صادر عن المركز العام في رجب ١٣٥٧هـ الموافق سبتمبر ١٩٣٨م، وقد اعتمدنا على ذلك الكتيب في توثيق تلك الرسالة.

* * *

مناجـــــاة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المتقين، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد...

فلما كان من أوراد الإخوان المسلمين أن يجتمعوا ليلة في الأسبوع على تعارف وإخاء وذكر ودعاء. أحببت أن أتقدم إليهم بهذه المذكرة الموجزة في فضل القيام والدعاء والاستغفار، وما ينحو هذا المنحى، وفي بعض أدعية مأثورة مختارة لعل فيها تذكرة بالآداب المسنونة، وإرشادًا إلى الكيفيات المطلوبة.

ولم أقصد بذلك الاستيعاب والحصر، ولكني إنما قصدت إلى التذكير والتمثيل. وما بين العبد ومولاه أدق من أن يحصر في كتاب، والله أسأل لي ولهم كمال الإخلاص وحسن الهداية والتوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

القاهرة في رجب ١٣٥٧هـ

الفقير إلى الله: حسن البنا

* * *

فضل قيام الليل ووقت السحر

يا أخـــي:

لعل أطيب أوقات المناجاة أن تخلو بربك والناس نيام، والخليون هجع، وقد سكن الكون كله، وأرخى الليل سدوله[1]، وغابت نجومه، فتستحضر قلبك، وتتذكر ربك، وتتمثل ضعفك وعظمة مولاك، فتأنس بحضرته، ويطمئن قلبك بذكره، وتفرح بفضله ورحمته، وتبكي من خشيته وتشعر بمراقبته، وتلح في الدعاء وتجتهد في الاستغفار، وتفضي بحوائجك لمن لا يعجزه شيء، ولا يشغله شيء عن شيء، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وتسأله لدنياك وآخرتك وجهادك ودعوتك وآمالك وأمانيك ووطنك وعشيرتك ونفسك وإخوتك، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

ولهذا -يا أخي- وردت الآيات الكثيرة، والأحاديث المتواترة في فضل هذه الساعات، وتزكية تلك الأوقات، وندب الصالحين من العباد إلى أن يغتنموا منها ثواب الطاعات، ولهذا -يا أخي- حرص السلف الصالحون على ألا يفوتهم هذا الفضل العظيم، فهم في هذه الأوقات تائبون عابدون حامدون ذاكرون راكعون ساجدون يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، ويزدادون يقينًا وإيمانًا، ويسألون الله من فضله وهو أكرم مسئول وأفضل مأمول.

فمن الآيات القرآنية قوله تعالى:

١- ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٥].

٢- ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ

---

(١) السُّدُلُ، بالضَّمِّ والكَسْر: السِّتْرُ، ج: أَسْدالٌ، وسُدُولٌ، وأَسْدُلٌ. والسَّدِيلُ: ما أُسْبِلَ على الْهَوْدَجِ، والجَمْعُ سُدُولٌ [تاج العروس، مادة (سدل)].

النَّارِ ۞ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥-١٧].

٣- ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨-٧٩].

٤- ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ۞ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٤].

٥- ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ، تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

٦- ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

٧- ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩-٤٠].

٨- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥-١٨].

٩- ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨-٤٩].

١٠- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلاً ۞ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۞ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۞ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ١-٦].

١١- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ

مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠].

١٢- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً ۞ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ۞ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ [الدهر: ٢٣-٢٦].

ومن الأحاديث الشريفة:

١- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يقضي[1] ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له»[2] رواه البخاري ومالك ومسلم والترمذي وغيرهم.

وفي رواية مسلم: «إن الله تعالى يمهل حتى إذا ذهب الثلث الأول من الليل نزل إلى سماء الدنيا فيقول: أنا الملك من الذي يدعوني»[3].

٢- وعن عمرو بن عبسة[4] ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أقرب ما يكون العبد من الرب»[5] في جوف الليل، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة

---

(١) في الروايات التي بين أيدينا: «يبقى، يمضي».

(٢) أخرجه البخاري في «الْجُمُعَة»، باب: «الدُّعَاءِ فِي الصَّلاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ...»، ح(١٠٧٧)، ومواضع أخر، ومسلم في «صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا»، باب: «التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالإِجَابَةِ فِيهِ»، ح(١٢٦١)، ومواضع أخر، واللفظ له.

(٣) هذا ليس حديثًا واحدًا ولكنه حديثان أخرجهما مسلم في «صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا»، باب: «التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالإِجَابَةِ فِيهِ»، ح(١٢٦٢، ١٢٦٥)، لفظ الأول: «يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الذي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الذي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الذي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ»، والثاني: «إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ».

(٤) في المطبوع: «عيشة»، والتصحيح من السنن.

(٥) في الرواية: «الرب من العبد».

فكن»[١] رواه أبو داود والترمذي، واللفظ له وقال: «حديث حسن صحيح». والحاكم على شرط مسلم.

٣- وعن أبي أمامة قال: قيل: يا رسول الله، أي الدعاء أسمع؟ قال: «جوف الليل الأخير[٢]، ودبر الصلوات المكتوبات»[٣] رواه الترمذي وقال: «حديث حسن صحيح».

٤- وعن بلال ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، [وقربة إلى ربكم][٤]، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»[٥]. أخرجه الترمذي.

٥- وعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قام [رسول الله][٦] ﷺ حتى تورمت قدماه. فقيل له: [قد غُفر][٧] لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[٨]. أخرجه الخمسة إلا أبا داود.

٦- عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ لا يدع قيام الليل،

(١) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «فِي دُعَاءِ الضَّيْفِ»، ح(٣٥٠٣)، واللفظ له، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ»، والنسائي في «الْمَوَاقِيتِ»، باب: «النَّهْيُ عَنْ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْعَصْرِ»، ح(٥٦٨)، والحاكم في «المستدرك»، ح(١١١٠)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وقد صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، ح(١٦٤٧).

(٢) في الرواية: «الآخر».

(٣) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ»، ح(٣٤٢١)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٤٩٩).

(٤) في الرواية: «وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى الله».

(٥) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «فِي دُعَاءِ النَّبِي ﷺ»، ح(٣٤٧٢)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي»، ح(٣٥٤٩).

(٦) في رواية البخاري: «النبي».

(٧) في رواية البخاري: «غَفَرَ اللَّهُ»، ومسلم: «وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ».

(٨) أخرجه البخاري في «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»، باب: «﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾»، ح(٤٤٥٩)، ومسلم بنحوه في «صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ»، باب: «إِكْثَارِ الْأَعْمَالِ وَالاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ»، ح(٥٠٤٤، ٥٠٤٥).

وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا[١]. أبو داود.

٧- وعن ابن مسعود ﷺ قال: ذكر رجل عند النبي ﷺ، فقيل[٢]: ما زال نائمًا حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة. فقال ﷺ: «ذلك رجل بال الشيطان في أذنه»[٣]. أخرجه الشيخان والنسائي.

٨- وفي حديث ابن عمر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال فيه: «نعم الرجل هو لو كان يصلي بالليل»[٤].

فكان يداوم بعد ذلك على قيام الليل..

قال نافع مولاه: كان يصلي بالليل ثم يقول: يا نافع، أسحرنا؟ فأقول: لا. فيقوم لصلاته ثم يقول: يا نافع، أسحرنا؟ فأقول: نعم. فيقعد ويستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر[٥]. أسحرنا، أي: دخلنا في وقت السحر. والظاهر أن ذلك بعد أن كبر ﷺ وكف بصره.

٩- وعن أبي هريرة ﷺ: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل»[٦]. رواه مسلم.

---

(١) أخرجه أبو داود في «الصلاة»، باب: «قيام الليل»، ح(١١١٢)، أن عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي قَيْسٍ قَالَ: قَالَتْ عائشة -رضي الله عنها-: لا تَدَعْ قِيَامَ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ لاَ يَدَعُهُ، وَكَانَ إِذَا مَرِضَ أَوْ كَسِلَ صَلَّى قَاعِدًا. وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٣٠٧).

(٢) في الأصل: فقال.

(٣) أخرجه البخاري في «الْجُمُعَةِ»، باب: «إِذَا نَامَ وَلَمْ يُصَلِّ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ»، ح(١٠٧٦)، ومسلم في «صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا»، باب: «مَا رُوِيَ فِيمَنْ نَامَ اللَّيْلَ أَجْمَعَ حَتَّى أَصْبَحَ»، ح(١٢٩٣).

(٤) أخرجه البخاري في «الْجُمُعَةِ»، باب: «فَضْلِ قِيَامِ اللَّيْلِ»، ح(١٠٥٤) ومواضع أخر، ومسلم في «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ»، باب: «مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»، ح(٤٥٢٨).

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(١٢٨٦٧) بلفظ: «أَنَّهُ كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ صَلاةً، ثُمَّ يَقُولُ: يَا نَافِعُ، أَسْحَرْنَا؟ فَيَقُولُ: لا، فَيُعَاوِدُ الصَّلاةَ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا نَافِعُ، أَسْحَرْنَا؟ فَأَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقْعُدُ فَيَسْتَغْفِرُ وَيَدْعُو حَتَّى يُصْبِحَ». وقال الهيثمي في «المجمع»، (٩/٣٤٦): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة».

(٦) أخرجه مسلم في «الصِّيَامِ»، باب: «فَضْلِ صَوْمِ الْمُحَرَّمِ»، ح(١٩٨٣) بلفظ أن رسول الله ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الصَّلاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: «أَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ».

١٠- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»(١)(٢) أبو داود.

وله في رواية أخرى عن عبد الله بن حبشي(٣) قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «طول القيام»(٤).

١١- وعن عائشة -رضي الله عنها- كانت صلاة رسول الله ﷺ من الليل عشر ركعات ويوتر بسجدة، ويركع ركعتي الفجر، فتلك ثلاث عشرة ركعة(٥). أخرجه الستة وهذا لفظ مسلم.

١٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين»(٦) أخرجه مسلم وأبو داود، وزاد أبو داود: «ثم ليطول بعد ذلك ما شاء»(٧).

ومن المأثور عن السلف -رضوان الله عليهم- في ذلك:

- ما ورد عن ضرار الصدائي في وصف علي -كرَّم الله وجهه؛ إذ يقول: «يستوحش

---

(١) قال العظيم آبادي: «كتب من المقنطرين بِكَسْرِ الطَّاءِ: مِنْ الْمَالِكِينَ مَالا كَثِيرًا، وَالْمُرَاد: كَثْرَةُ الأَجْرِ. وَقِيلَ: أَيْ مِمَّنْ أُعْطِي مِنْ الأَجْرِ، أَي: أَجْرًا عَظِيمًا» [محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (٣/ ٣٣٥)].

(٢) أخرجه أبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «تَحْزِيبِ الْقُرْآنِ»، ح(١١٩٠)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٣٩٨).

(٣) في الأصل: «حبيش».

(٤) أخرجه أبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «افْتِتَاحِ صَلاةِ اللَّيْلِ بِرَكْعَتَيْنِ»، ح(١١٢٩)، وموضع آخر، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٣٢٥)، ولكن بلفظ: «أي الصلاة».

(٥) أخرجه مسلم في «صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا»، باب: «صَلاةِ اللَّيْلِ وَعَدَدِ رَكَعَاتِ النَّبِي ﷺ...»، ح(١٢٢٢).

(٦) أخرجه مسلم في «صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا»، باب: «الدُّعَاءِ فِي صَلاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ»، ح(١٢٨٧).

(٧) أخرجه أبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «افْتِتَاحِ صَلاةِ اللَّيْلِ بِرَكْعَتَيْنِ»، ح(١١٢٨)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»، ح(٦١٨)، وقال في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٣٢٤): «صحيح موقوف».

من الدنيا وزخرفها، ويأنس بالليل ووحشته، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه -وقد أرخى الليل سدوله، وغابت نجومه- واقفًا في محرابه قابضًا على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: «يا دنيا غرّي غيري، إليّ تعرضت، أم إليّ تشوّقت، هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وحسابك عسير، وخطرك حقير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق».

- وما روي أن عمر ﷺ كان يمر بالآية من ورده بالليل فيتأثر بها، ويحسب في المرضى.

- وأن عبد الله بن مسعود ﷺ كان إذا هدأت العيون، قام فيسمع له بالقرآن دوي كدوي النحل.

وكان ذلك دأب الصحابة جميعًا -رضوان الله عليهم.

- وسئل الحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره.

- وقال الربيع: بتّ في منزل الشافعي ﷺ ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرًا.

وكان ذلك دأب الأئمة رضوان الله عليهم كذلك.

- وتلا مالك بن دينار في ورده قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١]، فأخذ يرددها حتى أصبح.

- وقال المغيرة بن حبيب: رافقت مالك بن دينار ليلة فقام إلى الصلاة فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول: اللهم حرّم شيبة مالك على النار، إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الرجلين مالك وأي الدارين دار مالك؟ فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر.

- ورؤي الجنيد بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك يا أبا القاسم؟ فقال: «بليت الرسوم، وغابت العلوم، وانمحت العبارات، وطاحت الإشارات، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في جوف الليل».

- ومن وصايا لقمان لابنه: «يا بني، لا يكونن الديك أكيس منك، ينادي بالأسحار وأنت نائم».

ولقد كانوا -رضوان الله عليهم- يجدون في كثرة القيام وحلاوة المناجاة أنسًا وراحة تنسيهم عناء الأجسام، وتعب الأقدام.

- قال أبو سليمان الداراني ﷺ: «أهل الليل في ليلهم أروح من أهل اللهو في لهوهم، ولولا قيام الليل ما أحببت البقاء في الدنيا، ولو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدون من اللذة لكان ذلك أكثر من هذه الأعمال».

- وقال بعضهم: «ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم الآخرة إلا ما يجده أهل القيام في قلوبهم من حلاوة المناجاة».

- وقال محمد بن المنكدر ﷺ: «ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة في الجماعة».

- وقال بعض الصالحين: «منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء إلا طلوع الفجر».

- وقال بعضهم: «إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها نورًا، فترد الفوائد على قلوبهم، ثم تنتشر منها إلى قلوب الغافلين».

- ومن وصف عليّ كرم الله وجهه للمتقين: «أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم، ويستثيرون دواء دائهم، إذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعًا، وتطلعت نفوسهم إليها شوقًا، وظنوا أنها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم[1]، مفترشون لجباههم وأكفهم وأطراف أقدامهم، لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون».

---

(١) حانون على أوساطهم: من حَنَيْتَ العودَ: عَطَفْتَه، يصف هيئة ركوعهم وانحنائهم في الصلاة. [الشريف الرضي: نهج البلاغة، ص(٤٨٠) هامش].

- قال ابن الحاج في «المدخل»[1]: «وفي قيام الليل من الفوائد جملة:

فمنها: أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة.

ومنها: أنه ينور القلب.

ومنها: أنه يحسن الوجه.

ومنها: أنه يذهب الكسل وينشط البدن.

ومنها: أن موضعه تراه الملائكة من السماء يتراءى مثل الكوكب الدري لأهل الأرض.

ونفحة من نفحات القيام من الليل تعود على صاحبها بالبركات والأنوار والتحف التي يعجز عنها الوصف، قال عليه الصلاة والسلام: «إن لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله»[2].

كذلك كانوا -أيها الأخ- فاسلك سبيلهم، وانهج نهجهم، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ولا تجعل قيامك قاصرًا على ليلة الاجتماع بإخوانك، بل عمّمه في جميع لياليك ما استطعت، فإن «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»[3].

واعلم أنه مما يعينك على قيام الليل: إخلاص النية، واستحضار العزيمة، وتجديد التوبة، والبعد بالنهار عن المعصية، والتبكير بالنوم، والقيلولة إن استطعت، واستعن الله يعنك، وتقرب إليه يقربك، واسأله من فضله يعطك.

---

(١) هو كتاب «مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة» للإمام ابن الحاج أبي عبد الله: محمد بن محمد بن العبدري الفاسي المالكي المتوفى سنة ٧٣٧هـ، قال ابن حجر: هو كثير الفوائد كشف فيه عن معائب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها، وأكثرها مما ينكر، وبعضها مما يحتمل». [حاجي خليفة: كشف الظنون، (٢/ ١٦٤٣)].

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(٧١٩) بلفظ: «افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ الله، فَإِنَّ لله نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ»، وقد صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»، (٤/ ٥١١).

(٣) أخرجه البخاري في «الرِّقَاق»، باب: «الْقَصْدِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعَمَلِ»، ح(٥٩٨٣)، ومسلم في «صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا»، باب: «فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ»، ح(١٣٠٥).

فضل الدعاء والاستغفار وآدابهما:

قد وردت الآيات والأحاديث بفضل الاستغفار والدعاء وآدابهما، ونحن نذكرك بطرف من ذلك:

فأما الآيات الكريمة، فمنها قول الله تعالى:

١- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

٢- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

٣- ﴿وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

٤- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:١١٠].

٥- ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۞ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

٦- ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣].

٧- ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

٨- ﴿فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٤-١٥].

٩- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [المؤمن: ٦٠].

١٠- ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [القتال: ١٩].

١١- ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

١٢- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

ومن الأحاديث الشريفة في فضل الدعاء والاستغفار:

١- عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله تعالى شيئًا أحب إليه من أن يسأل العافية، وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، ولا يرد القضاء إلا الدعاء، فعليكم بالدعاء»[1] رواه الترمذي.

٢- وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»[2] الترمذي.

---

(١) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ»، ح(٣٤٧١)، قَالَ الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إِلا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْقُرَشِيِّ، وَهُوَ الْمَكِّيُّ الْمُلَيْكِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ فِي الْحَدِيثِ، ضَعَّفَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ، وَقَدْ رَوَى إِسْرَائِيلُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا سُئِلَ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ الْعَافِيَةِ». وقال الألباني في «سنن الترمذي»، ح(٣٥٤٨): «حديث: «من فتح له منكم باب...»: ضعيف. حديث: «إن الدعاء ينفع مما...»: حسن. حديث: «إن الدعاء ينفع مما...»، المشكاة (٢٢٣٩)، التعليق الرغيب (٢/ ٢٧٢). حديث: «من فتح له منكم باب»، المشكاة (٢٢٣٩)، التعليق الرغيب (٢/ ٢٧٢)، ضعيف الجامع الصغير (٥٧٢٠)».

(٢) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «فِي انْتِظَارِ الْفَرَجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»، ح(٣٤٩٧)، قَالَ أَبُو عِيسَى: «وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَابْنُ ثَوْبَانَ هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ثَابِتِ بْنِ ثَوْبَانَ الْعَابِدُ الشَّامِيُّ»، وقال الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٥٧٣): «حسن صحيح».

٣- وعن النعمان بن بشير ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة، ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ..﴾ الآية»[1] أخرجه أبو داود.

٤- وعن أنس ﷺ قال: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله إذا نقطع»[2] أخرجه الترمذي.

وفي رواية عن ثابت البناني مرسلاً: «حتى يسأله الملح، وحتى يسأله شسع نعله إذا نقطع»[3].

٥- وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[4] الترمذي.

٦- وعن ابن مسعود ﷺ[5] قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله تعالى من فضله؛ فإن الله يحب أن يُسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج»[6]. الترمذي.

٧- وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه

---

(١) أخرجه أبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «الدُّعَاءِ»، ح(١٢٦٤)، والترمذي في «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «وَمِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ»، ح(٢٨٩٥) ومواضع أخر، قَالَ أَبُو عِيسَى: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وابن ماجه في «الدُّعَاءِ»، باب: «فَضْلِ الدُّعَاءِ»، ح(٣٨١٨)، وأحمد في «مُسْنَدِ الْكُوفِيِّينَ»، ح(١٧٦٢٩) ومواضع أخر، والحاكم في «المستدرك»، ح(١٧٥٩)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٤٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «لِيَسْأَلْ الْحَاجَةَ مَهْمَا صَغُرَتْ»، ح(٣٥٣٦)، وقد ضعفه الألباني في «الضعيفة»، ح(١٣٦٢).

(٣) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «لِيَسْأَلْ الْحَاجَةَ مَهْمَا صَغُرَتْ»، ح(٣٥٣٧)، وقد ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة»، ح(١٣٦٢).

(٤) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب منه، ح(٣٢٩٥)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٣٧٣).

(٥) في الأصل: «رضي الله عنهما».

(٦) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «فِي انْتِظَارِ الْفَرَجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»، ح(٣٤٩٤)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي»، ح(٣٥٧١).

بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل»[١] أخرجه مسلم وأبو داود وزاد: «إلا قالت الملائكة: آمين، ولك بمثل»[٢].

٨- عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة»[٣] أخرجه أبو داود والترمذي.

٩- وعن آخر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليغان[٤] على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم مائة مرة»[٥] أخرجه مسلم وأبو داود.

وفي رواية لمسلم: «توبوا إلى ربكم، فوالله إني لأتوب إلى ربي تبارك وتعالى في اليوم مائة مرة»[٦].

وللبخاري والترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني

---

(١) أخرجه مسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «فَضْلِ الدُّعَاءِ لِلْمُسْلِمِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ»، ح(٤٩١٢).

(٢) أخرجه أبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «الدُّعَاءِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ»، ح(١٣١١)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٥٣٤).

(٣) أخرجه أبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «فِي الاسْتِغْفَارِ»، ح(١٢٩٣)، والترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «فِي دُعَاءِ النَّبِي ﷺ»، ح(٣٤٨٢)، قَالَ أَبُو عِيسَى: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي نُصَيْرَةَ، وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالْقَوِي»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(١٥١٤).

(٤) أراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر؛ لأن قلبه أبدًا كان مشغولاً بالله تعالى، فإن عَرَضَ له وَقْتًا ما عارض بشري يَشْغَلُه من أمور الأُمّة والملّة ومصالحهما عَدَّ ذلك ذنبًا وتقصيرًا، فيَفْزَعُ إلى الاستغفار. [لسان العرب، مادة (غين)].

(٥) أخرجه مسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «اسْتِحْبَابِ الاسْتِغْفَارِ وَالاسْتِكْثَارِ مِنْهُ»، ح(٤٨٧٠)، بلفظ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

(٦) أخرجه مسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «اسْتِحْبَابِ الاسْتِغْفَارِ وَالاسْتِكْثَارِ مِنْهُ»، ح(٤٨٧١)، بلفظ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة»[1].

١٠- وعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة، فإن هو جزع[2] واستغفر صقلت، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[3] **أخرجه الترمذي وقال: «حسن صحيح»، والنسائي وغيرهما.**

[آداب الدعاء:][4]

ومن آداب الدعاء ما جاءت به الآيات الكريمة من: التضرع والخشية والسكون وحسن الأدب مع الحق تبارك وتعالى، وقد أشارت إلى ذلك الأحاديث الصحيحة، فمن هذه الآداب:

١- رفع بطن اليدين حين الدعاء؛ فعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تستروا الجدر، ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار، سلوا الله ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها، فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم»[5] **أخرجه أبو داود.**

٢- وحضور القلب وتيقن الإجابة؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل

---

(١) أخرجه البخاري في «الدَّعَوَاتِ...»، باب: «اسْتِغْفَار النَّبِي ﷺ في الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»، ح(٥٨٣٢)، بلفظ: «وَالله إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً».

(٢) في الروايات: «نزع».

(٣) أخرجه الترمذي في «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «وَمِنْ سُورَةِ ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾»، ح(٣٢٥٧)، والنسائي في «الكبرى»، (٦/ ١١٠، ٥٠٩) واللفظ له، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٣٣٤).

(٤) هذا العنوان ليس في الأصل.

(٥) أخرجه أبو داود في «الصَّلَاةِ»، باب: «الدُّعَاءِ»، ح(١٢٧٠)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(١٤٨٥).

لاه»[1] الترمذي.

٣- واستفتاح الدعاء بحمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسول الله، وأن تتخلله الصلاة والسلام على رسول الله، ويختم بها كذلك؛ فعن فضالة بن أبي عبيد ﷺ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته ولم يصل على النبي فقال: «عَجِلَ هذا»، ثم دعاه فقال: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصل على النبي ﷺ، ثم ليدع بعد بما شاء»[2] أخرجه أصحاب السنن.

وعن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد حتى يصلى عليَّ»[3]، فـ«لا تجعلوني كقدح الراكب[4] صلوا علي أول الدعاء ووسطه وآخره»[5] أخرجه الترمذي موقوفًا على عمر، ورفعه رزين.

٤- ومنها أنه يختم دعاءه بآمين؛ فعن أبي مصبح المقرائي، عن أبي زهير النميري ﷺ قال: «خرجنا مع النبي ﷺ ذات ليلة فأتينا على رجل قد ألح في المسألة، فوقف رسول الله يسمع منه فقال: «أوجب إن ختم». فقيل: بأي شيء يختم يا رسول الله؟ قال:

---

(١) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي جَامِعِ الدَّعَوَاتِ عَنْ النَّبِي ﷺ»، ح(٣٤٠١)، والحاكم في «المستدرك»، ح(١٧٧١)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٤٧٩).

(٢) أخرجه أحمد في «مسند فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الأَنْصَارِي ﷺ»، ح(٢٢٨١١)، وأبو داود بنحوه في «الصَّلَاةِ»، باب: «الدُّعَاءِ»، ح(١٢٦٦)، والترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي جَامِعِ الدَّعَوَاتِ عَنْ النَّبِي ﷺ»، ح(٣٣٩٩)، والحاكم في «المستدرك»، ح(٨٠٤)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٤٨١).

(٣) أخرجه الترمذي في «الصَّلَاةِ»، باب: «مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِي ﷺ»، ح(٤٤٨)، من طريق عمر بن الخطاب قال: «إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ»، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٤٨٦).

(٤) «لا تَجْعَلوني كَقَدَحِ الراكبِ»، أي: لا تُؤَخِّرُوني في الذِّكْرِ؛ لأن الراكب يُعَلِّقُ قَدَحَه في آخر رَحْلِه عند فراغه من تَرْحاله ويجعله خلفه. [لسان العرب، مادة (قدح)].

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، ح(١٥٣٩)، وعبد بن حميد في مسنده، ح(١١٣٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه»، ح(٣١١٦)، وقال الهيثمي في «المجمع»، (٤/ ٤١٤): «رواه البزار، وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف»، وقد ذكره الصغاني في «الموضوعات»، ص(٣).

«بآمين»، وانصرف. فقيل للرجل: يا فلان، قل: آمين، وأبشر»[1] أبو داود.

٥- ومنها الهدوء، وعدم رفع الصوت بالدعاء؛ عن أبي موسى ﷺ قال: كنا في سفر، فجعل الناس يجأرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «أيها الناس، أرفقوا[2] على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا بصيرًا وهو معكم، والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[3] الخمسة إلا النسائي.

٦- ومنها أن يختار جوامع الكلم، أي: الدعوات الجامعات للخير؛ فعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك[4].

٧- ومنها التكرير ثلاثًا في الدعاء والاستغفار؛ فعن ابن مسعود ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدعو ثلاثًا، ويستغفر ثلاثًا[5].

وقد ورد أنه ﷺ أمرهم في بعض الأحوال أن يستغفروا سبعين مرة.

٨- ومنها ألا يتعجل الإجابة؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه أبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «التَّأْمِينِ وَرَاءَ الإِمَامِ»، ح(٨٠٣)، بلفظ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَلَحَّ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَوَقَفَ النَّبِي ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «أَوْجَبَ إِنْ خَتَمَ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: بِأَي شَيْءٍ يَخْتِمُ؟ قَالَ: «بِآمِينَ؛ فَإِنَّهُ إِنْ خَتَمَ بِآمِينَ فَقَدْ أَوْجَبَ». فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ الذي سَأَلَ النَّبِي ﷺ فَأَتَى الرَّجُلَ فَقَالَ: اخْتِمْ يَا فُلانُ بِآمِينَ وَأَبْشِرْ»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٩٣٨).

(٢) في الروايات: «اربعوا».

(٣) أخرجه البخاري بنحوه في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «مَا يُكْرَهُ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي التَّكْبِيرِ»، ح(٢٧٧٠)، ومواضع أخر، ومسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ»، ح(٤٨٧٣).

(٤) أخرجه أبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «الدُّعَاءِ»، ح(١٢٦٧)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٤٨٢).

(٥) أخرجه أحمد في «مُسْنَد عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ»، ح(٣٥٨١)، وأبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «فِي الاسْتِغْفَارِ»، ح(١٣٠٣)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(١٥٢٤).

«يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي»[١] أخرجه الستة إلا النسائي.

٩- ومنها ألا يدعو على نفسه، ولا على ولده، ولا على ماله بسوء؛ فعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافق من الله ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم»[٢] أبو داود.

١٠- ومنها أن يبدأ بنفسه إذا دعا لغيره؛ فعن أبي بن كعب ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا دعا لأحد بدأ بنفسه[٣]. الترمذي.

[أوقات الدعاء:][٤]

ومن الأوقات التي ترجى فيها إجابة الدعاء:

١- بين الأذان والإقامة؛ فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة». قيل: ماذا نقول يا رسول الله؟ قال: «سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة»[٥]. أخرجه أبو داود والترمذي.

---

(١) أخرجه البخاري في «الدَّعَوَاتِ...»، باب: «يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَعْجَلْ»، ح(٥٨٦٥)، ومسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «بَيَانِ أَنَّهُ يُسْتَجَابُ لِلدَّاعِي مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»، ح(٤٩١٧)، وموضع آخر.

(٢) أخرجه أبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «النَّهْيِ عَنْ أَنْ يَدْعُوَ الإِنْسَانُ عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ»، ح(١٣٠٩)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٥٣٢).

(٣) أخرجه أحمد في «حَدِيث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا»، ح(٢٠٢٠٦)، واللفظ له، والترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ أَنَّ الدَّاعِي يَبْدَأُ بِنَفْسِهِ»، ح(٣٣٠٧) بلفظ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا فَدَعَا لَهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ»، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٣٨٥).

(٤) ليست في الأصل.

(٥) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «فِي الْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ»، ح(٣٥١٨)، وقال الألباني في «ضعيف سنن الترمذي»، ح(٣٥٩٤): «منكر بهذا التمام، لكن قوله: «سلوا الله...» ثبت في حديث آخر تقدم (٣٥٨١)، (٣٧٦١)، الكلم الطيب (٧٤/ ٥١)، الإرواء (١/ ٢٦٢)، نقد

٢- وفي السجود؛ ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»(١) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي.

٣- وفي السفر والمظلمة؛ فعنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك في إجابتهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»(٢) أبو داود والترمذي.

وعن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من دعوة أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب»(٣) الترمذي وأبو داود أيضًا.

٤- عند النداء والصف، وتحت المطر؛ فعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثنتان لا تردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضًا»(٤) أخرجه مالك وأبو داود، وزاد في رواية: «تحت المطر»(٥).

فاجتهد -يا أخي- أن تلح في الدعاء، وأن تكثر في الاستغفار في كل وقت، وبخاصة في هذه الأوقات، وفي جوف الليل، ووقت السحر، فلعلك تصادف ساعة من رضوان الله

التاج (٩٥)، التعليق الرغيب (١/ ١١٥)، صحيح أبي داود (٥٣٤)، هو في صحيح سنن أبي داود -باختصار السند- برقم (٤٨٩/ ٥٢١)، (٣٥٨١)، هو في صحيح سنن الترمذي -باختصار السند- برقم (٢٧٩٠/ ٣٧٦١)».

(١) أخرجه مسلم في «الصَّلَاةِ»، باب: «مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»، ح(٧٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود في «الصَّلَاةِ»، باب: «الدُّعَاءِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ»، ح(١٣١٣)، والترمذي في «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي دَعْوَةِ الْوَالِدَيْنِ»، ح(١٨٢٨)، وابن ماجه في «الدُّعَاءِ»، باب: «دَعْوَةِ الْوَالِدِ وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ»، ح(٣٨٥٢)، وأحمد في «مُسْنَد أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ»، ح(٧١٩٧)، ومواضع أخر، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٥٣٦).

(٣) أخرجه أبو داود بنحوه في «الصَّلَاةِ»، باب: «الدُّعَاءِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ»، ح(١٣١٢)، والترمذي في «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي دَعْوَةِ الْأَخِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ»، ح(١٩٠٣)، واللفظ له، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(١٥٣٥).

(٤) أخرجه أبو داود في «الْجِهَادِ»، باب: «الدُّعَاءِ عِنْدَ اللِّقَاءِ»، ح(٢١٧٨)، والحاكم في «المستدرك»، ح(٢٤٨٨)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٢٥٤٠).

(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، ح(٢٤٨٨)، والبيهقي في «الكبرى»، (٣/ ٣٦٠)، وقد صححه الألباني في «مشكاة المصابيح»، ح(٦٧٢).

وفيض نفحاته، فتكون من المفلحين في الدنيا والآخرة.

نماذج من الدعوات:

من دعوات القرآن الكريم:

١ - ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

٢ - ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٣ - ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

٤ - ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

٥ - ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣-١٩٤].

٦ - ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

٧ - ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۝ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠-٤١].

٨ - ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

٩ - ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

١٠ - ﴿لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

١١ - ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

١٢ - ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

١٣ - ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۞ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۞ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٣-٨٥].

١٤ - ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

١٥ - ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

نماذج من فواتح الدعاء:

في التحميد والثناء على الله تبارك وتعالى:

١- عن بريدة ﷺ قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد». فقال: «**والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى**»(١) أخرجه أبو داود والترمذي.

٢- وعن أنس ﷺ قال: دعا رجل فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ: «**أتدرون بما دعا الرجل؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه**

(١) أخرجه أبو داود في «الصَّلَاةِ»، باب: «الدُّعَاءِ»، ح(١٢٧٦)، والترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي جَامِعِ الدَّعَوَاتِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ»، ح(٣٣٩٧)، وابن ماجه في «الدُّعَاءِ»، باب: «اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ»، ح(٣٨٤٧)، وأحمد في «حَدِيثُ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ»، ح(٢١٩٦٣)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٤٩٣).

الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»[1] أخرجه أصحاب السنن.

ومن نماذج الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ:

١- عن أبي مسعود العدوي ﷺ قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد. والسلام كما علمتم»[2]. أخرجه الستة إلا البخاري.

٢- وعن ابن مسعود ﷺ قال: إذا صليتم على رسول الله فأحسنوا الصلاة، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال: فقالوا له: فعلمنا. قال: «قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة. اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه به الأولون والآخرون. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[3] ابن ماجه موقوفًا بإسناد حسن.

- «اللهم داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق» انتهى من «نهج البلاغة».

---

(١) أخرجه أبو داود في «الصَّلَاةِ»، باب: «الدُّعَاءِ»، ح(١٢٧٧)، والترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «خَلَقَ اللَّهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ»، ح(٣٤٦٧)، وابن ماجه في «الدُّعَاءِ»، باب: «اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ»، ح(٣٨٤٨)، وأحمد في «مُسْنَد أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ»، ح(١١٧٦٠)، ومواضع أخر، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٤٩٥).

(٢) أخرجه مسلم في «الصَّلَاةِ»، باب: «الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِي ﷺ بَعْدَ التَّشَهُّدِ»، ح(٦١٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه في «إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا»، باب: «الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِي ﷺ»، ح(٨٩٦)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه»، ح(٩٠٦).

دعاء رسول الله ﷺ في التهجد:

- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللهم ربنا لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت مالك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»(١) أخرجه الستة، وهذا لفظ الشيخين.

من مناجاة أمير المؤمنين عليّ -كرَّم الله وجهه:

أخبر أبو عبد الله منصور بن سكبان التستري قال: أخبرنا محمد بن الحسن بن غراب قال: حدثنا القاضي موسى بن إسحاق قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي شيبة قال: حدثنا محمد بن فضيل عبد الله الأسدي: كان عليّ بن أبي طالب ﷺ يقول في مناجاته:

«إلهي: لولا ما جهلت من أمري، ما شكوت عثراتي، ولولا ما ذكرت من الإفراط ما سحّت عبراتي.

إلهي: فامح مثبتات العثرات بمرسلات العبرات، وهب كثير السيئات لقليل الحسنات.

إلهي: إن كنت لا ترحم إلا الجد في طاعتك، فأنى يلتجئ المخطئون؟ وإن كنت لا تكرم إلا أهل الإحسان، فأنى يصنع المسيئون؟ وإن كان لا يفوز يوم الحشر إلا المتقون، فكيف يستغيث المذنبون؟

إلهي: أفحمتني ذنوبي، وانقطعت مقالتي، فلا حجة لي ولا عذر، فأنا المقرّ بجرمي، والمعترف بإساءتي، والأسير بذنبي، المرتهن بعملي.

---

(١) أخرجه البخاري في «الْجُمُعَةِ»، باب: «التَّهَجُّدِ بِاللَّيْلِ...»، ح(١٠٥٣)، ومواضع أخر، ومسلم في «صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا»، باب: «الدُّعَاءِ فِي صَلاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ»، ح(١٢٨٨).

إلهي: فصل على محمد وعلى آل محمد، وارحمني برحمتك، وتجاوز عني.

اللهم: إن صغر في جنب طاعتك عملي فقد كبر في جنب رجائك أملي.

إلهي: كيف أنقلب بالخيبة عندك محرومًا، وظني بجودك أن تقبلني مرحومًا، فإني لم أسلط على حسن ظني بك قنوط الآيسين، فلا تبطل صدق رجائي لك بين الآملين.

إلهي: عظم جرمي إذ كنت المتطالب[1] به.

إلهي: إن أوحشتني الخطايا من محاسن لطفك، فقد آنسني اليقين بمكارم عطفك.

إلهي: إن أماتتني الغفلة عن الاستعداد للقائك، فقد أنبهتني المعرفة بكريم آلائك.

إلهي: لو لم تهدني إلى الإسلام، ما اهتديت، و[لو][2] لم تطلق لساني بدعائك ما دعوت، ولو لم تعرفني حلاوة نعمتك ما عرفت، ولو لم يتبين لي شديد عقابك ما استجرت.

إلهي: إن أقعدني التخلف عن السير مع الأبرار، فقد أقامتني الثقة بك على مدارج الأخيار.

إلهي: نفسي أعززتها بتأييد إيمانك كيف تذلها بين أطباق نيرانك.

إلهي: كل مكروب فإليك يلتجي، وكل محزون فإليك يرتجي.

إلهي: سمع العابدون بجزيل ثوابك فخشعوا، وسمع المذنبون بسعة غفرانك فطمعوا حتى ازدحمت عصائب العصاة ببابك، وعج منهم إليك العجيج[3] والضجيج بالدعاء في بلادك.

إلهي: أنت دللتني على سؤالك الجنة قبل معرفتها، فأقبلت النفس بعد العرفان على مسألتها، أفتدل على خير بالسؤال ثم تمنعه، وأنت الكريم المحمود في كل ما تصنعه يا ذا الجلال والإكرام؟

---

(١) في رواية: «المطالب».

(٢) ناقصة من الأصل.

(٣) العَجُّ: رفع الصوت. وقد عَجَّ يَعِجُّ عَجيجًا. [الصحاح، مادة (عجج)].

إلهي: إن كنت غير مستأهل لما أرجو من رحمتك، فأنت أهل أن تجود على المذنبين بفضل سعتك..

إلهي: نفسي قائمة بين يديك، وقد أظلها حسن التوكل عليك، فاصنع بي ما أنت أهله، وتغمدني برحمة منك..

إلهي: شهد جناني بتوحيدك، وانطلق لساني بتمجيدك، ودلني القرآن على فضل جودك، فكيف لا يتحقق رجائي بحسن موعدك؟

إلهي: كأني بنفسي وقد اضطجعت في حفرتها وانصرف عنها المشيعون من عشيرتها، ورحمها المعادي لها في الحياة عند صرعتها، ولم يخف على الناظرين إليها ذل فاقتها، وقالت الملائكة: غريب نأى عنه الأقربون، وبعيد جفاه الأهلون، وخذله المؤملون، نزل بنا قريبًا فأصبح في اللحد غريبًا، وقد كنت في دار الدنيا داعيًا ورحمتك إياي في هذا اليوم راجيًا فأحسن ضيافتي، وكن أشفق علي من أهلي وقرابتي.

إلهي: سترت علي في الدنيا ذنوبًا فلم تظهرها، فلا تفضحني يوم ألقاك على رءوس العالمين بها، واسترها عليّ يا أرحم الراحمين هنالك.

إلهي: مسكنتي لا يجبرها إلا عطاؤك، وأمنيتي لا يفيها إلا نعماؤك.

إلهي: أستوفقك لما يدنيني منك، وأعوذ بك مما يصرفني عنك.

إلهي: أحب الأمور إلى نفسي وأعودها علي منفعة ما استرشدتها بهدايتك إليه، ودللتها برحمتك عليه، فاستعملها بذلك عني إذ أنت أرحم بها مني.

يا أنيس كل غريب آنس في القبر وحشتي وارحم وحدتي.

ويا عالم السر والأخفى، ويا كاشف الضر والبلوى، كيف نظرك لي من بين ساكني الثرى؟ وكيف صنيعك لي في دار الوحشة والبلى؟ قد كنت بي لطيفًا في حياتي، فلا تقطع برك عني بعد وفاتي.

يا أفضل المنعمين في آلائه، وأكرم المتفضلين في نعمائه، كثرت عندي أياديك فعجزت عن إحصائها، وضقت ذرعًا في شكري للمسائل بجزائها، فلك الحمد على ما أوليت، ولك الشكر على ما أبليت.

يا خير من دعاه داع، وأفضل من رجاه راج، يا حنان يا منان يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، يا من له الخلق والأمر، تباركت يا أحسن الخالقين، يا رحيم يا قدير يا كريم، صل على محمد وآله الطيبين... آمين» انتهى ملخصًا من كتاب (لطائف أخبار الآل).

من مناجاة ابن عطاء الله السكندري[1]:

«إلهي: كيف تكلني إلى نفسي، وقد توكلت لي؟ وكيف أضام وأنت الناصر لي؟ أم كيف أخيب وأنت الحفي بي؟ ها أنا أتوسل إليك بفقري إليك.

إلهي: كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك؟ كلما آيستني أوصافي أطمعتني مننك.

إلهي: من كانت محاسنه مساوي، فكيف لا تكون مساويه مساوي؟ ومن كانت حقائقه دعاوي، فكيف لا تكون دعاويه دعاوي؟

متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟!

عميت عين لا تراك عليها رقيبًا، وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبًا.

إلهي: هذا ذلي ظاهر بين يديك، وهذا حالي لا يخفى عليك، منك أطلب الوصول إليك، وبك أستدل عليك، اهدني بنورك إليك، وأقمني بصدق العبودية بين يديك.

إلهي: علّمني من علمك المخزون، وصنّي بسر اسمك المصون، بك أنتصر فانصرني، وعليك أتوكل فلا تكلني، وإياك أسأل فلا تخيّبني، وفي فضلك أرغب فلا تحرمني، ولجنابك أنتسب فلا تبعدني، وببابك أقف فلا تطردني.

إلهي: تقدس رضاك أن تكون له علة منك، فكيف تكون له علة مني، أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك النفع، فكيف لا تكون غنيًا عني؟

---

(١) ابن عطاء الله الإسكندري [٠٠٠- ٧٠٩هـ = ٠٠٠- ١٣٠٩م]: أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عطاء الله الإسكندري: متصوف شاذلي، من العلماء، توفي بالقاهرة، له تصانيف منها: (الحكم العطائية) في التصوف، و(تاج العروس) في الوصايا والعظات، و(لطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن) [الأعلام، (١/ ٢٢١-٢٢٢)].

أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووجدوك[١]، وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبابك حتى لم يحبوا سواك، ولم يلجئوا إلى غيرك، أنت المؤنس[٢] لهم حيث أوحشتهم العوامل، وأنت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم. ماذا[٣] وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك؟ لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خسر من بغى عنك متحولاً.

إلهي: كيف يرجى سواك، وأنت ما قطعت الإحسان؟ وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان؟

يا من أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين.

ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين.

أنت الذاكر من قبل الذاكرين، وأنت البادئ بالإحسان من قبل توجه العابدين، وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين، وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين[٤].

إلهي: اطلبني برحمتك حتى أصل إليك، واجذبني بمنتك حتى أقبل عليك.

إلهي: إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك، كما أن خوفي لا يزايلني[٥] وإن أطعتك.

إلهي: قد دفعتني العوالم إليك، وقد أوقفني علمي بكرمك عليك.

إلهي: كيف أخيب وأنت أملي؟ أم كيف أهان وعليك متكلي؟ يا من احتجب في سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار. يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمة الأسرار كيف وأنت الظاهر؟ أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر؟» انتهى بتصرف.

---

(١) في بعض الروايات: «ووحدوك».
(٢) في الأصل: «المؤني».
(٣) في الأصل: «فإذا».
(٤) في الأصل: «المستعرضين».
(٥) في الأصل: «يزاملني».

من دعوات السيد أحمد الرفاعي[1]:

«اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما[2]، أنت ترحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك. لا إله إلا أنت يا رب كل شيء، سبحانك لا إله إلا أنت، يا وارث كل شيء، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، يا أرحم الراحمين، يا عليّ يا عظيم، يا صمد، يا فرد، يا واحد، يا أحد، يا من بيده الخير وهو على كل شيء قدير، نسألك توكلاً خالصًا عليك ورجوعًا في كل الأحوال إليك، واعتمادًا على فضلك، واستنادًا لبابك.

يا عالم السر والنجوى، يا كاشف الضر والبلوى، يا من تضرع إليه قلوب المضطرين، وتعول عليه همم المحتاجين، نسألك اللهم بمعاقد العز من عرشك، وبمنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك العليّ الأعلى، وبكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، وبإشراق وجهك، أن تصلي على سيدنا محمد وآله وصحبه وذريته، وأن تحفّنا بألطافك الخفية حتى نرفل بحلل الأمان من خوارق الحدثان، وعلائق الأكوان، وأشراك الحرمان، وغوائل الخذلان، ودسائس الشيطان، وسوء النية، وظلمة الخطية.

اللهم امنحني قلبًا لا ينصرف في آماله إلا إليك، ولبًا لا يعول[3] في أحواله إلا عليك، وقلبني على بساط المعرفة بقوة التوحيد واليقين، وأيدني بك لك بما أيدّت به عبادك الصالحين.

اللهم اسلك بي طريق نبيك المصطفى سيد المقربين الأحباب[4]، وأوزعني أن أشكر

---

(١) الرفاعي [٥١٢-٥٧٨هـ = ١١١٨-١١٨٢م]: أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني، أبو العباس: الإمام الزاهد، مؤسس الطريقة الرفاعية. ولد في قرية حسن (من أعمال واسط- بالعراق)، وتفقه وتأدب في واسط، وتصوف فانضم إليه خلق كثير من الفقراء كان لهم به اعتقاد كبير. وكان يسكن قرية أم عبيدة بالبطائح (بين واسط والبصرة) وتوفي بها. وجمع بعض كلامه في رسالة سميت: (رحيق الكوثر)، وينسب إليه شعر، مات ولم يخلف عقبًا. [الأعلام، (١/ ٢٢١-٢٢٢)].

(٢) في الأصل: «ورحيمها».

(٣) في الأصل: «يقول».

(٤) في الأصل: «الأحبات».

نعمتك باتباعه عليه الصلاة والسلام بطريقة الحق والصواب.

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وعمل لا يرفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

اللهم حققني بحقيقته الصديقية، وأذقني حلاوة اليقين بصدق النية، وخالص الطوية، ولا تكلني لنفسي، ولا لأحد من خلقك طرفة عين يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين». انتهى من «حزب الوسيلة» بتصرف.

من دعوات السيد أحمد بن إدريس(١):

«اللهم أنت الله الملك الحق المبين، القديم المتعزز بالعظمة والكبرياء، المنفرد بالبقاء، الحي القيوم المقتدر الجبار القهار الذي لا إله إلا أنت، [أنت](٢) ربي وأنا عبدك، عملت سوءًا وظلمت نفسي، واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي كلها، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت..

أشهد أنك ربي ورب كل شيء فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، العلي الكبير المتعال. اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، والشكر على نعمك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك من خير كل ما تعلم، وأعوذ بك من شر كل ما تعلم إنك أنت علام الغيوب» انتهى.

---

(١) ابن إدريس [١١٧٢-١٢٥٣هـ = ١٧٥٨-١٨٣٧م]: أحمد بن إدريس الحسني، أبو العباس: صاحب الطريقة (الأحمدية) المعروفة في المغرب. من ذرية الإمام إدريس بن عبد الله المحض. مولده في ميسور (من قرى فاس) وتعلم بفاس، فقرأ الفقه والتفسير والحديث، وانتقل إلى مكة سنة ١٢١٤هـ، فأقام نحو ثلاثين سنة. ورحل إلى اليمن سنة ١٢٤٦هـ فسكن (صبيا) إلى أن مات. ولأحد مريديه (إبراهيم بن صالح) كتاب (العقد النفيس) جمعه من كلامه وآرائه ومروياته، و(مجموعة الأحزاب والأوراد)، وله (السلوك)، و(روح السنة) وغير ذلك. [الأعلام، (١/ ٩٥)].

(٢) ناقصة من الأصل.

من دعوات أبي الحسن الشاذلي[1]:

«يا الله يا لطيف يا رزاق يا قوي يا عزيز، لك مقاليد السموات والأرض، تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر، فابسط لنا من الرزق ما توصلنا به إلى رحمتك، ومن رحمتك ما تحول به بيننا وبين نقمتك، ومن حلمك ما يسعنا به عفوك، واختم لنا بالسعادة التي ختمت بها لأوليائك، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك، وزحزحنا في الدنيا عن نار الشهوة، وأدخلنا بفضلك في ميادين الرحمة، واكسنا من نورك جلابيب العصمة، واجعل لنا ظهيرًا من عقولنا، ومهيمنًا من أرواحنا، ومسخرًا من أنفسنا؛ كي نسبحك كثيرًا، ونذكرك كثيرًا إنك كنت بنا بصيرًا..

اللهم إني أسألك لسانًا رطبًا بذكرك، وقلبًا مفعمًا بشكرك، وبدنًا هينًا لينًا بطاعتك، وأعطنا مع ذلك ما[2] لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما أخبر به رسولك ﷺ حسب ما علمته بعلمك، وأغننا بلا سبب، واجعلنا سبب الغنى لأوليائك، وبرزخًا بينهم وبين أعدائك، إنك على كل شيء قدير..

اللهم إنا نسألك إيمانًا [كاملاً][3]، ونسألك قلبًا خاشعًا، ونسألك علمًا نافعًا، ونسألك يقينًا صادقًا، ونسألك دينًا قيمًا، ونسألك العافية من كل بلية، ونسألك تمام الغنى عن الناس.

اللهم رضّنا بقضائك، وصبّرنا على طاعتك، وعن معصيتك، وعن الشهوات الموجبات للنقص أو البعد عنك، وهب لنا حقيقة الإيمان بك حتى لا نخاف ولا نرجو غيرك، ولا نعبد شيئًا سواك، وأوزعنا شكر نعمائك، وغطنا برداء عافيتك، وانصرنا باليقين والتوكل عليك، وأسفر وجوهنا بنور صفاتك، وأضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين

---

(١) أبو الحسن الشاذلي [٥٩١-٦٥٦هـ = ١١٩٥-١٢٥٨م]: علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الشاذلي المغربي، أبو الحسن: رأس الطائفة الشاذلية، من المتصوفة، وصاحب الأوراد المسماة «حزب الشاذلي». ولد في بلاد «غمارة» بالمغرب، ونشأ في بني زرويل (قرب شفشاون)، وتفقه وتصوف بتونس، وسكن «شاذلة» قرب تونس، فنسب إليها، وكان ضريرًا، وطلب «الكيمياء» في ابتداء أمره، ثم تركها، ورحل إلى بلاد المشرق فحجَّ ودخل بالعراق. ثم سكن الإسكندرية. وتوفي بصحراء عيذاب في وادٍ على طريق الصعيد في طريقه إلى الحج. وله «الحزب»، ورسالة «الأمين» في آداب التصوف، و«نزهة القلوب وبغية المطلوب». [الأعلام، (٤/ ٣٠٥)].

(٢) في الأصل: «ما» والتصويب من روايات أخرى.

(٣) ناقصة وزيادتها من روايات أخرى.

أوليائك، واجعل يدك مبسوطة علينا وعلى أهلينا وأولادنا ومن معك[١] برحمتك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك يا نعم المجيب، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين». انتهى من «حزب البر» بتصرف.

من دعوات الإمام الشافعي ﷺ:

«أعوذ بك من مقام الكافرين، وإعراض الغافلين.

اللهم لك خضعت نفوس العارفين، ودنت لك رقاب المشتاقين.

إلهي هب لي جودك، وجللني بسترك، واعف عن تقصيري بكرم وجهك» اهـ من «الإحياء».

نماذج من منثور الدعاء:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر»[٢] أخرجه مسلم.

٢- عن أنس ﷺ قال كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»[٣] الشيخان وأبو داود.

٣- عن عليّ -كرَّم الله وجهه- أن رسول الله ﷺ علم بعض أصحابه أن يقول: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك»[٤] الترمذي والنسائي.

---

(١) في روايات أخرى: «معنا».

(٢) أخرجه مسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ»، ح(٤٨٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في «الدَّعَوَاتِ»، باب: «قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً»، ح(٥٩١٠)، ومسلم في «الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ»، باب: «فَضْلِ الدُّعَاءِ بِاللَّهُمَّ ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾»، ح(٤٨٥٥).

(٤) أخرجه الترمذي في «الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ»، ح(٣٤٨٦)، وأحمد في «وَمِنْ مُسْنَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ»، ح(١٢٥٠)، والحاكم في «المستدرك»، ح(١٩٢٩)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٥٦٣).

- نريد بعد ذلك أن نعلن دعوتنا على العالم، وأن نبلغها[1] الناس جميعًا، وأن نعم بها آفاق الأرض، وأن نخضع لها كل جبار، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

ولكل مرحلة من هذه المراحل خطواتها وفروعها ووسائلها، وإنما نجمل هنا القول دون إطالة ولا تفصيل، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ليقل القاصرون الجبناء: إن هذا خيال عريق، ووهم استولى على نفوس هؤلاء الناس، وذلك هو الضعف الذي لا نعرفه ولا يعرفه الإسلام. ذلك هو الوهن الذي قذف في قلوب هذه الأمة فمكن لأعدائها فيها، وذلك هو خراب القلب من الإيمان، وهو علة سقوط المسلمين. وإنما نعلن في وضوح وصراحة أن كل مسلم لا يؤمن بهذا المنهاج ولا يعمل لتحقيقه لا حظ له في الإسلام، فليبحث له عن فكرة أخرى يدين بها ويعمل لها.

أيها الشباب:

لستم أضعف ممن قبلكم ممن حقق الله على أيديهم هذا المنهاج، فلا تهنوا ولا تضعفوا، وضعوا نصب أعينكم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

سنربي أنفسنا ليكون منا الرجل المسلم، وسنربي بيوتنا ليكون منها البيت المسلم، وسنربي شعبنا ليكون في مصر الشعب المسلم، وسنكون من بين هذا الشعب المسلم، وسنسير بخطوات ثابتة إلى تمام الشوط، وإلى الهدف الذي وضعه الله لنا، لا الذي وضعناه لأنفسنا، وسنصل بمعونة الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وقد أعددنا لذلك إيمانًا لا يتزعزع، وعملاً لا يتوقف، وثقة بالله لا تضعف، وأرواحًا أسعد أيامها يوم تلقى الله شهيدة في سبيله.

فليكن ذلك من صميم السياسة الداخلية والخارجية، فإنما نستمد ذلك من الإسلام، ونجد بأن هذا التفريق بين الدين والسياسة ليس من تعاليم الإسلام الحنيف، ولا يعرفه المسلمون الصادقون في دينهم، الفاهمون لروحه وتعاليمه، فليهجرنا من يريد تحويلنا عن

---

(١) في الأصل: «نبلغ».

مفتون»[١] الترمذي والطبراني.

٨- من حديث ابن مسعود: «اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، وقرة عين الأبد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في جنة الخلد»[٢].

خاتمة:

أيها الأخ: استعن ربك، وأحضر قلبك، وارفع إلى الله حاجتك، واختم بالصلاة والسلام على النبي وآله، واجعله[٣] آخر كلامك لتكتال بالمكيال الأوفى.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

* * *

(١) أخرجه الترمذي في «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «وَمِنْ سُورَةِ ص»، ح(٣١٥٩)، وأحمد في «حَدِيث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ»، ح(٢١٠٩٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٢٣٥).

(٢) أخرجه أحمد في «مُسْنَد عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ»، ح(٣٦٠٧)، والنسائي في «الكبرى»، (٦/ ٢١٨)، والحاكم في «المستدرك»، ح(١٨٨٣)، وقد صححه الألباني في «الصحيحة»، (٥/ ٣٧٩).

(٣) في الأصل: «واجعل».


شباب
النادي الشبابي

رســـــالة
المؤتمر الخامس

تقـديم

تعد هذه الرسالة نص الخطاب الذي ألقاه الإمام البنا في المؤتمر الخامس، والذي عقد في تمام الساعة السادسة مساء يوم الثالث عشر من ذي الحجة ١٣٥٧هـ الموافق ٢ فبراير ١٩٣٩م بسراي آل لطف الله بالزمالك بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس دعوة الإخوان.

وقد تحدث في المؤتمر الأستاذ أحمد السكري وكيل الإخوان، ثم تحدث سعادة علي إسلام باشا أحد أعضاء مجلس النواب عن دائرة بني سويف، والذي دعا فيها إلى مؤازرة الصناعات المحلية، ثم ألقى الأستاذ إبراهيم مأمون شاعر الإخوان قصيدة ألهبت المشاعر، ثم ألقى الإمام البنا خطابه، وتلاه الأستاذ عبد الحكيم عابدين سكرتير الجماعة بقرارات المؤتمر.

ولم يكن المؤتمر حدًّا فاصلاً بين عهدين كما يصوره البعض، ولم يطرأ أي تغيير مفاجئ على الدعوة، إنما كان مجرد إعلان للعامة خارج نطاق الإخوان عن مرحلة جديدة تلت مرحلة التعريف، التي استمرت منذ نشأة الجماعة عام ١٩٢٨م حتى خريف ١٩٣٨م، ثم بدأت مرحلة التكوين والتي كان نظام الكتائب من أهم ملامحها، وقد تكونت أول كتيبة في سبتمبر من عام ١٩٣٧م.

وكانت مؤتمرات الإخوان تسمى في السابق مجلس الشورى الأول والثاني والثالث غير أنه منذ مجلس الشورى الرابع والذي عقد في ١٩٣٦م قرر الإخوان عقد مجلس الشورى كل عام وعقد مؤتمر عام كل عامين.

وترجع أهمية الرسالة في تقديمها تعريف بالجماعة، وبيان غايتها وأهدافها وخصائصها وعلاقتها بغيرها من الهيئات، وإجابتها على جميع الأسئلة التي كانت تثار حول الإخوان آنذاك.

وقد نشر هذا الخطاب بمجلة النذير، العدد (٣٥)، السنة الثانية، ١٧ذو الحجة ١٣٥٧هـ، ٧ فبراير ١٩٣٩م.

كما أصدر المركز العام نص الخطاب في كتيب عام ١٣٥٧هـ- ١٩٣٩م متبوعًا بملحق به تقرير عن أنشطة الإخوان خلال العام المنصرم.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخوان المسلمون في عشر سنوات

(١٣٤٧-١٣٥٧ الهجرية)[1]

«خلاصة الخطاب الجامع الذي ألقاه فضيلة الأستاذ المرشد العام في المؤتمر الدوري الخامس»

(غاية الإخوان وخصائص دعوتهم.. وسائل الإخوان وخطوات منهاجهم)

موقف الإخوان من الهيئات المختلفة

أيها الإخوان:

كنت أود أن نظل دائمًا نعمل ولا نتكلم، وأن نكل للأعمال وحدها الحديث عن الإخوان، وخطوات الإخوان، وكنت أحب أن تتصل خطوتكم اللاحقة بخطوتكم السابقة في هدوء وسكون، ومن غير هذا الفاصل الذي نحدد به جهاد عشر سنوات مضت لنستأنف مرحلة أخرى من مراحل الجهاد الدائب في سبيل تحقيق فكرتنا السامية.

ولكنكم أردتم هذا، وأحببتم أن تسعدونا بهذا الاجتماع الشامل فشكرا لكم، ولا بأس بأن ننتهز هذه الفرصة الكريمة فنستعرض برنامجنا، ونراجع فهرس أعمالنا، ونستوثق من مراحل طريقنا، ونحدد الغاية والوسيلة فتتضح الفكرة المبهمة، وتصحح النظرة الخاطئة، وتعلم الخطوة المجهولة، وتتم الحلقة المفقودة، ويعرف الناس الإخوان المسلمين على حقيقة دعوتهم، من غير لبس ولا غموض.

لا بأس بهذا، ولا بأس بأن يتقدم إلينا من وصلته هذه الدعوة ومن سمع أو قرأ هذا البيان، برأيه في غايتنا ووسيلتنا وخطواتنا فنأخذ الصالح من رأيه، وننزل على الحق من مشورته، فإن الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم[2].

أيها الإخوان:

أجدني في غنى عن تحيتكم وشكركم، وعن وصف ما يغمرني من السعادة بموقفي

---

(١) مجلة النذير، العدد (٣٥)، السنة الأولى، ١٧ ذو الحجة ١٣٥٧هـ- ٧ فبراير ١٩٣٩، ص(٣- ٣٤).

(٢) أخرج مسلم في «الإيمان»، باب: «بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ»، ح(٨٢)، أن رسول الله ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

هذا بينكم، ومن السرور والفرح بلقائكم، ومن الأمل العظيم بمؤازرتكم وتوفيق الله إياكم.

أجدني في غنى عن بيان هذا كله، بهذا الفيض من العواطف النبيلة الذي يغمر جو هذا الاجتماع، فكأن كل ما فيه ينطق بالحب العميق، والارتباط الوثيق، والأخوة الصادقة، والتعاون المكين، وفقكم الله لخير ما يحب ويرضى.

الإخوان فكرة في نفوس أربعة:

أيها الإخوان الكرام:

طالعت كثيرًا، وجربت كثيرًا، وخالطت أوساطًا كثيرة، وشهدت حوادث عدة، فخرجت من هذه السياحة القصيرة المدى الطويلة المراحل بعقيدة ثابتة لا تتزلزل، هي أن:

«السعادة التي ينشدها الناس جميعا إنما تفيض عليهم من نفوسهم وقلوبهم، ولا تأتيهم من خارج هذه القلوب أبدًا، وأن الشقاء الذي يحيط بهم ويهربون منه إنما يصيبهم بهذه النفوس والقلوب كذلك»، وإن القرآن الكريم يؤيد هذا المعنى ويوضحه، وذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وما رأيت كلامًا أعمق في فلسفة الاجتماع من قول ذلك الشاعر:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيق[1]

اعتقدت هذا. واعتقدت إلى جانبه أنه ليست هناك نظم ولا تعاليم تكفل سعادة هذه النفوس البشرية، وتهدي الناس إلى الطرق العملية الواضحة لهذه السعادة كتعاليم الإسلام الحنيف الفطرية الواضحة العملية، وليس هنا مجال تفصيل هذه التعاليم، ولا مجال التدليل على أنها تضمن هذه النتيجة، وتكفل سعادة البشرية جميعًا فذلك له مجال آخر. فضلاً عن أننا كلنا -فيما أعتقد- شركاء في التسليم بصحة هذه النظرة، على أن كثيرًا من غير المسلمين يقر بها، ويعترف بما في الإسلام من جمال وكمال.

---

(١) البيت لعمرو بن الأهتم من بحر الطويل، وهو من قصيدته التي مطلعها:

أَلا طَرَقَت أَسماءُ وَهِيَ طَروقُ ... وَبانَت عَلى أَنَّ الخَيالَ يَشوقُ

لهذا وقفت نفسي منذ نشأت على غاية واحدة هي: (إرشاد الناس إلى الإسلام حقيقة وعملاً)، ولهذا كانت فكرة الإخوان المسلمين (إسلامية بحتة) في غايتها وفي وسائلها، لا تتصل بغير الإسلام في شيء.

ظلت هذه الخواطر حديثًا نفسانيًّا، ومناجاة روحية أتحدث بها في نفسي لنفسي، وقد أفضي بها إلى كثير ممن حولي، وقد تظهر في شكل دعوة فردية، أو خطابة وعظية، أو درس في المساجد إذا سنحت فرصة التدريس، أو حث لبعض الأصدقاء من العلماء على بذل الهمة، ومضاعفة الجهود في إنقاذ الناس وإرشادهم إلى ما في الإسلام من خير.

ثم كانت في مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي حوادث عدة ألهبت نفسي، وأهاجت كوامن الشجن في قلبي، ولفتت نظري إلى وجوب الجد والعمل، وسلوك طريق التكوين بعد التنبيه، والتأسيس بعد التدريس، ولا أطيل عليكم بتفصيل حوادث انتهى أمرها وعفت آثارها، وفاء إلى الرشد أو بعض الرشد أصحابها.

ولقد أخذت أفاتح كثيرًا من كبار القوم في وجوب النهوض والعمل، وسلوك طريق الجد والتكوين، فكنت أجد التثبيط أحيانًا، والتشجيع أحيانًا، والتريث أحيانًا، ولكني لم أجد ما أريد من الاهتمام بتنظيم الجهود العملية، ومن الوفاء أن أذكر في هذا المقام المرحوم «أحمد باشا تيمور»[1] أفسح الله له في جنته، فما رأيته مرة إلا مثالاً للهمة المتوثبة، والغيرة المتوقدة، وما تحدثت إليه في شأن من شئون الأمة العامة إلا وجدت العقل الكامل، والاستعداد التام، والإلمام الشامل، وترقب ساعة العمل، فرحمه الله وأجزل مثوبته.

وليت وجهي شطر الأصدقاء والإخوان ممن جمعني وإياهم عهد الطلب وصدق الود والشعور بالواجب، فوجدت استعدادًا حسنًا، وكان أسرعهم إلى مشاركتي عبء التفكير وأكثرهم اقتناعًا بوجوب العمل في إسراع وهمة، الإخوان الفضلاء: الأستاذ أحمد أفندي

---

(١) أحمد تيمور باشا [١٢٨٨- ١٣٤٨هـ = ١٨٧١-١٩٣٠م]: أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور: عالم بالأدب، باحث، مؤرخ مصري. من أعضاء المجمع العلمي العربي، مولده ووفاته بالقاهرة. كردي الأصل مات أبوه، وعمره ثلاثة أشهر، فربته أخته (عائشة)، واشتهر بـ«أحمد تيمور». تلقى مبادئ العلوم في مدرسة فرنسية، وأخذ الأدب عن علماء عصره، وجمع مكتبة قيمة. وكان كريمًا متواضعًا، توفي بأزمة قلبية بعد وفاة أحد أولاده، وتألفت بعد وفاته لجنة لنشر مؤلفاته، ونقلت مكتبته بعد وفاته إلى دار الكتب المصرية، وهي نحو ١٨ ألف مجلد. [الأعلام، (١/ ١٠٠)، بتصرف].

السكري[1]، والأخ المفضال المرحوم الشيخ حامد عسكرية[2] -أسكنه الله فسيح جنته، والأخ الشيخ أحمد عبد الحميد، وكثير غيرهم.

وكان عهد وكان موثق أن يعمل كل منا لهذه الغاية، حتى يتحول العرف العام في الأمة إلى وجهة إسلامية صالحة.

ليس يعلم أحد إلا الله كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة، وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها، ونحلل العلل والأدواء، ونفكر في العلاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء، وكم كنا نعجب إذ نرى أنفسنا في مثل هذه المشغلة النفسانية العنيفة، والخليون هاجعون[3] يتسكعون على المقاهي، ويترددون على أندية الفساد والإتلاف، فإذا سألت أحدهم عما يحمله على هذه الجلسة الفارغة المملة قال لك: أقتل الوقت، وما درى هذه المسكين أن من يقتل وقته إنما يقتل نفسه، فإنما الوقت هو الحياة.

كنا نعجب لهؤلاء الناس وكثير منهم من المثقفين، ومن هم أولى منا بحمل هذا العبء، ثم يقول بعضنا لبعض: أليس هذا داء من أدواء الأمة، ولعله أخطرها، ألا تفكر

---

(١) ولد الأستاذ أحمد السكري في المحمودية ونشأ بها، حصل على دبلوم تجارة، أسس مع الإمام البنا «جمعية الحصافة الخيرية»، وقد انضم إلى جمعية الإخوان المسلمين بعد تكوينها، وقد أنشأ شعبة المحمودية، انتقل إلى القاهرة عام ١٩٣٨م، وأصبح وكيلاً لجماعة الإخوان، ترك الجماعة عام ١٩٤٧م إثر خلاف بينه وبين الجماعة، توفي في ٢٧-٣-١٩٩١م.

(٢) وُلِد الشيخ عسكرية في قرية الطيبة بمحافظة الشرقية، وحفظ القرآن صغيرًا، والتحق بالأزهر الشريف، وتعرف على الإمام البنا، وعُيِّن واعظًا بالإسماعيلية عام (١٩٢٨-١٩٢٩م)، وشارك الإمام البنا في تأسيس الجماعة في الإسماعيلية، وكانت له جهود طيبة في تأسيس دار الإخوان المسلمين بالإسماعيلية، انتقل للعمل بشبراخيت، وأسس بها شعبة عام ١٩٣٠م، ولقد اختار مجلس شورى الإخوان الأول المنعقد في عام (١٣٥٢هـ- ١٩٣٣م) الشيخَ عسكرية عضوًا منتدبًا في أول هيئة مكتب للإرشاد العام للإخوان المسلمين، ثم تم اختيارُه وكيلاً لمجلس الشورى العام، وذلك في المؤتمر الثاني لمجلس الشورى المنعَقِد في يناير ١٩٣٤م. تُوفي الشيخ وهو ما زال في ريعان شبابه في إشراقة شمس الأحد (١٦ شوال ١٣٥٦= ديسمبر١٩٣٧م)، ولقد دُفن في مسقط رأسه بقرية الطيبة.

(٣) الغافِلُ عمّا يُرَادُ بِهِ، الأحْمَقُ، وأصْلُه منَ الهُجُوعِ: النَّوْمُ، وهو مجازٌ، ويُقَالُ: هوَ الأحْمَقُ السَّرِيعُ الاسْتِنَامَةِ إلى كُل أحَدٍ، وفي الأساسِ: رَجُلٌ هُجَعٌ: يَسْتَنِيمُ إلى كُلِّ أحَدٍ [تاج العروس، (هجع)].

في مرضها، وألا تعمل لعلاج نفسها.

ولهذا وأمثاله نعمل، ولإصلاح هذا الفساد وقفنا أنفسنا، فنتعزى ونحمد الله على أن جعلنا من الداعين إليه العاملين لدينه.

وعمل الزمن عمله فتفرقنا نحن الأربعة، فكان أحمد أفندي السكري بالمحمودية، وكان المرحوم الشيخ حامد عسكرية بالزقازيق، وكان الشيخ أحمد عبد الحميد بكفر الدوار، وكنت بالإسماعيلية، أذكر قول القائل:

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا ... بالرقمتين وبالفسطاط جيراني[1]

وفي الإسماعيلية -أيها الإخوان- وُضعت أول نواة تكوينية للفكرة، وظهرت أول هيئة متواضعة تعمل لها وتحمل لواءها، وتعاهد الله على الجندية التامة في سبيلها تحت اسم (الإخوان المسلمون)، وكان ذلك في ذي القعدة ١٣٤٧هـ.

إسلام الإخوان المسلمين:

واسمحوا لي -أيها السادة- أن أستخدم هذا التعبير -ولست أعني به أن للإخوان المسلمين إسلامًا جديدًا غير الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ عن ربه، وإنما أعني أن كثيرًا من المسلمين في كثير من العصور خلعوا على الإسلام نعوتًا وأوصافًا وحدودًا ورسومًا من عند أنفسهم، واستخدموا مرونته وسعته استخدامًا ضارًا- مع أنها لم تكن إلا للحكمة السامية، فاختلفوا في معنى الإسلام اختلافًا عظيمًا، وانطبعت للإسلام في نفوس أبنائه صور عدة تقرب أو تبعد أو تنطبق على الإسلام الأول الذي مثله رسول الله ﷺ وأصحابه خير تمثيل.

فمن الناس من لا يرى الإسلام شيئًا غير حدود العبادة الظاهرة، فإن أداها أو رأى من يؤديها اطمأن إلى ذلك ورضي به، وحسبه قد وصل إلى لب الإسلام، وذلك هو المعنى الشائع عند عامة المسلمين.

ومن الناس من لا يرى الإسلام إلا الخلق الفاضل، والروحانية الفياضة، وهذا

(١) البيت لأبي تمام من البسيط، وهو من قصيدته التي مطلعها:

مَا اليَومُ أَوَّلَ تَوديعٍ وَلا الثاني ... البَينُ أَكثَرُ مِن شَوقي وَأَحزاني

وفي الديوان: «بالرقتين» بدلاً من «بالرقمتين»، و«إخواني» بدلاً من «جيراني».

الغذاء الفلسفي الشهي للعقل والروح، والبعد بهما عن أدران المادة الطاغية الظالمة.

ومنهم من يقف إسلامه عند حد الإعجاب بهذه المعاني الحيوية العملية في الإسلام، فلا يتطلب النظر إلى غيرها، ولا يعجبهم التفكير في سواها.

ومنهم من يرى الإسلام نوعًا من العقائد الموروثة، والأعمال التقليدية التي لا غناء فيها ولا تقدم معها، فهو متبرم بالإسلام، وبكل ما يتصل بالإسلام، وتجد هذا المعنى واضحًا في نفوس كثير من الذين ثقفوا ثقافة أجنبية، ولم تتح لهم الفرص حسن الاتصال بالحقائق الإسلامية، فهم لم يعرفوا عن الإسلام شيئًا أصلاً، أو عرفوه صورة مشوهة بمخالطة من لم يحسنوا تمثيله من المسلمين.

وتحت هذه الأقسام جميعًا تندرج أقسام أخرى يختلف نظر كل منها إلى الإسلام عن نظر الآخر قليلاً أو كثيرًا، وقليل من الناس أدرك الإسلام صورة كاملة واضحة تنتظم هذه المعاني جميعًا.

هذه الصور المتعددة للإسلام الواحد في نفوس الناس جعلتهم يختلفون اختلافًا بينًا في فهم الإخوان المسلمين وتصور فكرتهم.

فمن الناس من يتصور الإخوان المسلمين جماعة وعظية إرشادية كل همها أن تتقدم للناس بالعظات، فتزهدهم في الدنيا، وتذكرهم الآخرة.

ومنهم من يتصور الإخوان المسلمين طريقة صوفية إنما تعنى بتعليم الناس ضروب الذكر وفنون العبادة وما يتبع ذلك من تجرد وزهادة.

ومنهم من يظنهم جماعة نظرية فقهية كل همها أن تقف عند طائفة من الأحكام تجادل فيها وتناضل عنها، وتحمل الناس عليها، وتخاصم أو تسالم من لم يسلم بها معها.

وقليل من الناس خالطوا الإخوان المسلمين، وامتزجوا بهم، ولم يقفوا عند حدود السماع، ولم يخلعوا على الإخوان المسلمين إسلامًا يتصورونه هم، فعرفوا حقيقتهم، وأدركوا كل شيء عن دعوتهم علمًا وعملاً، ولهذا أحببت أن أتحدث لحضراتكم في إيجاز عن معنى الإسلام، وصورته الماثلة في نفوس الإخوان المسلمين، حتى يكون الأساس الذي ندعو إليه ونعتز بالانتساب له والاستمداد منه واضحًا جليًا.

(١) نحن نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة تنتظم شئون الناس في الدنيا وفي

الآخرة، وأن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون في هذا الظن، فالإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، ودين ودولة، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف، والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ويعتبره كله من لب الإسلام ومن صميمه، ويوصي بالإحسان فيه جميعه، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

وإنك كما تقرأ في القرآن وفي الصلاة إن شئت قول الله تبارك وتعالى في العقيدة والعبادة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

تقرأ قوله تعالى في الحكم والقضاء والسياسة: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وتقرأ قوله تعالى في الدين وفي التجارة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الذي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الذي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلا تَرْتَابُوا إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ﴾ [البقرة:٢٨٢].

وتقرأ قوله تبارك وتعالى في الجهاد والقتال والغزو: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ

أذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة البارعة في هذه الأغراض نفسها، وفي غيرها من الآداب العامة، وشئون الاجتماع.

وهكذا اتصل الإخوان بكتاب الله واستلهموه واسترشدوه، فأيقنوا أن الإسلام هو هذا المعنى الكلي الشامل، وأنه يجب أن يهيمن على كل شئون الحياة، وأن تصطبغ جميعها به، وأن تنزل على حكمه، وأن تساير قواعده وتعاليمه، وتستمد منها ما دامت الأمة تريد أن تكون مسلمة إسلامًا صميمًا[1]، أما إذا أسلمت في عبادتها وقلدت غير المسلمين في بقية شئونها، فهي أمة ناقصة الإسلام تضاهئ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

(٢) إلى جانب هذا يعتقد الإخوان أن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ، اللذان[2] إن تمسكت بهما فلن تضل أبدًا، وأن كثيرًا من الآراء والعلوم التي اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي أوجدتها، والشعوب التي عاصرتها، ولهذا يجب أن نستقي النظم الإسلامية التي تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي، معين السهولة الأولى، وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح -رضوان الله عليهم، وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا الله به، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه، والإسلام دين البشرية جميعًا.

(٣) وإلى جانب هذا أيضًا يعتقد الإخوان المسلمون أن الإسلام كدين عام انتظم كل شئون الحياة في كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان، جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة، وخصوصًا في الأمور الدنيوية البحتة، فهو إنما يضع القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشئون، ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها والسير في حدودها.

---

(١) صَميمُ الشيء: خالصه. يقال: هو في صَميمِ قومه. وصَميمُ الحَرِّ وصَميمُ البرد: أشدُّه. [الصحاح، مادة (صمم)].

(٢) في الأصل: «اللذين».

ولضمان الحق والصواب في هذا التطبيق أو تحريهما على الأقل، عني الإسلام عناية تامة بعلاج النفس الإنسانية، وهي مصدر النظم، ومادة التفكير والتصوير والتشكل، فوصف لها من الأدوية الناجعة ما يطهرها من الهوى، ويغسلها من أدران الغرض والغاية، ويهديها إلى الكمال والفضيلة، ويزجرها عن الجور والقصور والعدوان، وإذا استقامت النفس وصفت فقد أصبح كل ما يصدر عنها صالحًا جميلاً.

يقولون: إن العدل ليس في نص القانون ولكنه في نفس القاضي، وقد تأتي بالقانون الكامل العادل إلى القاضي ذي الهوى والغاية فيطبقه تطبيقًا جائرًا لا عدل معه، وقد تأتي بالقانون الناقص الجائر إلى القاضي الفاضل العادل البعيد عن الأهواء والغايات فيطبقه تطبيقًا فاضلاً عادلاً فيه كل الخير والبر الرحمة والإنصاف، ومن هنا كانت النفس الإنسانية محل عناية كبرى في كتاب الله، وكانت النفوس الأولى التي صاغها هذا الإسلام مثال الكمال الإنساني، ولهذا كله كانت طبيعة الإسلام تساير العصور والأمم، وتتسع لكل الأغراض والمطالب، ولهذا أيضًا كان الإسلام لا يأبى أبدًا الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية وأصوله العامة.

لا أحب -أيها السادة- أن أسترسل في هذا البيان فذلك باب واسع، وحسبنا هذه الإلمامة الموجزة تلقي ضوءًا على المعنى العام للفكرة الإسلامية في نفوس الإخوان المسلمين.

فكرة الإخوان المسلمين تضم كل المعاني الإسلامية:

كان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحي الإصلاح في الأمة، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته، والتقت عندها آمال محبي الإصلاح الذين عرفوها وفهموا مراميها، وتستطيع أن تقول -ولا حرج عليك: إن الإخوان المسلمين:

(١) **دعوة سلفية**: لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله.

(٢) **وطريقة سنية**: لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة في كل شيء، وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

(٣) **وحقيقة صوفية**: لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس، ونقاء القلب، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب في الله، والارتباط على الخير.

(٤) **وهيئة سياسية**: لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم في الداخل، وتعديل النظر إلى صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم في الخارج، وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته إلى أبعد حد.

(٥) **وجماعة رياضية**: لأنهم يعنون بجسومهم، ويعلمون أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف[١]، وأن النبي ﷺ يقول: «**إن لبدنك عليك حقًّا**»[٢]، وأن تكاليف الإسلام كلها [لا يمكن][٣] أن تؤدى كاملة صحيحة إلا بالجسم القوي؛ فالصلاة والصوم والحج والزكاة لا بد لها من جسم يحتمل أعباء الكسب والعمل والكفاح في طلب الرزق، ولأنهم تبعًا لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية تضارع وربما فاقت كثيرًا من الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها.

(٦) **ورابطة علمية ثقافية**: لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة[٤]؛ ولأن أندية الإخوان هي في الواقع مدارس للتعليم والتثقيف، ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح.

(٧) **وشركة اقتصادية**: لأن الإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه، وهو الذي يقول نبيه ﷺ: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[٥]، ويقول: «**من أمسى كالاًّ من عمل**

---

(١) يشير الإمام للحديث الذي أخرجه مسلم في «الْقَدَر»، باب: «فِي الأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ للهِ»، ح(٤٨١٦)، ولفظه: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في الأصل: «لأجل».

(٤) يشير ﷺ للحديث الذي أخرجه ابن ماجه في «الْمُقَدِّمَةِ»، باب: «فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ»، ح(٢٢٠)، والذي صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»، ح(٢٢٤).

(٥) سبق تخريجه.

يده أمسى مغفورًا له»[1]، و«إن الله يحب المؤمن المحترف»[2].

(٨) وفكرة اجتماعية: لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامي ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها.

وهكذا نرى أن شمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولاً لكل مناحي الإصلاح، ووجه نشاط الإخوان إلى كل هذه النواحي، وهم في الوقت الذي يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها يتجهون إليها جميعًا، ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعًا.

ومن هنا كان كثير من مظاهر أعمال الإخوان يبدو أمام الناس متناقضًا وما هو بمتناقض؛ فقد يرى الناس الأخ المسلم في المحراب خاشعًا متبتلاً يبكي ويتذلل، وبعد قليل يكون هو بعينه واعظًا مدرسًا يقرع الآذان بزواجر الوعظ، وبعد قليل تراه نفسه رياضيًّا أنيقًا يرمي بالكرة، أو يدرب على العدو، أو يمارس السباحة، وبعد فترة يكون هو بعينه في متجره أو معمله يزاول صناعته في أمانة وفي إخلاص.

هذه مظاهر قد يراها الناس متنافرة لا يلتئم بعضها ببعض، ولو علموا أنها جميعًا يجمعها الإسلام، ويأمر بها الإسلام، ويحض عليها الإسلام لتحققوا فيها مظاهر الالتئام ومعاني الانسجام، ومع هذا الشمول فقد اجتنب الإخوان كل ما يؤخذ على هذه النواحي من المآخذ، ومواطن النقد والتقصير.

كما اجتنبوا التعصب للألقاب؛ إذ جمعهم الإسلام الجامع حول لقب واحد هو «الإخوان المسلمون».

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، ح(٧٧٣٣)، وقال: «لا يروى هذا الحديث عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد، تفرد به: إبراهيم بن سلم»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»، ح(٥٤٨٥)، ومن الأحاديث الصحيحة في هذا الباب ما أخرجه البخاري في «الْبُيُوعِ»، باب: «كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ»، ح(١٩٣٠) أن رسول الله ﷺ قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ».

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، ح(٩١٨٢)، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن سالم إلا عاصم بن عبيد الله، تفرد به: أبو الربيع السمان، ولا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»، ح(١٧٠٤).

بعض خصائص دعوة الإخوان:

لعل من صنع الله لدعوة الإخوان أن تنبت في الإسماعيلية، وأن يكون ذلك على أثر خلاف فقهي بين الأهلين، وانقسام دام سنوات حول بعض النقاط الفرعية التي أذكى نار الفرقة فيها ذوو المطامع والأغراض، وأن تصادف نشأتها عهد الصراع القوي العنيف بين الأجنبي المغتصب والوطني المجاهد، فكان من أثر هذه الظروف أن تميزت هذه الدعوة بخصائص خالفت فيها كثيرًا من الدعوات التي عاصرتها.

ومن هذه الخصائص:

(١) البعد عن مواطن الخلاف

(٢) والبعد عن هيمنة الأعيان والكبراء

(٣) والبعد عن الأحزاب والهيئات

(٤) والعناية بالتكوين والتدرج في الخطوات

(٥) وإيثار الناحية العملية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات

(٦) وشدة الإقبال من الشباب

(٧) وسرعة الانتشار في القرى والبلاد

١ - البعد عن مواطن الخلاف:

فأما البعد عن مواطن الخلاف الفقهي فلأن الإخوان يعتقدون أن الخلاف في الفرعيات أمر ضروري لابد منه؛ إذ إن أصول الإسلام آيات وأحاديث وأعمال تختلف في فهمها وتصورها العقول والأفهام، لهذا كان الخلاف واقعًا بين الصحابة أنفسهم وما زال كذلك، وسيظل إلى يوم القيامة، وما أحكم الإمام مالك ﷺ حين قال لأبي جعفر وقد أراد أن يحمل الناس على الموطأ: «إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار وعند كل قوم علم، فإذا حملتهم على رأي واحد تكون فتنة»، وليس العيب في الخلاف، ولكن العيب في التعصب للرأي، والحجر على عقول الناس وآرائهم، هذه النظرة إلى الأمور الخلافية جمعت القلوب المتفرقة على الفكرة الواحدة، وحسب الناس أن يجتمعوا (على ما يصير به المسلم مسلمًا) كما قال زيد ﷺ، وكانت هذه النظرة ضرورية لجماعة يريدون أن ينشروا فكرتهم في بلد لم تهدأ بعد فيه ثائرة الخلاف على أمور لا معنى

للجدل ولا للخلاف فيها.

٢ - **البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان:**

وأما البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان فلانصرافهم عن هذه الدعوات الناشئة المجردة من الغايات والأهواء إلى الدعوات القائمة، التي تستتبع المغانم وتجر المنافع، ولو في ظن الناس لا في حقيقة الحال، ولأننا نحن معشر القائمين بدعوة الإخوان تعمدنا هذا لأول عهد الدعوة بالظهور، حتى لا يطمس لونها الصافي لون آخر من ألوان الدعوات التي يروج لها هؤلاء الكبراء، وحتى لا يحاول أحد منهم أن يستغلها، أو يوجهها في غير الغاية التي تقصد إليها، ذلك إلى أن كثيرًا من العظماء ينقصه الكمال الإسلامي الذي يجب أن يتصف به المسلم العادي فضلاً عن المسلم العظيم الذي يحمل اسم دعوة إسلامية لإرشاد الناس، وعلى هذا فقد ظل هذا الصنف بعيدًا عن الإخوان اللهم إلا قليلاً من الأكرمين الفضلاء، يفهم فكرتهم، ويعطف على غايتهم، ويشارك في أعمالهم، ويتمنى لهم التوفيق والنجاح.

٣ - **البعد عن الهيئات والأحزاب:**

وأما البعد عن الاتصال بالأحزاب والهيئات فلما كان ولا يزال بين هذه الهيئات من التنافر والتناحر الذي لا يتفق مع أخوة الإسلام، ودعوة الإسلام عامة تجمع ولا تفرق، ولا ينهض بها ولا يعمل لها إلا من تجرد من كل ألوانه وصار لله خالصًا، وقد كان هذا المعنى من قبل عسيرًا على النفوس الطامحة، التي تريد أن تصل عن طريق حزبيتها أو جماعتها إلى ما تريد من جاه ومال، لهذا آثرنا أن نتجنب الجميع، وأن نصبر على الحرمان من كثير من العناصر الصالحة حتى ينكشف الغطاء، ويدرك الناس بعض الحقائق المستورة عنهم، فيعودوا إلى الخطة المثلى بعد التجربة وقد امتلأت قلوبهم باليقين والإيمان.

ونحن الآن وقد اشتد ساعد الدعوة وصلب عودها، وأصبحت تستطيع أن توجه ولا توجه، وأن تؤثر ولا تتأثر، نهيب بالكبراء والأعيان والهيئات والأحزاب أن ينضموا إلينا، وأن يسلكوا سبيلنا، وأن يعملوا معنا، وأن يتركوا هذه المظاهر الفارغة التي لا غناء فيها، ويتوحدوا تحت لواء القرآن العظيم، ويستظلوا براية النبي الكريم، ومنهاج الإسلام القويم، فإن أجابوا فهو خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وتستطيع الدعوة بهم أن تختصر الوقت والجهود، وإن أبوا فلا بأس علينا أن ننتظر قليلاً، وأن نلتمس المعونة من

الله وحده حتى يحاط بهم، ويسقط في أيديهم، ويضطرون إلى العمل للدعوة أذنابًا، وقد كانوا يستطيعون أن يكونوا رءوسًا، ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

٤ - التدرج في[1] الخطوات:

وأما التدرج والاعتماد على التربية ووضوح الخطوات في طريق الإخوان المسلمين، فذلك أنهم اعتقدوا أن كل دعوة لابد لها من مراحل ثلاث:

مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة، وإيصالها إلى الجماهير من طبقات الشعب.

ثم مرحلة التكوين وتخير الأنصار، وإعداد الجنود، وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعوين.

ثم بعد ذلك كله مرحلة التنفيذ والعمل والإنتاج.

وكثيرًا ما تسير هذه المراحل الثلاث جنبًا إلى جنب نظرًا لوحدة الدعوة وقوة الارتباط بينها جميعًا، فالداعي يدعو، وهو في الوقت نفسه يتخير ويربي، وهو في الوقت عينه يعمل وينفذ كذلك.

ولكن لا شكَّ في أن الغاية الأخيرة أو النتيجة الكاملة لا تظهر إلا بعد عموم الدعاية، وكثرة الأنصار، ومتانة التكوين.

في حدود هذه المراحل سارت دعوتنا ولا تزال تسير، فقد بدأنا بالدعوة فوجهناها إلى الأمة في دروس متتالية، وفي رحلات متلاحقة، وفي مطبوعات كثيرة، وفي حفلات عامة وخاصة، وفي جريدة الإخوان المسلمين الأولى، ثم في مجلة النذير الأسبوعية، ولا زلنا ندعو، وسنظل كذلك، حتى لا يكون هناك فرد واحد لم تصله دعوة الإخوان المسلمين على حقيقتها الناصعة، وعلى وجهها الصحيح، ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢].

وأظن أننا وصلنا في هذه المرحلة إلى درجة نطمئن عليها، وعلى اطراد السير فيها، وصار من ألزم واجباتنا أن نخطو الخطوة الثانية، خطوة الاختيار والتكوين والتعبئة.

---

(١) في الأصل: «و».

خطونا الخطوة الثانية في صور ثلاث:

الكتائب: ويراد بها تقوية الصف بالتعارف، وتمازج النفوس والأرواح، ومقاومة العادات والمألوفات، والمران على حسن الصلة بالله تبارك وتعالى، واستمداد النصر منه، وهذا هو معهد التربية الروحية للإخوان المسلمين.

ثم الفرق للكشافة والجوالة والألعاب الرياضية: ويراد بها تقوية الصف بتنمية جسوم الإخوان، وتعويدهم الطاعة والنظام والأخلاق الرياضية الفاضلة، وإعدادهم للجندية الصحيحة التي يفرضها الإسلام على كل مسلم، وهذا هو معهد التربية الجسمية للإخوان المسلمين.

ثم درس التعاليم في الكتائب، أو في أندية الإخوان المسلمين: ويراد به تقوية الصف بتنمية أفكار الإخوان وعقولهم بدراسة جامعة لأهم ما يلزم الأخ المسلم معرفته[1] لدينه ودنياه، وهذا هو معهد التربية العلمية والفكرية للإخوان المسلمين.

ذلك إلى مختلف نواحي النشاط الأخرى التي يدرب بها الإخوان على الواجب الذي ينتظرهم كجماعة تعد نفسها لقيادة أمة، بل لهداية العالمين.

بعد أن نطمئن على موقفنا من هذه الخطوة نخطو -إن شاء الله- الخطوة الثالثة، وهي الخطوة العملية التي تظهر بعدها الثمار الكاملة لدعوة الإخوان المسلمين.

مصارحة:

أيها الإخوان المسلمون، وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم:

اسمعوها مني كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع: إن طريقكم هذا مرسومة خطواته، موضوعة حدوده، ولست مخالفًا هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول، أجل قد تكون طريقًا طويلة، ولكن ليس هناك غيرها، وإنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها، أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات. ومن صبر معي حتى تنمو البذرة وتثبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره في ذلك على الله، ولن يفوتنا وإياه

---

(١) في الأصل: «معرفة».

أجر المحسنين: إما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة.

أيها الإخوان المسلمون:

ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة. و﴿لَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩]، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها، وحولوا تيارها، واستعينوا ببعضها[1] على بعض، وترقبوا ساعة النصر، وما هي منكم ببعيد.

أيها الإخوان المسلمون:

إنكم تبتغون بعملكم وجه الله، وتحصيل مثوبته ورضوانه، وذلك مكفول لكم ما دمتم مخلصين. ولم يكلفكم الله نتائج الأعمال، ولكن كلفكم صدق التوجه، وحسن الاستعداد، ونحن بعد ذلك إما مخطئون فلنا أجر العاملين المجتهدين، وإما مصيبون فلنا مع ذلك ضعف الفائزين المصيبين. على أن التجارب في الماضي والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا في طريقكم، ولا إنتاج إلا مع خطتكم، ولا صواب إلا فيما تعملون، فلا تغامروا بجهودكم، ولا تقامروا بثمار نجاحكم. واعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم، والفوز للعاملين، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

متى تكون خطوتنا التنفيذية؟

أيها الإخوان المسلمون:

نحن هنا في مؤتمر أعتبره مؤتمرًا عائليًا يضم أسرة الإخوان المسلمين، وأريد أن أكون معكم صريحًا للغاية، فلم تعد تنفعنا إلا المصارحة:

إن ميدان القول غير ميدان الخيال، وميدان العمل غير ميدان القول، وميدان الجهاد غير ميدان العمل، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ.

يسهل على كثير أن يتخيلوا، ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقوالاً باللسان، وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا، ولكن قليلين من هذا الكثير يثبتون

---

(١) في الأصل: «بعضها».

عند العمل، وكثير من هذا القليل يستطيعون أن يعملوا، ولكن قليلاً منهم يقدرون على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل العنيف.

وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تدركهم عناية الله، وفي قصة طالوت بيان لما أقول، فأعدوا أنفسكم، وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة، والاختبار الدقيق، وامتحنوها بالعمل، العمل القوي البغيض لديها الشاق عليها، وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها.

وفي الوقت الذي يكون فيه منكم -معشر الإخوان المسلمين- ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحيًا بالإيمان والعقيدة، وفكريًا بالعلم والثقافة، وجسميًا بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء. وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإني فاعل إن شاء الله، وصدق رسول الله القائل: «**ولن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة**»[1].

إني أقدر لذلك وقتًا ليس طويلاً بعد توفيق الله، واستمداد معونته، وتقديم إذنه ومشيئته، وقد تستطيعون أنتم معشر نواب الإخوان ومندوبيهم أن تقصروا هذا الأجل إذا بذلتم همتكم، وضاعفتم جهودكم، وقد تهملون فيخطئ هذا الحساب، وتختلف النتائج المترتبة عليه، فأشعروا أنفسكم العبء، وألفوا الكتائب، وكوّنوا الفرق، وأقبلوا على الدروس، وسارعوا إلى التدريب، وانشروا دعوتكم في الجهات التي لم تصل إليها بعد، ولا تضيعوا دقيقة بغير عمل.

قد يظن من يسمع هذا أن الإخوان المسلمين قليل عددهم، أو ضعيف مجهودهم، ولست إلى هذا أقصد وليس هذا هو مفهوم كلامي، فالإخوان المسلمون والحمد لله

(١) أخرجه أبو داود في «الْجِهَادِ»، باب: «فِيمَا يُسْتَحَبُّ مِنَ الْجُيُوشِ وَالرُّفَقَاءِ وَالسَّرَايَا»، ح(٢٢٤٤) وقال: «وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مُرْسَلٌ»، والترمذي في «السِّيَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» باب: «مَا جَاءَ فِي السَّرَايَا»، ح(١٤٧٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لا يُسْنِدُهُ كَبِيرُ أَحَدٍ غَيْرُ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ وَإِنَّمَا رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلاً، وَقَدْ رَوَاهُ حِبَّانُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنَزِيُّ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَوَاهُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلاً»، وابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «السَّرَايَا»، ح(٢٨١٧)، وأحمد في «مُسْنَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ»، ح(٢٥٥٠)، وقد صححه الألباني في «الصحيحة»، (٢/ ٧١٩).

كثيرون، وإن جماعة يمثلها في هذا الاجتماع آلاف من أعضائها كل منهم ينوب عن شعبة كاملة لأكثر من أن يستقل عددها، أو ينسى مجهودها، أو يغمط[1] حقها، ولكن أقصد إلى ما ذكرت أولاً: من أن رجل القول غير رجل العمل، ورجل العمل غير رجل الجهاد، ورجل الجهاد فقط غير رجل الجهاد المنتج الحكيم الذي يؤدي إلى أعظم الربح بأقل التضحيات.

٥ -إيثار الناحية العملية:

وأما إيثار الناحية العملية على الدعاية والإعلانات فقد أثارها في نفس الإخوان، ودعا إليها في منهاجهم أمور:

منها: ما جاء في الإسلام خاصًا بهذه الناحية بالذات، ومخافة أن تشوب[2] هذه الأعمال شوائب الرياء، فيسرع إليها التلف والفساد، والموازنة بين هذه النظرة وبين ما ورد في إذاعة الخير والأمر به والمسارعة إلى إعلانه ليتعدى نفعه، أمر دقيق قلما يتم إلا بتوفيق.

ومنها: نفور الإخوان الطبيعي من اعتماد الناس على الدعايات الكاذبة والتهريج الذي ليس من ورائه عمل، وما أنتجه هذا[3] في الأمة من أثر سيئ، وتضليل كبير، وفساد ملموس.

ومنها: ما كان يخشاه الإخوان من معاجلة الدعوة بخصومة حادة، أو صداقة ضارة يكون عن كليهما تعويق في السير، أو تعطيل عن الغاية.

كل هذه أمور وضعها الإخوان في ميزانهم، وآثروا أن يسيروا في دعوتهم بجد وإسراع، وإن لم يشعر بهم إلا من حولهم، وإن لم يؤثر ذلك إلا في محيطهم.

قليل من الناس من يعرف أن الداعية من دعاة الإخوان قد يخرج من عمله المصلحي في عصر الخميس، فإذا هو في العشاء بالمنيا يحاضر الناس، وإذا هو في صلاة الجمعة يخطب وهو بمنفلوط، فإذا هو في العصر يحاضر بأسيوط، وبعد العشاء يحاضر بسوهاج،

---

(١) غَمِطَ الحقَّ: جَحده. [لسان العرب، مادة (غمط)].

(٢) الشَّوْبُ: الخلط. [الصحاح، مادة (شوب)].

(٣) في الأصل: «هذه».

ثم يعود أدراجه فإذا هو في الصباح الباكر في عمله بالقاهرة قبل إخوانه من الموظفين، أربع حفلات جامعات يحضرها الداعية من دعاة الإخوان في أطراف القطر في ثلاثين ساعة، ثم يعود أدراجه هادئ النفس مطمئن القلب يحمد الله على ما وفقه إليه، ولا يشعر به إلا الذين استمعوه.

هذا مجهود لو قام به غير الإخوان لملأ الدنيا صياحًا ودعاية، لكن الإخوان -لما قدمت- يؤثرون ألا يراهم الناس إلا عاملين، فمن أقنعهم العمل فبها، ومن لم يؤثر فيه العمل فلن يرشده القول.

قد يقضي الأخ شهرًا أو شهرين بعيدًا عن أهله وبيته وزوجه وولده يدعو إلى الله، هو في الليل محاضر وفي النهار مسافر، يومًا بحزوى، ويومًا بالعقيق[1]، فيلقي أكثر من ستين محاضرة في الصميم من شرق القطر إلى غربه، وقد تضم الحفلات التي يحاضر فيها الآلاف من مختلف الطبقات، ثم هو بعد ذلك يوصي ألا يكون ذلك محل دعاية أو إعلان.

يعقد الإخوان معسكرًا نموذجيًا بالإسكندرية قرابة[2] شهر فيكون معسكرًا نموذجيًا بحق، يجمع رياضة الفكر والروح إلى رياضة البدن والجسم، وتتمثل فيه في جلاء ووضوح المعاني الرياضية والعسكرية الكاملة، ويدوم ذلك طول هذه الفترة، ويضم تحت خيامه المباركة مائة من الشباب التقي المؤمن، فلا يكون لذلك صداه في غير من حضروه من الإخوان المسلمين.

يعقد مؤتمر كمؤتمركم هذا، هو في الواقع أصدق برلمان لمصر؛ إذ مثلت فيه مديرياتها ومراكزها وقراها وحواضرها من كل الطبقات أصدق تمثيل، وقد حضرتم جميعًا لا يحملكم إلى ذلك إلا الرغبة الأكيدة في العمل المنتج، فنوجه إليكم الدعوة ويضمكم -معشر الإخوان المسلمين- هذا المكان المبارك.

يقوم الإخوان بهذا وبغيره من ضروب الإصلاح التي تنتج أحسن الآثار، ثم هم

---

(١) يشير الإمام -رحمه الله- لبيت الشعر لأبي محمد الخازن الذي يقول فيه:

يومًا بحُزْوَى ويومًا بالعقيقِ وبالـ ... ـعذيب يومًا ويومًا بالخليصاءِ

وحزوى: موضع بالبادية، والعقيق: وادٍ بالحجاز.

(٢) في الأصل: «قراب».

بذلك لا يتشدقون ولا يباهون، ولا يذكرون حتى الحقيقة فضلاً عن المبالغة والإغراق، ولو كان بعض هذا النشاط وبعض هذه الأعمال مما يوفق إليه غير الإخوان من الهيئات لملئوا الدنيا صراخًا، ولأسمعوا من في المشرق والمغرب، ولا عجب؛ فنحن في عصر الدعايات.

أيها الإخوان:

ذلك المعنى الذي تقصدون إليه معنى جميل حقًا، وخطة محمودة عند الله وعند الناس، فادرجوا عليها ولا بأس عليكم، ولكن لاحظوا أنكم الآن وقد أرغمتكم الدعوة على أن تتخطوا الحواجز الخاصة إلى الميادين الواسعة، وقد أظهرت الدعوة نفسها فأخذ الناس يتساءلون عنها وعنكم، وأخذ بعض الفضوليين يتطوع بتصويركم لغيركم وهو لا يدري قليلاً ولا كثيرًا من شئونكم، فقد وجب عليكم أن تبينوا للناس غايتكم ووسيلتكم، وحدود فكرتكم، ومنهاج أعمالكم، وأن تعلنوا هذه الأعمال على الناس لا للمباهاة بها ولكن للإرشاد إلى ما فيها من نفع للأمة وخير لأبنائها، فاكتبوا إلى «النذير» وهي لسانكم، واكتبوا إلى الصحف اليومية وأظنها لا تقف في سبيلكم، واحرصوا على أن تكونوا صادقين لا تتجاوزون الحقيقة، وأن تكون دعايتكم في حدود الأدب الكامل، والخلق الفاضل، والحرص التام على جمع القلوب وتأليف الأرواح، واستشعروا كلما ظهرت دعوتكم أن الفضل في ذلك كله لله: ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

٦ -إقبال الشباب على الدعوة:

وأما إقبال الشباب على الدعوة، ونموها في كثير من الأوساط التي هي أخصب المنابت للدعوات من الطبقات العاملة والوسطى، فتوفيق كبير نحمد الله عليه، فقد أقبل الشباب في كل مكان على دعوة الإخوان يؤمن بها ويؤيدها ويناصرها، ويعاهد الله على النهوض بحقها والعمل في سبيلها.

تقدم ستة من شباب الجامعة[1] منذ سنوات يهبون لله نفوسهم وجهودهم، وعلم الله

---

(١) الطلاب الستة الأوائل في الجامعة هم: محمد عبد الحميد أحمد (كلية الآداب)- إبراهيم أبو النجا الجزار (كلية الطب)- أحمد مصطفى (بمدرسة التجارة العليا)- محمد جمال الفندي (كلية العلوم)- محمد رشاد الهواري (كلية الحقوق)- محمد صبري (الزراعة العليا).

منهم صدق ذلك فأيدهم وآزرهم، فإذا بالجامعة كلها من أنصار الإخوان المسلمين تحبهم وتحترمهم وتتمنى لهم النجاح، وإذا من الشباب الجامعي فئة كريمة مؤمنة تتفانى في الدعوة وتبشر بها في كل مكان.

قل مثل ذلك في الأزهر الشريف، والأزهر بطبعه معقل الدعوة الإسلامية وموئل[1] الإسلام، فليس غريبًا عليه أن يعتبر دعوة الإخوان المسلمين دعوته، وأن يعد غايتها غايته، وأن تمتلئ الصفوف الإخوانية والأندية الإخوانية بشبابه الناهض وعلمائه الفضلاء ومدرسيه ووعاظه، وأن يكون لهم جميعًا أكبر الأثر في نشر الدعوة وتأييدها والمناداة بها في كل مكان، ولم يقتصر إقبال الشباب على طوائف الطلبة الفضلاء ومن إليهم، بل إن كثيرًا من طبقات الشعب المؤمنة أقبل على الدعوة وكان خير معوان في مناصرتها، وإن كثيرًا من الشباب كان ضالاً فهداه الله، وكان حائرًا فأرشده الله، وكانت المعصية له عادة فوفقه الله إلى الطاعة، وكان لا يعرف له غاية من الحياة فوضحت أمامه الغاية، ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥].

وإنا لنعتبر ذلك من علامات التوفيق، ونلمس كل يوم تقدمًا جديدًا في هذا الباب يدعونا إلى الأمل القوي والمثابرة ومضاعفة المجهود، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

٧ - **سرعة الانتشار في القرى والمدن:**

وأما سرعة انتشار الدعوة في القرى والمدن، فقد قدمت لكم أن الدعوة نشأت في الإسماعيلية، وترعرعت في جوها الصافي، ودرجت[2] على رمالها الممتدة الجميلة، يغذيها وينميها ما ترى كل صباح مساء من مظاهر الاحتلال الأجنبي، والاستئثار الأوروبي بخير هذا البلد، فهذه قناة السويس علة الداء وأصل البلاء، وفي الغرب المعسكر الإنجليزي بأدواته ومعداته، وفي الشرق المكتب العام لإدارة شركة القناة بأثاثه ورياسته وعظمته ومرتباته، والمصري غريب بين كل هذه الأجواء في بلده محروم وغيره ينعم بخير وطنه، ذليل والأجنبي يعتز بما يغتصبه من موارد رزقه، كان هذا الشعور غذاء جميلاً، ومدادًا طيبًا لدعوة الإخوان، فبسطت رواقها في منطقة القناة، ثم تخطتها إلى منطقة البحر

---

(١) المَوْئِل: الملجأ. [تهذيب اللغة، مادة (وأل)].

(٢) دَرَجَ الرجل يَدْرُجُ دُروجًا وَدَرَجانًا، أي: مشى. [الصحاح، مادة (درج)].

الصغير[١]، ثم مديرية الدقهلية، تحتل قلوب المؤمنين بها بذرة صغيرة متواضعة، ثم لا تلبث أن تستولي على هذه القلوب، وتستغرق شعورها وتفكيرها، وتصبح للرجل أمل الآمال وغاية الغايات، فيدعو ويضحي ويبذل.

وخطت الدعوة إلى القاهرة باندماج جمعية الحضارة الإسلامية[٢] بدعاتها وأدواتها إلى الإخوان، إيمانًا بفكرتهم، وإيثارًا للعمل مع الجماعة، وزهادة في الألقاب والأسماء، واحتقارًا لهذه الأنانية الفردية التي أفسدت علينا كل عمل، ثم تبع ذلك تكوّن مكتب الإرشاد العام بالقاهرة وإشرافه على شعب الجماعة الناشئة في الأقاليم والبلدان، وعمله الدائب على نشر الفكرة وإيصالها إلى البلدان [التي][٣] لم تتصل بها بعد.

---

(١) منطقة البحر الصغير: تقع بين المنصورة وبحيرة المنزلة.

(٢) هي الجمعية التي قام الأستاذ عبد الرحمن البنا شقيق الإمام والمشهور بعبد الرحمن الساعاتي، وزميل دراسته الأستاذ محمد أسعد الحكيم بتأسيسها، وكان ممن انضم إليهم الأستاذ محمد حلمي نور الدين وغيره من الإخوان، وفي صيف عام ١٩٢٩م الموافق ١٣٤٨هـ دعت جمعية الحضارة الإسلامية الإمام الشهيد لإلقاء محاضرة لرواد الجمعية بعنوان «الإسلام أساس السعادة»، وبعدها اجتمع أعضاء جمعية الحضارة وقرروا الانضمام إلى جمعية الإخوان المسلمين في الإسماعيلية، وعرضوا ذلك على الإمام الشهيد فوافق على ذلك، وأشار عليهم أن يتخذوا دارًا جديدة غير هذه الدار، فتم اختيار دار جديدة هي منزل سليم باشا حجازي بسوق السلاح، وقد عمل الإخوان بأنفسهم حتى أصبحت الدار مقصدًا لكثير من الطلاب والشيوخ، وكان منهم الشيخ محمد فرغلي والشيخ أحمد حسن الباقوري والشيخ محمد أحمد شريت وأخواه حامد شريت وأحمد شريت، والشيخ عبد اللطيف الشعشاعي، والأستاذ محمد النبراوي، والشيخ جمال العقاد السوري الحلبي، وقد قامت الإسماعيلية بجهود مشكورة في إمداد فرع القاهرة الناشئ بالمعونات المادية حتى تصبح منبرًا لدعوة الإخوان في العاصمة المصرية.

وتم افتتاح فرع القاهرة وإعلان انضمام جمعية الحضارة الإسلامية للإخوان المسلمين، واعتبارها فرعًا لها بالقاهرة في حفل باهر حضره الكثير من العلماء ورجال الدين، بالإضافة لوفود من الأقاليم الأربعة التي فتحت فيها شعب للإخوان المسلمين، وهي الإسماعيلية والمحمودية وشبراخيت وبورسعيد وغيرهم. وقد أعد لكل شعبة علم انضوى تحت لوائه إخوان تلك الشعب، على أن الاعتماد الرسمي لتلك الشعبة كان بقرار من مجلس إدارة الإسماعيلية في محضر رقم (٢٦) بتاريخ ١٥ من يوليو سنة ١٩٣١م. [جمعة أمين عبد العزيز: أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، الكتاب الثاني، بدايات التأسيس والتعريف... البناء الداخلي [١٩٢٨- ١٩٣٨م]، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م)، ص(٨٨-٨٩)].

(٣) زيادة من عندنا.

ودأب المكتب على ذلك يقتطع أعضاؤه من قوتهم وأوقاتهم وجهودهم ما يستعينون به على خدمة عقيدتهم في عفة الأسد، وفي طهارة ماء الغمام، لا يمدون لأحد يدًا، ولا يسألون كبيرًا ولا هيئة شيئًا، ولا يأخذون من مال حكومة، ولا يطلبون معونة أحد إلا الله، حتى انتشرت شعب الإخوان بسرعة فائقة في جميع نواحي القطر المصري من أسوان إلى الإسكندرية، إلى رشيد، إلى بورسعيد، إلى السويس، إلى طنطا، إلى الفيوم، إلى بني سويف، إلى المنيا، إلى أسيوط، إلى جرجا، إلى قنا، وفيما بين ذلك من المراكز والقرى.

ولم تقف عند هذه الحدود المصرية، بل تجاوزتها إلى القسم الجنوبي من الوطن الغالي، إلى السودان المفدى، ثم إلى بقية أجزاء الوطن الإسلامي العزيز: سوريا بأقسامها شرقًا، والمغرب بأقسامه غربًا، ثم إلى غير ذلك من بقية بلادنا الإسلامية المباركة.

كنا نوجه الدعوة ونعمل على انتشارها من قبل، أما الآن فقد صارت الدعوة تسبقنا إلى البلاد والقرى، وتضطرنا إلى ملاحقتها وأداء حقوقها مهما كان في ذلك من عنت ومن إرهاق، والمهم أن الصلة بين هذه الهيئات كلها ليست مجرد التشابه في الاسم[1]، أو الوحدة في المقصد العام، كلا بل إنها أقوى الصلات جميعًا، إنها صلة الحب العميق، والتعاون الوثيق، والارتباط القدسي المتين، والالتفاف التام حول محور الدعوة ومركزها، والوحدة الشاملة في: الألم، والأمل، والجهاد، والعمل، والوسائل، والغايات، والمناهج، والخطوات، وليس بعد ذلك زيادة لمستزيد.

وليست هذه الهيئات في البلدان والقرى مقتصرة في عملها على تنفيذ تعليمات المكتب الرئيسي لها بالقاهرة، بل إنها تجد وتعمل في مناحي الخدمة العامة فتبني أنديتها، وكثير منها قد بنى داره وأصبحت ملكًا خالصًا له خاصًّا به، وكثير منها كذلك قام بكثير من المشروعات الخيرية والاقتصادية والاجتماعية، وجميعها دائمة النشاط جمة الإنتاج، كما أن صلة المكتب بفروعه[2] وهيئاته المختلفة ليست صلة الرئيس بالمرءوس، وليست صلة الإدارة البحتة والإشراف العلمي فقط، ولكنها صلة فوق ذلك كله: صلة الروح أولاً، وصلة أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض، وصلة التزاور في الله، فدعاة الإخوان يزورون إخوانهم، ويختلطون بهم، ويعرفون أهم ما يتصل بحياتهم وشئونهم الخاصة

(١) في الأصل: «الأمم» وهو تصحيف.
(٢) في الأصل: «لفروعه».

والعامة، ولم يتوفر ذلك لهيئة من الهيئات القائمة فيما أعلم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

أيها الإخوان:

لا أكتمكم أني مزهو بهذه الوحدة الإخوانية الصادقة، فخور بهذا الارتباط الرباني القوي المتين، عظيم الأمل في المستقبل، ما دمتم كذلك إخوة في الله متحابين متعاونين، فاحرصوا على هذه الوحدة فإنها سلاحكم وعدتكم.

وإن كثيرًا من الناس ليتساءل: ومن أين يقوم الإخوان المسلمون بنفقات هذه الدعوة، وهي نفقات كثيرة تعجز الأغنياء فضلاً عن الفقراء؟

ألا فليعلم هؤلاء وليعلموا غيرهم أن الإخوان المسلمين لا يبخلون على دعوتهم يومًا من الأيام بقوت أولادهم وعصارة دمائهم وثمن ضرورياتهم، فضلاً عن كمالياتهم والفائض من نفقاتهم، وأنهم يوم حملوا هذا العبء عرفوا جيدًا أنها دعوة لا ترضى بأقل من الدم والمال، فخرجوا عن ذلك كله لله، وفقهوا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، فقبلوا البيع وقدموا البضاعة عن رضًا وطيب نفس، معتقدين أن الفضل كله لله، فاستغنوا بما في أيديهم عما في أيدي الناس، ومنحهم الله البركة في القليل فأنتج الكثير.

إلى الآن -أيها الإخوان- لم يمنح مكتب الإرشاد العام إعانة واحدة من حكومة أيًا كانت، وهو يباهي ويفاخر ويتحدى الناس جميعًا أن يقول أحدهم: إن هذا المكتب قد دخل خزانته قرش واحد من غير جيوب أعضائه، ولسنا نريد إلا هذا، ولن نقبل إلا من عضو أو من محب، ولن نعتمد على الحكومات في شيء، ولا تجعلوا في ترتيبكم ولا منهاجكم ذلك، ولا تنظروا إليه ولا تعملوا له، ﴿وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

تلك -أيها الإخوان- بعض خصائص دعوتكم، انتهزت هذه الفرصة لأتحدث إليكم عنها، وأنتقل بعد ذلك إلى ناحية هامة من نواحي الدعوة قد يلتبس الأمر في موقف الإخوان منها على كثير من الناس، وربما خفي على بعض الإخوان أنفسهم حتى نحدد معًا ونكشف معًا ما عسى أن يكون من إبهام.

من منهاج الإخوان المسلمين:

الغاية والوسيلة:

أظنكم -أيها الإخوة الفضلاء- قد عرفتم من هذا الحديث الطويل غاية الإخوان ووسيلتهم ومهمتهم تمامًا.

إنَّ غاية الإخوان تنحصر في «تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح، يعمل على صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة في كل مظاهر حياتها: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، وأن وسيلتهم في ذلك تنحصر في «تغيير العرف العام، وتربية أنصار الدعوة على هذه التعاليم حتى يكونوا قدوة لغيرهم في التمسك بها، والحرص عليها، والنزول على حكمها»؛ وأنهم ساروا إلى غايتهم في حدود وسيلتهم، فوصلوا إلى درجة من النجاح يطمئنون إليها، ويحمدون الله عليها، وأظنني لست في حاجة إلى مزيد شرح أو بيان في هذه الناحية.

الإخوان والقوة والثورة:

ويتساءل كثير من الناس: هل في عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم؟ وهل يفكر الإخوان المسلمون في إعداد ثورة عامة على النظام السياسي أو النظام الاجتماعي في مصر؟

ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين في حيرة، بل إني أنتهز هذه الفرصة فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا السؤال في وضوح وفي جلاء، فليسمع من يشاء:

أما القوة فشعار الإسلام في كل نظمه وتشريعاته، فالقرآن الكريم ينادي في وضوح وجلاء: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والنبي ﷺ يقول: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف»[١]، بل إن القوة شعار الإسلام حتى في الدعاء وهو مظهر الخشوع والمسكنة، واسمع ما كان يدعو به النبي ﷺ في خاصة نفسه، ويعلمه أصحابه، ويناجي به ربه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الهَمّ وَالحَزَنِ،

---

(١) سبق تخريجه.

وَأعوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأعوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ والْبُخْلِ، وَأعوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ»[١]، ألا ترى في هذه الأدعية أنه قد استعاذ بالله من كل مظهر من مظاهر الضعف: ضعف الإرادة بالهم والحزن، وضعف الإنتاج بالعجز والكسل، وضعف الجيب والمال بالجبن والبخل، وضعف العزة والكرامة بالدين والقهر؟ فماذا نريد من إنسان يتبع هذا الدين إلا أن يكون قويًّا في كل شيء، شعاره القوة في كل شيء؟ فالإخوان المسلمون لابد أن يكونوا أقوياء، ولابد أن يعملوا في قوة.

ولكن الإخوان المسلمين أعمق فكرًا، وأبعد نظرًا من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر، فلا يغوصوا إلى أعماقها، ولا يزنوا نتائجها، وما يقصد منها ويراد بها، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعًا، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام، أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان، فسيكون مصيرها الفناء والهلاك.

هذه نظرة، ونظرة أخرى: هل أوصى الإسلام -والقوة شعاره- باستخدام القوة في كل الظروف والأحوال، أم حدد لذلك حدودًا، واشترط شروطًا، ووجه القوة توجيهًا محدودًا؟

ونظرة ثالثة: هل تكون القوة أول علاج، أم أن آخر الدواء الكي؟ وهل من الواجب أن يوازن الإنسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف، أم من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون؟

هذه نظرات يلقيها الإخوان المسلمون على أسلوب استخدام القوة قبل أن يقدموا عليه، والثورة أعنف مظاهر القوة، فنظر الإخوان المسلمين إليها أدق وأعمق، وبخاصة في وطن كمصر جرب حظه في الثورات فلم يجن من ورائها إلا ما تعلمون.

وبعد كل هذه النظرات والتقديرات أقول لهؤلاء المتسائلين: إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة

---

(١) أخرجه البخاري بنحوه في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «مَنْ غَزَا بِصَبِي لِلْخِدْمَةِ»، ح(٢٦٧٩) ومواضع أخر، وأبو داود في «الصَّلاةِ»، باب: «فِي الاسْتِعَاذَةِ»، ح(١٣٣٠) واللفظ له.

الإيمان والوحدة، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء، وسينذرون أولاً، وينتظرون بعد ذلك، ثم يقدمون في كرامة وعزة، ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح.

أما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يصارحون كل حكومة في مصر بأن الحال إذا دامت على هذا المنوال ولم يفكر أولو الأمر في إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذه المشاكل، فسيؤدي ذلك حتمًا إلى ثورة ليست من عمل الإخوان المسلمين، ولا من دعوتهم، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال، وإهمال مرافق الإصلاح، وليست هذه المشاكل التي تتعقد بمرور الزمن، ويستفحل أمرها بمضي الأيام إلا نذيرًا من هذه النذر، فليسرع المنقذون بالأعمال.

الإخوان المسلمون والحكم:

ويتساءل فريق آخر من الناس: هل في منهاج الإخوان المسلمين أن يكونوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم؟ وما وسيلتهم إلى ذلك؟ ولا أدع هؤلاء المتسائلين أيضًا في حيرة، ولا نبخل عليهم بالجواب.

الإخوان المسلمون يسيرون في جميع خطواتهم وآمالهم وأعمالهم على هدي الإسلام الحنيف كما فهموه، وكما أبانوا عن فهمهم هذا في أول هذه الكلمة. وهذا الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنًا من أركانه، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد، وقديمًا قال الخليفة الثالث ﷺ: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»[1].

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»، (٢/ ٢٢٤) فقال: «أخبرنا أبو بكر البرقاني، أخبرنا أحمد بن الحسين الهمذاني أبو حامد، حدثنا أحمد بن الحارث بن محمد بن عبد الكريم، حدثنا جدي محمد، حدثنا الهيثم ابن عدي، حدثنا عبيد الله بن عمر بن نافع، عن ابن عمر قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما يزع الله بالسلطان أعظم مما يزع بالقرآن»، وذكر آخرون أنه لأمير المؤمنين عثمان وهم الأعم الأغلب كابن تيمية في «مجموع الفتاوى»، (٣/ ١٨)، وابن كثير في «البداية والنهاية»، (٢/ ١٢)، وذهب آخرون إلى نسبته لرسول الله ﷺ كالماوردي في «أدب الدنيا والدين»، ص(١٦٣)، وعزاه أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني في «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»، (١/ ٤٧٧) إلى الحسن بن أبي الحسن البصري.

وقد جعل النبي ﷺ الحكم عروة من عرى الإسلام[1]. والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول، لا من الفقهيات والفروع، فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء، لا ينفك واحد منها عن الآخر. والمصلح الإسلامي إن رضي لنفسه أن يكون فقيهًا مرشدًا يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ويسرد الفروع والأصول، وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله، ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره، فان النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة في واد، ونفخة في رماد كما يقولون.

قد يكون مفهومًا أن يقنع المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ إصغاء لأوامر الله وتنفيذًا لأحكامه وانصياعًا لآياته وأحاديث نبيه ﷺ، أما والحال كما نرى: التشريع الإسلامي في واد والتشريع الفعلي والتنفيذي في واد آخر، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف.

هذا كلام واضح لم نأت به من عند أنفسنا، ولكنا نقرر به أحكام الإسلام الحنيف.

وعلى هذا فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل العبء، وأداء هذه الأمانة، والحكم بمنهاج إسلامي قرآني فهم جنوده وأنصاره وأعوانه، وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم، وسيعملون لاستخلاصه من أيدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله.

ومع هذا فالإخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال، فلابد من فترة تنشر فيها مبادئ الإخوان وتسود، ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

وكلمة لابد أن نقولها في هذا الموقف: هي أن الإخوان المسلمين لم يروا في حكومة

---

(١) يشير ﷺ للحديث الذي أخرجه أحمد في «باقي مُسْنَدِ الأَنْصَارِ»، ح(٢١١٣٩)، والحاكم في «المستدرك»، ح(٧١٢٢)، ولفظه كما عند أحمد: «لَيُنْقَضَنَّ عُرَى الإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»، وقال الحاكم: «عبد العزيز هذا هو: ابن عبيد الله بن حمزة ابن صهيب، وإسماعيل هو: ابن عبيد الله بن المهاجر، والإسناد كله صحيح ولم يخرجاه»، وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع»، ح(٥٠٧٥).

من الحكومات التي عاصروها، ولا الحكومة القائمة، ولا الحكومة السابقة، ولا غيرهما من الحكومات الحزبية من ينهض بهذا العبء، أو من يبذي الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية، فلتعلم الأمة ذلك، ولتطالب حكامها بحقوقها الإسلامية، وليعمل الإخوان المسلمون.

وكلمة ثانية: إنه ليس أعمق في الخطأ من ظن بعض الناس أن الإخوان المسلمين كانوا في أي عهد من عهود دعوتهم مطية لحكومة من الحكومات، أو منفذين لغاية غير غايتهم، أو عاملين على منهاج غير منهاجهم، فليعلم ذلك من لم يكن يعلمه من الإخوان ومن غير الإخوان.

الإخوان المسلمون والدستور المصري:

ويتساءل كذلك فريق من الناس: ما موقف الإخوان المسلمين من الدستور المصري؟ ولاسيما بعد أن كتب الأخ صالح أفندي عشماوي[1] رئيس تحرير مجلة «النذير» في هذا الموضوع، وتناولت كتابته صحيفة (مصر الفتاة) بالنقد والموازنة، وهذه فرصة طيبة أتحدث إلى حضراتكم فيها عن رأي الإخوان المسلمين وموقفهم من الدستور المصري، وأحب قبل هذا أن نفرق دائمًا بين (الدستور) وهو نظام الحكم العام الذي ينظم حدود

---

(١) ولد الأستاذ صالح عشماوي بالقاهرة في ٢٤ديسمبر ١٩١٠م وحفظ القرآن الكريم، وتدرج في التعليم حتى تخرج في كلية التجارة العليا سنة ١٩٣٢م، وظف في بنك مصر لمدة سنة واحدة ثم تركه لتعامله بالربا ومنعه الإجازة الأسبوعية يوم الجمعة، واشتغل بالأعمال الحرة، واتصل بدعوة الإخوان عام ١٩٣٧م. ووقع عليه اختيار الإمام البنا ليكون رئيسًا لتحرير «النذير»، ثم أسند إليه رئاسة النظام الخاص عام ١٩٤١م، وأصبح عضوًا في مكتب الإرشاد، ثم وكيلاً للجماعة، وكان في مقدمة المعتقلين بعد حل الإخوان المسلمين في ٨ ديسمبر ١٩٤٨م إبان حكم محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء في تلك الفترة وخرج من معتقله مع بقية إخوانه عام ١٩٥٠م، وعمل على إعادة رجوع الجماعة إلى العمل مرة أخرى، واختلف مع المستشار الهضيبي المرشد الثاني للإخوان، وفصل من الجماعة، وعاد إليها بعدما وضحت أمامه حقيقة النظام الناصري، ويعتبر بحق رائد الصحافة الإسلامية، وقد وضع مجلة (الدعوة) تحت تصرف الإخوان بعد خروجهم من السجون سنة ١٩٧٤م، وظلت مجلة (الدعوة) لسان حال الإخوان المسلمين إلى أن عُطلت سنة ١٩٨١م. توفي الأستاذ صالح عشماوي بعد كفاح طويل وعمل متواصل لأكثر من نصف قرن لخدمة الدعوة الإسلامية بلسانه وقلمه في يوم الإثنين الثامن من ربيع الأول ١٤٠٤هـ الموافق الثاني عشر من ديسمبر ١٩٨٣م.

السلطات، وواجبات الحاكمين، ومدى صلتهم بالمحكومين، وبين (القانون) وهو الذي ينظم صلة الأفراد بعضهم ببعض، ويحمي حقوقهم الأدبية والمادية، ويحاسبهم على ما يأتون من أعمال.

وأستطيع بعد هذا البيان أن أجلي لكم موقفنا من نظام الحكم الدستوري عامة، ومن الدستور المصري خاصة:

الواقع -أيها الإخوان- أن الباحث حين ينظر إلى مبادئ الحكم الدستوري التي تتلخص في المحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها، وعلى الشورى واستمداد السلطة من الأمة، وعلى مسئولية الحكام أمام الشعب ومحاسبتهم على ما يعملون من أعمال، وبيان حدود كل سلطة من السلطات، هذه الأصول كلها يتجلى للباحث أنها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده في شكل الحكم.

ولهذا يعتقد الإخوان المسلمون أن نظام الحكم الدستوري هو أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام، وهم لا يعدلون به نظامًا آخر.

بقي بعد ذلك أمران:

أولهما: النصوص التي تصاغ في قالبها هذه المبادئ، وطريقة التطبيق التي تفسر بها عمليًا هذه النصوص.

إن المبدأ السليم القويم قد يوضع في نص مبهم غامض، فيدع مجالاً للعبث بسلامة المبدأ في ذاته، وإن النص الظاهر الواضح للمبدأ السليم القويم قد يطبق وينفذ بطريقة يمليها الهوى وتوحيها الشهوات، فيذهب هذا التطبيق بكل ما يرجى من فائدة.

وإذا تقرر هذا فإن من نصوص الدستور المصري ما يراه الإخوان المسلمون مبهمًا غامضًا يدع مجالاً واسعًا للتأويل والتفسير الذي تمليه الغايات والأهواء، فهي في حاجة إلى وضوح وإلى تحديد وبيان هذه واحدة.

والثانية: هي أن طريقة التنفيذ التي يطبق بها الدستور، ويتوصل بها إلى جني ثمرات الحكم الدستوري في مصر، طريقة أثبتت التجارب فشلها، وجنت الأمة منها الأضرار لا المنافع، فهي في حاجة شديدة إلى تحوير وإلى تعديل يحقق المقصود ويفي بالغاية.

وحسبنا أن نشير هنا إلى قانون الانتخاب، وهو وسيلة اختيار النواب الذين يمثلون

إرادة الأمة، ويقومون بتنفيذ دستورها وحمايته، وما جره هذا القانون على الأمة من خصومات وحزازات، وما أنتجه من أضرار يشهد به الواقع الملموس، ولابد أن تكون فينا الشجاعة الكافية لمواجهة الأخطاء والعمل على تعديلها.

لهذا يعمل[1] الإخوان المسلمون جهدهم حتى تحدد النصوص المبهمة في الدستور المصري، وتعدل الطريقة التي ينفذ بها هذا الدستور في البلاد، وأظن أن موقف الإخوان قد وضح بهذا البيان، وردت الأمور إلى نصابها الصحيح.

إن الأخ صالح أفندي قد أراد أن يعبر في مقاله الأول عن وجهة النقد التي يراها الإخوان فاحتد واشتد، ولما نبهناه إلى أن هذا ليس موقفنا في الواقع، فنحن نسلم بالمبادئ الأساسية للحكم الدستوري باعتبارها متفقة، بل مستمدة من نظام الإسلام، وإنما ننقد الإبهام وطرائق الإنفاذ، أراد أن يعبر عن ذلك ويقر الأمر في وضعه الطبيعي بالنسبة للإخوان فتساهل ولان، وهو في كلا الموقفين مأجور، فالخير أراد، ونية[2] المرء خير من عمله، ونحن نشكر الذين أخذوا على الأخ صالح أفندي هذا الموقف، ولا يضره فيما أعتقد أن يستفيد من هذا التنبيه فيؤثر الاعتدال في كل حال، وأعتقد أنه لا مجال لقول بعد هذا البيان، أما الأمثلة التفصيلية والأدلة الوافية ووصف طرائق العلاج والإصلاح ففي رسالة خاصة إن شاء الله.

الإخوان المسلمون والقانون:

قدمت أن الدستور شيء والقانون شيء آخر، وقد أبنت عن موقف الإخوان من الدستور، وأبين لحضراتكم الآن عن موقفهم من القانون.

إن الإسلام لم يجئ خلوًا من القوانين، بل هو قد أوضح كثيرًا من أصول التشريع وجزئيات الأحكام، سواء أكانت مادية أم جنائية، أم تجارية أم دولية، والقرآن والأحاديث فياضة بهذه المعاني، وكتب الفقهاء غنية كل الغنى بكل هذه النواحي، وقد اعترف الأجانب أنفسهم بهذه الحقيقة، وأقرها مؤتمر لاهاي الدولي[3] أمام ممثلي الأمم من رجال القانون في العالم كله.

---

(١) في الأصل: «تعمل».
(٢) في الأصل: «نية».
(٣) كان هذا المؤتمر الدولي سنة ١٩٣٢م.

فمن غير المفهوم ولا المعقول أن يكون القانون في أمة إسلامية متناقضًا مع تعاليم دينها وأحكام قرآنها وسنة نبيها، مصطدمًا كل الاصطدام بما جاء عن الله ورسوله، وقد حذر الله نبيه ﷺ ذلك من قبل، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۞ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠]، وذلك بعد قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ -والظَّالِمُونَ- والْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٤، ٤٥، ٤٧]، فكيف يكون موقف المسلم الذي يؤمن بالله وكلماته إذا سمع هذه الآيات البينات، وغيرها من الأحاديث والأحكام، ثم رأى نفسه محكومًا بقانون يناقضها ويصطدم معها؟ فإذا طالب بالتعديل قيل له: إن الأجانب لا يرضون بهذا ولا يوافقون عليه، ثم يقال بعد هذا الحجر والتضييق: إن المصريين مستقلون، وهم لم يملكوا بعد أن يتمتعوا بحرية الدين، وهي أقدس الحريات.

على أن هذه القوانين الوضعية كما تصطدم بالدين ونصوصه تصطدم بالدستور الوضعي نفسه الذي يقرر أن دين الدولة هو الإسلام، فكيف نوفق بين هذين يا أولي الألباب؟

وإن الله ورسوله قد حرم الزنا، وحظر الربا، ومنع الخمور، وحارب الميسر، وجاء القانون يحمي الزانية والزاني، ويلزم بالربا، ويبيح الخمر، وينظم القمار، فكيف يكون موقف المسلم بينهما؟ أيطيع الله ورسوله، ويعصي الحكومة وقانونها والله خير وأبقى؟ أم يعصي الله ورسوله ويطيع الحكومة فيشقى في الآخرة والأولى؟ نريد الجواب على هذا من رفعة رئيس الحكومة[1]، ومعالي وزير العدل[2]، ومن علمائنا الفضلاء الأجلاء.

أما الإخوان المسلمون؛ فهم لا يوافقون على هذا القانون أبدًا، ولا يرضونه بحال، وسيعملون بكل سبيل على أن يحل مكانه التشريع الإسلامي العادل الفاضل في نواحي

---

(١) هو محمد محمود باشا.

(٢) هو أحمد محمد خشبة باشا.

القانون، ولسنا هنا في مقام الرد على ما يقال في هذه الناحية من شبهات أو [ما][1] يعترض سبيلها من توهم العقبات، ولكنا في مقام بيان موقفنا الذي عملنا وسنعمل عليه متخطين في سبيله كل عقبة موضحين كل شبهة ﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾ [الأنفال: ٣٩].

لقد تقدم الإخوان المسلمون إلى معالي وزير العدل بمذكرة ضافية[2] في هذا الموضوع، ولقد حذروا الحكومة في نهايتها من إحراج الناس هذا الإحراج، فالعقيدة أثمن ما في الوجود، وسوف يعاودون الكرّة، وسوف لا يكون ذلك آخر مجهودهم، ﴿وَيَأْبَى اللهُ إلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

موقف الإخوان المسلمين من الوحدة القومية والعربية والإسلامية:

كثيرًا ما تتوزع أفكار الناس في هذه النواحي الثلاث: الوحدة القومية، والوحدة العربية، والوحدة الإسلامية، وقد يضيفون إلى ذلك الوحدة الشرقية، ثم تنطلق الألسنة والأفكار بالموازنة بينها، وإمكان تحققها، أو صعوبة ذلك الإمكان، ومبلغ الفائدة أو الضرر منها والتشيع لبعضها دون البعض الآخر.

فما موقف الإخوان المسلمين من هذا الخليط من الأفكار والمناحي، ولاسيما وكثير من الناس يغمزون الإخوان المسلمين في وطنيتهم، ويعتبرون تمسكهم بالفكرة الإسلامية مانعًا إياهم من الإخلاص للناحية الوطنية؟

والجواب على هذا: أننا لن نحيد عن القاعدة التي وضعناها أساسا لفكرتنا، وهي السير على هدي الإسلام، وفي ضوء تعاليمه السامية، فما موقف الإسلام نفسه من هذه النواحي؟

إن الإسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص منها أن يعمل كل إنسان لخير بلده، وأن يتفانى في خدمته، وأن يقدم أكبر ما يستطيع من الخير للأمة التي يعيش فيها، وأن يقدم في ذلك الأقرب فالأقرب رحمًا وجوارًا حتى أنه لم يجز أن تنقل الزكوات أبعد من

---

(١) زيادة ليستقيم المعنى.

(٢) ثوب ضاف: سابغ. ومن المجاز: له نعمة ضافية. وديمة ضافية أخصبت لها الأرض. وضفا الحوض فهو ضاف: فاض من جوانبه. وضفا ماله: كثر واتسع [أساس البلاغة، مادة (ضفو)].

مسافة القصر -إلا لضرورة- إيثارًا للأقربين بالمعروف، فكل مسلم مفروض عليه أن يسد الثغرة التي هو عليها، وأن يخدم الوطن الذي نشأ فيه، ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنية، وأعظمهم نفعًا لمواطنيه؛ لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين، وكان الإخوان المسلمون أشد الناس حرصًا على خير وطنهم، وتفانيًا في خدمة قومهم، وهم يتمنون لهذه البلاد العزيزة المجيدة كل عزة ومجد، وكل تقدم ورقي، وكل فلاح ونجاح، وبخاصة وقد انتهت إليها رياسة الأمم الإسلامية بحكم ظروف كثيرة تضافرت على هذا الوضع الكريم، وإن حب المدينة لم يمنع رسول الله ﷺ أن يحن إلى مكة، وأن يقول لأصيل، وقد أخذ يصفها: «**يا أصيل، دع القلوب تقر**»[1]، وأن يجعل بلالاً يهتف من قرارة نفسه:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يومًا مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

فالإخوان المسلمون يحبون وطنهم، ويحرصون على وحدته القومية بهذا الاعتبار، ولا يجدون غضاضة على أي إنسان يخلص لبلده، وأن يفنى في سبيل قومه، وأن يتمنى لوطنه كل مجد وكل عز وفخار، هذا من وجهة القومية الخاصة.

ثم إن هذا الإسلام الحنيف نشأ عربيًّا، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين، وقد جاء في الأثر: «**إذا ذل العرب ذل الإسلام**»[2]، وقد تحقق هذا المعنى حين دال سلطان العرب السياسي وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم[3] ومن إليهم، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه.

وأحب هنا أن ننبه إلى أن الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة، كما عرفها النبي ﷺ، فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: «**ألا إن العربية اللسان، ألا إن العربية**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) هم الشعوب الذين يسكنون الجنوب الغربي من شاطئ بحر الخزر (قزوين حاليًا)، ولم يكونوا من العنصر الفارسي.

اللسان»[١].

ومن هنا كانت وحدة العرب أمرًا لابد منه لإعادة مجد الإسلام[٢] وإقامة دولته وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها، وهذا هو موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية.

بقي علينا أن نحدد موقفنا من الوحدة الإسلامية، والحق أن الإسلام كما هو عقيدة وعبادة هو وطن وجنسية، وأنه قضى على الفوارق النسبية بين الناس، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، والنبي ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم»[٣]، و«المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»[٤].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، (٢٤/ ٢٢٥)، فقال: أخبرنا أبو الفرج قوام بن زيد بن عيسى وأبو القاسم بن السمرقندي قالا: أنا أحمد بن محمد بن النقور، قالوا: أنا أبو الحسن علي بن عمر بن محمد الحربي السكري، ثنا أحمد بن الحسن بن هارون، نا العلاء بن سالم، نا قرة بن عيسى الواسطي، نا أبو بكر الهذلي، عن مالك بن أنس، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي، فقال: هؤلاء الأوس والخزرج قاموا بنصرة هذا الرجل، فما بال هؤلاء؟ قال: فقام معاذ، فأخذ بتلبيبه حتى أتى به النبي ﷺ فأخبره بمقالته، فقام رسول الله ﷺ مغضبًا يجر رداءه حتى دخل المسجد، ثم نودي الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يا أيها الناس، إن الرب رب واحد، وإن الأب أب واحد، وإن الدين دين واحد، ألا وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم، إنما هي لسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي»، فقال معاذ وهو آخذ بتلبيبه: يا رسول الله، ما تقول في هذا المنافق؟ فقال: «دعه إلى النار»، قال: فكان فيمن ارتد، فقتل في الردة. وقال: «هذا حديث مرسل، وهو مع إرساله غريب، تفرد به أبو بكر سلمى بن عبد الله الهذلي البصري، ولم يروه عنه إلا قرة». وقال ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم»، (١/ ٣٥٩): «هذا الحديث ضعيف، وكأنه مركب على مالك، لكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح من بعض الوجوه»، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة»، ح(٩٢٦): «ضعيف جدًّا».

(٢) في الأصل: «الأحياء».

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أبو داود في «الْجِهَادِ»، باب: «فِي السَّرِيَّةِ تَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الْعَسْكَرِ»، ح(٢٣٧١)، وابن ماجه في «الدِّيَاتِ»، باب: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ»، ح(٢٦٧٣)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٢٧٥١).

فالإسلام -والحالة هذه- لا يعترف بالحدود الجغرافية، ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية، ويعتبر المسلمين جميعًا أمة واحدة، ويعتبر الوطن الإسلامي وطنًا واحدًا مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده.

وكذلك الإخوان المسلمون يقدسون هذه الوحدة، ويؤمنون بهذه الجامعة، ويعملون لجمع كلمة المسلمين، وإعزاز أخوة الإسلام، وينادون بأن وطنهم هو كل شبر أرض فيه مسلم يقول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وما أروع ما قال في هذا المعنى شاعر من شعراء الإخوان:

ولست أدري سوى الإسلام لي وطنًا ... الشام فيه ووادي النيل سيان

وكلما ذكر اسم الله في بلد ... عددت أرجاءه من لب أوطاني[1]

يقول بعض الناس: إن ذلك يناقض تيار الفكرة السائدة في العالم: فكرة التعصب للأجناس والألوان، والعالم الآن تجترفه موجة القوميات الجنسية، فكيف تقفون أمام هذا التيار، وكيف تخرجون على ما اتفق عليه الناس؟

وجواب ذلك: أن الناس مخطئون، وإن نتائج خطئهم في ذلك ظاهرة ملموسة في إقلاق راحة الأمم، وتعذيب ضمائر الشعوب مما لا يحتاج إلى برهان، وليست مهمة الطبيب أن يجاري المرضى، ولكن أن يعالجهم، وأن يهديهم سواء السبيل، وتلك مهمة الإسلام ومن وصل دعوته بالإسلام.

ويقول آخرون: إن ذلك غير ممكن، والعمل له عبث لا طائل تحته، ومجهود لا فائدة منه، وخير للذين يعملون لهذه الجامعة أن يعملوا لأقوامهم ويخدموا أوطانهم الخاصة بجهودهم.

والجواب على هذا: أن هذه لغة الضعف والاستكانة، فقد كانت هذه الأمم مفرقة من قبل، متخالفة في كل شيء: في الدين، واللغة، والمشاعر، والآمال، والآلام، فوحدها الإسلام وجمع قلوبها على كلمة سواء، ولا زال الإسلام كما هو بحدوده ورسومه، فإذا وجد من أبنائه من ينهض بعبء الدعوة إليه وتجديده في نفوس المسلمين، فإنه يجمع هذه

(١) البيتان للأستاذ عبد الحكيم عابدين في ديوان «البواكير»، ص(٣١)، وهما من بحر البسيط، من قصيدة بعنوان: «بين القاهرة وبغداد».

الأمم جميعًا من جديد كما جمعها من قديم، والإعادة أهون من الابتداء، والتجربة أصدق دليل على الإمكان.

يهتف بعض الناس بعد هذا بالوحدة الشرقية، وأظن أنه لم يثر هذه النعرة[١] في نفوس الهاتفين بها إلا تعصب الغربيين لغربهم، وسوء عقيدتهم في الشرق وأبنائه، وهم في ذلك مخطئون، وإذا استمر الغربيون على عقيدتهم هذه فستجر عليهم الوبال والنكال، والإخوان المسلمون لا ينظرون إلى الوحدة الشرقية إلا من خلال هذه العاطفة فقط، والشرق والغرب عندهم سيان إذا استوى موقفهما من الإسلام، وهم لا يزنون الناس إلا بهذا الميزان.

وضح إذًا أن الإخوان المسلمين يحترمون قوميتهم الخاصة باعتبارها الأساس الأول للنهوض المنشود، ولا يرون بأسًا بأن يعمل كل إنسان لوطنه، وأن يقدمه في الوطن على سواه، ثم هم بعد ذلك يؤيدون الوحدة العربية باعتبارها الحلقة الثانية في هذا النهوض، ثم هم يعملون للجامعة الإسلامية باعتبارها السياج[٢] الكامل للوطن الإسلامي العام، ولي أن أقول بعد هذا: إن الإخوان يريدون الخير للعالم كله، فهم ينادون بالوحدة العالمية؛ لأن هذا هو مرمى الإسلام وهدفه ومعنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وأنا في غنى بعد هذا البيان أن أقول: إنه لا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار، وبأن كلاً منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها، فإذا أراد أقوام أن يتخذوا من المناداة بالقومية الخاصة سلاحًا يميت الشعور بما عداها، فالإخوان المسلمون ليسوا معهم، ولعل هذا هو الفارق بيننا وبين كثير من الناس.

الإخوان المسلمون والخلافة:

ولعل من تمام هذا البحث أن أعرض لموقف الإخوان المسلمين من الخلافة وما يتصل بها، وبيان ذلك أن الإخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير في أمرها، والاهتمام بشأنها، والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله، ولهذا قدم الصحابة -

(١) النُّعَرَةُ: يقال: في فلان نُعَرَةٌ: كِبْرٌ وخُيَلاءُ وعصبية. [المعجم الوجيز، ص(٦٢٤)].

(٢) السِّياجُ: الحظيرة من الشجر تجعل حول الكرم والبستان. [اللسان، مادة (سيج)].

رضوان الله عليهم- النظر في شأنها على النظر في تجهيز النبي ﷺ ودفنه، حتى فرغوا من تلك المهمة، واطمأنوا إلى إنجازها.

والأحاديث التي وردت في وجوب نصب الإمام، وبيان أحكام الإمامة وتفصيل ما يتعلق بها، لا تدع مجالاً للشك في أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير في أمر خلافتهم منذ حورت عن مناهجها، ثم ألغيت بتاتًا إلى الآن[١].

(١) ورد في مقال تحت عنوان: «على هامش خطاب فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين في المؤتمر الخامس» ما يلي: «حملنا حبنا للمبدأ القويم الذي يحمل لواءه فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين على تذليل كل صعب وتحقير كل عقبة تعوقنا عن حضور هذا المؤتمر العظيم.

ولقد تم لنا بتوفيق الله ما أردنا وأسعدنا الحظ بحضوره وتلك نعمة منها الله علينا. ولقد كان الخطاب بيانا شاملا شافيا وضح الغموض وشرح كل لبس وإبهام ويحق لنا أن نقول بحق إنه يعتبر برنامجا للإخوان المسلمين بل لمصر أجمع بحسب دينها الرسمي بل لدول الإسلام والعرب بل للدنيا والآخرة في آن واحد. إذ لا يعتبر الإخوان المسلمون حزبا من الأحزاب ولا مملكة من الممالك وإنما هم فكرة إعادة مجد الإسلام في صورته السمحاء التي تركه عليها صاحبه ﷺ. وهذه الدعوة ليست ملكا لمصر دون غيرها من سائر شعوب الإسلام وإن نبتت فيها، بل حامل لوائها هو في الحقيقة رجل الإسلام كله كما كان الرسول الأعظم ﷺ رجل الإنسانية ورجل العالم. وعلى ذلك ليسمح لي سيدي المرشد أن أتساءل وأنا المخلص لدعوته المباركة ومبدئه الكريم، عما ورد في هذا الخطاب أو البرنامج خاصا بالخلافة الإسلامية مع موافقتي لكل ما ورد في تحليل هذا الموضوع وأن الخلافة هي القوة الروحية التي تربط المسلمين وتعمل على لم شعثهم وأن الخليفة هو مناط الأحكام ورمز قوة المسلمين ليسمح لي سيدي المرشد أن أناقش كلمة «تحوير الخلافة ثم إلغائها» إذ تقول بالنص في أن «من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير في أمر خلافتهم منذ حورت عن مناهجها ثم ألغيت بتاتًا إلى الآن» إني أتساءل كما يتساءل الكثير غيري ممن يعتنقون فكرة الإخوان بدافع الحب في أن يكون برنامجنا صريحا مريحا. هل تقصدون الخلافة التي حورها الأتراك ثم ألغوها أو تقصدون تحويرها بجعلها ملكا عضوضًا بعد الخلفاء الراشدين وإذا قصدتم الأمر الأخير فلم يعقبه في ذلك الحين إلغاء وإذا كنتم تقصدون الأمر الأول وهو تحوير الأتراك لها ثم الإلغاء في ذلك دليل على أنكم كنتم تعتبرون خلافة الأتراك خلافة شرعية لا يجوز لمسلم الخروج عليها بحال من الأحوال وتجب لها جميع خواصها وتنزل خلفاءهم منزلة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي الذين أقاموا الحدود بعد الرسول بعدلهم وإخلاصهم واقتفائهم لأثر الرسول ﷺ أما وقد أضحى الخلفاء بعد الأربعة بالتوارث لا بالصلاحية ولا بالانتخاب وبالقرابة من الخليفة لا بالمميزات الدينية والخلقية مما جعلها تحل في بيت أو أسرة كأسرة بني أمية والعباسيين والفاطميين والأتراك، وقد ثبت أن لبعضهم أخلاقا لا تتفق وما أجمع عليه بل وصريح الدين، والتاريخ يشهد بذلك فقد

والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس منهاجهم، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لابد منها، وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لابد أن تسبقها خطوات:

لابد من تعاون تام ثقافي واجتماعي واقتصادي بين الشعوب الإسلامية كلها، يلي

أصبحت الخلافة أشبه بالملك وفي ذلك ما يتفق وقول الرسول الأعظم ﷺ «الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكا عضوضًا» ومهما كانت درجة هذا الحديث فهو الأمر الواقع.. فضلا عن أن الواجب شرعا أن يكون الخليفة منتخبا انتخابا حرا من سائر المسلمين فأين المسلمون الأحرار الذين يقومون بهذا الانتخاب كما يجب أن يكون انتخابه من سائرهم أو جلهم حتى تكون أوامره نافذة على الجميع وأن يكون المقياس الذي ينتخب على أساسه هو مقدار تنفيذه لقانون الله وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن يقوم إذا خالف هذا القانون من غير أن يرى في ذلك غضاضة عليه كما حصل لعمر بن الخطاب حينما شكر لمن قال له «ولو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناك بسيوفنا» أما وإن معظم المسلمين الآن يرزحون تحت نير الاستعمار الأوروبي متفانين في تنفيذ ما يرسمه لهم ولو كان على غير دينهم. وقد وقع في ذلك نفس خلفاء الترك الذين حور الكماليون خلافتهم وألغوها في آخر الأمر لأنها في نظرهم ليست خلافة شرعية فهل كان السيد المرشد يعتبرها وحالها هكذا خلافة شرعية لها حق الطاعة على سائر المسلمين..

الجواب الآن لفضيلة المرشد ننتظره على صفحات «مجلتنا» راجين من فضيلته أن يعمل على نشر تعليقنا هذا بنصه على صفحات المجلة المذكورة لتطمئن القلوب وتستريح الضمائر ورأيه عندنا حجة وقوله فصل. ألهمنا الله جميعا الهدى والصواب. محمود عثمان المجدي».

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فقد قرأت هذا التعليق وأشكر للأخ الأديب يقظته ودقة ملاحظته والجواب فيما يتعلق بالمقصد أني إنما قصدت التحوير الأول وهو منذ صارت ملكا عضوضًا وهذا وإن كان لم يعقبه إلغاء إلا أن الإلغاء وقع بعد ذلك في آخر الأمر أما خلافة آل عثمان فلم تكن شرعية بالمعنى الكامل فكثير من الشروط كان مفقودا فيها. وإنما تقبلتها الأمة بحكم التغلب وسايرت الخلفاء فيها حتى لا تثار الفتنة، ومعلوم أن هناك طائفة من المؤمنين لم تسلم بحكم آل عثمان حتى في أوج سلطانها وهم أهل اليمن ولا زال الحال عندهم على ذلك إلى الآن والإخوان المسلمون حين يعملون للخلافة يلاحظون تماما وجوب توفير الشروط التي تحفظ كرامتها ووقارها وتجعلها حكما إسلاميًّا حقيقيًّا لا صورة تمثيلية لا غناء معها وإن طال الزمن فلابد في النهاية من النصر. والله المستعان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا..» [النذير، العدد (٤)، السنة الثانية، ٢٢محرم ١٣٥٨هـ- ١٤مارس ١٩٣٩م، ص(١٤-١٥)].

ذلك تكوين الأحلاف[١] والمعاهدات، وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد، وإن المؤتمر البرلماني الإسلامي لقضية فلسطين، ودعوة وفود الممالك الإسلامية إلى لندن للمناداة بحقوق العرب في الأرض المباركة لظاهرتان طيبتان، وخطوتان واسعتان في هذا السبيل، ثم يلي ذلك تكوين عصبة الأمم الإسلامية، حتى إذا استوثق ذلك للمسلمين كان عنه الاجتماع على (الإمام) الذي هو واسطة العقد، ومجتمع الشمل، ومهوى الأفئدة، وظل الله في الأرض[٢].

الإخوان المسلمون والهيئات الإسلامية:

الآن وقد أفصحت عن رأي الإخوان وموقفهم في كثير من المسائل العامة التي تشغل أذهان الأمة في هذه الأوقات، أحب كذلك أن أفصح لحضراتكم عن موقف الإخوان المسلمين من الهيئات الإسلامية في مصر، وذلك أن كثيرًا من محبي الخير يتمنون أن تجتمع هذه الهيئات وتتوحد منها جبهة إسلامية ترمي عن قوس واحدة، ذلك أمل كريم وأمنية عزيزة يتمناها كل محب للإصلاح في هذا البلد.

والإخوان المسلمون يرون هذه الهيئات على اختلاف ميادينها تعمل لنصرة الإسلام، وهم يتمنون لها جميعًا كل النجاح، ولم يفتهم أن يجعلوا من منهاجهم التقرب منها، والعمل على جمعها وتوحيدها حول الفكرة العامة، وقد تقرر هذا في المؤتمر الدوري الرابع للإخوان بالمنصورة وأسيوط في العام الفائت، وأبشركم بأن مكتب الإرشاد حين أخذ يعمل على تنفيذ هذا القرار، وجد روحًا طيبة من كل الهيئات التي اتصل بها وتحدث إليها، مما يبشر بنجاح المسعى مع الزمن -إن شاء الله.

الإخوان والشبان:

كثيرًا ما يرد على أذهان الناس هذا السؤال ما الفرق بين جماعة الإخوان المسلمين وجماعة الشبان؟ ولماذا لا يكونان هيئة واحدة ويعملان على منهاج واحد؟

وأحب قبل الجواب على هذا السؤال أن أؤكد للذين يسرهم وحدة الجهود وتعاون العاملين أن الإخوان والشبان، وبخاصة هنا في القاهرة، لا يشعرون بأنهم في ميدان

---

(١) في الأصل: «الأخلاق».

(٢) يقتبس الإمام ﷺ هذا الكلام من الحديث الذي أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، ح(٧١١٧)، وهو «السلطان ظل الله في الأرض».

منافسة[١]، ولكن في ميدان تعاون قوي وثيق، وأن كثيرًا من القضايا الإسلامية العامة يظهر[٢] فيها الإخوان والشبان شيئًا واحدًا وجماعة واحدة؛ إذ إن الغاية عامة مشتركة وهي العمل لما فيه إعزاز الإسلام وإسعاد المسلمين، وإنما تقع فروق يسيرة في أسلوب الدعوة، وفي خطة القائمين بها وتوجيه جهودهم في كلتا الجماعتين، وإن الوقت الذي ستظهر فيه الجماعات الإسلامية كلها جبهة موحدة[٣] غير بعيد على ما أعتقد، والزمن كفيل بتحقيق ذلك -إن شاء الله.

الإخوان المسلمون والأحزاب:

وبعد أن كشفت عن موقف الإخوان المسلمين من الهيئات الإسلامية أحب -كذلك- أن أكشف عن موقفهم من الأحزاب والهيئات السياسية.

الإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب السياسية المصرية جميعًا قد وجدت في ظروف خاصة، ولدواع أكثرها شخصي لا مصلحي، وشرح ذلك تعلمونه حضراتكم جميعًا.

ويعتقدون كذلك أن هذه الأحزاب لم تحدد براجمها ومناهجها إلى الآن، فكل منها يدعي أنه سيعمل لمصلحة الأمة في كل نواحي الإصلاح، ولكن ما تفاصيل هذه الأعمال، وما وسائل تحقيقها؟ وما الذي أعد من هذه الوسائل، وما العقبات التي ينتظر أن تقف في سبيل التنفيذ، وماذا أعد لتذليلها؟ كل ذلك لا جواب له عند رؤساء الأحزاب وإدارات الأحزاب، فهم قد اتفقوا في هذا الفراغ، كما اتفقوا في أمر آخر هو التهالك على الحكم، وتسخير كل دعاية حزبية، وكل وسيلة شريفة وغير شريفة في سبيل الوصول إليه، وتجريح كل من يحول من الخصوم الحزبيين دون الحصول عليه.

ويعتقد الإخوان كذلك أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم، وأتلفت أخلاقهم، ومزقت روابطهم، وكان لها في حياتهم العامة والخاصة أسوأ الآثار.

ويعتقدون كذلك أن النظام النيابي، بل حتى البرلماني، في غنى عن نظام الأحزاب بصورتها الحاضرة في مصر، وإلا لما قامت الحكومات الائتلافية في البلاد الديمقراطية، فالحجة القائلة بأن النظام البرلماني لا يتصور إلا بوجود الأحزاب حجة واهية، وكثير من

(١) في الأصل: «مناقشة».

(٢) في الأصل: «تظهر».

(٣) في الأصل: «وحدة».

البلاد الدستورية البرلمانية تسير على نظام الحزب الواحد وذلك في الإمكان.

كما يعتقد الإخوان أن هناك فارقًا بين حرية الرأي والتفكير والإبانة والإفصاح والشورى والنصيحة، وهو ما يوجبه الإسلام، وبين التعصب للرأي والخروج على الجماعة، والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام في الأمة وزعزعة سلطان الحكام، وهو ما تستلزمه الحزبية ويأباه الإسلام ويحرمه أشد التحريم، والإسلام في كل تشريعاته إنما يدعو إلى الوحدة والتعاون.

هذه مجمل نظرات الإخوان إلى قضية الحزبية والأحزاب في مصر، وهم لهذا قد طلبوا إلى رؤساء الأحزاب، منذ عام تقريبًا أن يطرحوا هذه الخصومة جانبًا وينضم بعضهم إلى بعض، كما اقترحوا التوسط في هذه القضية على الأميرين الجليلين صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي[1] وصاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون[2].. كما التمسوا من جلالة الملك حل هذه الأحزاب القائمة حتى تندمج جميعًا في هيئة شعبية واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام.

وإذا كانت الظروف لم تساعد في الماضي على تحقيق هذه الفكرة، فإننا نعتقد أن هذا العام كان دليلاً على صدق نظرية الإخوان، وكان مقنعًا لمن كان في شك بأنه لا خير في بقاء هذه الأحزاب، وسيواصل الإخوان جهودهم في هذه السبيل، وسيصلون إلى ما يريدون بتوفيق الله، وبفضل يقظة الأمة، وبتوالي فشل رجال الأحزاب في قيادتها وسيتحقق قطعًا ناموس[3] الله: **﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾** [الرعد: ١٧].

يظن رجال بعض الأحزاب أننا إنما نقصد بهذه التعاليم هدم حزبهم خدمة لغيره من الأحزاب، وجريًا وراء منفعة خاصة، وليس أدل على خطأ هذه النظرية من أن هذا الوهم قد سرى إلى نفوس الأحزاب جميعًا، فكثير من رجال الوفد يتهم الإخوان المسلمين

---

(١) الأمير محمد علي توفيق أحد أفراد الأسرة المالكة التي أسسها محمد علي الكبير وهو ابن عم الملك فاروق، ولد بالقاهرة عام ١٨٧٥م وتوفي عام ١٩٥٤م، وكان وليا للعهد قبل أن ينجب الملك فؤاد ابنه الملك فاروق، وبعد وفاة الملك فؤاد تولى الأمير محمد علي ولاية العهد والوصاية على العرش.

(٢) الأمير عمر طوسون هو الابن الثاني للأمير طوسون بن محمد سعيد بن محمد علي، ولد في مدينة الإسكندرية يوم الأحد الموافق (٥ رجب ١٢٨٩هـ = ٨ من سبتمبر ١٨٧٢م)، وكان من الأمراء المشهود لهم بالثقافة والعلم، وكان من دعاة الإصلاح والتجديد.

(٣) القانون أو الشريعة. [المعجم الوجيز، ص(٦٣٥)].

بأنهم يعملون لمحاربته، وبأنه هو وحده المقصود بهذه النعوت والأوصاف، وبأن الإخوان إنما يحملون الناس على محاربته والانفضاض عنه، وبأنهم إنما يقصدون بذلك خدمة الحكومة وتقوية الأحزاب الممثلة فيها، في الوقت الذي نسمع فيه هذه التهمة بعينها من أحزاب الحكومة أيضًا! فهل هناك دليل أصدق من هذا على أن الإخوان يقفون من الجميع موقفًا واحدًا، يصدرون فيه عن عقيدتهم، ويعملون فيه بوحي من ضمائرهم وإيمانهم؟

أحب أن أقول لإخواننا من دعاة الأحزاب ورجالها: إن اليوم الذي يستخدم فيه الإخوان المسلمون لغير فكرتهم الإسلامية البحتة لم يجئ ولن يجيء أبدًا، وإن الإخوان لا يضمرون لحزب من الأحزاب أيًا كان خصومة خاصة به، ولكنهم يعتقدون من قرارة نفوسهم أن مصر لا يصلحها ولا ينقذها إلا أن تنحل هذه الأحزاب كلها، وتتألف هيئة وطنية عاملة تقود الأمة إلى الفوز وفق تعاليم القرآن الكريم.

وبهذه المناسبة أقول: إن الإخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب، ويعتقدون أنها مسكن لا علاج، وسرعان ما ينقض[1] المؤتلفون بعضهم على بعض، فتعود الحرب بينهم جذعة[2] على أشد ما كانت عليه قبل الائتلاف، والعلاج الحاسم الناجع أن تزول هذه الأحزاب مشكورة فقد أدت مهمتها، وانتهت الظروف التي أوجدتها، ولكل زمان دولة ورجال كما يقولون[3].

الإخوان ومصر الفتاة[4]:

بهذه المناسبة لابد لي من أن أعرض لموقف الإخوان المسلمين من جماعة «مصر

---

(١) في الأصل: «ينتقض».

(٢) إذا طَفِئَتِ الحربُ من القوم يقال: إن شئتم أعدناها جَذَعَة، أي: أول ما يُبْتَدَأ بها. [العين، (جذع)].

(٣) هذا النص مقتبس من قول إسحاق الموصلي من الكامل:

يبقى الثَّناءُ وتَذهبُ الأموالُ   ولكلِّ دهرٍ دولةٌ ورجالُ

(٤) تأسست جماعة مصر الفتاة في ٢١أكتوبر ١٩٣٣م، وقد رأسه أحمد حسين المحامي، وضم في عضويته فتحي رضوان وإبراهيم شكري ونور الدين طراف، وكان شعارها: (الله.. الوطن.. الملك)، وكان هدفها أن تصبح مصر فوق الجميع، وأن تتألف من مصر والسودان، تم تغيير اسمها عام ١٩٤٩م إلى الحزب الاشتراكي، وقد اتهم زعيمها أحمد حسين بحريق القاهرة الذي حدث في ٢٦ يناير ١٩٥٢م. [انظر: محمود متولي: مصر والحياة الحزبية والنيابية قبل سنة ١٩٥٢م.. دراسة تاريخية وثائقية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠م، ص(١٥٨-١٦٠)].

الفتاة»، لقد تكونت جماعة الإخوان منذ عشر سنين، وتكونت جماعة مصر الفتاة منذ خمس سنين، فجمعية الإخوان تكبر جمعية مصر الفتاة بضعف عمرها تمامًا، ومع هذا لم يجد بعض البارزين في مصر الفتاة مانعًا من أن يقول: إن مصر الفتاة هي التي أظهرت الإخوان المسلمين وعلمتهم طرائق الجهاد، ومع هذا أيضًا شاع في كثير من الأوساط أن جماعة الإخوان من شعب مصر الفتاة، وسبب ذلك أن مصر الفتاة اعتمدت على الدعاية والإعلان في الوقت الذي آثر فيه الإخوان العمل والإنتاج، وما علينا من ذلك كله فسواء علينا أكان الإخوان هم الذين رسموا لمصر الفتاة طريق الجهاد والعمل للإسلام، أم أن مصر الفتاة هي التي أظهرت الإخوان وأبرزتهم للناس، وهم قد ولدوا قبلها وسبقوها إلى الجهاد والميدان بخمس سنوات بمثل عمرها، ذلك أمر نظري لا يقيم له الإخوان وزنًا، ولكن الذي أريد أن أنبه إليه في هذه الكلمة أن الإخوان المسلمين لم يكونوا يومًا من الأيام في صفوف مصر الفتاة ولا عاملين لها، ولا أقصد بذلك أن أنال منها، أو من القائمين بدعوتها، ولكن أقوله تقريرًا للواقع، وأن جريدة مصر الفتاة هاجمت الإخوان، واتهمتهم تهمًا غير صحيحة، وزعمت أنهم يعتدون عليها ويتهمونها، وذلك غير صحيح أيضًا، ونحن معشر الإخوان لم نعلق على ما كتب أهمية، ولا نحب أن نؤاخذ بشيء منه، وأرجو أن يكون ذلك هو شعور الإخوان جميعًا.

وإن كثيرًا من الناس يود أن لو اتحدت جماعة مصر الفتاة مع الإخوان المسلمين، وهذا شعور ما من شك في أنه جميل نبيل، فليس أجمل من الوحدة والتعاون على الخير، ولكن من الأمور ما ليس يفصل فيه إلا الزمن وحده، وفي مصر الفتاة من لا يرى الإخوان إلا جماعة وعظية، وينكر عليهم كل ما سوى ذلك من منهاجهم، وفي الإخوان من يعتقد أن جماعة مصر الفتاة لم ينضج في نفوس كثير من أعضائها بعد المعنى الإسلامي الصحيح نضجًا يؤهلهم للمناداة بدعوة إسلامية خالصة سليمة، فلنترك للزمن أداء مهمته، وإصدار حكمه، وهو خير كفيل بالصقل والتمييز.

وليس معنى هذا أن الإخوان سيحاربون مصر الفتاة، بل إنه ليسرنا أن يوفق كل عامل للخير إلى الخير، ولا يحب الإخوان أن يخلطوا البناء بهدم، وفي ميدان الجهاد متسع للجميع.

ذلك موقفنا من مصر الفتاة مادامت قد أعلنت أنها ليست حزبا سياسيًا، وأنها تعمل وستظل تعمل للفكرة الإسلامية ولمبادئ الإسلام، وفي ذلك في الواقع انتصار جديد لمبادئ الإخوان المسلمين.

بقي أمر أخير ذلك هو موقف الإخوان من مصر الفتاة في قضية تحطيم الحانات، ومعلوم أنه ما من غيور في مصر يتمنى أن يرى فوق أرضها حانة واحدة، وقد كتب الإخوان يلقون تبعة هذا التحطيم على الحكومة قبل الذين فعلوه؛ لأنها هي التي أحرجت شعبها المسلم هذا الإحراج، ولم تفطن إلى ذلك التغيير النفساني، والاتجاه الجديد القوي الذي طرأ عليه من تقديس الإسلام، والاعتزاز بتعاليمه، وقديمًا قيل: (قبل أن نأمر الباكي بالكف عن البكاء، نأمر الضارب بالكف أن يرفع العصا)، ونحن نعتقد أن هذا التحدي لم يحن وقته بعد، ولابد من تخير الظرف المناسب واستخدام منتهى الحكمة فيه، وإنفاذه بصورة أخف ضررًا، وأبلغ في الدلالة على المقصد، من لفت نظر الحكومة إلى واجبها الإسلامي.

وبالرغم من أن المقبوض عليهم لم يعترفوا، فقد وجه الإخوان خطابًا إلى معالي وزير العدل، يلفتون نظر معاليه فيه إلى وجوب النظر إلى هذه القضية نظرة خاصة تتناسب مع الدافع الشريف فيها، وأن يسرع بتشريع يحمي البلاد من هذه المهالك الخلقية.

موقف الإخوان من الدول الأوروبية:

بعد هذا البيان عن موقف الإخوان المسلمين، الذي يمليه عليهم الإسلام، في أهم القضايا الداخلية، يحسن أن أتحدث إلى حضراتكم عن موقفهم في القضايا الإسلامية الخارجية، وعن موقفهم من الدول الأوروبية: الإسلام كما قدمت يعتبر المسلمين أمة واحدة تجمعها العقيدة، ويشارك بعضها بعضًا في الآلام والآمال، وأن أي عدوان يقع على واحدة منها، [أو][1] على فرد من المسلمين فهو واقع عليهم جميعًا.

أضحكني وأبكاني حكم فقهي رأيته عرضًا في كتاب (الشرح الصغير على أقرب المسالك) قال مؤلفه[2]: «مسألة: امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها وافتداؤها ولو أتى ذلك على جميع أموال المسلمين»، ورأيت [مثله][3] قبل ذلك

(١) ناقصة من الأصل.

(٢) هو أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير [١١٢٧-١٢٠١هـ].

(٣) ناقصة من الأصل.

في كتاب (مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر)[١] نقلاً عن كتاب (البحر)[٢] في مذهب الأحناف، رأيت هذا فضحكت وبكيت، وقلت لنفسي: أين عيون هؤلاء الكاتبين لتنظر المسلمين جميعًا في أسر غيرهم من أهل الكفر والعدوان؟

أريد أن أستخلص من هذا أن الوطن الإسلامي واحد لا يتجزأ، وأن العدوان على جزء من أجزائه عدوان عليه كله، هذه واحدة، والثانية أن الإسلام فرض على المسلمين أن يكونوا أئمة في ديارهم، سادة في أوطانهم، بل ليس ذلك فحسب، بل إن عليهم أن يحملوا غيرهم على الدخول في دعوتهم والاهتداء بأنوار الإسلام التي اهتدوا بها من قبل.

ومن هنا يعتقد الإخوان المسلمون أن كل دولة اعتدت وتعتدي على أوطان الإسلام دولة ظالمة لابد أن تكف عدوانها، ولابد من أن يعد المسلمون أنفسهم ويعملوا متساندين متحدين على التخلص من نيرها[٣].

إن إنجلترا لا تزال تضايق مصر رغم محالفتها إياها، ولا فائدة في أن نقول إن المعاهدة نافعة أو ضارة أو ينبغي تعديلها أو يجب إنفاذها فهذا كلام لا طائل تحته والمعاهدة غل في عنق مصر وقيد في يديها ما في ذلك شك، وهل تستطيع أن تتخلص من هذا القيد إلا بالعمل وحسن الاستعداد؟ فلسان القوة هو أبلغ لسان، فلتعمل على ذلك ولتكتسب الوقت إن أرادت الحرية والاستقلال.

وإن إنجلترا لا تزال تسيء إلى فلسطين وتحاول أن تنتقص من حقوق أهلها، وفلسطين وطن لكل مسلم باعتبارها من أرض الإسلام، وباعتبارها مهد الأنبياء، وباعتبارها مقر المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، ففلسطين دين على إنجلترا للمسلمين لا تهدأ ثائرتهم حتى توفيهم فيه حقهم، وإنجلترا تعلم ذلك العلم، وذلك ما حداها إلى دعوة ممثلي البلاد الإسلامية إلى مؤتمر لندن[٤]، وإنا ننتهز هذه الفرصة فنذكرها بأن حقوق العرب لا يمكن أن تنتقص، وبأن هذه الأعمال القاسية التي يدأب ممثلوها على ارتكابها

---

(١) هو لشيخي زاده.

(٢) هو «البحر الرائق شرح كنز الدقائق» لزين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن بكر.

(٣) النيرُ: الخشبة المعترضة في عنق الثور. [الصحاح، مادة (نير)].

(٤) هذا المؤتمر هو مؤتمر المائدة المستديرة في لندن بين وفود من الدول العربية ووفد يهودي في ٧/ ٢/ ١٩٣٩م.

في فلسطين ليست مما يساعد على حسن ظن المسلمين، وخير لها أن تكف هذه الحملات العدوانية عن الأبرياء الأحرار، وإنا لنبعث لسماحة المفتي الأكبر[1] من فوق هذا المنبر أخلص تحيات الإخوان المسلمين، وأطيب تمنياتهم، ولن يضر سماحته، ولن يضير آل الحسيني أن تفتش دورهم، ويسجن أحرارهم، فذلك مما يزيدهم شرفًا إلى شرفهم، وفخارًا إلى فخارهم، ونذكر الوفود الإسلامية بمكر إنجلترا وخداعها، وبوجوب القيام على حقوق العرب كاملة غير منقوصة.

وبهذه المناسبة أذكر الإخوان بأنه[2] قد تألفت لجنة عامة بدار الشبان المسلمين من الجمعيات الإسلامية جميعًا للتعاون على إصدار قرش موحد يوزع من أول السنة الهجرية إغاثة لفلسطين المجاهدة، وسيحل هذا الطابع محل كل الطوابع المختلفة لكل الهيئات، فالوصية للإخوان أن يبذلوا جهدهم في تشجيع هذه اللجنة بتوزيع طوابعها حين صدورها، وبتصفية ما عساه يكون موجودًا لديهم من حساب الطوابع القديمة، وإعادتها إلى المكتب لإعدامها.

ولنا حساب بعد ذلك مع إنجلترا في الأقاليم الإسلامية التي تحتلها لغير حق، والتي يفرض الإسلام على أهلها وعلينا معهم أن نعمل لإنقاذها وخلاصها[3].

أما فرنسا التي ادعت صداقة الإسلام حينًا من الدهر فلها مع المسلمين حساب طويل، ولا ننسى لها هذا الموقف المخجل مع سوريا الشقيقة، ولا ننسى لها مواقفها في قضية المغرب الأقصى والظهير البربري[4]، ولا ننسى أن كثيرًا من إخواننا الأعزاء شباب المغرب الأقصى الوطني الحر المجاهد في أعماق السجون، وأطراف المنافي، وسيأتي اليوم

---

(١) هو محمد أمين الحسيني، مفتي فلسطين، ولد في القدس عام ١٨٩٧م، وتعلم في القدس ومصر واستانبول، شارك في الجهاد الوطني الفلسطيني، انتخب مفتيًا ولم يتجاوز الخامسة والعشرين، وشارك في ثورة عام ١٩٢٩م، ثم في عام ١٩٣٣م، ثم في الثورة الكبرى عام ٣٦-١٩٣٩م، وتولى أمين الحسيني مسئولية اللجنة العربية العليا لفلسطين، وهو رمز للكفاح الفلسطيني في مقاومة الاحتلال الصهيوني، فاضت روحه إلى بارئها عام ١٩٧٤م.

(٢) في الأصل: «بأن».

(٣) في الأصل: «خلاصهما».

(٤) هو -كما عرفه الإمام البنا: القانون الذي ينص على محو الإسلام وقواعده وبيوته وهياكله من نفوس البربر وآثارهم، بحجة النزول على عاداتهم وتنظيم شئونهم بحسب عرفهم. [جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٣)، السنة الثانية، ٣صفر ١٣٥٣هـ/ ١٨مايو ١٩٣٤م، ص(١)].

الذي يصفى فيه هذا الحساب، ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وليس حسابنا مع إيطاليا بأقل من حسابنا مع فرنسا، فطرابلس العربية المسلمة الجارة القريبة العزيزة، يعمل الدوتشي[1] ورجاله على إفنائها وإبادة أهلها واستئصالها[2] ومحو كل أثر للعروبة والإسلام منها، وكيف يكون فيها أثر للعروبة والإسلام وقد اعتبرت جزءًا من إيطاليا؟ ولا يجد الدوتشي بعد ذلك مانعًا يمنعه من أن يدعي أنه حامي الإسلام، وأن يطلب بهذا العنوان صداقة المسلمين!!

أيها الإخوان المسلمون:

هذا الكلام يدمي القلوب، ويفتت الأكباد! وحسبي هذه الفواجع في هذا البيان، فتلك سلسلة لا آخر لها، وأنتم تعرفون هذا، ولكن عليكم أن تبينوه للناس، وأن تعلموهم أن الإسلام لا يرضى من أبنائه بأقل من الحرية والاستقلال، فضلاً عن السيادة وإعلان الجهاد، ولو كلفهم ذلك الدم والمال، فالموت خير من هذه الحياة، حياة العبودية والرق والاستذلال! وأنتم إن فعلتم ذلك وصدقتم الله العزيمة فلابد من النصر -إن شاء الله: ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

خاتمة:

أيها الإخوان المسلمون:

تقدمت إليكم في هذا البيان بخلاصة وافية موجزة عن فكرتكم في مظهرها الخاص، واليوم وكنت أحب أن أستعرض معكم بعض المشاكل الاجتماعية والاقتصادية القائمة في المجتمع المصري، وإن شئتم فقولوا: «الإسلامي» فإن الداء يكاد يكون واحدًا في الجميع، لولا ضيق الوقت، ولولا أن الداء ينحصر في واحدة هي: ضعف الأخلاق، وفقدان المثل العليا، وإيثار المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، والجبن عن مواجهة الحقائق، والهروب من تبعات العلاج، والفرقة قاتلها الله، هذا هو الداء، والدواء كلمة واحدة أيضًا هي ضد هذه الأخلاق، هي علاج النفوس أيها الإخوان، وتقويم أخلاق الشعب: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا

---

(١) هو بينيتو موسوليني [١٨٨٣- ١٩٤٥م] هو ديكتاتور إيطاليا ما بين (١٩٢٢ و١٩٤٣م)، وكان موسوليني من مؤسسي الحركة الفاشية الإيطالية وزعمائها. سمي بـ«الدوتشه» (Il Duce)، أي: القائد. شكل مع ألمانيا واليابان ما عُرف بـ«دول المحور»، أعدم في يوم ٢٩ أبريل ١٩٤٥م، بعد هزيمة إيطاليا.

(٢) في الأصل: «استقصائها».

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

أيها الإخوان المسلمون:

لقد قام هذا الدين بجهاد أسلافكم على دعائم قوية من الإيمان بالله، والزهادة في متعة الحياة الفانية، وإيثار دار الخلود، والتضحية بالدم والروح والمال في سبيل مناصرة الحق، وحب الموت في سبيل الله، والسير في ذلك كله على هدي القرآن الكريم.

فعلى هذه الدعائم القوية أسسوا نهضتكم، وأصلحوا نفوسكم، وركزوا دعوتكم، وقودوا الأمة إلى الخير، ﴿وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

أيها الإخوان المسلمون:

لا تيأسوا فليس اليأس من أخلاق المسلمين، وحقائق اليوم أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد. ولا زال في الوقت متسع، ولا زالت عناصر السلامة قوية عظيمة في نفوس شعوبكم المؤمنة رغم طغيان مظاهر الفساد. والضعيف لا يظل ضعيفًا طول حياته، والقوي لا تدوم له قوته أبد الآبدين: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥-٦].

إن الزمان سيتمخض عن كثير من الحوادث الجسام، وإن الفرص ستسنح للأعمال العظيمة، وإن العالم ينظر(١) دعوتكم دعوة الهداية والفوز والسلام لتخلصه(٢) مما هو فيه من آلام، وإن الدور عليكم في قيادة الأمم وسيادة الشعوب، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وترجون من الله ما لا يرجون، فاستعدوا واعملوا اليوم، فقد تعجزون عن العمل غدًا.

لقد خاطبت المتحمسين منكم أن يتريثوا وينتظروا دورة الزمان، وإني لأخاطب المتقاعدين أن ينهضوا ويعملوا فليس مع الجهاد راحة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وإلى الأمام دائمًا... والله أكبر ولله الحمد.

❊ ❊ ❊

---

(١) نظر الشيء: انتظره. يقال: نظرت فلانًا حتى الظهر. ومنه المثل: «إن غدًا لناظره قريب»، أي: لمنتظره. [المعجم الوجيز، ص(٦٢٢)].

(٢) في الأصل: «لنخلصه».

ملحق المؤتمر الخامس

قرارت المؤتمر الدوري الخامس[(١)]

أولاً: يقرر المؤتمرون تأييد مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين في خطواته الموفقة، ويشكرون لحضرات أعضائه نهوضهم بعبء الدعوة.

ثانيًا: العمل على نشر دعوة الإخوان. كل دائرة فيما يحيط بها من القرى والبلدان، والعمل على تكوين الكتائب وفرق الجوالة في شعبهم.

ثالثًا: يقترح المؤتمرون على مكتب الإرشاد العام الإسراع في تشكيل اللجان الآتية:

(أ) لجنة دستورية من أعضاء الجماعة المختصين لدراسة نصوص الدستور المصري، والموازنة بينها وبين القواعد الأساسية في نظام الحكم الإسلامي، ثم العمل على إحلال النظم الإسلامية محل غيرها مما لا يتفق معها.

(ب) لجنة قانونية للموازنة بين القانون الوضعي في كل فروعه وبين القانون الإسلامي، وبيان نواحي الخلاف بينها، ومطالبة الحكومة بتعديل القانون حتى يتفق مع أحكام الإسلام.

(ج) لجنة علمية لوضع كتاب مختصر مفيد في (العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات الإسلامية)، مدعم بالأدلة من الكتاب والسنة، بعيد عن مناحي الخلاف وتشعب الآراء؛ حتى يكون مرجعًا للإخوان ولمن شاء.

(د) لجنة فنية يكون مهمتها دراسة مشروع بناء دار لمكتب الإرشاد العام بالقاهرة، ومعرفة ما يلزم لذلك من النواحي.

(هـ) لجنة خاصة لدراسة قضية طرابلس، واتخاذ ما يمكن من الوسائل للمحافظة على كيانها العربي الإسلامي.

رابعًا: تحية المفتي الأكبر، والمجاهدين الكرام في فلسطين المباركة، وأعضاء اللجنة العربية العليا، وفضلاء أعضاء الوفود الإسلامية الأمجاد بمؤتمر لندن، مع إرسال برقية لسماحة المفتي بمقره بلبنان، ولسمو رئيس وفد مصر بلندن بالمؤتمر، ولوزير خارجية

---

(١) مجلة النذير، العدد (١)، السنة الثانية، ١ محرم ١٣٥٨هـ- ٢١ فبراير ١٩٣٩م، ص(٢٥-٢٦).

إنجلترا بتأييد المطالب العربية بمناسبة انعقاد المؤتمر الخامس للإخوان المسلمين.

خامسًا: مطالبة الحكومة المصرية بالإسراع في سن التشريعات اللازمة لحماية الآداب والأخلاق والعقائد، ويقترح المؤتمرون على الحكومة أن تسرع في تكوين لجنة من علماء الأزهر، ورجال الجمعيات الإسلامية، ورجال القانون لإرشادهم إلى ما يجب أن تفعله في هذا السبيل في كل نواحي التربية العامة، وتحضير القوانين اللازمة لذلك، فالأمر لا يحتمل الإبطاء.

سادسًا: رفع هذه القرارات إلى سدة جلالة المليك، وإبلاغها إلى الجهات المختصة، وإذاعتها في الجرائد، وعلى شعب الإخوان المسلمين في القطر وفي الخارج.

وقد أرسلت البرقيات المشار إليها إلى أصحابها، وأخذ المكتب يعد العدة لإنفاذ هذه القرارات.

* * *


شباب
النادي الشبابي

رسالة

الإخوان المسلمون

تحت راية محمد رسول الله وفي سبيل هديه

٢٠ صفر ١٣٥٨هـ -١١ أبريل ١٩٣٩م

تقديم

هذه الرسالة هي نص الخطاب الذي ألقاه الإمام البنا في المركز العام للإخوان المسلمين الكائن بالعتبة في ١٤ صفر ١٣٥٨هـ الموافق ٤أبريل ١٩٣٩م.

ونشرت هذه الرسالة بمجلة النذير، العدد (٨)، السنة الثانية، ٢٠ صفر ١٣٥٨هـ الموافق ١١ أبريل ١٩٣٩م تحت هذه الاسم: «الإخوان المسلمون تحت راية محمد رسول الله وفي سبيل هديه»، وقد أعيد نشرها في كتيب من طبعة دار الكتاب العربي تحت عنوان: «من رسائل الإخوان المسلمين... الإخوان المسلمون تحت راية القرآن»، وهي ما اعتمدت عليه كل الكتب السابقة التي نشرت رسائل الإمام البنا دون التطرق إلى ما ورد في مجلة النذير، وقد صُدِّرت الرسالة بمقدمة إلى الشباب الظامئ.

وهدف الإمام من وراء تلك الرسالة التعريف بأوجه القصور التي حلت بالناس بسبب تخليهم عن تعاليم الإسلام وتقليدهم للغرب، خاصة أن العالم كان على شفا الحرب العالمية الثانية التي نشبت أواخر عام ١٩٣٩م.

كما قدم الإمام البنا فيها وسائل تحقيق الإصلاح، وبين فيها مهمة الإخوان المسلمين وعدتهم لتحقيق منهاج الإسلام.

***

- إلى الشباب الظامئ للمجد التليد..
- إلى الأمة الحيرى على مفترق الطرق..
- إلى ورثة الدم القاني الذي سطر على هام الزمان آيات الفخار..
- إلى كل مسلم يؤمن بالسيادة في الدنيا والسعادة في دار القرار، نقدم..

خطاب الإمام الشهيد حسن البنا:

رسالة الماضي القوي الملتهب إلى الحاضر الفتي المضطرب..

وعُدَّة الحاضر الثائر للمستقبل الزاهر..

أيها الشباب.. أيها الهائم يبغي الحياة..

أيها التائق لنصر دين الله..

أيها المقدِّم روحه بين يدي مولاه..

هنا الهداية والرشاد..

هنا الحكمة والسداد..

هنا نشوة البذل ولذة الجهاد..

فلتسارع إذن إلى الكتيبة الخرساء..

ولتعمل تحت راية سيد الأنبياء..

وليضمك معسكر الإخوان المسلمين»..

﴿حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾ [الأنفال: ٣٩].

الإخوان المسلمون

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخوان المسلمون تحت راية
محمد رسول الله ﷺ وفي سبيل هديه[1]

في هذا الصخب الداوي من صدى الحوادث الكثيرة المريرة، التي تلدها الليالي الحبالى في هذا الزمان، وفي هذا التيار الجاري المتدفق الفياض من الدعوات التي تهتف بها أرجاء الكون، وتسري بها أمواج الأثير في أنحاء المعمورة، مجهزة بكل ما يغري ويخدع من الآمال والوعود والمظاهر.

نتقدم بدعوتنا نحن الإخوان المسلمين...

هادئة... ولكنها أقوى من الزوابع العاصفة...

متواضعة... ولكنها أعز من الشُم[2] الرواسي[3]...

محدودة... ولكنها أوسع من حدود أقطار هذه الأرض جميعًا..

خالية من المظاهر الزائفة والبهرج الكاذب...

ولكنها محفوفة بجلال الحق، وروعة الوحي، ورعاية الله...

مجردة من المطامع والأهواء والغايات الشخصية والمنافع الفردية، ولكنها تورث المؤمنين بها والصادقين في العمل لها «السيادة في الدنيا والجنة في الآخرة».

على ضوء الدعوة الأولى:

أيها الإخوان المسلمون... أيها الناس أجمعون:

اسمعوها صريحة داوية، يجلجل بها صوت الداعي الأول من بعدُ كما جلجل بها من قبل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ١-٣]، ويدوي معها سر قوله

---

(١) مجلة النذير الأسبوعية، العدد (٨)، السنة الثانية، ٢٠ صفر ١٣٥٨هـ- ١١ أبريل ١٩٣٩م، ص(٣-١٣).

(٢) الشم: مفردها الأشم، أي: المرتفع. لذا يقال: جبل أشم. [المعجم الوجيز، ص(٣٥١)].

(٣) الجبال الرَّوَاسِي والرَّاسِياتُ: هي الثَّوابِتُ. [لسان العرب، مادة (رسا)].

تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، ويهتف بها لسان الوحي مخاطبًا الناس أجمعين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الذي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الذي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

أين نحن من تعاليم الإسلام؟

أيها الإخوان المسلمون... أيها الناس أجمعون:

إن الله بعث لكم إمامًا، ووضع لكم نظامًا، وفصل أحكامًا، وأنزل كتابًا، وأحل حلالاً، وحرم حرامًا، وأرشدكم إلى ما فيه خيركم وسعادتكم، وهداكم سواء السبيل؛ فهل اتبعتم إمامه، واحترمتم نظامه، وأنفذتم أحكامه، وقدستم كتابه، وأحللتم حلاله، وحرمتم حرامه؟

كونوا صرحاء في الجواب، وسترون الحقيقة واضحة أمامكم، كل النظم التي تسيرون عليها في شئونكم الحيوية نظم تقليدية بحتة لا تتصل بالإسلام، ولا تستمد منه ولا تعتمد عليه:

* نظام الحكم الداخلي.
* نظام العلاقات الدولية.
* نظام القضاء.
* نظام الدفاع والجندية.
* نظام المال والاقتصاد للدولة والأفراد.
* نظام الثقافة والتعليم.
* بل نظام الأسرة والبيت.
* بل نظام الفرد في سلوكه الخاص.

الروح العام الذي يهيمن على الحاكمين والمحكومين، ويشكل مظاهر الحياة على اختلافها، كل ذلك بعيد عن الإسلام وتعاليم الإسلام.

وماذا بقي بعد هذا؟

هذه المساجد الشامخة القائمة التي يعمرها الفقراء والعاجزون، فيؤدون فيها ركعات خالية من معاني الروحانية والخشوع إلا من هدَى الله.

هذه الأيام التي تصام في العام فتكون موسمًا للتعطل والتبطل والطعام والشراب، وقلما تتجدد فيها نفس أو تزكو بها روح.. ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

هذه المظاهر الخادعة من المسابح والملابس، واللحى والمراسم، والطقوس والألفاظ والكلمات..

أهذا هو الإسلام الذي أراد الله أن يكون رحمته العظمى، ومنته الكبرى على العالمين؟

أهذا هدي محمد ﷺ الذي أراد به أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور؟

أهذا هو تشريع القرآن الذي عالج أدواء الأمم ومشاكل الشعوب، ووضع للإصلاح أدق القواعد وأرسخ الأصول؟

موجة التقليد الغربي:

أيها الإخوان المسلمون.. بل أيها الناس أجمعون:

من الحق أن نعترف بأن موجة قوية جارفة، وتيارًا شديدًا دفاقًا قد طغى على العقول والأفكار في غفلة من الزمن، وفي غرور من أمم الإسلام، وانغماس منهم في الترف والنعيم.. فقامت مبادئ ودعوات، وظهرت نظم وفلسفات، وتأسست حضارات ومدنيات، ونافست هذه كلها فكرة الإسلام في نفوس أبنائها، وغزت أممه في عقر دارها، وأحاطت بهم من كل مكان، ودخلت عليهم بلدانهم وبيوتهم ومخادعهم، بل احتلت قلوبهم وعقولهم ومشاعرهم، وتهيأ لها من أسباب الإغواء والإغراء والقوة والتمكن ما لم يتهيأ لغيرها من قبل، فاجتاحت أممًا إسلامية بأسرها، وانخدعت بها دول كانت في

الصميم والذؤابة[١] من دول الإسلام، وتأثر ما بقي تأثرًا بالغًا، ونشأ في كل الأمم الإسلامية جيل مخضرم[٢]، إلى غير الإسلام أقرب، تصدّر في تصريف أمورها، واحتل مكان الزعامة الفكرية والروحية والسياسية والتنفيذية منها، فدفع بالشعوب المغافلة إلى ما يريد، بل إلى ما ألف، وهي لا تدري ما يراد بها ولا ما تصير إليه، وارتفعت أصوات الدعاة إلى الفكرة الطاغية: أن خلصونا مما بقي من الإسلام وآثار الإسلام، وتقبلوا معنا راضين لا كارهين مستلزمات هذه الحياة وتكاليفها وأفكارها ومظاهرها، واطرحوا بقية الفكرة البالية من رءوسكم ونفوسكم، ولا تكونوا مخادعين منافقين عابدين[٣]، تعملون عمل الغربيين وتقولون قول المسلمين.

من الحق أن نعرف أننا بعدنا عن هدي الإسلام وأصوله وقواعده، والإسلام لا يأبى أن نقتبس النافع وأن نأخذ الحكمة أنى وجدناها، ولكنه يأبى كل الإباء أن نتشبه في كل شيء بمن ليسوا من دين الله على شيء، وأن نطرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه، لنجري وراء قوم فتنتهم الدنيا واستهوتهم الشياطين.

حقًّا لقد تقدم العلم، وتقدم الطب، وتقدم الفن، وتقدم الفكر، وتزايد المال، وتبرجت الدنيا، وأخذت الأرض زخرفها وازينت، وأترف الناس ونعموا، ولكن هل جلب شيء من هذا السعادة لهم؟ وهل أمن لهم شيء من هذه الحياة، أو ساق إلى نفوسهم الهدوء والطمأنينة؟

هل اطمأنت الجنوب في المضاجع؟

هل جفت الجفون من المدامع؟

هل حوربت الجريمة، واستراح المجتمع من شرور المجرمين؟

هل استغنى الفقراء وأشبعت الملايين التي تفوق الحصر بطون الجائعين؟

---

(١) الذُّؤَابَةُ: النَّاصِيَةُ. وقيل: الذُّؤَابَةُ: مَنْبِتُ الناصيةِ من الرأس، والجَمْعُ الذَّوائِبُ. [لسان العرب، مادة (ذأب)].

(٢) المُخَضْرَم من الناس: الذي كان عمره نِصفًا في الجاهليّة، ونصفًا في الإسلام، ثم توسع فيها فأصبحت تطلق على مَن أدرك عهدين مطلقًا [العين، مادة (خضرم)، والمعجم الوجيز، ص(٢٠١)].

(٣) في طبعة دار الكتاب العربي: «عاندين»، وفي الطبعات الحديثة: «معاندين».

هل ساقت هذه الملاهي والمفاتن -التي ملأت الفضاء، وسرت مسرى الهواء- العزاء إلى المحزونين؟

هل تذوقت الشعوب طعم الراحة والهدوء، وأمنت عدوان المعتدين وظلم الظالمين؟

لا شيء من هذا أيها الناس، فما فضل هذه الحضارة إذن على غيرها من الحضارات؟

وهل هذا فحسب؟ ألسنا نرى هذه النظم والتعاليم والفلسفات حتى في العلوم والأرقام يحطم بعضها بعضًا، ويقضي بعضها على بعض، ويرجع الناس بعد طول التجربة وعظيم التضحيات فيها بمرارة(١) الفشل وخيبة الأمل وألم الحرمان؟

مهمّتنا:

ما مهمتنا إذن نحن الإخوان المسلمين؟

أما إجمالاً: فهي أن نقف في وجه هذه الموجة(٢) الطاغية من مدنية المادة، وحضارة المتع والشهوات التي جرفت الشعوب الإسلامية، فأبعدتها عن زعامة النبي ﷺ وهداية القرآن، وحرمت العالم من أنوار هديهما، وأخرت تقدمه مئات السنين، حتى تنحسر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا، ولسنا واقفين عند(٣) هذا الحد، بل سنلاحقها في أرضها، وسنغزوها في عقر دارها، حتى يهتف العالم كله باسم النبي، وتوقن الدنيا كلها بتعاليم القرآن، وينتشر ظل الإسلام الوارف(٤) على الأرض، وحينئذ يتحقق للمسلم ما ينشده، فلا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، و﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤-٥].

هذه مهمتنا نحن الإخوان المسلمين إجمالاً.

فأما في بعض تفاصيلها: فهي أن يكون في مصر أولاً -بحكم أنها في المقدمة من

---

(١) في الأصل: «بحرارة».

(٢) في الأصل: «الوجهة».

(٣) في الأصل: «عن».

(٤) وَرَفَ الشَجَرُ يَرِفُ وَرِيفًا ووُرُوفًا: إذا رأيتَ لخُضْرته بَهْجةً من رِيِّه ونَعْمَتِهِ، وورف الظل: اتسع وطال. [العين، مادة (ورف)].

دول الإسلام وشعوبه- ثم في غيرها كذلك:

- نظام داخلي للحكم يتحقق به قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

- ونظام للعلاقات الدولية يتحقق به قول القرآن الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

- ونظام عملي للقضاء يستمد من الآية الكريمة: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

- ونظام للدفاع والجندية[1] يحقق مرمى النفير العام: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٤١].

- ونظام اقتصادي استقلالي للثروة والمال وللدولة والأفراد أساسه قول الله تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥].

- ونظام للثقافة والتعليم يقضي[2] على الجهالة والظلام، ويطابق جلال الوحي في أول آية من كتاب الله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

- ونظام للأسرة والبيت ينشئ الصبي المسلم والفتاة المسلمة والرجل المسلم ويحقق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

- ونظام للفرد في سلوكه الخاص يحقق الفلاح المقصود بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩].

- وروح عام يهيمن على كل فرد في الأمة من حاكم أو محكوم قوامه قول الله تعالى:

---

(١) في الأصل: «الجندي».

(٢) في الأصل: «ويقضي».

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: ٧٧].

نحن نريـــد:

- الفرد المسلم. - والبيت المسلم.

- والشعب المسلم. - والحكومة المسلمة.

- والدولة التي تقود الشعوب الإسلامية، وتضم شتات المسلمين، وتستعيد مجدهم، وترد عليهم أرضهم المفقودة وأوطانهم المسلوبة وبلادهم المغصوبة، ثم تحمل بعد ذلك علم الجهاد ولواء الدعوة إلى الله، حتى تسعد العالم بتعاليم الإسلام.

عـــدتنا:

هذه غايتنا أيها الناس... وهذا منهاجنا.

فما عدتنا لتحقيق هذا المنهاج؟

عدتنا هي عدة سلفنا من قبل، والسلاح الذي غزا به زعيمنا وقدوتنا محمد رسول الله ﷺ وصحابته معه العالم، مع قلة العدد وقلة المورد وعظيم الجهد:

هو السلاح الذي سنحمله لنغزو به العالم من جديد.

لقد آمنوا أعمق الإيمان وأقواه وأقدسه وأخلده:

- بالله ونصره وتأييده: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

- وبالقائد وصدقه وإمامته: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

- وبالمنهاج ومزيته وصلاحيته: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

- وبالإخاء وحقوقه وقدسيته: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

- وبالجزاء وجلاله وعظمته وجزالته: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا

مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

- وبأنفسهم: فهم الجماعة التي وقع عليها اختيار القدر لإنقاذ العالمين، وكتب لهم الفضل بذلك، فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

لقد سمعوا المنادي ينادي للإيمان فآمنوا، ونحن نرجو أن يحبب الله إلينا هذا الإيمان، ويزينه في قلوبنا كما حببه إليهم وزينه من قبل في قلوبهم... فالإيمان أول عدتنا.

ولقد علموا أصدق العلم وأوثقه أن دعوتهم هذه لا تنتصر إلا بالجهاد والتضحية والبذل وتقديم النفس والمال، فقدموا النفوس وبذلوا الأرواح، وجاهدوا في الله حق جهاده، وسمعوا هاتف الرحمن يهتف بهم: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤].

فأصاخوا للنذير، وخرجوا عن كل شيء، طيبة بذلك نفوسهم، راضية قلوبهم، مستبشرين ببيعهم الذي بايعوا الله به.

يعانق أحدهم الموت وهو يهتف: ركضًا إلى الله بغير زاد[1].

ويبذل أحدهم المال كله قائلاً: تركت لعيالي الله ورسوله[2].

---

(١) قالها عمير بن الحمام في غزوة بدر، وهي بتمامها:

ركضًا إلى الله بغير زاد ... إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد ... وكل زادٍ عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

[الأصفهاني: الأغاني، (٤/ ١٩٥)].

(٢) أخرج أبو داود في «الزكاة»، باب: «فِي الرُّخْصَةِ فِي ذَلِكَ»، ح(١٤٢٩) أن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا. فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلَهُ. قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: لا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا. وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(١٦٧٨).

ويخطر[١] أحدهم والسيف على عنقه:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا على أي جنب كان في الله مصرعي[٢]

كذلك كانوا: صدق جهاد، وعظيم تضحية، وكبير بذل، وكذلك نحاول أن نكون...

فالجهاد من عدتنا كذلك.

ونحن بعد هذا كله واثقون بنصر الله، مطمئنون إلى تأييده: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

بين الخيال والحقيقة:

سيقول الذين يسمعون هذا: إنه الخيال بعينه... إنه الوهم... إنه الغرور.

وأنى لهؤلاء الذين لا يملكون إلا الإيمان والجهاد أن يقاوموا هذه القوى المتألبة المجتمعة، والأسلحة المتنوعة المختلفة، وأن يصلوا إلى حقهم، وهم بين ذراعي وجبهة الأسد[٣]؟

سيقول كثيرون هذا، ولعل لهم بعض العذر، فهم قد يئسوا من أنفسهم، ويئسوا من صلتهم بالقوي القادر، وأما نحن فنقول: إنها الحقيقة التي نؤمن بها ونعمل لها، ونحن نقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ

---

(١) الخطر: يأتي بمعان عدة؛ منها: الإشراف على الهلاك والشجاعة والإقدام وورود الشيء على البال، والتبختر في المشي، والأول والثاني هما الأقرب إلى المعنى. [لسان العرب، مادة (خطر)، والصحاح، (خطر)].

(٢) البيت قاله خبيب بن عدي، وهو من الطويل، وتمامه:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أعضاء شلو ممزع

[ابن الجوزي: صفوة الصفوة، (١/ ٦٢١)].

(٣) اقتباس من بيت للفرزدق من المنسرح، وهو:

يَا مَنْ رأى عَارِضًا أَرِقْتُ لَهُ بَيْنَ ذِرَاعَيْ وَجَبْهَةِ الأَسَدِ

[البطليوسي: الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، ص(٢٢٣)].

مِنَ اللهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

وإن الذين فتحوا أقطار الدنيا، ومكن الله لهم في الأرض من أسلافنا لم يكونوا أكثر عددًا، ولا أعظم عدة، ولكنهم مؤمنون مجاهدون وكفى. سنعتد اليوم بما اعتد به رسول الله ﷺ يوم قال [يبشر خبابًا][١] بظهور هذا الأمر: «حتى يسير الراكب من عدن إلى عمان، لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه»[٢]، وكانوا إذ ذاك يستترون.

ويوم وعد سراقة بن مالك سواري كسرى، وكان مهاجرًا بدينه ليس معه إلا ربه وصاحبه.

ويوم هتف مطلعًا على قصور الروم البيضاء، وقد حاصره المشركون في مدينته بجنود من فوقهم ومن أسفل منهم: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب:١٠].

ثم ماذا كان بعد ذلك؟!

كان أن أصغى مسمع الدهر لدعوة رسول الله ﷺ، وترددت في فم الزمان آيات قرآنية، وأشرقت شموس الهداية في كل مكان من قلوب أصحابه وأتباعه، وعمّ الكون نور، ورفرف على الدنيا سلام، وتذوقت الإنسانية حلاوة السعادة بعدالة الحاكم، وأمن المحكوم في ظل هذا الرعيل الأول من تلامذة محمد، وفتحت قصور الروم، ودانت[٣]

(١) في الأصل: «بشر خبيبًا».

(٢) أخرج البخاري في «الْمَنَاقِبِ»، باب: «مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ»، ح(٣٥٦٣) أن خَبَّابًا قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلا تَدْعُو اللَّهَ؟! فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلاَّ اللهَ». زَادَ بَيَانٌ: «وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ».

أما ما ذكره الإمام من أن الراكب يسير من عدن إلى عمان، فهاتان المدينتان قد ذكرتا في حديث الحوض؛ حيث قال رسول الله ﷺ فيما أخرجه الترمذي في «صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «ما جاء في صفة أواني الحوض»، ح(٢٣٦٨): «حَوْضِي مِنْ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ».

(٣) «دان القوم: إذا ساسهم وقهرهم فدانوا له. ودانوه: انقادوا له» [أساس البلاغة، مادة (دين)].

مدائن الفرس، ومدت الأرض بأعناقها، وألقت بجرانها، وزويت أكنافها[١]، واستسلمت مختارة للهداية المنقذة، ترف عليها أنفاس النبوة، وتمازجها أنفاس الوحي المقدس، وتحف بها رحمة الله من كل جانب: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۞ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۞ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥-٢٧].

سنعتد[٢] -أيها الناس- اليوم بهذه العدة، وسننتصر كما انتصر أسلافنا بالأمس القريب، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، وسيتحقق لنا وعد الله تبارك وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥-٦]، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

لو كانت لنا حكومة:

لو كانت لنا حكومة إسلامية صحيحة الإسلام، صادقة الإيمان، مستقلة التفكير والتنفيذ، تعلم حق العلم عظمة الكنز الذي بين يديها، وجلال النظام الإسلامي الذي ورثته، وتؤمن بأن فيه شفاء شعبها، وهداية الناس جميعًا... لكان لنا أن نطلب إليها أن تدعو[٣] الدنيا باسم الإسلام، وأن تطالب غيرها من الدول بالبحث والنظر فيه، وأن تسوقها سوقًا إليه بالدعوات المتكررة والإقناع والدليل والبعثات المتتالية، وبغير ذلك من وسائل الدعوة والإبلاغ، ولاكتسبت بذلك مركزًا روحيًّا وسياسيًّا وعمليًّا بين غيرها من الحكومات، ولاستطاعت أن تجدد حيوية الشعب، وتدفع به نحو المجد والنور، وتثير في نفسه الحماسة والجد والعمل.

---

(١) زَوَيْت الشيء: جمعته وقبضته. وزُوِيَتْ لي الأرض: جُمِعَت. وأكناف الحجاز: نواحيه. [لسان العرب، مادة (زوى)، أساس البلاغة، مادة (كنف)].

(٢) في الأصل: «سنعتقد».

(٣) في الأصل: «تدعم».

عجيب أن تجد الشيوعية[١] دولة تهتف بها، وتدعو إليها، وتنفق في سبيلها، وتحمل الناس عليها، وأن تجد الفاشستية[٢] والنازية[٣] أممًا تقدسها، وتجاهد لها، وتعتز باتباعها، وتخضع كل النظم الحيوية لتعاليمها، وأن تجد المذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة أنصارًا أقوياء، يقفون عليها أرواحهم وعقولهم وأقلامهم وأموالهم وصحفهم وجهودهم، ويحيون ويموتون لها.

ولا نجد حكومة إسلامية تقوم بواجب الدعوة إلى الإسلام، الذي جمع محاسن هذه النظم جميعًا وطرح مساوئها، وتقدمه لغيرها من الشعوب كنظام عالمي فيه الحل الصحيح الواضح المريح لكل مشاكل البشرية، مع أن الإسلام جعل الدعوة فريضة لازمة، وأوجبها على المسلمين شعوبًا وجماعات قبل أن تخلق هذه النظم، وقبل أن يعرف فيها نظام الدعايات: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ولكن أنّى لحكامنا هذا، وهم جميعًا قد تربوا في أحضان الأجانب، ودانوا بفكرتهم، فهم على آثارهم يهرعون[٤]، وفي مرضاتهم يتنافسون؟ ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا: إن الفكرة الاستقلالية في تصريف الشئون والأعمال لعلها لم تخطر ببالهم، فضلاً عن أن تكون منهاج عملهم.

لقد تقدمنا بهذه الأمنية إلى كثير من الحاكمين في مصر، وكان طبيعيًا ألا يكون لهذا التقدم أثر عملي، فإن قومًا فقدوا الإسلام في أنفسهم وبيوتهم وشئونهم الخاصة والعامة لأعجز من أن يفيضوه على غيرهم، ويتقدموا بدعوة سواهم إليه، وفاقد الشيء لا يعطيه.

ليست هذه مهمتهم -أيها الإخوان؛ فقد أثبتت التجارب عجزهم المطلق عن أدائها،

---

(١) «الشيوعية» تفرعت عن «الماركسية» نسبة إلى الفيلسوف الألماني كارل ماركس الذي نشر ما يسمى «البيان الشيوعي» عام ١٨٤٨م بمشاركة فريدرك إنجلز، وهي مذهب وضعي محارب للأديان، واتخذ من المطالبة بالمساواة بين الطبقات وسيلة للانتشار، وقد انتهت الدول القائمة على هذا المذهب عدا بعض الدول القليلة أهمها الصين.

(٢) التصقت «الفاشية» بإيطاليا وموسوليني، و«الفاشية» تشير إلى الحكومة المستبدة التي يرأسها نظام دكتاتوري.

(٣) «النازية»: مذهب سياسي يشير مباشرة إلى نظام هتلر الذي حكم ألمانيا في ثلاثينيات القرن الماضي.

(٤) هم على آثارهم يُهْرَعُونَ، أي: يَسْعَوْن عِجالاً. [لسان العرب، مادة (هرع)].

ولكنها مهمة هذا النشء الجديد، فأحسنوا دعوته، وجدوا في تكوينه، وعلموه استقلال النفس والقلب، واستقلال الفكر والعقل، واستقلال الجهاد والعمل، واملئوا روحه الوثابة بجلال الإسلام وروعة القرآن، وجنّدوه تحت لواء محمد ورايته، وسترون منه في القريب الحاكم المسلم الذي يجاهد نفسه ويسعد غيره.

طبيعة فكرتنا:

أيها الإخوان المسلمون... بل أيها الناس أجمعون:

يجب أن تتعرفوا جيدًا طبيعة دعوتنا: لسنا حزبًا سياسيًّا، وإن كانت السياسة على قواعد الإسلام من صميم فكرتنا.. ولسنا جمعية خيرية إصلاحية، وإن كان عمل الخير والإصلاح من أعظم مقاصدنا.. ولسنا فرقًا رياضية، وإن كانت الرياضة البدنية والروحية من أهم وسائلنا.. لسنا شيئًا من هذه التشكيلات، فإنها جميعًا تخلقها غاية موضعية محدودة لمدة معدودة، وقد لا يوحي بتأليفها إلا مجرد الرغبة في تأليف هيئة، والتحلي بالألقاب الإدارية فيها.

ولكنا -أيها الناس- فكرة وعقيدة، ونظام ومنهاج، لا يحده موضع، ولا يقيده جنس، ولا يقف دونه حاجز جغرافي، ولا ينتهي بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ ذلك لأنه نظام رب العالمين، وحكم كتابه المبين، ومنهاج رسوله الأمين.

نحن -أيها الناس، ولا فخر- أصحاب رسول الله ﷺ، وحملة راية محمد بعده، ورافعو لوائه كما رفعوه، وناشرو لوائه كما نشروه، وحافظو قرآنه كما حفظوه، والمبشرون بدعوته كما بشروا، ورحمة الله للعالمين، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨].

أيها الإخوان المسلمون:

هذه منزلتكم، وتلك طبيعة دعوتكم، فلا تصغروا في أنفسكم، فتقيسوا أنفسكم بغيركم، أو تسلكوا في دعوتكم سبيلاً غير سبيل المؤمنين، أو توازنوا بين دعوتكم التي تتخذ نورها من نور الله، ومنهاجها من سنة رسوله، بغيرها من الدعوات التي تخلقها الضرورات، وتذهب بها الحوادث والأيام.

لقد دعوتم وجاهدتم، ولقد رأيتم ثمار هذا المجهود الضئيل أصواتًا تهتف بزعامة رسول الله، وهيمنة نظام القرآن، ووجوب النهوض للعمل، وتخليص الغاية لله، ودماء

تسيل من شباب طاهر كريم في سبيل الله، ورغبة صادقة في الشهادة في سبيل الله. وهـذا نجاح فوق ما كنـتم تنتظـرون، فواصـلوا جهـودكم، واعملـوا، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

فمن تبعنا الآن فقد فاز بالسبق، ومن تقاعد عنا مـن المخلصـين اليـوم فسـيلحق بنـا غدًا، وللسابق عليه الفضل. ومن رغب عن دعوتنا زهادة، أو سخرية بها، أو استصـغارًا لها، أو يائسًا من انتصارها، فستثبت له الأيام عظيم خطئه، وسيقذف الله بحقنا على باطله فيدمغه فإذا هو زاهق.

فإلينا إلينا -أيها المؤمنون العاملون، والمجاهدون المخلصون- فهنـا الطريـق السـوي، والصراط المستقيم، ولا توزعوا القوى والجهود.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

* * *


النادي الشبابي

رسالة
المرأة المسلمة

ربيع الأول ١٣٥٩هـ - أبريل ١٩٤٠م

تقــديم

اعتنى الإمام البنا بالمرأة منذ نشأة الجماعة، فأنشأ لها مدرسة أمهات المؤمنين بالإسماعيلية، ثم شكل قسمًا خاصًا بالمرأة سماه: «قسم الأخوات المسلمات»، وأسند رئاسته للسيدة لبيبة أحمد.

وقد أصدر الإمام البنا تلك الرسالة في وقت تنازع المرأة المسلمة تياران: تيار يدعو للتمسك بالتقاليد ولا يرى حقوقًا للمرأة، وآخر يدعو إلى الانحلال ومتابعة الغرب في رؤيته للمرأة، فكتب الإمام البنا هذه الرسالة لتوضيح موقف الإسلام من المرأة وحقوقها.

وقد نشرت هذه الرسالة في مجلة المنار، في العددين الثامن والعاشر الصادرين في المجلد الخامس والثلاثين حيث صدر العدد الثامن في ربيع الثاني ١٣٥٩هـ الموافق مايو ١٩٤٠م، وصدر العدد العاشر في شعبان ١٣٥٩هـ الموافق سبتمبر ١٩٤٠م.

كما أعيد نشرها في كتيب صغير صادر عن المركز العام، وهو ما اعتمدت عليه الكتب السابقة دون الرجوع للمنار.

وقد اعتمدنا في جمع هذه الرسالة على الأصل المنشور في المنار.

ونحب أن نلفت نظر القارئ إلى أن الآراء التي تضمنتها الرسالة تعبر عن عصرها، وعن العرف السائد آنذاك، بل تعتبر من الآراء التقدمية بالنسبة لعصرها، لاسيما في الأوساط غير العلمانية.

* * *

المرأة المسلمة(١)

كتب إليَّ كاتب فاضل يطلب أن أكتب عن المرأة وموقفها من الرجل، وموقف الرجل منها، ورأي الإسلام في ذلك، وحث الناس على التمسك به، والنزول على حكمه(٢).

(١) مجلة المنار، جزء (٨)، المجلد (٣٥)، ربيع الثاني ١٣٥٩هـ- مايو ١٩٤٠م، ص(١٤-١٦).

(٢) تحت عنوان: «مشكلة المرأة في مصر» نشرت مجلة المنار، جزء (٧)، المجلد (٣٥)، ربيع الأول ١٣٥٩هـ- أبريل ١٩٤٠م، ص(٤٧-٤٨)، هذه الرسالة التي أشار إليها الإمام من أحد الغيورين جاء فيها: «ورد علينا هذا الخطاب من حضرة كاتبه الفاضل. ولأهمية الموضوع سنوالي الكتابة فيه ابتداء من العدد القادم إن شاء الله.

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة المنار: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد؛ فلقد سرنا وسر المسلمين كثيرًا أن توليتم إصدار مجلة المنار بعد أن توقفت حينًا بوفاة منشئها المرحوم السيد محمد رشيد رضا. ولا مشاحة في أنه لا غنى للمسلمين عن هذه المجلة التي ناضلت أعظم نضال عن دين الله تعالى، وأزاحت عن وجهه المنير حجبًا كثيفة من بدع وخرافات، وأوهام وجهالات، وتقاليد وعادات لا تمت به بصلة قريبة أو بعيدة. وإعادة إصدارها على يد فضيلتكم جعلنا نرقب عودة ذلك العهد الذي ازدهرت فيه أيما ازدهار، فجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

والآن أوجه نظر فضيلتكم إلى مسألة اجتماعية خطيرة أصاب منها المسلمين شر عظيم، تلك هي: علاقة الرجل بالمرأة. فلقد ترتب على جهل الكثيرين من كل من الجنسين حقوقه وواجباته قِبل الآخر أن وقعنا في هذه الفوضى التي كادت تقضي على كيان الأسر، وتوقع البلاد في شر مستطير. ومن لا يبكي ويتحسر عندما يرى بوجه عام الرجال يقضون أوقات فراغهم في المقاهي، وفي غشيان أمكنة اللهو والفجور، وقد هجروا منازلهم فلا يكادون يعودون إليها إلا للنوم، والنساء وقد أطلقن لأنفسهن العنان في إبداء زينتهن للرجال الأجانب، فلا حجاب ولا حياء، وقد نسين واجباتهن نحو أزواجهن وأولادهن وبيوتهن، وصار القول قولهن في كل شيء والأمر أمرهن، قد يكون لكثير من الرجال والنساء بعض العذر لجهلهم أوامر دينهم، خصوصًا وقد انتشرت بين الناس آراء وأفكار في علاقة الرجل بالمرأة صادرة عن الملحدين ينكرها الدين ويمجها العقل السليم.

فأنا أدعوكم باسم الدين أن تبينوا للناس في أول عدد يصدر من مجلة المنار الغراء واجبات كل من الرجل والمرأة قِبل الآخر، وحقوق كل منها، بيانًا تفصيليًا لا لبس فيه ولا خفاء، وبذلك تكونون أصبتم غرضين. أحدهما: وضع حد للملحدين من هذه الناحية الدقيقة، والوقوف في تيار دعايتهم الذي كاد يجرف الأخلاق والدين، وثانيهما: تعريف المستعدين للإصلاح بواجبات دينهم، وإقامة الحجة على الآخرين.

لست أجهل أهمية الكتابة في موضوع كهذا، ولا أهمية انتظام شأن المرأة في الأمة، فالمرأة نصف الشعب، بل هي النصف الذي يؤثر في حياته أبلغ التأثير؛ لأنها[١] المدرسة الأولى التي تكون الأجيال وتصوغ الناشئة، وعلى الصورة التي يتلقاها الطفل من أمه يتوقف مصير الشعب واتجاه الأمة، وهي بعد ذلك المؤثر الأول في حياة الشباب والرجال على السواء.

لست أجهل كل هذا، ولم يهمله الإسلام الحنيف، وهو الذي جاء نورًا وهدى للناس ينظم لهم كل شئون الحياة على أدق النظم، وأفضل القواعد والنواميس، أجل لم يهمل الإسلام كل هذا، ولم يدع الناس يهيمون فيه في كل واد، بل بين لهم الأمر بيانًا لا يدع زيادة لمستزيد.

وليس المهم في الحقيقة أن نعرف رأي الإسلام في المرأة والرجل وعلاقتهما، وواجب كل منهما نحو الآخر، فذلك أمر يكاد يكون معروفًا لكل الناس، ولكن المهم أن نسأل أنفسنا هل نحن مستعدون للنزول على حكم الإسلام؟

الواقع أن هذه البلاد وغيرها من البلاد الإسلامية تتغشاها موجة ثائرة قاسية من حب التقليد الأوروبي، والانغماس فيه إلى الأذقان[٢].

ولا يكفي بعض الناس أن ينغمسوا هذا الانغماس في التقليد، بل هم يحاولون أن يخدعوا أنفسهم بأن يديروا أحكام الإسلام وفق هذه الأهواء الغربية والنظم الأوروبية، ويستغلوا سماحة هذا الدين ومرونة أحكامه استغلالاً سيئًا يخرجها عن صورتها الإسلامية إخراجًا كاملاً، ويجعلها نظمًا أخرى لا تتصل به بحال من الأحوال، ويهملون كل الإهمال روح التشريع الإسلامي، وكثيرًا من النصوص التي لا تتفق مع أهوائهم.

هذا خطر مضاعف في الحقيقة فهم لم يكفهم أن يخالفوا حتى جاءوا يتلمسون

إن الأمر جد خطير، ومن أحق من فضيلتكم، وقد تصديتم للدعوة إلى الدين من بيان أوامر الله ورسوله في علاقة كل من الرجل والمرأة بالآخر، فقد ضج العقلاء بالشكوى من هذه الحال ولا مجيب، واستفحل الداء ولا طبيب، وعسى أن يساعد هذا البيان العقول والقلوب على حل مشكلة إحجام الشبان عن الزواج، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

والسلام عليكم ورحمة الله، محمد المهدي - موظف متقاعد- شارع مدرسة ولي العهد بالعباسية».

(١) في الأصل: «لأنه».

(٢) في الأصل: «إلى الأذنان».

المخارج القانونية لهذه المخالفة، ويصبغونها[1] بصبغة الحل والجواز حتى لا يتوبوا منها ولا يقلعوا عنها يومًا من الأيام.

فالمهم الآن أن ننظر إلى الأحكام الإسلامية نظرًا خاليًا من الهوى، وأن نعد أنفسنا ونهيئها لقبول أوامر الله تعالى ونواهيه، وبخاصة في هذا الأمر الذي يعتبر أساسيًا وحيويًا في نهضتنا الحاضرة.

وعلى هذا الأساس لا بأس بأن نذكر الناس بما عرفوا، وبما يجب أن يعرفوا من أحكام الإسلام في هذه الناحية.

أولاً: الإسلام يرفع قيمة المرأة ويجعلها شريكة الرجل في الحقوق والواجبات

وهذه قضية مفروغ منها تقريبًا، فالإسلام قد أعلى منزلة المرأة ورفع قيمتها، واعتبرها أختًا للرجل وشريكة له في حياته، هي منه وهو منها ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وقد اعترف الإسلام للمرأة بحقوقها الشخصية كاملة، وبحقوقها المدنية كاملة كذلك، وبحقوقها السياسية كاملة أيضًا، وعاملها على أنها إنسان كامل الإنسانية له حق وعليه واجب، يشكر إذا أدى واجباته، ويجب أن تصل إليه حقوقه، والقرآن والأحاديث فياضة بالنصوص التي تؤكد هذا المعنى وتوضحه.

ثانيًا: التفريق بين الرجل والمرأة في الحقوق إنما جاء تبعًا للفوارق الطبيعية التي لا مناص منها بين الرجل والمرأة، وتبعًا لاختلاف المهمة التي يقوم بها كل منهما وصيانة للحقوق الممنوحة لكليهما.

وقد يقال: إن الإسلام فرق بين الرجل والمرأة في كثير من الظروف والأحوال، ولم يسو بينهما تسوية كاملة، وذلك صحيح، ولكنه من جانب آخر يجب أن يلاحظ أنه إن انتقص من حق المرأة شيئًا في ناحية فإنه قد عوضها خيرًا منه في ناحية أخرى. أو يكون هذا الانتقاص لفائدتها وخيرها قبل أن يكون لشيء آخر، وهل يستطيع أحد كائنًا من كان أن يدعي أن تكوين المرأة الجسماني والروحي كتكوين الرجل سواء بسواء. وهل يستطيع أحد كائنًا من كان أن يدعي أن الدور الذي يجب أن تقوم به المرأة في الحياة هو الدور الذي يجب أن يقوم به الرجل ما دمنا نؤمن بأن هناك أمومة وأبوة؟

---

(١) في الأصل: «يصبغوها».

أعتقد أن الكونين مختلفان[1] وأن المهمتين مختلفتان[2] كذلك، وأن هذا الاختلاف لابد أن يستتبع اختلافًا في نظم الحياة المتصلة بكل منهما، وهذا هو سر ما جاء في الإسلام من فوارق بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات.

(٣) بين المرأة والرجل تجاذب فطري قوي هو الأساس الأول للعلاقة بينهما، وإن الغاية منه قبل أن تكون المتعة وما إليها هي التعاون على حفظ النوع واحتمال متاعب الحياة.

وقد أشار الإسلام إلى هذا الميل النفساني وزكاه وصرفه عن المعنى الحيواني أجمل الصرف إلى معنى روحي يعظم غايته، ويوضح المقصود منه، ويسمو به عن صورة الاستمتاع البحت، إلى صورة التعاون التام، ولنسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، وعلى ضوء هذه الأصول الثابتة ننظر إلى ما وضع الإسلام من نظم وطرائق.

* * *

(١) في الأصل: «مختلفين».

(٢) في الأصل: «مختلفتين».

(٢) المرأة المسلمة[١]

أشرت في الكلمة السابقة إلى أصول ثلاثة قررها الإسلام في شأن المرأة:

(١) فهو يرفع منزلتها ويجعلها[٢] من الرجل، وشريكة له في الحقوق والواجبات الإنسانية العامة.

(٢) وهو إذا فرق بينهما في شيء من هذا، فإنما ذلك نزولاً على حكم الخصائص التي يمتاز بها كل منهما عن الآخر في تكوينه وفي مهمته.

(٣) وأنه يسير بالغريزة الجنسية بين الرجل والمرأة تسييرًا حكيمًا فيصرفها إلى النافع، ويضع لها الحواجز حتى لا تتعدى إلى الضار.

هذه هي الأصول التي راعاها الإسلام وقررها في نظرته إلى المرأة، وعلى أساسها جاء تشريعه الحكيم كافلاً للتعاون العام بين الجنسين، بحيث يستفيد كل منهما من الآخر، ويعينه على شئون الحياة.

والكلام عن المرأة في المجتمع في نظر الإسلام يتلخص في هذه النقط:

أولاً: يرى الإسلام وجوب تهذيب خلق المرأة وتربيتها على الفضائل والكمالات النفسانية منذ النشأة، ويحث الآباء وأولياء أمور الفتيات على هذا، ويعدهم عليه الثواب الجزيل من الله، ويتوعدهم بالعقوبة إن قصروا، وفي الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وفي الحديث الصحيح: «**كلكم راعٍ ومسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**»[٣] أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

---

(١) مجلة المنار، الجزء (١٠)، المجلد (٣٥)، شعبان ١٣٥٩هـ- سبتمبر ١٩٤٠م، ص(٣٥-٤٣).
(٢) في الأصل: «وتجعلها».
(٣) سبق تخريجه.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة»(١)، رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، وابن حبان في صحيحه.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان، أو أختان، فأحسن صحبتهن، واتقى الله فيهن، فله الجنة»(٢) رواه الترمذي واللفظ له، وأبو داود إلا أنه قال: «فأدبهن، وأحسن إليهن، وزوجهن، فله الجنة»(٣).

ومن حسن التأديب أن يعلمهن ما لا غنى لهن عنه من لوازم مهمتهن كالقراءة، والكتابة، والحساب، والدين، وتاريخ السلف الصالح رجالاً ونساء، وتدبير المنزل، والشئون الصحية، ومبادئ التربية وسياسة الأطفال، وكل ما تحتاج إليه الأم في تنظيم بيتها ورعاية أطفالها.

وفي حديث البخاري ﷺ: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»(٤)، وكان كثير من نساء السلف على جانب عظيم من العلم والفضل والفقه في دين الله تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه أحمد في «مُسْنَد عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ»، ح(٣٢٤٩)، وابن ماجه في «الأَدَبِ»، باب: «بِرِّ الْوَالِدِ وَالإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ»، ح(٣٦٦٠)، وابن حبان في صحيحه، ح(٣٠٠٧) واللفظ له، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»، ح(٣٦٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي في «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي النَّفَقَةِ عَلَى الْبَنَاتِ وَالأَخَوَاتِ»، ح(١٨٣٩)، وقد ضعفه الألباني في «الصحيحة»، ح(١٩١٦)، ومن الأحاديث الصحيحة في هذا المعنى: «من كن له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فاتقى الله وأقام عليهن كان معي في الجنة هكذا، وأومأ بالسباحة والوسطى»، انظر: «السلسلة الصحيحة»، (١/ ٥٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «فِي فَضْلِ مَنْ عَالَ يَتِيمًا»، ح(٤٤٨١)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٥١٤٧).

(٤) هذا الحديث لم يخرجه البخاري، ولكنه بوب به في كتاب «الْعِلْمِ»، باب: «الْحَيَاءِ فِي الْعِلْمِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحيٍ وَلا مُسْتَكْبِرٌ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ: نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ»، وأخرجه مسلم في «الْحَيْضِ»، باب: «اسْتِحْبَابِ اسْتِعْمَالِ الْمُغْتَسِلَةِ مِنْ الْحَيْضِ فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فِي مَوْضِعِ الدَّمِ»، ح(٥٠٠).

أما المقالات في غير ذلك من العلوم التي لا حاجة للمرأة بها؛ فعبث لا طائل تحته، فليست المرأة في حاجة إليه، وخير لها أن تصرف وقتها في النافع المفيد.

ليست المرأة في حاجة إلى التبحر في اللغات المختلفة.

وليست في حاجة إلى الدراسات الفنية الخاصة فستعلم عن قريب أن المرأة للمنزل أولاً وأخيرًا.

وليست المرأة في حاجة إلى التبحر في دراسة الحقوق والقوانين، وحسبها أن تعلم من ذلك ما يحتاج إليه عامة الناس.

كان أبو العلاء المعري[1] يوصي بالنساء فيقول:

علموهن الغزل والنسج والرد ن وخلوا كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد والإخـ ـلاص تجزئ عن يونس وبراءة[2]

ونحن لا نريد أن نقف عند هذا الحد، ولا نريد ما يريد أولئك الغالون المفرطون في تحميل المرأة ما لا حاجة لها به من أنواع الدراسات، ولكنا نقول: علموا المرأة ما هي في حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التي خلقها الله لها، تدبير المنزل ورعاية الطفل.

ثانيًا: التفريق بين المرأة والرجل

يرى الإسلام في الاختلاط بين المرأة والرجل خطرًا محققًا، فهو يباعد بينهما إلا بالزواج، ولهذا فإن المجتمع الإسلامي مجتمع انفرادي لا [مجتمعًا مشتركًا][3].

سيقول دعاة الاختلاط: إن في ذلك حرمانًا للجنسين من لذة الاجتماع، وحلاوة

(١) أبو العلاء المعري [٣٦٣ - ٤٤٩هـ = ٩٧٣ - ١٠٥٧م]: أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخي المعري: شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. أصيب بالجدري صغيرًا فعمي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة ٣٩٨هـ، ولما مات وقف على قبره ٨٤ شاعرًا يرثونه. أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته، فثلاثة أقسام: (لزوم ما لا يلزم) ويعرف باللزوميات، و(سقط الزند)، و(ضوء السقط)، وقد ترجم كثير من شعره إلى غير العربية، وأما كتبه فكثيرة وفهرسها في «معجم الأدباء». [الأعلام، (١/ ١٥٧)].

(٢) تكملة هذين البيتين بيت ثالث قال فيه:

تَهتِكُ السِّترَ بِالجُلوسِ أَمامَ السِّـ ـترِ إِن غَنَّتِ القِيانُ وَراءَه

(٣) في الأصل: «مجتمع مشترك».

الأنس التي يجدها كل منهما في سكونه للآخر، والتي توجد شعورًا يستتبع كثيرًا من الآداب الاجتماعية من: الرقة، وحسن المعاشرة، ولطف الحديث، ودماثة[١] الطباع... إلخ.

وسيقولون: إن هذه المباعدة بين الجنسين ستجعل كلاً منهما مشوقًا أبدًا إلى الآخر، ولكن الاتصال بينهما يقلل من التفكير في هذا الشأن، ويجعله أمرًا عاديًّا في النفوس.

.... وحب شيء إلى الإنسان ما منعا[٢]

وما ملكته اليد زهدته النفس.

كذا يقولون: ويفتتن بقولهم كثير من الشبان، ولاسيما وهي فكر توافق أهواء النفوس وتساير شهواتها.

ونحن نقول لهؤلاء: مع أننا نسلم بما ذكرتم في الأمر الأول نقول لكم: إن ما يعقب لذة الاجتماع، وحلاوة الأنس من ضياع الأعراض، وخبث الطوايا، وفساد النفوس، وتهدم البيوت، وشقاء الأمر، وبلاء الجريمة، وما يستلزمه هذا الاختلاط من طراوة في الأخلاق ولين في الرجولة لا يقف عند حد الرقة، بل هو يتجاوز ذلك إلى حد الخنوثة والرخاوة، وكل ذلك ملموس لا يماري فيه إلا مكابر.

كل هذه الآثار السيئة التي تترتب على الاختلاط تربي ألف مرة على ما ينتظر منه من فوائد، وإذا تعارضت المصلحة والمفسدة فدرء المفسدة أولى، ولاسيما إذا كانت المصلحة لا تعد شيئًا بجانب هذا الفساد.

وأما الأمر الثاني: فغير صحيح، وإنما يزيد الاختلاط قوة الميل، وقديمًا قيل: إن الطعام يقوي شهوة النهم[٣]، والرجل يعيش مع امرأته دهرًا ويجد الميل إليها يتجدد في

---

(١) الدَّمِثُ: المكان اللَّين ذو رَمْلٍ، والجمع الدِّماثُ، وقد دَمِثَ بالكسر يَدْمَثُ دَمَثًا. والدَّماثَةُ: سهولة الخُلُق. يقال: ما كان أَدْمَثَ فلانًا وأَلْيَنَهُ. [الصحاح، مادة (دمث)].

(٢) عجز بيت للأحوص الأنصاري صدره:

وَزادَني كَلَفًا في الحُبِّ أَن مُنِعَت ....

من قصيدته التي مطلعها:

يا دينَ قَلبِكَ مِنها لَستَ ذاكِرَها ... إِلا تَرَقرَقَ ماءُ العَينِ أَو دَمعا

(٣) اقتباس من قول البوصيري في بردته، والبيت هو:

فَلا تَرُمْ بالمعاصِي كَسْرَ شَهْوَتِها ... إنَّ الطعامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ

نفسه، فما باله لا تكون صلته بها مذهبة لميله إليها، والمرأة التي تخالط الرجال تفتنّ في إبداء ضروب زينتها، ولا يرضيها إلا أن تثير في نفوسهم الإعجاب بها، وهذا أيضًا أثر اقتصادي من أسوأ الآثار التي يعقبها الاختلاط، وهو الإسراف في الزينة، والتبرج المؤدي إلى الإفلاس والخراب والفقر. لهذا نحن نصرح بأن المجتمع الإسلامي مجتمع فردي لا زوجي، وأن للرجال مجتمعاتهم وللنساء مجتمعاتهن. ولقد أباح الإسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة والخروج في القتال عند الضرورة الماسة، ولكنه وقف عند هذا الحد واشترط له شروطًا شديدة من البعد عن كل مظاهر الزينة، ومن ستر الجسم ومن إحاطة الثياب به فلا تصف ولا تشف، ومن عدم الخلوة بأجنبي مهما كانت الظروف وهكذا.

إن من أكبر الكبائر في الإسلام أن يخلو الرجل بامرأة ليست بذات محرم له، ولقد أخذ الإسلام السبيل على الجنسين في هذا الاختلاط أخذًا قويًا محكمًا.

فالستر في الملابس أدب من آدابه. وتحريم الخلوة بالأجنبي حكم من أحكامه. وغض الطرف واجب من واجباته، والعكوف في المنازل للمرأة حتى في الصلاة شعيرة من شعائره. والبعد عن الإغراء بالقول والإشارة وكل مظاهر الزينة وبخاصة عن الخروج حد من حدوده.

كل ذلك إنما يراد به أن يسلم الرجل من فتنة المرأة، وهي أحب الفتن إلى نفسه، وأن تسلم المرأة من فتنة الرجل، وهي أقرب الفتن إلى قلبها، والآيات الكريمة والأحاديث المطهرة تنطق بذلك.

يقول الله تبارك وتعالى في سورة النور: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠-٣١]، وفي سورة «الأحزاب»: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ

ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]... إلى آيات أخرى كثيرة.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يعني عن ربه ﷻ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيمانًا يجد حلاوته في قلبه»[1] رواه الطبراني والحاكم من حديث حذيفة.

وعن أبي أمامة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «لتغضن أبصاركم، ولتحفظن فروجكم، أو ليكسفن[2] الله وجوهكم»[3] رواه الطبراني.

وعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صباح إلا وملكان يناديان: ويل للرجال من النساء، وويل للنساء من الرجال»[4] رواه ابن ماجه والحاكم.

وعن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء». فقال رجل من الأنصار: [أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت]»[5][6] رواه البخاري ومسلم والترمذي. والمراد بدخول الأحماء على المرأة: الخلوة بها.

كما قال رسول الله ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»[7].

وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخلون أحدكم[8] بامرأة إلا مع ذي

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، (٤/ ٣٤٩)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ولكن تعقبه الذهبي بقوله: «إسحاق واه، وعبد الرحمن هو الواسطي ضعفوه»، والطبراني في «الكبير»، ح(١٠٢١١)، وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة»، (٣/ ١٧٧): «ضعيف جدًّا».

(٢) كسَفَ القمرُ يَكْسِفُ كُسوفًا، وكذلك الشمس: ذهب ضوءُها واسْوَدَّت. [اللسان، مادة (كسف)].

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(٧٧٤٦)، وقال الهيثمي في «المجمع»، (٨/ ٦٣): «رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك».

(٤) أخرجه ابن ماجه في «الفِتَن»، باب: «فِتْنَةِ النِّسَاءِ»، ح(٣٩٨٩)، والحاكم في «المستدرك»، (٤/ ٦٠٤)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه»، ح(٣٩٩٩).

(٥) في الأصل: «أفرأيت الحم؟ قال: الحم الموت».

(٦) أخرجه البخاري في «النِّكَاح»، باب: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلا ذُو مَحْرَمٍ وَالدُّخُولُ عَلَى الْمُغِيبَةِ»، ح(٤٨٣١)، ومسلم في «السَّلام»، باب: «تَحْرِيمِ الْخَلْوَةِ بِالأَجْنَبِيَّةِ وَالدُّخُولِ عَلَيْهَا»، ح(٤٠٣٧).

(٧) أخرجه الترمذي في «الرَّضَاعِ»، باب: «مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الدُّخُولِ عَلَى الْمُغِيبَاتِ»، ح(١٠٩١)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(١١٧١).

(٨) في البخاري وغيره: «رَجُلٌ».

محرم»[١] رواه البخاري ومسلم.

وعن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»[٢] رواه الطبراني والبيهقي، ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح كذا قال الحافظ المنذري.

وروي عن أبي أمامة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «إياك[٣] والخلوة بالنساء، والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما، ولأن يزحم رجل خنزيرًا متلطخًا بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبيه[٤] منكب امرأة لا تحل له»[٥] رواه الطبراني.

وعن أبي موسى ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني: زانية»[٦] رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن صحيح، ورواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، ولفظهم: قال النبي ﷺ: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية»[٧]، أي: كل عين

---

(١) أخرجه البخاري في «النِّكَاحِ»، باب: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلا ذُو مَحْرَمٍ وَالدُّخُولُ عَلَى الْمُغِيبَةِ»، ح(٤٨٣٢)، ومسلم في «الْحَجِّ»، باب: «سَفَرِ الْمَرْأَةِ مَعَ مَحْرَمٍ إِلَى حَجٍّ وَغَيْرِهِ»، ح(٢٣٩١).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(١٦٨٧٩)، والهيثمي في «المجمع»، (٤/ ٣٢٦)، وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، (٢/ ١٩١): «حسن صحيح».

(٣) في رواية الطبراني: «إياكم».

(٤) في جميع روايات الحديث: «منكبه».

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(٧٧٣٦)، والهيثمي في «المجمع»، (٤/ ٣٢٦)، وقال: «رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف جدًا وفيه توثيق»، وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»، (٢/ ٢): «ضعيف جدًا».

(٦) أخرجه الترمذي في «الأَدَبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ خُرُوجِ الْمَرْأَةِ مُتَعَطِّرَةً»، ح(٢٧١٠)، وأبو داود في «التَّرَجُّلِ»، باب: «مَا جَاءَ فِي الْمَرْأَةِ تَتَطَيَّبُ لِلْخُرُوجِ»، ح(٣٦٤٢) بلفظ: «إِذَا اسْتَعْطَرَتْ الْمَرْأَةُ فَمَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ كَذَا وَكَذَا». قَالَ قَوْلاً شَدِيدًا، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٢٧٨٦).

(٧) أخرجه ابن حبان في «الحدود»، باب: «الزنا وحده»، ح(٤٥٠١)، وابن خزيمة في «الإمامة في الصلاة، وما فيها من السنن»، باب: «جماع أبواب صلاة النساء في الجماعة»، ح(١٥٨٩)، والنسائي

نظرت إليها نظرة إعجاب واستحسان.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[(١)] رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والطبراني وعنده «أن امرأة مرت على رسول الله ﷺ متقلدة قوسًا فقال: «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء»[(٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»[(٣)] رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وعن ابن مسعود ﷺ أنه قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فقالت له امرأة في ذلك فقال: وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧][(٤)] رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي.

في «الكبرى»، ح(٩٤٢١) بلفظ: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية»، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن النسائي»، ح(٥١٢٦).

(١) أخرجه البخاري في «اللِّبَاسِ»، باب: «الْمُتَشَبِّهِينَ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ بِالرِّجَالِ»، ح(٥٤٣٥).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، ح(٤١٥٠)، وقال: «لم يرو هذا الحديث، عن عمرو بن دينار إلا محمد بن مسلم، ولا عن محمد بن مسلم إلا عبد الرحمن بن زياد»، وقال الهيثمي في «المجمع»، (٨/ ١٠٣): «رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه علي بن سعيد الرازي وهو لين، وبقية رجاله ثقات»، وقد قال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»، (٢/ ١٨): «منكر».

(٣) أخرجه أبو داود في «اللِّبَاسِ»، باب: «فِي لِبَاسِ النِّسَاءِ»، ح(٣٥٧٥)، والنسائي في «الكبرى»، ح(٩٢٥٣)، والحاكم في «المستدرك»، (٤/ ٢١٥)، وابن حبان في «الحظر والإباحة»، باب: «الكذب»، ح(٥٨٤٥)، أما ابن ماجه فقد أخرجه في «النِّكَاحِ»، باب: «فِي الْمُخَنَّثِينَ»، ح(١٨٩٣) بلفظ: «لَعَنَ الْمَرْأَةَ تَتَشَبَّهُ بِالرِّجَالِ وَالرَّجُلَ يَتَشَبَّهُ بِالنِّسَاءِ»، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٤٠٩٨).

(٤) أخرجه البخاري في «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»، باب: «وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ»، ح(٤٥٠٧) ومواضع أخر، ومسلم في «اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ»، باب: «تَحْرِيمِ فِعْلِ الْوَاصِلَةِ وَالْمُسْتَوْصِلَةِ وَالْوَاشِمَةِ وَالْمُسْتَوْشِمَةِ وَالنَّامِصَةِ وَالْمُتَنَمِّصَةِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ وَالْمُغَيِّرَاتِ خَلْقِ اللَّهِ»، ح(٣٩٦٦).

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن جارية من الأنصار تزوجت وأنها مرضت فتمعط[١] شعرها، فأرادوا أن يصلوها فسألوا النبي ﷺ فقال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة»[٢].

وفي رواية: أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها فجاءت إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له. وقالت: إن زوجها أمرني أن أصل شعرها. فقال: «لا، إنه قد لُعن الموصولات»[٣][٤] رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرًا يكون ثلاثة أيام فصاعدًا إلا ومعها أبوها، أو أخوها، أو زوجها، أو ابنها، أو ذو محرم منها»[٥] رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

وفي رواية للبخاري ومسلم: «لا تسافر المرأة يومين من السفر إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها»[٦].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة

---

(١) «فَتَمَعَّطَ» بِالْعَيْنِ وَالطَّاء الْمُهْمَلَتَيْنِ: أَي، خَرَجَ مِنْ أَصْله، وَأَصْل الْمَعْط الْمَدّ كَأَنَّهُ مَدّ إِلَى أَنْ تَقْطَع، وَيُطْلَق أَيْضًا عَلَى مَنْ سَقَطَ شَعْره. [الحافظ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، (١٧/ ٣٦)].

(٢) أخرجه البخاري في «اللِّبَاس»، باب: «الْوَصْلِ فِي الشَّعَرِ»، ح(٥٤٧٧) ومواضع أخر، ومسلم في «اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ»، باب: «تَحْرِيمِ فِعْلِ الْوَاصِلَةِ وَالْمُسْتَوْصِلَةِ وَالْوَاشِمَةِ...»، ح(٣٩٦١).

(٣) في روايتي البخاري ومسلم: «الموصلات».

(٤) أخرجه البخاري في «النِّكَاحِ»، باب: «لا تُطِيعُ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا فِي مَعْصِيَةٍ»، ح(٤٨٠٦) واللفظ له، ومسلم في «اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ»، باب: «تَحْرِيمِ فِعْلِ الْوَاصِلَةِ وَالْمُسْتَوْصِلَةِ...»، ح(٣٩٦٤).

(٥) أخرجه مسلم في «الْحَجِّ»، باب: «سَفَرِ الْمَرْأَةِ مَعَ مَحْرَمٍ إِلَى حَجٍّ وَغَيْرِهِ»، ح(٢٣٩٠)، والبخاري في «الْجُمُعَةِ»، باب: «فِي كَمْ يَقْصُرُ الصَّلاةَ...»، ح(١٠٢٦) بلفظ: «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا حُرْمَةٌ».

(٦) أخرجه البخاري في «الْجُمُعَةِ»، باب: «مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»، ح(١١٢٢)، ومسلم في «الْحَجِّ»، باب: «سَفَرِ الْمَرْأَةِ مَعَ مَحْرَمٍ إِلَى حَجٍّ وَغَيْرِهِ»، ح(٢٣٨٣).

كذا وكذا»[١] رواه مسلم وغيره.

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال: «يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه»[٢] رواه أبو داود وقال: هذا مرسل وخالد بن دريك لم يدرك عائشة.

وعن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي -رضي الله عنهما- أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني أحب الصلاة معك. قال: «قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي»، فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله ﷻ[٣] رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما[٤].

وليس بعد هذا البيان بيان، ومنه يعلم أن ما نحن عليه ليس من الإسلام في شيء، فهذا الاختلاط الفاشي بيننا في المدارس والمعاهد والمجامع والمحافل العامة، وهذا الخروج إلى الملاهي والمطاعم والحدائق، وهذا التبذل والتبرج الذي وصل إلى حد التهتك والخلاعة، كل هذه بضاعة أجنبية لا تمت إلى الإسلام بأدنى صلة، ولقد كان لها في حياتنا الاجتماعية أسوأ الآثار.

يقول كثير من الناس: إن الإسلام لم يحرم على المرأة مزاولة الأعمال العامة، وليس هناك من النصوص ما يفيد هذا فأتوني بنص يحرم ذلك. ومثل هؤلاء مثل من يقول: إن

---

(١) أخرجه مسلم في «اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ»، باب: «النِّسَاءِ الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ الْمَائِلاتِ الْمُمِيلاتِ»، ح(٣٩٧١) وموضع آخر.

(٢) أخرجه أبو داود في «اللِّبَاسِ»، باب: «فِيمَا تُبْدِي الْمَرْأَةُ مِنْ زِينَتِهَا»، ح(٣٥٨٠)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٤١٠٤).

(٣) أخرجه أحمد في «بَاقِي مُسْنَدِ الأَنْصَارِ»، ح(٢٥٨٤٢)، وابن حبان في «فصل في فضل الجماعة»، ح(٢٢٥١)، وابن خزيمة في «الإمامة في الصلاة»، باب: «جماع أبواب صلاة النساء في الجماعة»، ح(١٥٩٦)، وقد قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، (١/ ٨٢): «حسن لغيره».

(٤) في الأصل: «صحيحهما».

ضرب الوالدين جائز؛ لأن المنهي عنه في الآية أن يقال لهما: أف، ولا نص على الضرب.

إن الإسلام يحرم على المرأة أن تكشف عن بدنها، وأن تخلو بغيرها، وأن تخالط سواها، ويحبب إليها الصلاة في بيتها، ويعتبر النظرة سهمًا من سهام إبليس، وينكر عليها أن تحمل قوسًا متشبهة في ذلك بالرجل، أفيقال بعد هذا: إن الإسلام لا ينص على حرمة مزاولة المرأة للأعمال العامة؟!

إن الإسلام يرى للمرأة مهمة طبيعية أساسية هي المنزل والطفل، فهي كفتاة يجب أن تهيأ لمستقبلها الأسري، وهي كزوجة يجب أن تخلص لبيتها وزوجها، وهي كأم يجب أن تكون لهذا الزوج ولهؤلاء الأبناء، وأن تتفرغ لهذا البيت، فهي ربته ومدبرته وملكته، ومتى فرغت المرأة من شئون بيتها لتقوم على سواه؟ فإذا كان من الضرورات الاجتماعية ما يلجئ المرأة إلى مزاولة عمل آخر غير هذه المهمة الطبيعية لها، فإن من واجبها حينئذ أن تراعي هذه الشرائط التي وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل، وفتنة الرجل عن المرأة، ومن واجبها أن يكون عملها هذا بقدر ضرورتها، لا أن يكون هذا نظامًا عامًّا من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه.

والكلام في هذه الناحية أكثر من أن يحاط به، ولاسيما في هذا العصر الميكانيكي الذي أصبحت فيه مشكلة البطالة وتعطل الرجال من أعقد مشاكل المجتمعات البشرية في كل شعب وفي كل دولة.

وللإسلام بعد ذلك آداب كريمة في حق الزوج على زوجه، والزوجة على زوجها، والوالدين على أبنائهما، والأبناء على والديهم، وما يجب أن يسود الأسرة من حب وتعاضد على الخير، وما يجب أن تقدمه للأمة من خدمات جلى مما لو أخذ الناس بهم لسعدوا في الحياتين، ولفازوا بالعبادتين.

* * *


شباب
النادي الشبابي

رســـــالة
إلى الشباب عامة
وإلى الطلبة خاصة

تقديم

هذه رسالة خصصها الإمام البنا للشباب رد فيها على بعض الشبهات التي ألصقت بالجماعة، وفند هذه الشبهات وكشف زيفها، كما تحدث عن أهداف الجماعة وبين أنها تبدأ بالفرد المسلم، ثم البيت المسلم، ثم المجتمع المسلم، ثم الحكومة الإسلامية، ثم أستاذية العالم.

وهذه الأهداف المتتالية لا يمكن القفز عليها، أو اختصار مرحلة من مراحلها.

وقد اعتمدنا على ما نشرته دار الكتاب العربي في عام ١٩٥١م، وقد ذكرت في مقدمة الرسالة أنها صدرت منذ عشر سنوات، مما يرجح أن تلك الرسالة صدرت بين عامي ١٩٤٠م و١٩٤١م أثناء منع صدور صحف الإخوان ومجلاتهم.

* * *

إلى الشباب عامة وإلى الطلبة خاصة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۞ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ۞ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۞ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٤٦-٥٠].

أيها الشباب:

أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد إمام المصلحين وسيد المجاهدين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أيها الشباب:

إنما تنجح الفكرة إذا قوي الإيمان بها، وتوفر الإخلاص في سبيلها، وازدادت الحماسة لها، ووجد الاستعداد الذي يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها. وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة من: الإيمان، والإخلاص، والحماسة، والعمل من خصائص الشباب؛ لأن أساس الإيمان القلب الذكي، وأساس الإخلاص الفؤاد النقي، وأساس الحماسة الشعور القوي، وأساس العمل العزم الفتي، وهذه كلها لا تكون إلا للشباب. ومن هنا كان الشباب قديمًا وحديثًا في كل أمة عماد نهضتها، وفي كل نهضة سر قوتها، وفي كل فكرة حامل رايتها: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً﴾ [الكهف: ١٣].

ومن هنا كثرت واجباتكم، ومن هنا عظمت تبعاتكم، ومن هنا تضاعفت حقوق أمتكم عليكم، ومن هنا ثقلت الأمانة في أعناقكم. ومن هنا وجب عليكم أن تفكروا طويلاً، وأن تعملوا كثيرًا، وأن تحددوا موقفكم، وأن تتقدموا للإنقاذ، وأن تعطوا الأمة حقها كاملاً من هذا الشباب.

قد ينشأ الشاب في أمة وادعة هادئة، قوي سلطانها، واستبحر عمرانها، فينصرف إلى نفسه أكثر مما ينصرف إلى أمته، ويلهو ويعبث وهو هادئ النفس مرتاح الضمير. وقد ينشأ في أمة جاهدة عاملة قد استولى عليها غيرها، واستبد بشئونها خصمها، فهي تجاهد ما

استطاعت في سبيل استرداد الحق المسلوب، والتراث المغصوب، والحرية الضائعة، والأمجاد الرفيعة، والمثل العالية، وحينئذ يكون من أوجب الواجبات على هذا الشباب أن ينصرف إلى أمته أكثر مما ينصرف إلى نفسه، وهو إذ يفعل ذلك يفوز بالخير العاجل في ميدان النصر، والخير الآجل من مثوبة الله. ولعل من حسن حظنا أن كنا من الفريق الثاني، فتفتحت أعيننا على أمة دائبة الجهاد، مستمرة الكفاح في سبيل الحق والحرية. واستعدوا يا رجال، فما أقرب النصر للمؤمنين، وما أعظم النجاح للعاملين الدائبين.

أيها الشباب:

لعل من أخطر النواحي في الأمة الناهضة -وهي في فجر نهضتها- اختلاف الدعوات، واختلاط الصيحات، وتعدد المناهج، وتباين الخطط والطرائق، وكثرة المتصدين للتزعم والقيادة، وكل ذلك تفريق في الجهود، وتوزيع للقوى يتعذر معه الوصول إلى الغايات، ومن هنا كانت دراسة هذه الدعوات والموازنة بينها أمرًا أساسيًا لابد منه لمن يريدون الإصلاح.

ومن هنا كان من واجبي أن أشرح لكم في وضوح موجز دعوة الإخوان المسلمين أو دعوة الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري.

دعوة الإخوان المسلمين، أو دعوة الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري:

يا شباب:

لقد آمنا إيمانًا لا جدال فيه ولا شك معه، واعتقدنا عقيدة أثبت من الرواسي، وأعمق من خفايا الضمائر، بأنه ليس هناك إلا فكرة واحدة هي التي تنقذ الدنيا المعذبة، وترشد الإنسانية الحائرة، وتهدي الناس سواء السبيل، وهي لذلك تستحق أن يضحى في سبيل إعلانها، والتبشير بها، وحمل الناس عليها بالأرواح والأموال وكل رخيص وغال، هذه الفكرة هي «الإسلام الحنيف» الذي لا عوج فيه، ولا شر معه، ولا ضلال لمن اتبعه.

﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران: ١٨-١٩]، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فكرتنا لهذا إسلامية بحتة، على الإسلام ترتكز، ومنه تستمد، وله تجاهد، وفي سبيل

إعلاء كلمته تعمل، لا تعدل بالإسلام نظامًا، ولا ترضى سواه إمامًا، ولا تطيع لغيره أحكامًا.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولقد أتى على الإسلام والمسلمين حين من الدهر توالت فيه الحوادث، وتتابعت الكوارث، وعمل خصوم الإسلام على إطفاء روائه[١]، وإخفاء بهائه[٢]، وتضليل أبنائه، وتعطيل حدوده، وإضعاف جنوده، وتحريف تعاليمه وأحكامه تارة بالنقص منها، وأخرى بالزيادة فيها، وثالثة بتأويلها على غير وجهها، وساعدهم على ذلك ضياع سلطة الإسلام السياسية، وتمزيق إمبراطوريته العالمية، وتسريح جيوشه المحمدية، ووقوع أممه في قبضة أهل الكفر مستذلين مستعمرين.

فأول واجباتنا نحن الإخوان أن نبين للناس حدود هذا الإسلام واضحة كاملة بينة لا زيادة فيها ولا نقص بها ولا لبس معها، وذلك هو الجزء النظري من فكرتنا، وأن نطالبهم بتحقيقها، ونحملهم على إنفاذها، ونأخذهم بالعمل بها، وذلك هو الجزء العملي في هذه الفكرة.

وعمادنا في ذلك كله كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، والسيرة المطهرة لسلف هذه الأمة، لا نبغي من وراء ذلك إلا إرضاء الله، وأداء الواجب، وهداية البشر، وإرشاد الناس.

وسنجاهد في سبيل تحقيق فكرتنا، وسنكافح لها ما حيينا، وسندعو الناس جميعًا إليها، وسنبذل كل شيء في سبيلها، فنحيا بها كرامًا أو نموت كرامًا، وسيكون شعارنا الدائم: (الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا).

أيها الشباب:

إن الله قد أعزكم بالنسبة إليه، والإيمان به، والتنشئة على دينه، وكتب لكم بذلك مرتبة الصدارة من الدنيا، ومنزلة الزعامة من العالمين، وكرامة الأستاذ بين تلامذته.

---

(١) الرُّواءُ: المَنْظَر. وقيل: الرُّواءُ، بالضم: حُسْنُ المَنْظر في البَهاء والجَمال. [لسان العرب، مادة (رأى)].
(٢) أي: الحسن والجمال. [المعجم الوجيز، ص(٦٥)].

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فأول ما ندعوكم إليه أن تؤمنوا بأنفسكم، وأن تعلموا منزلتكم، وأن تعتقدوا أنكم سادة الدنيا، وإن أراد لكم خصومكم الذلة، وأساتذة العالمين، وإن ظهر عليكم غيركم بظاهر من الحياة الدنيا، والعاقبة للمتقين.

فجددوا -أيها الشباب- إيمانكم، وحددوا غاياتكم وأهدافكم، وأول القوة الإيمان، ونتيجة هذا الإيمان الوحدة، وعاقبة الوحدة النصر المؤزر المبين. فآمنوا وتآخوا واعملوا وترقبوا بعد ذلك النصر.. وبشر المؤمنين.

إن العالم كله حائر يضطرب، وكل ما فيه من النظم قد عجز عن علاجه، ولا دواء له إلا الإسلام، فتقدموا باسم الله لإنقاذه، فالجميع في انتظار المنقذ، ولن يكون المنقذ إلا رسالة الإسلام التي تحملون مشعلها وتبشرون بها.

أيها الشباب:

إن منهاج الإخوان المسلمين محدود المراحل، واضح الخطوات، فنحن نعلم تمامًا ماذا نريد، ونعرف الوسيلة إلى تحقيق هذه الإرادة.

- نريد أولاً الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خلقه وعاطفته، وفي عمله وتصرفه. فهذا هو تكويننا الفردي.

- ونريد بعد ذلك البيت المسلم في ذلك كله، ونحن لهذا نعنى بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب، وهذا هو تكويننا الأسري.

- ونريد بعد ذلك الشعب المسلم في ذلك كله أيضًا، ونحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا إلى كل بيت، وأن يسمع صوتنا في كل مكان، وأن تتيسر فكرتنا وتتغلغل في القرى والنجوع والمدن والمراكز والحواضر والأمصار، لا نألو في ذلك جهدًا، ولا نترك وسيلة.

- ونريد بعد ذلك «الحكومة المسلمة» التي تقود هذا الشعب إلى المسجد، وتحمل به الناس على هدى الإسلام من بعد كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر من قبل. ونحن لهذا لا نعترف بأي نظام حكومي لا يرتكز على أساس الإسلام ولا يستمد منه، ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية، ولا بهذه الأشكال

التقليدية التي أرغمنا أهل الكفر وأعداء الإسلام على الحكم بها والعمل عليها، وسنعمل على إحياء نظام الحكم الإسلامي بكل مظاهره، وتكوين الحكومة الإسلامية على أساس هذا النظام.

ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي الذي فرقته السياسة الغربية، وأضاعت وحدته المطامع الأوروبية. ونحن لهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية، ولا نسلم بهذه الاتفاقات الدولية، التي تجعل من الوطن الإسلامي دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها على الغاصبين، ولا نسكت على هضم حرية هذه الشعوب واستبداد غيرها بها، فمصر وسورية والعراق والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكل شبر أرض فيه مسلم يقول: لا إله إلا الله، كل ذلك وطننا الكبير الذي نسعى لتحريره وإنقاذه وخلاصه وضم أجزائه بعضها إلى بعض.

ولئن كان الرايخ[1] الألماني يفرض نفسه حاميًا لكل من يجري في عروقه دم الألمان، فإن العقيدة الإسلامية توجب على كل مسلم قوي أن يعتبر نفسه حاميًا لكل من تشربت نفسه بتعاليم القرآن، فلا يجوز في عرف الإسلام أن يكون العامل العنصري أقوى في الرابطة من العامل الإيماني، والعقيدة هي كل شيء في الإسلام، وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟

- ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خافقة عالية على تلك البقاع التي سعدت بالإسلام حينًا من الدهر، ودوى فيها صوت المؤذن بالتكبير والتهليل، ثم أراد لها نكد الطالع أن ينحسر عنها ضياؤه فتعود إلى الكفر بعد الإسلام، فالأندلس وصقلية والبلقان وجنوب إيطاليا وجزائر بحر الروم، كلها مستعمرات إسلامية يجب أن تعود إلى أحضان الإسلام، ويجب أن يعود البحر الأبيض والبحر الأحمر بحيرتين إسلاميتين كما كانتا من قبل، ولئن كان السنيور موسوليني يرى من حقه أن يعيد الإمبراطورية الرومانية، وما تكونت هذه الإمبراطورية المزعومة قديمًا إلا على أساس المطامع والأهواء، فإن من حقنا أن نعيد مجد الإمبراطورية الإسلامية التي قامت على العدالة والإنصاف ونشر النور والهداية بين الناس.

---

(١) الرايخ بالألمانية تعني: الإمبراطورية.

- نريد بعد ذلك أن نعلن دعوتنا على العالم، وأن نبلغها[1] الناس جميعًا، وأن نعم بها آفاق الأرض، وأن نخضع لها كل جبار، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

ولكل مرحلة من هذه المراحل خطواتها وفروعها ووسائلها، وإنما نجمل هنا القول دون إطالة ولا تفصيل، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ليقل القاصرون الجبناء: إن هذا خيال عريق، ووهم استولى على نفوس هؤلاء الناس، وذلك هو الضعف الذي لا نعرفه ولا يعرفه الإسلام. ذلك هو الوهن الذي قذف في قلوب هذه الأمة فمكن لأعدائها فيها، وذلك هو خراب القلب من الإيمان، وهو علة سقوط المسلمين. وإنما نعلن في وضوح وصراحة أن كل مسلم لا يؤمن بهذا المنهاج ولا يعمل لتحقيقه لا حظ له في الإسلام، فليبحث له عن فكرة أخرى يدين بها ويعمل لها.

أيها الشباب:

لستم أضعف ممن قبلكم ممن حقق الله على أيديهم هذا المنهاج، فلا تهنوا ولا تضعفوا، وضعوا نصب أعينكم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

سنربي أنفسنا ليكون منا الرجل المسلم، وسنربي بيوتنا ليكون منها البيت المسلم، وسنربي شعبنا ليكون في مصر الشعب المسلم، وسنكون من بين هذا الشعب المسلم، وسنسير بخطوات ثابتة إلى تمام الشوط، وإلى الهدف الذي وضعه الله لنا، لا الذي وضعناه لأنفسنا، وسنصل بمعونة الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وقد أعددنا لذلك إيمانًا لا يتزعزع، وعملاً لا يتوقف، وثقة بالله لا تضعف، وأرواحًا أسعد أيامها يوم تلقى الله شهيدة في سبيله.

فليكن ذلك من صميم السياسة الداخلية والخارجية، فإنما نستمد ذلك من الإسلام، ونجد بأن هذا التفريق بين الدين والسياسة ليس من تعاليم الإسلام الحنيف، ولا يعرفه المسلمون الصادقون في دينهم، الفاهمون لروحه وتعاليمه، فليهجرنا من يريد تحويلنا عن

---

(١) في الأصل: «نبلغ».

هذا المنهاج؛ فإنه خصم للإسلام أو جاهل به، وليس له سبيل إلا أحد هذين الوضعين.

أيها الشباب:

يخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين (دراويش) قد حصروا أنفسهم في دائرة ضيقة من العبادات الإسلامية، كل همهم صلاة وصوم وذكر وتسبيح؛ فالإخوان المسلمون لم يعرفوا الإسلام بهذه الصورة، ولم يؤمنوا به على هذا النحو، ولكنهم آمنوا به عقيدة وعبادة، ووطنًا وجنسية، وخلقًا ومادة، وثقافة وقانونًا، وسماحة وقوة، واعتقدوه نظامًا شاملاً يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة، ينظم أمر الدنيا كما ينظم الآخرة. اعتقدوه نظامًا عمليًا وروحيًا معًا؛ فهو عندهم دين ودولة، ومصحف وسيف. وهم مع هذا لا يهملون أمر عبادتهم، ولا يقصرون في أداء فرائضهم لربهم، يحاولون إحسان الصلاة، ويتلون كتاب الله، ويذكرون الله تبارك وتعالى على النحو الذي أمر به، وفي الحدود التي وضعها لهم، في غير غلو ولا سرف، فلا تنطع(١) ولا تعمق، وهم أعرف بقول رسول الله ﷺ: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، إن المُنْبَتَّ(٢) لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى»(٣)، وهم مع هذا يأخذون من دنياهم بالنصيب الذي لا يضر بآخرتهم، ويعلمون قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢].

وإن الإخوان المسلمين ليعلمون أن خير وصف لخير جماعة هو وصف أصحاب النبي ﷺ: «رهبان بالليل، فرسان بالنهار»(٤)، وكذلك يحاولون أن يكونوا، والله المستعان.

ويخطئ من يعلن أن الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية؛ فالإخوان المسلمون أشد الناس إخلاصًا لأوطانهم، وتفانيًا في خدمة هذه الأوطان، واحترامًا لكل من يعمل لها مخلصًا، وها قد علمت إلى أي حد يذهبون في وطنيتهم، وإلى أي عزة يبغون

---

(١) تنطع في الشيء: غالى وتكلف فيه. [المعجم الوجيز، ص(٦٢١)].

(٢) الانْبِتاتُ: الانقِطاعُ. ورجل مُنْبَتٌّ، أي: مُنْقَطَعٌ به. وأَبَتَّ بعيرَه: قَطَعَه بالسير. والمُنْبَتُّ في حديث الذي أَتْعَبَ دابَّتَه حتى عَطِبَ ظَهْرُه، فَبَقِي مُنْقَطَعًا به. [لسان العرب، مادة (بتت)].

(٣) أخرج الإمام أحمد في مسند أنس بن مالك ﷺ، ح(١٢٥٧٩) طرفًا من هذا الحديث فقال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ». وقد أخرجه بأجمعه البيهقي في «السنن الكبرى»، (٣/ ١٨)، وقد ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة»، (٥/ ٥٠١).

(٤) سبق تخريجه.

بأمتهم، ولكن الفارق بين الإخوان وبين غيرهم من دعاة الوطنية المجردة أن أساس وطنية الإخوان العقيدة الإسلامية. فهم يعملون لمصر، ويجاهدون في سبيل مصر، ويفنون في هذا الجهاد؛ لأنها من أرض الإسلام وزعيمة أممه، كما أنهم لا يقفون بهذا الشعور عند حدودها، بل يشركون معها فيه كل أرض إسلامية، وكل وطن إسلامي.

على حين يقف كل وطني مجرد عند حدود أمته، ولا يشعر بفريضة العمل للوطن إلا عن طريق التقليد أو الظهور أو المباهاة أو المنافع، لا عن طريق الفريضة المنزلة من الله على عباده، وحسبك من وطنية الإخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أن التفريط في أي شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر حتى يعيدوه أو يهلكوا دون إعادته، ولا نجاة لهم من الله إلا بهذا.

ويخطئ مَن يظن أن الإخوان المسلمين دعاة كسل أو إهمال، فالإخوان يعلنون في كل أوقاتهم أن المسلم لابد أن يكون إمامًا في كل شيء، ولا يرضون بغير القيادة، والعمل، والجهاد، والسبق في كل شيء: في العلم، وفي القوة، وفي الصحة، وفي المال. والتأخر في أية ناحية من النواحي ضار بفكرتنا مخالف لتعاليم ديننا، ونحن مع هذا ننكر على الناس هذه المادية الجارفة التي تجعلهم يريدون أن يعيشوا لأنفسهم فقط، وأن ينصرفوا بمواهبهم وأوقاتهم وجهودهم إلى الأنانية الشخصية، فلا يعمل أحدهم لغيره شيئًا، ولا يعنى من أمر أمته بشيء، والنبي ﷺ يقول: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»(١)، كما يقول: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»(٢).

ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة تفريق عنصري بين طبقات الأمة، فنحن نعلم أن الإسلام عني أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية العامة بين بني الإنسان في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، كما أنه جاء لخير الناس جميعًا، ورحمة من الله للعالمين، ودين هذه مهمته أبعد الأديان عن تفريق القلوب وإيغار الصدور؛ ولهذا جاء القرآن مثبتًا لهذه الوحدة،

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، ح(٧٦٨٦)، والهيثمي في «المجمع»، (١٠/ ٢٤٨)، وقال: «رواه الطبراني وفيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو متروك»، وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١/ ٤٨٠): «ضعيف جدًا».

(٢) أخرجه مسلم في «الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ»، باب: «الأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ»، ح(٣٦١٥).

مشيدًا بها في مثل قوله تعالى: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقد حرم الإسلام الاعتداء حتى في حالات الغضب والخصومة فقال تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

وأوصى بالبر والإحسان بين المواطنين وإن اختلفت عقائدهم وأديانهم: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

وفي إنصاف الذميين وحسن معاملتهم فلهم ما لنا، وعليهم ما علينا. نعلم كل هذا فلا ندعو إلى تفرقة عنصرية، ولا إلى عصبية طائفية. ولكن إلى جانب هذا لا نشتري هذه الوحدة بإيماننا، ولا نساوم في سبيلها على عقيدتنا، ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين، دائمًا نشتريها بالحق والإنصاف والعدالة وكفى. فمن حاول غير ذلك أوقفناه عند حده، وأبنا له خطأ ما ذهب إليه، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين يعملون لحساب هيئة من الهيئات، أو يعتمدون على جماعة من الجماعات؛ فالإخوان المسلمون يعملون لغايتهم على هدى من ربهم، وهم للإسلام وأبنائه في كل زمان ومكان، وينفقون مما رزقهم الله ابتغاء مرضاته، ويفخرون بأنهم إلى الآن لم يمدوا يدهم إلى أحد، ولم يستعينوا بفرد ولا هيئة ولا جماعة.

أيها الشباب:

على هذه القواعد الثابتة، وإلى هذه التعاليم السامية ندعوكم جميعًا، فإن آمنتم بفكرتنا، واتبعتم خطواتنا، وسلكتم معنا سبيل الإسلام الحنيف، وتجردتم من كل فكرة سوى ذلك، ووقفتم لعقيدتكم كل جهودكم فهو الخير لكم في الدنيا والآخرة، وسيحقق الله بكم -إن شاء الله- ما حقق بأسلافكم في العصر الأول، وسيجد كل عامل صادق منكم في ميدان الإخوان ما يرضي همته، ويستغرق مدى نشاطه إن كان من الصادقين.

وإن أبيتم إلا التذبذب والاضطراب، والتردد بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة، فإن كتيبة الله ستسير غير عابئة بقلة ولا بكثرة، ﴿وَمَا النَّصْرُ إلا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

* * *


النادي الشبابي

رسالة

المؤتمر السادس

١١ذو الحجة المبارك ١٣٥٩هـ -٩ يناير ١٩٤١م

تقـــديم

انعقد المؤتمر السادس بعد عامين من انعقاد المؤتمر الخامس، في وقت كانت الأحكـام العرفية قد فرضت على البلاد بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانيـة عـام ١٩٣٩م، والـتي استمرت حتى عام ١٩٤٥م، ولقد تخوف رئيس الوزراء حسين سري باشا من هذا المؤتمر في ظل تلك الأجواء، خاصة وأن الشارع المصري كان معبأً ضد الإنجليز بسبب سياستهم القمعية ضد الشعب.

ولقد ضغط الإنجليز على الحكومة لمنع الإخوان مـن إقامـة المـؤتمر في هـذا الوقـت. وتقدم الإخوان بطلب لعقد المؤتمر طبقًا للأحكام العرفيـة، غـير أن الحـاكم العسـكري لم يوافق، فطلبوا عقده في الأزهر الشريف فرفض أيضًا، كما أنه رفض عقده في دار الشـبان المسلمين، وتدخلت كثير من الشخصيات الوطنية لدى الحكومة لإقناعهـا بعقـد المـؤتمر، فتمت الموافقة بشرط ألا يحضر من كل شعبة أكثر من اثـنين، وأن يعقـد بـدار الإخـوان، فوافق الإخوان، وعقد المؤتمر في ١١من ذي الحجة ١٣٥٩هـ الموافق ٩ مـن ينـاير ١٩٤١م بدار الإخوان بالحلمية.

وبالرغم من أن دار الإخوان في هذا الوقت لا تتسع لأكثر من ألفي شخص إلا أنـه قد حضر ما يقرب من الخمسة آلاف، فنصب الإخـوان السـرادقات في الشـوارع المحيطـة بالدار.

وحضره لفيف من العلماء وأعضاء الجمعيات والهيئات الإسلامية، وكثير من أعضاء مجلس النواب والشيوخ.

وقد تألفت لجنة المؤتمر من الأستاذ أحمد السكري وكيـل عـام الجماعـة، والأسـتاذ محمود عبد الحليم، والأستاذ عبد الحكيم عابدين، وغيرهم، وتحدث الأستاذ السكري، ثم اللواء محمد صالح حرب باشا الرئيس العـام لجمعيـات الشبان المسـلمين وغيرهـم مـن الخطباء، ثم ألقى الإمام البنا كلمته.

وقد أصدر المركز العام نص المؤتمر مشتملاً على كلمة الإمام البنا وقرارات المؤتمرات في كتيب في ذي الحجة ١٣٥٩هـ الموافق يناير ١٩٤١م.

* * *

رسالة المؤتمر السادس

المنعقد في الحادي عشر من ذي الحجة المبارك ١٣٥٩هـ الموافق للتاسع من يناير ١٩٤١م[1]

---

(١) لقد أصدر المركز العام كتيبًا يتضمن وقائع هذا المؤتمر جاء في التعريف به:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

انعقاد المؤتمر: في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة المبارك من سنة ١٣٥٩ الهجرية الموافق لليوم التاسع من يناير سنة ١٩٤١ الميلادية في تمام الساعة السادسة مساء انعقد المؤتمر الدوري السادس للإخوان المسلمين بدار المركز العام بالحلمية الجديدة بمدينة القاهرة.

الحاضرون: وقد حضر هذا المؤتمر أعضاء مكتب الإرشاد العام، وأعضاء شعب الإخوان بالقاهرة وبمراكز القطر المصري، وكثير من بنادره وقراه، وكثير من أعضاء الجمعيات والهيئات الإسلامية، وحضرات أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف، وكثير من النواب والشيوخ، وقد زاد عدد الحاضرين على خمسة آلاف شخص، وقد كان يحافظ على نظام الاجتماع أعضاء جوالة الإخوان بالقاهرة والأقاليم الذين أربى عددهم على ٥٠٠ جوال.

لجنة المؤتمر: وقد تألفت لجنة المؤتمر من حضرات:

١- الأستاذ أحمد أفندي السكري وكيل عام الإخوان المسلمين — رئيسًا للجنة.
٢- الأستاذ محمود عبد الحليم أفندي — وكيلاً للجنة.
٣- الأستاذ عبد الحكيم عابدين — سكرتيرًا للجنة.
٤- الأستاذ جمال الدين عامر أفندي — سكرتيرًا مساعدًا.
٥- الأستاذ محمد بسيوني المحامي الأهلي — أمينًا للصندوق.
٦- الأستاذ محمد خضري المحامي الأهلي — مراقبًا للنظام.
٧- الدكتور إبراهيم حسن — طبيبًا للمؤتمر.

يساعد حضراتهم كثير من إخوان القاهرة والأقاليم والجوالة.

الكلمات في المؤتمر:

١- افتتح المؤتمر بآيات من كتاب الله تلاها الأخ أحمد لطفي عبد البديع أفندي الطالب بكلية الآداب.
٢- وألقى الأستاذ أحمد أفندي السكري رئيس لجنة المؤتمر كلمة الشكر عن المركز العام للإخوان المسلمين.
٣- وافتتح المؤتمر معالي اللواء محمد صالح حرب باشا الرئيس العام لجماعات الشبان المسلمين بكلمة ضافية عن العزة الإسلامية، وواجب المسلمين في العمل على التمسك بدينهم، والجهاد في سبيل مجدهم وسيادتهم.
٤- وألقى الأخ سلامة أفندي إبراهيم من إخوان المنصورة قصيدة رقيقة تناولت الغرض من المؤتمر.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على سيدنا محمد إمام المجاهدين، وعلى آله وصحبه، ومن جاهد في سبيل دعوته إلى يوم الدين.

من هم الإخوان المسلمون؟

أيها الإخوان المسلمون:

بعد عامين من مؤتمركم الماضي بدار آل لطف الله في الثالث عشر من ذي الحجة سنة

٥- وألقى فضيلة الأستاذ الشيخ حسن صقر مفتش الوعظ والإرشاد المساعد «كلمة الوعظ»، وشاد فيها بالتعاون المنتج بين حضرات أصحاب الفضيلة الوعاظ وبين شعب الإخوان المسلمين في القطر المصري، ورجا من ورائه خيرًا كثيرًا للأمة الإسلامية.

٦- وألقى الأخ عبد اللطيف العيلي من إخوان ملوي زجلاً إسلاميًا ظريفًا تناول فيه صميم فكرة الإخوان المسلمين.

٧- وألقى فضيلة الأستاذ النائب المحترم الشيخ عبد الوهاب سليم كلمة قيمة أبان فيها أن الوسيلة العملية لتطبيق الشريعة الإسلامية، وتحقيق الغايات الصالحة هي التقدم إلى المجالس النيابية ما دام النظام العام دستوريًا يسمح بذلك ولا يمنع أحدًا منه، وأن واجب العاملين تنبيه الأذهان لذلك من الآن حتى يستنير الرأي العام.

٨- وألقى الأستاذ عبد الحكيم عابدين سكرتير عام الإخوان المسلمين قصيدة ضافية تناولت فكرة الإخوان ووسيلتهم وقيادتهم ومنهاجهم تناولاً واضحًا دقيقًا.

٩- وألقى الأستاذ المرشد العام كلمته عن غاية الإخوان المسلمين وموقفهم في الظروف الحاضرة.

١٠- ثم تليت قرارات المؤتمر وصدق عليها وختم الحفل بآيات من كتاب الله كما بدأ.

المؤتمرون في الأزهر: وفي يوم الجمعة الثاني عشر من ذي الحجة سنة ١٣٥٩الهجرية والموافق العاشر من يناير سنة ١٩٤١قصد المؤتمرون إلى الأزهر المعمور تتقدمهم جوالة الإخوان المسلمين بموسيقاها وأعلامها لأداء صلاة الجمعة، فأدوها وتعاقب خطباؤهم على المنبر المبارك يشيدون بدعوة الإخوان، ويهيبون بالناس أن ينضموا إلى معسكرهم المجاهد في سبيل الإسلام الحنيف، ويتعجلون ذلك اليوم الذي تسوى فيه الصفوف، وتتقدم الكتيبة المحمدية يحدوها القرآن الكريم، ويظللها لواء الرسول العظيم ﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾ [الأنفال:٣٩].

في دار الشبان المسلمين: وعقب الصلاة قصدت فرقة الجوالة إلى دار الشبان المسلمين العامة بشارع الملكة نازلي، حيث عرضها معالي اللواء محمد صالح حرب باشا، وألقى على أعضائها كلمة قيمة حثهم فيها على العمل والأمل والجهاد النفسي والعملي حتى يصبحوا جديرين بتحقيق الغايات التي آمنوا بها وعملوا لها، وكان ذلك مسك الختام.

١٣٥٧ هجرية دار فيهما الفلك دورته، ورأى العالم فيهما مختلف الأحداث والظروف، وانفجر أخيرًا (مخزن البارود)، ودوى على الأرض من جديد نفير الحرب بعد أن زعم أهلوها أنهم قد أقروا فيها السلام، تجتمعون الآن -أيها الإخوان- لتراجعوا صفحة أعمالكم، ولتتبينوا مراحل منهاجكم، ولتتحدثوا إلى أنفسكم وإلى الناس عن دعوتكم من جديد، لعل في ذلك تبصرة وذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين.

أيها الإخوان المجاهدون الذين اجتمعتم الليلة من أقصى مصر المباركة إلى أقصاها..

أحب أن تتبينوا جيدًا من أنتم في أهل هذا العصر؟ وما دعوتكم بين الدعوات؟ وأية جماعة جماعتكم؟ ولأي معنى جمع الله بينكم ووحد قلوبكم ووجهتكم، وأظهر فكرتكم في هذا الوقت العصيب الذي تتلهف فيه الدنيا إلى دعوة السلام والإنقاذ؟

فاذكروا جيدًا -أيها الإخوة- أنكم الغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس(١)، وأنكم العقل الجديد الذي يريد الله أن يفرق به للإنسانية بين الحق والباطل في وقت التبس عليها فيه الحق بالباطل، وأنكم دعاة الإسلام، وحملة القرآن، وصلة الأرض بالسماء، وورثة محمد ﷺ، وخلفاء صحابته من بعده، وبهذا فضلت دعوتكم الدعوات، وسمت غايتكم على الغايات، واستندتم إلى ركن شديد، واستمسكتم بعروة وثقى لا انفصام لها، وأخذتم بنور مبين، وقد التبست على الناس المسالك وضلوا سواء السبيل، ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١].

تجـــــرد:(٢)

واذكروا جيدًا -أيها الإخوان- أنه ما من رجل منكم أو من إخوانكم الذين حبسهم العذر عن حضور مؤتمركم -يرجو بمناصرة هذه الدعوة والعمل تحت رايتها غاية من غايات الدنيا، أو عرضًا(٣) من أعراضها، وأنكم تبذلون من ذات أنفسكم وذات يدكم، لا

---

(١) يشير -رحمه الله- للحديث الذي أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(٥٧٣٤) بلفظ: «إِنَّ الإِسْلامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ». وقال الهيثمي في «المجمع»، (٣/ ٣١٣): «رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة».

(٢) هذه العناوين الجانبية ليست بالأصل.

(٣) أي: متاع الدنيا قل أو كثر. [المعجم الوجيز، ص(٤١٤)].

تعتمدون إلا على الله، ولا تستمدون المعونة والتأييد إلا منه، ولا ترجون إلا ثوابه، ولا تبتغون إلا وجهه، ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥].

فهـــم:

واذكروا جيدًا -أيها الإخوان- أن الله قد منّ عليكم ففهمتم الإسلام فهمًا نقيًّا صافيًا، سهلاً شاملاً، كافيًا وافيًا، يساير العصور، ويفي بحاجات الأمم، ويجلب السعادة للناس، بعيدًا عن جمود الجامدين، وتحلل الإباحيين، وتعقيد المتفلسفين، لا غلو فيه ولا تفريط، مستمدًا من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالحين استمدادًا منطقيًّا منصفًا، بقلب المؤمن الصادق، وعقل الرياضي الدقيق، وعرفتموه على وجهه: «عقيدة وعبادة، ووطن وجنس، وخلق ومادة، وسماحة وقوة، وثقافة وقانون». واعتقدتموه على حقيقته: «دين ودولة، وحكومة وأمة، ومصحف وسيف، وخلافة من الله للمسلمين في أمم الأرض أجمعين، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]».

أخـــوة:

واذكروا جيدًا -أيها الإخوان- أن كل شعبة من شعبكم وحدة متصلة الروح مؤتلفة القلوب، قد جمعتها الغاية السامية على هدف واحد، وأمل واحد، وألم واحد، وجهاد واحد، وأن هذه الوحدات المؤتلفة يرتبط بعضها ببعض، ويتصل بعضها ببعض، ويحن بعضها إلى بعض، ويقدر بعضها بعضًا، وتشعر كل واحدة منها أنها لا تتم إلا بأخواتها، ولا تكمل أخواتها إلا بها، كلبنات البناء المرصوص يشد بعضه بعضًا، وأنها جميعًا ترتبط بمركزها العام أوثق ارتباط وأسماه وأعلاه، روحيًّا وإداريًّا وعمليًّا ومظهريًّا، وتدور حوله كما تدور المجموعة المتماسكة من الكواكب المنيرة حول محورها الجاذب وأصلها الثابت؛ لتحقق بذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

جهـــاد:

واذكروا جيدًا -أيها الإخوة- أن الله تبارك وتعالى قد بارك جهادكم، ونشر فكرتكم، وجمع القلوب عليكم، فلا يمر يوم حتى تتكون لكم شعب، وينتصر لمبادئكم عدد غير قليل ممن كانوا يجهلونها، أو ييأسون من نجاحها، أو يتبرمون بها، أو يكيدون لها، وبذلك وصلت دعوتكم إلى مختلف الطبقات، وتغلغلت في المجتمعات، ووجدت الأتباع والأنصار

في كل الأوساط والبيئات:

* آلاف من الشباب المؤمن مستعدون للعمل والجهاد في سبيل الإصلاح الحق.

* دور في كل مكان مجهزة للدعوة والإرشاد والتوجيه الصالح.

* فرق منظمة تزاول الرياضة البدنية والروحية بلذة وشغف[(١)] وسرور.

* شعب منبثة في القرى والكفور والنجوع والمدن والحواضر تربي على الخمسمائة تتعاون وتتكاتف[(٢)] وتتسابق في الخيرات.

* ألسنة وأقلام مفصحة مبينة تكشف للناس عن جمال الإسلام، وروعة الإسلام، وحقائق الإسلام.

* بعثات مستمرة تنفر في سبيل الله لتتفقه في الدين ولتعلمه الناس.

هذه بعض آثار جهادكم -أيها الإخوان- ترونها واضحة تتضاعف وتزداد و﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الأنعام: ٨٨].

تضحية:

واذكروا جيدًا -أيها الإخوة- أن دعوتكم أعف الدعوات، وأن جماعتكم أشرف الجماعات، وأن مواردكم من جيوبكم لا من جيوب غيركم، ونفقات دعوتكم من قوت أولادكم ومخصصات بيوتكم، وأن أحدًا من الناس، أو هيئة من الهيئات، أو حكومة من الحكومات، أو دولة من الدولات لا تستطيع أن تجد لها في ذلك منة عليكم، وما ذلك بكثير على دعوة أقل ما يطلب من أهلها النفس والمال، ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

إخلاص:

اذكروا هذا جيدًا -أيها الإخوان- لا للفخر ولا للمباهاة، ولكن لتعلموا أن الله قد

---

(١) شُغِفَ فلان شَغْفًا، والشَّغفُ: أن يبلغ الحب شَغاف القلب، وهي جلدة دونه. [لسان العرب، مادة (شغف)].

(٢) في الأصل: «تتكاثف».

كتب لدعوتكم من: الإيمان، والإخلاص، والفهم، والوحدة، والتأييد، والتضحية ما لم يكتبه لكثير من الدعوات الرائجة السوق، العالية البوق، الفخمة المظاهر، وتلك الصفات هي دعائم الدعوات الصالحة. فاجتهدوا أن تحرصوا عليها كاملة، وأن تزيدوها في أنفسكم ثباتًا وقوة، واعلموا أنه ليس لكم في ذلك فضل ولا منة، ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

هل نحن قوم غامضون؟!

أيها الإخوان المسلمون:

بعد اثني عشر[1] عامًا مضت وأنتم تجهرون بدعوتكم وتبلغونها للناس، لا زال هناك فريق يتساءل عن الإخوان المسلمين، ويراهم أمامه جماعة غامضة، فهل أنتم قوم غامضون؟ وسأجيب على هذا السؤال بصراحة ووضوح، وسأتكلم عن غاية الإخوان المسلمين، وعن وسيلتهم، وعن موقفهم من الهيئات المختلفة، وعن موقفهم في هذه الظروف الحاضرة التي تظلل الناس حوادثها، وكثير منكم أحاط بذلك علمًا، وقد سبق لنا أن فصلناه في رسائل الإخوان وكتاباتهم ومحاضراتهم، وإنما نذكر ذلك الآن في إيجاز تذكرة للغافل، وتعليمًا لمن لم يكن يعلم.

غاية الإخوان المسلمين:

يعمل الإخوان المسلمون لغايتين:

غاية قريبة: يبدو هدفها، وتظهر ثمرتها لأول يوم ينضم فيه الفرد إلى الجماعة، أو تظهر الجماعة الإخوانية فيه في ميدان العمل العام.

وغاية بعيدة: لابد فيها من ترقب الفرص، وانتظار الزمن، وحسن الإعداد، وسبق التكوين.

فأما الغاية الأولى، فهي المساهمة في الخير العام أيًا كان لونه ونوعه، والخدمة الاجتماعية كلما سمحت بها الظروف.

يتصل الأخ بالإخوان، فيكون مطالبًا بتطهير نفسه، وتقويم مسلكه، وإعداد روحه

---

(١) في الأصل: «عشرة».

وعقله وجسمه للجهاد الطويل الذي ينتظره في مستقبل الأيام، ثم هو مطالب بأن يشيع هذه الروح في أسرته وأصدقائه وبيئته، فلا يكون الأخ أخًا مسلمًا حقًّا حتى يطبق على نفسه أحكام الإسلام وأخلاق الإسلام، ويقف عند حدود الأمر والنهي التي جاء بها رسول الله ﷺ عن ربه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وتكون الجماعة من جماعات الإخوان، فتتخذ دارًا، وتعمل على تعليم الأميين، وتلقين الناس أحكام الدين، وتقوم بالوعظ والإرشاد والإصلاح بين المتخاصمين، والتصدق على المحتاجين، وإقامة المنشئات النافعة من مدارس ومعاهد ومستوصفات ومساجد في حدود مقدرتها والظروف التي تحيط بها، وكثير من شعب الإخوان ينهض بهذه الواجبات، ويؤديها على حالة مرضية من حسن الأداء.

فهل هذا هو ما يريده الإخوان المسلمون ويجهزون أنفسهم له ويأخذونها به؟!

لا أيها الإخوان، ليس هذا كل ما نريد، هو بعض ما نريد ابتغاء مرضاة الله، هو الهدف الأول القريب، هو صرف الوقت في طاعة وخير حتى يجيء الظرف المناسب، وتحين ساعة العمل للإصلاح الشامل المنشود.

أما غاية الإخوان الأساسية.. أما هدف الإخوان الأسمى.. أما الإصلاح الذي يريده الإخوان ويهيئون له أنفسهم.. فهو إصلاح شامل كامل تتعاون عليه قوى الأمة جميعًا، وتتجه نحوه الأمة جميعًا، ويتناول كل الأوضاع القائمة بالتغيير والتبديل.

إن الإخوان المسلمين يهتفون بدعوة، ويؤمنون بمنهاج، ويناصرون عقيدة، ويعملون في سبيل إرشاد الناس إلى نظام اجتماعي يتناول شئون الحياة جميعًا اسمه (الإسلام)، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ليكون به من المنذرين بلسان عربي مبين، ويريدون بعث الأمة الإسلامية النموذجية التي تدين بالإسلام الحق، فيكون لها هاديًا وإمامًا، وتعرف في الناس بأنها دولة القرآن التي تصطبغ به، والتي تذود عنه، والتي تدعو إليه، والتي تجاهد في سبيله، وتضحي في هذه السبيل بالنفوس والأموال.

لقد جاء الإسلام نظامًا وإمامًا، دينًا ودولة، تشريعًا وتنفيذًا، فبقي النظام وزال

الإمام، واستمر الدين وضاعت الدولة، وازدهر التشريع وذوى[1] التنفيذ. أليس هذا هو الواقع أيها الإخوان؟! وإلا فأين الحكم بما أنزل الله في الدماء والأموال والأعراض؟ والله تبارك وتعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۞ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠].

والإخوان المسلمون يعملون ليتأيد النظام بالإمام، ولتحيا من جديد دولة الإسلام، ولتشمل بالنفاذ هذه الأحكام، ولتقوم في الناس حكومة مسلمة، تؤيدها أمة مسلمة، تنظم حياتها شريعة مسلمة أمر الله بها نبيه ﷺ في كتابه حيث قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨-١٩].

بعض نتائج فساد النظام الاجتماعي الحالي في مصر:

أيها الإخوان:

إننا في أخصب بقاع الأرض، وأعذبها ماء، وأعدلها هواء، وأيسرها رزقًا، وأكثرها خيرًا، وأوسطها دارًا، وأقدمها مدنية وحضارة وعلمًا ومعرفة، وأحفلها بآثار العمران الروحي والمادي، والعملي والفني، وفي بلدنا المواد الأولية، والخامات الصناعية، والخيرات الزراعية، وكل ما تحتاج إليه أمة قوية تريد أن تستغني بنفسها، وأن تسوق الخير إلى غيرها، وما من أجنبي هبط هذا البلد الأمين إلا صح بعد مرض، واغتنى بعد فاقة، وعز بعد ذلة، وأترف بعد البؤس والشقاء، فماذا أفاد المصريون أنفسهم من ذلك كله؟ لا شيء، وهل ينتشر الفقر والجهل والمرض والضعف في بلد متمدين كما ينتشر في مصر الغنية مهد الحضارة والعلوم، وزعيمة أقطار الشرق غير مدافعة؟!

إليكم -أيها الإخوان- بعض الأرقام التي تنطق بما يهددنا من أخطار اجتماعية

(١) ذوَى يَذوي ذويًّا، وهو أن لا يُصيبَ النباتَ والحشيشَ ريُّه، أو يضربُه الحَرُّ فيذبُلُ ويضعُفُ، والمراد هو ضعف التنفيذ. [العين، مادة (ذوى)].

ماحقة ساحقة، إن لم يتداركنا الله فيها برحمته فسيكون لها أفدح النتائج وأفظع[1] الآثار:

١- الفلاحون في مصر يبلغون ثمانية ملايين، والأرض المنزرعة نحو ستة ملايين من الأفدنة، وعلى هذا الاعتبار يخص الفرد الواحد نحو ثلثي فدان.

فإذا لاحظنا إلى جانب هذا أن الأرض المصرية تفقد خواصها لضعف المصارف وكثرة الإجهاد، وأنها لهذا السبب تأخذ من السماد الصناعي أضعاف غيرها من الأرض التي تقل عنها جودة وخصوبة، وأن عدد السكان يتكاثر تكاثرًا سريعًا، وأن التوزيع في هذه الأرض يجعل من هذا العدد أربعة ملايين لا يملكون شيئًا، ومليونين لا يزيد ملكهم عن نصف فدان، ومعظم الباقي لا يزيد ملكه على خمسة أفدنه، علمت مبلغ الفقر الذي يعانيه الفلاحون المصريون، ودرجة انحطاط مستوى المعيشة بينهم درجة ترعب وتخيف.

إن أربعة ملايين من المصريين لا يحصل أحدهم على ثمانين قرشًا في الشهر إلا بشق النفس، فإذا فرضنا أن له زوجة وثلاثة أولاد وهو متوسط ما يكون عليه الحال في الريف المصري، بل في الأسر المصرية عامة، كان متوسط ما يخص الفرد في العام جنيهين، وهو أقل بكثير مما يعيش به الحمار؛ فإن الحمار يتكلف على صاحبه (١٤٠ قرشًا خمس فدان برسيم، و٣٠ قرشًا [حملاً ونصف الحمل من التبن][2]، و١٥٠ قرشًا إردب فول، و٢٠ قرشًا أربعة قراريط عفش ذرة، ومجموعها ٣٤٠ قرشًا)، وهو ضعف ما يعيش به الفرد من هؤلاء الآدميين في مصر، وبذلك يكون أربعة ملايين مصري يعيشون أقل من عيشة الحيوان.

ثم إذا نظرت إلى طبقة الملاك الكبار وجدتهم مكبلين بالديون أذلاء للمحاكم والبنوك.

إن البنك العقاري وحده يحوز من الرهون قريبًا من نصف مليون فدان، ويبلغ دينه على الملاك المصريين ١٧ مليونًا من الجنيهات إلى أكتوبر سنة ١٩٣٦م، وهذا بنك واحد.

وقد بلغ ثمن ما نزعت ملكيته للديون من الأرض والمنازل في سنة ١٩٣٩ (٣٤٦,٢٥٦جنيهًا) فعلى أي شيء تدل هذه الأرقام؟

٢- العمال في مصر يبلغون (٥,٧١٨,١٢٧) أي نحوًا من ستة ملايين عامل، يشكو التعطل (٥١١,١١٩) أي أكثر من نصف مليون لا يجدون شيئًا، وهناك هذه الجيوش من

(١) في الأصل: «وأقطع».

(٢) في الأصل: «حمل ونصف تين».

حملة الشهادات العاطلين.

فكيف يشعر إنسان هذه حاله بكرامته الإنسانية، أو يعرف معنى العاطفة القومية والوطنية، وهو في بلد لا يستطيع أن يجد فيه القوت؟ ولقد استعاذ النبي ﷺ من الفقر[١]، وقديما قيل: يكاد الفقر أن يكون كفرًا[٢].

فضلاً عن أن المشتغلين من العمال مهددون باستغلال أصحاب رأس المال، وضعف الأجور، والإرهاق في العمل، ولم تصدر الحكومات بعد التشريع الكافي لحماية هؤلاء البائسين، وقد ضاعفت حالة الحرب القائمة هذا العدد من المتعطلين، وزادت العاملين منهم بؤسًا على بؤسهم.

٣- شركات الاحتكار في مصر قد وضعت يدها على مرافق الحياة والمنافع العامة، فالنور والمياه والملح والنقل ونحوها كلها في يد هذه الشركات التي لا ترقب في مصري إلاًّ ولا ذمة[٣]، والتي تربح أفحش الأرباح، وتضن حتى باستخدام المصريين في أعمالها.

لقد بلغت أرباح شركة المياه بالقاهرة منذ تأسست في ٢٧ مايو سنة ١٨٦٥م إلى سنة ١٩٣٣م عشرين مليونًا من الجنيهات، وقد بلغ التفريط والتهاون بالحكومة المصرية أن

---

(١) أخرج البخاري في «الدَّعَوَاتِ»، باب: «التَّعَوُّذِ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»، ح(٥٨٩١) أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

(٢) ورد هذا في أحاديث نسبت للنبي ﷺ منها ما أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، (١٤/ ١٢٥)، ولفظه: «كاد الفقر أن يكون كفرًا، وكاد الحسد أن يغلب القدر»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»، ح(٢٥).

(٣) قال ابن كثير: «قال ابن عباس: الإل: القرابة. والذمة: العهد» [ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: د.كمال علي علي الجمل، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، (٢/ ٤٤٧)].

باعت حصتها في أرباح الشركة في عهد وزارة رياض باشا[١]، (وكان ناظر الأشغال حينذاك محمد زكي باشا[٢]) بمبلغ ٢٠ ألفًا من الجنيهات، مع أن حصتها في صافي الربح من تاريخ البيع وهو ١٠ يوليو سنة ١٨٨٩ إلى سنة ١٩٣٤ فقط مبلغ مليونين ونصف من الجنيهات.

إن في مصر ٣٢٠ شركة أجنبية تستغل جميع مرافق الحياة. وقد بلغت أرباحها في سنة ١٩٣٨ الماضية (٧,٦٣٧,٤٨٢ جنيهًا) كلها من دم المصريين الذين لا يجد نصفهم القوت. ولقد ربحت شركة مياه الإسكندرية وحدها سنة ١٩٣٨ (١٢٢,٨٥٠ جنيهًا)، وشركة مياه القاهرة (٢٨٤,٨٩٢جنيهًا)، وهذه الشركات جميعًا تخالف نصوص العقود في كثير من التصرفات، ثم لا يكون التصرف معها إلا متراخيًا ضعيفًا يفوت الفائدة على الحكومة والجمهور معًا.

ولعل من الظريف المبكي أن نقول: إن عدد الشركات المصرية إلى سنة ٣٨ بلغ إحدى عشرة شركة فقط مقابل ٣٢٠ شركة أجنبية.

٤- لقد استقبلت العيادات الحكومية سنة ٣٤ (٧,٢٤١,٣٨٣) مريضًا، منهم مليون بالبلهارسيا، وأكثر من نصف مليون بالإنكلستوما، ومليون ونصف بالرمد، وفي مصر ٩٠ في المائة مريض بالرمد والطفيليات، وفيها ٥٥,٥٧٥ من فاقدي البصر، ويكشف لنا الكشف الطبي في المدارس وفي المعاهد والجامعة منها والكلية الحربية حقائق عجيبة عن ضعف بنية الطلاب، وهم زهرة شباب الأمة، وكل ذلك في أمة علمها نبيها أن تسأل الله أن يعافيها في أبدانها وفي سمعها وفي بصرها[٣].

---

(١) مصطفى رياض [١٢٥٠- ١٣٢٩هـ = ١٨٣٤-١٩١١م]: مصطفى رياض (باشا) بن إسماعيل بن أحمد بن حسن الوزان، تدرج من كاتب بديوان المالية إلى رئيس للوزارة، وتولاها ثلاث مرات، ولد بالقاهرة. وتوفي بالإسكندرية ودفن بالقاهرة. [الأعلام، (٧/ ٢٣٣)].

(٢) شغل محمد زكي باشا وزارات المعارف والأوقاف والأشغال العمومية في الفترة من (١٨٨١-١٨٩٢م).

(٣) يشير ﷺ للحديث الذي أخرجه أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ»، ح(٤٤٢٦) من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّهُ قَالَ لأَبِيهِ: يَا أَبَتِ، إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ: اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي.. اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي.. اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ.. تُعِيدُهَا ثَلاثًا حِينَ تُصْبِحُ وَثَلاثًا حِينَ تُمْسِي. فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ». وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٥٠٩٠).

٥- إن مصر بعد هذا الجهاد الطويل لا زالت [بها آلاف][1] كثيرة ممن لا يخط الألف، ولا زال عدد المتعلمين فيها لا يجاوز الخمس (٢٠ في المائة) من بينهم تلاميذ المدارس الإلزامية الذين لا يحسنون شيئًا، وكثير منهم لم يجاوز شهادة إتمام الدراسة الابتدائية، حتى الذين تعلموا تعليمًا عاليًا لا تنقطع الشكوى من أن مؤهلاتهم العلمية لا تمكنهم من النجاح الكامل في الحياة العملية، وتتردد هذه الشكوى على لسان وزراء المعارف، ورؤساء دوائر الأعمال، وغيرهم.

٦- وقد انحط مستوى الخلق انحطاطًا عجيبًا، فقد بلغ عدد الذين حوكموا بجرائم تخالف القانون في سنة ١٩٣٨ أكثر من مليون مصري ومصرية، دخل منهم السجن زهاء مائة ألف أو يزيدون، عدا من لم تصل إليهم يد القضاء، ولم تعرف جرائمهم بعد.

هذا مع جرأة كثير من الشبان وغير الشبان على المخالفات الدينية التي لا يؤاخذ بها القانون الوضعي كشرب الخمر، والإقبال على القمار، واليانصيب، والسباق ونحوها، والزنا والعبث، وما إليه مما لا يحصيه العد بدون خشية ولا حياء.

٧- ومع أننا فقدنا مقومات الحياة المادية من العلم الدنيوي النافع، ومن الثروة[2] والمال، ومن القوة الصحية، فهل أبقينا على شيء من قوانا الروحية؟ كلا.

كم من المصريين يؤمن بالله حق الإيمان، ويعتمد عليه حق الاعتماد؟ وكم منهم يعتز بكرامته القومية وعزته الإسلامية؟ وكم منهم يؤدي الصلوات؟ وكم من هؤلاء المؤدين يقيمها على وجهها ويتعرف أحكامها وأسرارها؟ وكم منهم يؤدي الزكاة ويتحرى بها مصارفها والغاية منها؟ وكم منهم يخشى الله ويتقيه، ويبتعد عن المعصية، ويجتنب كبائر الإثم والفواحش؟ يجيبنا الواقع المشاهد على هذه الأسئلة جميعًا جوابًا يؤلم ويحزن ويحز في نفس كل مؤمن غيور.

الداء والدواء:

أيها الإخوان: هذه لغة الأرقام، وهذا قليل لا كثير من مظاهر البؤس والشقاء في مصر، فما سبب ذلك كله؟ ومن المسئول عنه؟ وكيف نتخلص منه؟ وما الطريق إلى الإصلاح؟

---

(١) ناقصة مما بين أيدينا من أصول، وأفدنا تلك الزيادة من النسخ المطبوعة للرسائل.

(٢) في المطبوع: «الثورة».

أما سبب ذلك ففساد النظام الاجتماعي في مصر فسادًا لابد له من علاج، فقد غزتنا أوروبا منذ مائة سنة بجيوشها السياسية، وجيوشها العسكرية، وقوانينها، ونظمها، ومدارسها، ولغتها، وعلومها، وفنونها، وإلى جانب ذلك بخمرها، ونسائها، ومتعها، وترفها، وعاداتها وتقاليدها، ووجدت منا صدورًا رحبة، وأدوات طيعة تقبل كل ما يعرض عليها. ولقد أعجبنا نحن بذلك كله، ولم نقف عند حد الانتفاع بما يفيد من: علم، ومعرفة، وفن، ونظام، وقوة، ومنعة، وعزة، واستعلاء، بل كنا عند حسن ظن الغاصبين بنا، فأسلمنا لهم قيادنا، وأهملنا من أجلهم ديننا، وقدموا لنا الضار من بضاعتهم فأقبلنا عليه، وحجبوا عنا النافع منها، وغفلنا عنه، وزاد الطين بلة أن تفرقنا على الفتات شيعًا وأحزابًا يضرب بعضنا وجوه بعض، وينال بعضنا من بعض، لا نتبين هدفًا، ولا نجتمع على منهاج.

أما المسئول عن ذلك، فالحاكم والمحكوم على السواء: الحاكم الذي لانت قناته للغامزين[١]، وسلس قياده للغاصبين، وعني بنفسه أكثر مما عني بقومه، حتى فشت في الإدارة المصرية أدواء عطلت فائدتها وجرت على الناس بلاءها.. فالأنانية والرشوة والمحاباة والعجز والتكاسل والتعقيد كلها صفات بارزة في الإدارة المصرية، والمحكوم الذي رضي بالذلة، وغفل عن الواجب، وخدع بالباطل، وانقاد وراء الأهواء، وفقد قوة الإيمان وقوة الجماعة فأصبح نهب الناهبين وطعمة[٢] الطاعمين.

أما كيف نتخلص من ذلك فبالجهاد والكفاح، ولا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة[٣]، نتخلص من ذلك كله بتحطيم هذا الوضع الفاسد، وأن يستبدل به نظام اجتماعي خير منه، تقوم عليه وتحرسه حكومة حازمة تهب نفسها لوطنها، وتعمل جاهدة لإنقاذ شعبها، يؤيدها شعب متحد الكلمة متوقد العزيمة قوي الإيمان، ولئن فقدت الأمم مصباح الهداية في أدوار الانتقال فإن الإسلام الحنيف بين أيدينا مصباح وهاج نهتدي بنوره ونسير على هداه.

---

(١) اللين: الضعف. القناة: الرمح الأجوف. الغَمْزُ: العَصْرُ باليد. [لسان العرب، مادة (غمز)].

(٢) اتخذ لإخوانه طعمة: مأدبة. ومن المجاز: فلان طيب الطعمة وخبيث الطِّعمة بالكسر، وهي الجهة التي منها يرتزق بوزن الحرفة. [أساس البلاغة، مادة (طعم)].

(٣) هذه مقولة مصطفى كامل، ولكن من الطريف أننا وجدنا هذا البيت من الشعر لشاعر عراقي يسمى خليل الرازي [١١٨٠-١٢٨٠هـ = ١٧٦٦-١٨٦٣م]:

فاليأس لا يأتي مع الحياة ... ولا الحياة مع يأس تأتي

ولا تستطيع حكومة مصرية أن تعمل لهذا الإصلاح الاجتماعي حتى تتحرر تمامًا من الضعف، والعجز، والخوف، والتدخل السياسي الذي يقيد خطواتها، وتتخلص من هذا النير الفكري الذي وضعته أوروبا في أعناقنا، فأضعف نفوسنا، وأوهن مقاومتنا.

ونحن نستقبل في هذه الأوقات حوادث جسامًا تغير النظم والأوضاع، وتجدد الدول والممالك، فأولى بنا أن ننتهزها فرصة سانحة للتحلل من آثار الماضي، وبناء المستقبل المجيد على دعائم قويمة من هذا الإصلاح الإسلامي القويم.

ولهذا كان هدف الإخوان المسلمين يتلخص في كلمتين: (العودة إلى النظام الإسلامي الاجتماعي، والتحرر الكامل من كل سلطان أجنبي)، وبذلك نستطيع أن ننقذ مصر من آثار هذه الويلات. ولنا بعد ذلك آمال جسام في إحياء مجد الإسلام وعظمة الإسلام، يراها الناس بعيدة ونراها قريبة: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ [الروم: ٦٠].

وسيلة الإخوان المسلمين:

أما وسائلنا العامة، فالإقناع ونشر الدعوة بكل وسائل النشر، حتى يفقهها الرأي العام ويناصرها عن عقيدة وإيمان، ثم استخلاص العناصر الطيبة لتكون هي الدعائم الثابتة لفكرة الإصلاح.. ثم النضال الدستوري حتى يرتفع صوت هذه الدعوة في الأندية الرسمية، وتناصرها وتنحاز إليها القوة التنفيذية.

وعلى هذا الأساس سيتقدم مرشحو الإخوان المسلمين حين يجيء الوقت المناسب إلى الأمة المصرية ليمثلوها في الهيئات النيابية، ونحن واثقون بعون الله من النجاح ما دمنا نبغي بذلك وجه الله، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

أما ما سوى ذلك من الوسائل فلن نلجأ إليه إلا مكرهين، ولن نستخدمه إلا مضطرين، وسنكون حينئذٍ صرحاء شرفاء، لا نحجم عن إعلان موقفنا واضحًا لا لبس فيه ولا غموض معه، ونحن على استعداد تام لتحمل نتائج عملنا أيًا كانت، لا نلقي التبعة على غيرنا، ولا نتمسح بسوانا، ونحن نعلم أن ما عند الله خير وأبقى، وأن الفناء في الحق هو عين البقاء، وأنه لا دعوة بغير جهاد، ولا جهاد بغير اضطهاد، وعندئذٍ تدنو ساعة النصر ويحين وقت الفوز، ويتحقق قول الملك الحق المبين: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

نحن والسياسة:

وقد يقول بعض الناس: وما للإخوان والبرلمان، والإخوان جماعة دينية وهذه سبيل الهيئات السياسية؟ أوليس هذا يؤيد ما يقول الناس من أن الإخوان المسلمين قوم سياسيون لا يقفون عند حد الدعوة إلى الإسلام كما يدعون؟

وأقول لهذا القائل في صراحة ووضوح:

أيها الأخ: أما إننا سياسيون حزبيون نناصر حزبًا ونناهض آخر، فلسنا كذلك ولن نكونه، ولا يستطيع أحد أن يأتي على هذا بدليل أو شبه دليل. وأما إننا سياسيون بمعنى أننا نهتم بشئون أمتنا، ونعتقد أن القوة التنفيذية جزء من تعاليم الإسلام تدخل في نطاقه، وتندرج تحت أحكامه، وأن الحرية السياسية والعزة القومية ركن من أركانه، وفريضة من فرائضه، وأننا نعمل جاهدين لاستكمال الحرية ولإصلاح الأداة التنفيذية فنحن كذلك، ونعتقد أننا لم نأت فيه بشيء جديد، فهذا هو المعروف عند كل مسلم درس الإسلام دراسة صحيحة، ونحن لا نعلم دعوتنا، ولا نتصور معنى لوجودنا إلا تحقيق هذه الأهداف، ولم نخرج[1] بذلك قيد شعرة عن الدعوة إلى الإسلام، والإسلام لا يكتفي من المسلم بالوعظ والإرشاد، ولكنه يحدوه[2] دائمًا إلى الكفاح والجهاد، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الإخوان المسلمون والهيئات:

أما موقفنا من الهيئات في مصر فصريح واضح نتحدث به ونكتب عنه في كل الظروف والمناسبات..

نحن والسراي:

نحن مخلصون للعرش وللجالس عليه، ونسأل الله أن يمده بعنايته وتوفيقه، وأن يصلح به البلاد والعباد؛ ذلك لأنه رئيس الدولة الأعلى، ومظهر النظام الحكومي الذي يعتبره الإسلام ظل الله في الأرض، ولقد قال رسول الله ﷺ لأحد أصحابه: «إذا نزلت

(١) في الأصل: «يخرج».

(٢) الحَدْوُ: سَوْقُ الإبِل والغِناء لها. [اللسان، مادة (حدا)].

ببلد ليس فيه سلطان فارحل عنه؛ فإن السلطان ظل الله في الأرض»[(١)].

ولقد كان الحسن البصري يقول: «لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان؛ فإن الله يصلح بصلاحه خلقًا كثيرًا»[(٢)]، وهذا الإخلاص لا يمنعنا، بل يفرض علينا أن نتقدم بالنصيحة وبيان وجه الحق في كل مناسبة، ولقد فعلنا ذلك في كثير من الشئون في أوقاتها، ولاشك أن جلالته يسر لهذه المصارحة[(٣)]، ويود أن يرى في شعبه كثيرًا من أقوياء النفوس الذين يتقدمون بكلمة الحق، ولا يخافون في الله لومة لائم، والدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم[(٤)].

نحن والحكومات:

وأما موقفنا من الحكومات المصرية على اختلاف ألوانها فهو موقف الناصح الشفيق، الذي يتمنى لها السداد والتوفيق، وأن يصلح الله بها هذا الفساد، وإن كانت التجارب الكثيرة كلها تقنعنا بأننا في واد وهي في واد، «ويا ويح الشجي من الخلي»[(٥)].

لقد رسمنا للحكومات المصرية المتعاقبة كثيرًا من مناهج الإصلاح، وتقدمنا لكثير منها بمذكرات ضافية في كثير من الشئون التي تمس صميم الحياة المصرية..

لقد لفتنا نظرها إلى وجوب العناية بإصلاح الأداة الحكومية نفسها باختيار الرجال، وتركيز الأعمال، وتبسيط الإجراءات، ومراعاة الكفايات، والقضاء على الاستثناءات.

---

(١) أخرجه البيهقي في «الكبرى»، (٨/ ١٦٢)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»، ح(٦٩٦).

(٢) أكثر كتب التراجم والطبقات على أن هذه مقولة للفضيل بن عياض، ولكننا وجدنا أبا سعيد محمد بن محمد الخادمي (المتوفى ١١٥٦هـ) في كتابه «بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية»، (٥/ ٩٤) يعزوها للحسن البصري. [انظر: سير أعلام النبلاء، (٨/ ٤٣٤)].

(٣) في الأصل: «الصارحة»، ولعلها كما أثبتناها أو تكون: «الصراحة».

(٤) يشير رحمه الله للحديث الذي أخرجه مسلم في «الإيمان»، باب: «بَيَان أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ»، ح(٨٢)، من طريق تَمِيمٍ الدَّارِي أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

(٥) «ويل للشجي من الخلي»: مثل يضرب للعنت والمشقة التي يلاقيها المهموم المحزن من خالي البال؛ فالخَلِي: الذي لاَ همَّ لهُ الفارغ، والشجي: الحزين، أما اللفظ الذي أورده الإمام فهو شطر بيت لأبي بكر محمد بن أحمد بن رحيم يقول فيه:

فخذها كالعروس تفوت طبعا ... أيا ويح الشجي من الخلي

وإلى إصلاح منابع الثقافة العامة بإعادة النظر في سياسة التعليم، ومراقبة الصحف، والكتب، والسينمات، والمسارح، والإذاعة، واستدراك نواحي النقص فيها، وتوجيهها الوجهة الصالحة..

وإصلاح القانون باستمداده من شرائع الإسلام، ومحاربة المنكر، ومقاومة الإثم بالحدود وبالعقوبات الزاجرة الرادعة.

وتوجيه الشعب وجهة صالحة بشغله بالنافع من الأعمال في أوقات الفراغ.. فماذا أفاد كل ذلك؟ لا شيء. ولقد قامت وزارة الشئون الاجتماعية لسد هذا الفراغ فماذا فعلت وقد مضى عليها أكثر من عام ونصف عام؟

وماذا أنجزت من الأعمال؟ لا شيء، وستظل (لا شيء) هي الجواب لكل المقترحات ما دمنا لا نجد الشجاعة الكافية للخروج من سجن التقليد والثورة على هذا «الروتين» العتيق، وما دمنا لم نحدد المنهاج، ولم نتخير لإنفاذه الأكفاء من الرجال، ومع هذا فسنظل في موقف الناصحين حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين.

نحن والأحزاب:

وأما موقفنا من الأحزاب السياسية فلسنا نفاضل بينها، ولا ننحاز إلى واحد منها، ولكن نعتقد أنها تتفق جميعًا في عدة أمور:

تتفق في أن كثيرًا من رجالها قد عملوا على خدمة القضية السياسية المصرية، واشتركوا فعلاً في الجهاد في سبيلها، وفي الوصول إلى ما وصلت إليه مصر من ثمرات هذا الجهاد الضئيلة أو الجليلة، فنحن في هذه الناحية لا نبخس هؤلاء الرجال حقهم.

وتتفق كذلك في أن حزبًا منها لم يحدد بعد منهاجًا دقيقًا لما يريد من ضروب الإصلاح، ولم يضع هدفًا يرمي إليه، وهي لهذا لا تتفاوت في المناهج والأغراض والغايات.

وتتفق كذلك في أنها جميعًا لم تقتنع بعد بوجوب المناداة بالإصلاح الاجتماعي على قواعد الإسلام وتعاليم الإسلام، ولا زال أقطابها جميعًا يفهمون الإسلام على أنه ضروب من العبادات والروحانيات لا صلة لها بحياة الأمم والشعوب الاجتماعية والدنيوية.

وتتفق بعد ذلك في أنها تعاقبت على حكم هذا البلد فلم تأت بجديد، ولم يجد الناس في

ظل حكمها ما كانوا يأملون من تقدم مادي أو أدبي، ولقد كان لهذا أثره العملي، فقامت في مصر الحكومات غير الحزبية في أحرج الظروف وأدق المواقف، ومنها الحكومة الحالية.

وإذن فلا خلاف بين الأحزاب المصرية إلا في مظاهر شكلية وشئون شخصية لا يهتم لها الإخوان المسلمون، ولهذا فهم ينظرون إلى هذه الأحزاب جميعًا نظرة واحدة، ويرفعون دعوتهم وهي ميراث رسول الله ﷺ فوق هذا المستوى الحزبي كله، ويوجهونها واضحة مستنيرة إلى كل رجال هذه الأحزاب على السواء، ويودون أن لو أدرك حضراتهم هذه الحقيقة، وقدروا هذه الظروف الدقيقة، ونزلوا على حكم الوطنية الصحيحة، فتوحدت كلمتهم، واجتمعوا على منهاج واحد تصلح به الأحوال وتتحقق الآمال، وليس أمامهم إلا منهاج الإخوان المسلمين، بل هدى رب العالمين، ﴿صِرَاطِ اللهِ الذي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

ونحن لا نهاجمهم؛ لأننا في حاجة إلى المجهود الذي يبذل في الخصومة والكفاح السلبي لننفقه في عمل نافع وكفاح إيجابي، وندع حسابهم للزمن، معتقدين أن البقاء دائمًا للأصلح ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

نحن والهيئات الإسلامية:

وأما موقفنا من الهيئات الإسلامية جميعًا على اختلاف نزعاتها، فموقف حب وإخاء وتعاون وولاء، نحبها ونعاونها، ونحاول جاهدين أن نقرب بين وجهات النظر، ونوفق بين مختلف الفكر توفيقًا ينتصر به الحق في ظل التعاون والحب ولا يباعد بيننا وبينها رأي فقهي ولا خلاف مذهبي، ودين الله يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه[(١)]. ولقد وفقنا الله إلى خطة مثلى؛ إذ نتحرى الحق في أسلوب لين يستهوي القلوب، وتطمئن[(٢)] إليه العقول، ونعتقد أنه سيأتي اليوم الذي تزول فيه الأسماء والألقاب والفوارق الشكلية والحواجز النظرية، وتحل محلها وحدة عملية تجمع صفوف الكتيبة المحمدية حيث لا يكون هناك إلا إخوان مسلمون، للدين عاملون، وفي سبيل الله مجاهدون: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ

---

(١) يشير رحمه الله للحديث الذي أخرجه البخاري في «الإيمان»، باب: «الدِّين يُسْر...»، ح(٣٨) من طريق أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أن النَّبِي ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ».

(٢) في الأصل: «ويطمئن».

وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

كلمة حـــق:

نحب بعد هذا أن نقول كلمة صريحة لأولئك الذين لا زالوا يظنون أن الإخوان يعملون لحساب شخص أو جماعة: اتقوا الله أيها الناس، ولا تقولوا ما لا تعلمون. واذكروا قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وقول رسول الله ﷺ: «وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبرآء العيب»[1]، وليعلموا تمامًا أن اليوم الذي يكون فيه الإخوان المسلمون مطية لغيرهم أو أداة لمنهاج لا يتصل بمنهاجهم لم يخلق بعد. وأذكر أنني كتبت في إحدى المناسبات خطابًا لأحد الباشوات جاء في آخره:

«والإخوان المسلمون -يا رفعة الباشا- لا يقادون برغبة ولا برهبة، ولا يخشون أحدًا إلا الله، ولا يغريهم جاه ولا منصب، ولا يطمعون في منفعة ولا مال، ولا تعلق نفوسهم بعرض من أعراض هذه الحياة الفانية، ولكنهم يبتغون رضوان الله، ويرجون ثواب الآخرة، ويتمثلون في كل خطواتهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

فهم يفرون من كل الغايات والمطامع إلى غاية واحدة ومقصد واحد هو رضوان الله، وهم لهذا لا يستغلون في منهاج غير منهاجهم، ولا يصلحون لدعوة غير دعوتهم، ولا يصطبغون بلون غير الإسلام، ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

فمن حاول أن يخدعهم خدع، ومن أراد أن يستغلهم خسر، ومن طمع في تسخيرهم لهواه أخفق، ومن أخلص معهم في غايتهم ورافقهم على متن طريقهم سعد بهم وسعدوا به، ورأى فيهم الجنود البواسل. والإخوة الأماثل[2]، يفدونه بأرواحهم، ويحوطونه بقلوبهم وجهودهم، ويرون له بعد ذلك الفضل عليهم.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(١٨٣)، وقال: «لَمْ يَرْوِهِ عَنِ الْجُرَيْرِي، إلا صَالِحٌ الْمُرِّي»، وقد قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، (٣/ ٨): «حسن لغيره».

(٢) فلانٌ أمثلُ بني فلان، أي: أدناهم للخير. وهؤلاء أماثلُ القومِ، أي: خيارُهم. وقد مَثُل الرجلُ بالضم مَثالةً، أي: صار فاضلاً. [الصحاح، مادة (مثل)].

أكتب لكم هذا -يا رفعة الباشا- لا رجاء معونة مادية لجماعة الإخوان المسلمين، ولا رغبة في مساعدة نفعية لأحد أعضائها العاملين، ولكن لأدعوكم إلى صف هؤلاء الإخوان بعد دراستهم دراسة جدية صحيحة تقنعكم بمنهاجهم، وتنتج تعاونكم معهم في إصلاح المجتمع المصري على أساس متين من الخلق الإسلامي وتعاليم الإسلام، و﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤-٥].

بمثل هذا الأسلوب نخاطب الناس، ونكتب لرفعة النحاس باشا(١)، ومحمد محمود باشا(٢)، وعلي ماهر باشا(٣)، وحسين سري باشا(٤)، وغيرهم ممن نريد أن نعذر إلى الله بإبلاغهم الدعوة، وتوجيههم إلى ما نعتقد أن فيه الخير والصواب لهم وللناس.

أفيقال بعد هذا: إن الإخوان المسلمين يعملون لحساب شخص أو هيئة، كبر ذلك أم صغر، قل أم كثر؟ ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، ومعاذ الله أن نكون في يوم من الأيام لغير دعوة

---

(١) مصطفى النحاس «باشا» (١٨٧٩-١٩٦٥م): سياسي، زعيم حزب الوفد، من مواليد سمنود، اشتغل قاضيًا، انضم للوفد عند إنشائه برئاسة سعد زغلول، رأس الحزب بعد وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧، رأس الحكومة المصرية أعوام ١٩٢٨ و١٩٣٠ و١٩٣٦ قام بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ مع إنجلترا وألغاها عام ١٩٥٠، اعتزل السياسة عام ١٩٥٢ حتى وفاته.

(٢) محمد «باشا» محمود: [١٨٧٧-١٩٤١] رئيس وزراء مصر مرتين عام ١٩٢٨ وعام ١٩٣٧، من مواليد أسيوط، نجل محمود «باشا» سليمان، تعلم بأسيوط والقاهرة ثم بجامعة أكسفورد، كان مديرًا للفيوم والبحيرة، من رجال الحركة الوطنية، رافق سعد زغلول ضمن وفد مصر في المفاوضات ونفي معه إلى مالطة، بعد عودته انشق عن الوفد ورأس حزب الأحرار الدستوريين.

(٣) علي ماهر «باشا»: [١٨٨٢-١٩٦٠] رئيس وزراء مصر عام ١٩٣٦، وعام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٤٠ وعام ١٩٥٢، تخرج في مدرسة الحقوق عام ١٩٠٥، عمل بالمحاماة، وأصبح قاضيًا بمحكمة مصر، ووكيل وزارة المعارف ثم المالية ثم العدل، عين رئيسًا للديوان الملكي، وهو رئيس الوزراء الوحيد الذي تولى رئاسة الوزارة في العهد الملكي وعهد الثورة.

(٤) حسين سري باشا [١٨٩٤-١٩٦٠]: تولى رئاسة الوزارة خمس مرات أولاهن في ١٥ نوفمبر ١٩٤٠م، وآخرهن وزارة لم تدم أكثر من عشرين يومًا في الثاني والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢، أي قبل قيام الثورة بيوم واحد.

القرآن وتعاليم الإسلام.

موقفنا في الظروف الحاضرة:

من المؤتمر الخامس إلى المؤتمر السادس مضى عامان، تعاقبت فيهما الحوادث الجسام على مصر في الداخل والخارج. وقد قابل المركز العام للإخوان المسلمين ومن ورائه شعبهم جميعًا كل حادثة بما يناسبها، ووقفوا منها الموقف الذي يلائمها، من تأييد أو تسديد أو نقد أو تزكية، مستنيرين في ذلك بوحي الغاية السامية، وبقواعد منهاجهم القويم السليم.

وكان أجلّ تلك الحوادث، وأشدها خطرًا، وأعمقها أثرًا إعلان الحرب وامتداد لهيبها إلى مصر، ووقوف أوروبا معسكرين متناحرين يعمل كل منهما على إفناء الآخر وإبادته، حيث أخفقت وسائل التهدئة وسل الحسام بعد أن خرس الكلام.

لقد أعلنت الحكومة المصرية موقف مصر، وأيدها في ذلك البرلمان، وأيدها في ذلك الرأي العام، وأيدها الإخوان المسلمون أيضًا، ويمكن تلخيص هذا الموقف في كلمتين: «الحياد والاستعداد».

وهو موقف واضح مستنير لو استكمل شروط الصحة فإن هذا الحياد محال أن يكون حقيقيًّا والمعاهدة المصرية الإنجليزية[1] تفرض علينا أن نقدم كل المساعدات الممكنة للقوات البريطانية، ونحن قد قمنا بذلك فعلاً، وجندت مصر تجنيدًا حقيقيًّا لمساعدة إنجلترا، فأعلنت الأحكام العرفية، وفرضت الرقابة على الصحف، واستخدمت السكك الحديدية والمطارات والموانئ والتليفونات والتلغرافات وكل طرق المواصلات، وقدمت طلبات السلطة العسكرية البريطانية في جميع الشئون على كل الطلبات، وحجزت المواد اللازمة للجيش وللأعمال الحربية مهما كانت الحاجة إليها شديدة، وأرسل الجيش المصري إلى الحدود وإلى السودان، وصارت مصر حقيقة لا خيالاً في حالة حرب مما جعل هذا الحياد لا قيمة له في الواقع.

كما أن الاستعداد لن يكون كاملاً وأمامه عقبات مادية وعقبات سياسية تجعل

---

(١) هي معاهدة ١٩٣٦م، وقد تمت في عهد مصطفى النحاس باشا، وقد جعلت هذه المعاهدة إمكانيات مصر تحت تصرف الإنجليز في حالة الحرب، وقام بإلغائها عام ١٩٥١م النحاس باشا؛ لما فيها من إجحاف بحقوق مصر.

الوقت يمر دون أن نجهز أنفسنا بالقليل من المعدات العسكرية أو المدنية.

وإذن فرضا مصر بهذا الموقف الصوري العجيب ليس عن طواعية واختيار، ولكنه عن كراهية واضطرار، وليس هناك موقف أفضل منه ما دمنا مجبرين عليه، ونهيب بالحكومة المصرية جاهدين أن تعمل ما وسعها العمل على استكمال العدة، وتجهيز الشعب بوسائل الدفاع العسكرية والمدنية أخذًا بالحيطة واستعدادًا للطوارئ.

أما الموقف الذي ترضاه مصر وتهش له وتقتنع به؛ فلا يخرج عن أحد أمرين: إما أن إنجلترا لا تثق بنا ولا تعتمد علينا ولا تعتبرنا حلفاء حقيقيين لها، وحينئذ يكون عليها أن تصارحنا بذلك، وأن تخلي أرضنا، وأن توفر علينا مساعداتنا، وأن تحلنا من قيود المعاهدة التي تنص على المحالفة وترتب عليها المساعدة، وذلك فرض مستبعد طبعًا.

وإما أنها تثق بنا وتعتبرنا حلفاء لها وتقدر حسن نيتنا وصدق معونتنا، وقد قدمنا البرهان على ذلك فعلاً، فمنذ نشبت الحرب إلى الآن والحكومة المصرية لا تدخر وسعًا في مشاركتها سراء الحرب وضراءها، فعليها حينئذ أن تطمئننا على مستقبلنا في هذه الحوادث وبعدها، فتعلن الآن بصفة رسمية المحافظة على استقلال مصر والسودان محافظة تامة، وأن بقاء القوات البريطانية في وادي النيل موقوت بالحرب، وتشمل هذا الإعلان بالمساعدة الفعلية لنا، فتسمح لنا بزيادة عدد جيشنا، وبتقوية سلاحنا، وبإعداد شعبنا. وحينئذ نتعاون تعاونًا صادقًا، ونحمل أعباء الحرب معًا، ونتقاسم الأعمال العسكرية والمدنية، فيحمل الجيش المصري عبء الجهاد في السودان مثلاً حتى يطهره من العدو المغير، وتحرس الجيوش البريطانية الحدود الغربية حتى تضع الحرب أوزارها.

هذا كلام صريح نعتقد أن من الخير أن يكون واضحًا، ولا يغني مصر شيئًا أن تسمع ثناء الجرائد والمجلات الإنجليزية وعبارات المجاملة التي يُحيِّيها بها الساسة البريطانيون، ولا عبارات التقدير التي يشكرون بها المساعدة المصرية الجليلة، وإنما ينفعها الكلام الرسمي والعمل المنتج.

وإن مصر ستفي من جانبها بالتزاماتها التي سجلتها عليها المعاهدة؛ لأنها لا تملك إلا هذا، ولا تستطيع غيره ماديًا وأدبيًا، ولكن تمسك الحكومة البريطانية تمسكًا جامدًا بروح المعاهدة ونصها في وقت تفسر فيه هذه النصوص لمصلحة طرف واحد، وفي ظروف تعصف بالدول والشعوب والأموال والأرواح والأمم والحكومات والنظم والمعاهدات، فهو تمسك إن رضيه الفقه السياسي فلن يرضاه الشعب الأبي، ولقد جاهدت مصر في

سبيل استقلالها، وستجاهد في سبيل ذلك إن أعوزها[١] الجهاد. وهي ضنينة[٢] بهذا الاستقلال أن يسلب قبل أن يكتمل، ويزول قبل أن يتم، ولا تريد أن تكون في حمى غيرها، أو أن تظل تحت رحمة سواها مهما كلفها ذلك من التضحيات. وإذا كانت الحكومة البريطانية تسمع من الحكومة المصرية أو الساسة المصريين كلامًا غير هذا فإنما هي المجاملة الدبلوماسية.

أما نحن فنصور عواطف الشعب الحقيقية على صورتها الطبيعية، لا نبتغي من وراء ذلك إلا تعاونًا سليمًا على أساس سليم، بل إننا نريد أن ننتهز هذه الفرصة، فنتقدم مخلصين إلى الساسة الغربيين فنلفت أنظارهم إلى فرصة سانحة لعلها إن أفلتت منهم اليوم فلن تعود إلا بعد حين لا يعلم إلا الله مداه، وإن وفقوا إلى الانتفاع بها فهو الخير لهم وللعالم أجمع.

لقد ردد الساسة جميعا كلمة: «النظام الجديد».. فهتلر[٣] يريد أن يتقدم للناس بنظام جديد، وتشرشل يقول: إن إنجلترا المنتصرة ستحمل الناس على نظام جديد، وروزفلت[٤] يتنبأ ويشيد بهذا النظام الجديد، والجميع يشيرون إلى أن هذا النظام الجديد سينظم أوروبا ويعيد إليها الأمن والطمأنينة والسلام، فأين حظ الشرق والمسلمين من هذا النظام المنشود؟ نريد هنا أن نلفت أنظار الساسة الغربيين إلى أن الفكرة الاستعمارية إن كانت قد أفلست في الماضي مرة فهي في المستقبل أشد فشلاً لا محالة، وقد تنبهت المشاعر، وتيقظت حواس الشعوب، وأن سياسة القهر والضغط والجبروت لم تأت في الماضي إلا بعكس المقصود منها، وقد عجزت عن قيادة القلوب والشعوب، وهي في المستقبل أشد عجزًا.

وإن سياسة الخداع والدهاء والمرونة السياسية إن هدأ بها الجو حينا فلا تلبث أن

---

(١) أي: احتاجت إلى الجهاد. [انظر: أساس البلاغة، مادة (عوز)].

(٢) ضَنِنْتُ بالشيء أَضَنُّ به ضِنًّا وضَنَانَةً، إذا بَخِلتَ به. [الصحاح، مادة (ضنن)].

(٣) أدولف هتلر [٢٠ أبريل ١٨٨٩م -٣٠ أبريل ١٩٤٥م]: قائد حزب العمال الوطني الاشتراكي، وزعيم ألمانيا النازية من الفترة (١٩٣٣ إلى ١٩٤٥)، وكانت أطماعه وطموحه الشخصي سببًا في إشعال الحرب العالمية الثانية.

(٤) فرانكلين ديلانو روزفلت [٣٠يناير ١٨٨٢- ١٢أبريل/ نيسان ١٩٤٥م]: كان الرئيس الثاني والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية من تاريخ ٤ مارس ١٩٣٢ إلى ١٢ أبريل ١٩٤٥؛ وذلك لأنه أعيد انتخابه ثلاث مرات متتالية، وهو آخر رئيس يتولى الحكم في الولايات المتحدة أكثر من دورتين.

تهب العاصفة قوية عنيفة، وقد تكشفت هذه السياسة عن كثير من الأخطاء والمشكلات والمنازعات، وهي في المستقبل أضعف وأوهى من أن توصل إلى المقصود.

وإذن فلابد من سياسة جديدة، هي سياسة التعاون والتحالف الصادق البريء المبني على التآخي والتقدير، وتبادل المنافع والمصالح المادية والأدبية بين أفراد الأسرة الإنسانية في الشرق والغرب، لا بين دول أوروبا فقط، بهذه السياسة وحدها يستقر النظام الجديد وينتشر في ظله الأمن والسلام.

وإذا تقرر هذا فما الذي يمنع بريطانيا من أن تتفق مع مصر على تحرير الشعوب الإسلامية، وتخليص سورية بأقسامها، وطرابلس، وتونس، والجزائر، ومراكش من قبضة الاستعمار، وعلى أن تتكون من هذه الشعوب دولة إسلامية مستقلة تحالف سواها من دول الإسلام، ويتعاون الجميع معها على إقرار السلام.

لقد ساعدت إنجلترا إيطاليا من قبل على تكوين وحدتها كما أشار إلى ذلك المستر تشرشل[1] في خطابه إلى الأمة الإيطالية، فلم تحفظ إيطاليا لإنجلترا هذا الجميل.

ولقد خبرت إنجلترا الشعوب الإسلامية فلم تر فيها إلا الشهامة والوفاء والحرص على مبادئ الحق والخير، فلماذا لا تتقدم إليها بهذه اليد ولن تضيع؟

على أن قيام هذه الدولة الإسلامية هو خير ما يحفظ التوازن السياسي بين الدول الأوروبية، ويوجه الاستعمار وجهة إنسانية صالحة مؤسسة على تبادل المنافع، والتعاون على الخير، وإن هذه الأمم الإسلامية لتشعر جميعًا أقوى الشعور بأنها شعب واحد قد ألف بينه الجوار والدين واللغة والمصلحة، وكل مقومات الأمم المتحدة، وهي ناهضة متيقظة، وستصل إلى غايتها هذه من قريب أو من بعيد، وكل معارضة[2] لحقوقها ونهوضها قد تؤجلها ولكنها لا تعطلها، ولأن تكون بريطانيا عاملاً من عوامل البناء خير لها بكثير من أن تكون في صف المتجاهلين للحقائق الغافلين عن عبر الحوادث وعظات التاريخ.

---

(١) ونستون ليونارد سبنسر تشرشل [٣٠ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٨٧٤م- ٢٤ يناير/ كانون الثاني ١٩٦٥]: رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية. ولد ونستون تشرشل في ٣٠ نوفمبر ١٨٧٤ في قصر بكينهام في محافظة أكسفورد شاير، بريطانيا. تولى الوزارة عام ١٩٤٠ لمواجهة الخطر النازي بعد استقالة تشامبرلين من رئاسة الوزراء، تحصل على جائزة نوبل للآداب، وهو أول من أشار بعلامة النصر بواسطة الإصبعين: السبابة والوسطى.

(٢) في الأصل: «معارضته».

وإن حكم الجبروت والقهر قد فات، ولن تستطيع أوروبا بعد اليوم أن تحكم الشرق بالحديد والنار، وإن هذه النظريات السياسية البالية لن تتفق مع تطور الحوادث، ورقي الشعوب، ونهضة الأمم الإسلامية، ولا مع المبادئ والمشاعر التي ستطلع بها هذه الحرب الضروس[1] على الناس، ولسنا وحدنا الذين نقول هذا، بل هم الساسة الأوروبيون أنفسهم، ونحن نضع هذه النظريات أمام أعين الساسة البريطانيين والساسة الفرنسيين وغيرهم من ساسة الدول الاستعمارية على أنها نصائح تنفعهم أكثر مما هي مطالب تنفعنا، فليأخذوا أو ليدعوا، وقد وطنا أنفسنا على أن نعيش أحرارًا عظماء، أو نموت أطهارًا كرماء.

ونحن لا نطمع في حق سوانا، ولا يستطيع أحد أن ينكر علينا حقنا. وإن خيرًا لكل أمة أن تعيش متعاونة مع غيرها من أن تعيش متنافسة مع سواها حينًا من الدهر، يندلع بعده لهيب الثورة في البلاد المغصوبة، وجحيم الحرب بين الدول المتنافسة.

هذا كلام قد يراه الناس من الإفراط في حسن الظن، ولعله إلى الخيال أقرب، ولعل من الناس من يرى أن من الكياسة ألا يقال في مثل هذه الظروف، ولكني أعتقد أن المصارحة دائمًا هي أفضل طريق للوصول، ولا ندري متى وكيف تتم هذه الحرب، ولأن ننبه أذهان قومنا وغيرنا إلى ما يجب أن يكون فنبرئ بذلك ذمتنا ونقدم نصيحتنا أولى بنا من أن نفوت الفرصة المواتية، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

وعلى هذه الأسس العادلة يظفر العالم بتعاون شريف وسلام طويل.

أما أغنية الديمقراطية والديكتاتورية؛ فأنشودة نعتقد أن الحرب الحالية ستدخل عليها ألحانًا جديدة، وأنغاما جديدة، ولن يكون في الدنيا بعد هذه المحنة ديمقراطية كالتي عهدها الناس، ولا ديكتاتورية كهذه الديكتاتورية التي عرفوها. ولن تكون هناك فاشية ولا شيوعية على غرار هذه الأوضاع المألوفة، ولكن سيكون هناك نظم في الحكم، وأساليب في الاجتماع تبتدعها الحرب ابتداعًا، ويخترعها الساسة اختراعًا، ثم يضعونها موضع التجربة من جديد، وتلك سنة الله، ونظام المجتمع.

وما أجلّ أن يهتدي هؤلاء الساسة يومئذ بنور الله، ويكشفوا عن قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم غشاوة التعصب الممقوت، ويتخذوا الإسلام الحنيف الذي أخذ من كل شيء

(١) ضَرَسَتْه الحُروبُ تَضْرِسُه ضَرْسًا: عَضَتْه. وحَرْبٌ ضَرُوسٌ: أكول. [لسان العرب، مادة (ضرس)].

أحسنه أساسًا لنظمهم السياسية والمدنية والاجتماعية، فتتحقق الوحدة الإنسانية الروحية التي طال عليها الأمد، والتي لا يحققها إلا سماحة الإسلام وهدى الإسلام ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

خاتمة[١]:

وبعد أيها الإخوان؛

هذه نظرات سيضحك لها كثير من الناس حين يستمعون إليها، وأولئك هم الذين يئسوا من أنفسهم، وغفلوا عن تأييد الله لعباده المؤمنين، وجهلوا أن هذا الذي تجهرون به اليوم ليس شيئًا جديدًا، ولكنه دعوة الإسلام التي جاء بها رسول الله ﷺ، وجاهد في سبيلها، وعمل لها أصحابه من بعده، والتي يجب على كل مسلم يؤمن بالله ورسوله وكتابه أن يعمل لها كما عملوا، ويجاهد في سبيلها كما جاهدوا.

أما أنتم أيها الإخوان فتؤمنون بذلك كله، وتعتقدون أن الله غالب على أمره، وأن معكم على ذلك البرهان العلمي، والتطور التاريخي، والوضع الجغرافي، والتأييد الرباني، وتجدون البشرى في قول ربِّ العالمين: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]، واعلموا أن الله معكم، ولا أطيل عليكم في بيان واجبكم فإنكم لتعلمونه، فآمنوا وأخلصوا واعملوا وانتظروا ساعة الفوز وترقبوا وقت الانتصار، و﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤-٥].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

---

(١) هذه الخاتمة ناقصة من الطبعات التي خرجت للرسائل، وتم وضعها خطأ في مؤتمر طلبة الإخوان المنعقد في ١٩ ذي الحجة ١٣٥٦هـ الموافق ٢٠ فبراير ١٩٣٨م.

مذكرة الإخوان المسلمين

المرفوعة إلى حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول حفظه الله

بمناسبة المؤتمر الدوري السادس (١٣٦٠هـ-١٩٤١م)

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جلالة الملك الصالح المفدى فاروق الأول

من الإخوان المسلمين

مولاي صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول -أيده الله، أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد نبي الرحمة، وهادي الأمة، وعلى آله وصحابته، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

يا صاحب الجلالة:

من جميل صنع الله لهذا الوطن الكريم «مصر المجيدة» أن تترعرع فيه في ظل جلالة الملك الشاب الصالح فاروق الأول دعوة شابة صالحة هي «دعوة الإخوان المسلمين» تهتدي بهدى القرآن الكريم، وتسترشد بتعاليم الدين القويم، وتعمل على أن تستعيد مصر عظمتها الخالدة بين أمم العالم، وتنير وجه الأرض من جديد بما ورثت من أمجاد الحضارة، وما علمت من هداية الإسلام.

وإن المؤمنين بهذه الدعوة، والعاملين لها، والمجاهدين في سبيلها من مندوبي شعب الإخوان المسلمين بكل بلاد القطر: حواضره ومراكزه وقراه، وقد اجتمعوا من كل مكان لحضور «مؤتمرهم السادس» ليرفعون إلى ذاتكم المحبوبة المفداة أخلص ولائهم، وعظيم إخلاصهم، وجميل تهنئتهم بعيد الأضحى المبارك، ويتقدمون إلى السدة[1] الملكية بصادق رجائهم وكبير أملهم. لا زلتم يا مولاي معقد الأمل وموضع الرجاء.

---

(١) السدة: باب الدار والظلة بباب الدار والساحة بين يدي الباب والسرير [المعجم الوسيط، (١/ ٨٧٧)]، والمقصود بها صاحب العرش أو صاحب القصر الملكي.

يا صاحب الجلالة:

كل ما في الدنيا الآن يؤذن بتغيير جديد في النظم والأوضاع ومظاهر حياة الأمم والشعوب. فهذه الحرب القائمة وما صحبها من زعزعة لقواعد الحياة الوادعة، وهذه الأزمات والمتاعب والآمال والأماني التي تجيش[١] لها الصدور، وهذه التصريحات المتلاحقة والخطب والكلمات التي يلقيها زعماء الدول المتحاربة وغير المتحاربة، وهذه النذر والمفاجآت التي تتوالى على الناس وتغير وجه الأرض، كل ذلك يهيب بمصر -وقد أتيح لها في هذا الظرف ما لم يتح لغيرها من الشعوب- أن تجد وتعمل وترفع مشعل النور من جديد، وتتأهب لحياة كلها كفاح وجهاد وعظمة ومجد.

إن في مصر يا مولاي ملكًا شابًا فتيًّا قوي العزم، ماضي الإرادة، سديد الرأي، كبير الإخلاص لشعبه وبلاده، جمع الله عليه القلوب، وأخلص له الأرواح والنفوس، وإن في مصر شعبًا عريقًا مؤمنًا ذكيًّا يقظًا نشيطًا أثبت في كل أدوار تاريخه الطويل المجيد أنه أجدر الشعوب بحياة المجد والعظمة متى وضع له الهدف الصالح، وأخذ بيده القائد الحكيم. وإن في مصر ثروات طبيعية كثيرة متراكمة لا تزال بكرًا تكفل لها استقلالاً اقتصاديًّا كاملاً، وتجعلها في مصاف الدول الفتية الرخية[٢] بحق.

وإن في مصر وحدة في الشعور، وفي الفكر، وفي اللغة، وفي التقاليد، وفي العادات، والآمال والطموح قلّ أن توجد في شعب آخر، فليس في مصر أمم متفرقة، ولا أقليات متنافرة، ولا أجناس مختلفة، ولكن أمة واحدة جمعها الزمن البعيد، والميراث التليد[٣]، والتعاون على ما فيه خير الجماعة.

ولقد انتهت إلى مصر بفعل الحوادث السياسية والاجتماعية المتعاقبة -وبخاصة في الماضي القريب- زعامة العالم الإسلامي، وإمامة شعوب الشرق الأدنى روحيًّا وإداريًّا

---

(١) جاشت القِدْر تجيش جَيْشًا وجَيَشانًا: غَلَت، وكذلك الصدْرُ إذا لم يَقْدر صاحبه على حَبْس ما فيه. وكلّ شيء يَغْلي، فهو يَجِيش، حتى الهَمّ والغُصَّة في الصدْر. [لسان العرب، مادة (جيش)].

(٢) الرَّخاء: سَعَة العَيْش، وقد رَخُوَ ورَخا يَرْخُو ويَرْخي رَخًا، فهو راخٍ ورَخِي، أي: ناعِم، ورَخِي يَرْخى وهو رَخِي البال إذا كان في نَعْمَةٍ واسعَ الحال بَيِّنُ الرَّخاء. [لسان العرب، مادة (رخا)].

(٣) التِّلاد كل مال قديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء، وهو التالد والتليد والمُتْلَدُ. [السابق، مادة (تلد)].

وثقافيًا واقتصاديًا.

وأمام مصر ميراث الهداية الربانية، ودعامة الإصلاح الاجتماعي العالمي القرآن الكريم، وقد سبقت غيرها في العناية به، وقام على حراسته فيها ملك مؤمن، وشعب مؤمن، ومعهد عريق أفنى القرون جداره[١]، وشعت على الأقطار الإسلامية قديمًا وحديثًا أضواؤه وأنواره، فلن يعوزها منهاج الإصلاح إن أرادته، ولا يلتوي بها طريق الخير إن سلكته، وكل هذه مبشرات من الله ساقها لمصر في مستهل عهد جلالتكم الميمون لتتبوأ مكانتها وتستعيد منزلتها، وإنما يكون ذلك -يا مولاي- بأمور ثلاثة:

١- أن تحتفظ مصر لنفسها بإرشاد جلالتكم وقيادتكم لونًا استقلاليًا من ألوان الحياة ونظمها، تتحرر فيه من أغلال التقليد وقيوده ورواسبه، وتسير إلى هدفها الجديد قدمًا في عزم وحزم، وليس هناك من هدف أسمى ولا أعلى ولا أنفع من أن تطبق مصر النظام الاجتماعي الإسلامي في حياتها «المدنية والاجتماعية»، فتلائم بذلك بين عقيدتها وعملها، ولا تكون ممن يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، والله تبارك وتعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، ويقول: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ولا يحول الأخذ بهذا النظام الإسلامي بين مصر وبين أن تبلغ أرقى درجات الحضارة والتمدين، فالإسلام نظام رباني حكيم مرن فسيح، يساير العصور والأجيال، ويفي بحاجات الأمم والشعوب في كل وقت وحين، وهو في كل زمان أحدث تشريع يرسم للإنسانية طريق السعادة، كما أن تركيز الحياة المدنية والاجتماعية في مصر على قواعد من نظم الإسلام الحنيف لن يحول بين مصر وبين أن تأخذ بالصالح النافع المفيد من الحضارات القديمة أو الحديثة، فلقد اقتبس رسول الله ﷺ نفسه من حضارة الفرس، ودرج على ذلك خلفاؤه الراشدون من بعده، وهو

---

(١) اقتباس من بيت لأحمد شوقي من الكامل، وهو:

يَا مَعْهَدًا أَفنى القُرونَ جِدارُهُ   وَطَوى اللَيالِيَ رَكنُهُ وَالأَعصُرا

القائل تعليمًا لأمته: «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها»[(١)].

وبذلك -يا مولاي- تتحرر مصر من مظاهر الحياة الغربية التقليدية التي تتنافى مع عقائدها وآدابها ومثلها العليا وحضارتها الفاضلة، والتي جلبت عليها الضعف والفقر والخمول، وقتلت فيها روح العزة والقوة والطموح، وجرت إليها مشاكل المجتمع الأوروبي التي أنتجتها هذه النظم، والتي لم تكن مصر تعرفها من قبل.

٢- وأن تعمل الحكومة المصرية جاهدة بإرشاد جلالة الملك الصالح على استكمال استقلال مصر من كل نواحيه، وتتفق مع الحكومة البريطانية على أن تعلن رسميًا محافظتها التامة على استقلال وادي النيل، وعدم التدخل في شئون الحكومة المصرية، وأن بقاء الجنود البريطانية في أرض النيل موقوت بالضرورات الحربية، وينتهي بانتهاء هذه الحرب من غير انتظار للمدة التي حددتها المعاهدة. ثم تبذل أقصى الجهد في تقوية الجيش المصري، والنهوض بكل أسلحته، وإتمام وسائل الدفاع العسكرية والمدنية إتمامًا كاملاً سريعًا استعدادًا للطوارئ، مع العمل على التخلص من آثار الاحتلال الاقتصادي الذي فرضته علينا شركات الاستغلال الأجنبية، وإلغاء المحاكم المختلطة التي لم يعد هناك مبرر لوجودها.

٣- وأن يتفضل جلالة الملك -أيده الله- بدعوة حضرات أصحاب الجلالة والسمو ملوك الشعوب الإسلامية وأمرائها ورؤساء حكوماتها لتبادل وجوه الرأي في الموقف المشترك الذي يجب أن يقفه العالم الإسلامي جنبًا إلى جنب فيما يتعلق بشئونه الداخلية والخارجية في هذه الظروف، واتخاذ أنجع الوسائل لتحقيق النهضة الإسلامية المرجوة، ومن الآن إلى أن تتم هذه الخطوات الموفقة يرجو الإخوان المسلمون أن تأمروا جلالتكم بأن تعنى الحكومة المصرية عناية جدية بإيجاد علاج سريع لفوضى الحياة الاجتماعية التي وصلت إلى حد من الاختلال والفساد ينذر بأخطر العواقب

---

(١) أخرجه بنحوه الترمذي في «الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْفِقْهِ عَلَى الْعِبَادَةِ»، ح(٢٦١١)، وقد قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه»، وابن ماجه في «الزُّهْدِ»، باب: «الْحِكْمَةِ»، ح(٤١٥٩)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي»، ح(٢٦٨٧).

فتصدر التشريعات الحازمة:

التي توجب على كبار رجال الدولة والوزراء وحكام الأقاليم أن يؤدوا الصلوات في أوقاتها، وأن يكونوا قدوة صالحة لغيرهم في احترام أوامر الدين ونواهيه في حياتهم الخاصة والعامة.

والتي تقضي على ملاعب السباق، وأندية القمار، وأوراق اليانصيب بأنواعها، والمراقص الخليعة، والصالات المريبة، والمجتمعات العابثة، وتحرم على كبار رجال الدولة خاصة وبقية الشعب المصري عامة ارتكاب هذه المنكرات.

والتي تحسم فتنة المرأة التي طغت على كل ناحية من نواحي المجتمع المصري، فتحرم دعوة السيدات المصريات وغير المصريات إلى الحفلات المشتركة من رسمية أو أهلية، وتمنع نشر صورهن في الجرائد والمجلات السيارة، وتحول دون مزاولتهن الأعمال العامة، وتفصل بين الفتيان والفتيات في معاهد التعليم والجامعة.

والتي تستأصل البغاء بأنواعه العلنية والسرية، وتفرض العقوبة الشديدة على مرتكبي هذه الجريمة المقيتة بكل أنواعها، وتمنع شباب الجيش منعًا باتًّا من غشيان هذه الأماكن. ولا يصح أن يكون وجود الجنود الأجانب بيننا مبررًا لتهاوننا في واجب من أقدس واجباتنا لحماية أعراضنا وتقويم أخلاقنا، وقد انتهت كل لجنة ألفت للفحص عن هذا الأمر إلى تقرير وجوب إلغائه، وإنقاذ البلاد من هذا البلاء المبين.

والتي تنقذ الناس من أضرار الخمر، ومن الإسراف في الكيوف التي تستنفد قواهم المالية والبدنية، وتحرمهم الغذاء الصالح الكافي كالشاي الأسود ونحوه، وذلك بإغلاق الحانات والمشارب، وتقييد وقت السهر، وحظر تجارة الخمر بين المسلمين خاصة وبينهم وبين الأجانب.

والتي تحرم على الحكومة التعامل مع شعبها المسلم بالربا الذي اعتبره الإسلام حربًا لله ورسوله، وبخاصة في عمليات التسليف، وفي الجمعيات التعاونية التي يتحرج كثير من المصريين المؤمنين من الانتفاع بفوائدها لما فيها من هذا الربا، مع أن الحكومة تستطيع إعفاء الجميع من هذا الحرج بمجهود يسير.

ومن العجب أن تكون القوانين في بعض البلاد الأجنبية، وفي بعض المستعمرات لدول غير إسلامية أفضل بكثير وأقرب إلى قواعد الإسلام منها في مصر في الربا والخمر والبغاء، كما في تونس مثلاً، والتي تحتم على وزارة المعارف أن تعنى بمناهج التعليم الديني، والتاريخ الإسلامي، والتربية الوطنية عناية علمية وعملية، وأن تجعل الدروس في هذه العلوم أساسية تقدر الطلبة أهميتها، وأن تعممها في كل مراحل التعليم.

وأن تهتم بإصلاح منابع الثقافة العامة إصلاحًا جديًا، فتحدد مهمة الإذاعة والمسارح والسينمات والصحافة والمطبوعات تحديدًا صالحًا، وتشرف على ذلك كله إشرافًا فعليًا يجني الشعب من ورائه فائدتها ويتقي ضررها.

وأن تراقب المدارس الأجنبية التي تتولى تربية قسم كبير من أبناء الأمة، وبخاصة من أبناء الطبقة العالية، وتلزمها أن تصلح مناهجها بحيث لا تجعل هؤلاء الطلبة غرباء عن أمتهم وبلادهم وهم بين أهليهم.

والتي تتناول بالتخفيض مرتبات كبار الموظفين، وتحد من بذخهم وترفهم وعلاواتهم واستثناءاتهم وامتيازاتهم وأبهة[1] وظائفهم، وترفع مستوى المعيشة، وتزيد من أجور العمال ومرتبات صغار الموظفين الذين ينوءون بمطالب الحياة، ولا يجدون ما يوفي لهم الضروريات، وليس في الدنيا بلد كمصر تتفاوت فيه المرتبات، ويختلف فيه مستوى المعيشة هذا التفاوت المخيف.

والتي تشجع الهيئات الأهلية والجماعات الشعبية التي تعمل للإصلاح الاجتماعي، وبخاصة الثقافية والرياضية والتعاونية منها، وتصلها بالحكومة اتصالاً وثيقًا ينهض بها ماديًا وأدبيًا، فهذه الهيئات وحدها هي التي تستطيع قيادة الشعب قيادة أدبية صالحة، وتحمله على قضاء وقت فراغه فيما ينفع ويفيد، وتضع بين يديه الهوايات الصالحة، وتشوقه إلى خدمة الأغراض الاجتماعية السامية بأيسر النفقات، ولو اقتصرت مهمة وزارة الشئون الاجتماعية على دراسة الداء والدواء، وتشجيع هذه الهيئات والوساطة بينها وبين جهات الاختصاص، وتركت كل ما عدا ذلك من المشروعات الفنية لغيرها من المصالح المختصة لأدت مهمتها أحسن الأداء، ولأصبحت وزارة الشعب بحق، ولكان هذا عملاً جليلاً يستحق كل إكبار وإعجاب.

---

(١) الأُبَّهَة: العظمة والكبر. ورجل ذو أُبَّهَةٍ، أي: ذو كبر وعظمة. [لسان العرب، مادة (ابه)].

مولاي صاحب الجلالة:

إن إصلاح المجتمع المصري يتلخص في كلمتين: «تشريع صالح، ومنقذ غيور»، وحينئذٍ يرى العالم -يا مولاي- من حيوية هذا الشعب العظيم واستعداده للرقي والكمال العجب العجاب، وإن الوقت مناسب والفرصة سانحة، فاعزموا باسم الله، وإذا عزمت فتوكل على الله، وقلها كلمة منفذة، وأصدره أمرًا ملكيًا كريمًا، فإن الكتائب معبأة، والصفوف مسواة، والنفوس المؤمنة ترقب بشغف وأمل تلك الساعة المباركة التي تقام فيها الصلاة ويتقدم الإمام، أيدكم الله -يا مولاي- وأعز بكم دولة الإسلام.

وأشرف أن أرفع مع هذه المذكرة قرارات المؤتمر مشفوعة بكمال الإخلاص للعرش، وتمام الولاء لذاتكم المحبوبة المفداة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المطيع، حسن البنا، المرشد العام للإخوان المسلمين

* * *

ملحق المؤتمر الدوري السادس(١)

الاقتراحات الواردة على المؤتمر من شعب الإخوان

ورد على لجنة المؤتمر هذه الاقتراحات:

١- يقترح الإخوان بطنطا توجيه خطاب الإخوان المسلمين وجهة عملية تعالج النواحي الحيوية، وتستمد من واقع الحوادث والمشاهدات، ووجوب تكوين لجان فنية بمكتب الإرشاد العام تدرس نواحي المنهاج الإصلاحي الإنشائية، وتحددها تحديدًا دقيقًا، وتقدم عنها مشروعات قوانين للمكتب وللدولة.

٢- وتقترح لجنة الدفاع عن العمال بالغربية بدار الإخوان المسلمين بطنطا مطالبة الحكومة بإصدار التشريعات الخاصة بإنقاذ العمال وتحسين حالهم، ومطالبة الأغنياء بالاكتتاب لمساعدة أسر العاطلين منهم، واستنجاز وزارة الشئون الاجتماعية ما وعدت به من معونتهم، ومطالبة الحكومة بإصلاح التعليم بالعناية بالقرآن والدين الإسلامي، وتعليم أولاد العمال مجانًا، وبإصلاح المجتمع المصري بمحاربة المنكرات التي يتردى في مهاويها العمال وغيرهم من فقراء الأمة وأغنيائها.

٣- ويقترح الإخوان بشبين القناطر توقيع عريضة من المؤتمر بطلب اتخاذ الشريعة الإسلامية أساسًا للحكم في مصر، ورفعها إلى جلالة [الملك](٢) وأولي الشأن، وتأييدها من شعب الإخوان جميعًا.

٤- ويقترح الإخوان بالعطف منوفية السعي لدى وزارتي المعارف والصحة بتخفيف القيود عن مكاتب الإعانة وتشجيعها على مهمتها في تحفيظ القرآن الكريم، مع تنظيم التعاون بينها وبين مكاتب التعليم الإلزامي.

٥- ويقترح الإخوان بالمنيا أن تعمل كل شعبة على أن تجمع قرشًا في كل شهر من كل مشترك باسم مكتب الإرشاد العام للمساهمة في نواحي نشاطه المختلفة، التي تستلزم كثيرًا من النفقات، وتقوم الشعبة نفسها بتحصيله وإرساله.

* * *

(١) نفس مرجع الرسالة.

(٢) ساقطة من الأصل.

قرارات المؤتمر

وقد أقر المؤتمرون ما يأتي:

١- الموافقة على اقتراحات الشعب المتقدمة، وتفويض المكتب في اتخاذ ما يراه موصلاً إلى تحقيقها.

٢- تأييد مكتب الإرشاد العام تأييدًا تامًّا في خطواته الموفقة في سياسة الدعوة العامة.

٣- تأييد مكتب الإرشاد العام فيما قام ويقوم به من مطالبة الحكومة المصرية:

(أ) بمضاعفة الاستعداد العسكري والمدني وتقوية وسائل الدفاع على اختلاف أنواعها احتياطًا للطوارئ، واستعدادًا للمستقبل، ونزولاً على حكم الإسلام.

(ب) وبمطالبة الحكومة البريطانية بالتعهد الصريح بلسان رئيسها المستر تشرشل بالمحافظة على استقلال وادي النيل التام، وعدم التدخل في شئون الحكومة المصرية، وبأن يكون بقاء الجنود البريطانيين في أرض مصر موقوتًا بالضرورات الحربية، فينتهي بانتهاء هذه الحرب بدون نظر إلى المدة التي حددتها المعاهدة.

(ج) وباستخدام هذه الظروف التي أوجدتها الحرب لفائدة مصر، وذلك بإحلال المصريين محل الأجانب في الأماكن التي خلت بسفرهم في كل مؤسسة اقتصادية وطنية أو أجنبية، وإلغاء المحاكم المختلطة التي لم يعد لوجودها محل في هذه الأوقات، وبالاستيلاء على إدارة الشركات الأجنبية، وإنهاء امتيازاتها، وإلغاء عقودها، وبمحاربة المنكرات الفاشية من: خمر وبغاء وقمار وسباق ومراقص ومسارح خليعة ماجنة وأندية فاجرة بالحزم والجد الذي يتناسب مع سلطة الحاكم العسكري.

(د) وبأن تحل محل مجلس إدارة شركة قناة السويس الذي أصبح أداة معطلة بعد احتلال فرنسا، وأن تمهد بذلك لإنهاء امتيازها حتى تصبح شركة مصرية بحتة.

(هـ) وبعلاج المشاكل الاقتصادية التي أوجدها الإهمال، وضاعفتها ظروف الحرب بسرعة وحزم؛ حتى يرتفع مستوى المعيشة، وتتوفر ضرورات الحياة للفلاح والعامل وغيرهما ممن يستهدفون لخطر الجوع والمرض والفقر.

(و) بأن تتخذ تعاليم الإسلام أساسًا للنظم المدنية والاجتماعية لشعب يعتز بدينه

ولا يرضى بغير تعاليمه بديلاً، مع تفويض المكتب في اتخاذ الوسائل التي تكفل تحقيق هذه الأغراض.

٤- تأييد مكتب الإرشاد العام في إقراره استخدام الوسيلة الثالثة من وسائل الإخوان المسلمين، وهي ترشيح الأكفاء من الإخوان، وتقديمهم للهيئات النيابية على اختلاف درجاتها، على أساس خدمة المنهاج الإسلامي القويم، والمطالبة بنظام الحكم الإسلامي كلما وجد الظرف المناسب لذلك.

٥- العمل على نشر فكرة الإخوان في كل مكان ووسط لم تصل إليه بعد، والاجتهاد التام في تقوية التشكيلات الإخوانية المنظمة من الفرق والكتائب، وإعدادها روحيًّا وثقافيًّا وعمليًّا في كل شعبة.

٦- العناية بتنشيط ناحية الخدمة الاجتماعية في الشعب الإخوانية، وخصوصا في النواحي الآتية:

(أ) محاربة الكيوف التي تفتك بكثير من أبناء مصر كالشاي الأسود ونحوه.

(ب) تعليم الأميين القراءة والكتابة، وتنشيط أقسام الوعظ ودروس الأحكام الإسلامية، واتخاذ السيرة النبوية المطهرة وسيرة الخلفاء دعامة للتثقيف العام في شعب الإخوان، والعناية بالقرآن الكريم حفظًا وتحفيظًا وتفهيمًا ودراسة.

(ج) تقديم الإرشادات الخلقية والصحية والاجتماعية والفنية متى وجد الفنيون الاختصاصيون في الشعبة إلى كل من يمكن تقديمها إليه من أفراد الشعب.

(د) إنفاذ المشروع الطبي بنشاط، وسيقوم المكتب بواجبه في ذلك بالاتصال بحضرات أطباء الأقاليم، وإرسال أعضاء القسم الصحي به إلى الشعب.

(هـ) تأليف لجنة في كل شعبة للاتصال بالموظفين والأعيان الذين يجهرون بالمنكر، وإرشادهم إلى واجبهم باعتبارهم نماذج ينظر إليها غيرهم ممن هم أقل منهم.

(و) تنشيط الفرق الرياضية المتصلة بالإخوان كلما وجدت الظروف لذلك، ووصلها دائمًا باللجنة الرياضية العامة بالمكتب مع ملاحظة نصوص اللائحة الخاصة بذلك.

(ز) مقاومة التبرج والاختلاط بين الجنسين في دور التعليم، وفي المجتمعات العامة، وتنبيه الأذهان إلى ما في ذلك من خطر شديد، ومن خروج على تعاليم الإسلام، ومن

إفساد المجتمع، على أن تكون بيوت الإخوان مظاهر كاملة للأدب الإسلامي في هذه الناحية.

٧- إقرار العريضة التي يتقدم بها المكتب إلى جلالة مليك البلاد بتعديل المعاهدة الإنجليزية، وبطلب اتخاذ الشريعة الإسلامية أساسًا للتشريع والحكم في مصر، مع رجاء دعوة أمراء المسلمين وملوكهم إلى النظر المشترك فيما يجب أن يكون عليه موقف الأمم الإسلامية في هذه الظروف، وما يجب أن تقوم به مجتمعة لإعادة وحدتها واستكمال حريتها.

والله أكبر ولله الحمد.

القاهرة في ٢٠ من ذي الحجة ١٣٥٩هـ

***


النادي الشبابي

رســـالة

دعوتنا في طور جديد

١٧ شعبان ١٣٦١هـ -٢٩ أغسطس ١٩٤٢م

تقـــديم

صدرت هذه الرسالة في مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، في ثمانية أعداد بالمجلة، بداية من العدد الأول للسنة الأولى بتاريخ ١٧ شعبان ١٣٦١هـ- ٢٩ أغسطس ١٩٤٢م، وتتابعت المقالات في الأعداد (٢، ٣، ٤، ٥، ٧، ٨) واختتمت في العدد ٩ من نفس العام بتاريخ ١٨ من ذي الحجة ١٣٦١هـ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٩٤٢م.

وأعيد نشر هذه الرسالة مرة أخرى في جريدة الإخوان المسلمين اليومية في ثمانية أعداد بداية من العدد (٧٤٩) للسنة الثالثة بتاريخ ٧ من ذي الحجة ١٣٦٧هـ الموافق ١٠ أكتوبر ١٩٤٨م، وقد ظهرت المقالات في الجريدة بشكل جديد؛ حيث دخلت عليها بعض الزيادات، كما أنه قد أضيف لها بعض العناوين التي تعبر عن مضمون الرسالة، وقد تتابعت المقالات في الأعداد [٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٧] واختتمت في العدد (٧٥٩) من نفس السنة الصادر بتاريخ ٢١ من ذي الحجة ١٣٦٧هـ الموافق ٢٤ أكتوبر ١٩٤٨م.

وقد استدركنا مقالاً على الكتب التي سبق ونشرت تلك الرسالة، وهذا المقال بعنوان: «المدرسة التي نريدها... نظرة في تاريخ التعليم الحديث... الروح التقليدي والروح الاستقلالي»، ونشر هذا المقال في العدد (٩) في النصف شهرية، والعدد (٧٥٩) في الجريدة اليومية.

وقد تناول الإمام البنا فيها خصائص الدعوة، والشبهات التي تثار حولها، والعقبات التي تحيط بها.

* * *

(١) دعوتنا في طور جديد[١]

[ربانية عالمية][٢]

[نشأة][٣]

[هذا طور جديد في دعوة الإخوان المسلمين، أحببت أن أتحدث إلى القراء عنها فيه.. فقد][٤] نشأت هذه الدعوة والناس في انصراف عن الفكرة الإسلامية، وفي إعجاب بالفكرة الغربية المادية، فأخذت[٥] طريقها في هدوء إلى قلوب الطبقة الأولى من الناس، طبقة الجماهير المؤمنة السليمة العقائد والصدور، وظلت في نفوسهم أمنية عزيزة، وعاطفة متوقدة كريمة، وشعلة مشرقة منيرة، على حين كانت جمهرة المفكرين وأهل الرأي والتوجيه يروجون للفكرة الأخرى، ويهتفون بها، ويدعون الناس إليها، ويزينونها في الأسماع والأبصار والقلوب بمختلف صنوف التزيين والتحسين.

وشاء الله أن تقع الأحداث العنيفة[٦] التي هزت كل العقول والمشاعر والقلوب والأفكار، وأشعرت الإنسانية الحاجة الشديدة إلى إعادة النظر في مناهج الحياة، وقواعد المدنية، ودعائم التحضر، وانطلقت الأصوات من كل مكان تهيئ لنظام جديد وعلاج جديد.

[امتحان][٧]

وصادف ذلك امتحان لدعوة الإخوان كشف عن جوهرها، ولفت أنظار الناس

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد (١)، السنة الأولى، ١٧ شعبان ١٣٦١هـ - ٢٩ أغسطس ١٩٤٢م، ص(٣، ١٨)، وقد أعيد نشرها في مجلة الإخوان المسلمين اليومية تحت عنوان: «نظرات في الدعوة» عند سفر فضيلة المرشد للحج، وذلك في العدد (٧٤٩)، السنة الثالثة، ٧ ذو الحجة ١٣٦٧هـ - ١٠ أكتوبر ١٩٤٨م، ص(٦).

(٢) هذا هو العنوان في مجلة الإخوان المسلمين اليومية، وهو زيادة منها.

(٣) زيادة من اليومية.

(٤) ناقصة من اليومية.

(٥) في اليومية: «وأخذت».

(٦) الحرب العالمية الثانية.

(٧) زيادة من اليومية.

إليها، وجمع كثيرًا من القلوب النافرة حولها، وبذلك انتقلت الدعوة إلى القلوب المؤمنة والعقول المفكرة، وأصبحت قاعدة مسلمًا بها بعد أن كانت عاطفة متحمسة، ونظر إليها كثير من الناس على أنها مبادئ ممكنة التحقيق صالحة للتطبيق، فلم تعد حلمًا في الرءوس، أو وجدانًا في النفوس فقط.

وكان طبيعيًا أن تكثر الأسئلة عن مرامي الدعوة وكنهها، وعن الطرق التي يسلكها أهلها والقائمون بها في علاج ما يحيط بتطبيق مبادئها وتعاليمها من مشاكل داخلية وخارجية، ولم يعد يكفي في الجواب عن ذلك كلام مرتجل، أو خطابة تثير المشاعر، أو عبارات تؤثر في العواطف، بل صار واجبًا على أهل هذه الدعوة أن يصوروها للناس تصويرًا منطقيًا دقيقًا واضحًا مبنيًا على أدق قواعد البحث العلمي، وأن يرسموا أمام الناس الطرق العملية المنتجة التي أعدوها لتحقيق ما يريدون، ولتذليل ما سيصادفون من عقبات لابد من وجودها في الطريق.

ولعل طورًا آخر ينتظر هذه الدعوة حين توضع موضع التجربة العملية، وحينئذ يتم هذا الهيكل الذي تجهز له هذه اللبنات، وحينئذ يرى الناس أي خير سينالون من تطبيق هذه المبادئ السامية، وتحقيق هذه الأهداف العالية.

وسأتناول [في أعداد هذه المجلة][1] تباعًا -إن شاء الله- خصائص هذه الدعوة ومراميها، والشبهات التي تورد عليها، والعقبات التي تحيط بها في هذا الطور الجديد، مستمدًا من الله المعونة والتوفيق.

ربانية عالمية[2]

أخص خصائص دعوتنا أنها ربانية عالمية:

[ربانية][3]

أ- فأما أنها ربانية فلأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا جميعًا، أن يتعرف الناس إلى ربهم، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسمو بأنفسهم عن جمود

---

(١) ناقصة من اليومية.

(٢) زيادة من اليومية.

(٣) زيادة في اليومية

المادة الصماء وجحودها إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها. ونحن الإخوان المسلمين لنهتف من كل قلوبنا:

«الله غايتنا» فأول أهداف هذه الدعوة أن يتذكر الناس من جديد هذه الصلة التي تربطهم بالله تبارك وتعالى، والتي نسوها فأنساهم الله أنفسهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. وهذا في الحقيقة هو المفتاح الأول لمغاليق المشاكل الإنسانية التي أوصدها الجمود والمادية في وجوه البشر جميعًا فلم يستطيعوا إلى حلها سبيلاً، وبغير هذا المفتاح لا إصلاح.

[عالمية][١]

ب- وأما أنها عالمية فلأنها موجهة إلى الناس كافه؛ لأن الناس في حكمها إخوة: أصلهم واحد، وأبوهم واحد، ونسبهم واحد، لا يتفاضلون إلا بالتقوى، وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

فنحن لا نؤمن بالعنصرية الجنسية، ولا نشجع عصبية الأجناس والألوان، ولكنا ندعو إلى الأخوة العادلة بين بني الإنسان.

[وحدة الجنس][٢]

قرأت لأحد زعماء الغرب أنه يقسم الجنس البشري إلى: مبتكرين، ومحافظين، ومخربين، وهو يعتبر قومه مبتكرين، ويعتبر قومًا آخرين من الغربيين محافظين، ويعتبرنا نحن الشرقيين وما إلينا عدا هذين مخربين مدمرين.

هذا التقسيم ظالم جائر فضلاً عن أنه غير صحيح بأصله، فالجنس البشري كله مرده إلى دم واحد وطينة واحدة، وإن اختلفت البيئات والوسائط والمدارك والثقافات. وإذا هذب الإنسان استطاع أن يرتقي من رتبته إلى أعلى منها بدرجة ما يصل إليه من تهذيب.

(١) زيادة من اليومية.

(٢) زيادة من اليومية.

وليس هناك جنس من بني آدم لا يمكن إصلاحه في حدود ظروفه وبيئته الخاصة به. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا الشرق الذي وضع في صف المخربين والمدمرين هو مبعث المدنيات، ومشرق الحضارات، ومهبط الرسالات، وهو مفيض ذلك كله على الغرب، لا ينكر هذا إلا جاحد مكابر.

[الأخوة أساس السلام](١)

ومثل هذه المزاعم الباطلة إنما هي نزوات من غرور الإنسان وطيش الوجدان لا يمكن أن تستقر على أساسها نهضات، أو تقوم على قاعدتها مدنيات، وما دام في الناس من يشعر بمثل هذا الشعور لأخيه الإنسان فلا أمن ولا سلام ولا اطمئنان حتى يعود الناس إلى علم الأخوة فيرفعونه خفاقًا، ويستظلون بظله الوارف الأمين، ولن يجدوا طريقًا معبدة إلى ذلك كطريق الإسلام الذي يقول كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ويقول نبيه ﷺ: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من مات على عصبية»(٢) رواه أحمد من حديث جبير بن مطعم ﷺ.

ولهذا كانت دعوة الإخوان المسلمين ربانية إنسانية.

* * *

---

(١) زيادة من اليومية.

(٢) أخرجه أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «فِي الْعَصَبِيَّةِ»، ح(٤٤٥٦)، وقال صاحب «تحفة الأشراف»، (٤/ ١٥٢): «قال أبو الحسن بن العبد عن أبي داود: هذا مرسل، عبد الله بن أبي سليمان لم يسمع من جبير»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٥١٢١)، ومن الأحاديث الصحيحة في هذا الباب ما أخرجه مسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «وُجُوبِ مُلازَمَةِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَفِي كُلِّ حَالٍ وَتَحْرِيمِ الْخُرُوجِ عَلَى الطَّاعَةِ وَمُفَارَقَةِ الْجَمَاعَةِ»، ح(٣٤٤٠) أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ».

(٢) دعوتنا في طور جديد

بين العقلية الغيبية والعقلية العلمية[(١)]

[أساس الدعوة][(٢)]

قدمت أن دعوتنا دعوة ربانية إنسانية، وأحب أن أزيد هذا المعنى وضوحًا ليتقرر في نفوس الناس، فهو الأساس الأول الذي تقوم عليه هذه الدعوة، وهو أسمى أهدافها فعلاً، فمن حقه علينا، ومن حق الناس علينا -كذلك- أن نفيض فيه بعض الإفاضة، وأن نجليه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. أول أوصاف دعوتنا أنها (ربانية).

[ألوان التفكير][(٣)]

ولقد تذبذب العقل البشري منذ وجد الإنسان على ظهر الأرض إلى يومه هذا - وأغلب الظن أنه سيظل كذلك حتى تتداركه هداية من الله- بين أطوار ثلاثة، وإن شئت قلت: بين ألوان ثلاثة من ألوان التفكير والتصور:

[طور الخرافة][(٤)]

١- طور الخرافة والبساطة والتسليم المطلق للغيب المجهول والقوى الخفية البعيدة عنه. فهو ينسب إليها كل شيء، ويفسر بها كل شيء. ولا يرى لنفسه معها عملاً ولا فكرًا، وكثيرًا ما استبد هذا الطور بالإنسان في أدوار حياته الأولى يوم عاش على هذه الأرض يجهلها وتجهله، ولعل أقوامًا من بني الإنسان لا يزالون يعيشون على هذا النحو إلى الآن.

[طور الجمود][(٥)]

٢- وطور الجمود والمادية والتنكر لهذا الغيب المجهول، والخروج على هذه القوى

---

(١) الإخوان المسلمون النصف شهرية، العدد (٢)، السنة الأولى، ١رمضان ١٣٦١هـ- ١٢سبتمبر ١٩٤٢م، ص(٣-٤)، وقد أعيد نشرها في مجلة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٧٥٠)، السنة الثالثة، ٨ ذو الحجة ١٣٦٧هـ- ١١أكتوبر ١٩٤٨م، ص(٦).

(٢) زيادة من اليومية.

(٣) زيادة من اليومية.

(٤) زيادة من اليومية.

(٥) زيادة من اليومية.

البعيدة عن حس الإنسان، والتمرد على كل ما يتصل إليها بسبب، ومحاولة تفسير مظاهر الكون جميعًا محاولة مادية صرفة حسية صرفة وفق قوانين تجريبية اهتدى إليها الإنسان بطول تجاربه ودوام بحثه وتفكيره. وكثيرًا ما طغى هذا التفكير على العقل الإنساني في هذه العصور الحديثة، التي وصل فيها الإنسان إلى الكشف عن كثير من مجهولات الطبيعة، وعرف فيها الكثير من خواص الكائنات، فظن أنه واصل لا محالة بهذا الأسلوب إلى معرفة كل ما هناك، وإن كان الذي يعرفه بالنسبة إلى الذي يجهله كالذرة من الرمال في الفلاة الواسعة الفسيحة.

وفي هذا الدور أنكر الإنسان المادي الألوهية وما يتصل بها، والنبوات وما يمت إليها، والآخرة والجزاء والعالم الروحي بكل ما فيه، ولم ير شيئًا إلا هذا العالم الأدنى المحدود يفسر ظواهره بحسب قوانينه المادية الصرفة.

[التفكير الصحيح][1]

كلا هذين اللونين من ألوان التفكير خطأ صريح، وغلو فاحش، وجهالة من الإنسان بما يحيط بالإنسان.

٣- ولقد جاء الإسلام الحنيف يفصل القضية فصلاً حقًا، فيقرر حق العالم الروحي ويوضح صلة الإنسان بالله رب الكائنات جميعًا، وبالحياة الآخرة بعد هذه الحياة الدنيا، ويجعل الإيمان بالله أساس إصلاح النفس التي هي من عالم الروح فعلاً، والتي لا سبيل إلى صلاحها إلا بهذا الإيمان، ويصف ذلك العالم الغيبي المجهول وصفًا يقربه إلى الأذهان، ولا يتنافى مع بدهيات العقول، وهو مع هذا يقرر فضل هذا العالم المادي وما فيه من خير للناس لو عمروه بالحق وانتفعوا به في حدود الخير.

ويدعو إلى النظر السليم في ملكوت السموات والأرض، ويعتبر هذا النظر أقرب إلى معرفة الله العلي الكبير.

هذا الموقف من الإسلام الحنيف ألزم العقل البشري لونًا من ألوان التفكير، هو أكملها وأتمها وأكثرها انطباقًا على واقع الحياة ومنطق الكون، وأعظمها نفعًا لبني الإنسان: ذلك هو الجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل. فنحن نعيش في عالمين فعلاً لا في عالم واحد، ونحن عاجزون عن تفسير كثير من ظواهر الكون فعلاً، عاجزون

---

(١) زيادة من اليومية.

عن إدراك كل الحقائق الأولية التي تحيط بنا. ونحن في إدراكها ننتقل من مجهول إلى مجهول حتى ينتهي بنا العجز إلى الإقرار بعظمة الله، ونحن نشعر من أعماقِ قلوبنا بعاطفة الإيمان قوية مشبوبة[1]؛ لأن الإيمان من فطرة نفوسنا وهو لها ضرورة من ضرورات حياتها كالغذاء والهواء والماء للأجسام سواء بسواء.

ونحن بعد ذلك نلمس أن هذا المجتمع الإنساني لن يصلحه إلا اعتقاد روحي يبعث في النفوس مراقبة الله والتعزي بمعرفته، ومن هنا كان لزامًا على الناس أن يعودوا إلى الإيمان بالله والنبوات وبالروح وبالحياة الآخرة، وبالجزاء فيها على الأعمال، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

كل هذا في الوقت الذي يجب عليهم فيه أن يطلقوا لعقولهم العنان لتعلم وتعرف وتخترع وتكتشف وتسخر هذه المادة الصماء، وتنتفع بما في الوجود من خيرات وميزات، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

[إلى أي تفكير ندعو الناس؟][2]

وإلى هذا اللون المعتدل من التفكير الذي يجمع بين العقليتين الغيبية والعلمية ندعو الناس.

لقد عاش الغرب أخريات أيامه مادي النزعة لا يشعر بغير المادة، ولا يعترف بغير المادة، ولا يحس بوجود غيرها حتى ماتت في نفوس أبنائه عواطف الرحمة الإنسانية، وخبت أنواع الروحانية الربانية. وهيمن الغرب على الدنيا بأسرها بعلومه ومعارفه ومباهجه وزخارفه وكشوفه ومخترعاته وجنوده وأمواله، وصبغ الفكر البشري في كل مكان بصبغته هذه.

والآن والدنيا كلها تكتوي بهذه النيران تنبثق هذه الدعوة من جانب جديد لتهيب بالناس في الشرق والغرب معًا أن يمزجوا المادة بالروح، وأن يؤمنوا بالغيب والشهادة، وأن يتعرفوا من جديد إلى الله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

***

(١) أي: المتوقدة والملتهبة، ويقال: شبت النار والحرب: أي: أوقدت واشتعلت. [لسان العرب، (شبب)].

(٢) زيادة من اليومية.

(٣) دعوتنا في طور جديد

مكان القومية والعروبة والشرقية والعالمية من هذه الدعوة[(١)]

[دعوة إنسانية][(٢)]

وكما أن دعوتنا هذه ربانية تدعو إلى هجر المادية ومقاومتها، والوقوف في وجه طغيانها، والحد من سلطانها، والفرار إلى الله والإيمان به والاعتماد عليه وحسن مراقبته في كل عمل، فهي كذلك إنسانية تدعو إلى الأخوة بين بني الإنسان، وترمي إلى إسعادهم جميعًا؛ لأنها إسلامية، والإسلام للناس كافه ليس لجنس دون جنس، ولا لأمة دون أخرى، ﴿تَبَارَكَ الذي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الذي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الذي يُؤْمِنُ بِالله وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

ومن هذا العموم في بعثة النبي ﷺ ومدى رسالته استمدت دعوتنا العموم في هدفها ومرماها، فهي دعوة توجه للناس جميعًا، وتؤاخي بينهم جميعًا، وتسعى لخيرهم جميعًا، ولا تعترف بفوارق الأجناس والألوان، ولا تتغير بتغير الشعوب والأوطان.

[ألفاظ ومذاهب][(٣)]

وتتردد في أفواه الدعاة والناس ألفاظ كثيرة تعنون[(٤)] بها آراء ومذاهب، فأين مكان هذه الألفاظ من دعوتنا؟ إن لكل لفظ من هذه الألفاظ ولكل رأي من هذه الآراء مكانًا في دعوتنا، لا لأننا نعمل لإرضاء الجميع، ولا لأننا نحابي الجميع، ونجامل في الفكرة وعلى حسابها، ولكن لأن طبيعة دعوتنا هكذا عموم وشمول:

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (٣)، السنة الأولى، ١٥ رمضان ١٣٦١هـ- ٢٦ سبتمبر ١٩٤٢، ص(٥-٦، ٨)، ولقد أعيد نشرها في «الإخوان المسلمين اليومية»، العدد (٧٥١)، السنة الثالثة، ٩ذو الحجة ١٣٦٧هـ- ١٢أكتوبر ١٩٤٨م، ص(٦).

(٢) زيادة من اليومية.

(٣) زيادة من اليومية.

(٤) كذا بالأصل.

[القومية][١]

«فالمصرية» أو «القومية»: لها في دعوتنا مكانها ومنزلتها وحقها من الكفاح والنضال.

إننا مصريون بهذه البقعة الكريمة من الأرض التي نبتنا فيها، ونشأنا عليها. ومصر بلد مؤمن تلقى الإسلام تلقيًا كريمًا، وذاد عنه، وكافح في سبيله، ورد عنه العدوان في كثير من أدوار التاريخ، وأخلص في اعتناقه، وطوى عليه أعطف[٢] المشاعر وأنبل العواطف، وهو لا يصلح إلا بالإسلام، ولا يداوى إلا بعقاقيره، ولا يطب له إلا بعلاجه. وقد انتهت إليه بحكم الظروف الكثيرة حضانة الفكرة الإسلامية والقيام عليها، فكيف لا نعمل لمصر ولخير مصر؟ وكيف لا ندفع عن مصر بكل ما نستطيع؟ وكيف يقال: إن الإيمان بالمصرية لا يتفق مع ما يجب أن يدعو إليه رجل ينادي بالإسلام ويهتف بالإسلام؟! إننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب، عاملون له، مجاهدون في سبيل خيره، وسنظل كذلك ما حيينا، معتقدين أن هذه هي الحلقة الأولى في سلسلة النهضة المنشودة، وأنها جزء من الوطن العربي العام، وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام.

وليس يضيرنا في هذا كله أن نعتني بتاريخ مصر القديم، وبما ترك قدماء المصريين من آثار الحضارة والعمران، وبما سبقوا إليه الناس من المعارف والعلوم والفنون. فنحن نرحب بـ«مصر القديمة» كتاريخ فيه مجد، وفيه عزة، وفيه علم ومعرفة. ونحارب هذه النظرية بكل قوانا كمنهاج عملي يراد صبغ مصر به، وعودتها إليه بعد أن هداها الله بتعاليم الإسلام، وشرح له صدرها، وأنار به بصيرتها، وزادها به شرفًا ومجدًا فوق مجدها، وخلصها بذلك مما لاصق هذا التاريخ من أوضار[٣] الوثنية، وأدران الشرك، وعادات الجاهلية.

[العروبة][٤]

«والعروبة» أو «الجامعة العربية»، لها في دعوتنا كذلك مكانها البارز، وحظها الوافر؛ فالعرب هم أمة الإسلام الأولى، وشعبه المتخير، وبحق ما قال رسول الله ﷺ: «إذا ذل

---

(١) زيادة من اليومية.

(٢) في اليومية: «أشرف».

(٣) إناء وضرٌ. ويدٌ وضرةٌ، وبها وضرٌ: وسخ من دسم أو غيره. [أساس البلاغة، مادة (وضر)].

(٤) زيادة من اليومية.

العرب ذل الإسلام»[1]، ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها، وإن شبر أرض في وطن عربي نعتبره من صميم أرضنا، ومن لباب وطننا.

[وشاعر دعوة الإخوان هو الذي يقول:

ولست أدري سوى الإسلام لي وطنًا ... الشام فيه ووادي النيل سيان

وحيثما ذكر اسم الله في بلد ... عددت أرجاءه من لب أوطاني

ومن أناشيد الإخوان المتداولة بينهم الذائعة فيهم قول شاعر دعوتهم:

وطني الإسلام لا أفدي سواه ... وبنوه أين كانوا إخوتي

مصر والشام ونجد وربـاه ... مع بغداد جميعًا أمتي][2][3]

إن هذه الحدود الجغرافية والتقسيمات السياسية لا تمزق في أنفسنا أبدًا معنى الوحدة

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، ح(١٨٣٩)، وقال الهيثمي في المجمع: «رواه أبو يعلى، وفيه محمد بن الخطاب البصري ضعفه الأزدي وغيره، ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وقد ذهب الألباني إلى القول بوضعه ووهم ما قاله الهيثمي فقال: «وأما قول الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٣): رواه أبو يعلى، وفيه محمد بن الخطاب البصري ضعفه الأزدي وغيره، ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح. فهذا من أوهامه -رحمه الله؛ لأن ابن جدعان ليس من رجال الصحيح، ثم هو ضعيف كما تقدم».

ولكنه قال بعد ذلك: «بيد أن ذلك لا ينافي أن يكون جنس العرب أفضل من جنس سائر الأمم، بل هذا هو الذي أومن به وأعتقده وأدين الله به -وإن كنت ألبانيًا فإني مسلم ولله الحمد- ذلك لأن ما ذكرته من أفضلية جنس العرب هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، ويدل عليه مجموعة من الأحاديث الواردة في هذا الباب منها قوله ﷺ: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم». رواه أحمد (٤/ ١٠٧)، والترمذي (٤/ ٣٩٢)، وصححه، وأصله في «صحيح مسلم» (٧/ ٤٨)، وكذا البخاري في «التاريخ الصغير»، ص(٦) من حديث واثلة بن الأسقع، وله شاهد عن العباس بن عبد المطلب، عند الترمذي وصححه، وأحمد، وآخر عن ابن عمر عند الحاكم (٤/ ٨٦) وصححه».

(٢) البيتان للأستاذ عبد الحكيم عابدين في ديوان «البواكير»، ص(٥٥)، من قصيدة عنوانها: «فتية الإسلام»، وهما من بحر المتقارب.

(٣) ناقصة من اليومية.

العربية الإسلامية التي جمعت القلوب على أمل واحد وهدف واحد، وجعلت من مكان هذه الأقطار جميعًا أمة واحدة مهما حاول المحاولون وافترى الشعوبيون.

ومن أروع المعاني في هذه[١] السبيل ما حدد به الرسول ﷺ معنى العروبة؛ إذ فسرها بأنها اللسان والإسلام؛ فقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده إلى مالك قول النبي ﷺ: «يا أيها الناس، إن الرب واحد، والأب واحد، وإن الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي»[٢].

وبذلك تعلم أن هذه الشعوب الممتدة من خليج فارس إلى طنجة ومراكش على المحيط الأطلسي كلها عربية تجمعها العقيدة، ويوحد بينها اللسان، وتؤلفها بعد ذلك هذه الوضعية المتناسقة في رقعة من الأرض واحدة متصلة متشابهة لا يحول بين أجزائها حائل، ولا يفرق بين حدودها فارق، ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للإسلام، ولخير العالم كله.

[وإن في تألب الدول الاستعمارية الكامنة ضد الشعوب العربية والإسلامية الذي استفحل الآن أمره، وانكشف خبثه في قضية فلسطين، وسائر القضايا العربية أكبر حافز على الوحدة بين هذه الشعوب المناضلة][٣].

[الشرقية][٤]

«والشرقية»: لها في دعوتنا مكانها، وإن كان المعنى الذي يجمع بين المشاعر فيها معنى وقتيًا طارئًا، إنما ولده وأوجده اعتزاز الغرب بحضارته وتغاليه بمدنيته، وانعزاله عن هذه الأمم التي سماها الأمم الشرقية، وتقسيمه العالم إلى شرقي وغربي، وندائه بهذا التقسيم حتى في قولة أحد شعرائه المأثورة: «الشرق شرق، والغرب غرب، ولا يمكن أن

---

(١) في اليومية: «هذا».

(٢) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة»، (٢/ ٣٢٥): «ضعيف جدًا. وذكره ابن تيمية في «الاقتضاء»، ص(١٦٩- طبع الأنصار) من رواية السلفي، ثم قال ابن تيمية: «هذا الحديث ضعيف، وكأنه مركب على مالك، لكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح من بعض الوجوه».

(٣) زيادة من اليومية.

(٤) زيادة من اليومية.

يجتمعا»[١]. هذا المعنى الطارئ هو الذي جعل الشرقيين يعتبرون أنفسهم صفًا يقابل الصف الغربي، أما حين يعود الغرب إلى الإنصاف ويدع سبيل الاعتداء والإجحاف فستزول هذه العصبية الطارئة، وتحل محلها الفكرة الناشئة، فكرة التعاون بين الشعوب على ما فيه خيرها وارتقاؤها.

[العالمية][٢]

أما «العالمية» أو «الإنسانية»: فهي هدفنا الأسمى، وغايتنا العظمى، وختام الحلقات في سلسلة الإصلاح، والدنيا صائرة إلى ذلك لا محالة، فهذا التجمع في الأمم، والتكتل في الأجناس والشعوب، وتداخل الضعفاء بعضهم في بعض ليكتسبوا بهذا التداخل قوة، وانضمام المفترقين ليجدوا في هذا الانضمام أنس الوحدة، كل ذلك ممهد لسيادة الفكرة العالمية، وحلولها محل الفكرة الشعوبية القومية التي آمن بها الناس من قبل، وكان لابد أن يؤمنوا هذا الإيمان لتتجمع الخلايا الأساسية، ثم كان لابد أن ينزعجوا[٣] عنها لتتألف المجموعات الكبيرة، ولتتحقق بهذا التآلف الوحدة الأخيرة. وهي خطوات إن أبطأ بها الزمن فلابد أن تكون، وحسبنا أن نتخذ منها هدفًا، وأن نضعها نصب أعيننا مثلاً، وأن نقيم في هذا البناء الإنساني لبنة، وليس علينا أن يتم البناء، فلكل أجل كتاب.

وإذا كان في الدنيا الآن دعوات كثيرة ونظم كثيرة يقوم معظمها على أساس العصبية القومية التي تستهوي قلوب الشعوب، وتحرك عواطف الأمم، فإن هذه الدروس القاسية التي يتلقاها العالم من آثار هذه القوة الطاغية كفيلة بأن يفيء الناس إلى الرشد ويعودوا إلى التعاون والإخاء.

[أسس العالمية في الإسلام][٤]

ولقد رسم الإسلام للدنيا هذه السبيل فوحد العقيدة أولاً، ثم وحد النظام والأعمال بعد ذلك، وظهر هذا المعنى السامي النبيل في كل فروعه العملية.

---

(١) هو الشاعر كيبلنج.
(٢) زيادة من اليومية.
(٣) زَعَجَه، كمَنَعَه: أَقْلَقَه وقَلَعَهُ من مكانه، كأَزْعَجَه، رُباعيًا، فانْزَعَجَ. [تاج العروس، مادة (زعج)].
(٤) زيادة من اليومية.

فرب الناس واحد، ومصدر الدين واحد، والأنبياء جميعًا مقدسون معظمون، والكتب السماوية كلها من عند الله، والغاية المنشودة اجتماع القلوب، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

والقرآن عربي، وهو أساس هذا الدين، وركن الصلاة، وأفضل القربات إلى الله، وتلك هي الوسيلة العملية إلى وحدة اللسان بعد وحدة الإيمان.

وهذه الصلاة، وتلك الزكاة، والحج والصوم، إنما هي كلها تشريعات اجتماعية يراد بها توثيق الوحدة وجمع الكلمة، وإزالة الفوارق، وكشف الحجب والموانع بين بني الإنسان.

ومن هنا كانت دعوتنا ذات مراحل نرجو أن تتحقق تباعًا، وأن نقطعها جميعًا، وأن نصل بعدها إلى الغاية.

نرجو في مصر دولة مسلمة[1] تحتضن دعوة الإسلام، وتجمع كلمة الأمم العربية، وتعمل لخيرها، وتحمي المسلمين في أكناف الأرض من عدوان كل ذي عدوان، وتنشر كلمة الله وتبلغ رسالته.. ﴿حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لله﴾ [البقرة: ١٩٢].

* * *

(١) كذا بالأصل، ولعلها: نرجو أن تقوم في مصر دولة مسلمة.

(٤) دعوتنا في طور جديد

يقظة الروح.. الإيمان.. والعزة.. والأمل[(١)]

[يقظة الروح:][(٢)]

وينظر الناس في الدعوات إلى مظاهرها العملية وألوانها الشكلية، ويهملون كثيرًا النظر إلى الدوافع النفسانية والإلهامات الروحية التي هي في الحقيقة مدد الدعوات وغذاؤها، وعليها يتوقف انتصارها ونماؤها. وتلك حقيقة لا يجادل فيها إلا البعيد عن دراسة الدعوات وتعرف أسرارها، إن من وراء المظاهر جميعًا في كل دعوة لروحًا دافعة، وقوة باطنة تسيرها وتهيمن عليها وتدفع إليها، ومحال أن تنهض أمة بغير هذه اليقظة، اليقظة الحقيقية في النفوس والأرواح والمشاعر: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ولهذا أستطيع أن أقول: إن أول ما نهتم له في دعوتنا، وأهم ما نعول عليه في نمائها وظهورها وانتشارها هو هذه اليقظة الروحية المرتجاة. فنحن نريد أول ما نريد: يقظة الروح، حياة القلوب، صحوة حقيقية في الوجدان والمشاعر، وليس يعنينا أن نتكلم عما نريد بهذه الدعوة من فروع الإصلاح في النواحي العملية المختلفة بقدر ما يعنينا أن نركز هذه الفكرة في النفوس.

[أهداف وتحديد:][(٣)]

نحن نريد نفوسًا حية قوية فتية، قلوبًا جديدة خفاقة، مشاعر غيورة ملتهبة مضطرمة، أرواحًا نزاعة طموحة متطلعة متوثبة، تتخيل مثلاً عليا، وأهدافًا سامية لتسمو نحوها وتصل إليها، ولابد من أن تحدد هذه الأهداف والمثل، ولابد من أن تحصر هذه العواطف

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (٤)، السنة الأولى، ٢٩ رمضان ١٣٦١هـ- ١٠ أكتوبر ١٩٤٢، ص(٥-٦)، وأعيد نشرها في «الإخوان المسلمين اليومية»، العدد (٧٥٣)، السنة الثالثة، ١٤ذو الحجة ١٣٦٧هـ- ١٧ أكتوبر ١٩٤٨م، ص(٦)، وقد كان العنوان في اليومية كالتالي: «يقظة الروح.. الإيمان.. العزة.. الأمل».

(٢) زيادة من اليومية.

(٣) زيادة من اليومية.

والمشاعر، ولابد من أن تركز حتى تصبح عقيدة لا تقبل جدلاً، ولا تحتمل شكًا ولا ريبًا.

وبغير هذا التحديد والتركيز سيكون مثل هذه الصحوة مثل الشعاع التائه في البيداء، لا ضوء له ولا حرارة فيه، فما حدود هذه الأهداف وما منتهاها؟!

[نهج الدعوة الأولى:](١)

إننا نتحرى بدعوتنا نهج الدعوة الأولى، ونحاول أن تكون هذه الدعوة الجديدة صدى حقيقيًا لتلك الدعوة السابقة التي هتف بها رسول الله ﷺ في بطحاء مكة قبل ألف ومئات من السنين، فما أولانا بالرجوع بأذهاننا وتصوراتنا إلى ذلك العصر المشرق بنور النبوة، الزاهي بجلال الوحي، لنقف بين يدي الأستاذ الأول، وهو سيد المربين، وفخر المرسلين، الهادين المهديين، لنتلقى عنه درس الإصلاح من جديد، وندرس خطوات الدعوة من جديد.

[إيمان:](٢)

أي نور من وهج الشموس الربانية أشعله النبي الكريم في قلوب صحابته، فأشرقت وأضاءت بعد ظلمة وديجور(٣)؟ وأي ماء من فيض الحياة الروحية أفاضه عليها، فاهتزت وربت ونمت فيها الأزاهير، وأورقت بالوجدانيات والمشاعر، وترعرعت فيها العواطف والضمائر؟!

إن النبي ﷺ قذف في قلوب صحابته بهذه المشاعر الثلاثة فأشرقت بها وانطبعت عليها:

- قذف في قلوبهم أن ما جاء به الحق وما عداه الباطل، وأن رسالته خير الرسالات، ونهجه أفضل المناهج، وشريعته أكمل النظم التي تتحقق بها سعادة الناس أجمعين، وتلا عليهم من كتاب الله ما يزيد هذا المعنى ثباتًا في النفس وتمكنًا في القلب، ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالذي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣-٤٤]، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى

---

(١) زيادة من اليومية.

(٢) زيادة من اليومية.

(٣) الديجور: الظلام. وليلة ديجور: مظلمة. [الصحاح، مادة (دجر)].

والمشاعر، ولابد من أن تركز حتى تصبح عقيدة لا تقبل جدلاً، ولا تحتمل شكًا ولا ريبًا.

وبغير هذا التحديد والتركيز سيكون مثل هذه الصحوة مثل الشعاع التائه في البيداء، لا ضوء له ولا حرارة فيه، فما حدود هذه الأهداف وما منتهاها؟!

[نهج الدعوة الأولى:](1)

إننا نتحرى بدعوتنا نهج الدعوة الأولى، ونحاول أن تكون هذه الدعوة الجديدة صدى حقيقيًا لتلك الدعوة السابقة التي هتف بها رسول الله ﷺ في بطحاء مكة قبل ألف ومئات من السنين، فما أولانا بالرجوع بأذهاننا وتصوراتنا إلى ذلك العصر المشرق بنور النبوة، الزاهي بجلال الوحي، لنقف بين يدي الأستاذ الأول، وهو سيد المربين، وفخر المرسلين، الهادين المهديين، لنتلقى عنه درس الإصلاح من جديد، وندرس خطوات الدعوة من جديد.

[إيمان:](2)

أي نور من وهج الشموس الربانية أشعله النبي الكريم في قلوب صحابته، فأشرقت وأضاءت بعد ظلمة وديجور(3)؟ وأي ماء من فيض الحياة الروحية أفاضه عليها، فاهتزت وربت ونمت فيها الأزاهير، وأورقت بالوجدانيات والمشاعر، وترعرعت فيها العواطف والضمائر؟!

إن النبي ﷺ قذف في قلوب صحابته بهذه المشاعر الثلاثة فأشرقت بها وانطبعت عليها:

- قذف في قلوبهم أن ما جاء به الحق وما عداه الباطل، وأن رسالته خير الرسالات، ونهجه أفضل المناهج، وشريعته أكمل النظم التي تتحقق بها سعادة الناس أجمعين، وتلا عليهم من كتاب الله ما يزيد هذا المعنى ثباتًا في النفس وتمكنًا في القلب، ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالذي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣-٤٤]، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى

---

(١) زيادة من اليومية.

(٢) زيادة من اليومية.

(٣) الديجور: الظلام. وليلة ديجور: مظلمة. [الصحاح، مادة (دجر)].

شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].. فآمنوا بهذا واعتقدوه وأصدروا عنه.

– وقذف في قلوبهم أنهم ما داموا أهل الحق وغيرهم أهل الباطل، وما داموا حملة رسالة النور وغيرهم يتخبط في الظلام، وما دام بين يديهم هدى السماء لإرشاد الأرض فهم إذن يجب أن يكونوا أساتذة الناس، وأن يقعدوا من غيرهم من الأمم مقعد الأستاذ من تلميذه: يحنو عليه ويرشده ويقومه ويسدده ويقوده إلى الخير ويهديه سواء السبيل.

وجاء القرآن الكريم يثبت هذا المعنى، ويزيده كذلك رسوخًا ووضوحًا، وصاروا يتلقون عن نبيهم من وحي السماء: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].. فآمنوا بهذا أيضًا واعتقدوه وأصدروا عنه.

[أمــــل:][١]

– وقذف في قلوبهم أنهم ما داموا كذلك [مؤمنين بهذا الحق معتزين بانتسابهم إليه][٢]، فإن الله معهم يعينهم ويرشدهم وينصرهم ويؤيدهم ويمدهم إذا تخلى عنهم الناس، ويدفع عنهم إذا أعوزهم النصير، وهو معهم أينما كانوا، وإذا لم ينهض معهم جند الأرض تنزل عليهم المدد من جند السماء، وأخذوا يقرءون هذه المعاني واضحة في كتاب الله: ﴿إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ

---

(١) زيادة من اليومية.

(٢) في الأصل: «مؤمنين معتزين بهذا الحق بانتسابهم إليه».

فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

قرءوا هذا وفهموه جيدًا فآمنوا به واعتقدوه وأصدروا عنه.

[عناصر النجاح:](١)

وبهذه المشاعر الثلاثة: الإيمان بعظمة الرسالة، والاعتزاز باعتناقها، والأمل في تأييد الله إياها، أحيا الراعي الأول ﷺ قلوب المؤمنين من صحابته بإذن الله، وحدد لهم أهدافهم في هذه الحياة، فاندفعوا يحملون رسالتهم محفوظة في صدورهم أو مصاحفهم، بادية في أخلاقهم وأعمالهم، معتزين بتكريم الله إياهم، واثقين بنصره وتأييده، فدانت لهم الأرض، وفرضوا على الدنيا مدنية المبادئ الفاضلة، وحضارة الأخلاق الرحيمة العادلة، وبدلوا فيها سيئات المادية الجامدة حسنات الربانية الخالدة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

[أول ما ندعو إليه:](٢)

وإلى هذه المشاعر الثلاثة ندعو الناس أولاً.

أيها الناس:

قبل أن نتحدث إليكم في هذه الدعوة عن الصلاة والصوم، وعن القضاء والحكم، وعن العادات والعبادات، وعن النظم والمعاملات، نتحدث إليكم عن القلب الحي، والروح الحي، والنفس الشاعرة، والوجدان اليقظ، والإيمان العميق بهذه الأركان الثلاثة: الإيمان بعظمة الرسالة، والاعتزاز باعتناقها، والأمل في تأييد الله إياها، فهل أنتم مؤمنون؟

* * *

(١) زيادة من اليومية.

(٢) زيادة من اليومية.

(٥) دعوتنا... في طور جديد

الفرد المسلم.. البيت المسلم.. الأمة المسلمة[(١)]

وهذا الشعور القوي الذي يجب أن تفيض به النفوس، وهذه اليقظة الروحية التي ندعو الناس إليها لابد أن يكون لها أثرها العملي في حياتهم، ولابد أن تستتبعها ولاشك نهضة عملية تتناول الأفراد والأسر والمجتمعات.

ستعمل هذه اليقظة عملها في الفرد فإذا به نموذج قائم لما يريده الإسلام في الأفراد... إن الإسلام يريد في الفرد وجدانًا شاعرًا يتذوق الجمال والقبح، وإدراكًا صحيحًا يتصور الصواب والخطأ، وإرادة حازمة لا تضعف ولا تلين أمام الحق، وجسمًا سليمًا يقوم بأعباء الواجبات الإنسانية حق القيام ويصلح أداة صالحة لتحقيق الإرادة الصالحة، وينصر الحق والخير.

وقد وضع الإسلام تكاليفه الشخصية على القواعد التي توصل إلى هذه النتائج كلها ففي العبادات الإسلامية أفضل ما يصل القلب بالله، ويربي الوجدان الشاعر والإحساس الدقيق، وفي النظر الإسلامي ما يرقى بالعقول والألباب، ويدفعها إلى كشف ستائر الكون، ومعرفة دقائق الوجود.

وفي الخلق الإسلامي ما يربي الإرادة الحازمة، والعزيمة الماضية الصارمة، وفي النظام الإسلامي في الطعام والشراب والمنام وتوابع ذلك من شئون الحياة ما لو اتبعه الأفراد لحفظوا أجسامهم من مهلكات الأدواء، ولظلت في وقاية من فواتك الأمراض.

ولهذا نوجب على الأخ المسلم أن يتعبد بما أمر الله به ليرقى وجدانه، وأن يتعلم ما وسعه التعليم ليتسع إدراكه، وأن يتخلق بأخلاق الإسلام لتقوى إرادته، وأن يلتزم نظام الإسلام في الطعام والشراب والنوم ليحفظ الله عليه بدنه من غوائل الأمراض والسقام.

والإسلام حين يضع هذه القواعد لا يضعها للرجال ويدع النساء، ولكن الصنفين في هذه الناحية الفردية في الإسلام سواء، فعلى الأخت المسلمة أن تكون كالأخ المسلم في

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (٥)، السنة الأولى، ١٤ شوال ١٣٦١هـ- ٢٤ أكتوبر ١٩٤٢، ص(٥، ١٧، ٢٣)، وأعيد نشرها في «الإخوان المسلمين اليومية»، العدد (٧٥٤)، السنة الثالثة، ١٥ ذو الحجة ١٣٦٧هـ- ١٨ أكتوبر ١٩٤٨م، ص(٦).

دقة وجدانها، وسمو إدراكها، ومتانة خلقها، وسلامة بدنها.

وسيكون لهذا الإصلاح الفردي أثره في الأسرة، فإنما الأسرة مجموعة أفراد، فإذا صلح الرجل وصلحت المرأة -وهما عماد الأسرة- استطاعا أن يكونا بيتًا نموذجيًّا مؤسسًا على القواعد التي وضعها الإسلام، وقد وضع الإسلام قواعد البيت المسلم فأحكم وضعها، فأرشد إلى حسن الاختيار، وبين أفضل طرائق الارتباط، وحدد الحقوق والواجبات، وأوجب على الطرفين رعاية ثمرات هذا الزواج حتى تينع وتنضج في غير عبث ولا إهمال، وعالج ما يعترض هذه الحياة الزوجية من المشاكل أدق علاج، واختط في كل نظراته طريقًا وسطًا لا تفريط فيه ولا إفراط.

وإذا صلحت الأسرة فقد صلحت الأمة، وإنما الأمة مجموعة هذه الأسرة، وإنما الأسرة أمة مصغرة، والأمة أسرة مكبرة، وقد وضع الإسلام للأمة قواعد الحياة الاجتماعية السعيدة، فعقد بين بنيها آصرة[1] الأخوة، وجعلها قرينة الإيمان، ورفع مستوى هذه الصلة إلى المحبة، بل إلى الإيثار، وقضى على كل ما من شأنه أن يمزق هذه الروابط، أو يضعف هذه الوشائج، وحدد الحقوق والواجبات والروابط والصلات، فللأبوة حقها وعليها واجبها، وللبنوة مثل ذلك، ولذوي القربى حقوقهم وعليهم واجباتهم، وفصل مهمة الحاكم والمحكوم أدق تفصيل، وبين للمعاملات بين الناس أحكامها بأفصح بيان، ولم يجعل لأحد على أحد فضلاً إلا بالتقوى، فلا سيد ولا مسود، ولا أمراء ولا عبيد، ولكن الناس في ذات الله سواسية كأسنان المشط، إنما يتفاوتون بعمل الصالحات، وكذلك حدد صلات الأمم بعضها ببعض، وبين حقوق كل صنف فيها وواجباته، ولم يدع من ذلك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وقد عالج الإسلام بعد ذلك مشاكل المجتمعات؛ فالوقاية مما يؤدي إليها أولاً، واستئصال ما عساه أن يحدث منها ثانيًا. فلكل مشكلة اجتماعية عنده دواء، والدواء الأول والأساس في كل علاج صلاح النفوس والتضامن الاجتماعي بين بني الإنسان.

والإسلام حين يحيط بكل ذلك، لا يسلك سبيل العنت، ولا يحمل الناس على ما يؤدي إلى الحرج، ولكنه يريد بالناس اليسر، ولا يريد بهم العسر، ويضع القواعد الكلية،

---

(١) الآصِرَةُ: ما عطفك على رجلٍ من رحِمٍ أو قرابةٍ أو صِهْرٍ أو معروفٍ؛ والجمع الأَواصِرُ [الصحاح، مادة (أصر)].

ويدع الفرعيات الجزئيات، ويرسم طرائق التطبيق، ويكل للأزمان والعصور بعد ذلك أن تعمل عملها، وهو لذلك شريعة كل زمان ومكان، وهو لذلك يفرض نشر دعوته حتى تشمل الناس أجمعين، وتحقق قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وإذا قوي الشعور الذي أشرنا إليه آنفًا، وأدى إلى نتيجته التي وصفناها الآن، فطبق نظام الإسلام على الفرد والبيت والأمة، ووصلت رسالة محمد ﷺ إلى القلوب والآذان، فقد تحققت فكرتنا، واستجيبت دعوتنا، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

* * *

(٦) دعوتنا في طور جديد

بين الصبغة الاستقلالية والصبغة التقليدية[١]

نحن نريد الفرد المسلم، والبيت المسلم، والشعب المسلم، ولكنا نريد قبل ذلك أن تسود الفكرة الإسلامية حتى تؤثر في كل هذه الأوضاع [وتصبغها][٢] بصبغة الإسلام، وبدون ذلك لن نصل إلى شيء، نريد أن نفكر تفكيرًا استقلاليًا يعتمد على أساس الإسلام الحنيف، لا على أساس الفكرة التقليدية التي جعلتنا نتقيد بنظريات الغرب واتجاهاته في كل شيء، نريد أن نتميز بمقوماتنا ومشخصات حياتنا كأمة عظيمة مجيدة تجر وراءها أقدم وأفضل ما عرف التاريخ من دلائل العظمة، ومظاهر الفخار والمجد.

لقد ورثنا هذا الإسلام الحنيف واصطبغنا به صبغة ثابتة قوية، تغلغلت في الضمائر والمشاعر، ولصقت بحنايا[٣] الضلوع وشغاف[٤] القلوب؛ واندمجت مصر بكليتها في الإسلام بكليته: عقيدته ولغته وحضارته، ودافعت عنه، وذادت عن بيضته[٥]، وردت عنه عادية المعتدين، وجاهدت في سبيله ما وسعها الجهاد بمالها ودم أبنائها، وأنقذته من براثن[٦] التتار وأنياب الصليبيين، وردت الجميع على أعقابهم خاسرين، واستقرت فيها علوم الإسلام ومعارفه، واحتوت الأزهر أقدم جامعة تقوم على حياطته ورعايته وحراسته، وانتهت إليها زعامة شعوبه الأدبية والاجتماعية، وصارت مطمح أنظار الجميع ومعقد آمالهم.

هذا الإسلام، عقيدته ونظمه ولغته وحضارته، ميراث عزيز غال على مصر، ليس تفريطها فيه بالشيء الهين، ولا إبعادها عنه أو إبعاده عنها بالأمر المستطاع، مهما بذلت

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (٧)، السنة الأولى، ١٢ ذو القعدة ١٣٦١هـ- ٢١ نوفمبر ١٩٤٢، ص(٥-٧)، وأعيد نشرها في «الإخوان المسلمين اليومية»، العدد (٧٥٥)، السنة الثالثة، ١٦ ذو الحجة ١٣٦٧هـ - ١٩أكتوبر ١٩٤٨، ص(٦).

(٢) زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

(٣) الحِنْوُ: كُلُّ شَيْءٍ فيه اعْوِجاجٌ، والجَميعُ: الأَحْنَاءُ والحُنِيُّ. كحِنْوِ الحِجَاجِ واللَّحْيِ والأَضْلاعِ والقَتَبِ. والحَنِيَّةُ: القَوْسُ، والجَميعُ: الحَنَايا [المحيط في اللغة، مادة (حنو)].

(٤) الشَّغافُ: غِلافُ القَلْبِ وغشاؤه. [اللسان، مادة (شغف)].

(٥) بَيْضَةُ كلِّ شيء: حَوْزَتُهُ. وبَيْضَةُ القومِ: سَاحَتُهُمْ وحماهم. [الصحاح، مادة (بيض)].

(٦) البَراثِنُ من السباع والطَير هي المخالب، وهي بمنزلة الأصابع من الإنسان. [الصحاح، مادة (برثن)].

في سبيل ذلك الجهود الهدامة المدمرة. ومن هنا بدت مظاهر الإسلام قوية فياضة زاهرة دفاقة في كثير من جوانب الحياة المصرية: فأسماؤنا إسلامية، ولغتنا عربية، وهذه المساجد العظيمة يذكر فيها اسم الله، ويعلو منها نداء الحق في الصباح وفي المساء، وهذه مشاعرنا لا تهتز لشيء اهتزازها للإسلام وما يتصل بالإسلام. كل ذلك حق، ولكن هذه الحضارة الغربية قد غزتنا غزوًا قويًّا عنيفًا بالعلم وبالمال، وبالسياسة وبالترف، والمتعة واللهو، وبضروب من الحياة الناعمة العابثة المغرية لم نكن نعرفها من قبل. فأعجبنا بها، وركنا إليها، وأثر هذا الغزو فينا أبلغ الأثر، وانحسر ظل الفكرة الإسلامية عن الحياة الاجتماعية في كثير من شئونها الهامة، واندفعنا نغير أوضاعنا الحيوية ونصبغ معظمها بالصبغة الأوروبية، وحصرنا سلطان الإسلام في حياتنا على القلوب والمحاريب، وفصلنا عنه شئون الحياة العملية، وباعدنا بينه وبينها مباعدة شديدة، وبهذا أصبحنا نحيا حياة ثنائية متذبذبة أو متناقضة.

الإسلام بما فيه من روعة وجلال، وبسلطانه الساحر العذب الجذاب، وأصوله الثابتة المدعمة القويمة، وحجته البالغة يجذب إليه القلوب والمشاعر، ويجعلنا نحن المؤمنين به في حنين دائم إليه. وهذه الحياة الغربية بما تحتويه من مباهج ومفاتن، وبما لها من مظاهر القوة المادية، تحاول أن تسيطر وتهيمن على ما بقي لنا من شئوننا الحيوية. هذا وضع مشاهد ملموس يراه ويعلمه كل ما يعنيه أمر هذه الأمة، ولابد أن ينتهي هذا التذبذب إلى استقرار، ولابد أن يتغلب أحد الجاذبين على الآخر، ولكل شيء نهاية!

فنحن الإخوان المسلمين نشفق كل الإشفاق من أن تكون نهاية هذا الشعب التحلل مما بقي له من مظاهر الإسلام، والانغماس الكلي في الحياة الغربية بكل مظاهرها، ولقد ارتفعت بذلك صيحات، وقامت على قواعده دعوات، وسبقتنا إليه شعوب وحكومات، وإن كان ذلك كله قد خفت وطأته الآن أمام ما يقاسي العالم كله من محن وويلات.

نحن نشفق من هذا المصير، وندعو إلى أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام وقواعده، تعتمد عليها، وتستمد منها، وتبني على أساسها النهضة الجديدة، وتركز عليها الأوضاع الاجتماعية في المستقبل القريب -إن شاء الله.

وإذا كان الإسلام يدعو إلى أن نأخذ من كل شيء أحسنه، وينادي بأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، ولا يمانع في أن تقتبس الأمة الإسلامية الخير من أي مكان، فليس هناك ما يمنع من أن ننقل كل ما هو نافع مفيد عن غيرنا

ونطبقه على قواعد ديننا، ونظام حياتنا، وحاجات شعبنا.

أما أثر هذا التذبذب في مظاهر حياتنا العملية فكبير واضح، ولعله مصدر كثير من المشكلات في التعليم والقضاء، وفي حياة الأسرة، وفي منابع الثقافة العامة، وفي غير ذلك من شئون الحياة، هل هناك أمة غير مصر يسير التعليم فيها من أول خطواته على هذين اللونين من ألوان التربية؟! فهناك التعليم الديني يتصل بنصف الأمة وينتهي إلى الأزهر ومعاهده وكلياته، وهناك التعليم المدني يتصل بالنصف الثاني ويتميز كل من النصفين بخواصه ومميزاته. وهل لذلك من سبب سوى أن السلسلة الأولى هي أثر الإسلام الباقي في نفوس هذه الأمة، وأن السلسلة الثانية هي نتاج مجاراة الغرب والأخذ عنه.

فما الذي يمنع من أن يتوحد التعليم في مراحله الأولى على أساس التربية القومية الإسلامية، ثم يكون بعد ذلك التخصص؟ وهل هناك أمة غير مصر ينقسم فيها القضاء إلى شرعي وغير شرعي، كما ينقسم إلى ذلك القضاء المصري؟ وهل لذلك من سبب سوى أن القضاء الأول: أثر الإسلام في الحياة المصرية، والثاني: وليد النقل عن الغرب والأخذ عنه؟ وما الذي يمنع من أن تتوحد المحكمة على أساس اعتبار الشريعة الإسلامية هي شريعة البلاد والمصدر الأول للتقنين؟

وهذه البيوت المصرية، ألسنا نلمح فيها أثر هذه الحياة المذبذبة المتناقضة؟ فكثير من الأسر المصرية لا زال شديد المحافظة على ما ورث من تعاليم الإسلام وآدابه، في الوقت الذي انسلخ فيه الكثير عن هذه التعاليم، وخرج على هذه الآداب، وغلبت علية نزعة التقليد في كل شيء، بل جاوز بعضنا ذلك الحد حتى صار غربيًّا أكثر من الغربيين.

ولابد من وضع حد لهذا التفاوت الغريب حتى نظفر بالأمة الموحدة، فبدون الوحدة لا تتحقق نهضة، ولا تحيا أمة حياة الكمال.

لهذا يدعو الإخوان المسلمون إلى أن يكون الأساس الذي تعتمد عليه نهضتنا هو توحيد مظاهر الحياة العملية في الأمة على أساس الإسلام وقواعده، وبذلك تبني مصر نفسها، وتقدم للعالم كله أكمل نماذج الحياة الإنسانية الصحيحة.

* * *

(٧) دعوتنا في طور جديد
وسيلتنا العامة .. بين جماعة وفكرة[(١)]

[هدف الدعوة:][(٢)]

حاولت في الكلمات السابقة أن أوضح الهدف العالي الذي يعمل له الإخوان المسلمون، وهو تخليص الحياة الإسلامية مما علق بها من أدران التقليد، والرجوع بها إلى هدى الإسلام الحنيف الذي يعتمد[(٣)] على الربانية والصلة بالله تبارك وتعالى، ويرسم طرق العمل الصالح للإنسانية جميعًا، ويخرج ﴿النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ اللهِ الذي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١-٢].

والآن أحاول أن أضع بين يدي القارئ الوسيلة العامة للوصول إلى هذه الغاية، أما التفصيل في الأهداف والوسائل[(٤)] فذلك ما سأحاوله في الكلمات التاليات -إن شاء الله.

[الوسيلة العامة:][(٥)]

والكلام عن الوسيلة العامة للإخوان المسلمين يقف بنا أمام هذه الدعوة كجمعية من الجمعيات التي تقوم بالخدمة العامة، ثم يقف بنا كذلك أمامها كدعوة من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب التي ترسم لها منهاجًا جديدًا تؤمن به وتسير عليه.

[الخدمة العامة:][(٦)]

لاشك أن جماعات الإخوان المسلمين جماعات تقوم بالخدمة العامة من بناء المساجد

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (٨)، السنة الأولى، ٢٦ ذو القعدة ١٣٦١هـ- ٥ ديسمبر ١٩٤٢، ص(٣-٤)، وأعيد نشرها في «الإخوان المسلمين اليومية»، العدد (٧٥٧)، السنة الثالثة، ١٨ ذو الحجة ١٣٦٧هـ- ٢١ أكتوبر ١٩٤٨، ص(٦).

(٢) زيادة من اليومية.

(٣) في الأصل: «يعمد».

(٤) في الأصل: «والمسائل».

(٥) زيادة من اليومية.

(٦) زيادة من اليومية.

وعمارتها، ومن فتح المدارس والمكاتب والإشراف عليها، ومن إنشاء الأندية والفرق وتوجيهها ورعايتها، ومن الاحتفال بالذكريات الإسلامية احتفالاً يليق بجلالها وعظمتها، ومن الإصلاح بين الناس في القرى والبلدان إصلاحًا يوفر عليهم كثيرًا من الجهود والأموال، ومن التوسط بين الأغنياء الغافلين والفقراء المعوزين، بتنظيم الإحسان وجمع الصدقات؛ لتوزع في المواسم والأعياد، لاشك أن الإخوان المسلمين يقومون بهذا كله ولهم فيه -والحمد لله- أثر يذكر، وقد تضاعف نشاطهم في هذه النواحي مضاعفة ملموسة في هذا الدور من أدوار الدعوة بطبيعة التفات الناس لها وإقبالهم عليها.

ووسيلة الإخوان في هذه الميادين: التنظيم، والتطوع، والاستعانة بأهل الرأي والخبرة، وتدبير ما تحتاج إليه هذه المشروعات من أموال من المشتركين تارة ومن المتبرعين تارة أخرى، إلى ما يدفع لمثل هذه المشروعات من الجهات الرسمية المختصة في بعض الأحيان.

ولسنا نقول: إن الإخوان قد اكتملت جهودهم في هذه الناحية، ولكنا نقول: إنهم يسيرون بخطوات واسعة نحو الكمال، والله الموفق والمستعان.

هؤلاء هم الإخوان، وتلك هي دعوتهم كجماعة من جماعات الخدمة العامة.

[فكرة وتربية:][1]

ولكن الإخوان -كما علمت- ليسوا كذلك فحسب، ولكن لب دعوتهم، فكرة وعقيدة يقذفون بها في نفوس الناس ليتربى عليها الرأي العام، وتؤمن بها القلوب، وتجتمع من حولها الأرواح، تلك هي: العمل للإسلام والعمل به في كل نواحي الحياة.

أما الوسيلة إلى تحقيق ذلك فليست المال، والتاريخ منذ عرف إلى الآن يحدثنا: أن الدعوات لا تقوم أول أمرها بالمال، ولا تنهض به بحال، إنها قد تحتاج إليه في بعض مراحل طريقها، ولكنه محالٌ أن يكون قوامها أو دعامتها، فرجال الدعوات وأنصارها هم دائمًا المقلون من هذا المال، وسل التاريخ ينبئك.

وليست الوسيلة القوة -كذلك؛ فإن الدعوة الحقة إنما تخاطب الأرواح أولاً، وتناجي

---

(١) زيادة من اليومية.

القلوب، وتطرق مغاليق النفوس، ومحال أن تثبت بالعصا، أو أن تصل إليها على شبا[١] الأسنة والسهام، ولكن الوسيلة في تركيز كل دعوة وثباتها معروفة معلومة مقروءة لكل من له إلمام بتاريخ الجماعات.. وخلاصة ذلك جملتان: إيمان وعمل، ومحبة وإخاء.

[ماذا فعل الرسول:][٢]

ماذا فعل رسول الله ﷺ في تركيز دعوته في نفوس الرعيل الأول من أصحابه أكثر من أنه دعاهم إلى الإيمان والعمل، ثم جمع قلوبهم على الحب والإخاء، فاجتمعت قوة العقيدة إلى قوة الوحدة، وصارت جماعتهم هي الجماعة النموذجية التي لابد أن تظهر كلمتها، وتنتصر دعوتها، وإن ناوأها أهل الأرض جميعًا، وماذا فعل الدعاة من قبل ومن بعد أكثر من هذا؟ ينادون بالفكرة ويوضحونها ويدعون الناس إليها، فيؤمنون بها، ويعملون لتحقيقها، ويجتمعون عليها، ويزدادون عددًا، فتزداد الفكرة بهم ظهورًا حتى تبلغ مداها، وتبتلع سواها، وتلك سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وليست دعوة الإخوان بدعًا في الدعوات، فهي صدى من الدعوة الأولى يدوي في قلوب هؤلاء المؤمنين ويتردد على ألسنتهم. ويحاولون أن يقذفوا به إيمانًا في قلوب الأمة المسلمة ليظهر عملاً في تصرفاتها، ولتجتمع قلوبها عليه، فإذا فعلوا ذلك أيدهم ونصرهم وهداهم سواء السبيل.. فإلى الإيمان والعمل، وإلى الحب والإخاء. أيها الإخوان المسلمون، والله معكم، وتلك هي وسيلتكم، والله غالب على أمره..

***

(١) شَباةُ كلِّ شيء: حَدُّ طَرَفِهِ؛ والجمع الشَّبا والشَّبَواتُ. [الصحاح، مادة (شبا)].

(٢) زيادة من اليومية.

(٨) دعوتنا.. في طور جديد

المدرسة التي نريدها.. نظرة في تاريخ التعليم الحديث

الروح التقليدي والروح الاستقلالي[(١)]

لا شك أن الوسائل الرسمية، وبخاصة في الأمم الحديثة النهضة أقوى أثرًا، وأعظم خطرًا في تكييف حياة الشعوب وتوجيه نهضتها، وإذا كان لب دعوتنا الفكرة الإسلامية فإن من أهم ما يعنينا أن تتجه هذه الوسائل وجهتها، وأن تعتمد عليها، وأن تستمد منها.

والمدرسة هي أول العوامل التي تؤثر في حياة الأمة، وتبني جيلها الحاضر والمستقبل، وكثير من النهضات كان مبعثه المدرسة، وكان أساسه مناهج التعليم، وإذا اتجهت المدرسة الاتجاه السليم الذي يمليه الإسلام وتوجبه الوطنية الصحيحة، فقد خطونا إلى الإصلاح الحقيقي أوسع الخطوات.

ولقد كانت مصر إلى عهد قريب ليس فيها إلا المكاتب القليلة العدد، الصحيحة المنهج، يتعلم فيها الناشئون، ومن وراء ذلك الأزهر يلجأ إليه من أرادوا الاستزادة من العلم، والارتواء من معينه الفياض، حتى جاء محمد علي باشا[(٢)] فأكثر من المدارس، واستقدم الخبراء من الأجانب، وأرسل البعوث إلى البلاد الغربية؛ لتخصص بكثير من النواحي الضرورية، وأنشأ المطبعة الأميرية، وأحدث نهضة علمية قوية، كان أكبر قصده من ورائها أن يرتفع مستوى العلم والمعرفة في هذا البلد، وأن يجد من المصريين الأكفاء المخلصين الذين يقومون بعبء الحكم والإدارة وتنظيم شئون الحياة الرسمية المختلفة، وقد كان محمد علي حذرًا كل الحذر في هذا التوجيه الجديد، فهو وإن كان قد بعث البعوث، واستقدم الخبراء، ووصل الحياة العلمية في مصر بالحياة العلمية في أوروبا، إلا أنه كان حريصًا كل الحرص على بقاء الصبغة الإسلامية والشعور الوطني القوي في نفوس المصريين، وقد أثبت الواقع صلاحية الذين اختارهم من طلاب الأزهر حينذاك

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين نصف الشهرية، العدد (٩)، السنة الأولى، ١٨ذو الحجة ١٣٦١هـ- ٢٦ديسمبر ١٩٤٢م، ص(٣-٤)، وأعيد نشرها في «الإخوان المسلمين اليومية»، العدد (٧٥٩)، السنة الثالثة، ٢١ذو الحجة ١٣٦٧هـ - ٢٤أكتوبر ١٩٤٨م، ص(٦).

(٢) محمد علي باشا [١٧٦٩- ١٨٤٩م]: ولد في مدينة قولة بمقدونيا، وهو من أصل ألباني، حكم مصر الفترة (١٨٠٥-١٨٤٨م).

لكل شئون الحياة العلمية والفنية التي تخصصوا بها، كما أثبت كذلك صلاح هذا الأسلوب وعظيم نفعه في بلد قوي الروح مجيد التاريخ، لم تفنه الأجيال والحوادث في غيره من الأمم والشعوب طول حياته المريرة الحافلة بالحوادث الجسام.

ثم ركدت هذه الريح العالية حينًا. ثم هبت بعد ذلك رخاء، وأخذت طريقها إلى القوة والاكتمال، وجاءت الحوادث الكثيرة فدفعت مصر في هذه الطريق العلمية خطوات واسعة موفقة لا تزال تنمو وتتسع وتزداد، ولا زلنا نشعر بالحاجة إلى هذا النمو وهذا الازدياد، بيد أن الفكرة التي استولت على موجهي المدرسة المصرية في هذه العهود كانت تقليدية بحتة كل أثرها أن تظهر المعاهد بالمظهر الذي تبدو به المدارس الأجنبية، وكان من مقدمات هذه الفكرة أن تبتعد المدرسة عن كل ما يتصل بالفكرة الدينية أو يمت إليها بسبيل، وهذا إن كان مفيدًا نافعًا في غير البلاد الإسلامية فهو غير صحيح ولا مفيد في بلاد الإسلام، التي تعتبر الفكرة الإسلامية هي روح الحياة الاجتماعية وقلبها النابض، ومن المحال إقصاؤها عن ميدان هذه الحياة.

وكان عن هذا التوجيه الجديد للمدرسة في مصر أن انشطرت الأمة إلى شطرين رئيسين، شطر يعكف على المدرسة المصطبغة بصبغة الإسلام والوطنية المصرية، ويمثلها الأزهر ومعاهده وروافده، وشطر يعكف على المدرسة المدنية التي تصطبغ بصبغة الحياة الغربية والمناهج الغربية، وتمثلها سلسلة التعليم العام من الابتدائي والثانوي والعالي والجامعي، وهذا التقسيم لا نظير له فيما نعلم في بلد من بلدان العالم المتحضر، ولا يمكن معه أن تتوحد ثقافة شعب أو تجتمع مشاعره على هدف أسمى، وهو أخطر ما يكون على وحدتنا ونهضتنا، وهو أثر من آثار التذبذب في التوجيه الذي يجب أن يزول، وأن يحل محله الوضوح والاستقرار والعزم والحزم، وإلى جانب هاتين السلسلتين التعليم الأجنبي والمعاهد الأجنبية التي تنشئ وحدها جيلاً آخر له خواصه ومميزاته التي هي أبعد ما يكون عنا.

ثم إذا نظرنا إلى هاتين السلسلتين وجدنا أثر التجاذب بينهما، إلى جانب الحوادث الكثيرة، والأغراض الكثيرة، قد أحدث ذلك كله من الاضطرابات والمشاكل في كل منهما ما يستدعي الحل السريع والعاجل الحاسم، فكم تحدث المتحدثون في الدوائر الأزهرية عن إصلاح الأزهر ومشاكله المزمنة والطارئة، وكم تحدث المتحدثون في وزارة المعارف عن سياسة التعليم ووجوب استقرارها ووضوحها، وعن المشاكل المزمنة

والناشئة فيها.

ولسنا نحاول في هذا الاستعراض الموجز الإلمام أو الإحاطة بكل هذه النواحي، ولكنا نريد أن نكشف عن رأي الإخوان المسلمين في المدرسة المصرية في تلخيص وإيجاز.

وأستطيع أن أقول: إن الإخوان المسلمين يرون أن أمر التعليم في مصر يحتاج إلى خطوة جريئة، وإلى سياسة تجديدية تتناول كل أنواعه ومشاكله، وأمهات نواحي الإصلاح في ذلك أن تكون الروح الموجهة ترمي إلى صبغ المدرسة بالصبغة الإسلامية، لا إلى إقصائها عن هذه الصبغة، ثم إلى توحيد هاتين السلسلتين في سلسلة واحدة لحساب الفكرة الإسلامية لا على حسابها، ثم ضم أنواعه المتشابهة بعضها إلى بعض حتى تقرب الثقافات، وتوحد النفقات، ويقضي على الفوارق في الأدوار الواحدة من التعليم، ولابد من تشجيع اللغة العربية، والتاريخ الإسلامي، والتربية الوطنية في كل مراحل التعليم، والعناية التامة بالخلق والقدوة الحسنة، والنواحي العملية الاستقلالية.

يريد الإخوان المسلمون روحًا جديدًا من صميم الإسلام يهيمن على سياسة التعليم لينشئ نظامًا جديدًا يتخرج به جيل يهتف بالإسلام ويؤمن به ويعمل له.

* * *


النادي الشبابي

رسالة

بين الأمس واليوم

١٩٤٣م

تقـــديم

بعد انطلاق الحرب العالمية الثانية وتتابع الحكومات في مصر، والتي اتفقت جميعها على التضييق على الإخوان، إذا بالنحاس باشا في بداية عام ١٩٤٣م يصدر أمرًا بغلق جميع شعب الإخوان باستثناء المركز العام الذي ظل تحت الرقابة الصارمة من سلطات الأمن.

وفي تلك الفترة شاع بين الناس أن الإنجليز ينوون التخلص من الإمام البنا بالقتل أو النفي، وعلم الإخوان بتدبير الإنجليز محاولة اغتيال للإمام على أن تبدو تلك المحاولة كحادث سيارة، فكتب الإمام البنا هذه الرسالة كأنها وصية مودع.

وقد صدرت تلك الرسالة بأسماء متعددة هي: رسالة النبي الأمين، وبين الأمس واليوم، ومن تطورات الفكرة الإسلامية وأهدافها.

وقد اعتمدنا في توثيق تلك الرسالة على كتيب صادر عن المركز العام للإخوان المسلمين بدون تاريخ.

* * *

بين الأمس واليوم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

١ - رسالة النبي الأمين ومنهاج القرآن الكريم:

منذ ألف وثلاثمائة سنة وسبعين عامًا نادى محمد بن عبد الله النبي الأمي في بطن مكة وعلى رأس الصفا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الذي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الذي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فكانت تلك الدعوة الجامعة حدًّا فاصلا في الكون كله، بين ماض مظلم، ومستقبل باهر مشرق، وحاضر زاخر سعيد، وإعلانا واضحا مبينا لنظام جديد شارعه الله العليم الخبير، ومبلغه محمد البشير النذير، وكتابه القرآن الواضح المنير، وجنده السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وليس من وضع الناس، ولكنه صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ صِرَاطِ اللهِ الذي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

٢ - القواعد الأساسية في الإصلاح الاجتماعي الكامل الذي جاء به القرآن الكريم:

والقرآن هو الجامع لأصول هذا الإصلاح الاجتماعي الشامل، وقد أخذ يتنزل على النبي ﷺ، ويعلن به المؤمنين بين الآن والآن بحسب الوقائع والظروف والمناسبات، ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا ۞ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٢-٣٣]، حتى اكتمل به الوحي وحفظ في الصدور والسطور في مدى اثنتين[1] وعشرين سنة وكسور، وقد جمع الله فيه لهذه الأمة تبيان كل شيء.

وأصول الإصلاح الاجتماعي الكامل الذي جاء به تكاد تنحصر في هذه الأصول:

أ- الربانية.

ب- التسامي بالنفس الإنسانية.

---

(١) في الأصل: «اثنين».

ج- تقرير عقيدة الجزاء.

د- إعلان الأخوة بين الناس.

هـ- النهوض بالرجل والمرأة جميعًا، وإعلان التكافل والمساواة بينهما، وتحديد مهمة كل منهما تحديدًا دقيقًا.

و- تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد الكسب.

ز- ضبط الغريزتين: غريزة حفظ النفس، وحفظ النوع، وتنظيم مطالب الفم والفرج.

ح- الشدة في محاربة الجرائم الأصلية.

ط- تأكيد وحدة الأمة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها.

ي- إلزام الأمة الجهاد في سبيل مبادئ الحق التي جاء بها هذا النظام.

ك- اعتبار الدولة ممثلة للفكرة وقائمة على حمايتها، ومسئولة عن تحقيق أهدافها في المجتمع الخاص، وإبلاغها إلى الناس جميعًا.

٣ - **الشعائر العملية لهذا النظام:**

وقد خالف هذا النظام القرآني غيره من النظم الوضعية والفلسفات النظرية، فلم يترك مبادئه وتعاليمه نظريات في النفوس، ولا آراء في الكتب، ولا كلمات على الأفواه والشفاه، ولكنه وضع لتركيزها وتثبيتها والانتفاع بآثارها ونتائجها مظاهر عملية، وألزم الأمة التي تؤمن به وتدين له بالحرص على هذه الأعمال وجعلها فرائض عليها لا تقبل في تضييعها هوادة، بل يثيب العاملين، ويعاقب المقصرين عقوبة قد تخرج بالواحد منهم من حدود هذا المجتمع الإسلامي وتطوح به إلى مكان سحيق.

وأهم هذه الفرائض التي جعلها هذا النظام سياجا لتركيز مبادئه هي:

أ- الصلاة والذكر والتوبة والاستغفار... إلخ.

ب- الصيام والعفة والتحذير من الترف.

ج- الزكاة والصدقة والإنفاق في سبيل الخير.

د- الحج والسياحة والرحلة والكشف والنظر في ملكوت الله.

هـ- الكسب والعمل وتحريم السؤال.

و- الجهاد والقتال وتجهيز المقاتلين، ورعاية أهليهم ومصالحهم من بعدهم.

ز- الأمر بالمعروف وبذل النصيحة.

ح- النهي عن المنكر ومقاطعة مَواطنه وفاعليه.

ط- التزود بالعلم والمعرفة لكل مسلم ومسلمة في فنون الحياة المختلفة كل فيما يليق به.

ي- حسن المعاملة وكمال التخلق بالأخلاق الفاضلة.

ك- الحرص على سلامة البدن والمحافظة على الحواس.

ل- التضامن الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم بالرعاية والطاعة معًا.

فالمسلم مطالب بأداء هذه الواجبات، والنهوض بها كما فصلها النظام القرآني، وعليه ألا يقصر في شيء منها، وقد ورد ذكرها جميعا في القرآن الكريم، وبينتها بيانا شافيا أعمال النبي ﷺ وأصحابه والذين اتبعوهم بإحسان في بساطة ووضوح، وكل عمل فيها أو عدة أعمال تقوي وتركز مبدأ أو عدة مبادئ من النظريات السابقة التي جاء هذا النظام لتحقيقها وإفادة الناس بنتائجها وآثارها.

٤ - الدولة الإسلامية الأولى:

على قواعد هذا النظام الاجتماعي القرآني الفاضل قامت الدولة الإسلامية الأولى، تؤمن به إيمانًا عميقًا، وتطبقه تطبيقًا دقيقًا، وتنشره في العالمين.. حتى كان الخليفة الأول ؓ يقول: «لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله»[١]، وحتى إنه ليقاتل مانعي الزكاة ويعتبرهم مرتدين بهدمهم هذا الركن من أركان هذا النظام ويقول: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم ما[٢] استمسك السيف بيدي»[٣].

---

(١) تفسير الألوسي، (٥/ ٦٤)- السيوطي: الإتقان، (١/ ٣٨٠).

(٢) في الأصل: «متى».

(٣) ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال»، (٦/ ٥٢٧)، وقال: «عن عمر قال: لما قبض رسول الله ﷺ ارتد من ارتد من العرب وقالوا: نصلي ولا نزكي. فأتيت أبا بكر فقلت: يا خليفة رسول الله،

وكانت الوحدة بكل معانيها ومظاهرها تشمل هذه الأمة الناشئة، فالوحدة الاجتماعية شاملة بتعميم نظام القرآن ولغة القرآن، والوحدة السياسية شاملة في ظل أمير المؤمنين وتحت لواء الخلافة في العاصمة، ولم يحل دونها أن كانت الفكرة الإسلامية فكرة لا مركزية في الجيوش، وفي بيوت المال، وفي تصرفات الولاة، إذ إن الجميع يعملون بعقيدة واحدة وبتوجيه عام متحد.

ولقد طاردت هذه المبادئ القرآنية الوثنية المخرفة في جزيرة العرب وبلاد الفرس فقضت عليها، وطاردت اليهودية الماكرة فحصرتها في نطاق ضيق، وقضت على سلطانها الديني والسياسي قضاء تامًا، وصارعت المسيحية حتى انحصر ظلها في قارتي آسيا وإفريقيا، وانحازت إلى أوروبا في ظل الدولة الرومانية الشرقية بالقسطنطينية، وتركز بذلك السلطان الروحي والسياسي بالدولة الإسلامية في القارتين العظيمتين، وألحت بالغزو على القارة الثالثة تهاجم القسطنطينية من الشرق وتحاصرها حتى يجهدها الحصار، وتأتيها من الغرب فتقتحم الأندلس وتصل جنودها المظفرة إلى قلب فرنسا وإلى شمال وجنوب إيطاليا، وتقيم في غرب أوروبا دولة شامخة البنيان مشرقة بالعلم والعرفان، ويتم لها بعد ذلك فتح القسطنطينية نفسها وحصر المسيحية في هذا الجزء المحدود من قلب أوروبا، وتمخر[(١)] الأساطيل الإسلامية عباب البحرين الأبيض والأحمر فيصير كل منهما بحيرة إسلامية، وتقبض قوات الدولة الإسلامية بذلك على مفاتيح البحار في الشرق والغرب وتتم لها السيادة البرية والبحرية.

وقد اتصلت هذه الأمم الإسلامية بغيرها من الأمم، ونقلت كثيرًا من الحضارات، ولكنها تغلبت بقوة إيمانها ومتانة نظامها عليها جميعًا، فعربتها أو كادت، واستطاعت أن تصبغها وأن تحملها على لغتها ودينها بما فيها من روعة وحيوية وجمال، ولم يمنعها أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعًا، من غير أن يؤثر ذلك في وحدتها الاجتماعية أو السياسية.

تألف الناس وارفق بهم؛ فإنهم بمنزلة الوحش. فقال: رجوت نصرك وجئتني بخذلانك، جبار في الجاهلية خوار في الإسلام! ماذا عسيت أن أتألفهم بشعر مفتعل أو بسحر مفترى؟! هيهات هيهات مضى النبي ﷺ وانقطع الوحي، والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي، وإن منعوني عقالاً. قال عمر: فوجدته في ذلك أمضى مني وأصرم مني، وأدب الناس على أمور هانت علي كثير من مؤنتهم حين وليتهم».

(١) مَخَرَتْ السفينة تَمْخَرُ وتَمْخُرُ مَخْرًا، إذا جرتْ تشقُّ الماء مع صوت [الصحاح، مادة (مخر)].

٥ - عوامل التحلل في كيان الدولة الإسلامية والشعب الإسلامي:

ومع هذه القوة البالغة والسلطان الواسع، فإن عوامل التحلل قد أخذت تتسلل إلى كيان هذه الأمة القرآنية، وتعظم وتنتشر وتقوى شيئًا فشيئًا حتى مزقت هذا الكيان وقضت على الدولة الإسلامية المركزية في القرن السادس الهجري بأيدي التتار، وفي القرن الرابع عشر الهجري مرة ثانية، وتركت وراءها في كلتا المرتين أممًا مبعثرة ودويلات صغيرة تتوق إلى الوحدة وتتوثب للنهوض.

وكان أهم هذه العوامل:

أ- الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه، مع التحذير الشديد الذي جاء به الإسلام في ذلك والتزهيد في الإمارة، ولفت النظر إلى هذه الناحية التي هي سوس الأمم ومحطمة الشعوب والدول: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ومع الوصية البالغة بالإخلاص لله وحده في القول والعمل والتنفير من حب الشهرة والمحمدة.

ب- الخلافات الدينية والمذهبية والانصراف عن الدين كعقائد وأعمال إلى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها ولا حياة، وإهمال كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، والجمود والتعصب للآراء والأقوال، والولع بالجدل والمناظرات والمراء، وكل ذلك مما حذر منه الإسلام ونهى عنه أشد النهي، حتى قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»[1].

ج- الانغماس في ألوان الترف والنعيم، والإقبال على المتعة والشهوات، حتى أثر عن حكام المسلمين في كثير من العصور ما لم يؤثر عن غيرهم، مع أنهم يقرءون قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ

(١) أخرج الترمذي في «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «وَمِنْ سُورَةِ الزُّخْرُفِ»، ح(٣١٧٦). وابن ماجه في «الْمُقَدِّمَةِ»، باب: «اجْتِنَابِ الْبِدَعِ وَالْجَدَلِ»، ح(٤٧)، وأحمد في «حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ»، ح(٢١١٤٣، ٢١١٧٩) منْ طريق أَبِي أُمَامَةَ أنه قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلا أُوتُوا الْجَدَلَ»، ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] واللفظ للترمذي، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٣٢٥٣).

فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

د- انتقال السلطة والرياسة إلى غير العرب، من الفرس تارة، والديلم تارة أخرى، والمماليك والأتراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الإسلام الصحيح، ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصعوبة إدراكهم لمعانيه، مع أنهم يقرءون قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

هـ- إهمال العلوم العملية والمعارف الكونية، وصرف الأوقات وتضييع الجهود في فلسفات نظرية عقيمة(١) وعلوم خيالية سقيمة، مع أن الإسلام يحثهم على النظر في الكون واكتناه(٢) أسرار الخلق والسير في الأرض، ويأمرهم أن يتفكروا في ملكوت الله: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١].

و- الغرور بسلطانهم، والانخداع بقوتهم، وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم من غيرهم، حتى سبقتهم في الاستعداد والأهبة، وأخذتهم على غرة، وقد أمرهم القرآن باليقظة وحذرهم مغبة الغفلة واعتبر الغافلين كالأنعام بل هم أضل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ز- الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم، والإعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم، والاندفاع في تقليدهم فيما يضر ولا ينفع، مع النهي الشديد عن التشبه بهم والأمر الصريح بمخالفتهم والمحافظة على مقومات الأمة الإسلامية، والتحذير من مغبة هذا التقليد حتى قال القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، وقال في آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

---

(١) في الأصل: «عميقة».

(٢) كنه الشيء حقيقته وغايته، والمراد هنا معرفة حقائق الخلق وأسراره. [لسان العرب، مادة (كنه)].

٦ - صراع سياسي:

(أ) [محاولات القضاء على الأمة الإسلامية][1]:

أخذت هذه العوامل تعمل في كيان الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية عملها، وظنت الأمم الموتورة أن قد سنحت الفرصة لتأخذ بثأرها وتقضي على هذه الدولة الإسلامية التي فتحت بلادها من قبل، وغيرت معالم أوضاعها في كل شئون الحياة، فانحدر التتار كالسيل الدافق على الدولة الإسلامية، وأخذوا يقطعون أشلاءها جزءا جزءا حتى وصلوا إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ووطئوها بنعالهم في شخص الخليفة المستعصم، وبذلك تبدد شمل الدولة، وانتثر عقد الخلافة لأول مرة، وتفرقت الأمم إلى دويلات صغيرة، فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر[2]، وتنبهت المسيحية في أوروبا وجمعت جموعها، وقذفت الشرق المسلم في آسيا وإفريقيا بكتائبها في تسع حملات صليبية اشتملت على خير ما فيها من فرسان وملوك وعتاد، وتمكنت هذه القوات الزاحفة من إقامة دولة صليبية في بيت المقدس، وتهديد أمم الإسلام في الشرق والغرب ومهاجمة مصر أقوى هذه الدول إذ ذاك.

(ب) انتعاش:

ولكن الله -تبارك وتعالى- لم يأذن بعد بانتصار الباطل على الحق، فاستطاعت مصر أن تجمع حولها فلول بعض هذه الدويلات، وتقذف بهم في نحر الصليبيين بقيادة صلاح الدين، فتستعيد منهم بيت المقدس وتريهم كيف تكون الهزيمة في حطين، ثم تقف في وجه التتار بقيادة الظاهر بيبرس وتردهم على أعقابهم خاسئين في عين جالوت، ثم تعيد رسم الخلافة من جديد، ويريد الله بعد ذلك أن تقوم للإسلام دولة وارفة الظلال قوية البأس شديدة المراس، تجمع كلمة أهله وتضم تحت لوائها معظم أممه وشعوبه، ويأبى لها علو الهمة إلا أن تغزو المسيحية في عقر دارها، فتفتح القسطنطينية ويمتد سلطانها في قلب أوروبا حتى يصل إلى فيينا، تلك هي دولة الأتراك العثمانية.

(ج) بواكير النهضة في أوروبا:

اطمأنت الدولة الإسلامية تحت لواء العثمانيين إلى سلطانها واستنامت إليه، وغفلت

---

(١) غير موجودة في الأصل الذي بين أيدينا، ولكنه موجود في جميع طبعات الرسائل.

(٢) اقتباس من بيت للمساور بن هند يقول فيه:

وتشعبوا شعبًا فكل جزيرة ... فيها أمير المؤمنين ومنبر

عن كل ما يدور حولها، ولكن أوروبا التي اتصلت بأضواء الإسلام غربا بالأندلس وشرقا بالحملات الصليبية، لم تضع الفرصة ولم تغفل عن الاستفادة بهذه الدروس، فأخذت تتقوى وتتجمع تحت لواء الفرنجة في بلاد الغال[1]، واستطاعت بعد ذلك أن تصد تيار الغزو الإسلامي الغربي، وأن تبث الدسائس بين صفوف مسلمي الأندلس، وأن تضرب بعضهم ببعض، إلى أن قذفت بهم أخيرًا إلى ما وراء البحر أو إلى العدوة الإفريقية، فقامت مقامهم الدولة الإسبانيولية الفتية، وما زالت أوروبا تتقوى وتتجمع وتفكر وتتعلم، وتجوب البلاد وتكشف الأقطار، حتى كان كشف أمريكا عملا من أعمال أسبانيا وكشف طريق الهند عملا من أعمال البرتغال، وتوالت فيها صيحات الإصلاح ونبغ بها كثير من المصلحين، وأقبلت على العلم الكوني والمعرفة المنتجة المثمرة، وانتهت بها هذه الثورات الإصلاحية إلى تكوين القوميات وقيام دولة قوية جعلت هدفها جميعا أن تمزق هذه الدولة الإسلامية التي قاسمتها أوروبا واستأثرت دونها بإفريقيا وآسيا، وتحالفت هذه الدول الفتية على ذلك أحلافًا، رقت بها إلى درجة القداسة في كثير من الأحيان.

(د) هجوم جديد:

وامتدت الأيدي الأوروبية -بحكم الكشف والضرب في الأرض والرحلة إلى أقصى آفاقها البعيدة- إلى كثير من بلدان الإسلام النائية كالهند وبعض الولايات الإسلامية المجاورة لها، وأخذت تعمل في جد للوصول إلى تمزيق دولة الإسلام القوية الواسعة، وأخذت تضع لذلك المشروعات الكثيرة، تعبر عنها أحيانا بالمسألة الشرقية، وأخرى باقتسام تركة الرجل المريض، وأخذت كل دولة تنتهز الفرصة السانحة وتنتحل الأسباب الواهية، وتهاجم الدولة الوادعة اللاهية، فتنقص بعض أطرافها، أو تهد جانبا من كيانها، واستمرت هذه المهاجمة أمدًا طويلاً، انسلخ فيه عن الدولة العثمانية كثير من الأقطار الإسلامية، ووقعت تحت السلطان الأوروبي: كالمغرب الأقصى، وشمال أوروبا، واستقل فيه كثير من البلاد غير الإسلامية التي كانت تحت سلطان العثمانيين: كاليونان ودول البلقان، وكان الدور الختامي في هذا الصراع الحرب العالمية الأولى سنة (١٩١٤-١٩١٨م) الذي انتهى بهزيمة تركيا وحلفائها، وبذلك سنحت الفرصة الكاملة لأقوى شعوب أوروبا (إنجلترا وفرنسا) وإلى جوارهما (إيطاليا)، فوضعت يدها على هذا الميراث

---

(١) بلاد الغال كانت تشمل فرنسا وبلجيكا وجزء من ألمانيا الواقع غرب نهر الرين.

الضخم من أمم الإسلام وشعوبه، وبسطت سلطانها عليها بأسماء مختلفة من احتلال واستعمار ووصاية وانتداب وتقاسمته على هذا النحو:

١- إفريقيا الشمالية (مراكش والجزائر وتونس) مستعمرات فرنسية، تتخللها منطقة نفوذ دولية في طنجة، ومستعمرات أسبانية في الريف.

٢- طرابلس وبرقة مستعمرة إيطالية لم تشأ إيطاليا أن تبقي على شيء من آثار الإسلام فيها، ففرضت عليها التجنس بالجنسية الإيطالية وأسمتها إيطاليا الجنوبية، وقذفتها بآلاف من جياع الأسر وذئاب البشر.

٣- مصر والسودان تحت الحماية الإنجليزية لا تملك إحداهما لنفسها من أمرها شيئًا.

٤- فلسطين مستعمرة إنجليزية أباحت إنجلترا لنفسها أن تبيعها لليهود لينشئوا فيها الوطن القومي الصهيوني.

٥- سوريا مستعمرة فرنسية.

٦- العراق مستعمرة إنجليزية.

٧- الحجاز حكومة ضعيفة متداعية تنتظر الصدقات وتتشبث بالعهود الزائفة والمواثيق الباطلة.

٨- اليمن حكومة منزوية وشعب فقير مهدد بالغزو في كل مكان في أي وقت من الأوقات.

٩- بقية أقسام الجزيرة العربية إمارات صغيرة يعيش أمراؤها في كنف القناصل الإنجليز ويقاتلون بفتات موائدهم، وتشتعل صدورهم بنيران التحاقد والتباغض، هذا مع الوعود المؤكدة والمواثيق الغليظة التي قطعها الحلفاء لعاهل الجزيرة الملك حسين أن يساعدوه على استقلال العرب وتدعيم سلطان الخلافة العربية.

١٠- إيران والأفغان حكومات مضطربة تتوزعها الأطماع من كل مكان، فهي تحت كنف هذه الأمة تارة، وإلى جانب تلك تارة أخرى.

١١- الهند مستعمرة إنجليزية.

١٢- تركستان وما جاورها مستعمرات روسية يذيقها البلاشفة مر العذاب.

وفيما عدا ذلك، فهناك الأقليات الإسلامية المنثورة في كثير من البلدان لا تعرف

دولة تلجأ إلى حمايتها، أو حكومة مسلحة تحتمي بجنسيتها كالمسلمين في الحبشة والصين والبلقان وبلاد إفريقية الوسطى والجنوبية والشرقية والغربية.

وبهذا الوضع انتصرت أوروبا في هذا الصراع السياسي، وتم لها ما أرادت من تمزيق الإمبراطورية الإسلامية والذهاب بدولة الإسلام، وحذفها سياسيا من قائمة الدول الحية العظيمة.

(هـ) إلى القوة من جديد:

ولكن هذا العدوان الصارخ والاستهتار بالعهود والمواثيق أحرج الصدور وأثار النفوس، فهبت هذه الأمم تطالب باستقلالها وتجاهد لاسترداد حريتها ومجدها، واشتعلت فيها الثورات لهذا المعنى، فثارت تركيا وثارت مصر وثارت العراق وسوريا وتكررت الثورات في فلسطين والريف في بلاد المغرب، وعمت اليقظة النفوس في كل مكان، ووصلت شعوب الإسلام بذلك إلى بعض الحقوق، فاستقلت تركيا في حدودها الجديدة، واعتبرت مصر والعراق دولتين مستقلتين، وقامت في الحجاز ونجد دولة السعوديين، وحافظت اليمن وإيران وأفغانستان على وضعياتها المستقلة، وقاربت سوريا أن تسلب الاعتراف باستقلالها[1]، ولفتت فلسطين أنظار العالم إليها بكفاحها، وخطا المسلمون -ولا شك- خطوات طيبة وإن كانت قليلة وبطيئة نحو الأهداف الكريمة التي قصدوها من استعادة حريتهم واسترداد مجدهم وبناء دولتهم، ولئن اتجهت هذه الخطوات إلى المعنى القومي الخاص، وطالبت كل أمة بحقها في الحرية كأمة مستقلة، وتعمد كثير من العاملين لهذه النهضة أن يغفل فكرة الوحدة، فإن مصير هذه الخطوات سيكون -ولا شك- التجمع وعودة الإمبراطورية الإسلامية كدولة متحدة تضم شتات شعوب العالم الإسلامي، وترفع راية الإسلام وتحمل دعوته، فليس في الدنيا أمة يجمعها ما يجمع المسلمين من وحدة اللغة والاشتراك في المصالح المادية والروحية والتشابه في الآلام والآمال.

(و) حرب جديدة:

ولقد خرجت الدول الأوروبية من الحرب العالمية وبذور الحقد والبغضاء متأصلة في صدور الكثير منها، وجاء مؤتمر الصلح ومعاهداته لطمات قاسية لبعضها وخيبة أمل

(١) نالت سوريا حريتها واعترفت الدول باستقلالها وجلاء الفرنسيين عن ديارها عام ١٩٤٦م.

مؤلمة لكثير منها، هذا إلى ظهور كثير من الفكر الجديدة، والمبادئ المتعصبة الشديدة التعصب، ولابد أن تنتهي هذه الحال بهذه الأمم إلى خلاف جديد وحرب طاحنة ضروس تبدد شملهم، وتمزق وحدتهم، وتعيدهم إلى رشدهم، وتردهم عن ظلمهم، وتهب لأمم الإسلام فرصة أخرى تسوي فيها صفوفها، وتجمع شملها، وتستكمل حريتها واستقلالها وتسترد دولتها ووحدتها تحت لواء أمير المؤمنين: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

٧ - **صراع اجتماعي:**

(أ) **حضارة جديدة:**

إن الأمم الأوروبية التي اتصلت بالإسلام وشعوبه في الشرق بالحروب الصليبية، وفي الغرب بمجاورة عرب الأندلس ومخالطتهم، لم تستفد من هذا الاتصال مجرد الشعور القوي أو التجمع والتوحد السياسي، ولكنها أفادت إلى جانب ذلك يقظة ذهنية وعقلية كبيرة واكتسبت علوما ومعارف جمة، وظهرت فيها نهضة أدبية وعلمية واسعة النطاق، وقامت الكنيسة تناهض هذه الظاهرة الغريبة، بكل ما أوتيت من قوة، وتذيق رجالها من الأدباء والعلماء مر العذاب، وتستعدي عليهم محاكم التفتيش، وتثير ضدهم الدول والشعوب، ولكن ذلك كله لم يجدها نفعًا، ولم تثبت تعاليمها أمام حقائق العلم وكشوفه، وخرجت النهضة العلمية منتصرة كل الانتصار، وتنبهت الدولة بذلك، فصارعت الكنيسة هي الأخرى حتى صرعتها، وتخلص بذلك المجتمع الأوروبي تخلصا تاما من سلطانها، وطارد رجالها إلى المعابد والأديرة وألزم البابا الإقامة في الفاتيكان، وحصر عمل رجال الدين في نطاق ضيق من شئون الحياة لا يخرجون عنه ولا يتطلعون إلى سواه، ولم تبق أوروبا على المسيحية إلا كتراث تاريخي، وعامل من عوامل تهذيب البسطاء والأغرار[1] من دهماء الشعوب، ووسيلة من وسائل التغلب والاستعمار وقضاء المآرب السياسية.

وامتد أمام الأوروبيين رواق العلم، وانفسح مجال الاختراع والكشف، وضاعفت الماكينة الإنتاج ووجهت الحياة وجهة صناعية، وسار ذلك جنبًا إلى جنب مع نشأة الدولة

---

(١) رجل غِرٌّ بالكسر وغرير، أي: غير مجرّب. والغِرُّ: الذي لا يَفْطَن للشرّ ويغفلُ عنه. والجمع أَغْرار. [لسان العرب، مادة (غرر)].

القوية، وامتداد سلطانها إلى كثير من البلاد والأقطار، فأقبلت الدنيا على هذه الأمم الأوروبية وجبيت إليها ثمرات كل شيء، وتدفقت عليها الأموال من كل مكان، فكان طبيعيًا بعد ذلك أن تقوم الحياة الأوروبية والحضارة الأوروبية على قاعدة إقصاء الدين عن كل مظاهر الحياة الاجتماعية وبخاصة الدولة والمحكمة والمدرسة، وطغيان النظرة المادية وجعلها المقياس في كل شيء، وتبعا لذلك صارت مظاهر هذه الحضارة مظاهر مادية بحتة تهدم ما جاءت به الأديان السماوية، وتناقض كل المناقضة تلك الأصول التي قررها الإسلام الحنيف، وجعلها أساسًا لحضارته التي جمعت بين الروحانية والمادية جميعًا، ومن أهم الظواهر التي لازمت المدنية الأوروبية:

١- الإلحاد والشك في الله وإنكار الروح، ونسيان الجزاء الأخروي، والوقوف عند حدود الكون المادي المحسوس: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

٢- الإباحية والتهافت على اللذة، والتفنن في الاستمتاع، وإطلاق الغرائز الدنيا من عقالها، وإشباع شهوتي البطن والفرج، وتجهيز المرأة بكل صنوف المفاتن والمغريات، والإغراق في الموبقات إغراقًا يحطم الجسوم والعقول، ويقضي على نظام الأسر ويهدم سعادة البيوت: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾ [محمد:١٢].

٣- الأثرة في الأفراد، فكل إنسان لا يريد إلا خير نفسه. وفي الطبقات، فكل طبقة تتعالى عمن سواها وتود أن تحظى بالمغانم دونها. وفي الشعوب، فكل أمة تتعصب لجنسها وتنتقص غيرها وتحاول أن تلتهم من هي أضعف منها.

٤- الربا والاعتراف بشرعيته واعتباره قاعدة التعامل، والتفنن في صوره وضروبه وتعميمه بين الدول والأفراد.

وقد أنتجت هذه المظاهر المادية البحتة في المجتمع الأوروبي فساد النفوس، وضعف الأخلاق، والتراخي في محاربة الجرائم، فكثرت المشكلات، وظهرت المبادئ الهدامة، واشتعلت الثورات المخربة المدمرة، واضطربت النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فلم تستقر على حال، وتمزقت الدول بالطوائف والأحزاب، وتناحرت الشعوب على المطامع والأحقاد، وأثبتت هذه المدنية الحديثة عجزها التام عن تأمين المجتمع الإنساني، وإقرار الطمأنينة والسلام فيه، وفشلها في إسعاد الناس، رغم ما فتحت عليهم من حقائق

العلم والمعرفة، وما وفرت لهم من أسباب الغنى والثراء، وما مكنت لدولها في الأرض من قوة وسلطان ولما يمض عليها قرن كامل من الزمان.

طغيان المادة على بلاد الإسلام:

وقد عمل الأوروبيون جاهدين على أن تغمر موجة هذه الحياة المادية بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة جميع البلاد الإسلامية التي امتدت إليها أيديهم، وأوقعها سوء الطالع تحت سلطانهم، مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الأمم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة، وقد أحكموا خطة هذا الغزو الاجتماعي إحكامًا شديدًا، واستعانوا بدهائهم السياسي وسلطانهم العسكري حتى تم لهم ما أرادوا.

أغروا كبار المسلمين بالاستدانة منهم والتعامل معهم، وسهّلوا عليهم ذلك وهوّنوه عليهم، واستطاعوا بذلك أن يكتسبوا حق التدخل الاقتصادي، وأن يغرقوا البلاد برءوس أموالهم ومصارفهم وشركاتهم، وأن يديروا دولاب العمل الاقتصادي كما يريدون، وأن يستأثروا -دون الأهلين- بالأرباح الطائلة، والثروات العظيمة، وتمكنوا بعد ذلك من أن يغيروا قواعد الحكم والقضاء والتعليم، وأن يصبغوا النظم السياسية والتشريعية والثقافية بصبغتهم الخالصة في أقوى بلاد الإسلام.

وجلبوا إلى هذه الديار نساءهم الكاسيات العاريات، وخمورهم ومسارحهم ومراقصهم وملاهيهم، وقصصهم وجرائدهم، ورواياتهم وخيالاتهم، وعبثهم ومجونهم، وأباحوا فيها من الجرائم ما لم يبيحوه في ديارهم، وزينوا هذه الدنيا الصاخبة العابثة التي تعج بالإثم وتطفح بالفجور، في أعين البسطاء الأغرار من المسلمين الأغنياء، وذوي الرأي فيهم، وأهل المكانة والسلطان.

ولم يكفهم هذا حتى أنشئوا المدارس والمعاهد العلمية والثقافية في عقر ديار الإسلام، تقذف في نفوس أبنائه الشك والإلحاد، وتعلمهم كيف ينتقصون أنفسهم، ويحتقرون دينهم ووطنهم، وينسلخون من تقاليدهم وعقائدهم، ويقدسون كل ما هو غربي، ويؤمنون بأن ما يصدر عن الأوروبيين وحده هو المثل الأعلى في هذه الحياة.

واحتوت هذه المدارس على أبناء الطبقة العليا وحدها وصارت وقفًا عليها، وأبناء هذه الطبقة هم العظماء والحكام، ومن سيكون بيدهم بعد قليل مقاليد الأمور في هذه الأمم والشعوب، ومن لم يتم نضجه في هذه المعاهد الموضعية، فإن في البعثات المتلاحقة

ما يكفل لهم التمام.

ونجح هذا الغزو الاجتماعي المنظم العنيف أعظم النجاح، فهو غزو محبب إلى النفوس، لاصق بالقلوب، طويل العمر، قوي الأثر، وهو لهذا أخطر من الغزو السياسي والعسكري بأضعاف الأضعاف.

وتغالت بعض الأمم الإسلامية في الإعجاب بهذه الحضارة الأوروبية والتبرم بصبغتها الإسلامية، حتى أعلنت تركيا أنها دولة غير إسلامية وتبعت الأوروبيين[1] في عنف قاس في كل ما يصنعون، وحاول ذلك أمان الله خان[2] ملك الأفغان فطاحت تلك المحاولة بعرشه، وازدادت في مصر مظاهر هذا التقليد، واستفحلت، حتى استطاع رجل من ذوي الرأي فيها أن يجهر بأنه لا سبيل إلى الترقي إلا بأن نأخذ بهذه الحضارة خيرها وشرها، وحلوها، ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب[3]، وأخذت تنتقل في سرعة وقوة من مصر إلى ما جاورها من البلاد حتى وصلت إلى أقصى المغرب، وطوفت بالمشاعر المقدسة في ربوع الحجاز.

ونستطيع أن نقسم البلاد الإسلامية بحسب تأثرها بهذه الحضارة المادية وطغيان مادتها عليها إلى ثلاثة أقسام:

١- بلاد بلغ فيها هذا التأثر مبلغا عظيما يصل إلى القلوب والمشاعر، كما غير الأوضاع والمظاهر، ومن هذه البلاد تركيا ومصر، فقد انحسر ظل الفكرة الإسلامية في هذه البلاد عن كل الأوضاع الاجتماعية، وطوردت الفكرة الإسلامية لتقبع في المساجد والزوايا والرُّبط والتكايا.

٢- بلاد تأثرت بهذه الحضارة في أوضاعها ومظاهرها الرسمية، ولكنها لم تتغلب

---

(١) في الأصل: «الأوروبية».

(٢) أمان الله خان بن حبيب الله خان: ملِك أفغانستان [١٩١٩- ١٩٢٩م] تولى بعد أبيه حبيب الله خان، وغيَّر لقَبه من أمير إلى ملِك. أهمل الحكم وافتتن بأوربا فراح يقلدها، فدعا إلى تحرير المرأة الأفغانيّة من سُلطة التقاليد، فخرجت نساؤه سافرات بالزي الغربي خاصة زوجته ثريا، ونقم الشعب الأفغاني على أفعاله، وتمادى في ذلك فأصدر مرسومًا بترك اللباس الأفغاني واتخاذ الزي الأوروبي زيًّا عامًّا، فثار عليه الشعب، وأجبره على أن يتنازل عن الحكم لأخيه عناية الله سنة ١٩٢٩م، توفي سنة ١٩٦٠م.

(٣) هذا كلام الدكتور طه حسين في كتابه: «مستقبل الثقافة في مصر»، ص(٦٩).

على المشاعر القلبية، كإيران وبلاد المغرب وشمال إفريقيا.

٣- بلاد لم تتأثر بهذه الحضارة فيها إلا طبقة خاصة من المثقفين والحكام دون العامة والدهماء كسوريا والعراق والحجاز وكثير من أجزاء الجزيرة العربية وبقية ممالك الإسلام.

ومع هذا فالموجة تمتد بسرعة البرق لتصل إلى ما لم تصل إليه بعد من النفوس والطبقات والأوضاع.

ولقد استطاع خصوم الإسلام أن يخدعوا عقلاء المسلمين، وأن يضعوا ستارًا كثيفًا أمام أعين الغُيُر منهم، بتصوير الإسلام نفسه تصويرًا قاصرًا في ضروب من العقائد والعبادات والأخلاق، إلى جانب مجموعة من الطقوس والخرافات والمظاهر الجوفاء، وأعانهم على هذه الخديعة جهل المسلمين بحقيقة دينهم، حتى استراح كثير منهم إلى هذا التصوير، واطمأنوا إليه ورضوا به، وطال عليهم في ذلك الأمد، حتى صار من العسير أن نفهم أحدهم أن الإسلام نظام اجتماعي كامل يتناول كل شئون الحياة.

ونستطيع بعد ذلك أن نقول: إن الحضارة الغربية بمبادئها المادية، قد انتصرت في هذا الصراع الاجتماعي على الحضارة الإسلامية، بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معًا في أرض الإسلام نفسه، وفي حرب ضروس، ميدانها نفوس المسلمين، وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم، كما انتصرت في الميدان السياسي والعسكري، ولا عجب في هذا، فإن مظاهر الحياة لا تتجزأ، والقوة قوة فيها جميعًا، والضعف ضعف فيها جميعًا كذلك: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وإن كانت مبادئ الإسلام وتعاليمه ظلت قوية في ذاتها، فياضة بالخصب والحياة، جذابة أخاذة بروعتها وجمالها، وستظل كذلك، لأنها الحق ولن تقوم الحياة الإنسانية كاملة بغيرها، ولأنها من صنع الله وفي حياطته[1]: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

ب -يقظة:

وكما كان لذلك العدوان السياسي أثره في تنبيه المشاعر القومية، كان[2] لهذا الطغيان

---

(١) حوط حاطَه يَحُوطُه حَوْطًا وحِيطةً وحِياطةً: حَفِظَه وتعَهَّده. [لسان العرب، مادة (حوط)].

(٢) في الأصل: «وكان».

الاجتماعي أثره كذلك في انتعاش الفكرة الإسلامية، فارتفعت الأصوات من كل مكان تطالب بالرجوع إلى الإسلام وتفهم أحكامه وتطبيق نظامه، ولا بد أن يأتي قريبًا ذلك اليوم الذي تندك فيه صروح هذه المدنية المادية على رءوس أهلها، وحينئذ يشعرون بسعير الجوع الروحي تشتعل به قلوبهم وأرواحهم، ولا يجدون الغذاء والشفاء والدواء إلا في تعاليم هذا الكتاب الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

٨ - دعوتنا دعوة البعث والإنقاذ:

(أ) تركة مثقلة:

وهكذا -أيها الإخوان- أراد الله أن نرث هذه التركة المثقلة بالتبعات، وأن يشرق نور دعوتكم في ثنايا هذا الظلام، وأن يهيئكم الله لإعلاء كلمته وإظهار شريعته وإقامة دولته من جديد: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

(ب) أهدافنا العامة:

ماذا نريد أيها الإخوان؟ أنريد جمع المال وهو ظل زائل؟ أم نريد سعة الجاه وهو عرض حائل؟ أم نريد الجبروت في الأرض، و﴿الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ونحن نقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

شهد الله أننا لا نريد شيئًا من هذا وما لهذا عملنا ولا إليه دعونا، ولكن اذكروا دائمًا أن لكم هدفين أساسيين:

١- أن يتحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي وذلك حق طبيعي لكل إنسان، لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد قاهر.

٢- أن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة، تعمل بأحكام الإسلام، وتطبق نظامه الاجتماعي، وتعلن مبادئه القويمة، وتبلغ دعوته الحكيمة الناس، وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعًا آثمون مسئولون بين يدي الله العلي الكبير عن تقصيرهم في إقامتها وقعودهم عن إيجادها. ومن العقوق للإنسانية في هذه الظروف الحائرة أن تقوم

الاجتماعي أثره كذلك في انتعاش الفكرة الإسلامية، فارتفعت الأصوات من كل مكان تطالب بالرجوع إلى الإسلام وتفهم أحكامه وتطبيق نظامه، ولا بد أن يأتي قريبًا ذلك اليوم الذي تندك فيه صروح هذه المدنية المادية على رءوس أهلها، وحينئذ يشعرون بسعير الجوع الروحي تشتعل به قلوبهم وأرواحهم، ولا يجدون الغذاء والشفاء والدواء إلا في تعاليم هذا الكتاب الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

٨ - دعوتنا دعوة البعث والإنقاذ:

(أ) تركة مثقلة:

وهكذا -أيها الإخوان- أراد الله أن نرث هذه التركة المثقلة بالتبعات، وأن يشرق نور دعوتكم في ثنايا هذا الظلام، وأن يهيئكم الله لإعلاء كلمته وإظهار شريعته وإقامة دولته من جديد: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

(ب) أهدافنا العامة:

ماذا نريد أيها الإخوان؟ أنريد جمع المال وهو ظل زائل؟ أم نريد سعة الجاه وهو عرض حائل؟ أم نريد الجبروت في الأرض، و﴿الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ونحن نقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

شهد الله أننا لا نريد شيئًا من هذا وما لهذا عملنا ولا إليه دعونا، ولكن اذكروا دائمًا أن لكم هدفين أساسيين:

١- أن يتحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي وذلك حق طبيعي لكل إنسان، لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد قاهر.

٢- أن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة، تعمل بأحكام الإسلام، وتطبق نظامه الاجتماعي، وتعلن مبادئه القويمة، وتبلغ دعوته الحكيمة الناس، وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعًا آثمون مسئولون بين يدي الله العلي الكبير عن تقصيرهم في إقامتها وقعودهم عن إيجادها. ومن العقوق للإنسانية في هذه الظروف الحائرة أن تقوم

فيها دولة تهتف بالمبادئ الظالمة وتنادي بالدعوات الغاشمة، ولا يكون في الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام.

نريد تحقيق هذين الهدفين في وادي النيل وفي بلاد العروبة، وفي كل أرض أسعدها الله بعقيدة الإسلام: دين وجنسية وعقيدة توحد بين جميع المسلمين.

(ج) أهدافنا الخاصة:

ولنا بعد هذين الهدفين أهداف خاصة لا يصير المجتمع إسلاميًّا كاملاً إلا بتحقيقها. فاذكروا أيها الإخوان أن أكثر من ٦٠٪ من المصريين يعيشون أقل من معيشة الحيوان، ولا يحصلون على القوت إلا بشق النفس، وأن مصر مهددة بمجاعة قاتلة ومعرضة لكثير من المشكلات الاقتصادية التي لا يعلم نتيجتها إلا الله، وأن مصر بها أكثر من ٣٢٠ شركة أجنبية تحتكر كل المرافق العامة وكل المنافع الهامة في جميع أنحاء البلاد، وأن دولاب التجارة والصناعة والمنشآت الاقتصادية كلها في أيدي الأجانب المرابين، وأن الثروة العقارية تنتقل بسرعة البرق من أيدي الوطنيين إلى أيدي هؤلاء، وأن مصر أكثر بلاد العالم المتمدين أمراضًا وأوبئة وعاهات، وأن أكثر من ٩٠٪ من الشعب المصري مهدد بضعف البنية وفقد الحواس ومختلف العلل والأمراض، وأن مصر لا زالت إلى الآن جاهلة لم يصل عدد المتعلمين فيها إلى الخمس، بما في ذلك أكثر من مائة ألف شخص لا يتجاوز تعليمهم برامج مدارس الإلزام، وأن الجرائم تتضاعف في مصر وتتكاثر بدرجة هائلة، حتى إن السجون لتخرج أكثر مما تخرج المدارس، وأن مصر لم تستطع إلى الآن أن تجهز فرقة واحدة في الجيش كاملة المعدات، وأن هذه المعاني والصور تتراءى في كل بلد من بلدان العالم الإسلامي، فمن أهدافكم أن تعملوا لإصلاح التعليم، ومحاربة الفقر والجهل والمرض والجريمة، وتكوين مجتمع نموذجي يستحق أن ينتسب إلى شريعة الإسلام.

(د) وسائلنا العامة: كيف نصل إلى هذه الأهداف؟

إن الخطب والأقوال والمكاتبات والدروس والمحاضرات وتشخيص الداء ووصف الدواء، كل ذلك وحده لا يجدي نفعًا ولا يحقق غاية، ولا يصل بالداعين إلى هدف من الأهداف؛ ولكن للدعوات وسائل لا بد من الأخذ بها والعمل لها. والوسائل العامة للدعوات لا تتغير ولا تتبدل ولا تعدو هذه الأمور الثلاثة:

١ - الإيمان العميق.

٢ - التكوين الدقيق.

٣ - العمل المتواصل.

وتلك هي وسائلكم العامة أيها الإخوان فآمنوا بفكرتكم وتجمعوا حولها واعملوا لها واثبتوا عليها.

(هـ) وسائل إضافية:

وقد تكون إلى جانب هذه الوسائل العامة وسائل إضافية لا بد من الأخذ بها وسلوك سبيلها، منها السلبي ومنها الإيجابي، ومنها ما يتفق مع عرف الناس، ومنها ما يخرج على هذا العرف ويخالفه ويناقضه، ومنها ما فيه لين، ومنها ما فيه شدة، ولا بد أن نروض أنفسنا على تحمل ذلك كله والإعداد لهذا كله حتى نضمن النجاح. قد يطلب إلينا أن نخالف عادات ومألوفات، وأن نخرج على نظم وأوضاع ألفها الناس وتعارفوا عليها، وليست الدعوة في حقيقة أمرها إلا خروجًا على المألوفات، وتغييرًا للعادات والأوضاع، فهل أنتم مستعدون لذلك أيها الإخوان؟

(و) تثبيط:

وسيقول كثير من الناس: وماذا تعني هذه الوسائل؟ وما عساها أن تنفع في بناء أمة وترميم مجتمع مع هذه المشكلات المزمنة ومع استقرار الحال على هذه المفاسد المتعددة؟ وكيف تعالجون الاقتصاد على غير أساس الربا؟ وكيف تصنعون في قضية المرأة؟ وكيف تنالون حقكم بغير قوة؟ فاعلموا أيها الإخوان أن وساوس الشيطان يلقيها في أمنية كل مصلح فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم واذكروا لهؤلاء جميعًا أن التاريخ يقص علينا من نبأ الأمم الماضية والحاضرة ما فيه عظة وعبرة. والأمة التي تصمم على الحياة لا يمكن أن تموت.

(ز) العقبات في طريقنا:

أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية، وستجدون أمامكم كثيرًا من المشقات وسيعترضكم كثير من العقبات، وفي هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات. أما الآن فلا زلتم مجهولين، ولا زلتم تمهدون للدعوة، وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد. سيقف جهل الشعب بحقيقة

الإسلام عقبة في طريقكم، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام وينكر عليكم جهادكم في سبيله، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان، وستقف في وجهكم كل الحكومات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم.

وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم، وسيستعينون في ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة والأيدي الممتدة إليهم بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان. وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات، وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة، وأن يظهروها للناس في أبشع صورة، معتمدين على قوتهم وسلطانهم، ومعتدين بأموالهم ونفوذهم: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا[1] نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

وستدخلون بذلك -ولا شك- في دور التجربة والامتحان، فتسجنون وتعتقلون، وتنقلون وتشردون، وتصادر مصالحكم، وتعطل أعمالكم، وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين ومثوبة العاملين المحسنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ... فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٤].

فهل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله؟

(ح) عوامل النجاح:

ومن الحق أيها الإخوان أن نذكر أمام هذه العقبات جميعًا أننا ندعو بدعوة الله وهي أسمى الدعوات، وننادي بفكرة الإسلام وهي أقوى الفكر، ونقدم للناس شريعة القرآن وهي أعدل الشرائع: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، وأن العالم كله في حاجة إلى هذه الدعوة، وكل ما فيه يمهد لها ويهيئ سبيلها، وأننا بحمد الله برآء من المطامع الشخصية، بعيدون عن المنافع الذاتية، لا نقصد إلا وجه الله وخير الناس، ولا نعمل إلا ابتغاء مرضاته، وإننا نترقب تأييد الله ونصرته ومن نصره الله فلا غالب له:

(١) في الأصل: «أن يطفئوا».

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].. فقوة دعوتنا، وحاجة العالم إليها، ونبالة مقصدنا، وتأييد الله إيانا، هي عوامل النجاح التي لا تثبت أمامها عقبة ولا يقف في طريقها عائق: ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

٩ - وصية:

أيها الإخوان المسلمون، اسمعوا:

أردت بهذه الكلمات أن أضع فكرتكم أمام أنظاركم، فلعل ساعات عصيبة تنتظرنا، يحال فيها بيني وبينكم إلى حين؛ فلا أستطيع أن أتحدث معكم أو أكتب إليكم، فأوصيكم أن تتدبروا هذه الكلمات وأن تحفظوها إذا استطعتم وأن تجتمعوا عليها، وإن تحت كل كلمة لمعاني جمة.

أيها الإخوان:

أنتم لستم جمعية خيرية، ولا حزبًا سياسيًا، ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصد. ولكنكم روح جديد يسري في قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله، وصوت داو يعلو مرددًا دعوة الرسول ﷺ ومن الحق الذي لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى عنه الناس.

إذا قيل لكم: إلام تدعون؟ فقولوا: ندعو إلى الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، والحكومة جزء منه، والحرية فريضة من فرائضه، فإن قيل لكم: هذه سياسة! فقولوا: هذا هو الإسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام.

وإن قيل لكم: أنتم دعاة ثورة! فقولوا: نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به، فإن ثرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا، فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين.

وإن قيل لكم: إنكم تستعينون بالأشخاص والهيئات! فقولوا: ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ[1] مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤]، فإن لجوا في عدوانهم فقولوا: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

---

(١) في الأصل: «كنتم».

١٠ - واجبات:

أيها الإخوان:

- آمنوا بالله واعتزوا بمعرفته والاعتماد عليه والاستناد إليه، فلا تخافوا غيره ولا ترهبوا سواه، وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه.

- وتخلقوا بالفضائل وتمسكوا بالكمالات، وكونوا أقوياء بأخلاقكم، أعزاء بما وهب الله لكم من عزة المؤمنين وكرامة الأتقياء الصالحين.

- وأقبلوا على القرآن تتدارسونه، وعلى السيرة المطهرة تتذاكرونها، وكونوا عمليين لا جدليين؛ فإذا هدى الله قومًا ألهمهم العمل؛ وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل[1].

- وتحابوا فيما بينكم، واحرصوا كل الحرص على رابطتكم، فهي سر قوتكم وعماد نجاحكم، واثبتوا حتى يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق وهو خير الفاتحين.

- واسمعوا وأطيعوا لقيادتكم في العسر واليسر والمنشط والمكره، فهي رمز فكرتكم وحلقة الاتصال فيما بينكم.

- وترقبوا بعد ذلك نصر الله وتأييده. والفرصة آتية لا ريب فيها: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤-٥].

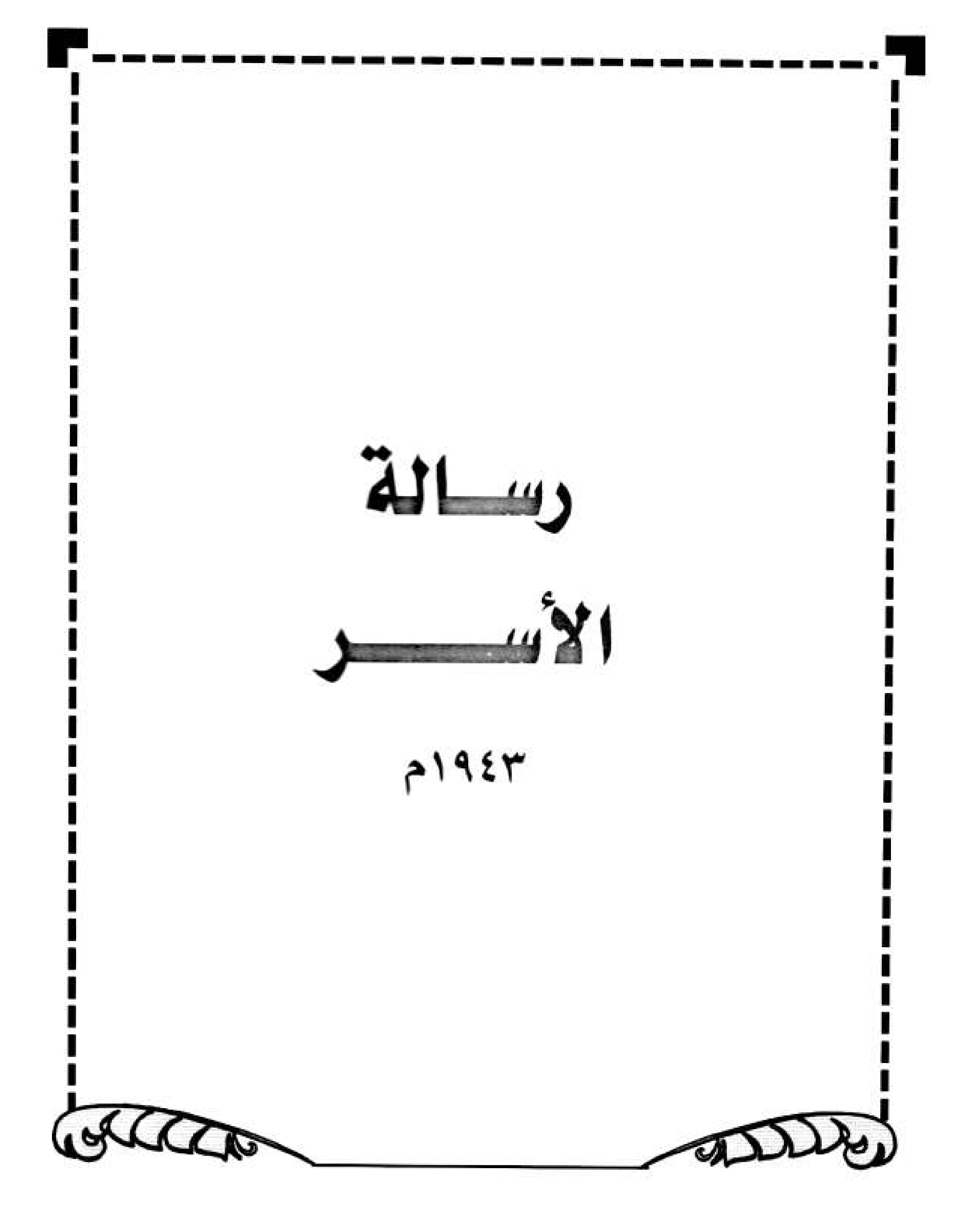
وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، وسلك بنا وبكم مسالك الأخيار المهتدين، وأحيانا حياة الأعزاء السعداء، وأماتنا موت المجاهدين الشهداء. إنه نعم المولى ونعم النصير.

* * *

(١) سبق تخريجه.



شباب
النادي الشبابي



رسالة الأسر

١٩٤٣م

تقديم

اعتنى الإمام البنا منذ البداية بتربية الأفراد، وعمل على تربيتهم تربية علمية وعملية، فأقام وأنشأ نظام الكتائب في سبتمبر عام ١٩٣٧م.

وفي عام ١٩٤٣م تعرضت الدعوة لضغوط شديدة من وزارة الوفد بناء على ضغط الإنجليز وأغلقت جميع الشعب، ولم يستثن غير المركز العام الذي وضعته تحت الرقابة الشديدة، فكتب الإمام البنا في مجلة الإخوان النصف شهرية مقالاً يدعو لتكوين الأسر التعاونية، ثم أصدر بعد ذلك لائحة النظام التعاوني، ثم صدرت رسالة الأسر في نفس العام، وإتمامًا للفائدة فقد ألحقنا مقال الإمام البنا ولائحة نظام الأسر التعاونية بهذه الرسالة، وبعض التوجيهات والنصائح التي وجهها الإمام لأفراد الإخوان في أوقات مختلفة، وقد جمعت تحت عنوان: «المنثورات».

* * *

نظام الأسر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه.

الأســــرة:

يحرص الإسلام على تكوين أسر من أهله يوجههم إلى المثل العليا، ويقوي رابطتهم، ويرفع أخوتهم من مستوى الكلام والنظريات إلى مستوى الأفعال والعمليات، فاحرص -يا أخي- أن تكون لبنة صالحة في هذا البناء الكريم «الإسلام».

وأركان هذا الرباط ثلاثة، فاحفظها واهتم بتحقيقها حتى لا يكون هذا تكليفًا لا روح فيه:

١ - التعارف:

هو أول هذه الأركان، فتعارفوا وتحابوا بروح الله، واستشعروا معنى الأخوة الصحيحة الكاملة فيما بينكم، واجتهدوا ألا يعكر صفو علاقتكم شيء، وتمثلوا الآيات الكريمة دائمًا والأحاديث الشريفة، اجعلوها نصب أعينكم، وتذكروا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقول رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[١]، «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»[٢]، «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في «الصَّلاةِ»، باب: «تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ»، ح(٤٥٩) ومواضع أخر، ومسلم في «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ»، باب: «تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ»، ح(٤٦٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في «الْمَظَالِمِ وَالْغَصْبِ»، باب: «لا يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ وَلا يُسْلِمُهُ»، ح(٢٢٦٢) وموضع آخر، ومسلم في «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ»، باب: «تَحْرِيمِ الظُّلْمِ»، ح(٤٦٧٧).

(٣) أخرجه مسلم في «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ»، باب: «تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ»، ح(٤٦٨٥) بلفظ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»، أما لفظ البخاري الذي أخرجه في «الأَدَبِ»، باب: «رَحْمَةِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ»، ح(٥٥٥٢): «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

ولقد ظلت هذه الأوامر الربانية والتوجيهات المحمدية بعد الصدر الأول كلامًا على ألسنة المسلمين، وخيالاً في نفوسهم، حتى جئتم معشر الإخوان المتعارفين[١]، تحاولون تطبيقها في مجتمعكم، وتريدون تأليف الأمة المتآخية بروح الله وأخوة الإسلام من جديد، فهنيئًا لكم إن كنتم صادقين، وأرجو أن تكونوا كذلك، والله ولي توفيقكم.

٢ - والتفاهم:

وهو الركن الثاني من أركان هذا النظام، فاستقيموا على منهج الحق، وافعلوا ما أمركم الله به، واتركوا ما نهاكم عنه، وحاسبوا أنفسكم حسابًا دقيقًا على الطاعة والمعصية، ثم بعد ذلك لينصح كل منكم أخاه متى رأى فيه عيبًا، وليقبل الأخ نصح أخيه بسرور وفرح، وليشكر له ذلك، وليحذر الناصح أن يتغير قلبه على أخيه المنصوح بمقدار شعرة، وليحذر أن يشعره بانتقاصه، أو بتفضيل نفسه عليه، ولكنه يتستر عليه شهرًا كاملاً، ولا يخبر بما لاحظه أحدًا إلا رئيس الأسرة وحده -إذا عجز عن الإصلاح، ثم لا يزال بعد ذلك على حبه لأخيه وتقديره إياه ومودته له، حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً، وليحذر المنصوح من العناد والتصلب وتغير القلب على أخيه الناصح قيد شعرة، فإن مرتبة الحب في الله هي أعلى المراتب، والنصيحة ركن الدين: «الدين النصيحة»[٢]، [...][٣] والله يعصمكم من بعض، ويعزكم بطاعته، ويصرف عنا وعنكم كيد الشيطان.

٣ - التكافل:

هو الركن الثالث، فتكافلوا، وليحمل بعضكم عبء بعض، وذلك صريح الإيمان، ولب الأخوة، فليتعهد بعضكم بعضًا بالسؤال والزيارة والبر، وليبادر إلى مساعدته ما وجد إلى ذلك سبيلاً، وتصوروا قول رسول الله ﷺ: «لأن يمشي أحدكم في حاجة أخيه خير له من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرًا»[٤]، «من أدخل السرور على أهل بيت من

---

(١) في الأصل: «المتعارفون».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في الأصل هذه الجملة: «وتأملوا -رحمكم الله- في هذا حديث وقول رسول الله ﷺ فيهما»، وهي غير مفهومة في السياق.

(٤) أخرجه الحاكم بنحوه، (٤/ ٣٠٠) بلفظ: «لأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين» -وأشار بإصبعه، وقال الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء، (٤/ ٤٧٤): «أخرجه الحاكم وصححه من حديث ابن عباس «لأن يمشي أحدكم مع أخيه

المسلمين لم ير الله له جزاء دون الجنة»[١]، والله يؤلف بين قلوبكم بروحه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

أيها الإخوان:

في الواجبات التي بين أيديكم إن وعيتموها، والأعمال التي بين أيديكم إن اتبعتموها ما يكفل تحقيق هذه الأركان، فراجعوا دائمًا واجبات الأخ التعاوني، وليحاسب كل منكم نفسه على إنفاذها، ثم ليحرص كل أخ على الاجتماعات المحددة مهما كانت أعذاره، ثم ليبادر كل منكم إلى تسديد ما عليه لصندوق أسرته، حتى لا يتخلف عن الواجبات متخلف، فإذا أديتم هذه الواجبات الفردية والاجتماعية والمالية، فإن أركان هذا النظام ستتحقق ولاشك، وإذا قصرتم فيها فسيتضاءل حتى يموت، وفي موته أكبر خسارة لهذه الدعوة، وهي اليوم أمل الإسلام والمسلمين.

ويسأل كثير منكم عما يشغلون به وقت اجتماعهم الأسبوعي كأسرة، وذلك أمر سهل ميسور، وما أكثر الواجبات وأقل الأوقات فليكن ما تشغل الأسرة به اجتماعاتها:

١- يعرض كل أخ مشاكله، ويشاركه إخوانه في دراسة حلولها في جو من صدق الأخوة، وإخلاص التوجه إلى الله، وفي ذلك توطيد للثقة، وتوثيق للرابطة، و«المؤمن مرآة أخيه»[٢]، وحتى يتحقق فينا شيء من مأثور قوله عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر

في قضاء حاجته -وأشار بإصبعه- أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين»، وللطبراني في الأوسط «من مشى في حاجة أخيه كان خيرًا له من اعتكافه عشر سنين» وكلاهما ضعيف»، وقال الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»، (٢/ ٩٥): «ضعيف جدًّا».

(١) رواه الطبراني في «الأوسط»، ح(٧٧٣٢)، و«الصغير»، ح(٩١٠) بلفظ: «من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورًا لم يرض الله له ثوابًا دون الجنة»، وأشار إلى أن هذا الحديث لم يروه عن هشام بن عروة إلا عمر بن حبيب، تفرد به: إبراهيم بن سالم»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب»، ح(١٥٨٤).

(٢) يشير للحديث الذي أخرجه أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «فِي النَّصِيحَةِ وَالْحِيَاطَةِ»، ح(٤٢٧٢)، ولفظه: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ...»، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٤٩١٨).

الجسد بالسهر والحمى»[1].

٢- مذاكرة حول شئون الإسلام، وتلاوة الرسائل والتوجيهات الواردة من القيادة العامة للأسر، ولا محل في الأسرة للجدل، أو الحدة، أو رفع الصوت، فذلك حرام في فقه الأسرة، ولكن بيان واستيضاح في حدود الأدب الكامل، والتقدير المتبادل من الجميع، فإذا أغلق شيء، أو أريد اقتراح شيء، أو استيضاحه احتفظ به النقيب حتى يرجع إلى القيادة، فقد عاب الله أقوامًا فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ... ﴾، ثم أرشدهم إلى ما يجب أن يكون فقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

٣- مدارسة نافعة في كتاب من الكتب القيمة، وليحرص الإخوان بعد هذا على تحقيق معنى الأخوة في المجاملات الطارئة، التي لا تحصرها الكتب، ولا تحيط بها التوجيهات، وإن أشار إليها الصادق الأمين ﷺ: عيادة المريض، ومواساة المحتاج ولو بالكلمة الطيبة، وتفقد الغائب، وتعهد المنقطع.. كلها مما تزيد رابطة الإخاء، وتضاعف في النفوس الشعور بالحب والصلة.

ولزيادة الترابط بين الإخوان عليهم أن يحرصوا على:

١- القيام برحلات ثقافية لزيارة الآثار والمصانع وغير ذلك.

٢- القيام برحلات قمرية رياضية.

٣- القيام برحلات نهرية للتجديف.

٤- القيام برحلات جبلية أو صحراوية أو حقلية.

٥- القيام برحلات متنوعة بالدراجة.

٦ - صيام يوم في الأسبوع أو كل أسبوعين.

٧ - صلاة الفجر جماعة مرة كل أسبوع على الأقل في المسجد.

٨ -الحرص على مبيت الإخوان مع بعضهم مرة كل أسبوع أو أسبوعين.

❊ ❊ ❊

---

(١) سبق تخريجه.

نظامنا التعاوني[١]

الفرد للجماعة والجماعة للفرد والكل للإسلام[٢]

من الدعائم القوية التي قام عليها الإسلام الحنيف -وبخاصة في مبدأ ظهوره- التضامن الاجتماعي الكامل بين المؤمنين به حتى صاروا كأنهم بنيان مرصوص، الفرد فيهم للجماعة، والجماعة للفرد، والجميع لدعوة الحق فداء، ووحدت أخوة الإيمان بين قلوبهم ومشاعرهم ومصالحهم توحيدًا أدى إلى الاشتراك التام في آمال الحياة وآلامها وأغراضها ومادياتها.

آخى النبي ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وهو مهاجري من مكة، وبين سعد بن الربيع وهو أنصاري من المدينة، فأخذ سعد بيد أخيه عبد الرحمن وانطلق إلى داره، فأحضر بين يديه ماله كله وشطره شطرين، وقال: يا أخي، هذا مالي كله شطرته شطرين، فاختر أحبهما إليك!! وأحضر زوجتيه وقال: وهاتان زوجتاي اختر أعجبهما إليك أطلقها ثم تتزوجها، فابتسم عبد الرحمن ابتسامة الرضا والإعجاب بهذا الصدق في التآخي، وقال: يا أخي، لا حاجة لي في الزواج، وأنا رجل تاجر فدلني على السوق، وبارك الله لك في أهلك ومالك، ثم غدا إلى السوق يتاجر ويعمل حتى صار من أغنياء المسلمين[٣].

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذا النظام يرجى مراجعة سلسلة أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، الكتاب الخامس، ص(١٦٤).

(٢) مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (١٧)، السنة الأولى، ١١جمادى الأولى ١٣٦٢هـ- ١٥مايو ١٩٤٣م، ص(٣-٤).

(٣) يشير الإمام البنا للحديث الذي أخرجه البخاري في «البيوع»، باب: «ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ...﴾...»، ح(١٩٠٧) من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قال: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالاً فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا. قَالَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ. هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعٍ. قَالَ: فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ. قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَزَوَّجْتَ»؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «وَمَنْ»؟ قَالَ: امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ. قَالَ: «كَمْ سُقْتَ؟». قَالَ: زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ».

ونزل أحد المهاجرين برسول الله ﷺ، فنادى الأنصار: من يضيف ضيف رسول الله، فقال أبو طلحة: أنا يا رسول الله. وأخذ بيد الضيف وانطلق إلى داره، فقالت أم سليم زوجه: يا أبا طلحة، وماذا نصنع بضيفنا، وليس لنا إلا طعامنا وطعام الصبية؟! فقال: نطعم الصبية وينامون، وأوثر أنا وأنت ضيفنا بطعامنا، وقد كان، وشبع الضيف وناما طاويين. وغدا أبو طلحة على رسول الله ﷺ، فتلقاه باسمًا يقول له: «يا أبا طلحة، عجب ربكما من صنعكما بضيفكما ليلة أمس»، ونزلت الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩][1].

ولقد أثنى رسول الله ﷺ على الأشعريين، فقال: «نعم القوم الأشعريون، إذا جهدوا في سفر أو حضر جمعوا ما عندهم فوضعوه في المزادة، ثم قسموه بينهم بالسوية»[2].

هذه أنباء وأحاديث المجتمع الإسلامي الأول يمر بها المجتمع الإسلامي العصري فلا تظفر منه بغير الإعجاب والثناء، أما أن نكوّن نظامًا عمليًا يربط الأواصر بين المسلمين، أو يؤلف بين قلوبهم وأرواحهم، ويرفع الشحناء والبغضاء من بينهم، أو يبدل ضعفهم ووهنهم قوة وجلدًا، فهذا ما لا يفكرون فيه؛ ذلك لأنهم ألفوا أن ينظروا إلى تعاليم دينهم وأعمال سلفهم نظرة علمية فلسفية لا نظرة عملية تطبيقية، وبهذا صار الإسلام عند أهله

---

(١) أخرج البخاري في «التفسير»، بَاب: «قَوْلِهِ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ...﴾ الآيَةَ»، ح(٤٨٨٩)، من طريق أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلاَ رَجُلٌ يُضَيِّفُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللهُ». فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لاَ تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا. قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلاَّ قُوتُ الصِّبْيَةِ. قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ. فَفَعَلَتْ ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «لَقَدْ عَجِبَ اللهُ ﷻ -أَوْ ضَحِكَ- مِنْ فُلاَنٍ وَفُلاَنَةَ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

(٢) أخرج البخاري في «الشركة»، بَاب: «الشَّرِكَةِ فِي الطَّعَامِ وَالنَّهْدِ وَالْعُرُوضِ...»، ح(٢٣٠٦)، من طريق أَبِي مُوسَى أنه قَالَ: قال النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ».

كلامًا يقال، وجدلاً يردد، لا عقائد تنطوي عليها الجوانح، فيظهر أثرها في النظم والأعمال.

هذا التضامن الاجتماعي الكامل بين سلف المسلمين هو سر قوتهم ومصدر عظمتهم، وهو الحلقة المفقودة في إسعاد الإنسانية، وهو مفتاح الكنز الضائع الذي طال عنه بحث المصلحين وتنقيب الاجتماعيين، وحين يهتدون إليه، فيحل الإيثار محل الأثرة بين الناس، حينئذٍ بشر الدنيا البائسة بانقضاء صور البؤس والشقاء: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

ولقد أخذ الإخوان المسلمون أنفسهم بأن يعودوا إلى الإسلام ويرجعوا إليه، لا على أنه نظريات تقرر ولكن على أنه عقائد تتركز، ونظام يطبق، وأعمال يكون لها أثرها في مجتمعهم الخاص، وفي المجتمع العام ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

ولقد لفتت كفالة بعض الإخوان لإخوانهم في الحياة وبعد الموت نظر مكتب الإرشاد العام إلى وجوب تطبيق هذا التضامن بين الإخوان المسلمين، وفي ذلك تجربة لمبلغ إيمانهم وفقههم لدينهم، وتأثرهم بسيرة أسلافهم، واستعدادهم العملي للنهوض بهذا العبء الذي أعرض عن حمله غيرهم من الناس.

نريد أن نجرب أنفسنا بهذا التدريب العملي بعد أن طال بنا عهد الدراسة والتمرينات النظرية، والله المستعان.

وعلى هذا الأساس تألفت اللجنة العامة للنظام التعاوني بين الإخوان المسلمين بالمركز العام، وهي تدعو الإخوان جميعًا إلى أن يساهموا في نجاح هذا النظام، وأن يجربوا به مبلغ إيمانهم، وحسن استعدادهم في غير عنت ولا إرهاق، ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

❊ ❊ ❊

لائحة النظام التعاوني (الأسر)

تألفت بالمركز العام للإخوان المسلمين «لجنة عامة» تسمى اللجنة العامة للنظام التعاوني بين الإخوان المسلمين في ربيع الأول ١٣٦٢هـ- مارس ١٩٤٣م، ومقرها دائمًا هو هذا المركز بمدينة القاهرة.

الغرض من تأليف هذه اللجنة هو تقوية روح التعاون العملي، وتوثيق رابطة الأخوة بين الأعضاء وجماعات الإخوان المسلمين العاملين أيًا كانوا، وتوفير نوع من أنواع التأمين الاجتماعي لهم على نظام يتفق مع قواعد الشرع الإسلامي الحنيف.

تتألف هذه اللجنة من المرشد العام للإخوان المسلمين رئيسًا بصفة دائمة بوصفه لا بشخصه، ومن أربعة أعضاء من أعضاء مكتب الإرشاد العام يختارهم المكتب نفسه، ولها أن تضم إليها من تريد من الإخوان العاملين بالمركز العام أو بالأقاليم.

يشترط في الأخ الذي يتقدم لهذا المشروع أن يكون من أعضاء جماعات الإخوان المسلمين العاملين، وأن يتعهد بالقيام بواجبات العضوية التي تقررها هذه اللائحة والقانون الأساسي.

للجنة العامة أن تنتدب من رؤساء الإخوان أو العاملين منهم مندوبين يمثلونها في القاهرة والأقاليم، على أن تكون مهمتهم مؤقتة بانتهاء التكوين الأول، ثم يعاد النظر بعد ذلك في اختيار المندوبين الدائمين من نقباء الأسر ورؤساء العشائر.

يقسم الإخوان المشتركون في هذا النظام في كل شعبة إلى عشرات، تسمى كل عشرة منها «أسرة»، وتختار الأسرة من بينها نقيبًا لها، يكون هو المسئول عنها، وتتكون من كل أربع أسر «عشيرة»، يرأسها نقيب الأسرة الأولى، وتكون القيادات دائمًا بالتسلسل بين الأعضاء والنقباء، وللجنة في المستقبل أن تربط بين هذه العشائر كلها؛ فتتألف من كل خمس عشائر «رهط»، ومن كل خمسة رهوط «كتيبة».

تنقسم واجبات الأعضاء إلى ما يأتي:

أ - واجبات شخصية:

- إخلاص النية لله، وتجديد التوبة مع رد المظالم إلى أهلها ما أمكن.

- المواظبة على الورد القرآني والأدعية المأثورة بقدر الإمكان.

- تجديد البيعة على السمع والطاعة والصبر والثبات في سبيل الفكرة.

- تقدير حق إخوانه، وتقديمهم في كل المعاملات، وعدم التأخر عن اجتماعاتهم إلا بعذر قاهر لا يمكن دفعه.

- المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها.

- أداء زكاة المال متى كان الأخ مالكًا للنصاب، مع استشارة الأسرة في طريق التصرف فيها.

- الحج لمن لم يؤدِّ الفريضة، وكان قادرًا على ذلك.

- صوم رمضان صيامًا صحيحًا.

- التطهر من الربا والمقامرة والكسب الحرام في كل المعاملات.

- اجتناب الزنا وما يتصل به، والخمر وما هو في حكمها، ومقاطعة دور اللهو العابث.

- أن يعتبر الأخ نفسه جنديًا للدعوة، ويشعر بأن لها حقًا في نفسه ووقته وماله، وأن يقوم بأداء اشتراكه لصندوق التعاون مهما تكن ظروفه، متى تعهد بذلك ولم تعفه أسرته منه.

- أن يشعر أهله بهذا التطهر الجديد في حياته، وأن يجتهد في أن يطبع بيته بالطابع الإسلامي، وأن ينتهز الفرصة المناسبة، ويعاهد زوجته على العمل للدعوة معه، وأن يلزم أولاده وخدمه آداب الإسلام.

- فإذا فهم الإخوان هذه الواجبات وقبلوها وتعهدوا بالمحافظة عليها والقيام بها قيامًا صحيحًا بايعهم نقيب الأسرة على ذلك نيابة عن المرشد العام مباشرة.

ب - واجبات اجتماعية:

يجب على كل أسرة أن تتخير مكانًا تجتمع فيه ليلة في الأسبوع غير دار الشعبة،

ويحسن أن يكون ذلك في بيوت أعضائها بالتبادل، ويحسن أن يبيت أعضاؤها معًا ليلة في الشهر في مكان واحد على هيئة معسكر كشفي، ويتناولون معًا طعام العشاء والإفطار، ويحسن أن يجتمع أعضاء الأسر جميعًا في صلاة الجمعة في مسجد واحد، ويؤدوا صلاة الفجر والعشاء في جماعة في دار الشعبة أو في مسجد أو في مكان يختارونه.

ج - واجبات مالية:

أعضاء كل أسرة متكافلون فيما بينهم في احتمال أعباء الحياة؛ فمن نكب منهم أو تعطل عمله لسبب خارج عن إرادته أو مات؛ فبقية إخوانه في الأسرة ملزمون بسد حاجته وحاجة أولاده ورعايتهم ومساعدتهم حتى يغنيهم الله من فضله.

وضمانًا للقيام بهذا الواجب تنشئ كل أسرة صندوقًا تعاونيًا خاصًا بها، يشترك فيه كل أخ بجزء من إيراده، يدفعه بحسب ظروفه وما تراه أسرته الإخوانية، وتورد النقود مجموعة لأمين صندوق تختاره الأسرة من أعضائها بمقتضى إيصالات عليه تحفظ لدى النقيب، وعلى النقيب وأمين الصندوق أن يرصد كل منهما هذه الحسابات رصدًا مفصلًا لكل عضو، وليس لهذا الأمين ولا للنقيب أن يصرف شيئًا من هذه الأموال إلا بمحضر موقع عليه من أغلبية الأسرة صاحبة الحق، وبمقتضى إذن يوقعه النقيب أو من يقوم مقامه، وليس لأحد أن يسترد لنفسه ما دفعه بحال، وليس له أن يتأخر عن الدفع إلا بقرار من الأسرة نفسها، توقعه أغلبيتها (أقلها ثلاثة أرباع أعضائها).

كل أسرة تتكون تظل تحت الاختبار مدة ستة أشهر من تكوينها، وبعد ذلك يختبر أفرادها بمعرفة اللجنة العامة في مدى قيامهم بهذه الواجبات وإدراكهم لمراميها؛ فيثبت المحافظ عليها، ويجددون بيعتهم مقرونة بالقسم، ويمنح المقصرون فترة اختبار أخرى، ويعاد تأليف الأسر وفقًا لنتائج الاختبار؛ فيُضَم المحافظون بعضهم إلى بعض، ويُضم المقصرون بعضهم إلى بعض كذلك في كل شعبة.

من قصّر في القيام بواجباته الشخصية أو واجباته الاجتماعية أو واجباته المالية المنصوص عليها في المواد السابقة؛ فإن لأسرته أن تؤاخذه بهذا التقصير بأن ينصحه النقيب سرًا، ثم جهرًا أمام إخوانه في الأسرة، ثم ينذره كتابة، ثم يوقفه مدة، ثم للأسرة كلها بعد ذلك أن تقرر فصله بقرار قانوني من أغلبيتها، ولا يكون قرار الفصل نافذًا إلا

بموافقة رئيس العشيرة إن وجد، واعتماد اللجنة العامة له بعد ذلك، وحينئذ لا يكون له الحق في أن يطالب بشيء مما دفعه.

كل خلاف بين أفراد الأسرة مرده إلى النقيب، وكل خلاف بين النقيب وأحد الأفراد إلى الأسرة، فإذا لم يُسوَّ الخلاف رفع الأمر إلى رئيس العشيرة إن كان، فإذا عجز عن التسوية فللجنة العامة الرأي في ذلك، وحكمها واجب النفاذ.

يؤخذ الخمس من صناديق الأسر جميعًا، ويورد «لصندوق التعاون العام» بالمركز العام باسم أمين صندوق اللجنة العامة، وبمقتضى إيصالات موقعة منه، وينفق هذا المال في الطوارئ الهامة التي تمس الأسر جميعًا، ويعتبر احتياطيًا لهذا المشروع كله. وتقدم اللجنة عن هذا الصندوق بيانًا لمكتب الإرشاد العام في آخر العام.

تعد كل أسرة لكل فرد من أعضائها «ملفًا»، تثبت فيه البيانات عن شخصه، والمخالفات التي وقع فيها، أو الخدمات التي أداها، وإذا نقل أحد هؤلاء الإخوان من البلد الذي هو فيه إلى بلد آخر فيه أسرة إخوانية؛ فله أن يطلب تحويل هذا الملف، وتحويل رصيده بعد حذف الخمس منه إلى هذه الأسرة الجديدة، مع التوصية اللازمة، وله أن يظل مرتبطًا بأسرته الأولى، وعلى النقيب دوام الاتصال بهذا الأخ وأن يبلغه دائمًا مجمل قرارات الأسرة وتوجيهاتها.

يجب على الإخوان المتعاونين مع تنفيذ هذا النظام تنفيذًا كاملا أن يقوموا بالمساهمة الكاملة في كل نواحي نشاط الشعبة، وأن يؤدوا اشتراكهم المالي الخاص بها أداءً كاملاً.

يجب أن يعمم هذا النظام في شعب الإخوان إلى نهاية ١٣٦٣ هجرية؛ بحيث تكون كل شعبة أسرة على الأقل، ثم يستمر العمل به عامًا كاملا إلى نهاية ذي الحجة ١٣٦٤ هجرية، ثم تدعو اللجنة العامة رؤساء العشائر ونقباء الأسر على شكل جمعية عمومية للتفكير في تعديل هذه اللائحة، وتحويل المشروع إلى «شركة تأمين اجتماعي إسلامية»، رأس مالها هو ما بقي من المال المجموع من أفراد الأسر جميعًا ومن الاحتياطي لدى اللجنة العامة بعد النفقات الضرورية القانونية، ويحول ما دفعه كل شخص إلى سهوم باسمه بقيمة ما دفع، مع ملاحظة حساب المصروفات، ومع بقاء الصناديق الأصلية لتركيز معنى التضامن الاجتماعي في نفوس الإخوان، ولإمداد رأس مال الشركة دائمًا بسهوم جديدة،

وللجنة العامة دعوة هؤلاء الرؤساء والنقباء قبل الوقت المقرر إذا رأت ما يدعو إلى ذلك.

يعتبر المال المجموع خلال هذا الوقت لدى اللجنة العامة أو الأسر بعد المصروفات القانونية أمانة في يد أمناء الصناديق المختارين حتى يجمع منهم عند تطبيق النظام الجديد.

على إخوان الأسر أن يندمجوا في نظام الجوالة متى سمحت بذلك سنهم وظروفهم، حتى يضموا إلى فوائد الأسرة التعاونية فوائد الجوالة والرياضة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

المنثـــورات(١)

أولاً: الدعائم العشر

(١) الله غايتنا (٢) والرسول قدوتنا (٣) والقرآن طريقتنا (٤) والآخرة عقيدتنا (٥) والجهاد وسيلتنا (٦) والحرية أمنيتنا (٧) والوحدة وجهتنا (٨) والإمامة سياستنا (٩) والدعوة مهمتنا (١٠) والسلام نهايتنا.

ثانيًا: الواجبات العشر

(١) حمل شارتنا (٢) وحفظ عقيدتنا (٣) وقراءة وظيفتنا (٤) وحضور جلستنا (٥) وإجابة دعوتنا (٦) وسماع وصيتنا (٧) وكتمان سريرتنا (٨) وصيانة كرامتنا (٩) ومحبة إخوتنا (١٠) وداوم صلتنا.

ثالثًا: الموبقات العشر

(١) الاستعمار (٢) الخلافات السياسية والشخصية والمذهبية (٣) الربا (٤) الشركات الأجنبية (٥) التقليد الغربي (٦) القوانين الوضعية (٧) الإلحاد والفوضى الفكرية (٨) الشهوات والإباحية (٩) فساد الخلق وإهمال الفضائل النفسية (١٠) ضعف القيادة وفقدان المناهج العملية.

رابعًا: المنجيات العشر

(١) الحرية (٢) الوحدة (٣) تنظيم الزكاة (٤) وتشجيع المشروعات الوطنية (٥) واحترام القومية (٦) والعمل بالشرائع السماوية (٧) وتثبيت العقائد الإيمانية (٨) وإقامة الحدود الإسلامية (٩) وتقوية الفضائل الخلقية (١٠) واتباع السيرة المحمدية.

خامسًا: الكلمات العشر

يجب أن يعلم الأخ المسلم أن الإسلام: (١) دين (٢) وأخوة (٣) ووطن (٤) وجنسية (٥) وسماحة (٦) وقوة (٧) وخلق (٨) ومادة (٩) وقانون (١٠) وثقافة.

---

(١) صدر في كتيب تحت عنوان: «من محفوظات الإخوان المسلمين»، دون تاريخ.

سادسًا: المراتب العشر

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

سابعًا: الوصايا العشر

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۞ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۞ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۞ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۞ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۞ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۞ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ۞ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ۞ وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

ثامنًا: النصائح العشر

(من وصايا المرشد العام للإخوان المسلمين)

١- يا أخي، لا تعش بغير غاية، فإن الله لم يخلقك عبثًا، ولم يتركك سدى.

٢- يا أخي، ليكن الله غايتك، واسمع قول الله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

٣- يا أخي، إنما تحرص في هذه الحياة على أمرين: رزقك وأجلك، ولا سلطان لأحد عليهما إلا الله، فلا يمنعنك الحرص عليهما أن تعمل للحق.

٤- يا أخي، إنما تنهض الأمم بالتضحية، وتقوم الدعوات على الوفاء، فإن كنت تعيش لأمتك فضح في سبيلها، وإن كنت مؤمنًا بدعوتك فاجتهد في الوفاء لها.

٥- يا أخي، لا تقل ما لا تفعل، ولا يغرنك أن يحسبك الناس عاملاً، وليكن همك أن يعلم الله منك صدق ذلك، فإن الناس لن يغنوا عنك من الله شيئًا.

٦- يا أخي، لن يستطيع أي صاحب أن يكون لك في غير هذه الحياة الدنيا، وهناك صاحب واحد ينفعك في حياتك ويلازمك في آخرتك، ذلك هو العمل الصالح، فاحرص على أن يكون صاحبًا لك في كل حال، وتذكر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١].

٧- يا أخي، قلبك محل نظر الله منك، فاحذر أن تدنسه بالخصومة، فإنها حجاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ • إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

٨- يا أخي، اجتهد أن تؤمن بفكرتك إيمانًا يُخضع لها أملك وعملك، واسمع قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

٩- يا أخي، اعتقد أنك تعمل لغايتين: أن تنتج، وأن تقوم بالواجب، فإن فاتتك الأولى، فلن تفوتك الثانية ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

١٠- يا أخي، لابد من الموت فاجعله في سبيل الله؛ فإن فناء في الحق لهو عين البقاء، وإنك يوم تموت شهيدًا تكسب الشرف والأجر والخلود والحياة، على حين أنك لم تخسر شيئا أبدًا، ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

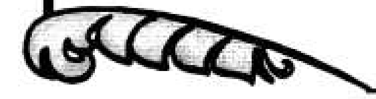
* * *


النادي الشبابي

رسالة

مؤتمر رؤساء المناطق والشعب
ومراكز جهاد الإخوان المسلمين
على مستوى القطر المصري

(٢شوال ١٣٦٤هـ -٨ سبتمبر ١٩٤٥م)



تقـــديم

منذ بزوغ فجر دعوة الإخوان المسلمين والإمام البنا حريص أشد الحرص على متابعة وتقييم الفترات السابقة، لمعرفة أوجه التقصير والخلل داخل الصف، ولدراسة المستجدات على الساحة في الداخل والخارج، فكان يعقد المؤتمرات ومجالس الشورى المتتالية، وفي ٢شوال ١٣٦٤هـ الموافق ٨ سبتمبر ١٩٤٥م عُقد هذا المؤتمر الذي ضم رؤساء الشعب والمناطق ومراكز الجهاد، وألقى فيه الإمام البنا هذه الكلمة، والتي نشرتها مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية في عددها السبعين في ١٤شوال ١٣٦٤هـ الموافق ٢٠سبتمبر ١٩٤٥م.

وقد تحدث فيه الأستاذ صالح عشماوي، والأستاذ عبد الباري عمر خطاب[1]، والأستاذ أحمد السكري، وقد تناول فيه الحاضرون القضايا والمشاكل الوطنية التي تمر بالأمة، كما تناول المؤتمر موضوع القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥م والذي يقضي بتحجيم الجمعيات، والذي أصدرته وزارة الشئون الاجتماعية.

وقد ألحقنا قرارات المؤتمر بالرسالة تتميمًا للفائدة.

* * *

(١) هو أحد طلاب الإخوان بالأزهر الشريف.

مؤتمر رؤساء المناطق والشعب
ومراكز جهاد الإخوان المسلمين على مستوى القطر المصري

(٢ شوال ١٣٦٤هـ -٨ سبتمبر ١٩٤٥م)

كلمة فضيلة المرشد العام:(١)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

مشاعر وخواطر:

مقدمة:

أيها الإخوة الفضلاء:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد خطر لي أن أشكركم على ما تجشمتم من مشقة، وتحملتم من عناء، وأنفقتم من نفقة في سبيل حضوركم هذا الاجتماع، ولكني سألت نفسي: أليس ذلك هو أيسر ما تقتضيه الدعوة من واجبات؟ وإذًا ففيم الشكر، وقديمًا قيل: لا شكر على واجب، ولهذا عدلت عن أن أتقدم إليكم شاكرًا، ولكن ذلك لا يحول بيني وبين أن أتقدم إليكم مبشرًا بما أعد الله لعباده العاملين المخلصين من عظيم الأجر، وجزيل المثوبة، متى عملوا وأخلصوا واستجابوا لله وللرسول إذا دعاهم لما يحييهم، فبشراكم أيها الإخوان.. إنكم ما خطوتم خطوة، أو أنفقتم نفقة تبتغون بها إعزاز كلمة الله، ونصر الدعوة، والاجتماع على الحب في الله، والتآخي في الله، إلا كتب الله لكم بها أجرًا، ورفع لكم بها في الملأ الأعلى ذكرًا، وصدق الله العظيم: ﴿وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١]، كما أني أتقدم إليكم كذلك مهنئًا بهذا الموسم، موسم عيد الفطر، سائلاً الله تبارك وتعالى أن يعيده على الإنسانية التائهة بالهداية والتوفيق، وإن كان عيدنا الحقيقي يوم تنتصر دعوتنا، وتنهض

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٧٠)، السنة الثالثة، ١٤شوال ١٣٦٤هـ- ٢٠ سبتمبر ١٩٤٥م، ص(٣-١٥).

دولتنا، وتعلو بنا كلمة الله في أرضه، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٤-٥].

أيها الإخوة الأحبة الفضلاء:

أي معنى جليل، وأي شعور نبيل يثيره اجتماعكم هذا في نفس من يراكم، إذا اتصل شعوره بشعوركم، ونفذت بصيرته إلى أعماق نفوسكم، فرأى أي دافع كريم استولى عليكم فدفع بكم إلى هذا المكان، ورأى أي تفكير سام بريء طهور تزدحم به في هذه الساعات خواطركم، وأي جلال ووقار ورحمة وسكينة ورضوان تحف الآن بمجلسكم هذا وتتغشاكم في أماكنكم.

أمة جديدة:

- جديدة في قلوبها النقية البيضاء التي يغمرها الإيمان واليقين.

- جديدة في عقولها المشرقة المستنيرة بتعاليم القرآن الكريم، وهداية رب العالمين.

- جديدة في آمالها وأمانيها التي لا تمت إلى الأنانية بسبب، ولكنها تبغي الخير والسعادة للناس أجمعين.

- جديدة في وسائلها الواضحة الصريحة العادلة الرحيمة التي تبدأ بالحكمة والموعظة الحسنة، وتنتهي بالإنصاف والمعدلة والرحمة، وتنتظر مثوبة ذلك في قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

أيها الإخوة الفضلاء:

اذكروا نعمة الله عليكم، واقدروا أنفسكم، واقدروا دعوتكم، وأبشروا فالمستقبل لكم، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥][1]، وثقوا بأنكم تمثلون تمثيلاً حقيقيًّا أمة وادي النيل التي يفوق عددها ثلاثين مليونًا، ومعها بقية الأمة العربية التي تناهز سبعين مليونًا، ومن ورائها العالم الإسلامي الذي يبلغ ثلاثمائة مليون من المسلمين، أنتم تمثلون هذه المجموعة من الناس تمثيلاً حقيقيًّا صحيحًا قد تنكره عليكم الجهات الرسمية والشكليات العملية، ولكن هل يشك منصف عادل في أنكم هنا في اجتماعكم هذا تختلج

---

(١) ولنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ، أي: لن يتنقَّصكم في أعمالكم. [الصحاح، مادة (وتر)].

نفوسكم بما تختلج به هذه النفوس جميعا من المشاعر؟ وتمتلئ رءوسكم بما تمتلئ به هذه الرءوس جميعا من الأفكار؟ وتنطلق ألسنتكم بما تردده تلك الألسن جميعًا من كلمات؟

ولو خُلّي بين هؤلاء وبين حريتهم لصافحت أيديهم أيديكم في حرارة وشوق، وضمت صدورهم صدوركم في حب ولهف، ودوّى هتافهم عاليًا قويًّا مع هتافكم: الله أكبر ولله الحمد، وهي الأخوة التي لا تنفصم والتي جمع عليها القرآن قلوب المؤمنين به في كل مكان، وسجّلها لهم إذ يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فيا أيها الممثلون الحقيقيون لخير أمة أخرجت للناس اسمعوا..

أولا: ما هي دعوتكم؟

لقد أعلنتم من أول يوم أن دعوتكم «إسلامية صميمة» على الإسلام تعتمد، ومنه تستمد، وهتفتم بها من كل قلوبكم (الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا)، ولكنكم مع هذا فهمتم الإسلام فهمًا شاملاً:

١- فآمنتم به نظامًا اجتماعيًّا كاملاً يصحح للناس أوضاع مجتمعهم في كل شيء، فلا يدع صغيرة ولا كبيرة من شئون الحياة إلا تناولها، وأوضح ما فيها من خير ليقبل الناس عليه، وما فيها من شر ليجتنبوه.

٢- وآمنتم كذلك بأن من واجب المسلم الحق أن يجاهد في سبيل هذا الإسلام حتى يهيمن على المجتمع كله، ويحتل مكانه الذي هيأه الله له في دنيا البشر.

٣- وآمنتم كذلك بأن ذلك أمر ممكن ميسور لو أراده المسلمون واجتمعوا عليه وعملوا له.

وقد تكون هذه الأمور الثلاثة محلّ خلاف بينكم وبين فريق من المسلمين أنفسهم، فلا زال كثيرون لا يرون الإسلام إلا في صور من العقائد الصحيحة أو الفاسدة، والعبادات الكاملة أو الناقصة، ولا يزال الكثيرون يرون أن الجهاد في سبيل هذا الإسلام أمر قد انقضى وقته ومضى زمنه، ولا يزال الكثيرون يرون أن العقبات أمام المجاهدين في سبيل هذه الغاية أكبر من أن يزيلها شيء.

ولهذا القصور في الفهم، والصغر في الهمم، واليأس في النفوس استسلم كثير من

الناس للأمر الواقع، وظنوا أن ذلك يرفع عنهم اللوم في الدنيا والعذاب في الآخرة، ونسوا قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]، فقمتم أنتم أيها الإخوان المسلمون تنفضون عنكم وعن الناس أوضار[١] القصور والضعف واليأس، وتنتظرون موعود الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

بين دورين:

لقد جاء الإسلام الحنيف يقرر للدنيا أعدل المبادئ، وأقوم الشرائع الربانية، ويسمو بالنفس الإنسانية، ويقدس الأخوة العالمية، ويضع عقيدة الخلود والجزاء دافعًا إلى الأعمال الصالحة، ومانعًا من الفساد في الأرض، ويرسم الطريق العملي لذلك كله في حياة الناس اليومية، ثم في أوضاعهم المدنية، ويحيي على ذلك القلوب، ويجمع عليه الأمة، ويقيم على أساسه الدولة، ويوجب الدعوة إليه في الناس كلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

ومضت على هذا حياة المسلمين حينًا من الدهر، علت فيها دعوتهم، وامتدت دولتهم، وتمكن سلطانهم، وسادوا أمم الدنيا، وكانوا أساتذة الناس، ووعدهم الله على ذلك أجمل المثوبة، وحقق لهم هذا الوعد: ﴿فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

ثم اختلط عليهم بعد ذلك الأمر، فاتخذوا الدين طقوسًا وأشكالاً، والعلم والمعرفة جدلاً ومراء[٢]، ووزعوا مهمة الإصلاح لتكون أداة للدنيا ووسيلة للجاه والمال فيها، ففسدت النفوس أولاً، وتفرقت الكلمة بعد ذلك، ودالت الدولة تبعًا لهذا، وطمع في المسلمين من لا يدفع عن نفسه، فوقعوا تحت حكم غيرهم وسلطانه، وتغيرت تبعًا لذلك

---

(١) إناء وضرٌ. ويدٌ وضرةٌ، وبها وضرٌ: وسخ من دسم أو غيره. [أساس البلاغة، مادة (وضر)].
(٢) المِراءُ: المُماراةُ والجدَل، وهو من الامْتِراءِ والشكّ، وأن يَستخرج الرجلُ من مُناظره كلامًا ومعاني الخصومة وغيرها، منْ مَرَيْتُ الشاةَ: إذا حلبتها واستخرجت لبنها. [لسان العرب، مادة (مرا)].

كل أوضاع حياتهم الأدبية والعملية.

وأراد المصلحون الغيورون أن يتداركوا الأمر، فقامت طائفة تحاول إصلاح النفوس، وقامت أخرى تحاول خدمة الشعوب، واختصت ثالثة نفسها بتقويم أداة الحكم، وأطلق كل على نفسه اسمًا يرضاه، ووصفًا يعجبه، وانتصر لمهمته، وانتقص مهمة غيره، وكان شرط هذا الاختصاص -ليكون نافعًا مفيدًا- أن تقوّي كل ناحية الأخرى، وتكون سنادًا لها، فيدفع من يهيمنون على تربية النفوس أتباعهم إلى خدمة المجتمعات، وهؤلاء ينبهون من معهم إلى أن صلاح المجتمع بصلاح الحكم، حتى يتآزر الجميع على الإصلاح العام. وكان شرط هذا الاختصاص كذلك أن تقوم هناك الهيئة الجامعة التي تأخذ بأطرافه وتجمع بين حواشيه، وكان شرط هذا الاختصاص أخيرًا أن يقوم به الأكفاء المخلصون، ولكن هذا كله لم يتوفر إلا نادرًا، والنادر لا حكم له.

مقاصد الدعوة ووسائلها العامة:

وظهرت دعوتكم -أيها الإخوان- في ثنايا هذه السحب المتراكمة جميعًا، فلمعت كما يلمع البرق الوامض، ثم أنارت كما تنير الشمس المشرقة، تبعث في الكون النور والحرارة واليقظة بعد طول نوم وخمود، فكانت أغراضكم وأهدافكم هي أغراض الإسلام الحنيف ومقاصده.

١- تصحيح فهم المسلمين لدينهم وشرح دعوة القرآن الكريم شرحًا واضحًا، وعرضها عرضًا كريمًا يوافق روح العصر، ويكشف عما فيها من روعة وجمال، ويرد عنها الأباطيل والشبهات.

٢- ثم جمع المسلمين عمليًا على مبادئ كتابهم الكريم بتجديد أثره البالغ القوي في النفوس.

٣- ثم خدمة المجتمعات وتنقيتها بمحاربة الجهل والمرض والفقر والرذيلة، وتشجيع البر والنفع العام في أية صورة.

٤- ولن يستشعر أحد العزة والكرامة، ويتذوق طعم الحياة الكريمة إلا إذا شبع بطنه واستغنى عن غيره، وتوفرت له ضروريات حياته، وإلى ذلك نظر الإسلام فلم يهمل المعاني الاقتصادية، ولم يتغافل عن الإصلاح المالي، بل إنه وضع لذلك أفضل القواعد

التي تنمي وحدة الأمة أفرادًا وجماعات، وترفع مستوى المعيشة(١) وتقرب بين الطبقات، وتؤمن الجميع على أنفسهم وذراريهم وأولادهم، وتضمن لهم العدالة الاجتماعية الصحيحة، وتوفر الفرص المتكافئة للجميع على السواء.

لم يحتقر الإسلام المال، ولم يزهد في الثروة، ولم يحرم الطيبات، بل اعتبر المال من نعم الله الواجبة الشكر، وقال النبي ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»(٢)، واستعاذ من العوز(٣) والفقر وقرنه بالكفر فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»(٤)، وحث بعد ذلك على العمل والكسب، واعتبر ذلك قربة إلى الله تؤدي إلى حبه وإلى مثوبته ومغفرته. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب المؤمن المحترف»(٥)، كما قال: «من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورًا له»(٦)، وحرم السؤال والاستجداء لما في ذلك من ذلة وهوان.

ثم أوصى بعد هذا بالمحافظة على هذا المال، والاعتدال في إنفاقه، وابتغاء أفضل السبل به فقال القرآن الكريم: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥]، وقال: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] في كثير من الآيات.

ثم لفت النظر إلى منابع الثروة وأصول طرائق الكسب من التجارة والزراعة والصناعة والثروات الحيوانية والمعدنية والمائية والهوائية والقوى الكونية، وكل ذلك واضح في كتاب الله العلي الكبير، وحث المسلمين على استغلالها وتثميرها والانتفاع بها وعدم الغفلة عنها، وجمع لهم ذلك في إشارة واضحة، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

ثم حرم الكسب الحرام كله الذي يؤدي إلى البغضاء والشحناء وفساد المجتمعات؛

---

(١) الجملة في الأصل وردت هكذا: «وترفع مستوى صوت المعيشة»، وكلمة «صوت» لا معنى لها في الجملة؛ لذا حذفناها.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) العَوْز: الحاجةُ والعُدْم وسُوءُ الحال وضِيقُ الشيء. [تاج العروس، مادة (عوز)].

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

لأن الإسلام حين أراد أن يوفر للفرد وسائل الحياة والرفاهية أراد كذلك أن يوفر للمجتمع حياة التكافل والطمأنينة، ويقضي فيه على فحش الأثرة والأنانية، فحرم الربا وحرم القمار وحرم النصب وحرم الاحتيال، ووضع في ذلك القاعدة المعروفة من تقديم المنفعة العامة على المنفعة الخاصة دائمًا، فإذا تعارضت حقوق الفرد مع حقوق الجماعة أهدرت الحقوق الفردية وعوض عنها أصحابها، وأقيمت حقوق الجماعة بما يوصل إلى الخير العام.

ولم يقف أمر النظام الاقتصادي الإسلامي عند هذا الحد، ولكنه رسم الخطط الأساسية للتقريب بين الطبقات، فانتقص من مال الغني بما يزكيه ويطهره وينقيه ويكسبه القلوب والمحامد، وزهّده في الترف والخيلاء، ورغّبه في الصدقة والإحسان، وأجزل له في ذلك المثوبة والعطاء، وقرر للفقير حقًا معلومًا، وجعله في كفالة الدولة أولاً، وفي كفالة الأقارب ثانيًا، وفي كفالة المجتمع بعد ذلك. ثم قرر بعد هذا صور التعامل النافع للفرد الحافظ للجماعة تقريرًا عجيبًا في دقته وشموله وآثاره ونتائجه، وأقام الضمير الإنساني مهيمنًا عليها من وراء هذه الصور الظاهرية.

كل هذا بعض ما وضع الإسلام من قواعد ينظم بها شأن الحياة الاقتصادية للمؤمنين، وقد فصلت الحياة التقليدية الممسوخة التي يحياها الناس في هذه الأعصار بين الاقتصاد والإسلام، فقمتم أنتم ومن أهدافكم وأغراضكم الإصلاح الاقتصادي بتنمية الثروة القومية وحمايتها، والعمل على رفع مستوى المعيشة، والتقريب بين الطبقات، وتوفير العدالة الاجتماعية، والتأمين الكامل للمواطنين جميعًا، وإقرار الأوضاع التي جاء بها الإسلام في ذلك كله.

٥- وإذا كانت هذه الأهداف جميعًا لا تتحقق إلا في ظل الدولة الصالحة، وقد عرفتنا الأيام ألوان الحكومات التي تقوم على غير النظام الإسلامي، فإذا هي جميعًا لا تزيد الأمر إلا شدة، مع أن دستور البلاد الذي ارتضته نظامًا لنفسها يعلن في المادة (١٤٩) منه: (أن دين الدولة الإسلام، ولغتها الرسمية اللغة العربية)، فكان لابد أن تطالبوا بحق الإسلام في إقامة الحكومة التي ترتكز على أصوله وأحكامه وتعاليمه، وشرط ذلك الحرية والاستقلال الكامل، فكان طبيعيًا أن يكون من أهدافكم -كدعوة إسلامية صحيحة كاملة- تحرير وادي النيل، والبلاد العربية، والوطن الإسلامي بكل أجزائه من كل سلطان أجنبي.

٦- ودعوة الإسلام الحنيف ليست قاصرة على شعب دون شعب، أو قطر دون قطر، فإن الله يقول لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ويقول: ﴿تَبَارَكَ الذي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ويقول: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، وذلك أول أساس روحي وعملي، وضع في هذه الأرض للوحدة العالمية التي يهتف بها الزعماء، وتمهد لها المخترعات، وتتجمع عليها أفكار الأرض، وتتهيأ لها الشعوب والأمم في هذه الأيام، فمن دعوتكم -أيها الإخوة الأحبة- أن تساهموا في السلام العالمي، وفي بناء الحياة الجديدة للناس بإظهارهم على محاسن دينكم، وتجلية مبادئه وتعاليمه لهم، وتقديمها إليهم بعد هذا الظمأ القاسي الذي التهبت به أكبادهم في هذه الحياة المادية الميكانيكية القاسية.

تلك هي مقاصد دعوتكم، وأغراض هيئتكم، كلها من الإسلام الحنيف لا تخرج عنه قيد شعرة، و﴿الْحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

أما وسائلكم إلى هذه الغاية فهي وسائل الدعوة الأولى:

١- نشر الدعوة للتبليغ، وتربية النفوس على هذه التعاليم عمليًا للتكوين.

٢- ووضع المناهج الصالحة في شئون الحياة للتوجيه، والتقدم إلى الأمة[1] والهيئات النيابية والتنفيذية والدولية للتنفيذ.

٣- وفي أثناء ذلك من مهمتكم إسداء الخير والمعروف للناس.

هكذا كنتم منذ وضع الأساس الأول لدعوتكم في شهر ذي القعدة ١٣٤٧ الهجرية، ١٩٢٨ الميلادية، وعلى هذا ظللتم وثبتم وستظلون وتثبتون حتى يحقق الله وعده إن شاء الله.

وصفنا:

وسيقول الناس: ما معنى هذا وما أنتم أيها الإخوان؟ إننا لم نفهمكم بعد، فأفهمونا أنفسكم، وضعوا لأنفسكم عنوانًا نعرفكم به كما تعرف الهيئات بالعناوين.

هل أنتم طريقة صوفية؟ أم جمعية خيرية؟ أم مؤسسة اجتماعية؟ أم حزب سياسي؟

(١) في الأصل: «الأئمة».

كونوا واحدًا من هذه الأسماء والمسميات لنعرفكم بأسمائكم وصفتكم.

فقولوا لهؤلاء المتسائلين: نحن دعوة القرآن الحق الشاملة الجامعة:

- طريقة صوفية نقية: لإصلاح النفوس، وتطهير الأرواح، وجمع القلوب على الله العلي الكبير.

- وجمعية خيرية نافعة تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتواسي المكروب، وتبر بالسائل والمحروم، وتصلح بين المتخاصمين.

- ومؤسسة اجتماعية قائمة: تحارب الجهل والفقر والمرض والرذيلة في أية صورة من الصور.

- وحزب سياسي نظيف يجمع الكلمة ويبرأ من الغرض ويحدد الغاية ويحسن القيادة والتوجيه.

وقد يقولون بعد هذا كله: لازلتم غامضين. فأجيبوهم: لأنه ليس في يدكم مفتاح النور الذي تبصروننا على ضوئه.

نحن الإسلام -أيها الناس- فمن فهمه على وجهه الصحيح فقد عرفنا كما يعرف نفسه، فافهموا الإسلام أو قولوا عنا بعد ذلك ما تريدون!

نحن ووزارة الشئون الاجتماعية:

أيها الإخوة الأحبة:

على هذا الوضع الواضح الكريم نشأت دعوتكم ودرجت، ثم أنشئت خلال ذلك وزارة الشئون الاجتماعية، وكان من مهمتها تنشيط أعمال البر، وتشجيع الهيئات الشعبية والجمعيات الخيرية وإعانتها ماديًا وأدبيًا على ما هي بسبيله من عمل الخير، ورأينا أن لا مانع من أن نتعاون معها في ذلك في الناحية التي تخصها من نشاطنا، واتصلنا بها على هذا الأساس، وأذنّا لشعب الإخوان أن تتصل بها كذلك.

ومن الإنصاف أن نقول: إننا استفدنا من هذا التعاون ماديًا بهذه الإعانات التي قدمت للمركز العام وللشعب، وإن كانت قليلة ضئيلة، فقد قررت الوزارة للمركز العام منذ أربع سنوات ١٥٠ جنيهًا ثم رفعتها في السنة التي تليها إلى ٤٠٠ جنيه، واستمرت على ذلك إلى الآن.

كما قدمت لبعض الشعب مبالغ سنوية تتراوح بين ٢٤ جنيهًا و ١٠٠ جنيه مصري، ولم تزد هذه الشعب في سنة من السنين على العشرين من كل شعب الإخوان المسلمين.

كما استفدنا أدبيًّا بهذا التفاهم مع قسم الجمعيات بالوزارة، والانتفاع بملاحظات مفتشيه، ولقد كنا نظن أن هذه الإعانات المالية تصرف من خزينة الدولة العامة، ولكننا علمنا بمناسبة نشر قرار من قرارات مجلس الوزراء في الجرائد أن مورد هذه الإعانات هو من: ضريبة الملاهي، ودخل القمار، واليانصيب، والسباق، والمراهنات، فعجبنا لذلك وكتبنا توًّا إلى معالي الوزير[1] نستفسر عن موارد هذه الإعانات، ونعلن أنها إذا كانت قاصرة على هذه النواحي الخبيثة فإننا نرفضها بتاتًا -باسم المركز العام وشعبه- استنكارًا لها وتمشيًا مع أغراض الدعوة التي من أهمها القضاء على تلك المنكرات، فكتبت إلينا الوزارة بأن هناك موردًا آخر هو ضريبة البر على التلغرافات والتليفونات وتذاكر سكة الحديد التي تبلغ ٨٢ ألفًا من الجنيهات، فكتبنا مرة ثانية بأن الإخوان لا مانع عندهم من أن تكون إعاناتهم من هذا المورد، وبأنهم ينصحون للوزارة بأن تطهر موارد الدولة من هذه الخبائث، وتنقذ الأمة من أضرار هذه الموبقات.

واستمرت صلتنا بوزارة الشئون على هذا النحو من التفاهم والتعاون إلى الآن، حتى صدر القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥م الخاص بتنظيم الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية، والتبرع للوجوه الخيرية، وفيه تحديد لمعنى الجمعية والمؤسسة، وبتطبيق هذا التحديد على هيئة الإخوان المسلمين نراه لا ينطبق عليها بحال، فلا هي جمعية خيرية، ولا هي مؤسسة اجتماعية، وإن كانت تعمل الخير وتخدم المجتمع، فإنها تعتمد في ذلك أولاً على مال أعضائها وعلى ميزانيتها الخاصة لا على ما يجمع من الجمهور.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا ليس هو كل أغراضها ولم تنشأ له خاصة. ولسنا نأبى أن نتعاون مع وزارة الشئون في الخير وخدمة الناس، فإننا نرحب بذلك ونوده، ولكننا نريد أن توضع الأمور في وضعها الصحيح، وألا نضع أنفسنا ودعوتنا التي وقفنا لها الدم والمال والحياة والأبناء -وهي عندنا أمل الآمال- في موضع يغل يدها، ويحول بينها وبين العمل لتحقيق أغراضها والوصول إلى أهدافها.

هل يتوهم إنسان أن دعوة الإخوان وجماعتهم تكون في عرف القانون ومنطق الأوضاع السليمة الصحيحة -وهي الهيئة التي تعمل لتنشر في الدنيا دعوة القرآن، وتحيي

---

(١) هو عبد المجيد بدر بك.

أمته، وتقيم دولته، وتواجه الدنيا بتعاليمه لينعم الناس في ظله بما يحلمون به من سعادة وسلام، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، هذه الهيئة أيها الإخوان وهذا مقصدها- هل يتوهم أحد أن تكون في عرف القانون، وفي منطق الأوضاع كجماعة لتكفين موتى الفقراء؟ وجماعة قطرة الحليب؟ وجماعة أنصار الإحسان؟ وعلم الله أننا لا نستصغر ناحية من نواحي البر، ولا ننتقص عملاً من أعمال الخير مهما كان، ولكن لكل مقام مقال.

لهذا رأى مكتب الإرشاد أن يعدل النظام الأساسي تعديلاً يوضح أهداف الدعوة ووسائلها وضوحًا ينص على انفصال ناحيتي البر والرياضة في إدارتهما وحساباتهما عن الهيئات الرئيسية لهما تسهيلاً لمهمة التعاون مع وزارة الشئون الاجتماعية -إن شاءت- من جهة، ومع كل الهيئات التي تعمل لهاتين الناحيتين من جهة أخرى. وسيعرض عليكم مشروع التعديل، وقرار المكتب في هذا الشأن كله في نهاية هذا الاجتماع، ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

ثانيًا: حقوقنا الوطنية

أما فيما يتعلق بالأمر الثاني الذي اجتمعتم من أجله، وهو التذكير بالحقوق الوطنية لوادي النيل وللعالم الإسلامي، وتبيين طرق العمل لإحقاقها والوصول إليها؛ فاسمعوا أيها الإخوان:

الشعور بالتبعة:

تأكدوا أن واجبكم أنتم في ذلك كأفراد وهيئة من أثقل الواجبات، وأن تبعتكم من أعظم التبعات، وأنكم في ذلك تطالبون بأكثر مما يطالب به الناس، وتحملون منه أكثر مما يحملون، فلقد أراد الله أن تستيقظوا حين كان يغطّ[1] غيركم في نومه، وأن تؤمنوا حين كان يهيم[2] سواكم في شكه، وأن تأملوا حين تغشت[3] الناس سحابة اليأس، وأن

---

(١) غطّه في الماء يَغُطُّه ويَغِطُّه غطًّا: غطّسه وغمّسه. وغطيطُ النائمِ والمخنوقِ: نخيرُه. والنخيرُ: صوتٌ بالأنف. [اللسان، مادة (غطط)- والصحاح، مادة (نخر)].

(٢) الهائمُ: المتحيّرُ. ويقال: هامَ في الأمر يَهيم: إذا تحيّر فيه. [اللسان، مادة (هيم)].

(٣) غشّيْت الشيء تَغْشية إذا غطّيْته. [اللسان، مادة (غشا)].

تتجمعوا وقد تشققت العصا واختلف أمر الهيئات والأحزاب، وأن يلتف الناس حولكم، وتنتهي الثقة إليكم، ويحف[١] الأمل بكم حين فقد الناس أملهم وثقتهم، وكاد كل واحد يشك حتى في نفسه.

ويظهر الله أمركم فلم يقف عند حدود مصر والسودان، بل جاوزها إلى غيرها من الأقطار والبلدان، ويشاء الله لكم بعد هذا أن تمر بكم عواصف هذه الحرب الضروس ست سنوات كاملة، فتمزق من غيركم في الداخل والخارج ما شاء الله لها أن تمزق، ولكنها تمر بكم أنتم مرًّا رفيقًا رقيقًا يُقوي ولا يُضعِف، ويثبت ولا يزعزع، وينبه ولا يوهن، ويزيدكم بنصر الله إيمانًا وبرعايته ثقة؛ لأنكم بكلمته تنطقون، ولدعوته تعملون، فأنتم لذلك على عينه تصنعون ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

ومن هنا كان واجبكم أكبر الواجبات، وكانت تبعتكم أثقل التبعات.

انتهاز الفرصة:

ثم تأكدوا بعد ذلك أنها الفرصة السانحة التي لا تعوض، وماذا تنتظرون بعد ذلك؟ وقد انتهت هذه الحرب الضروس وخرج منها الحلفاء[٢] بنصر لم يكونوا يتوقعونه، وسلم لهم أعداؤهم بغير قيد ولا شرط، وعرفت حكوماتهم وهيئاتهم وشعوبهم قيمة الوقت، فلم يضيعوه سدى، ولم ينفقوه هباء في الجدل الفارغ والخصومة القاتلة والنوم العميق، ولكنهم كانوا يحاربون ويرتبون، حتى إذا وضعت الحرب أوزارها، كان مؤتمر سان فرانسسكو[٣]، ومؤتمر بوتسدام[٤]، ومؤتمر وزراء الخارجية في لندن[٥]، ولم تبق عليه إلا ليال وأيام، وفي خلال ذلك مقابلات واجتماعات وتصريحات وقرارات، وخطب ومقالات، وحكومات إثر حكومات، وهكذا تسير الدول الكبرى، وتتأهل الدول الأخرى في سرعة ويقظة واهتمام، وتقرر مصائر العالم، ويحدد مستقبل الأمم والشعوب

---

(١) حَفَّ القومُ بالشيء وحَوالَيْه: أَحْدَقُوا به وأطافُوا به وعَكَفوا واسْتَداروا. [السابق، مادة (حفف)].

(٢) قوات الحلفاء هي جيوش بقية دول العالم التي شاركت في الحرب العالمية الثانية عدا دول المحور.

(٣) مؤتمر سان فرانسيسكو: في ٢٥ نيسان/ أبريل ١٩٤٥م، والذي وقعت فيه الاتفاقية الدولية المنشئة للأمم المتحدة.

(٤) مؤتمر بوتسدام (Potsdam): عقد هذا المؤتمر في بوتسدام في تموز عام ١٩٤٥م، وهو المؤتمر الذي استسلمت فيه ألمانيا واليابان، لشروط الحلفاء بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بانتصار الحلفاء.

(٥) انعقد هذا المؤتمر في ١١ سبتمبر ١٩٤٥م.

في هذه الساعات الفاصلة في تاريخ الناس، وإذا وقع الأمر فقلما يتغير إلا بالمجهود العنيف والدأب المخيف، فما الذي تنتظرون، والأمر أمركم، وأنتم موضع البحث والتقرير؟ وعلى مصالحكم يشتد الجدل والخلاف، وإليها تتجه المطامع والآمال، أفلا ترون بعد هذا كله أنها ساعات لها ما بعدها، بل إنها أحرج الساعات في تاريخنا الحديث؟

بين الوطنية والاجتماع:

قال لي أحد أصدقاء الإخوان الذين لا يتهمون في رأي ولا في نصيحة منذ أيام قلائل: أليس الأروح[1] للإخوان، والأجدى على الوطن أن تشتغل هيئة الإخوان بالأغراض الأدبية والاجتماعية والاقتصادية من برنامجها -وهي من الإسلام أيضًا- وتدع الناحية القومية أو الوطنية، أو السياسية بعبارة أخرى لسواها من الهيئات حتى لا يتعرض للعواصف القاسية هذا البناء العالي الذي أصبح للغيورين أملاً، وفي تاريخ هذه النهضة عملاً؟

فقلت له في صراحة وإخلاص وتأثر: والله يا أخي إني لأشاركك هذا الرأي، وأجد في أعماق نفسي هذا الشعور قويًا عميقًا، وأكره أشد الكراهية ما يصحب هذا النضال من مظاهر وآثار في النفوس وفي الصلات، وما يجر إليه من نواحي الشهرة والجاه الكاذب الذي يلهي الناس عن الحقائق والواجبات، وكم كنت أتمنى أن تكون الظروف معي ومعك، وأن تدع لنا الحوادث من الوقت ما يتسع لهذا الذي تحب وأحب، وليس ذلك عن حب للراحة أو إيثارًا للدعة[2]، ولكن الأمور هي كما ترى الآن:

الدول الكبرى -وقد خرجت منتصرة- تعمل جاهدة ليل نهار، وتحاول بل تتعمد أن تتغافل عن حقوقنا، وأن تنسى ما بذلت لنا من عهود ومواثيق، والوقت يمر مر السحاب.

والهيئات السياسية عندنا قد غفلت عن هذا الواجب، واشتغلت عنه بما تقرأ في صحفها وجرائدها من تنابز بالألقاب، وتخاصم على الأسلاب[3]، على أن الحوادث قد أعانت ذوي الأغراض على أن يفرقوا وحدتها، ويفضوا الناس عنها، ويظهروا رجالها

---

(١) الرَّوْحُ والراحَةُ من الاستراحة. [الصحاح، مادة (روح)].

(٢) في الأصل: «البدعة».

(٣) السَّلَبُ: ما يُسْلَبُ، أي: الشيء الذي يَسْلُبُه الإنسانُ من الغَنَائِم، ويَتَوَلَّى عليه. وقيل: ما يُسْلَبُ به. ج أَسْلَابٌ. وكل شيء على الإنسان من اللِّبَاسِ فَهُو سَلَبٌ. [تاج العروس، مادة (سلب)].

أمام الرأي العام بمظهر الملوثين العابثين، ففقد الشعب ثقته بقادته، وخسر القادة الجنود والأنصار ففقدوا هم أيضًا الثقة بأنفسهم والثقة بحقهم.

والشعور الوطني كما ترى في ثورة وقوة وحماس، وبخاصة في هذا النفر من الشباب المثقف، وإن لم يكن في هذا الشعب كله الذي ألح عليه الفقر، وأمضه[1] الجوع والعري، وأكل منه الغلاء والجهد، وما لم تقده أيد حكيمة، وتصرفه عقول مجربة، فقد يسير في طريق لا تؤدي إلى نجاح، ولا تصل إلى غاية.

وإلى جانب هذا الشعور الوطني هذا التهيؤ من جانب الأمة العربية، وما جاورها من أمم الإسلام للوحدة والاجتماع، والرغبة في تنسيق الجهود والأعمال، وليست هيئة من الهيئات أقرب إلى قلوب هذه الشعوب وأقدر على الظهور في هذا الميدان من الإخوان.

كل ذلك -يا أخي- جعلنا وقد قضينا سبعة عشر عامًا في الإعداد والاستعداد، وأفهمنا الناس فيها الأمر على حقيقته، من أن السياسة والحرية والعزة من أوامر القرآن، وأن حب الأوطان من الإيمان، ولم يتبق بعد هيئة من الهيئات على وحدتها وثقة الناس بها وأملهم فيها إلا الإخوان، كل ذلك -يا أخي- جعلني أشعر شعورًا قد ارتقى إلى مرتبة الاعتقاد أننا لم يعد لنا الخيار، وأن من واجبنا الآن أن نقود هذه النفوس الحائرة، ونرشد هذه المشاعر الثائرة، ونخطو هذه الخطوة، والله المستعان.

على أن هناك نظرة أخرى ليست بأقل مما تقدم أهمية. ألست ترى -يا أخي- أن أهم عوامل الفساد والإفساد لحياة هذا الشعب المصري، وغيره من الشعوب العربية والإسلامية، هذا التدخل والتحكم الأجنبي الذي أفقدنا عزتنا، ووجهنا غير وجهتنا، وبدل أوضاع حياتنا، وضحك علينا بالقشور، وصرفنا عن اللباب، ثم هذا الضعف المتناهي من هذه الحكومات الذي جعل من نفسها أداة طيعة، إن لم تكن مسرعة في يد الأجنبي يتحكم بها في رقاب الناس كما يشاء، وينفذ بها مطالبه وخططه كما يريد سافرًا أو متسترًا؟

أولست ترى أن أول باب للإصلاح أن نجاهد هذين المظهرين، وأن يتحرر الناس من هذين النيرين، وإلا فكل مجهود إلى ضياع، وقد جربنا ذلك في أنفسنا وفي غيرنا، ولمسناه

---

(١) المَضُّ: الحُرْقةُ، مَضَّنِي الهَمُّ والحُزْنُ والقول يَمُضُّني مَضًّا ومَضِيضًا: أَحْرَقَني وشقّ عليَّ. والهمُّ يَمُضُّ القلبَ، أي: يُحْرِقُه. ومَضَّني الجُرح وأَمَضَّني إِمْضاضًا: آلَمَني وأَوْجَعَني. [اللسان، مادة (مضض)]

وعرفناه، فإذا لم ندخل على القوم الباب في هذه الفترة من الزمن فمتى إذن؟

والله -يا أخي- لو كنا أمة مستقلة تصرف أمورها حكومة يقظة لكان في كل غرض من أغراض دعوتنا على حدة متسع لكل أوقاتنا ومجهوداتنا، فهذا الغرض العلمي من شرح دعوة الإسلام والكشف عما فيها من روعة وجمال، وهذا الغرض الاجتماعي من مواساة المنكوبين ومعاونة البائسين، وهذا الغرض الاقتصادي من استنقاذ[1] الثروة القومية وتنميتها وحمايتها، كل غرض من هذه الأغراض يستغرق أضعاف وقتنا، ويستنفد أمثال جهودنا، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه[2]، و﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وفي مثل هذه الساعات الهامة الفاصلة يكون هذا الجهاد الوطني فرضًا عينيًّا على كل الأفراد والهيئات.

فقال ذلك الصديق الأخ في تأثر وحماس: صدقت، سيروا على بركة الله، والله معكم.

أيها الإخوة الفضلاء:

تأكدوا كذلك أن لبلادنا حقوقًا وطنية ومطالب قومية لم تنلها بعد، ولا فائدة من ذكر العوامل التاريخية والحوادث التي أدت إلى انتقاص هذه الحقوق واغتصابها، ولكن الذي يفيد ويجدي أن نؤمن إيمانًا قويًا جارفًا بهذه الحقوق، وأن نجاهد جهادًا دائبا عنيفًا في سبيل تخليصها والوصول إليها، وبالإيمان والجهاد والأمل والعمل ننتصر ونصل -إن شاء الله- وما ضاع حق وراءه مطالب.

ونحن حين نؤمن ونجاهد لا نعتمد في جهادنا على قوة السلاح وكثرة الجيوش والأساطيل، فنحن نعلم أننا عزل من ذلك كله، ونشعر أعمق الشعور بما يكبل أيدينا وأرجلنا من القيود والأغلال الثقال، وحسب العالم ما قاسى من الاعتماد على القوة

---

(١) في الأصل: «استنفاذ».

(٢) جزء من بيت للمتنبي من بحر البسيط، من قصيدته التي مطلعها:

بِمَ التَّعَلُّلُ لا أهلٌ وَلا وَطَنُ ... وَلا نَديمٌ وَلا كَأسٌ وَلا سَكَنُ

وتمامه:

ما كُلُّ ما يَتَمَنّى المَرءُ يُدرِكُهُ ... تَجري الرِّياحُ بِما لا تَشتَهي السُّفُنُ

ونبذ القانون وإهمال قواعد العدالة والإنصاف، ولكنّا نعتمد على أن هذا هو حقنا الطبيعي الذي لا ينكره علينا إلا جاحد أو مكابر، فلسنا أمة بدائية تحتاج إلى الرعاية والوصاية والتوجيه، ولكنا أمة ورثت أمجد الحضارات، وأعرق المدنيات، وأنارت الدنيا بالعلم والمعرفة حين لم تكن هذه الأمم الحديثة تدري من أمر الوجود شيئًا.

ونعتمد على أننا ساهمنا في المجهود الحربي بأموالنا ودمائنا وأبنائنا وأرضنا ومواصلاتنا وأقواتنا وكل مرافق حياتنا، وعرضنا كل شيء للخطر الداهم، ووقفنا إلى جانب الأمم المتحدة وقفات كان لها أثرها في هذا النصر ولا شك، ولم نشأ أن نساوم في ساعة العسرة على حق من حقوقنا، أو نثير مطلبًا من مطالبنا، ولكنا تركنا ذلك كله وديعة بين يدي الضمير الإنساني العالمي، معتمدين على نبل حلفائنا وصدق وعودهم.

ونعتمد على هذه العهود والمواثيق التي قطعها الحلفاء على أنفسهم، ومنها ميثاق الأطلنطي[1]، وتلك التصريحات والخطب، والكلمات والنشرات التي أعلنوا فيها شعوبًا وحكومات، أنهم يحاربون في سبيل العدالة والتحرير، ويريدون نصرة المظلومين، وإنقاذ البشرية من العبودية والاستبداد، وإنشاء عالم جديد يقوم على التعاون وكفالة الحريات والقانون والإنصاف.

ونعتمد كذلك على التطور في التفكير العالمي، وهذه اليقظة في الضمير الإنساني، ويا ويح[2] الدنيا إذا كانت ستسودها وتصرفها من جديد الأفكار الرجعية، وتتحكم فيها المطامع الاستعمارية، وإذا كانت الدول المنتصرة تظن أن في استطاعتها أن تقود الدنيا من جديد بالحديد والنار، فما أبعد هذا الظن وأعرقه في الوهم والخيال، فإن موجة اليقظة التي أحدثتها هذه الهزات العنيفة لا يمكن أن يقف تيارها حتى يصل إلى غايته ويبلغ مداه، ولن يستقر بعد اليوم في الأرض السلام إلا إذا أدركت الدول الكبرى هذه الحقيقة، واعترفت لغيرها من الأمم والشعوب بحقها[3] في الحياة والحرية والاستقلال.

ولسنا من الغفلة وضعف الإدراك بحيث نعتقد أن في وسعنا أن نعيش بمعزل عن

---

(١) ميثاق الأطلنطي بين الولايات المتحدة وإنجلترا لاحترام حرية الشعوب وحقها في اختيار أنظمة الحكم التي تلائمها، وإقامة السلام، وذلك في ١٤/ ٨/ ١٩٤١م.

(٢) وَيْحٌ: كلمة تَرَحُّم وتَوَجُّع، وقد يقال بمعنى المدح والعجب [لسان العرب، مادة (ويح)].

(٣) في الأصل: «بحقه».

الناس، وبمنأى عن الوحدة العالمية التي يتهيأ لها أهل الأرض جميعًا، والتي انطلق من حناجرنا نحن المسلمين أول صوت يهتف بها، ويدعو إليها، ويتلو آيات الرحمة والسلام ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ولكنا ندرك أن الدنيا لم تكن في حاجة إلى التعاون وتبادل المصالح والمنافع في يوم من الأيام كما هي في حاجة إلى ذلك الآن، ونحن على استعداد لمناصرة هذا التعاون وتحقيقه، في ظل مثل عليا فاضلة، تضمن الحقوق، وتصون الحريات، ويأخذ معها القوي بيد الضعيف حتى ينهض.

[مطالبنا](١)

ونحن حين نطالب بحقنا لا نغالي ولا نتعسف، ولا نريد علوًّا في الأرض ولا فسادًا، ولكنا نقف عند الحق الطبيعي الذي لا يمكن أن يحيا بدونه فرد أو شعب حياة عزيزة كريمة.

فنحن نطلب:

أولاً: لوادي النيل

١ - **أن تجلو عنه الجنود الأجنبية**: فلا يكون هناك جيش احتلال في أية بقعة من بقاعه، وماذا تغني هذه الفئة القليلة من الجنود إذا فقدت الثقة وفسدت العلاقات؟ إن كسب القلوب وإرضاء النفوس والاعتراف بالحقوق هو أضمن وسيلة لتبادل المنافع والمحافظة على المصالح.

٢ - **وأن ترفع هذه القيود والأغلال** التي فرضت على تجارتنا وزراعتنا وصناعتنا إبان الحرب وقبل الحرب، والتي قبلناها مساهمة منا في المجهود الحربي، وأن تلاحظ الدول الأجنبية أننا أمة يتكاثر عددها باضطراد، وتضيق بها أرضها وموارد ثروتها، وأنه ليس من العدل أن يأخذ الأجنبي كل شيء ويحرم الوطن كل شيء أيضًا، إننا لا نكره الأجانب، ولا نريد أن نقطع صلات التعاون بيننا وبينهم، ونحن نعلم تمامًا أننا لا نستغني عن رءوس أموالهم وعن خبرتهم الفنية، ولكنا لا نريد كذلك أن يكون هذا التعاون على قاعدة أن لهم الغنم وعلينا الغرم. والواجب أن تقدر كل هذه العوامل الاجتماعية والاقتصادية.

---

(١) ليست في الأصل، ولكن وضعناها لحسن التقسيم.

إن عددنا يكثر ومستوى المعيشة عندنا أقل منه في أية أمة من الأمم الراقية، فأكثر من نصف المصريين يعيش أقل من عيشة الحيوان، ومع هذا يفكر الأجانب في الهجرة إلى أرضنا، وفي تقييد حريتنا في التصدير والاستيراد والتجارة والزراعة والنقد، ولا ينتج ذلك كله إلا حرج الصدور، وإثارة الشعور، والضغط الشديد يولد الانفجار.

٣ - وقناة السويس: أرض مصرية حفرت بدماء مصر، وجهود أبنائها، فيجب أن يكون لمصر حق الإشراف عليها وحمايتها وتنظيم شأنها، ولقد قارب أمد امتيازها الانتهاء، وتفكر بعض الدول في التدخل في شأنها، ويشاع أنها قد اشترت عددًا كبيرًا من أسهمها.

إنَّ مصير هذه القناة إلينا بعد عدد قليل من السنين، ومن واجبنا أن نتنبه لذلك من الآن، وأن نطالب بزيادة عدد الموظفين من المصريين في الأقسام المختلفة، وبخاصة الأقسام الفنية التي تحتاج إلى دراية ومران. يجب أن نستعد للمستقبل، وألا ننتظر الحوادث حتى تفاجئنا ونحن على غير استعداد. ويجب أن تعترف لنا الدول بهذا الحق الثابت وتقرنا عليه.

٤ - والسودان: لا نقول: إننا نطالب بحق مصر فيه فليس لمصر حقوق في السودان، ولكن السودان جزء من الوطن فهو مصر الجنوبية، ومصر هي السودان الشمالي، وكلاهما وادي النيل، هذا كلام نريد أن يكون مفهومًا جيدًا للدول الأجنبية كلها عامة، ولإخواننا ومواطنينا أبناء السودان خاصة.

إنَّ النيل الذي تتوقف عليه حياة مصر أرضًا ونباتًا وحيوانًا وأناسًا إنما ينحدر إليها من السودان، ومن مائه ومن طميه تكونت أرض الجنوب كما نشأت أرض الشمال، ومنها نبتت هذه الجسوم وجرت هذه الدماء، فنحن -أيها الإخوة السودانيون- من ماء واحد وطينة واحدة، وإذا قال لكم قائل: إن مصر تريد أن تستعمركم لتستغل أرضكم وتستعلي عليكم وتستطيل بالسلطان في أرضكم. فقولوا: إنها فرية كاذبة، نحن نريد السودان جزءًا من مصر، كما أن مصر جزء منه، للسوداني ما للمصري من حقوق، وعليه ما عليه من واجبات. إذا فتحت المدارس في مصر فتح مثلها في السودان، وإذا أنشئت المحاكم في الشمال أنشئت كذلك في الجنوب، وتتوحد الجنسية، ويتوحد القانون،

ويتوحد كل شيء في مظاهر الحياة الاجتماعية في جزأي الوطن الواحد وادي النيل.

وإذا كان المغرضون قد استطاعوا أن يصوروا الأمور على غير وضعها الصحيح، فإن ذلك الباطل لا يغني من الحق شيئًا. لقد عملت الدعاية الأجنبية عملها في السودان، ولكن إخواننا السودانيين مؤمنون وأذكياء، وهم يشعرون تمامًا أن ما يجدونه الآن من ملاطفة ولين موقوت إلى حين، ثم بعد ذلك ينكشف الاستعمار عن الاستعمار، ويتحقق لهم قول الله العلي الكبير: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

ولقد حاولت الإدارة السودانية أن تفصل السودان الجنوبي عن السودان الشمالي فصلاً تامًا، والسودان الجنوبي هو منبع الثروة ومستقرها في السودان كله؛ فهو موضع الغابات، ومرعى الحيوان، ومستقر المعادن، ولقد حجبته الحكومة عن أهل السودان الشمالي، وضربت عليه نطاقًا من المراقبة الشديدة، وحرمت الذهاب إليه حتى على التجار من السودانيين أنفسهم، وأطلقت فيه الدعاية التبشيرية من مختلف الإرساليات، وجعلته نهبًا مقسمًا بينها، ومع هذا كله فلا زال الإسلام يشق طريقه إليه، والله غالبٌ على أمره.

ومن الغريب أن حكومة مصر لا تهتم لكثير مما يقع في السودان، ولا تخطو خطوة إيجابية في سبيله، ولكنا لن نسكت على هذا الحال. ونعتقد أن الهيئات السودانية التي تطالب بغير الوحدة التامة مع مصر -إن وجدت هذه[1] الهيئات- لو علمت هذا الوضع الصحيح الذي نعلنه ونؤمن به ونعمل على أساسه لبادرت بأسرع ما يمكن لإعلان هذا الرأي وتقريره، فإن مصر إذا كانت تحتاج السودان لتطمئن على ماء النيل وهو حياتها، فإن السودان أحوج ما يكون إلى مصر في كل مقومات الحياة كذلك، وكلاهما جزء يتمم الآخر ولا شك، وذلك فضلاً عن وحدة اللغة والدين والمشاعر والمظاهر والأنساب والدماء. وسنظل نطالب بهذا الحق ونستمسك به حتى نصل إليه إن شاء الله؛ لأنه حق والحق لابد أن يعلو ويظهر، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء:١٨].

---

(١) في الأصل: «هي»، وهي لا تؤدي المعنى المطلوب.

برقة وطرابلس:

٥ - **ونريد بعد ذلك تأمينًا لحدودنا:** حدودنا الغربية، لا بأن نحتل برقة، ولا بأن نستعمر طرابلس، فنحن أكرم على أنفسنا والحق أكرم علينا من أن نذهب هذا المذهب الظالم، ولكنا إنما نأمن على حدودنا الغربية يوم تسلم ليبيا لأهلها العرب الذين جاهدوا في سبيلها عشرات السنين جهاد الأبطال، وكان ختام ذلك أن اشترك جيشهم الحديث في الحرب جنبًا إلى جنب مع جنود الحلفاء، وتقوم فيها حكومة عربية مستقلة، وتظل وطنًا موحدًا حرًّا مستقلاً، وإذا كانت إنجلترا قد حررت الحبشة من نير الاستعمار الإيطالي، ثم سلمتها إلى إمبراطورها[1] مملكة مستقلة موحدة، فإن من واجبها أن تفعل ذلك في ليبيا، وليس جهادها في سبيل حريتها بأقل من جهاد الحبشة. وليس للتفريق بينهما في المعاملة إلا تأويل واحد هو أن روح التعصب للمسيحية على الإسلام لا زالت تتحكم في نفوس بعض الدول الغربية الراقية حتى في القرن العشرين، ومع هذا يقال: إننا نحن المتعصبون، وإلى الله المشتكى، وليس في الدنيا أبلغ في الاستهتار بكرامة العرب والمسلمين من أن يقال: إن هناك تفكيرًا من بعض الدول في إعادة المستعمرات الإيطالية إلى إيطاليا!! هذا عجيب ومدهش حقًا.. إيطاليا العدو المحارب ترد إليها حريتها ومستعمراتها، والعرب الحلفاء المجاهدون يستعبد وطنهم ويُسْلمهم[2] حلفاؤهم رغم المواثيق والعهود، ويريد الناس بعد ذلك أن يستقر في الأرض أمن وسلام!!

وقريب من هذا ما يشاع من أن طرابلس ستكون لإيطاليا تحت إشراف هيئة دولية، وأن ساحل برقة سيعطى لليونان، وأن صحراء ليبيا ستكون للعرب تحت انتداب ثنائي مصري إنجليزي معًا! ما هذا أيها المنتصرون؟ ما شأن اليونان بساحل برقة، وأي غفلة هذه تغشى عقول المصريين ليتقدموا إلى صحراء قاحلة تستنزف الدم والجهد والمال ليعمروها ثم يتركوها؟ وأي ذليل يرضى بأن يحكم كثبانًا من الرمال تحت سلطان الانتداب والاحتلال.. وهل ترضى اليونان بهذا العدوان؟ وهل نسيت درس احتلال الأناضول من قبل؟ وإذا كان قد ذهب مصطفى كمال، فإن الله قادر على أن يأتيهم بألف من مثله.

والليالي من الزمان حبالى ... مثقلات يلدن كل عجيبة[3]

---

(١) هو هيلا سلاسي الأول [١٨٩٢- ١٩٧٥م].

(٢) أي: خذلهم وأهملهم. [المعجم الوجيز، ص(٣١٩)].

(٣) البيت لقاسم الكستي، وهو من الخفيف.

نحن نريد أن تؤمن حدودنا الغربية باستقلال ليبيا ووحدتها، وقيام حكومة عربية صديقة فيها، ورد ما أخذ منا ظلمًا وعدوانًا [فتعود إلينا][1] جغبوب[2] مصرية كما كانت من قبل.

وفلسطين أيضًا:

كما نريد أن تؤمن حدودنا الشرقية بحل قضية فلسطين حلاً يحقق وجهة النظر العربية أيضًا، ويحول دون تغلب اليهود على مرافق هذه البلاد. إن مصر والعالم العربي والإسلامي كله يفتدي فلسطين، فأما مصر فلأنها حدها الشرقي المتاخم، وأما بلاد العرب فلأن فلسطين قلبها الخافق، وواسطة عقدها، ومركز وحدتها، وهي ضنينة بهذه الوحدة أن تتمزق مهما كانت الظروف، ومهما كلفها ذلك من تضحيات، وأما العالم الإسلامي فلأن في فلسطين أول القبلتين وثاني الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ.

وهذه الحقيقة يجب أن تضعها الدول المتحدة نصب عينها، فصداقة العرب والمسلمين في كفة ومطامع اليهود في فلسطين في الكفة الأخرى، ولعل من خير اليهود أنفسهم أن يصرفوا وجوههم عن هذه الناحية. لا شك في أننا نتألم لمحنة اليهود تألمًا شديدًا، ولكن ليس معنى هذا أن ينصفوا بظلم العرب، وأن ترفع عنهم المحنة بهلاك غيرهم والعدوان عليه، وفي الأرض مندوحة وفي الأوطان متسع، وكل تفكير أو تصريح أو عمل يتنافى مع إنصاف العرب ولا يحقق آمالهم في فلسطين لا يكون من ورائه إلا الإثارة والإحراج.

نحن نطالب بهذا؛ لأنه تأمين لحدودنا، ومصلحة مباشرة لنا، ونطالب به كذلك؛ لأنه حق أمتين عربيتين في الشرق والغرب هم منا ونحن منهم، ولن يفرق بيننا شيء، وما وحده الله لن يستطيع أن يفصله الناس.

اريتريا وزيلع وهرر ومصوع... إلخ:

ونريد بعد ذلك أن نؤمن حدودنا الجنوبية بأن نحفظ حقوقنا في الإريتريا ثم زيلع ومصوع وهرر وأعالي النيل.. تلك المناطق التي اختلط بتربتها دم الفاتح المصري، وعمرتها اليد المصرية، ورفرف في سمائها العلم المصري الخفاق. ثم اغتصبت من جسم

---

(١) في الأصل: «إلينا فتعود».

(٢) تقع على مسافة ٢١٣كيلومتر جنوب غرب السلوم، وحوالي ١٠٦كيلومترات غرب لا شمال غرب سيوة، وهي واقعة في منخفض مساحته نحو سبعة كيلومترات في ثمانية كيلومترات، ويحدها من الشمال هضبة ليبيا، ومن باقي الجهات تلال رملية طويلة ضمها الاحتلال إلى ليبيا.

الوطن ظلمًا وعدوانًا، وليس هناك اتفاق دولي أو وضع قانوني يجعل الحق فيها لغير مصر، وإن أبى علينا ذلك الناس، ومن واجبنا ألا نتلقى حدود بلدنا عن غيرنا، وأن نرجع في ذلك إلى تاريخنا، ولنرى أي ثمن غال دفعناه من الدماء والأرواح في سبيل تأمين حدودنا، لا لمطامع استعمارية، ولا لمغانم جغرافية، ولكن لضرورات حيوية لا محيص منها، ولا معدى عنها[1]، والفرصة الآن سانحة لتطالب مصر برد ما أخذ منها في غفلة من الزمن وإهمال من الحكومات، وذلك ما نطلب لوادي النيل -أولاً.

ونطلب ثانيًا: للبلاد العربية

أن تثق الدول الكبرى بالجامعة العربية، وأن تفسح لها المجال لتقوى وتنهض، ففي نهضتها وقوتها أكبر عامل يساعد على استقرار السلام والطمأنينة في الشرق العربي، كما يجب أن يعترف لكل أمة عربية بحقها في الحرية والاستقلال الكامل.. فتجلو القوات الأجنبية عن أرض سوريا ولبنان.. وتعدل المعاهدة العراقية بما يحقق وجهة نظر الشعب العراقي ويصدق أملهم في الحلفاء.. ويعترف لشرق الأردن بحقه حتى تقتنع الشعوب الصغيرة بضرورة التجمع في زمن لم تعد تصلح فيه العزلة والانفراد، وتكف الدول الكبرى عن المطامع غير المشروعة في اليمن والحجاز.. هذا في الشرق.

وفي غرب مصر وليبيا خمسة وعشرون مليونًا من المسلمين في تونس والجزائر ومراكش نكبوا بالاستعمار الفرنسي تحت اسم الحماية، أو الفتح الظالم، أو الاحتلال البغيض، وجاهدوا عشرات السنين، وبذلوا في ذلك الضحايا غالية، من الحريات والدماء، فامتلأت بهم السجون والمعتقلات، وسالت بدمائهم الأباطح[2] والأودية، وشرد زعماؤهم وشبابهم المجاهد في كل مكان، وحاول الاستعمار الغاشم أن ينال من دينهم بالتبشير، ومن عروبتهم بالعجمة والتنصير، ومن حريتهم بالضغط والقهر والجبروت، فلم يفد ذلك كله شيئًا، وثبت المجاهدون على جهادهم كالرواسي الشامخات.

وجاءت هذه الحرب الأخيرة وانهزمت فرنسا وانضمت إلى الألمان وتنكرت لحلفائها الأقدمين، واحتل الحلفاء إفريقيا الشمالية، فوجدوا من أبناء هذه الأوطان أعظم المساعدة، واشتركوا معهم اشتراكًا فعليًّا في القتال في إفريقيا وفي إيطاليا وفي حملة فرنسا، وثبتوا معهم في أعنف المواقع، وفي أحرج الساعات، وهل كان جيش فرنسا الحرة إلا

---

(١) ما لي عن فلان مَعْدًى، أي: لا تَجاوُز لي إلى غيره. [الصحاح، مادة (عدا)].

(٢) الأَبْطَحُ: مَسِيلٌ واسِعٌ فيه دِقاقُ الحَصى. والجمع: الأَباطِحُ والبِطاحُ. [السابق، مادة (بطح)].

هؤلاء الأبطال البواسل من أبناء المغرب الشهيد، وقد اعترف بذلك المستر تشرشل، وأثنى على بطولة هؤلاء المجاهدين أطيب الثناء، وانتهت الحرب فلم تتورع فرنسا -وهي لم[1] تنس بعد وقع أقدام المحتلين- عن أن تدك المدن والقرى بقذائف الطائرات، وأن تقتل في الجزائر في ثورة واحدة أربعين ألفًا من المدنيين، وأن تقضي على خمس وأربعين قرية عامرة، ولا ذنب لهؤلاء جميعًا إلا أنهم أرادوا أن يحقق الحلفاء وعودهم فقاموا يطلبون الحرية والاستقلال، وهما الحق الطبيعي لهم. وتريد فرنسا المنهارة أن تذر[2] في عيون الناس الرماد، فتدعي أنها ثورة خبز وطعام، وتزعم لنفسها حقوقًا موهومة إن بررتها غفلة العرب والمسلمين في الماضي فقد مضى ذلك الأوان، وستتلاحق الثورات ويتنفس البركان، وها هي مراكش تشتعل نارًا وجحيمًا، ولا يقل عنها صدر الجزائر وتونس لهبًا وحميمًا، وليس على هذه المشاعر يبنى السلام أو يستقر الأمن والاطمئنان، فنحن نطلب لكل هذه الأوطان وهي قطع من قلب وطننا العربي الكبير أن تنال حقها، وأن تنضم انضمامًا فعليًا إلى جامعة الأمم العربية، وإذا كان هناك استفتاء لشكل الحكومة التي يجب أن تكون[3] في هذه البلاد، فلابد أن يكون هذا الاستفتاء بإشراف مجلس الجامعة، وأن تمثل فيه الدول العربية المستقلة على الأقل.

ثالثًا: ونطلب للبلاد الإسلامية والأقليات[4] الإسلامية

أن تتحرر وتستقل، وتنال حقوقها، ويرفع عنها الظلم والحيف، وتكون بمأمن من الظلم والعدوان. فهذه إيران يجب أن تجلو عنها الجنود البريطانية والروسية طبقًا لتصريح الدول المشتركة في خلال ستة أشهر من انتهاء الحرب مع اليابان.

وهذه إندونيسيا بأقسامها لا مبرر لأن تعاد مرة ثانية إلى هولندا، وحسب هولندا -وقد ذاقت مرارة الظلم والجبروت- أن تقنع بأرضها، وأن تعمل لمصالحها في ظل العدالة والإنصاف وتبادل المنافع، وذلك خير وأبقى من استلاب الحقوق واغتصاب الحريات.

وقضية الهند يجب أن تحل حلاً يحفظ حقوق المسلمين في كل الولايات، ويساعد على رقيهم وحفظ حقوقهم في كل مكان.

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) ذرت الريح التراب ذروًا وذريًا: أطارته وفرقته. [المعجم الوجيز، ص(٢٤٤)].

(٣) في الأصل: «يكون».

(٤) في الأصل: «الإقليمات»، وهي لا تؤدي المعنى المطلوب.

ولقد كانت في ألبانيا حكومة إسلامية قبل هذه الحرب بما أن غالب سكانها من المسلمين من بقايا المهاجرين من الترك والبلقان، فمن الواجب أن تعود هذه الحكومة، ومن العدل والنصفة أن تساعد مساعدة فعلية على أن تكون حامية لحقوق الأقليات الإسلامية في بلاد البلقان، ففي يوغسلافيا وفي اليونان وفي بلغاريا وفي غيرها أقليات إسلامية مظلومة يعتدى عليها وتستلب حقوقها ولا يدري بذلك أحد، والمسلمون في كل مكان أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم إذا اشتكى عضو منهم تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فمن الواجب أن تسند مهمة الإشراف على إنصاف هؤلاء إلى أقرب الحكومات الإسلامية إليهم.

ولقد فكرت تركيا بعد الحرب الماضية في الانسلاخ من الشرق والأمم الإسلامية، والارتماء في أحضان الغرب والتزلف إلى الدول الأوروبية ظنًا منها أن ذلك يساعدها على أن تطمئن في دارها، وتأمن في أرضها، وأكبر الظن أنها بعد هذه الحرب قد أدركت مبلغ ما فاتها من الفوائد بهذه العزلة عن العرب وأمم الإسلام، ولا نريد أن نحاسبها الآن على ما فات، فنحن وإياها أحوج ما نكون إلى التعاون والتساند في هذا المعترك الطافح بالرغبات والأطماع، ولن ندعها منفردة في محنتها، ولعلها تدرك ذلك فتعود إلى ما نسيت من إسلامها، وتتمسك من جديد بهذه الأخوة الخالدة التي تزول الدنيا ولا تزول، وتفنى الأيام وهي أبقى على الزمن الباقي من الزمن[1].

ونحن نريد بعد هذا كله، ونتمنى للعالم كله أمنًا وطمأنينة، وسلامًا طويلاً، وراحة بال، ولا نظن ذلك يتأتى إلا بالعدل والإنصاف، ونحن على هذه الفطرة جبلنا، ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩].

ثالثًا: حق الإسلام

أيها الإخوة الأعزة الفضلاء:

أريد بعد ذلك أن أقول لكم: إن الدول الكبرى قد صرحت أكثر من مرة، بأنها سوف لا تتدخل في شئون الأمم الداخلية البحتة، ومن ذلك شكل الحكومات، وبخاصة إذا اتفقت مع قواعد الديمقراطية العامة. وقد ظفرت الفكرة الإسلامية بالتقدير الكامل

---

(١) اقتباس من قول البحتري من البسيط:

مِن كُلِّ زَهراءَ كَالنَّوّارِ مُشرِقَةٍ أبقى عَلى الزَّمَنِ الباقي مِن الزَّمَنِ

في مؤتمر لاهاي سنة ١٩٣٨م؛ إذ قرر المؤتمر أنها شريعة مستقلة قابلة للتطور والنماء، متفقة مع أحدث قواعد التشريع. كما ظفرت بهذا التقرير مرة ثانية في مؤتمر واشنطن مايو ١٩٤٥ الذي مثل مصر فيه وزير العدل حافظ باشا رمضان[1]، واستطاع أن يظفر من المؤتمرين بقرار يؤكد القرار السابق، ويحفظ لمصر بناء على ذلك الحق في أن يكون لها ممثل في محكمة العدل الدولية باسم الشريعة الإسلامية. ذلك إلى أن الإسلام في ذاته نظام اجتماعي عالمي، يكفل للناس الخير والسعادة، ويحل لهم ما في مجتمعهم من مشكلات لو نفذوا إلى روحه، وأنفذوه على وجهه. وقد قرر الدستور المصري في المادة (١٤٩) (أن دين الدولة الإسلام، ولغتها الرسمية اللغة العربية). وقد تهيأت الدنيا من جديد للعودة إلى روح التدين، وأدركت خطأ الفكرة القديمة.. فكرة التجرد من العقائد والأديان، حتى إن لجان التعليم في إنجلترا وأمريكا قررت وجوب إدخال الدين إلى المدارس، وذهب بعضها في ذلك إلى حد أن يكون الدرس الأول في كل المعاهد صلاة عملية.

وعلى هذا: فنحن نطلب من أية حكومة مصرية أولا وعربية أو إسلامية بعد ذلك أن تعود في نظام حياتها الإسلامية والمدنية إلى الإسلام، ويكون من المظاهر العملية لذلك:

١- أن تعلن أنها حكومة إسلامية تمثل فكرة الإسلام دوليًا تمثيلاً رسميًا.

٢- أن تحترم فرائضه وشعائره، وأن تلزم بأدائها كل موظفيها وعمالها، وأن يكون الكبار في ذلك قدوة لغيرهم.

٣- أن تحرم الموبقات التي حرمها الإسلام من الخمر وما يلحق بها، والزنا وما يمهد له، والربا وما يتصل به من أنواع القمار والكسب الحرام، وأن تكون الحكومات قدوة في ذلك فلا تبيح شيئًا من هذا، ولا تعمل على حمايته بسلطة القانون، ولا تتعامل مع شعبها على أساسه.

٤- أن تجدد مناهج التعليم بحيث تقوم على التربية الإسلامية والوطنية، ويعنى بها باللغة العربية والتاريخ القومي عناية فائقة، وتؤدي إلى طبع نفوس المتعلمين بتعاليم

---

(١) زعيم الحزب الوطني خلفًا لمحمد فريد وجدي، تولى عدة حقائب وزارية في إشارة عن تراجعه عن أهم مبادئ الحزب وهو أنه لا مفاوضات إلا بعد جلاء الإنجليز، مما سبب انشقاقات في صفوف الحزب.

الإسلام، وتثقيف عقولهم في أحكامه وحكمه.

٥- أن تكون الشريعة الإسلامية المصدر الأول للقانون.

٦- أن تصدر الحكومات عن هذا التوجيه الإسلامي في كل التصرفات.

ذلك هو حق الإسلام علينا وقد بلغنا، اللهم اشهد، ولا نرى لهذا وقتًا أنسب من هذا الأوان.

يقول الناس: وما تفعلون بالأجانب وبغير المسلمين من المواطنين؟ فنقول: يا سبحان الله! لقد حل الإسلام هذا الإشكال، وصان وحدة الأمة عن التشقق والانقسام، وقرر حرية العقيدة والتعبد وما يلحق بهما، فقال القرآن الكريم: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، كما كان شعار التعامل بين المواطنين في أرض الإسلام دائمًا (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)، وليس وراء ذلك من التسامح زيادة لمستزيد.

على أننا نعود فنقول: أي نظام في الدنيا -ديني أو مدني- استطاع أن يفسح في قلوب المؤمنين به والمتعصبين له والفانين فيه لغيرهم من المخالفين ما أفسح من ذلك الإسلام الحنيف الذي يفرض على المسلم أن يؤمن بكل نبي سبق، وبكل كتاب نزل، وأن يثني على كل أمة مضت، وأن يحب الخير لكل الناس، وأن يكون رحيمًا بكل ذي كبد رطبة، حتى إن الجنة لتفتح أبوابها الثمانية لرجل أطفأ ظمأ كلب[1]، وتسعر النار بأعمق دركاتها لامرأة حبست هرة[2]، هذا الدين الرحيم لا يمكن إلا أن يكون مصدر حب ووحدة وسلام ووئام.

---

(١) يشير رحمه الله للحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من طريق أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ. فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الذي بَلَغَ بِي، فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»، واللفظ للبخاري.

(٢) يشير الإمام للحديث الذي أخرجه البخاري في «الْمُسَاقَاةِ»، باب: «فَضْلِ سَقْيِ الْمَاءِ»، ح(٢١٩٢) من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ» قَالَ: فَقَالَ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ: «لا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ».

رابعًا: وسائلنا

أيها الإخوة الكرام:

ويقول الناس كذلك: وما وسائلكم أيها المغلوبون على أمركم لتحقيق مطالبكم، والوصول إلى حقكم؟ ونقول نحن في سهولة ويسر: وماذا يريد منا الناس؟ ولو أننا مغلوبون على أمرنا مدفوعون عن حقنا؟ وهل يليق بكريم أن يذل ويستخزي والرسول ﷺ يقول: «من أعطى الذلة من نفسه طائعًا غير مكره فليس مني»[1]؟ والله يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

إن لنا سلاحًا لا يفل[2] ولا تنال منه الليالي والأيام هو (الحق)، والحق باق خالد والله يقول: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ويقول: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، ويقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

ولنا سلاح آخر بعد ذلك وهو (الإيمان). والإيمان كذلك سر من أسرار القوة لا يدركه إلا المؤمنون الصادقون، وهل جاهد العاملون من قبل، وهل يجاهدون من بعد إلا بالإيمان؟ وإذا فقد الإيمان فهل تغني أسلحة المادة جميعًا عن أهلها شيئًا؟ وإذا وجد الإيمان فقد وجدت السبيل إلى الوصول، وإذا صدق العزم وضح السبيل، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ولئن تخلى عنا جند الأرض فإن معنا جند السماء؛ ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢].

والأمل بعد ذلك سلاح ثالث، فنحن لا نيأس، ولا نتعجل، ولا نسبق الحوادث، ولا يضعف من همتنا طول الجهاد، والحمد لله رب العالمين لأننا نعلم أننا مثابون متى حسنت النية، وخلصت الضمائر، وهي خالصة بحمد الله، فكل يوم يمضي يكتب لنا فيه ثواب جديد، والنصر من وراء ذلك لا يتخلف ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير»، ح(٤٧٨)، وقال: «لا يروى هذا الحديث إلا بهذا الإسناد، تفرد به: يزيد بن ربيعة»، وقد ضعفه الألباني في «الضعيفة»، ح(٣١٠).

(٢) الفَلُّ: الثَّلْم في السيف، والثَّلْم في أي شيء كان، فَلَّه يفُلُّه فَلاً. [لسان العرب، مادة (فلل)].

عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]، ففيم اليأس وفيم القنوط؟ لن يجد اليأس إلى قلوبنا سبيلاً بإذن الله ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وسنعمل على ضوء هذه المشاعر، وسنعمل بالحق يدفعنا الإيمان ويحدونا الأمل، فنذيع النشرات والبيانات، ونوضح للناس ما خفي عنهم من حقوقهم، ونكشف لهم ما استتر من ألاعيب المخادعين لهم والمغررين بهم في الداخل والخارج، وسنجمع كلمة الناس على هذا في مؤتمرات جامعة في كل مكان، وسندعو إلى عقد مؤتمر عربي إسلامي جامع لتوحيد الجهود وتنسيق الخطط، وسنبعث بإخواننا في كل مكان من البلدان الأجنبية ينيرون الشعوب والحكومات في القضية الإسلامية الوطنية، فإذا لم يفد ذلك كله، ولم نجد النصفة من العالم الجديد الذي يريد أن تتركز الحياة فيه على الطمأنينة والسلام فسنعرف كيف نضبط أنفسنا، ونضع حاجزًا حصينًا قويًا بيننا نحن المؤمنين وبين هؤلاء الظالمين المفترين، وسيرون أن هذا السلاح السلبي سيفوت عليهم قصدهم، ويعكس عليهم عدوانهم، ويرد عليهم كيدهم في نحورهم ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، ولنا النصر في النهاية والله معنا، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

أيها الإخوة الفضلاء:

إنها الساعات الفاصلة في تاريخكم ففكروا وقرروا واعملوا واثبتوا واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، والله أكبر ولله الحمد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

ملحق مؤتمر رؤساء المناطق والشعب

ومراكز جهاد الإخوان المسلمين على مستوى القطر المصري

قرارات الجمعية العمومية في اجتماع رؤساء المناطق والشعب ومراكز الجهاد(١)

دعا المركز العام للإخوان المسلمين رؤساء المناطق والشعب ومراكز الجهاد في جميع أنحاء المملكة المصرية إلى الاجتماع في اليوم الثاني من عيد الفطر ٢ من شوال ١٣٦٤هـ الموافق ٨ من سبتمبر ١٩٤٥م للنظر في موقف الإخوان من الحقوق الوطنية في الظروف الحاضرة.

وقد لبى الدعوة ألفان وخمسمائة عضو يمثلون فروع الهيئة، ودام الاجتماع برئاسة فضيلة الأستاذ حسن البنا المرشد العام حوالي أربع ساعات تناولوا فيه البحث في الموقف الحاضر، كما تناولوا موضوع القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥م الذي أصدرته وزارة الشئون الاجتماعية الخاص بالجمعيات، وبعد مناقشات أصدروا القرارات الآتية:

يقرر المجتمعون باعتبارهم الجمعية العمومية للإخوان المسلمين التي تمثل مناطقهم وشعبهم في المملكة المصرية ما يأتي:

أولاً: فيما يتعلق بموقف الإخوان المسلمين بمناسبة صدور القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥م الخاص بتنظيم الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية.

إن جماعة الإخوان المسلمين هيئة إسلامية جامعة تعمل لتحقيق المقاصد والأغراض التي جاء بها الإسلام الحنيف ومنها:

١- الغرض العلمي: وهو شرح دعوة القرآن الكريم شرحًا دقيقًا، وعرضها عرضًا يوافق روح العصر، ويرد عنها الأباطيل والشبهات.

٢- الغرض العملي: وهو جمع كلمة الأمة المصرية والأمم الإسلامية عامة على هذه

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٧٠)، السنة الثالثة، ١٤ شوال ١٣٦٤هـ- ٢٠ سبتمبر ١٩٤٥م، ص(١٩-٢٠).

المبادئ؛ حتى يتكون رأي إسلامي عام يعمل على نصرتها وتحقيقها.

٣- الغرض الاقتصادي: وهو يرمي إلى تنمية الثروة القومية من: زراعية وصناعية وتجارية، ويعمل على تحريرها وحمايتها.

٤- الغرض الاجتماعي: وهو يحقق رفع مستوى المعيشة، وكفالة التوازن الاجتماعي بين الأفراد والطبقات، وضمان تكافؤ الفرص للجميع بمكافحة المرض والفقر والجهل والرذيلة وتشجيع أعمال البر.

٥- الغرض الوطني القومي: وهو تحرير وادي النيل، والمساهمة في العمل على استقلال البلاد العربية والشعوب الإسلامية من كل سلطان أجنبي، واستنقاذ الأقليات الإسلامية في كل مكان ومساعدتها إلى الوصول إلى حقها، وتأييد الوحدة العربية والسير إلى الجامعة الإسلامية.

٦- الغرض العالمي: وهو المشاركة في بناء السلم العالمي على قواعد من الأخوة الإنسانية والعدالة الدولية، وتجلية مبادئ الإسلام العالمية التي تحقق هذه القواعد؛ ليقوم النظام العالمي على أساس جديد من تآزر المادة والروح.

ووافق المجتمعون على التعديل المعروض للقانون العام وفقًا لهذه الأغراض.

ثانيًا: فيما يتعلق بموقف الهيئة من الحقوق الوطنية فقد قرر المجتمعون ما يأتي:

١- من حق مصر أن تنال حقوقها الوطنية، ومن واجب بريطانيا والأمم المتحدة أن تعترف لها بذلك، وفي مقدمة هذه الحقوق:

أ- جلاء القوات الأجنبية جميعًا عن أرض وادي النيل فورًا.

ب- حل مسألة السودان حلاً سريعًا على أساس أن مصر والسودان وطن واحد، للسوداني ما للمصري من حقوق، وعليه ما عليه من واجبات.

ج- قناة السويس أرض مصرية تقوم مصر وحدها بحراستها وحمايتها وتنظيم

شئونها.

د- رفع جميع القيود الاقتصادية والتجارية والمالية والنقدية التي قبلتها مصر مساهمة منها في المجهود الحربي، واستيفاء ديون الأرصدة الإسترلينية والديون الأخرى التي لمصر على إنجلترا.

٢- مطالبة الأمم المتحدة -تطبيقًا للميثاق الأطلنطي الذي أعلنته- أن تعترف بحق الوطن العربي والإسلامي في الحرية والاستقلال، واستنكار كل تصريح أو رأي يرمي إلى انتقاص حقوق هذه الأمم، وتشجيع الاستعمار الظالم على التدخل في شئونها.

٣- يرى المجتمعون أن من واجب الهيئات والأحزاب والجماعات أن تنتهز هذه الفرصة -التي إن فاتت فلا تعوض- للعمل مجتمعين أو منفردين على تحقيق هذه الأهداف بوسائل يتفق عليها.

وعلى المركز العام للإخوان المسلمين أن يؤلف لجنة تذكرهم بواجبهم، وتدعوهم إلى القيام به إبراء للذمة، وإعذارًا إلى الله والناس.

٤- على المركز العام للإخوان المسلمين أن يقوم بواجبه كاملاً في هذه الساعات الفاصلة بأن يعمل بكل الوسائل لتحقيق هذه الغايات، ومن ذلك:

أ- إذاعة البيانات والنشرات.

ب- عقد المؤتمرات في عواصم المحافظات والمديريات والمدن الهامة.

ج- الدعوة لعقد مؤتمر عربي إسلامي في إحدى عواصم الأقطار العربية؛ لتنسيق خطة العمل المشترك بين الشعوب العربية والإسلامية، والبدء في ذلك منذ الآن بإرسال مندوبين من المركز العام للإخوان المسلمين للتفاهم على ذلك مع الهيئات الوطنية والإسلامية المختلفة في هذه البلاد.

د- إرسال الوفود والبعثات إلى عواصم الدول الكبرى لبث الدعوة وتنوير الشعوب والحكومات في القضية الوطنية والإسلامية.

٥- إن مصر والأمم العربية والإسلامية -وهي ترى من واجبها أن تساهم في الأمن العالمي وفي بناء الحضارة الجديدة على أساس العدالة والمساواة- لم تعد غافلة ولا لاهية عما يدور حولها من أحداث جسام، واتفاقات ومؤتمرات تتناول مصالحها الجوهرية وحقوقها الطبيعية.

وإن من حق أية دولة أن تمثل في أي اجتماع يتصل بهذه الحقوق والمصالح، فإذا لم تدرك الأمم الكبرى هذه الحقائق فإن المجتمعين -وهم الحريصون على استقرار الطمأنينة والسلام- يدركون أن الشعب المصري والشعوب العربية والإسلامية ستضطر اضطرارًا إلى الوقوف من الدول المعتدية في الخارج والحكومات غير الوطنية التي تصادقها في الداخل موقفًا لا يعين على التعاون العالمي المنشود الذي هو أمنية الجميع.

٦- بما أن العالم الآن تتقاذفه عدة تيارات فكرية ونفسانية، وبما أن الشعور العالمي قد تهيأ للرجوع إلى الهدوء الروحي، وبما أن كلمة الدول الكبرى قد اجتمعت على أن من حق كل أمة أن تضع نظامها الداخلي كما تريد، وبما أن الفكرة الإسلامية قد ظفرت بالتقدير الكامل في مؤتمر لاهاي سنة ١٩٣٨م، وفي مؤتمر واشنطن سنة ٤٢، وبما أنها في حقيقتها أكمل نظام اجتماعي للمسلم وغير المسلم عرفته الإنسانية، وبما أن الدستور المصري ينص في المادة (١٤٩) على أن (الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية)؛ فإن من واجب الحكومة المصرية كائنة ما كانت أن تعمل على تحقيق ذلك عمليًّا، وأن يكون من مظاهر ذلك:

أ- أن تعلن أنها حكومة إسلامية تلتزم أحكام الإسلام، وتدعو إليه، وتمثل فكرته دوليًّا.

ب- أن تحترم فرائضه وتقاليده رسميًّا، وتلزم بها موظفيها وعمالها المسلمين.

ج- أن تحرم المنكرات التي يحرمها الإسلام من الخمر وما يتصل بها، والزنا وما يمهد له، والربا وما يلحقه من قمار وكسب حرام.

د- أن يستند التعليم على التربية الإسلامية، ويحقق في نفوس المتعلمين فضائل

الإسلام العليا، ويثقفهم في أحكامه.

هـ- أن تكون الشريعة الإسلامية المصدر الأول للقانون.

و- أن تصدر الحكومة عن هذا التوجيه الإسلامي في كل تصرفاتها العامة والخاصة.

٧- أن يرفع المركز العام هذه القرارات إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك، ويبلغها إلى الجهات الرسمية، وإلى ممثلي الدول العربية والإسلامية والأجنبية، وتنشر في الصحف، ويصدر بها عدد خاص من مجلة الإخوان المسلمين.

* * *


النادي الشبابي

رســـــالة

المؤتمر الشعبي الأول للإخوان المسلمين في القاهرة

(٢٨ شوال ١٣٦٤هـ - ٤ أكتوبر ١٩٤٥م)

تقـــديم

كان من مقررات مؤتمر رؤساء المناطق والشُّعَب عمل مؤتمرات شعبية لإحياء القضية الوطنية في نفوس الشَّعب، وتقرر عقد عدة مؤتمرات في المحافظات المختلفة، وكان باكورة تلك المؤتمرات هذا المؤتمر، والذي عقد في المركز العام للإخوان المسلمين بالحلمية، وضم العديد من الشخصيات العامة، وبلغ عدد الحضور فيه أكثر من خمسين ألفًا من الإخوان وغيرهم، وألقى فيه الإمام البنا هذه الكلمة، والتي لم تنشر من قبل، وقد حرصنا على نشرها لتوضيح موقف الإخوان من القضية الوطنية.

وقد نشرت مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية هذه الكلمة في العدد (٧٤)، السنة الثالثة، في ١٤ذي القعدة ١٣٦٤هـ- ٢٠أكتوبر ١٩٤٥م.

* * *

كلمة فضيلة المرشد العام في المؤتمر الشعبي للإخوان المسلمين

المنعقد في ٢٨ شوال سنة ١٣٦٤هـ - ٤ أكتوبر ١٩٤٥م[١]

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها السادة الفضلاء:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تجتمعون الليلة في مؤتمركم الشعبي الأول بالقاهرة للنظر في حقوقنا القومية، وفي هذه الظروف الكثيرة الجديدة التي تحيط بنا، ونتناول كل شئوننا الحيوية. ولا غرو أن تكونوا أسبق الناس إلى مثل هذا الاجتماع. فلعلكم أكثرهم شعورًا بالتبعة في هذه الأيام.

أيها الإخوة الفضلاء:

أجدني بينكم الليلة شديد التأثر بتلك العاطفة التي تهز نفسي كلما وقفت مثل هذا الموقف بين الإخوان. عاطفة الشعور بما ألقي على كواهلنا من تبعات جسام: هذه الآلاف الكثيرة، عشرون أو ثلاثون أو أربعون ألفًا من خيرة القلوب في هذا الوادي المبارك، ومن خلاصات أهله وساكنيه على اختلاف طبقاتهم وأعمالهم وثقافاتهم من: المهندس، والمدرس، والطبيب، والمحامي، والعامل، والزارع، والتاجر، والكاتب، والشاب، والكهل[٢]، والفتى، والشيخ.

كل هذه القلوب قد اجتمعت بكلمة ولكلمة، وأسلمت قيادتها طائعة مختارة، وركزت آمالها فرحة مستبشرة في الدعوة وقيادتها. ومع هذه الآلاف المجتمعة آلاف أضعافها في مدن مصر وقراها وصحاري وادي النيل المبارك وسهوله ترهف[٣] آذانها لتستمع كما تستمعون، وتحدّق[٤] بأعينها لترى كما تنظرون، وتخفق قلوبها لما تقولون وما

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٧٤)، السنة الثالثة، ١٤ ذو القعدة ١٣٦٤هـ ٢٠ أكتوبر ١٩٤٥، ص(٣- ٦).

(٢) الكَهْلُ من الرجال: الذي جاوزَ الثلاثين ووَخَطَهُ الشَيْبُ. [الصحاح، مادة (كهل)].

(٣) أُذن مُرْهَفَةٌ: دَقِيقةٌ. [لسان العرب، مادة (رهف)].

(٤) حدّق إليه: شدّد النظر، والتَّحْدِيقُ: شِدَّةُ النَّظَرِ بالحَدَقَةِ. [المحكم والمحيط الأعظم، مادة (حدق)].

تقررون، ويترقبون الكلمة التي تقولونها ليكونوا معكم من المنفذين العاملين. ومن وراء هذه المجموعات الكريمة ملايين من العرب والمسلمين يشاركونكم شعوركم، ويأملون كما تأملون، ويعملون لما تعملون.

كل هذا -أيها الإخوة الفضلاء- أحسه إحساسًا قويًّا، وأشعر به شعورًا عميقًا، وأتمثله وأتصوره في أثقل التبعة وأعظم جسامة المهمة. ولكني آمل بتأييد الله وتوفيقه وجميل مناصرته وتأييدكم أن تكون قيادة الدعوة عند حسن ظنكم وجميل أملكم -إن شاء الله- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

أما الدعوة فهي لله وهو عليها حفيظ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

دين وسياسة:

أيها -الإخوة الفضلاء- لقد استمعتم إلى خطباء مؤتمركم الكرام، فاستمعتم إلى من يتحدث إليكم عن المعاهدة المصرية الإنجليزية، وعن السودان وطنكم الجنوبي، وعن مؤتمر سان فرنسسكو وميثاق الأمم المتحدة، وعن الأرصدة الإسترلينية، والمطالب الاقتصادية، وعن الوحدة العربية والجامعة الإسلامية والعالمية الإنسانية، وعن الوعي الديني والقومي خلال ربع القرن الأخير. سمعتم هذا كله وكنتم فضلاء كرامًا واعين؛ إذ استمررتم أكثر من ساعات طوال تتابعون بآذانكم وأذهانكم هذه البحوث الفنية الخالصة متابعة الفاهم المشوق، فشكر الله لكم وجزاكم خيرًا.

ولقد خطر لي وأنا بينكم أستمع لما تستمعون له أن قائلاً لابد أن يقول، وهامسًا لابد أن يهمس: أهذه دار الإخوان المسلمين؟ وما لدار الإخوان المسلمين وعلاج هذه الشئون، وحسبها أن تتحدث إلى الناس عن فضائل القرآن الكريم، وأحكام الإسلام الحنيف من فرائض الوضوء، وأركان الصلاة، وروائع الأخلاق، وغرر الآداب؟ أما هذا فكلام السياسيين، وإنما يستمع الناس إليه في دور الأحزاب ومنتديات الهيئات السياسية، وشتان ما بين الدين والسياسة، وعلى رجال الدين أن يتجنبوا هذه الميادين، ويقصروا جهودهم على ما فرغوا أنفسهم له.

وخطر لي أن خاطرًا كهذا لابد أن يكون قد دار أو هو يدور برءوس بعض الذين رأوا جمعنا هذا، أو سيقرءون عنه، وأبادر فأقول لهؤلاء جميعًا: لا تأخذوا بمبادئ الرأي

ومبهم القول، ولا تجاروا العرف الخاطئ والاصطلاح الجائر، ولكن فكروا وحددوا فإن التفكير السليم والتحديد الدقيق يرفع بين الناس الخلاف، أو يقرب على الأقل بين وجهات النظر.

فإن أردتم أن الإسلام دين لا تتناول أحكامه الشئون السياسية في الداخل والخارج من حيث تنظيم الحكومة، والصلة بين الحاكم والمحكوم، وما يتبع ذلك من حقوق وواجبات، وافتراض حرية الأمة الإسلامية وسيادتها وعزتها إلخ.. فذلك جهل بالإسلام، وظلم لأحكامه وشريعته الشاملة التي جاءت تنظم شئون الدنيا والآخرة، وتحدد العلاقات في المجتمع الإنساني أفضل تحديد.

وإن أردتم أن من الخير أن يختص بالشئون الروحية والخلقية والعبادية، والخدمات الإنسانية العامة جماعة، وينصرف إلى حذق السياسة والبراعة في شئونها ومعالجة أمورها جماعة، وأن يتجنب الأولون ما استطاعوا أعاصير السياسة وزوابعها ليتوفر لهم الهدوء والاستقرار الذي لابد منه لينتجوا في ناحيتهم إنتاجًا حسنًا. وأن يعينهم الآخرون على هذا بأن يوفروا لهم هدوءهم، ويبتعدوا بهم عن الظنون الخاطئة والأحقاد الفاسدة، ويساعدوهم ما استطاعوا بالتشريع والسلطة التنفيذية وهي في أيديهم، ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، على ألا يحرمهم ذلك حقهم الطبيعي من المشاركة في الشئون الوطنية والقيام بالواجبات القومية فذلك رأي حسن، ومذهب من القول والعمل جميل في أمة استقامت فيها الأوضاع، واستقرت فيها النظم، ووزعت مهامها على الكفاة الأمناء من أبنائها، أما في شعب مجاهد يناضل في سبيل حريته، ويكافح لينال حقوقه المغصوبة وخيراته المسلوبة، وقد سنحت أمامه الفرصة المناسبة، والوقت الذي إن ضاع منه فلن يعود إليه، فإن الواجب المحتوم ينادي كل هيئة، ويهيب بكل عامل مهما كان ميدانه أن يكون هدف الجميع واحدًا، هو استخلاص الحقوق، والنضال الكامل المجتمع في سبيلها، وكل تقصير في ذلك يعتبر جريمة لا تغتفر.

ولهذا يرى الإخوان أول واجباتهم في هذا الظرف أن يتجهوا بكل قواهم إلى هذا الميدان الوطني، وهم مع هذا لن يهملوا أبدا الميدان الاجتماعي، بل هم أقروا له نظامه، وأعدوا له عدته، ووفروا له استقراره حتى لا يحرم الناس ثمرته الطيبة وآثاره النافعة.

وأما إذا تمسكتم بهذا العرف الذي جرى عليه الناس، وقرره في أذهانهم وأوضاعهم ذوو الأغراض والمصالح بأن مما يزري برجل الدين والهيئات التي تعمل باسم الدين أن تتعرض للواجبات الوطنية وتجاهد في سبيلها، وأن مما يزري كذلك برجل السياسة وينتقص من نضجه السياسي أن يكون متدينًا يساهم في الهيئات التي تعمل للدين ويعين على نجاحها، فذلك عرف خاطئ، وتوجيه ظالم لا نقره نحن الإخوان المسلمين، ولا نعترف به، والإسلام الحنيف من هذه الوصمة بريء، وهو الذي يفرض على المسلم أن يكون رجل الحياة المجاهدة النشيطة في كل مكان، وفي كل ميدان.

بين الشئون الداخلية والشئون الخارجية:

أيها الإخوة الفضلاء:

قبيل هذا الاجتماع تقدم إلى بعض الغيورين بمذكرات في الإصلاح الداخلي، وطلب إلى المركز العام في نهايتها أن يكون من موضوعات المؤتمر بحوث في الإصلاح الذي نحتاج إليه أشد الاحتياج، فنحن في حاجة إلى علاج مشاكل التعليم والاقتصاد والأسرة، ومستوى المعيشة بين الفلاحين والعمال وغيرهم من طبقات الأمة، والنظر في شئون الزراعة والصناعة والتجارة والنقل والثروات المختلفة، والاهتمام الكبير بمشكلة الأخلاق التي تأثرت إلى أكبر حد بهذه الموبقات الفاشية، والأوضاع الفاسدة، والعوامل الكثيرة المحيطة[1]. إلى غير ذلك من وجوه الإصلاح الداخلي.

ونحن لن نغفل أبدًا قيمة هذا الإصلاح، ولا شدة الحاجة إليه، ولا ضرورة وضع المناهج المفصلة الدقيقة في كل نواحيه.. لن نغفل أبدًا هذه المعاني ولن نهملها، ولقد تناولها نظام الإخوان الأساسي فأشار إلى أهميتها، وجعلها غرضًا أساسيًّا مستقلاً من أغراضهم، كما وضعت رسالة المنهج منذ سبع سنوات أو تزيد في هذه الناحية، وسيضاعف الإخوان اهتمامهم بهذه المعاني في القريب إن شاء الله.

ولكن الأمة -كما قلت سابقًا- أمام فرصة سانحة ووقت محدود إن أفلت ومضى فلن يعود، وهو وقت التفكير والعمل لتقرير مصير الشعوب وأوضاع الأمم، والاعتراف

(١) في الأصل: «المحطة».

بما لها من حقوق، وتحديد ما عليها من واجبات. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فنحن لا يستقيم لنا وضع ولن ينصلح لنا حال ولن تنفذ لنا خطة إصلاح في الداخل ما لم نتحرر من هذا القيد الثقيل العاتي قيد التدخل الأجنبي.

وما لم نحصل على استقلالنا الحقيقي فإن هذا الاستقلال الناقص الذي يفتح أبواب التدخل الأجنبي على مصاريعها لكل من أراد أن يقضي على كل مشروع نافع، ويحول دون تنفيذ كل فكرة صالحة، ويسد عليها كل منافذ الخير، إن أردناه فلابد من أن تتكاتف الجهود على تحطيم هذا القيد حتى نعمل لإصلاح شئوننا الداخلية في حرية كاملة، ومن قرأ تقرير الغرفة التجارية الإنجليزية يعلم ماذا يراد بنا في الناحية الاقتصادية، وإلى أي حد يحول هذا التدخل دون كل إصلاح منشود، ويقضي على كل عمل نافع في مهده، فلنجاهد في سبيل الحرية -أيها الإخوة- فهي وحدها أساس كل إصلاح.

حقوقنا القومية:

أيها الإخوة الفضلاء:

سوف لا أتحدث إليكم حديثًا مطولاً عن هذه الحقوق بعد أن تناولتها بشيء من البيان في اجتماع جمعيتنا العمومية الماضية في شوال، وبعد أن تناولها الإخوان الخطباء بالشرح والتفصيل من الوجهة الفنية فأبانوا لكم هذه الحقائق.

إن السودان هو وطنكم الجنوبي بحكم الحقيقة التاريخية والجغرافية، وبحكم الروابط التي لم يتوفر مثلها لكثير من الأمم الموحدة قديمًا أو حديثًا، وبحكم المصالح المشتركة والمشاعر المتبادلة، وإن المعاهدة لم تعد أساسًا صالحًا للعلاقات بين مصر وبريطانيا بعد أن تغيرت الظروف والأوضاع تغيرًا كليًا، وذهبت من الوجود هيئات ودول، وحلت محلها هيئات ودول أخرى، وتناول التطور الجديد كل نواحي الحياة الفكرية والاقتصادية والعسكرية.

وإن ميثاق الأمم المتحدة الذي أسفر عنه اجتماع سان فرنسسكو ميثاق ناقص في ذاته لا يحقق الغاية المقصودة به[1] التحقيق الكامل، وتصديقنا عليه مع بقاء المعاهدة وقيام

---

(١) في الأصل: «بها».

الجامعة العربية ولكل تبعاته والتزاماته يضعنا في موضع مبهم تتناقض فيه الالتزامات، وتتعارض الواجبات، فلابد من التفكير في هذا الوضع، ولابد أن نأخذ لأنفسنا الحيطة قبل أن نسجل على أنفسنا هذا الارتباط الجديد.

وإن القيود الاقتصادية التي قبلناها إبان الحرب مساهمة منا في المجهود الحربي، إلى جانب التساهل العجيب من الحكومات المتعاقبة الذي بلغ حد الغفلة والإهمال قد أضر بنا ضررًا بليغًا، وكان عن نتيجة السماح للبنك الأهلي بإصدار أوراق لا رصيد لها من الذهب أن صار الجنيه المصري لا يساوي ريالاً واحدًا، وأن صار العامل المصري الذي يقضي يومه عاملاً مجاهدًا كادحًا في سبيل الحصول على عشرين قرشًا مثلاً لا يحصل في الحقيقة إلا على ثلاثة قروش أو أربعة وهي ما تساويه هذه العشرين عمليًّا، وأن الفلاح الذي يكافح عامه ثم يبيع حاصلاته لا يحصل في الحقيقة إلا على خمس القيمة أو سدسها. فنحن في ضائقة اقتصادية لا حد لها، وإذا أضيف إلى هذا ما يراد بنا من تقييد الإيراد والتصدير، وخنق حرية التجارة والصناعة، وغزو البلاد بالمهاجرين من كل جنس، رأينا أنفسنا أمام كارثة محققة تهدد كياننا الاقتصادي، أعني: تهدد حياتنا في الصميم، ومن الواجب أن نفكر في علاج هذه المشكلة علاجًا حاسمًا، وأن تعيننا بريطانيا على هذا العلاج؛ إذ إنها كانت السبب المباشر لهذا الوضع.

وإن دعوتنا إلى تقوية الوحدة العربية، وتحرير الشعوب الإسلامية، أمر تفرضه علينا مصلحتنا الوطنية ورابطتنا القومية، كما يفرضه كذلك الشعور الإنساني الذي يجب أن يؤمن به كل إنسان في هذا الوجود، ويفرضه الإسلام ويحتمه ويدعو إليه.

أبان لكم الخطباء كل هذا وطمأنوكم بعد ذلك على أن هذا الوعي الروحي الوطني -وقد نما وازدهر، وبدا قويًّا رائعًا في نمو فكرة الإخوان المسلمين وازدهارها- لم يعد يخشى عليه بإذن الله، والله غالب على أمره.

ولا أريد أن أزيد على بيان الإخوان بيانًا، ولكني أقرر بمناسبة هذا الاجتماع أن حقوقنا هذه لا مغالاة فيها ولا تعسف؛ فهي حقوق طبيعية. نحن لا نطلب حق أحد، ولا نريد أن نعتدي على أحد، وإن المبادئ الإنسانية التي أعلنتها الدول الكبرى إبان هذه الحرب، والتي قررتها أبسط مبادئ العدالة منذ عرف الإنسان الحق والعدل لتفرض على

كل منصف أن يسلم لنا بهذه الحقوق. ولهذا نحن لا نقبل فيها مساومة، ولن نخدع عنها بمعسول القول ومبتكر الألفاظ، ولن نرضى فيها بالوعود الخلابة، وسنظل نكافح حتى نصل، وسنصل إن شاء الله.

ولقد اتجهت الأمة كلها هذا الاتجاه، وأعلنت رأيها في ذلك بوضوح وصراحة على اختلاف طبقاتها وهيئاتها، بل إن الأمم العربية والإسلامية كلها قد اشتركت في هذا المعنى، فمنها من امتشق[1] الحسام فعلاً في سبيل حريته كما فعلت إندونيسيا، ومنها من ينتظر كما تدل على ذلك البوادر في فلسطين وتركيا. ومنها من آثر الهدوء والسكينة على فوران النفوس وغليان القلوب، ولكنها الحكمة تلجم نزوات العواطف بخطرات العقول حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً كما في مصر، ومنها من يصطلي جحيم العدوان الظالم ويقدم على مذبحه القرابين الكثيرة من الأنفس والديار والأموال كما في الجزائر ومراكش، ولن تخمد هذه اليقظة أبدًا حتى تبلغ مداها بإذن الله، والأمة التي تريد أن تحيا لا يمكن أن تموت.

من وسائلنا:

قالوا: إن الإخوان المسلمين سيحضون على الثورة، وسيكون وقود هذه الثورة الأجانب في مصر واليهود والأقليات غير المسلمة. وقالوا: إن يوم ٤ أكتوبر وهو يومكم هذا، وإن يوم ٦ أكتوبر من بعده سيكون يومًا هائلاً رهيبًا في تاريخ مصر؛ إذ إن الطلبة والتلاميذ في المدارس سيقومون بتحطيمها وتخريبها، وسينطلقون منها إلى الشوارع يعيثون فيها الفساد.

وخابرني بعض المتصلين بمديري الشركات والمصانع يقول: إن كثيرًا من رجال هذه الشركات يخشى هذا اليوم أشد خشية، وأنهم يريدون أن يفهموا الإخوان المسلمين أن هذه الشركات والمصانع فيها عمال مصريون، وأنهم لا ينتفعون من ورائها كما ينتفع أولئك، وأنهم يحبون المصريين ويتعاونون معهم، وهم لذلك يودون من الإخوان ألا يتعرضوا لحياتهم بعدوان، ولا مصانعهم ومكاتبهم بتخريب في هذا اليوم العصيب.. إلى هذا الحد توهم الناس أن مصر على وشك الثورة. ولعلهم معذورون في هذا التوهم؛ فإن

(١) امتشق السيف: استله [أساس البلاغة، مادة (مشق)].

إهدار حقوق الأمة والتغافل عن مطالبها وتناسي شعورها إلى هذا الحد ليؤدي إلى بلبلة الخواطر، وحرج[1] الصدور، وذلك وقود الثورة ما لم يتقدم الغيورون للعلاج قبل فوات الأوان.

ولكن مصر البلد الصبور الوقور، والإخوان المسلمين هم الهيئة الحكيمة المؤمنة المنظمة لم تثر يوم ٤ أكتوبر، وها هو مؤتمركم الجامع يقارب نهايته في نظام وإحكام كأنما نحن في صف الصلاة، ولا غرو فنحن في صف الجهاد، وقوام المجتمع الإسلامي دائمًا نظام وطاعة ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ ۞ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢٠-٢١]. وسوف يكون هدوء واستقرار يوم ٦ أكتوبر كذلك بإذن الله؛ لأن مصر مطمئنة إلى عدالة قضيتها وأحقية مطالبها، وهي لم تيأس بعد من نفسها ولا من غيرها حتى يدفعها اليأس إلى الثورة.

ستهدأ مصر حينًا من الزمن نعطي فيها الفرصة للمسئولين في الداخل والخارج ليفكروا ويعملوا في هدوء واستقرار، وليس هدوء مصر في هذا هدوء ضعف أو استكانة أو غفلة أو نوم، ولكنه هدوء المؤمن المطمئن إلى حقه الواثق بنفسه، والأمر بيننا وبين من ينكر علينا حقنا أمر عمل وإجراءات، لا أمر مخادعة وتغرير، فإننا على الحق، وقد عرفناه واستمسكنا به واتجهنا إليه، ولا يمكن أن يقوم الباطل إلا في غفلة الحق، وقد صحا الحق فلا غفلة، فلابد أن ينتصر ويظهر، ولابد أن يزهق الباطل ويقهر، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ولم تعد يقظتنا الحالية يقظة شعور وقتي ينتهز فرصة لنثور وندمر، ولكنها يقظة وعي وإيمان حقيقي يدعونا دائمًا إلى أن نعمل ونستعد بعد أن نفكر وندبر، ولهذا نحن مطمئنون إلى النتيجة، واثقون من النصر، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

أيها الإخوة الفضلاء:

إن أول وسائلكم: الإيمان القوي بهذه الحقوق، وتعرفها بالإجمال والتفصيل، وحفظها والمحافظة عليها، فتعرفوا جيدًا حقوقكم وأهدافكم، وآمنوا بها من أعماق قلوبكم، ولا تقبلوا فيها مساومة ولا جدلاً، ثم انشروا هذا الإيمان في كل نفس، وصلوا

(١) في الأصل: «وجرح».

به إلى كل قلب، وستعمل قيادة الإخوان على ذلك، وستكافح هذه الأمية الوطنية مكافحة لا تدع لها وجودًا، وسندفع بدعاة الإخوان وشباب الإخوان إلى القرى والنجوع والعزب والكفور والمدن والأمصار ليذيعوا في الشعب حقه وليجمعوه عليه، وستكون الحقوق الوطنية سورًا تحفظ، وأناشيد ترتل، وأورادًا تردد، وسنحفظها للناس كما نحفظهم فاتحة الكتاب يقرءون: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ آمين [الفاتحة]، ويقرءون بعدها الجلاء والسودان والدين والقناة والحرية والاستقلال والوحدة العربية والجامعة الإسلامية وفلسطين الشهيدة وإندونيسيا المجاهدة والمغرب العزيز وإخواننا من المسلمين في كل مكان. سيكون ذلك وردًا وطنيًا يتلى في الصباح والمساء، وسيكون قنوتًا شرعيًا يردد في كل صلاة حتى يرفع الله عنا هذه النوازل القاتلة، نوازل التدخل والاستعمار والاستعباد.

ثم حاولوا أن تجمعوا كلمة الشعب على هذه المطالب والحقوق، وأن تصرفوه عن كل ما عداها من الغايات. تتردد في الناس الآن نغمة وحدة الزعماء وجمع كلمة الزعماء، فإذا لم تجتمع كلمة الزعماء فماذا نصنع؟ أنقف مكتوفين حتى تتهيأ لهم وسائل الاجتماع؟!

لا تشغلوا أنفسكم بهذا -أيها الإخوان- فالوقت أثمن والعمل أنفع، اجمعوا الشعب على الأهداف والحقوق، واصرفوه عن كل ما سواها من معاني المهاترة[1] والانقسام، وأفهموا الناس ضرر الخوض في هذا الهراء الذي لا يجدي ولا يفيد، وستجدون في الناس استعدادًا لهذا إن شغلتموهم به، فإن اليد الفارغة تسارع إلى الشر، والرأس الخاوي معمل الشيطان! فاشغلوا الفراغ في نفوس الناس بالجد من الأمور، وبدراسة هذه الحقوق، وأفيضوا فيهم معاني هذه الدراسة الناضجة، فإذا اجتمع الشعب على ذلك فقد قضي الأمر، وسندع للزعماء الصف الأول، وسندعوهم إلى القيادة، وسنقول لهم: هذا هو الشعب وهذه هي الطريقة، فهيا سيروا على بركة الله، ونحن قوم مؤدبون بأدب الإسلام،

---

(١) المُهاتَرَة: القولُ الذي يَنقُض بعضُه بعضًا. [تاج العروس، مادة (هتر)].

ونعلم قول الرسول الكريم ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما وقر صغيرها كبيرها، ورحم كبيرها صغيرها»[1]، فلن نتقدمكم ما تقدمتم، ولن نخالفكم ما استقمتم، وعليكم الجد ما استطعتم، فإذا فعلوا فذاك وإلا فقد تخلوا عن الأمانة، وجردوا أنفسهم من معنى الزعامة، ولابد أن تجد الراية حملتها، وهم موجودون، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

ثم ادأبوا على المطالبة بحقوقكم والدعوة إليها بكل سبيل من الاجتماعات والنشرات والبيانات والبعثات في غير كلل ولا سآمة، حتى يتم بذلك معنى الإعذار قويًا قويًا لقد أعذر من أنذر.

فإذا أفادت هذه الوسائل، فعاد الضمير الإنساني إلى رشده، وأنصفكم غيركم من نفسه، فلا أحب إلينا من ذلك ونحن الذين نقرأ قول الله: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، وإلا فالمقاطعة والمقاومة السلبية، وسوف لا نخفق في هذه المرة إن أردنا ذلك أو قررناه، فإن هناك الآلاف والملايين من القلوب المؤمنة والألسنة المفصحة ستجند كلها في هذا الميدان في كل مكان حتى يأتي أمر الله، ومن بعد ذلك رد العدوان بالعدوان، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤]، ولن نكون في ذلك ظالمين بل مدافعين، وحق الدفاع معترف به ومقرر في كل الشرائع والقوانين، ولا خير في الحياة مع الذلة، ولن يجتمع الإيمان والذل في قلب مؤمن صادق قد تذوق حلاوة الإيمان، وأدرك مثوبة الشهادة، وقدر لذة الجهاد.

تلك بعض وسائلنا -أيها الإخوان- من واجبنا ومن واجب غيرنا من الهيئات أن نجند أنفسنا لتحقيقها وإنفاذها، ومن واجب الشعب أن يعد نفسه لتلقيها والتجمع من حولها، وعلى الحكومات أن تفسح المجال للدعوة حتى تنتشر، وللهيئات حتى تعمل إن لم تستطع أن تتقدم في ذلك الصفوف وتقود غيرها من العاملين، وعلى الجميع أن يتفاءلوا

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، والذي وقفت عليه ما أخرجه أصحاب السنن، ومنهم أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «فِي الرَّحْمَةِ»، ح(٤٢٩٢)، بلفظ: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٤٩٤٣).

وألا يهنوا ولا يحزنوا، فالنصر للصابرين والعاقبة للمتقين.

وبعد؛ أيها الإخوان:

فإنني قوي الأمل في النصر -إن شاء الله؛ فإننا على الحق، والحق مؤيد من الله، وقد اتجهت الأمة واستيقظت، فلن نخدع بعد اليوم، وفي مصر حيوية جارفة حين تفيض لا يقف في طريقها شيء، وملك شاب وطني غيور يحب وطنه ويتمنى له كل خير، وفي مصر بعد ذلك الإخوان المسلمون، فاعملوا، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

ملحق المؤتمر الشعبي

قرارات المؤتمر[1]

أولاً: تأييد قرارات الجمعية العمومية لهيئة الإخوان المسلمين المنعقدة يوم ٢ شوال ١٣٦٤هـ.

ثانيًا: المعاهدة

أ- إن المعاهدة المصرية الإنجليزية لم تعد صالحة لأن تكون أساسًا للعلاقات بين مصر وبريطانيا.

ب- الجلاء التام عن وادي النيل الذي هو وطن واحد لا يقبل تجزئة وللسوداني والمصري نفس الحقوق وعليهما نفس الواجبات.

ثالثًا: الناحية الاقتصادية

أ- مطالبة الحكومة بالمبادرة إلى العمل على تصحيح مركز النقد المصري؛ حتى يمكن أن تعود مصر بنقدها إلى القرار الذي جاء في مرسوم إنشاء البنك الأهلي سنة ١٨٩٨م.

ب- وجوب استيفاء ديون مصر على إنجلترا، ومن وسائل ذلك:

١- أن تنزل إنجلترا لمصر عن جزء من أسهم قنال السويس التي باعتها مصر لإنجلترا في عهد الخديوي إسماعيل نظير جزء من الدين.

٢- أن يسدد جزء آخر من الديون عن طريق إصدار بضائع إنتاجية لا استهلاكية لمصر.

٣- أن تنزل إنجلترا لمصر عن المنشآت التي أقامتها فيها أيام الحرب نظير جزء آخر من الدين.

رابعًا: الناحية العالمية

أ- مؤتمر سان فرنسسكو:

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٧٣)، السنة الثالثة، ٧ ذو القعدة ١٣٦٤هـ- ١٣ أكتوبر ١٩٤٥م، ص(٢٩).

إن مصر مستعدة للمساهمة في إقامة السلم العالمي، والاشتراك في بنائه على أساس من الحرية والعدالة الدولية، وهي ترى -وقد طلب إليها التصديق على ميثاق الأمم المتحدة:

١- أنه يفرض عليها تبعات يصعب النهوض بها قبل تجلية موقف إنجلترا منها.

٢- أنه يحد من نشاط الجامعة العربية.

٣- أنه يقيد حرية الشعوب في التفاهم على ما بينها من مصالح مشتركة.

ب- وجوب تمثيل مصر في مؤتمر وزراء الخارجية في المسائل التي تمس مصالح مصر من قريب أو من بعيد.

خامسًا: الأوطان العربية

أ- إن فلسطين جزء من الوطن العربي العام يجب ألا تقوم فيها دولة لغير العرب، وأن يوضع حد لهجرة الصهيونيين إليها اتقاء للخطر الذي يهدد السلم في الشرق بأسره.

ب- يطالب المؤتمر بوجوب الإسراع في الإفراج عن المجاهدين المبعدين بتركيا وروديسيا والنمسا وفرنسا وغيرها، وفي مقدمتهم الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين.

ج- يجب أن تسوى مشكلات المستعمرات الإيطالية على أساس ردها لأهلها وإلى من أخذت منهم من العرب والمصريين.

د- يجب أن يحرر شمال إفريقيا من نير الاستعمار الأسباني والفرنسي، وأن يحكم نفسه بنفسه، كما يجب محاكمة الذين أنزلوا العذاب والتنكيل بالمجاهدين من أهل هذه البلاد.

هـ- يجب أن يعترف باستقلال إندونيسيا، وأن يصان هذا الاستقلال من كل تدخل أجنبي.

و- يبعث المجتمعون بتحياتهم الحارة إلى إخوانهم المجاهدين بالهند، كما يتمنون لهم النصر والتوفيق.

* * *



شباب
النادي الشبابي

رسالة

الجهاد

١٩٤٧ تقريباً

تقـــديم

الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، ولقد حث الله ﷻ المؤمنين على الجهاد، وأجزل لهم العطاء، قال رسول الله ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»[(١)].

ولقد حث الإمام البنا إخوانه على الاستعداد النفسي والبدني للجهاد في سبيل الله، وغرس فيهم معاني الجهاد، ثم ترجم ذلك عمليًا فأرسل بعض إخوانه ليدافعوا عن فلسطين في حربها عام ١٩٤٨، فسطروا أسماءهم بحروف من نور في سجل الشهداء، وأبلوا بلاء حسنًا في تلك المعارك.

ولقد أصدر الإمام هذه الرسالة في كتيب يحمل عنوان: «من رسائل الإخوان المسلمين... رسالة الجهاد» في عام ١٩٤٧م تقريبًا، وقد اعتمدنا في ترجيح ذلك التاريخ على لغة الرسالة وطبيعة المرحلة التي صدرت فيها، وهي الإعداد لحرب فلسطين، وللتأكد من ذلك الاستنتاج عرضناها على المهندس حلمي عبد المجيد[(٢)] -وهو من كبار قيادات الإخوان- فأقر ذلك.

وقد اعتمدنا في جمع هذه الرسالة على طبعة دار الكتاب العربي، والتي صدرت عام ١٩٥١م.

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي في «فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «فِي ثَوَابِ الشَّهِيدِ»، ح(١٥٨٦)، واللفظ له، وابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «فَضْلِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(٢٧٨٩)، وأحمد في «حَدِيثُ الْمِقْدَامِ ابْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ»، ح(١٦٥٥٣)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(١٦٦٣).

(٢) المهندس حلمي عبد المجيد ولد بقرية شبرا سندي مركز السنبلاوين محافظة الدقهلية، وتخرج في كلية الهندسة جامعة القاهرة، وانضم للإخوان عام ١٩٣٨م. اختير عضوًا في الهيئة التأسيسية منذ نشأتها، وتولى قيادة النظام الخاص، وشارك في إعادة بناء الجماعة في فترة السبعينيات، وعمل مهندسًا بالكلية، ثم عمل بالمقاولين العرب حتى تولى رئاسة مجلس إدارة الشركة حتى بلغ سن المعاش، وهو عضو مجلس إدارة بنك فيصل الإسلامي حتى الآن.

رسالة الجهاد

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المجاهدين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وصحبه، ومن جاهد في سبيل شريعته إلى يوم الدين.

الجهاد فريضة على كل مسلم:

فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لا مناص منها ولا مفر معها، ورغب فيه أعظم الترغيب، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء، فلم يلحقهم في مثوبتهم إلا من عمل بمثل عملهم، ومن اقتدى بهم في جهادهم. ومنحهم من الامتيازات الروحية والعملية في الدنيا والآخرة ما لم يمنحها سواهم، وجعل دماءهم الطاهرة الزكية عربون النصر في الدنيا وعنوان الفوز والفلاح في العقبى، وتوعد المخلفين القاعدين بأفظع العقوبات، ورماهم بأبشع النعوت والصفات، ووبخهم على الجبن والقعود، ونعى عليهم الضعف والتخلف، وأعد لهم في الدنيا خزيًا لا يرفع إلا إن جاهدوا، وفي الآخرة عذابًا لا يفلتون منه ولو كان لهم مثل أحد ذهبًا، واعتبر القعود والفرار كبيرة من أعظم الكبائر وإحدى السبع الموبقات المهلكات.

ولست تجد نظامًا قديمًا أو حديثًا دينيًا أو مدنيًا، عني بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة، وحشدها كلها صفًا واحدًا للدفاع بكل قواها عن الحق، كما تجد ذلك في دين الإسلام وتعاليمه، وآيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول العظيم ﷺ فياضة بكل هذه المعاني السامية، داعية بأفصح عبارة وأوضح أسلوب إلى الجهاد والقتال والجندية وتقوية وسائل الدفاع والكفاح بكل أنواعها من برية وبحرية وغيرها على كل الأحوال والملابسات.

وسنورد لك طرفًا من ذلك على سبيل التمثيل لا على سبيل الاستقراء والحصر، وسوف لا نتناول شيئًا من الآيات والأحاديث بشرح أو تعليق طويل. فسترى في جزالة

ألفاظها ونصاعة بيانها ووضوح معانيها وقوة الروحانية فيها ما يغنيك عن ذلك كله.

بعض آيات الجهاد في كتاب الله:

فمن القرآن الكريم قوله تعالى:

١- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومعنى كتب: فرض، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] في نفس السورة وبنفس العبارة والتركيب.

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۞ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٦-١٥٨].

ومعنى ﴿ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ﴾: خرجوا فيها مجاهدين، و﴿غُزًّى﴾: غزاة محاربين.

وانظر إلى مقارنة المغفرة والرحمة للقتل أو الموت في سبيل الله في الآية الأولى، وإلى خلو الآية الثانية من ذلك لخلوها من معنى الجهاد، وفي الآية إشارة إلى أن الجبن من أخلاق الكافرين لا المؤمنين، فانظر كيف انعكست الآية.

٣- ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ...﴾ الآيات [آل عمران: ١٦٩- ١٧٠]، فارجع إلى تمامها في المصحف.

٤- ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤]، فارجع إليها في المصحف الكريم لترى كيف يحض الله المسلمين على الحذر، وممارسة القتال في جيوش أو عصابات أو

فرادى كما يقتضيه الحال، وكيف يوبخ القاعدين والجبناء والمخلفين والنفعيين، وكيف يستثير الهمم لحماية الضعفاء وتخليص المظلومين، وكيف يقرن القتال بالصلاة والصوم ويبين أنه مثلهما من أركان الإسلام، وكيف يفند شبهات المترددين ويشجع الخائفين أكبر تشجيع على خوض المعامع ومقابلة الموت بصدر رحب وجنان جريء، مبينًا لهم أن الموت سيدركهم لا محالة، وأنهم إن ماتوا مجاهدين فسيعوضون عن الحياة أعظم العوض ولا يظلمون فتيلاً[1] من نفقة أو تضحية.

٥- سورة الأنفال كلها حث على القتال، وحض على الثبات فيه، وبيان لكثير من أحكامه، ولهذا اتخذها المسلمون الأولون -رضوان الله عليهم- نشيدًا حربيًّا يتلونه إذا اشتد الكرب وحمي الوطيس[2]، وحسبك منها قول الله -تبارك وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠-٦٥].

٦- سورة التوبة وكلها كذلك حث على القتال وبيان لأحكامه، وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى في قتال المشركين الناكثين: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ۞ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤].

وقوله -تبارك وتعالى- في قتال أهل الكتاب: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى

---

(١) الفَتِيل ما كان في شَق النواة، وبه سميت فَتِيلة، وقيل: هو ما يفتَل بين الإصبعين من الوسخ، وهذه الأشياء تضرَب أمثالاً للشيء التافِه الحقير القليل، أي: لا يُظْلمون قدرَها. [لسان العرب، (فتل)].

(٢) الوَطِيس: المَعْركة لأن الخيل تَطِسُها بحوافرها. والوَطِيس: التنور. والوَطِيس: حفيرة تحتفر ويختبز فيها ويشوى، وقيل: تنُور من حديد، وبه شُبِّه حَرّ الحَرْب. وقيل: هي حجارة مدورة فإذا حميت لم يمكن أحدًا الوطء عليها، يُضْرب مثلاً للأمر إذا اشتد: قد حَمِي الوَطِيسُ [السابق، مادة (وطس)].

يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

ثم إعلان النفير العام في آيات داوية صارخة ختامها قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٤١].

ثم تنديد صارخ بموقف القاعدين الجبناء الأنذال، وحرمان لهم من شرف الجهاد أبد الآبدين في قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۞ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ الآيات [التوبة: ٨١-٨٣].

ثم إشادة بموقف المجاهدين، وعلى رأسهم سيدهم الكريم ﷺ، وبيان أن هذه هي مهمته المطهرة وسنة أصحابه الغر الميامين في قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩].

ثم بيعة بعد ذلك جامعة مانعة لا تدع عذرًا لمعتذر في قوله -تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

٧- سورة القتال، وتصور كيف أن سورة بأكملها تسمى سورة القتال في كتاب الله الحكيم، وأن أساس الروح العسكرية كما يقولون أمران: الطاعة والنظام، وقد جمع الله هذا الأساس في آيتين من كتابه، فأما الطاعة ففي هذه السورة في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ

الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ۞ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٠-٢١].

وأما النظام؛ ففي سورة «الصف» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

٨- سورة الفتح، وهي أيضًا كلها في غزوة من غزوات رسول الله ﷺ، وفي الإشادة بموقف رائع من مواقف الجهاد العزيز، تحت ظل الشجرة المباركة؛ حيث أعطيت بيعة الثبات والموت، فأثمرت السكينة والفتح فذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۞ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٨-١٩].

هذه -يا أخي- بعض المواضع التي ورد فيها ذكر الجهاد، وبيان فضله، وحث المؤمنين عليه، وتبشير أهله بالثواب الجزيل والجزاء الجميل، وكتاب الله مملوء بمثلها فتصفحه وتدبر ما جاء فيه من هذا الباب، تر العجب العجيب، وتدهش لغفلة المسلمين عن اغتنام هذا الثواب.

نماذج من الأحاديث النبوية في الجهاد:

وإليك بعض الأحاديث النبوية الشريفة في ذلك:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده، لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل

ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل»[١] رواه البخاري ومسلم.

السرية: القطعة من الجيش لا يكون فيها القائد العام له.

٢- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم من يكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة، اللون لون الدم، والريح ريح المسك»[٢].

الكلم: الجرح، ويكلم: يجرح.

٣- وعن أنس ﷺ قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني المشركين. ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت -يا رسول الله- ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين: ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. قال أنس: كنا نرى، أو نظن: أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية[٣] رواه البخاري.

من دون أُحد: أي من جهة جبل أحد.

٤- وعن أم حارثة بنت سراقة أنها أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن

---

(١) أخرجه البخاري في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «تَمَنِّي الشَّهَادَةِ»، ح(٢٥٨٨) واللفظ له، ومسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(٣٤٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «مَنْ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ»، ح(٢٥٩٣) واللفظ له، ومسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(٣٤٨٦).

(٣) أخرجه البخاري في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾»، ح(٢٥٩٥).

حارثة -وكان قتل[١] يوم بدر، أصابه سهم غرب- فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك، اجتهدت عليه في البكاء. قال: «يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»[٢]. أخرجه البخاري.

السهم الغرب: الذي لا يعرف راميه.. اجتهدت عليه في البكاء: بكيت بكاء شديدًا.

فانظر -يا أخي- كيف كانت الجنة تنسيهم الهموم والمصائب وتحملهم على الصبر عند المكاره.

٥- وعن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[٣] أخرجه الشيخان وأبو داود.

٦- وعن زيد بن خالد الجهني ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «من جهز غازيًا في سبيل الله تعالى فقد غزا، ومن خلف غازيًا في سبيل الله بخير فقد غزا»[٤]. رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي. أي: له أجره.

٧- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من احتبس فرسًا في سبيل الله، إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعده، فإن شبعه وريّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة»[٥]. رواه البخاري. ومثل الفرس كل عدة في سبيل الله.

٨- وعن أبي هريرة ﷺ قيل: يا رسول الله، ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: «لا

(١) في الأصل: «قبل».
(٢) أخرجه البخاري في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «مَنْ أَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَقَتَلَهُ»، ح(٢٥٩٨).
(٣) أخرجه البخاري في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «الْجَنَّةِ تَحْتَ بَارِقَةِ السُّيُوفِ»، ح(٢٦٠٧)، ومسلم في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «كَرَاهَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَالأَمْرِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ»، ح(٣٢٧٦).
(٤) أخرجه البخاري في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «فَضْلِ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا أَوْ خَلَفَهُ بِخَيْرٍ»، ح(٢٦٣١)، ومسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «فَضْلِ إِعَانَةِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ...»، ح(٣٥١١) وموضع آخر.
(٥) أخرجه البخاري في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾»، ح(٢٦٤١).

تستطيعونه». قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه». ثم قال: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد»[(١)]. الستة[(٢)] إلا أبو داود.

٩- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه، أو ظهر بعيره، أو على قدمه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً يقرأ كتاب الله لا يرعوي بشيء منه»[(٣)] رواه النسائي.

لا يرعوي، أي: لا ينكف ولا يتعظ ولا ينزجر.

١٠- وعن ابن عباس ﷺ قال: سمعت رَسُول اللهِ ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله تعالى»[(٤)] التِّرمذي.

١١- وعن [ابن][(٥)] أبي عميرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقتل في سبيل الله

---

(١) أخرجه البخاري في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...»، ح(٢٥٧٩)، ومسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «فَضْلِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى»، ح(٣٤٩٠)، واللفظ له.
(٢) كتب الحديث الستة هي: البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي وأبو داود.
(٣) أخرجه النسائي في «الْجِهَادِ»، باب: «فَضْلِ مَنْ عَمِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى قَدَمِهِ»، ح(٣٠٥٥)، وأحمد في «مُسْنَد أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِي ﷺ»، ح(١٠٨٩٢)، والحاكم في «المستدرك»، (٢/ ٧٧)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن النسائي»، ح(٣١٠٦).
(٤) أخرجه الترمذي في «فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْحَرَسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(١٥٦٣)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(١٦٣٩).
(٥) ناقصة من الأصل.

أحب إليَّ من أن يكون لي أهل المدر والوبر»[١] أخرجه النسائي.

أهل المدر والوبر، أي: أهل الحواضر والبوادي.

١٢- وعن راشد بن سعد ﷺ، عن رجل من الصحابة، أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ فقال: «كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة»[٢] أخرجه النسائي.

وهذه من امتيازات الشهيد في الموقعة، وكم له من امتيازات كهذه ستأتي بعد فاستمع.

١٣- وعن أبي هريرة ﷺ، أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: «ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة»[٣] الترمذي والنسائي والدارمي، وقال الترمذي: حسن غريب.

وهذا امتياز آخر للشهيد.

١٤- وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عجب ربنا تبارك وتعالى من رجلٍ غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه، فعلم ما عليه، فرجع حتَّى أريق دمه، فيقول الله تعالى للملائكة: انظروا إلى عبدي رجع رغبةً فيما عندي، وشفقةً ممَّا عندي حتى أريق دمه، أشهدكم

---

(١) أخرجه أحمد في «حَدِيث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمِيرَةَ الأَزْدِي ﷺ»، ح(١٧٢٢١)، والنسائي في «السنن الكبرى»، (٣/ ٢٢) واللفظ له، والهيثمي في «مجمع الزوائد»، (٥/ ٢٩٧)، وقال: «رواه أحمد ورجاله ثقات»، وقد صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، ح(١٣٥٧).

(٢) أخرجه النسائي في «الْجَنَائِزِ»، باب: «الشَّهِيدُ»، ح(٢٠٢٦) بلفظ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن النسائي»، ح(٢٠٥٣).

(٣) أخرجه أحمد في «مُسْنَد أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ»، ح(٧٦١٢)، والترمذي في «فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْمُرَابِطِ»، ح(١٥٩١)، وقَالَ التِرمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وقد صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»، (٢/ ٦٨٦).

أني قد غفرت له»(١).

شفقة: خوفًا. وأريق دمه: سال دمه.

١٥- وعن عبد الخير بن ثابت بن قيس بن شمَّاس، عن أبيه، عن جده قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ يقال لها أمّ خلاد وهي متنقبة تسأل عن ابن لها قتل في سبيل الله تعالى، فقال لها بعض أصحابه: جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقبة؟ فقالت: إن أُرْزأ ابني فلن أُرْزأ حَيائي. فقال لها النبي ﷺ: «ابنك له أجر شهيدين». قالت: ولم؟ قال: «لأنه قتله أهل الكتاب»(٢). أخرجهما أبو داود.

أرزأ ابني: أفقده وأصاب فيه. وفي هذا الحديث إشارة إلى وجوب قتال أهل الكتاب، وأن الله يضاعف أجر من قاتلهم، فليس الجهاد للمشركين فقط ولكنه لكل من لم يسلم.

١٦- وعن سهل بن حُنيف ﷺ، أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: «من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»(٣) أخرجه الخمسة(٤) إلا البخاري.

١٧- وعن خريم بن فاتك قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق نفقة في سبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف»(٥). رواه الترمذي وحسنه، والنسائي.

١٨- وعن أبي هريرة ﷺ قال: مر رجل من أصحاب رَسُول اللهِ ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب. فذكر ذلك

---

(١) أخرجه أبو داود في «الْجِهَادِ»، باب: «فِي الرَّجُلِ يَشْرِي نَفْسَهُ»، ح(٢١٧٤)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٢٥٣٦).

(٢) أخرجه أبو داود في «الْجِهَادِ»، باب: «فَضْلِ قِتَالِ الرُّومِ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ الْأُمَمِ»، ح(٢٤٨٨)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود».

(٣) أخرجه مسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «اسْتِحْبَابِ طَلَبِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى»، ح(٣٥٣٢).

(٤) مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٥) أخرجه الترمذي في «فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِي فَضْلِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(١٥٥٠)، والنسائي في «الْجِهَادِ»، باب: «فَضْلِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّه تَعَالَى»، ح(٣١٣٥)، وقد صححه الألباني في «مشكاة المصابيح»، ح(٣٨٢٦).

لرَسُول اللهِ ﷺ فقال: «لا تفعل؛ فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟ اُغْزُوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة[١] وجبت له الجنة»[٢] رواه الترمذي.

عيينة: عين صغيرة تفيض بالماء.

١٩- وعن المقدامِ بنِ معدِ يكربَ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «للشهيدِ عندَ الله ستُ خصالٍ: يغفرُ لهُ في أوَّلِ دفعةٍ، ويُرى مقعدهُ من الجنَّةِ، ويجارُ من عذابِ القبرِ، ويأمنُ من الفزعِ الأكبرِ، ويوضعُ على رأسهِ تاجُ الوقارِ الياقُوتةُ منها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، ويزوَّجُ اثنتينِ وسبعينَ زوجةً من الحورِ العينِ، ويشفَّعُ في سبعينَ من أقربائهِ»[٣] رواه الترمذي وابن ماجه.

٢٠- وعن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «من لقيَ اللهَ بغيرِ أثرٍ من جهادٍ لقيَ اللهَ وفيهِ ثُلمةٌ»[٤] رواه الترمذي وابن ماجه.

٢١- عن أنس ﷺ قال: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه»[٥] رَوَاهُ مُسلِمٌ.

٢٢- وعن عثمان بن عفان ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً في سَبيلِ الله ﷻ،

(١) فُواق ناقةٍ: هو قدر ما بين الحلبتين من الراحة، تضم فاؤه وتفتح. [لسان العرب، مادة (فوق)].
(٢) أخرجه الترمذي في «فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ في فَضْلِ الْغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ في سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(١٥٧٤)، وأحمد في «مُسْنَد أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ»، ح(١٠٣٦٧)، والحاكم في «المستدرك»، (٢/ ٧٨)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(١٦٥٠).
(٣) أخرجه الترمذي في «فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «فِي ثَوَابِ الشَّهِيدِ»، ح(١٥٨٦)، وابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «فَضْلِ الشَّهَادَةِ في سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(٢٧٨٩)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(١٦٦٣).
(٤) أخرجه الترمذي في «فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ في فَضْلِ الْمُرَابِطِ»، ح(١٥٨٩) واللفظ له، وابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «التَّغْلِيظِ في تَرْكِ الْجِهَادِ»، ح(٢٧٥٣)، والحاكم في «المستدرك»، (٢/ ٨٩)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي»، ح(١٦٦٦).
(٥) أخرجه مسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «اسْتِحْبَابِ طَلَبِ الشَّهَادَةِ في سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى»، ح(٣٥٣١).

كَانَتْ كَأَلْفِ لَيْلَةٍ، صِيَامِها وَقِيَامِها»[(١)]. رواه ابن ماجه.

٢٣- وعَنْ أَبي الدَّرْدَاءِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ [قَالَ][(٢)]: «غَزْوَةٌ في البَحْرِ مِثْل عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي البَرِّ، والذي يَسْدَرُ في البَحْرِ كَالمُتَشَحِّطِ في دَمِهِ في سَبِيلِ الله سُبْحَانَهُ»[(٣)]. رواه ابن ماجه. يسدر: يميل ويهتز وترتج به السفينة.

وفيه الإشارة بغزو البحر ولفت نظر الأمة إلى وجوب العناية بحفظ سواحلها وتقوية أسطولها، ويقاس عليه الجو فيضاعف الله للغزاة في الجو في سبيله أضعافًا مضاعفة.

٢٤- وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رضي الله تعالى عنه- يقُولُ: لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو ابْنُ حَرَامٍ، يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا جَابِرُ، أَلاَ أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللهُ ﷻ لأَبِيكَ»؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا إِلاَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا. فَقَالَ: يَا عَبْدِي! تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ! تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ. قَالَ: يَا رَبِّ! فَأَبْلِغْ مَنْ وِرائي. فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا...﴾ الآية كلها [آل عمران: ١٦٩][(٤)]. رواه ابن ماجه.

٢٥- وعَنْ أَنسٍ، عَنْ أَبِيهِ -رضي الله عنهما- عَنْ النبي ﷺ قَالَ: «لأَنْ أُشَيِّعَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ فأكففه[(٥)] عَلَى رَحْلِهِ غَدْوَةً أَوْ رَوْحَةً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[(٦)] رواه ابن ماجه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «فَضْلِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(٢٧٥٦)، وقد حسنه الألباني في «صحيح الجامع»، ح(٥٩١٥).

(٢) زيادة من عندنا.

(٣) أخرجه ابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «فَضْلِ غَزْوِ الْبَحْرِ»، ح(٢٧٦٧)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه»، ح(٢٧٧٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «فَضْلِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(٢٧٩٠)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»، ح(٢٨٠٠).

(٥) وردت هذه الكلمة في المتون: «فأكفه».

(٦) أخرجه ابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «تَشْيِيعِ الْغُزَاةِ وَوَدَاعِهِمْ»، ح(٢٨١٤)، والحاكم في «المستدرك»، (٢/ ١٠٧)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه»، ح(٢٨٢٤).

كَانَتْ كَأَلفِ لَيْلَةٍ، صِيَامِها وَقِيَامِها»[١]. رواه ابن ماجه.

٢٣- وعَنْ أَبي الدَّرْدَاءِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ [قَالَ][٢]: «غَزْوَةٌ في البَحْرِ مِثْل عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي البَرِّ، والذي يَسْدَرُ في البَحْرِ كَالمُتَشَحِّطِ في دَمِهِ في سَبِيلِ الله سُبْحَانَهُ»[٣]. رواه ابن ماجه. يسدر: يميل ويهتز وترتج به السفينة.

وفيه الإشارة بغزو البحر ولفت نظر الأمة إلى وجوب العناية بحفظ سواحلها وتقوية أسطولها، ويقاس عليه الجو فيضاعف الله للغزاة في الجو في سبيله أضعافًا مضاعفة.

٢٤- وعن جَابِرِ بْن عَبْدِ اللهِ -رضي الله تعالى عنه- يقُولُ: لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرو ابْنُ حَرَامٍ، يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا جَابِرُ، أَلاَ أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللهُ ﷻ لأَبِيكَ»؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا إلاَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا. فَقَالَ: يَا عَبْدِي! تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ! تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيةً. قَالَ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ. قَالَ: يَا رَبِّ! فَأَبْلِغْ مَنْ وِرائي. فَأَنْزَلَ الله ﷻ هَذهِ الآيَةَ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا...﴾ الآية كلها [آل عمران: ١٦٩]»[٤]. رواه ابن ماجه.

٢٥- وعَنْ أَنسٍ، عَنْ أَبِيهِ -رضي الله عنهما- عَنْ النبي ﷺ قَالَ: «لأَنْ أُشَيِّعَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ فأكففه[٥] عَلَى رَحْلِهِ غَدْوَةً أَوْ رَوْحَةً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[٦] رواه ابن ماجه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «فَضْلِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(٢٧٥٦)، وقد حسنه الألباني في «صحيح الجامع»، ح(٥٩١٥).

(٢) زيادة من عندنا.

(٣) أخرجه ابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «فَضْلِ غَزْوِ الْبَحْرِ»، ح(٢٧٦٧)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه»، ح(٢٧٧٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «فَضْلِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(٢٧٩٠)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»، ح(٢٨٠٠).

(٥) وردت هذه الكلمة في المتون: «فأكفه».

(٦) أخرجه ابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «تَشْيِيعِ الْغُزَاةِ وَوَدَاعِهِمْ»، ح(٢٨١٤)، والحاكم في «المستدرك»، (٢/١٠٧)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه»، ح(٢٨٢٤).

فأكففه على رحله: فأساعده عليه. غدوة: بالغدو وهو الصباح. روحة: في الرواح وهو المساء.

٢٦- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «وفد الله ثلاثة: الغازي والحاج والمعتمر»[١]. رواه مسلم[٢].

٢٧- وعن أبي الدّرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»[٣]. رواه أبو داود[٤].

٢٨- عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»[٥]. رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم.

٢٩- وعن أبي هريرة ﷺ قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض». قال عمير بن الحمام: بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك: بخ بخ؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها». فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي، إنها لحياة طويلة، فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قتل[٦]. رواه مسلم.

٣٠- عن أبي عمران قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفًا عظيمًا من الروم،

---

(١) أخرجه النسائي في «مَنَاسِكِ الْحَجِّ»، باب: «فَضْلِ الْحَجِّ»، ح(٢٥٧٨)، والحاكم في «المستدرك»، (١/ ٦٠٨)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن النسائي»، ح(٢٦٢٥).

(٢) سها الإمام -رحمه الله- فعزا لمسلم، وهو غير ذلك كما في السابق.

(٣) أخرجه أبو داود في «الْجِهَادِ»، باب: «فِي الشَّهِيدِ يُشَفَّعُ»، ح(٢١٦٠)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٢٥٢٢).

(٤) في الأصل: «الدرداء».

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه مسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ»، ح(٣٥٢٠).

فخرج إليهم من المسلمين مثلهم وأكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف من الروم حتى دخل عليهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله! يلقي بيده إلى التهلكة. فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: أيها الناس، إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه. قال بعضنا لبعض سرًّا دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله تعالى أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها. فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلنا، ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو. فما زال أبو أيوب شاخصًا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم[1]. رواه الترمذي.

ولاحظ -يا أخي- أن أبا أيوب حين يقول هذا كان في سن كبيرة قد جاوزت الشباب والكهولة، ومع هذا فقلبه وروحه وإيمانه مثال للفتوة القوية بتأييد الله وعزة الإسلام.

٣١- وعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من النفاق»[2]. رواه مسلم وأبو داود ونظائره كثيرة.

والأحاديث الكريمة في ذلك وأمثاله، وفي غزو البحر وتفضيله على غزو البر بمرات، وفي غزو أهل الكتاب كذلك، وفي تفصيل أحكام القتال، أكثر من أن يحيط به مجلد كبير، وندلك على كتاب (العبرة فيما ورد عن الله ورسوله في الغزو والجهاد والهجرة) للسيد حسن صديق خان[3] وهو خاص بذلك البحث، وكتاب (مشارع الأشواق إلى مصارع

---

(١) أخرجه الترمذي في «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «وَمِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ»، ح(٢٨٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٢٩٧٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صديق حسن خان [١٢٤٨-١٣٠٧هـ = ١٨٣٢-١٨٩٠م]: محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب: من رجال النهضة الإسلامية المجددين. ولد ونشأ في قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي. وسافر إلى بهوپال طلبًا للمعيشة، ففاز بثروة وافرة، وتزوج بملكة بهوپال، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر. [الأعلام، (٦/ ١٦٧-١٦٨)].

العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام)[1]، وما جاء في كتب الحديث كلها في باب الجهاد ترى الكثير الطيب.

حكم الجهاد عند فقهاء الأمة:

مرت بك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في فضل الجهاد، وأحب أن أنقل إليك طرفًا مما قاله فقهاء المذاهب، حتى المتأخرين منهم في أحكام الجهاد ووجوب الاستعداد، لتعلم إلى أي حد ضيعت الأمة الإسلامية أحكام دينها في قضية الجهاد بإجماع آراء المسلمين في كل عصر من أعصارهم فاسمع:

١- قال صاحب (مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر)[2] مقررًا أحكام الجهاد في مذهب الأحناف: «الجهاد في اللغة: بذل ما في الوسع من القول والفعل. وفي الشريعة: قتل الكفار ونحوه من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم.

والمراد: الاجتهاد في تقوية الدين بنحو قتال الحربيين والذميين إذا نقضوا، والمرتدين -الذين هم أخبث الكفار؛ للنقض بعد الإقرار- والباغين بدءًا منا فرض كفاية، يعني يفرض علينا أن نبدأهم بالقتال بعد بلوغ الدعوة، وإن لم يقاتلونا، فيجب على الإمام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين، وعلى الرعية إعانته، وإذا قام به بعض سقط عن الباقين، فإذا لم تقع الكفاية بذلك البعض وجب على الأقرب فالأقرب، فإن لم تقع الكفاية إلا بجميع الناس فحينئذ صار فرض عين كالصلاة، أما الفريضة فلقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «الجهاد ماض إلى يوم

---

(١) هذا الكتاب لابن النحاس [... - ٨١٤هـ = ... - ١٤١١م]: أحمد بن إبراهيم بن محمد، أبو زكريا، محيي الدين الدمشقي ثم الدمياطي، المعروف بابن النحاس: فاضل، مجاهد، من فقهاء الشافعية. ولد في دمشق، ورحل إلى مصر، فسكن (المنزلة) ولازم المرابطة والجهاد بثغر (دمياط)، وقتل شهيدًا في معركة مع الفرنج، بقرب (الطينة) شرقي بحيرة المنزلة، ودفن بدمياط. [السابق، (١/ ٨٧)].

(٢) صاحبه هو شيخي زاده [...- ١٠٧٨هـ = ...- ١٦٦٧م]: عبد الرحمن بن محمد بن سليمان، المعروف بشيخي زاده ويقال له الداماد: فقيه حنفي، من أهل كليبولي (بتركيا) من قضاة الجيش. له (نظم الفرائد) في مسائل الخلاف بين الماتريدية والأشعرية. [السابق، (٣/ ٣٣٢)].

القيامة»[١]، وإن تركه الكل أثموا.

إلى أن قال: فإن غلب العدو على بلد من بلاد الإسلام أو ناحية من نواحيها ففرض عين، فتخرج المرأة والعبد بلا إذن الزوج والمولى، وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه، والغريم بغير إذن دائنه».

وفي كتاب (البحر): «امرأة مسلمة سبيت بالشرق وجب على أهل المغرب تخليصها [ما لم تدخل حصونهم وحرزهم]»[٢][٣] انتهى.

٢- وقال صاحب (بلغة السالك لأقرب المسالك في مذهب الإمام مالك)[٤]: «الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي، ويتعين (أي: يصير فرض عين كالصلاة والصوم) بتعيين الإمام، وبهجوم العدو على محلة قوم، فيتعين عليهم وعلى من بقربهم إن عجزوا، ويتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة، ولو منعهم الولي والزوج والسيد ورب الدين إن كان مدينًا، ويتعين أيضًا بالنذر، وللوالدين المنع منه في فرض الكفاية فقط، وفك الأسير من الحربيين، وإن لم يكن له مال يفك منه فرض كفاية، وإن أتى على جميع أموال المسلمين» انتهى.

٣- وفي (متن المنهاج) للإمام النووي الشافعي: «كان الجهاد في عهد رسول الله ﷺ فرض كفاية، وقيل: عين، وأما بعده فللكفار حالان:

---

(١) أخرج أبو داود في «الْجِهَادِ»، باب: «فِي الْغَزْوِ مَعَ أَئِمَّةِ الْجَوْرِ»، ح(٢١٧٠) من طريق أَنَس بْنِ مَالِكٍ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «ثَلاَثٌ مِنْ أَصْلِ الإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَلاَ نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ وَلاَ نُخْرِجُهُ مِنَ الإِسْلاَمِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لاَ يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلاَ عَدْلُ عَادِلٍ، وَالإِيمَانُ بِالأَقْدَارِ»، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٢٥٣٢).

(٢) فيما بين يدينا من النسخة المطبوعة: «ما لم تدخل حصونهم وجدرهم».

(٣) انظر: زين بن إبراهيم بن محمد بن بكر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار المعرفة، بيروت، (٥/ ٧٩).

(٤) هو أحمد بن الصاوي المصري المالكي الخلوتي المتوفى سنة ١٢٤١هـ.

أحدهما: يكونون ببلادهم ففرض كفاية، إذا فعله من فيهم [الكفاية من المسلمين][(١)] سقط الحرج عن الباقين.

والثاني: يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن، وإن[(٢)] أمكن تأهب لقتال وجب الممكن حتى على فقير وولد ومدين وعبد بلا إذن)[(٣)].

٤ - وفي (المغني) لابن قدامة الحنبلي قال: «مسألة- والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين، [ويتعين في ثلاثة مواضع][(٤)]:

أ- إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف ويتعين[(٥)] عليه المقام.

ب- إذا نزل الكفار ببلدة[(٦)] تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

ج- إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم النفير معه.

وأقل ما يفعل مرة كل[(٧)] عام.

قال أبو عبد الله (يعني الإمام ابن حنبل): لا أعلم شيئًا من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد، وغزوة[(٨)] البحر أفضل من غزوة[(٩)] البر.

قال أنس بن مالك ﷺ: نام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك. قالت أم حرام: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله،

---

(١) في النسخة التي بين يدينا: «كفاية».
(٢) في «المنهاج»: «فإن».
(٣) يحيى بن شرف النووي أبو زكريا: منهاج الطالبين وعمدة المفتين، دار المعرفة، بيروت، ص(١٣٦).
(٤) في «المغني»: «فصل في ثلاثة مواضع: أحدهما».
(٥) في «المغني»: «وتعين».
(٦) في «المغني»: «ببلد».
(٧) في «المغني»: «في كل».
(٨) في «المغني»: «غزو».
(٩) في «المغني»: «غزو».

يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة»[(١)] متفق عليه[(٢)].

ومن تمام الحديث أن أم حرام سألت النبي ﷺ أن يدعو الله لها لتكون من هؤلاء فدعا لها، فعمرت حتى ركبت البحر في أسطول المسلمين الذي فتح جزيرة قبرص وماتت بها ودفنت فيها، وهناك مسجد ومشهد ينسب إليها رحمها الله ورضي الله عنها.

٥ - وقال في (المحلى) لابن حزم الظاهري: «مسألة: والجهاد فرض على المسلمين، فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحمي ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين، وإلا فلا قال الله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ٤١]، ولا يجوز إلا بإذن الأبوين، إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم مغيثًا لهم، أذن الأبوان أم لم يأذنا، إلا أن يضيعا أو أحدهما بعده، فلا يحل له ترك من يضيع منهما»[(٣)].

٦- وقال الشوكاني في (السيل الجرار): «الأدلة الواردة في فرضيه الجهاد كتابًا وسنة أكثر من أن تكتب ها هنا، ولكن لا يجب ذلك إلا على الكفاية، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين. وقبل أن يقوم به البعض هو فرض عين[(٤)] على كل مكلف، وهكذا يجب على من استنفره الإمام أن ينفر، ويتعين ذلك عليه»[(٥)].

فها أنت ذا ترى من ذلك كله كيف أجمع أهل العلم مجتهدين ومقلدين، سلفيين وخلفيين، على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية، لنشر الدعوة، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها.

---

(١) أخرجه البخاري في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «الدُّعَاءِ بِالْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ...»، ح(٢٥٨٠) ومواضع أخر، ومسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «فَضْلِ الْغَزْوِ فِي الْبَحْرِ»، ح(٣٥٣٥).

(٢) انظر: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، الطبعة الأولى، (٩/ ١٦٢-١٦٥).

(٣) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد: المحلى، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (٧/ ٢٩١-٢٩٢).

(٤) في نسخة الكتاب التي بين يدينا: «عيني».

(٥) محمد بن علي بن محمد الشوكاني: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، تحقق: محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، (٤/ ٥١٥).

والمسلمون الآن كما تعلم مستذلون لغيرهم محكومون بالكفار، قد ديست أرضهم، وانتهكت حرماتهم، وتحكم في شئونهم خصمهم، وتعطلت شعائر دينهم في ديارهم، فضلاً عن عجزهم عن نشر دعوتهم، فوجب وجوبًا عينيًا لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم، وأن ينطوي على نية الجهاد وإعداد العدة له حتى تحين الفرصة ويقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

ولعل من تمام هذا البحث أن أذكر لك أن المسلمين في أي عصر من عصورهم قبل هذا العصر المظلم الذي ماتت فيه نخوتهم، لم يتركوا الجهاد ولم يفرطوا فيه حتى علماؤهم والمتصوفة منهم والمحترفون وغيرهم، فكانوا جميعًا على أهبة الاستعداد، كان عبد الله بن المبارك[١] الفقيه الزاهد متطوعًا في أكثر أوقاته بالجهاد، وكان عبد الواحد بن زيد[٢] الصوفي الزاهد كذلك، وكان شقيق البلخي[٣] شيخ الصوفية في وقته يحمل نفسه وتلامذته على الجهاد.

وكان البدر العيني[٤] شارح البخاري الفقيه المحدث يغزو سنة ويدرس العلم سنة

---

(١) ابن المبارك [١١٨-١٨١هـ = ٧٣٦-٧٩٧م]: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، أفنى عمره في الأسفار، حاجًا ومجاهدًا وتاجرًا، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، كان من سكان خراسان، ومات بهيت (على الفرات). له كتاب في «الجهاد»، وهو أول مَن صنف فيه، و«الرقائق». [الأعلام، (٤/ ١١٥)].

(٢) عبد الواحد بن زيد: الزاهد، القدوة، شيخ العباد، أبو عبيدة البصري، كان ممن غلب عليه العبادة، حتى غفل عن الإتقان، فكثرت المناكير في حديثه. صلى عبد الواحد بن زيد الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة. فارق عمرو بن عبيد لاعتزاله، وقال بصحة الاكتساب، وقد نسب إلى شيء من القدر، ولم يشهر، بل نصب نفسه للكلام في مذاهب النساك، وتبعه خلق. مات بعد الخمسين ومائة. [سير أعلام النبلاء، (٧/ ١٧٨-١٨٠)].

(٣) شقيق البلخي [...- ١٩٤هـ =...- ٨١٠م]: شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي البلخي، أبو علي: زاهد صوفي، من مشاهير المشايخ في خراسان، ولعله أول من تكلم في علوم الأحوال (الصوفية) بكور خراسان، وكان من كبار المجاهدين. استشهد في غزوة كولان (بما وراء النهر). [الأعلام، (٣/ ١٧١)].

(٤) بدر الدين العيني [٧٦٢-٨٥٥هـ = ١٣٦١-١٤٥١م]: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في

ويحج سنة، وكان القاضي أسد بن الفرات[1] المالكي أميرًا للبحر في وقته، وكان الإمام الشافعي يرمي عشرة ولا يخطئ.

كذلك كان السلف -رضوان الله عليهم، فأين نحن من هذا التاريخ؟!

لماذا يقاتل المسلم؟

أتى على الناس حين من الدهر وهم يغمزون الإسلام بفرضية الجهاد وإباحة القتال، حتى تحققت الآيات الكريمة: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. فها هم الآن يعترفون بأن الاستعداد هو أضمن طريق للسلام. فرض الله الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية، ولكن حماية للدعوة وضمانًا للسلم، وأداء للرسالة الكبرى التي حمل عبئها المسلمون، رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل، وإن الإسلام كما فرض القتال شاد بالسلام، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

كان المسلم يخرج للقتال وفي نفسه أمر واحد أن يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا، وقد فرض دينه عليه أن لا يخلط بهذا المقصد غاية أخرى، فحب الجاه عليه حرام، وحب الظهور عليه حرام، وحب المال عليه حرام، والغلول من الغنيمة عليه حرام، وقصد الغلب بغير الحق عليه حرام. والحلال أمر واحد أن يقدم دمه وروحه فداء لعقيدته وهداية للناس.

عينتاب، أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس، وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية، عكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة [السابق، (٧/ ١٦٣)].

(١) أسد بن الفرات [١٤٢-٢١٣هـ = ٧٥٩-٨٢٨م]: أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم، أبو عبد الله: قاضي القيروان وأحد القادة الفاتحين. أصله من خراسان. ولد بحران (أو بنجران) ورحل أبوه إلى القيروان، نشأ بها ثم بتونس، ورحل إلى المشرق في طلب الحديث (سنة ١٧٢هـ)، ثم ولي قضاء القيروان (سنة ٢٠٤هـ)، وكان شجاعًا حازمًا صاحب رأي، واستعمله زيادة الله الأغلبي على جيشه وأسطوله ووجهه لفتح جزيرة صقلية (سنة ٢١٢هـ) فهاجمها بعشرة آلاف، ودخلها فاتحًا، توفي من جراحات أصابته وهو محاصر سرقوسة برًا وبحرًا. وهو مصنف (الأسدية) في فقه المالكية. [السابق، (١/ ٢٩٨)].

عن الحارث بن مسلم بن الحارث، عن أبيه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فلما بلغنا المغار استحثثت فرسي فسبقت أصحابي، فتلقاني أهل الحي بالرنين، فقلت لهم: قولوا: لا إله إلا الله تحرزوا، فقالوها، فلامني أصحابي وقالوا: حرمتنا الغنيمة، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبروه بالذي صنعت، فدعاني فحسن لي ما صنعت، ثم قال لي: «ألا إن الله تعالى قد كتب لك بكل إنسان كذا وكذا من الأجر». وقال: «أما إني سأكتب لك بالوصاية بعدي»، ففعل وختم عليه ودفعه إليَّ[1]. أخرجه أبو داود.

وعن شداد بن الهادي رضي الله عنه، أن رجلاً من الأعراب جاء فآمن بالنبي ﷺ، ثم قال أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه فكانت غزاة غنم فيها النبي ﷺ شيئا فقسم وقسم له. فقال: ما هذا؟ فقال: «قسمته لك». فقال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا -وأشار بيده إلى حلقه- بسهم فأموت فأدخل الجنة. قال: «إن تصدق الله يصدقك». فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأتي به النبي محمولاً قد أصابه سهم حيث أشار. فقال النبي ﷺ: «أهو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقه»، ثم كفن في جبة النبي ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه. فكان مما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك فقتل شهيدًا وأنا شهيد على ذلك»[2]. أخرجه النسائي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد في سبيل الله، وهو يبتغي عرضًا من الدنيا. فقال: «لا أجر له». فأعادها عليه ثلاثًا كل ذلك يقول: «لا

---

(١) أخرجه أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ»، ح(٤٤١٧)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٥٠٨٠).

(٢) أخرجه النسائي في «الْجَنَائِزِ»، باب: «الصَّلاةُ عَلَى الشُّهَدَاءِ»، ح(١٩٢٧)، والحاكم في «المستدرك»، (٣/ ٦٨٨)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن النسائي»، ح(١٩٥٣).

أجر له»[١] أخرجه أبو داود.

وعن أبي موسى ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟

قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[٢] أخرجه الخمسة.

وأنت إذا قرأت وقائع الصحابة -رضوان الله عليهم- ومسالكهم في البلاد التي فتحوها، رأيت مبلغ عزوفهم عن المطامع والأهواء، وانصرافهم لغايتهم الأساسية الأصلية، وهي إرشاد الخلق إلى الحق حتى تكون كلمة الله هي العليا، ورأيت مبلغ الخطأ في اتهامهم رضوان الله عليهم بأنهم إنما كانوا يريدون الغلب على الشعوب، والاستبداد بالأمم، والحصول على الأرزاق.

الرحمة في الجهاد الإسلامي:

لما كانت الغاية في الجهاد الإسلامي أنبل الغايات، كانت وسيلته كذلك أفضل الوسائل، فقد حرم الله العدوان، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠]، وأمر بالعدل حتى مع الأعداء والخصوم فقال تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]، وأرشد المسلمين إلى منتهى الرحمة.

فهم حينما يقاتلون لا يعتدون ولا يفجرون ولا يمثلون ولا يسرقون ولا ينتهبون الأموال، ولا ينتهكون الحرمات، ولا يتقدمون بالأذى، فهم في حربهم خير محاربين، كما

---

(١) أخرجه أبو داود في «الْجِهَادِ»، باب: «فِي مَنْ يَغْزُو وَيَلْتَمِسُ الدُّنْيَا»، ح(٢١٥٥)، وأحمد في «مسند أبي هريرة ﷺ»، ح(٧٥٥٩)، والحاكم في «المستدرك»، (٢/ ٩٤)، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٢٥١٦).

(٢) أخرجه البخاري في «التَّوْحِيدِ»، باب: «قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾»، ح(٦٩٠٤)، ومسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هي الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(٣٥٢٥).

أنهم في سلمهم أفضل مسالمين.

عن بريدة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى، ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: «اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا»[١] رواه مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه»[٢] أخرجه الشيخان.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أعف الناس قِتلةً أهل الإيمان»[٣] أخرجه أبو داود.

وعن عبد الله بن يزيد الأنصاري ﷺ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن النهب[٤] والمثلة»[٥] أخرجه البخاري.

كما ورد النهي عن قتل النساء والصبيان والشيوخ، والإجهاز على الجرحى، وإهاجة الرهبان والمنعزلين ومن لا يقاتل من الآمنين، فأين هذه الرحمة من غارات المتمدينين الخانقة وفظائعهم الشنيعة؟ وأين قانونهم الدولي من هذا العدل الرباني الشامل؟

اللهم فقه المسلمين في دينهم، وأنقذ العالم من هذه الظلمات بأنوار الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم في «الجهاد والسير»، باب: «تَأْمِيرِ الإِمَامِ الأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا»، ح(٣٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري في «الْعِتْقِ»، باب: «إِذَا ضَرَبَ الْعَبْدَ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ»، ح(٢٣٧٢) واللفظ له، ومسلم في «الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ»، باب: «النَّهْيِ عَنْ ضَرْبِ الْوَجْهِ»، ح(٤٧٢٨) ومواضع أخر.

(٣) أخرجه أبو داود في «الْجِهَادِ»، باب: «فِي النَّهْيِ عَنْ الْمُثْلَةِ»، ح(٢٢٩٢)، وابن ماجه في «الدِّيَاتِ»، باب: «أَعَفُّ النَّاسِ قِتْلَةً أَهْلُ الإِيمَانِ»، ح(٢٦٧١، ٢٦٧٢)، وأحمد في «مسند عبد الله بن مسعود ﷺ»، ح(٣٥٤٢)، وقد ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة»، (٣/ ٣٧٦).

(٤) وردت تلك اللفظة في الروايات: «النهبى، النهبة».

(٥) أخرجه البخاري في «الْمَظَالِمِ وَالْغَصْبِ...»، باب: «النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ...»، ح(٢٢٩٤) وموضع آخر.

ما يلحق بالجهاد:

شاع بين كثير من المسلمين أن قتال العدو هو الجهاد الأصغر، وأن هناك جهادًا أكبر هو جهاد النفس، وكثير منهم يستدل لذلك بما يروى: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب أو جهاد النفس».

وبعضهم يحاول بهذا أن يصرف الناس عن أهمية القتال والاستعداد له ونية الجهاد والأخذ في سبيله. فأما هذا الأثر فليس بحديث على الصحيح، قال أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر[1] في «تسديد القوس»: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن عبلة.

وقال العراقي[2] في تخريج أحاديث الإحياء: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر، على أنه لو صح فليس يعطي أبدًا الانصراف عن الجهاد والاستعداد لإنقاذ بلاد المسلمين ورد عادية أهل الكفر عنها، وإنما يكون معناه وجوب مجاهدة النفس حتى تخلص لله في كل عملها، فليعلم. وهناك أمور تلحق بالجهاد منها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جاء في الحديث: «إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[3]. ولكن شيئًا منها لا يوجب لصاحبه الشهادة الكبرى وثواب المجاهدين إلا أن يَقتل أو يقتل في سبيل الله.

---

(١) ابن حجر العسقلاني [٧٧٣-٨٥٢هـ = ١٣٧٢-١٤٤٩م]: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وأصبح حافظ الإسلام في عصره، وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة. [الأعلام، (١/ ١٧٨-١٧٩)].

(٢) الحافظ العراقي [٧٢٥-٨٠٦هـ = ١٣٢٥-١٤٠٤م]: عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقي: بحاثة، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده في رازنان (من أعمال إربل)، تحول صغيرًا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفي في القاهرة. [الأعلام، (٣/ ٣٤٤)].

(٣) سبق تخريجه.

خاتمة:

أيها الإخوان:

إنَّ الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا، والنعيم الخالد في الآخرة، وما الوهن الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم، واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة[١].

واعلموا أن الموت لابد منه، وأنه لا يكون إلا مرة واحدة، فإن جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة، ولن يصيبكم إلا ما كتب الله لكم، وتدبروا جيدًا قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة، رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد في سبيله.

* * *

(١) هذه العبارة لأبي بكر الصديق في إحدى وصاياه لخالد بن الوليد -رضي الله عنهما. [انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، (٣/ ٦٧)].


النادي الشبابي

رسالة

مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي

(٣ من المحرم ١٣٦٧هـ - ١٦ نوفمبر ١٩٤٧م)

تقـــديم

نشرت هذه الرسالة في جريدة الإخوان المسلمين اليومية في ٣محـرم ١٣٦٧هـ الموافـق ١٦نوفمبر ١٩٤٧م في سلسلة بعنوان: «ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد»، وجاءت المقـالات بداية من العدد (٤٧٢) بتاريخ ٣محرم ١٣٦٧هـ الموافق ١٦نوفمبر ١٩٤٧م، وحتى العـدد (٥١٢) بتاريخ ١٧صفر ١٣٦٧هـ الموافق ٣١ديسمبر ١٩٤٧م.

كما استكمل نشر الرسالة في مجلة الشهاب التي أصدرها الإمـام البنـا في غـرة المحـرم ١٣٦٧هـ الموافق ١٤نوفمبر ١٩٤٧م، وقد نشرت من بداية العـدد الثـاني بتـاريخ ١صـفر ١٣٦٧هـ الموافق ١٤ديسمبر ١٩٤٧م حتى العدد الخامس بتاريخ ١جمادى الأولى ١٣٦٧هـ الموافق ١٢مارس ١٩٤٨م.

ولقد أعيد نشرها في كتيب صغير جمع الرسالة كلها تحت عنوان: «مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي ونظام الحكم والنظام الاقتصادي» وطبعت في المطبعة العالمية ١٦شـارع ضريح سعد.

وقد ضمت تلـك الرسـالة معالجـة لأهـم مشـكلات مصـر السياسـية والاقتصـادية والاجتماعية، وتعتبر من أواخر اجتهادات الإمام الشهيد في هذه الأمور.

* * *

مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد

نظرات ثلاث[1]:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الذي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

إلى رئيس الحكومة باعتباره المسئول الأول،

وإلى أعضاء الهيئات النيابية على اختلافها باعتبارهم الممثلين الرسميين للأمة،

وإلى رجال الأزهر جميعًا،

وإلى رؤساء الهيئات الشعبية السياسية والوطنية والاجتماعية باعتبارهم قادة الفكر وموجهي الجماهير،

وإلى كل غيور على مصلحة هذا الوطن محب لخير العالم وسعادة بني الإنسان،

أوجه هذه الكلمات تباعًا على صفحات جريدة الإخوان، أداء للأمانة، وقيامًا بحق الدعوة.

ألا قد بلغت... اللهم فاشهد.

نظرات ثلاث:

فأما النظرة الأولى:

فإلى ما وصلت إليه الحال في وطننا العزيز «وادي النيل» من فساد تغلغل[2] في كل المرافق وشمل كل مظاهر الحياة:

مطالبنا الوطنية لم نصل فيها إلى شيء.

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٢)، السنة الثانية، ٣ محرم ١٣٦٧هـ- ١٦ نوفمبر١٩٤٧م، ص(١).

(٢) في الأصل: «وتغلغل».

وروح الشعب المعنوية محطمة أشد تحطيم بسبب هـذا الركـود، والشـقاق والخـلاف الذي تملك نفوس القادة والزعماء حاكمين ومعارضين على السواء.

والجهاز الإداري أفسدته المطامع الشخصية، والغايات الحزبيـة، وسـوء التصـرفات، وضعف الأخلاق، والمركزية القاتلة، والإجراءات المعقدة، والهرب من تحمل التبعات.

والقانون قد ضعف سلطانه على النفوس والأوضاع لكثرة ما أقحم عليه من تحايـل واستثناءات.

والضيق الاقتصادي وشدة الغلاء، وكثرة المتعطلين لقلة الأعمال، وانخفاض مستوى المعيشة إلى حد لا يكاد يتصوره إنسان بين الغالبية العظمى من السكان، مع نضوب معين الرحمة من القلوب، واستيلاء القسوة وروح الجبروت والظلم على النفوس، أخذ يتحول إلى حـال مـن السـخط تتمثـل في كثـرة الإضـرابات وتتجلـى[1] في كـثير مـن المظـاهر والعبارات.

والأخلاق قد انتهى أمرها -أو كاد- وعصف بها الجهل والفقـر والحاجـة والفاقـة، وانتشرت الرذائل ومظاهر الانحلال الخلقي في كل مكان.

والأفكار مبلبلة والنفوس قلقة لا تكاد تستقر في شيء على حال.

وكل هذه المعاني تزداد بمرور الأيام، وتتضاعف ساعة بعد ساعة، وتنذر ببلاء محـيط وشر مستطير، إن لم يتداركها العقلاء قبل فوات الأوان.

وأما النظرة الثانية:

فإلى ما وصلت إليه الحال في أوطاننا الغالية العزيزة من بلاد العروبة وأمم الإسلام:

فلسطين: مهددة بهذا الاجتياح الذي انتهت إليه هذه المؤامرة الدولية من الأمريكان والروس والإنجليـز علـى السـواء، بفعـل الصـهيونية العالميـة الـتي سـخرت الحكومـات والشعوب الغربية بالمال، مع استعدادها السابق لكل تعصب ذميم على العرب والمسلمين أينما كانوا.

(١) في الأصل: «ويتجلى».

والباكستان الناشئة: تقاسي الأمرين من هذا العدوان الوثني المسلح، المؤيد بدسائس الاستعمار وأسلحة الاستعمار على اختلاف دوله، حتى روسيا -التي تتظاهر باحترام إرادات[١] الأمم والشعوب- تتآمر هي الأخرى على الدولة الناشئة إن صح ما وافتنا به اليوم البرقيات والأخبار.

وإندونيسيا: التي تبلغ سبعين مليونا أكثرهم من المسلمين، تضغط عليها هولندا التي لم تكسر قيد الاحتلال الألماني إلا بيد غيرها من جنود الحلفاء، وتريد أن تحول بين هذا الشعب المسلم الباسل وبين ما هو حق طبيعي له من حرية واستقلال.

وطرابلس الغرب وبرقة: تجهز لها حبائل الاستفتاء ولا يدري عواقب هذه اللعبة السياسية إلا الله. وإن غدًا لناظره قريب[٢].

وشمال إفريقيا بأقسامه[٣]: تونس والجزائر ومراكش، يستغيث ولا مغيث، ويجاهد ما استطاع ليكسر القيود والأغلال التي ضربتها من حوله فرنسا، وحرمته بها حقه في العيش الحر الكريم، وفي الاستقلال التام.

وقل مثل ذلك في كل شعب عربي وإسلامي، فإنك لن تجد واحدا منها قد سلم من مناورات الغصب ودسائس الاستعمار. وهذا في أوضاعه السياسية، وكلها من حيث الأوضاع الاجتماعية ليست أحسن حالا مما تقدم ذكره في وادي النيل. «وكلنا في الهم شرق»[٤].

وأما النظرة الثالثة:

فإلى ما انحدر إليه التفكير بين زعماء العالم وساسة الشعوب، والذين أتاحت لهم

---

(١) في الأصل: «إدارات».

(٢) اقتباس من قول الشاعر الجاهلي قراد بن أجدع من الوافر:

فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا اليَومِ وَلَّى ... فَإِنَّ غَداً لِنَاظِرِه قَرِيبُ

(٣) في الأصل: «قسامه».

(٤) هذه العبارة لأحمد شوقي، من البيت التالي:

نَصَحتُ وَنَحنُ مُختَلِفونَ دارًا ... وَلَكِن كُلُّنا في الهَمِّ شَرقُ

وهو من بحر الوافر.

المقادير أن يكونوا قادة الدنيا في هذه الأيام بعد الحرب العالمية الثانية.

لقد اختفت المثل العليا تمام الاختفاء، وغابت عن الأنظار والقلوب تلك الأهداف الجميلة التي نادى بها هؤلاء الناس ساعة العسرة، وجندوا باسمها قوى الأمم ضد الظلم والطغيان، فالعدالة الاجتماعية، والحريات الأربع، ومبادئ ميثاق الأمم.. إلخ هذه القائمة الطويلة العريضة من المبادئ السامية والأهداف المغرية أصبحت في خبر كان، ولم تعد لهؤلاء الساسة والزعماء «فلسفة راقية» يقودون بتوجيهها العالم إلا فلسفة المصالح المادية والمطامع الاستعمارية ومناطق النفوذ والاستيلاء على المواد الخام! وكل ذلك على صورة من الجشع والنهم لم تر الدنيا لها مثيلاً[١] ولا بعد الحرب العالمية الأولى. وأصبحت هذه المعاني وحدها هي محور التنافس بين الدول المنتصرة (روسيا من جانب وأمريكا وإنجلترا من جانب آخر) وإن حاولت كل منها أن تستر جشعها ومناورتها بستار من دعوى المبادئ الاجتماعية الصالحة والنظم الإنسانية الفاضلة، باسم الشيوعية أو الديمقراطية، وليس وراء هاتين اللفظتين إلا المطامع الاستعمارية والمصالح المادية في كل مكان.

ونتيجة هذا الانحراف -الذي هو في حقيقة أمره مسخ لإنسانية بني الإنسان- ليست إلا «الحرب الثالثة» المسلحة بالقنابل الذرية، والغازات[٢] الخانقة، والأسلحة المهلكة، وما سمعنا -وما لم نسمع عنه بعد- من معدات الهلاك والدمار التي تمثل لنا ما جاءت به الكتب السماوية من وصف القارعة وهول القيامة: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٤-٥].

هذه هي صورة الحال في وطننا الخاص، وفي وطننا العربي والإسلامي، وفي وطننا الإنساني العام، وإذا لم تقم[٣] في الدنيا أمة «الدعوة الجديدة» تحمل رسالة الحق والسلام، فعلى الدنيا العفاء[٤]، وعلى الإنسانية السلام.

---

(١) في الأصل: «مثلاً».

(٢) في الأصل: «الغارات».

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) العَفاءُ بالفتح والمدّ: الدروسُ، والهلاكُ [الصحاح، مادة (عفو)].

وإن من واجبنا -وفي يدنا شعلة النور وقارورة الدواء- أن نتقدم لنصلح أنفسنا وندعو غيرنا، فإن نجحنا فذاك، وإلا فحسبنا أن نكون قد بلغنا الرسالة وأدينا الأمانة وأردنا الخير للناس، ولا يصح أبدا أن نحتقر أنفسنا، فحسب الذين يحملون الرسالات ويقومون بالدعوات من عوامل النجاح أن يكونوا بها مؤمنين، ولها مخلصين، وفي سبيلها مجاهدين، وأن يكون الزمن ينتظرها والعالم يترقبها... فهل من مجيب؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

ألا قد بلغت اللهم فاشهد.

* * *

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد

أي لون تختار؟[(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

تسود مجتمعنا اليوم حيرة، وإذا دامت الحيرة فليس وراءها إلا «الثورة»، والثورة الهوجاء التي لا غاية لها، ولا ضابط ولا نظام ولا حدود، [ولا تعقيب][(٢)] إلا الهلاك والدمار والخسارة البالغة، وبخاصة في هذا العصر الذي لا يرحم، والذي تتجارى بأهله الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه[(٣)]، وفي وطن كمصر تتطلع إليه الأنظار وتتقاذفه المطامع في الداخل وفي الخارج.

هذا الكلام متفق عليه بين كل من يعنيهم أمر هذا الوطن، وإنك لتسمعه من الزعماء والمفكرين كما تسمعه من العامة في مجلسهم، والمجتمعين في أنديتهم، وذوي الأعمال في أماكن عملهم، ومن سائق العربة إذا ركبت معه، ومن بائع الخضر إذا تحدثت إليه.. وإذا أنكرنا ذلك أو تغافلنا عن أثره، أو استصغرنا نتائجه، كنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمل وتظن[(٤)] أنها بذلك تخدع الصياد.

وفي مثل هذه الحال لا يجدي في الإنقاذ الترقيع الإداري ولا الروتين الحكومي، ولا تسعف الحائرين الدراسات البطيئة في اللجان المتواكلة، ولا يزداد المتبرمون بمثل هذا العلاج الجزئي المادي إلا تبرمًا وألمًا. ومهما حاولت الحكومة بالإنصاف أو التنسيق أو

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٣)، السنة الثانية، ٤ محرم ١٣٦٧هـ- ١٧ نوفمبر ١٩٤٧م، ص(١، ٥).

(٢) في الأصل: «لا تعقب».

(٣) أي: يتواقعون في الأهواء الفاسدة، ويتداعون فيها، كما يتجارى داء الكلب في جسم الإنسان الذي أصيب به من جراء عض الكلب المصاب بهذا الداء له، فلا يترك منه عرق ولا مفصل إلا دخله. وهو داء يصيب الكلب فيجعله مسعورًا. [لسان العرب، مادة (جرا)- وعون العون المعبود، (١٠/ ١١٦)]، ويشير الإمام إلى ما أخرجه الإمام أحمد في «المسند»، عن النبي ﷺ: «**وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لاَ يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلاَ مَفْصِلٌ إِلاَّ دَخَلَهُ**».

(٤) في الأصل: «تظن».

الوعود أو الخطب أن تسكت الأفواه الصارخة أو البطون الجائعة أو الأجساد العارية، فلن تستطيع ذلك ولن تصل إليه. والبرهان ماثل والدليل قائم؛ لأن الحيرة والقلق والاضطراب قد مست النفوس والقلوب والأذهان قبل أن تمس المظاهر والأوضاع. وحينئذ لن تقنع هذه النفوس ولن تطمئن إلا إلى «رسالة جديدة» ولون من ألوان الحياة جديد ترى فيه رمزًا لأمانيها، وسبيلاً إلى تحقيق مطالبها. ومتى آمنت النفوس «بالرسالة الجديدة» كفكرة ونظام اطمأنت إليها وسكنت، وحاولت أن تطبقها عمليا على أوضاع الحياة. وكل تاريخ النهضات والإصلاحات الشاملة يعطينا الدليل على صحة هذا الكلام: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ومن هذه الثغرة وتطبيقا لهذا القانون الاجتماعي الذي لا يتخلف، تأمل المبادئ الجديدة والدعوات الجديدة أن تنفذ إلى مصر، وتكافح في سبيل استيلائها على النفوس المصرية والقلوب المصرية أشد الكفاح، وتسلك إلى ذلك كل سبيل مستطاعة وغير مستطاعة. ومن هنا سمعنا كثيرا من هذه الأصوات يتردد في الصحف السيارة وفي المجالس والمنتديات، فالشيوعية جادة في فرض تعاليمها على أبناء هذا المجتمع، والديمقراطية الاستعمارية الهزيلة تحاول من جانبها أن تقاوم هذا التيار، ويتوسطهم قوم معادون للاشتراكية، ويقفون بينهم وبين الإسلام العتيد المستقر في هذه القلوب المؤمنة أربعة عشر قرنًا، المستولي عليها، المؤثر فيها بجماله وجلاله وسموه وروعته، يأبى على الجميع أن ينزل عن مرتبته، أو يتخلى عن هذه القلوب التي[1] آمنت به وجاهدت أكرم الجهاد في سبيل إعلائه وبقائه ورفعته، وردت عنه بهذا الجهاد غارات الصليبيين وهجمات التتار ومكايد الصهيونية: ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ولكن إلى متى هذا الكفاح والتطاحن بين هذه الآراء والأوضاع التي تذرعت بها[2] الألباب والأذهان إلى حدٍّ إن كان اليوم صغيرًا فهو لن يظل كذلك؟!

وإلى متى ينظر أهل الرأي في مصر إلى هذا الصراع في غفلة وبله وانصراف كأن الأمر لا يعنيهم، وكأنه يتناول بلدًا غير بلدهم وأشخاصًا غير أشخاصهم؟! لا مناص لنا من أن نختار.

---

(١) في الأصل: «الذي».

(٢) في الأصل: «فعلا».

وإذا لم نختر اليوم ونحن راضون، فسنرغم غدًا -بل غدًا[١] القريب جدًا- ونحن مرغمون، وإني لأرى الوميض خلل الرماد ويوشك أن يكون له[٢] ضرام[٣].

لابد من أن نختار لون الحياة الجديدة التي نحياها. لم تعد أوضاع الحياة الاجتماعية بكل نواحيها في مصر صالحة أمام التطور الجديد في الأخلاق والأفكار وحاجات الناس، والعاقل من تدبر الأمر قبل وقوعه وأعد له عدته.

وأمامنا الشيوعية والاشتراكية، وهما معتبرتان[٤] في منطق التحالف الدولي اليوم من معاني الديمقراطية، ولا يستطيع الديمقراطيون أن يقدموا غير هذا. وأمامنا كذلك نظام الإسلام وتوجيه الإسلام، وتعاليم الإسلام، وأحكام الإسلام.

ونحن في الحقيقة لسنا مخيرين ولسنا أحرارا في الاختيار، فإننا جميعًا قد آمنا بهذا الإسلام الحنيف دينا ودولة، واعتبرنا مصر دولة إسلامية -بل هي زعيمة دول الإسلام- وقال دستورنا في صراحة في مادته التاسعة والأربعين بعد المائة: «دين الدولة الرسمي الإسلام ولغتها اللغة العربية».

وهذا الشعب -شعب وادي النيل كله في الشمال وفي الجنوب- يدين بهذا الدين الحنيف، والأقلية غير المسلمة من أبناء هذا الوطن تعلم تمام العلم كيف تجد الطمأنينة والأمن والعدالة والمساواة التامة في كل تعاليمه وأحكامه، وهذا الذي يقول كتابه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

والكلام في هذا المعنى مفروغ منه، وهذا التاريخ الطويل العريض للصلة الطيبة الكريمة بين أبناء هذا الوطن جميعا -مسلمين وغير مسلمين- يكفينا مئونة الإفاضة والإسهاب، وإن من الجميل حقا أن نسجل لهؤلاء المواطنين الكرام أنهم يقدرون هذه المعاني في كل المناسبات، ويعتبرون الإسلام معنى من معاني قوميتهم وإن لم تكن أحكامه

---

(١) في الأصل: «غد».

(٢) في الأصل: «لها».

(٣) من كلام نصر بن سيار، وقد روي البيت بألفاظ مختلفة، منها:

أرى تحت الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون له ضرام

وهو من بحر الوافر.

(٤) في الأصل: «معتبران».

أو تعاليمه من عقيدتهم.

وإذن فلا مناص للحكومة المصرية والهيئات المصرية والأحزاب المصرية من أن تفي بعهدها الشرعي لله ولرسوله يوم نطقت بالشهادتين فالتزمت الإسلام، وبعهدها المدني الوطني لهذا الشعب يوم أصدرت الدستور ونصت فيه على أن الدين الرسمي هو الإسلام، وبغير ذلك تكون قد غدرت بعهدها، وخانت أمانة الله والناس عندها، وعليها أن تصارح الشعب ليحدد موقفه منها وموقفها منه، ولا محل اليوم للمداورة والخداع.

وهذا الوفاء سيحمي هذا الوطن مما يهدده من أخطار اجتماعية داهمة، ويعيد الطمأنينة والسكينة إلى النفوس والقلوب، ولكنه يستلزم حالا تغيير الاتجاهات والأوضاع كلها والمجاهرة بأن وادي النيل هو حامل رسالة الإسلام ومنفذها ومبلغها في غير مواربة ولا وهن، ولا يغني عن العمل الكلام.

فهل تصيخ[١] الآذان المغلقة إلى هذا النذير، فتعود إلى حجر[٢] الإسلام قولاً وعملاً وتطبيقا؟ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

يا دولة رئيس الحكومة، ويا رجال الأزهر الشريف، ويا رؤساء الهيئات والجماعات والأحزاب، ويا أيها الغُيُر على مصلحة هذا الوطن العزيز، ويا أبناء هذا الوطن جميعًا:

إليكم أوجه النداء، فإلى تعاليم الإسلام: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

ألا قد بلغت اللهم فاشهد.

* * *

(١) أصاخ الرجل يصيخ إصاخة: إذا استمع وأنصت لصوت. [تهذيب اللغة، مادة (صاخ)].

(٢) في الأصل: «جحر».

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد

اعتراضات:[١]

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

دعوت قومي إلى أن يختاروا، أو[٢] بعبارة أصح وأوضح، إلى أن يبروا بعهدهم مع الله ومع أنفسهم فيقيموا دعائم حياتنا الاجتماعية في كل مظاهرها على قواعد الإسلام الحنيف، وبذلك يسلم مجتمعنا من هذا القلق والاضطراب والبلبلة التي شملت كل شيء، والتي وقفت بنا عن كل تقدم، والتي حالت بيننا وبين أن نتعرف الطريق السوي إلى علاج أية قضية من قضايانا الكثيرة المعلقة في الداخل والخارج، وقلت: إنه لا سبيل للنجاة إلا هذا الاتجاه عقيدة وعملا بكل ما نستطيع من حزم وسرعة.

وقد يقال: كيف ذلك والحياة العصرية في العالم كله لا تقوم على أساس الدين في أية ناحية من نواحيها، وقد اصطلحت أمم العالم، التي بيدها[٣] اليوم مقاليد الأمور وتوجيه مقدرات الأمم والشعوب، على فصل الحياة الاجتماعية عن العقائد الدينية، وإقصاء الدين عن كل مرافق الحياة وحصره بين الضمير والمعبد، وهي وحدها نافذة المؤمن التي يتصل منها بالله؟

والذين يقولون هذا القول لم يعرفوا «الإسلام»، ولم يدرسوا تعاليمه وأحكامه، ولم يفقهوه بعد على طبيعته الصحيحة ووضعه السليم.. من أنه دين ومجتمع، ومسجد ودولة، ودنيا وآخرة، وأنه تعرض لشئون الحياة الدنيوية العملية بأكثر مما تعرض به للأعمال التعبدية، وإن كان قد أقام الشطرين معًا على دعامة من سلامة القلب، وحياة الوجدان، ومراقبة الله، وطهر النفس. فالدين على هذا جزء من نظام الإسلام، والإسلام ينظمه كما ينظم الدنيا تمامًا. ونحن كمسلمين مطالبون[٤] بأن يقوم ديننا ودنيانا على

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٤)، السنة الثانية، ٥ محرم ١٣٦٧هـ- ١٨ نوفمبر١٩٤٧م، ص(١).

(٢) في الأصل: «و».

(٣) في الأصل: «بها».

(٤) في الأصل: «مطالبين».

أساس القواعد الإسلامية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ومن هنا فرق الفقهاء في النظرة التشريعية بين ما هو من قواعد أحكام العبادات والعقائد وما هو من قواعد أحكام المعاملات وشئون الحياة الاجتماعية، فأفسح للنظر والاجتهاد في الثانية ما ليس في الأولى حتى لا يكون على الناس في ذلك حرج ولا مشقة: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وتحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور[١].

وقد يقال: إن هذا جمود ورجوع بالعالم إلى الوراء ألف عام أو تزيد، فكيف يعقل أننا نطبق اليوم نظما جاءت لأمة عاشت قبلنا بأربعة عشر جيلا في أرض غير أرضنا وعلى لون من الحياة غير ألوان حياتنا؟! وأين سنة التطور وقوانين التقدم والارتقاء؟

ونقول لهؤلاء كذلك: إنكم أيضًا لم تفهموا طبيعة الإسلام الحنيف، الذي جاء للناس «فكرة سامية» تحدد الأهداف العليا، وتضع القواعد الأساسية، وتتناول المسائل الكلية، ولا تتورط في الجزئيات، وتدع بعد ذلك للحوادث الاجتماعية والتطورات الحيوية أن تفعل فعلها وتتسع لها جميعا ولا تصطدم بشيء منها.

وإذا كان تاريخ التشريع الإسلامي يحدثنا أن ابن عمر ﷺ كان يفتي في الموسم في القضية من القضايا برأي، ثم تعرض عليه في الموسم التالي من العام القابل فيفتي برأي آخر، فيقال له في ذلك، فيقول: ذاك على ما علمنا وهذا على ما نعلم أو كلام هذا نحوه.

كما يحدثنا أن الشافعي ﷺ وضع بالعراق مذهبه القديم، فلما تمصر وضع مذهبه الجديد نزولاً على حكم البيئة، وتمشيا مع مظاهر الحياة الجديدة، من غير أن يخل ذلك بسلامة التطبيق على مقتضى القواعد الإسلامية الكلية الأولى. وأصبحنا نسمع: «قال الشافعي في القديم». «وقال الشافعي في الجديد»، وترى تغير رأي الرجل الواحد في القضية الواحدة بحسب الزمان تارة -كما فعل ابن عمر- وبحسب المكان تارة أخرى -كما فعل الشافعي- أو بحسبهما معا كما سمعنا أن عمر ﷺ أمر بعدم القطع في السرقة عام المجاعة، وجاءه رجل يشكو سرقة خدمه فأحضرهم فأقروا، وذكروا أن سبب ذلك أنه لا يقوم بكفايتهم من طعام وملبس... إلخ. فتركهم عمر وتوعد الرجل قائلاً: «إذا

(١) من كلام عمر بن العزيز ﷺ. [انظر: الشرح الكبير للشيخ الدردير، (٤/ ١٧٤)].

سرق خدمك مرة ثانية قطعت يدك أنت» واعتبرها شبهة تدرأ الحد، ولاحظ الظروف والملابسات.

فهل يقال بعد هذا: إن في الرجوع إلى النظام الإسلامي رجعية وجمودا! وليست في الدنيا شريعة تقبل التطور، وتساير مقتضيات التقدم، وتتمتع بمعاني المرونة والسلاسة والسعة كشريعة الإسلام الحنيف: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

وقد يقال: إن الجهر بالعودة إلى نظام الإسلام مما يخيف الدول الأجنبية والأمم الغربية، فتتألب علينا وتتجمع ضدنا، ولا طاقة لنا بها ولا قدرة لنا عليها! وهذا منتهى الوهن وغاية الفساد في التقدير وقصر النظر. وها نحن أولاء نرى هذه الدول وقد سايرناها في نظمها، وأخذنا بألوان حياتها، واتبعناها في تقاليدها، فهل أغنى ذلك عنا شيئًا؟! وهل دفع عنا من كيدها؟ وهل منعها من أن تحتل أرضنا وتسلب استقلالنا وتستأثر بخيرات بلادنا، ثم تتجمع في كل مؤتمر أو مجتمع دولي ضد حقوقنا وتثير المشكلات والصعاب والعقبات في وجوهنا، ولا تتأثر إلا بشيء واحد هو ظروفها ومصالحها فقط، ولا يعنيها بعد ذلك نصرانية، فقد رأيناها في الحرب الماضية يحطم بعضها بعضا -وكلها مسيحية- وتتملق مع هذا دول الإسلام وأممه وشعوبه، وتتزلف إليها بمعسول القول وحلو الحديث، وهاهم أولاء جميعا يناصرون الصهيونية اليهودية، وهي أبغض ما تكون إليهم لارتباط مصالحهم المادية وأغراضهم الاستعمارية بهذه المناصرة، وقد أصبح هذا المعنى معلومًا في تصرفات كل الساسة الغربيين.

وإذن فلن يجدينا شيئا عندهم أن نتنصل من الإسلام، ولن يزيدهم فينا بغضا أن نعلن التمسك به والاهتداء بهديه، وبخاصة وهم الآن معسكران مختلفان متنافسان على المصالح المادية وحدها.

ولكن خطر التنصل من الإسلام والتنكر له عظيم[1] على كياننا نحن، فما دمنا بعيدين عن تشرب روحه وتحقيق تعاليمه، فسنظل حائرين فتتحطم معنوياتنا، متفرقين فتضعف قوتنا، ولو أخذنا بالحزم وأعلناها صريحة واضحة: أننا معشر أمم الإسلام لا شيوعيون ولا ديمقراطيون ولا شيء من هذا الذي يزعمون، ولكننا بحمد الله مسلمون،

(١) في الأصل: «عظم».

لارتسمت أمامنا توا طريق الهداية والنور، ولجمعتنا كلمة الإسلام، ووحدت بيننا وبين إخواننا جميعا في أقطار الأرض. وفي ذلك وحده -ولا شيء غيره- القوة والمنقذ أمام هذا العدوان الغربي الاستعماري الجارف الذي يهددنا في كل مكان.

وخلاصة هذا الكلام في إيجاز: أننا إذا لاحظنا غضب الغربيين ورضاهم في تمسكنا بالإسلام أو بعدنا عنه، فليس لهذا من معنى إلا أننا إن لم نتمسك بالإسلام فلن نكسب رضاهم وسنخسر أنفسنا، في حين أننا إذا تمسكنا به وتجمعنا من حوله واهتدينا بهديه كسبنا أنفسنا ولا شك. وكان هناك احتمال قوي أن نكسبهم أيضًا بتأثير قوة الوحدة. فأي الرأيين أولى بالاتباع يا أولي الألباب؟!

أما اعتراض الأقليات غير المسلمة فقد أشرنا إليه بالأمس[1]، ولا نريد أن نطيل فيه القول اليوم، [فالأمر أوضح][2] من أن يكون موضع مراء.

إنه ليس أمام الأمم الإسلامية اليوم إلا هذه الفرصة، وإن الدول الغربية تدرك هذا تمامًا، فهي تشغلنا بأنفسنا وتزيدنا حيرة على حيرة. وليس في الوقت متسع للتردد، وإن تبعة من لا يعلم في عنق من يعلم، ولا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم[3].

فيا رئيس الحكومة، ويا رجال الأزهر، ويا أعضاء الهيئات والجماعات والأحزاب، ويا ذوي الغيرة على هذا الوطن، ويا أبناءه جميعًا،

إليكم أوجه القول: عودوا إلى الإسلام تغنموا وتسلموا: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١].

ألا قد بلغت، اللهم فاشهد[4].

---

(١) في النسخ المطبوعة للرسائل: «من قبل».

(٢) في الأصل: «بالأمر واضح».

(٣) من كلام أبي الأسود الدؤلي، وهو من البيت القائل:

لا يَصلُحُ النَّاسُ فَوضى لا سَراةَ لَهُم ... وَلا سَراةَ إِذا جُهّالُهُم سادوا

من بحر البسيط.

(٤) وقد علق الأستاذ الهضيبي على هذه المقالة فرد الأستاذ البنا عليها، وهي كما يلي: «ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، كتب إلينا المستشار الفاضل والقانوني البارع الأستاذ حسن بك الهضيبي الخطاب التالي: حضرة صاحب الفضيلة المرشد العام الأخ الشيخ حسن البنا. السلام عليكم ورحمة الله.

وبعد: فقرأت اليوم مقالكم الثاني «ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد». وقد استوقفني منه عبارة جاءت في مقام الرد على اعتراض افترضتموه ممن يجهل حقيقة الإسلام، وما فيه من مرونة في الأحكام تتسع لما يجد من الأحداث، ومؤدى هذه العبارة أن تاريخ التشريع الإسلامي يحدثنا أن ابن عمر ﷺ كان يفتي في الموسم في القضية من القضايا برأي، ثم تعرض عليه في الموسم التالي من العام القابل فيفتي برأي آخر، فيقال له في ذلك فيقول: ذلك على ما علمنا وهذا على ما نعلم.. إلخ.

كما يحدثنا أن الشافعي ﷺ وضع بالعراق مذهبه القديم، فلما تمصر وضع مذهبه الجديد، نزولاً على حكم البيئة وتمشيا مع مظاهر الحياة الجديدة، من غير أن يخل ذلك بسلامة التطبيق على مقتضى القواعد الإسلامية الكلية... إلخ.

وقد يتوهم متوهم من هذه العبارة أن ابن عمر والشافعي -رضي الله عنهما- أخضعا حكم الدين لأحكام الزمان! ومعاذ الله أن يكون الأمر كذلك، فإن أحداث الزمان يجب أن تخضع لكتاب الله وسنة رسوله، مهما تراءى للناس أن الدنيا لا تحتمل هذا الإخضاع، فالدين هو السنة التي وضعها الله للناس، كما وضع السنن الكونية الأخرى للشمس والقمر والحيوان والنبات وكل ما في السماء وما في الأرض وما عليها. وفي ظني أن ابن عمر لم يغير فتواه نزولاً على حكم الحوادث، بل لأنه ازداد بصرا بحكم الدين في المسألة، لذلك قال: ذاك على ما علمنا وهذا على ما نعلم. كما أني أظن من استقراء سابق لي بسبب تغير رأي الشافعي بين قديمه وحديثه، أنه حين جاء إلى مصر سمع من رواة الحديث بمساجد الفسطاط ما لم يكن قد سمع بالعراق فأقام عليه رأيه الجديد، وكان ﷺ يقول: إذ صح عندي الحديث فهو رأيي.

هذا ولا منازعة في أن على المسلمين أن يجتهدوا في استنباط أحكام لم تكن من قبل، لحوادث لم تكن من قبل، بل لكل مجتهد أن يستنبط ما يهديه الله له من أحكام الدين لجميع الحوادث جديدها وقديمها، وهذه هي المرونة التي جعلها الله من خصائص الدين الإسلامي، ولله الحمد والمنة.

فبودي أيها الأخ الكريم لو أعدت النظر في هذه الجملة بما يزيل الشبهة، أو لعلي مخطئ وأنتم بذلك أعلم مني بلا ريب. ولقد كنت أود أن أفضي إليكم بهذا الحديث في زيادة، لولا أن انحراف صحتي في الأسبوع الماضي لا زال منه بعض الأثر، وأسأل الله تعالى أن يعينكم وأن يهدي أمة محمد إلى العمل بكتاب الله وسنة رسول الله. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من المخلص: حسن الهضيبي.

وإنا لنشكر لحضرته هذه الغيرة الجليلة على دين الله والدقة الجميلة في البحث والتمحيص، وجميل جدًا أن نرى في كبار رجال التقنين المصريين من يحمل مثل هذا القلب المؤمن والذهن الصافي المستنير، مع الدأب على الدرس والإلمام بكل أطراف الموضوع. فجزى الله الأستاذ حسن بك الهضيبي عن الدين والحق والعدالة خير الجزاء، وأكثر فينا من أمثاله، وما ذكره في خطابه حق لاشك فيه، والذي أردته بكلمتي هو الإشارة إلى أن من مرونة التشريع الإسلامي أن العرف والاجتهاد قاعدتان من قواعده فيما لا نص فيه، أما حين يكون النص فلا اجتهاد معه طبعا». [جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٨٨)، السنة الثانية، ٢١محرم ١٣٦٧هـ- ٤ديسمبر ١٩٤٧م، ص(٣)].

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد

قضيتنا الوطنية وكيف تحل في ضوء توجيه الإسلام[1]

حقوقنا الوطنية معروفة، أعلنتها الأمة بكل وضوح وجلاء على لسان أحزابها وهيئاتها وجماعاتها وأفرادها في كل المناسبات، وهي: تحقيق وحدة وادي النيل جنوبه وشماله، وجلاء القوات الأجنبية عنه جميعًا، لتتم بذلك حقيقة حريته واستقلاله.

والإسلام الحنيف يعلن الحرية ويزكيها، ويقررها للأفراد والأمم والجماعات بأفضل معانيها، ويدعوهم إلى الاعتزاز بها والمحافظة عليها، ويقول نبيه ﷺ: «من أعطى الذلة من نفسه طائعًا غير مكره فليس مني»[2]، وهو يحارب هذه اللصوصية الدولية التي يسمونها بالاستعمار بكل ما فيه من قوة، ولا ترضى تعاليمه أبدًا بأن تسود أمة أمة أو يرهق شعب شعبًا آخر، ولا تزال كلمة عمر الفاروق رضي الله عنه ترن في الآذان حين قال لعامله عمرو بن العاص: «متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا».

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٥)، السنة الثانية، ٦ محرم ١٣٦٧هـ- ١٩ نوفمبر١٩٤٧م، ص(١، ٥)، والعنوان في النسخ المطبوعة للرسائل: «قضيتنا الوطنية وكيف تحل في ضوء التوجيه الإسلامي؟».

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، ح(٤٧٨)، وقال الهيثمي في «المجمع»، (١٠/ ٢٤٨): «رواه الطبراني، وفيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو متروك»، وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة»، (١/ ٤٨٠): «ضعيف جدًّا»، والإسلام يطلب من أفراده أن يكونوا أعزاء، وأن الموت خير من العيش في ذلة ومهانة، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

ومن الأحاديث الصحيحة في هذا المعنى ما أخرجه البخاري في «الشُّرُوطِ»، باب: «الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ»، ح(٢٥٢٩)، من حديث المسور بن مخرمة ومروان أن عمر بن الخطاب قال للنبي في صلح الحديبية عندما شعر أن هناك إجحافًا بالمؤمنين: «لِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا»؟! وكذلك ما أخرجه مسلم في «الإيمان»، باب: «الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ قَصَدَ أَخْذَ مَالِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدَرَ الدَّمِ فِي حَقِّهِ وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»، ح(٢٠١) من طريق أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ».

ويوم حمل الفاتح العربي المسلم سيفه على عاتقه، وانطلق غازيًا في أرض الله لم يكن يرجو من وراء ذلك مغانم دنيوية، ولم يكن يتطلع إلى خيرات الأمم والشعوب ليستأثر بها دونها، وإن امتلأت يداه منها بغير قصد منه، ولكن كان يؤمن بدعوة ويحمل رسالة، ويحمي في العالم مبادئ الحق والعدل والسلام. وتاريخ الصدر الأول من أئمة المسلمين الراشدين المهديين -وهم الحجة للإسلام- يعطيك هذه الصورة بينة المعالم، واضحة الحدود.

والإسلام مع هذا يعتبر الأمة الإسلامية أمينة على رسالة الله في أرضه، ولها في العالم مرتبة الأستاذية -ولا نقول السيادة[1]- بحكم هذه الأمانة، فلا يسمح لها أن تذل لأحد، أو تستعبد لأحد، أو تلين قناتها لغامز، أو تخضع لغاصب معتد أثيم: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١].

ويوم قرر الإسلام هذا، قرر الطريق العملي إلى حماية هذه الحرية، فافترض الجهاد بالنفس والمال، وجعله فرض كفاية لتأمين الدعوة، وفرض عين على كل أبناء الأمة لرد العدوان على الوطن، إذا واجهته قوات الغزاة من غير المسلمين، وجعل الشهادة أعلى مراتب الإيمان، ووعد المجاهدين النصر والتأييد في الدنيا، والخلود والبقاء والنعيم المقيم في الآخرة، وأعلن أن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢].

ومع هذا فقد رحب الإسلام بالوسائل السلمية لحسم الخلاف وإنهاء الخصومة متى أدت هذه الوسائل إلى الاعتراف بالحق الكامل لأصحابه: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [الأنفال: ٦١]. وما خير ﷺ[2] بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن محرمًا[3]. ومن السلم المفاوضة إذا أوصلت إلى الحق الكامل، وقد فاوض رسول الله ﷺ

(١) في النسخ المطبوعة للرسائل: «مرتبة السيادة».

(٢) في النسخ المطبوعة للرسائل: «النبي ﷺ».

(٣) أخرج البخاري في «الْمَنَاقِبِ»، باب: «صِفَةِ النَّبِي ﷺ»، ح(٣٢٩٦)، ومواضع أخر، ومسلم في «الْفَضَائِلِ»، باب: «مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ وَانْتِقَامِهِ لِلَّهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ

في الحديبية، ومن السلم التحاكم إذا أدى إلى هذا الحق أيضًا، وإن كنا لا نعلم أن رسول الله ﷺ أو أحدًا من الخلفاء الراشدين المهديين رضي بتحكيم كافر، ولكنه مقتضى عموم الآية، ولازم الاتفاق على الخير، الذي لا[1] يمنعه الإسلام بين المسلمين وغيرهم متى كان فيه مصلحة لهم وليس فيه ضرر عليهم.

فإذا فشلت هذه الجهود السلمية فإن رأي الإسلام صريح في «النبذ»[2] الذي يتضمن إعلان الخصومة، ثم بالأخذ توًّا بكل وسيلة من وسائل «الجهاد»: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ۞ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ ۞ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٥٨-٦٠].

وقد وعد الله المجاهدين للحق أن يدافع عنهم وينصرهم لا[3] محالة على أعدائهم، مهما يكن[4] عدوهم كامل الأهبة، عظيم العدد، موفور العدة، قوي الوسائل، وعليهم ألا يعبئوا بذلك، وأن يعتمدوا على الله وحده، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

هذه الأحكام جميعًا مقررة في الإسلام، يعرفها بتفصيل أوسع، واستدلال أقوى وأدق وأحكم كل من نهل من معينه، وأخذ بحظ من الفقه فيه، وعلى ضوئها نستطيع أن نحل قضيتنا الوطنية التي وصلت إلى حد من الارتباك تبلبلت معه الخواطر واضطربت الأذهان، وإليك بيان ذلك:

لقد فاوضنا فلم نصل إلى شيء لتعنت الإنجليز وتصلبهم ومناورتهم، واحتكمنا فلم نصل إلى شيء كذلك أمام تغلب المصالح الدولية والمطامع الاستعمارية. ولقد قال كاتب

حُرُمَاتِهِ»، ح(٤٢٩٤)، وموضع آخر، من طريق عائشة -رضي الله عنها- قالت: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا». واللفظ للبخاري.

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) في الأصل: «البند».

(٣) في الأصل: «ولا».

(٤) في الأصل: «كان».

فاضل: إننا وصلنا إلى كسب أدبي عظيم بالدعاية الواسعة لقضيتنا بطرحها أمام أنظار العالم كله، وإخراجها من حيز التفاهم الثنائي الضيق إلى حيز التحاكم الدولي الواسع، وذلك صحيح، ولكن هذا الكسب الأدبي لن يغني عن الحقيقة الواقعة شيئًا، وهي أننا لازلنا مع الإنجليز؛ حيث كنا لم نتقدم خطوة، بل إن هذا الركود كان مدعاة إلى التساؤل والبلبلة.

لم يبق -إذًا- إلا «النبذ على سواء» بأن نعلنهم بالخصومة الصريحة السافرة، ونقرر في صراحة إلغاء ما بيننا وبينهم من معاهدات واتفاقات، ونعلن اعتبار أمة الوادي معهم في حالة حرب -ولو سلبية- وننظم حياتنا على هذا الاعتبار.

اقتصاديًّا: بالاكتفاء والاقتصار على ما عندنا وعند إخواننا من العرب والمسلمين والدول الصديقة إن كانت.

واجتماعيًّا: بتشجيع روح العزة والكرامة وحب الحرية.

وعمليًّا: بتدريب الشعب كله تدريبًا عسكريًّا حتى يأتي أمر الله.

وتهيأ نفوس الشعب لذلك بدعاية واسعة تامة كاملة، كما تفعل الأمم إذا واجهت حالة الحرب الحقيقية، وتتغير كل الأوضاع الاجتماعية على هذا الأساس.

وهذا العمل لا يتسنى للأفراد ولا للهيئات ابتداء، ولكن الحكومة هي المسئولة عنه أولاً وآخرًا.

والعجيب أن رئيس الحكومة المصرية أعلن هذا صراحة في مجلس الأمن ثم عاد فلم يعمل شيئًا ولم يتقدم في هذه السبيل خطوة. هذا واجب الحكومة قطعًا.

وأما الشعب فنحن نقولها له في صراحة ووضوح وثقة: إنه على أتم استعداد ليبذل[1] كل شيء لو سلكت الحكومة هذه السبيل، إنه مستعد ليجوع وليعرى لو سلكت الحكومة به هذه السبل وليموت ويناضل، ويكافح بأشد أنواع النضال والكفاح، ولكن على شريطة أن يكون ذلك في سبيل حريته واستقلاله لا في سبيل ارتباك اللجان الحكومية، وضعف الوسائل الإدارية، والتخبط في السياسة الاقتصادية، والوقوف أمام مكايد الإنجليز وضغطهم موقف المستسلمين العاجزين.

---

(١) في النسخ المطبوعة: «لبذل».

لقد سمعت عاملاً فقيرًا يقول حين صدرت الأوامر بخلط الخبز، وهو فرق ليس من السهل على متمدن أن يصيبه قبل عام: إنني مستعد لأن آكل أنا وأولادي كل يوم مرة واحدة، إذا وثقنا من أن هذا في سبيل الحرية والتخلص من الإنجليز، ولكني ساخط كل السخط لأني لا أفهم لماذا نلجأ إلى هذا الخلط ونحن بلد زراعي أعظم محصوله المواد الغذائية؟!

فالشعب على أتم استعداد للبذل، ولكن في طريق واضحة مرسومة تؤديه إلى الحرية أو الشهادة، بقيادة حكومة حازمة ترسم له -في قوة وإخلاص- مراحل هذا الطريق، أما إذا استمرت الحكومة في ترددها وتراخيها واضطرابها، فلن يؤدي ذلك بالشعب إلا إلى أحد أمرين: إما أن «يثور»، وإما أن «يموت»، وكلاهما جريمة وطنية لا يغتفرها أبدًا التاريخ.

فيا دولة رئيس الحكومة، ويا رجال الأزهر الشريف، ويا زعماء الهيئات والأحزاب، ويا ذوي الغيرة على هذا الوطن، ويا أبناء الأمة جميعًا:

هذه هي الطريق فاسلكوها في ضوء الإسلام والله معكم.

ألا قد بلغت.. اللهم فاشهد.

* * *

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد

وحدتنا في ضوء التوجيه الإسلامي؟[1]

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

بالأمس وضعت بين يدي قومي -في قضيتنا الوطنية الخاصة- توجيه الإسلام الذي هو أخصر الطرق كلها حلاً حاسمًا كريمًا، والذي لا يعدو النبذ بالخصومة، وإعداد وسائل الجهاد، ومتى فعلنا ذلك، فقد خرجنا ولاشك من هذه الحيرة، ووجدنا الجواب الصحيح لهذا السؤال الذي يتحرك به كل لسان، ويتردد في خاطر كل مواطن: ماذا نعمل الآن؟

والحق أننا نحار لأننا لا نريد أن نفعل شيئًا، ونهرب من تبعات العمل، ونفر من ثقل التضحيات وتكاليف الكفاح، ونتلمس اللين والسهولة دائمًا، ولا نفكر في سواهما، ونتصور أن الحرية والاستقلال يهبطان على الناس من السماء بغير عمل. والسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، ولا تفيض بحرية أو استقلال، ولو كنا جادين حقيقة في الطلب، لسرنا في الطريق بعد أن عرفناه في كلمتين اثنين: «ننبذ»، و«نجاهد»، والنصر بعد ذلك من عند الله.

واليوم أعرض لموضوع آخر يتصل بقضيتنا الوطنية العامة التي تنظم قضايا الأمة العربية بمختلف أممها والعالم الإسلامي كله، لنرى كيف يمكن أن تحل هي الأخرى في ضوء توجيه الإسلام الحنيف.

معلوم أن الإسلام رسالة عالمية جاءت لخير الأمم والشعوب جميعًا، لا فرق بين عربي وعجمي أو شرقي وغربي: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. ولهذا دعا إلى القضاء على الفوارق الجنسية والعنصرية، وأعلن الأخوة الإنسانية، ورفع لواء العالمية بين الناس لأول مرة في تاريخ البشر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٦)، السنة الثانية، ٧ محرم ١٣٦٧هـ- ٢٠ نوفمبر١٩٤٧م، ص(١).

اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

ومعلوم أن الإسلام كذلك قد قرر من باب الأولى أقوى معاني الأخوة بين المؤمنين به والمنتسبين إليه والمعتقدين لرسالته، حتى جعل الأخوة معنى من معاني الإيمان، بل هي أكمل معانيه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، و«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه»[١]، والمؤمنون «في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٢]، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[٣].

ويوم واجه المسلمون العالم كله صفًا واحدًا وقلبًا واحدًا في ظل هذه الأخوة الصادقة الحقة، لم تثبت أمامهم ممالك الروابط الإدارية أو السياسية المجردة ساعة من نهار، وانهزم أمامهم -بغير نظام- الروم والفرس على السواء. وكونوا إمبراطورية ضخمة تمتد من المحيط إلى المحيط ذات علم وحضارة وقوة وإشراق.

ويوم غفلوا عن سر قوتهم، ولم يأخذوا بهدى كتابهم: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ودب إليهم داء الأمم من قبلهم من تغليب المصالح المادية الزائلة على الأخوة الإيمانية الباقية تمزقت هذه الإمبراطورية أيدي سبأ[٤]، ولعبت بها المطامع الداخلية والخارجية، وانتهى أمرها أخيرًا جدًا بعد الحرب العالمية الأولى إلى الانهيار والوقوع في أسر خصومها من غير المسلمين، الذين احتلوا أرضها، وملكوا أمرها، وتقاسموها فيما بينهم، وظنوا أنه قد انتهى أمر الإسلام وختمت الحرب الصليبية أفضل ختام.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) قولهم: ذهب القوم أيدي سبأ، وأيادي سبا: أي متفرِّقين، شُبهوا بأهل سبأ لما مزقهم الله في الأرض كلَّ ممزق، فأخذ كل طائفة منهم طريقًا على حدة. واليدُ: الطَّريق. والعرب لا تهمز سبأ في هذا الموضع؛ لأنه كثُر في كلامهم فاستثقلوا ضغطة الهمز وإن كانت سبأ في الأصل مهموزة [تهذيب اللغة، مادة (سبأ)].

وكانت الدسيسة الكبرى التي اقتحمت على المسلمين عقولهم وقلوبهم أولاً، ثم أرضهم وبلادهم ثانيًا، هي تأثرهم بالعنصرية والشعوبية، واعتداد كل أمة منهم بجنسها، وتناسي ما جاء به الإسلام من القضاء على عبية[1] الجاهلية والتفاخر بالأجناس والألوان والأنساب.

وقد انتهت الحرب العالمية الثانية التي قضت على العنصريات الحديثة في أوروبا، عنصرية النازية والفاشية[2]، فرأينا بعدها الدول الأوروبية الكبرى تسعى سعيًا حثيثًا إلى[3] التجمع والتكتل، باسم العنصريات تارة، والمصالح تارة أخرى.. فروسيا تحاول أن تجمع العنصر الصقلبي[4] بكل شعوبه تحت لواء الاتحاد السوفيتي، وإنجلترا وأمريكا تتجمعان باسم الجنس واللغة، ثم تتقاسمان بعد ذلك أمم العالم ومناطق النفوذ في الأرض باسم المصالح والضرورات الحيوية، وتستر هذا التنافس بينها بتكوين هيئة الأمم المتحدة لتوهم الناس أنها تزكي العالمية وتعمل لخير بني الإنسان، كما رأينا هذه الدول نفسها تتجمع ضد حقوقنا الوطنية، وتخذلنا في كل قضية من قضايانا الجوهرية، سواء أعرضت في مجلس الأمن أم في هيئة الأمم المتحدة، كما حدث في قضية مصر وفي قضية فلسطين وفي قضية إندونوسيا.

ونحن أمام كل هذه الأوضاع العالمية الجديدة، وأمام تشابه قضايانا وتشابكها فهي كلها قضية واحدة معناها استكمال الحرية والاستقلال وتكسير قيود الاستغلال والاستعمار، لابد أن نلجأ من جديد إلى ما فرضه الإسلام على أبنائه منذ أول يوم حين جعل الوحدة معنى من معاني الإيمان. يجب أن نتكتل ونتوحد. وقد بدأنا بالجامعة العربية، وهي وإن كانت لم تستقر بعد الاستقرار الكامل، إلا أنها نواة طيبة مباركة على كل حال، فعلينا أن ندعمها ونقويها ونخلصها من كل ما يحيط بها من عوامل الضعف والتخلخل. وعلينا بعد ذلك أن نوسع الدائرة حتى تتحقق رابطة أمم الإسلام (عربية وغير عربية) فتكون نواة «الهيئة الأمم الإسلامية» بإذن الله. وبهذه الطريقة التي ستضيف

---

(١) في الأصل: «عيبة»، والعبية: الكبر والنخوة. [لسان العرب، مادة (عبب)].

(٢) في الأصل: «أو الفاشية».

(٣) في الأصل: «على».

(٤) أي: دول شرق أوروبا.

إلى وسائلنا الخاصة لكل أمة من النبذ والجهاد معنى آخر من معاني القوة هو الوحدة والتجمع، نستطيع أن نتخلص، وأن نحفظ التوازن العالمي بين الأمم الطامعة والدول المتنافسة على المغانم والحطام.

والمسئول عن تحقيق هذه الخطوات الحكومات العربية والإسلامية جميعًا، وكل دعاة الإصلاح في هذه الشعوب من رسميين وأهليين. واليوم أوجه النداء: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ألا قد بلغت اللهم فاشهد.

* * *

رسالة: نظام الحكم

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد

مشاكلنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي

١ -نظام الحكم[١]

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

[الحكومة في الإسلام:][٢]

يفترض الإسلام الحنيف «الحكومة» قاعدة من قواعد النظام الاجتماعي الذي جاء به للناس، فهو لا يقر الفوضى، ولا يدع الجماعة المسلمة بغير إمام، ولقد قال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه: «إذا نزلت ببلد وليس فيه سلطان فارحل عنه»[٣]، كما قال في حديث آخر لبعض أصحابه كذلك: «إذا[٤] كنتم ثلاثة فأمروا عليكم رجلاً»[٥].

فمن ظن أن الدين -أو بعبارة أدق: الإسلام- لا يعرض للسياسة، وأن[٦] السياسة ليست من مباحثه، فقد ظلم نفسه، وظلم علمه بهذا الإسلام، ولا أقول: ظلم الإسلام؛ فإن الإسلام شريعة الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وجميل قول الإمام الغزالي ﷺ: «اعلم أن الشريعة أصل، والملك حارس، وما لا أصل له فمهدوم وما لا

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٩)، السنة الثانية، ١١ محرم ١٣٦٧هـ- ٢٤ نوفمبر١٩٤٧م، ص(١).

(٢) هذه العناوين الجانبية ليست في الأصل.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في الأصل: «وإذا».

(٥) أخرج الطبراني في «الكبير»، ح(٨٨٢٣)، منْ طريق عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ، قَالَ: قال ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فِي سَفَرٍ فَأَمِّرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدَكُمْ، وَلا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»، (٥/ ٢٤٩): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح».

(٦) في النسخة المطبوعة من الرسائل: «أو أن».

حارس له فضائع»(١) فلا تقوم الدولة في الإسلام إلا على أساس الدعوة، حتى تكون دولة رسالة لا تشكيل إدارة، ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها، كما لا تقوم الدعوة إلا في حماية دولة تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها.

وأول خطئنا أننا نسينا هذا الأصل ففصلنا الدين عن السياسة عمليًا، وإن كنا لم نستطع أن نتنكر له نظريًا، فنصصنا في دستورنا على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، ولكن هذا النص لم يمنع رجال السياسة وزعماء الهيئات السياسية من أن يفسدوا الذوق الإسلامي في الرءوس، والفطرة الإسلامية في النفوس، والجمال الإسلامي في الأوضاع، باعتقادهم وإعلانهم وعملهم على أن يباعدوا دائمًا بين توجيه الدين ومقتضيات السياسة، وهذا أول الوهن وأصل الفساد وبلاء التقليد الأعمى الذي لا خير فيه.

[دعائم الحكم الإسلامي:]

والحكومة في الإسلام تقوم على قواعد معروفة مقررة، هي الهيكل الأساسي لنظام الحكم الإسلامي، فهي تقوم على مسئولية الحاكم ووحدة الأمة واحترام إرادتها ولا عبرة بعد ذلك بالأسماء والأشكال.

[مسئولية الحاكم:]

فالحاكم مسئول بين يدي الله وبين يدي الناس، وهو أجير لهم وعامل لديهم، ورسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكل راعٍ مسئول عن رعيته»(٢)، وأبو بكر ﷺ يقول حين ولي الأمر وصعد المنبر: «أيها الناس، كنت أحترف لعيالي فأكتسب قوتهم، فأنا الآن أحترف لكم، فافرضوا لي من بيت مالكم»(٣). وهو بهذا قد فسر نظرية العقد الاجتماعي أفضل وأعدل تفسير، بل هو قد وضع أساسه، فما هو إلا تعاقد بين الأمة والحاكم على رعاية المصالح العامة، فإن أحسن فله أجره، وإن أساء فعليه عقابه.

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين، (١/ ١٧)، ولأهمية النص نذكر طرفًا منه: «الدنيا مزرعة الآخرة، ولا يتم الدين إلا بالدنيا. والملك والدين توأمان؛ فالدين أصل والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع، ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان، وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، (٣/ ١٨٤-١٨٥).

[وحدة الأمة:]

والأمة الإسلامية أمة واحدة؛ لأن الأخوة التي جمع الإسلام عليها القلوب أصل من أصول الإيمان لا يتم إلا بها ولا يتحقق إلا بوجودها، ولا يمنع ذلك حرية الرأي وبذل النصح من الصغير والكبير للصغير والكبير كذلك، وهو المعبر عنه في عرف الإسلام ببذل النصيحة وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة». قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»(١)، وقال: «إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تودع منهم»(٢)، وفي رواية: «وبطن الأرض خير لهم من ظهرها»، وقال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»(٣).

ولا تتصور الفرقة في الشئون الجوهرية في الأمة الإسلامية؛ لأن نظام الحياة الاجتماعية [الذي يضمه](٤) نظام واحد هو «الإسلام»، معترف به من أبنائها جميعًا، والخلاف في الفروع لا يضر، ولا يوجب بغضًا ولا خصومة ولا حزبية خاصة يدور معها الحكم كما تدور.. ولكنه يستلزم البحث والتمحيص والتشاور وبذل النصيحة، فما كان من المنصوص عليه فلا اجتهاد فيه، وما لا نص فيه فقرار ولي الأمر يجمع الأمة عليه ولا شيء بعد هذا.

[احترام إرادة الأمة:]

ومن حق الأمة الإسلامية أن تراقب الحاكم أدق المراقبة، وأن تشير عليه بما ترى فيه الخير، وعليه أن يشاورها وأن يحترم إرادتها، وأن يأخذ بالصالح من آرائها، وقد أمر الله الحاكمين بذلك فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وأثنى به على المؤمنين خيرًا فقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد في «مُسْنَد عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا»، ح(٦٢٣٤)، والحاكم في «المستدرك»، ح(٧١٣٦). وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقد ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة»، (٢/ ٤٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في الأصل: «التي يضمها».

ومضت على ذلك سنة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين المهديين من بعده، إذا جاءهم أمر جمعوا أهل الرأي من المسلمين فاستشاروهم ونزلوا عند الصواب من آرائهم، بل إنهم لينذبونهم إلى ذلك ويحثونهم عليه، فيقول أبو بكر ﷺ: «فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني أو قوموني»، ويقول عمر بن الخطاب: «من رأى في اعوجاجًا فليقومه».

والنظام الإسلامي بعد هذا لا يعنيه الأشكال ولا الأسماء متى تحققت هذه القواعد الأساسية التي لا يكون الحكم صالحًا بدونها، ومتى طبقت تطبيقًا يحفظ التوازن بينها ولا يجعل بعضها يطغى على بعض. ولا يمكن أن يحفظ هذا التوازن بغير الوجدان الحي والشعور الحقيقي بقدسية هذه التعاليم، وإن في المحافظة عليها وصيانتها الفوز في الدنيا والنجاة في الآخرة، وهو ما يعبرون عنه في الاصطلاح الحديث «بالوعي القومي» أو «النضج السياسي» أو «التربية الوطنية» أو نحو هذه الألفاظ. ومردها جميعًا إلى حقيقة واحدة هي اعتقاد صلاحية النظام، والشعور بفائدة المحافظة عليه؛ إذ إن النصوص وحدها لا تنهض بأمة كما لا ينفع القانون إذا لم يطبقه قاضٍ عادل نزيه.

ونحن في حياتنا العصرية قد نقلنا عن أوروبا هذا النظام النيابي الذي تعيش في ظله حكوماتنا الآن، ووضعنا دستورنا على أساسه، وتغير هذا الدستور مرة باسمه كذلك، وجربنا الكثير من آثاره. فإلى أي مدى ينطبق هذا النظام على الإسلام؟ وإلى أي مدى كانت فائدتنا منه طوال هذه المدة؟

ذلك ما سنعرض له في الكلمة التالية إن شاء الله.

***

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد

مشاكلنا الداخلية في ضوء نظام الإسلام

٢ - نظام الحكم[(١)]

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

قدمت في الكلمة السابقة أن الدعائم التي يقوم عليها نظام الحكم الإسلامي ثلاث:

(أ) مسئولية الحاكم.

(ب) ووحدة الأمة.

(ج) واحترام إرادتها.

ولقد تحقق هذا النظام بأكمل صورة في عهد الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، فكانوا يشعرون أتم الشعور بالتبعات الملقاة على كواهلهم كحكام مسئولين عن رعاياهم، ويظهر ذلك في كل أقوالهم وتصرفاتهم الكثيرة، وحسبك أن تقرأ ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ولي الخلافة، وعمر بن عبد العزيز حين وليها كذلك، وجاءت سيرتها مطابقة لقولها لتعلم صدق ما نقول.

قال عمر بن الخطاب: «أيها الناس قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم[(٢)] عليكم، وأشدكم استضلاعا بما ينوب من مهم أموركم، ما توليت ذلك منكم، ولكفى عمر مُهِمًّا[(٣)] محزنًا انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم، كيف آخذها؟ ووضعها أين أضعها؟ وبالسير فيكم كيف أسير؟ فربي المستعان». فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله ﷻ برحمته وعونه وتأييده[(٤)]، وكان يقول: «لو أن جملاً

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٨٠)، السنة الثانية، ١٢ محرم ١٣٦٧هـ- ٢٥ نوفمبر ١٩٤٧م، ص(١، ٥).

(٢) في الأصل: «وأموالكم».

(٣) أهمني الشيء يهمني: إذا أحزنني فأنا مُهَمّ. [جمهرة اللغة، مادة (همم)].

(٤) انظر: تاريخ الطبري، (٣/ ٢٨٢).

هلك ضياعًا بشط[1] الفرات لخشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب»[2].

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: «أما بعد؛ فإنه ليس بعد نبيكم ﷺ نبي، ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب. ألا ما أحل الله ﷻ حلال إلى يوم القيامة، وما حرم الله حرام إلى يوم القيامة ألا لست بقاض ولكني منفذ. ألا وإني لست بمبتدع ولكني متبع. ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله ﷻ. ألا إني لست بخيركم ولكني رجل منكم غير أن الله جعلني أثقلكم حملاً»[3]. وقدمت إليه مراكب الخلافة بعد دفن سليمان بن عبد الملك فأمر بتأخيرها، وركب بغلته وعاد إلى منزله، فدخل عليه مولاه مزاحم فقال: يا أمير المؤمنين لعلك مهتم؟ فقال: «بمثل هذا الأمر الذي نزل بي اهتممت. إنه ليس من أمة محمد في مشرق ولا مغرب أحد إلا له قبلي حق يحق علي أداؤه إليه، غير كاتب إلي فيه ولا طالبه مني».

وكانت الأمة مجتمعة الكلمة باستمساكها بأهداب الدين واعتقادها فضل ما جاء به من أحكام، ورعايتها لأمر رسول الله ﷺ وتشديده في الوحدة، حتى أمر بقتل من فارق الجماعة أو خرج على الطاعة فقال: «من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم فاضربوه بالسيف كائنًا من كان»[4]. كما قال -فيما رواه مسلم والنسائي عن أبي هريرة: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عميّة، يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة فقتل، فقتلة جاهلية. ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي[5] عهد عهده، فليس مني

---

(١) في الأصل: «بشطر».

(٢) انظر: السابق، (٣/ ٢٧٢).

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، (٥/ ٣٤٠).

(٤) أخرج مسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «حُكْمِ مَنْ فَرَّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ مُجْتَمِعٌ»، ح(٣٤٤٣)، من طريق عَرْفَجَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ». وأخرج مسلم أيضًا في «الإِمَارَةِ»، باب: «حُكْمِ مَنْ فَرَّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ مُجْتَمِعٌ»، ح(٣٤٤٢)، عن عَرْفَجَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ».

(٥) في الأصل: «ذي».

ولست منه»[١].

كما كانت إرادتها محترمة مقدورة، فما كان أبو بكر يمضي في الناس أمرًا إلا بعد أن يستشيرهم وخصوصًا فيما[٢] لا نص فيه، وكذلك كان عمر ﷺ، فقد جعل الخلافة من بعده شورى في الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

وقلت في الكلمة السابقة أيضًا: إننا نقلنا هذا النظام النيابي، الذي تعيش حكوماتنا في ظله عن أوروبا، فإلى أي مدى ينطبق على الإسلام؟ وما الذي أفدناه منه منذ طبق في عهده الأخير في بلادنا إلى الآن، وهي مدة تبلغ ربع قرن من الزمان تقريبا؟

[موقف الإسلام من النظام النيابي والدستور المصري:]

يقول علماء الفقه الدستوري: إن النظام النيابي يقوم على مسئولية الحاكم وسلطة الأمة واحترام إرادتها، وإنه لا مانع فيه يمنع من وحدة الأمة واجتماع كلمتها، وليست التفرقة والخلاف شرطًا فيه، وإن كان بعضهم يقول: إن من دعائم النظام النيابي البرلماني «الحزبية». ولكن هذا إذا كان عرفا فليس أصلا في قيام هذا النظام لأنه[٣] يمكن تطبيقه بدون هذه الحزبية وبدون إخلال بقواعده[٤] الأصلية.

وعلى هذا فليس في قواعد هذا النظام النيابي الأساسية ما يتنافى مع القواعد التي وضعها الإسلام لنظام الحكم، وهو بهذا الاعتبار ليس بعيدًا عن النظام الإسلامي ولا غريبا عنه، وبهذا الاعتبار أيضًا يمكن أن نقول في اطمئنان: إن القواعد الأساسية التي قام عليها الدستور المصري لا تتنافى مع قواعد الإسلام، وليست بعيدة عن النظام الإسلامي ولا غريبة عنه، بل إن واضعي الدستور المصري -رغم أنهم وضعوه على أحدث المبادئ والآراء الدستورية وأرقاها- فقد توخوا فيه ألا يصطدم أي نص من نصوصه بالقواعد الإسلامية، فهي إما متمشية معها صراحة كالنص الذي يقول: «دين الدولة الرسمي الإسلام» أو قابلة للتفسير الذي يجعلها لا تتنافى معها كالنص الذي يقول: «حرية

---

(١) أخرجه مسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «وُجُوبِ مُلازَمَةِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ...»، ح(٣٤٣٦).

(٢) في الأصل: «ما».

(٣) في الأصل: «أنه».

(٤) في الأصل: «بقواعدها».

الاعتقاد مكفولة».

وأحب أن أنبه هنا إلى الفرق بين الدستور وبين القوانين التي تسير عليها المحاكم، إذ إن كثيرًا من مواد هذه القوانين فيه ما يتنافى صراحة مع ما جاء به الإسلام أو ما يعطل صراحة ما جاء به الإسلام وذلك بحث آخر سنعرض له في موضعه إن شاء الله.

ومع أن النظام النيابي والدستور المصري في قواعدهما الأساسية لا يتنافيان مع ما وضعه الإسلام في نظام الحكم، فإننا نصرح بأن هناك قصورا في عبارات الدستور، وسوءًا في التطبيق، وتقصيرا في حماية القواعد الإنسانية التي جاء بها الإسلام وقام عليها الدستور، أدت جميعًا إلى ما نشكو منه من فساد، وما وقعنا فيه من اضطراب في كل هذه الحياة النيابية.

وسنتناول هذا الإيجاز بشيء من البيان:

[الـــــوزارة:]

فأما عن مسئولية الحاكم فإن الأصل فيها في النظام الإسلامي أن المسئول هو رئيس الدولة كائنا من كان، له أن يتصرف، وعليه أن يقدم حساب تصرفه للأمة، فإن أحسن أعانته، وإن أساء قومته، ولا مانع في الإسلام في أن يفوض رئيس الدولة غيره في مباشرة هذه السلطة وتحمل هذه المسئولية، كما عرف ذلك في «وزارات التفويض» في كثير من العهود الإسلامية، ورخص الفقهاء المسلمون في ذلك وأجازوه ما دام فيه مصلحة، والقاعدة في مثل هذه الأمور رعاية المصلحة العامة، قال الماوردي في كتاب (الأحكام السلطانية): «والوزارة على ضربين: وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ.

فأما وزارة التفويض، فهو أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه، وإمضاءها على مقتضى اجتهاده، وليس يمتنع جواز هذه الوزارة، قال الله تعالى حكاية عن نبيه موسى -عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۝ هَارُونَ أَخِي ۝ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٩-٣٢]، فإذا جاز ذلك في النبوة كان في الإمامة[١] أجوز ولأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور من تفرده بها ليستظهر

---

(١) في الأصل: «الأمانة».

بها على نفسه، وبها يكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل... إلخ»[١].

والأصل في هذه المسئولية في النظام النيابي، أن المسئول هو الوزارة ولا مسئولية على رئيس الدولة. وقد جرى على هذا الوضع الدستور الإنجليزي والدستور المصري، فصرح كل منهما بمسئولية الوزارة، وإخلاء رئيس الدولة من كل مسئولية واعتباره لا يخطئ، واعتبار ذاته مصونة لا تمس.

على أنه لا مانع في النظام النيابي من تحميل رئيس الدولة المسئولية واعتبار الوزارة تابعة له في ذلك، كما يقرر ذلك دستور الولايات المتحدة. والغريب أن تشير كتب الفقه الإسلامي إلى هذا الوضع أيضًا، وتسمى هذه الوزارة «وزارة التنفيذ» فيقول الماوردي في كتاب «الأحكام السلطانية» أيضًا: «وأما وزارة التنفيذ فحكمها أضعف وشروطها أقل؛ لأن النظر فيها مقصور على رأي الإمام وتدبيره، وهذا الوزير وسط بينه وبين الرعايا والولاة، يؤدي عنه ما أمر، وينفذ عنه ما ذكر ويُمضي ما حكم... إلخ»[٢] ولا شك أن هذا من سعة مادة الفقه الإسلامي ومرونته وصلاحيته لكل زمان ومكان.

[غموض الدستور المصري:]

هذه هي قواعد النظام الإسلامي والنيابي معًا في «مسئولية الحاكم»، فماذا فعلنا نحن في مصر؟ وقفنا في منتصف الطريق نصًا وتطبيقًا، وجاء دستورنا في هذا المعنى غامضًا مقتضبًا غير واضح ولا مفصل، مع أنها أهم نقطة في تحديد لون الحياة النيابية أو الإسلامية التي نحياها.. وشرحا لذلك سأسوق ما كتبه الأستاذان الفاضلان الدكتور «إبراهيم مدكور» عضو مجلس الشيوخ المصري، والأستاذ «مريت غالي» في مذكرتهما «نحو نظام جديد» قالا تحت عنوان: «الدستور وغموضه»:

«فأما العامل الأول فملخصه أن دستورنا على الرغم من دقته وضبط عبارته، قد وقع في نفس الغموض الذي وقعت فيه دساتير أسبق منه، وترك أهم نقطة في الحكم النيابي دون أن يحددها التحديد الكافي، ونعني بها سلطة الوزراء وصلتهم بالشعب ممثلاً في نوابه من جهة، وإشرافهم على ما يؤدي إليه من خدمات عن طريق المصالح والإدارات من جهة أخرى. كما أجمل إجمالاً مخلاً في بيان موقفهم من رئيس الدولة

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية، (١/ ٣٦).
(٢) السابق، (١/ ٤٣).

ومليك البلاد، واكتفى بأن يصوغ هذا في عبارات تصلح لكل ما يراد منها. وواضح أن الوزارة هي العمود الفقري لهيكل النظام النيابي كله، وحلقة الاتصال بين التشريع والتنفيذ، ومبعث الحياة والحركة في نظام يراد به احترام سلطة الشعب مع تصريف شئون الدولة تصريفًا محكمًا وسريعًا.

وإذا ما رجعنا إلى الدستور وجدنا أن ما جاء فيه متصلاً بهذه النقطة الحساسة لا يكاد يتجاوز ثلاثة أسطر كلها غموض وعموم، فيقرر في المادة (٢٩): «أن السلطة التنفيذية يتولاها الملك في حدود هذا الدستور». وفي المادة (٤٨): «الملك يتولى سلطته بواسطة[١] وزرائه». وفي المادة (٤٩): «الملك يعين وزراءه ويقيلهم». وفي المادة (٥٧): «مجلس وزرائه هو المهيمن على مصالح الدولة». وفي المادة (٦١): «الوزراء مسئولون متضامنون لدى مجلس النواب عن السياسة العامة للدولة، وكل منهم مسئول عن أعمال الوزراء»، وفي المادة (٦٢)[٢]: «أوامر الملك -شفهية أو كتابية- لا تخلي الوزراء من المسئولية على أية حال».

تلك تقريبًا جملة النصوص المتصلة بهذا الموضوع، ولا نظن أن فيها ما يكفي مطلقًا لحل أي مشكل من المشاكل التي أشرنا إليها إلخ.

وقد أفاضا بعد ذلك في الشرح والتمثيل بما يفصل ما تقدم من هذه المعاني.

والمهم أن هذه النقطة -وهي لب الأمر- تحتاج إلى إيضاح واستقرار، وهي القاعدة الأولى من قواعد «النظام الإسلامي» أو النيابي على السواء، وبغير ذلك لا يمكن أن تستقيم الأمور وتسلم. وفي الكلمة التالية نتناول القاعدتين الباقيتين إن شاء الله.

* * *

---

(١) في الأصل: «بوساطة».

(٢) في نسخ الرسائل المطبوعة: «٦٣».

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد

مشاكلنا الداخلية في ضوء نظام الإسلام

٣ - نظام الحكم[(١)]

﴿فَاحْكُم[(٢)] بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة: ٤٨].

وأما عن وحدة الأمة؛ فقد أبنت أن الإسلام الحنيف يفترضها افتراضًا، ويعتبرها جزءًا أساسيًّا في حياة المجتمع الإسلامي لا يتساهل فيه بحال، إذ إنه يعتبر الوحدة قرين الإيمان: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، كما يعتبر الخلاف والفرقة قرين الكفر كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، أي: بعد وحدتكم متفرقين. وكما قال رسول الله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم وجوه[(٣)] بعض»[(٤)]، فعبر بكلمة الكفر عن الفرقة والخلاف وأن يضرب بعضهم وجوه بعض.

وأعتقد أن الحكم النيابي -برلمانيًّا وغير برلماني- لا يأبى هذه الوحدة، وبخاصة إذا كان لون الحياة الاجتماعية في الأمة واحدًا في أصوله واتجاهاته العامة، كما هو شأن الأمم الإسلامية جميعًا في هذه الأيام، وإنما لازمت الحزبية والفرقة والخلاف هذا النظام النيابي في أوروبا وغيرها؛ لأنها نشأت على أنقاضها، وكانت الخلافات المتكررة الدامية بين الشعوب وحكامها هي السبب في نشأته فعلاً، مع تباين المشارب واختلاف الآراء. أما الأمم الإسلامية، فقد حماها الله من ذلك كله وعصمها بوحدة الإسلام وسماحته من

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٨١)، السنة الثانية، ١٣ محرم ١٣٦٧هـ- ٢٦ نوفمبر١٩٤٧م، ص(١).

(٢) في الأصل: «وأن احكم».

(٣) في الروايات: «رقاب».

(٤) أخرجه البخاري في «الْعِلْم»، باب: «الإِنْصَاتِ لِلْعُلَمَاءِ»، ح(١١٨)، ومواضع أخر، ومسلم في «الإِيمَانِ»، باب: «بَيَانِ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِي ﷺ: «لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»، ح(٩٨)، ومواضع أخر.

هذا التبلبل والاضطراب.

ومع هذا؛ فإن الحكم النيابي في أعرق مواطنه لم يقم على هذه الحزبية المسرفة، فليس في إنجلترا إلا حزبان هما اللذان يتداولان فيها الأمر، وتكاد تكون حزبيتهما داخلية بحتة، وتجمعهما دائما المسائل القومية المهمة، فلا تجد لهذه الحزبية أثرا البتة، كما أن أمريكا ليس فيها إلا حزبان كذلك، لا نسمع عنهما شيئا إلا في مواسم الانتخابات، أما فيما عدا هذا فلا حزبية ولا أحزاب. والبلاد التي تطورت في الحزبية وأسرفت في تكوين الأحزاب ذاقت وبال أمرها في الحرب في السلم على السواء، وفرنسا أوضح مثال في ذلك.

وإذا كان الأمر كذلك، وكانت وحدة الأمة أساسا في النظام الاجتماعي الإسلامي ولا يأباها النظام النيابي، فإن من الواجب أن نتحول سريعًا إلى الوحدة بعد أن أهلكت الحزبية السياسية في مصر الحرث والنسل.

[الأحزاب المصرية:]

لقد انعقد الإجماع على أن الأحزاب المصرية هي سيئة هذا الوطن الكبرى، وهي أساس الفساد الاجتماعي الذي يصطلي بناره الآن، وأنها ليست أحزابًا حقيقية بالمعنى الذي تعرف به الأحزاب في أي بلد من بلاد الدنيا، فهي ليست أكثر من سلسلة انشقاقات أحدثتها خلافات شخصية بين نفر من أبناء هذه الأمة، اقتضت الظروف والحوادث في يوم ما أن يتحدثوا باسمها وأن يطالبوا بحقوقها القومية، كما انعقد الإجماع على أن هذه الأحزاب لا برامج لها ولا مناهج، ولا خلاف بينها في شيء أبدًا إلا في الشخصيات، وآية ذلك واضحة فيما تعلن من بيانات خارج الحكم وفيما تطلع به من خطب العرش داخل الحكم، وبما أن الأحزاب هي التي تقدم الشيوخ والنواب، وهي التي تسيّر دفة الحكم في الحياة النيابية، فإن من البديهي ألا يستقيم أمر الحكم وهذه حال من يسيّرون دفته.

وهذا الكلام الذي انعقد إجماع الأمة عليه، أعلنه شيوخ ونواب وفقهاء دستوريون في صراحة ووضوح. ومن قرأ ما كتبه «علوبة باشا» في كتابه (مبادئ وطنية)، أو الأستاذ «حسن الجداوي» في كتابه (عيوب الحكم في مصر) أو غيرهما من الكتاب، رأى صدق ما نقول، وحسبنا أن ننقل هنا فقرة [من كتاب الفقيه الدستوري الأستاذ «سيد صبري»][1]

(١) في الأصل: «من كتاب الفقيه الدستوري الأستاذ «سيد صبري» في كتابه».

(مبادئ القانون الدستوري) عن الأحزاب المصرية قال [فيه][(١)]: «والواقع أنه لم يعد لأغلب الأحزاب السياسية في مصر برنامج يدافع عنه أنصاره، بل أصبح كل حزب عبارة عن وزير سابق له أنصار ومريدون، ولهذه النتيجة أهميتها، فإن الانتخاب لن يقوم على المفاضلة بين البرامج، فقد أصبحت واحدة للجميع، بل سيقوم على الثقة بالأشخاص أو المفاضلة بينهم، وستكون الانتخابات شخصية لا حزبية بالمعنى المفهوم لدى الشعوب الغربية، وبديهي أن بقاء الأحزاب على هذا المنوال يقسم البلاد شيعًا وأحزابًا ويثير الشقاق، والمنازعات بين الأفراد والأسرات بلا سبب مفهوم ولا أساس معقول». وإذا أضيف إلى هذا أن مصر ما زالت بلدًا محتلاً إلى الآن، وأن الذي يستفيد من هذه الفرقة هم المحتلون الغاصبون فقط، وأنه إذا استسيغ الخلاف -وهو غير مستساغ بحال- في أمة [من الأمم، فإن أمة][(٢)] وادي النيل هي أحوج ما تكون إلى أكمل معاني الوحدة لتتجمع قواها في نضال الاستقلال وفي عمل للإصلاح الداخلي- كان الأمر أخطر من أن يهمل أو يستهان به.

[حل الأحزاب المصرية:]

وإذا كان الأمر كذلك، فلا تدري ما الذي يفرض على هذا الشعب الطيب المجاهد المناضل الكريم هذه الشيع والطوائف من الناس التي تسمي نفسها الأحزاب السياسية؟

إن الأمر جد خطير، ولقد حاول المصلحون أن يصلوا إلى وحدة -ولو مؤقتة- لمواجهة هذه الظروف العصيبة التي تجتازها البلاد، فيئسوا وأخفقوا، ولم يعد الأمر يتحمل أنصاف الحلول، ولا مناص بعد الآن من أن تحل هذه الأحزاب جميعًا، وتجمع قوى الأمة في حزب واحد يعمل لاستكمال استقلالها وحريتها، ويضع أصول الإصلاح الداخلي العامة، ثم ترسم الحوادث بعد ذلك للناس طرائق التنظيم في ظل الوحدة التي يفرضها الإسلام[(٣)].

---

(١) زيادة من عندنا.

(٢) زيادة من عندنا ليستقيم المعنى.

(٣) كان هناك تعليق على بعض ما ورد في المقالة من الأستاذ توفيق الرخاوي، وقد رد الأستاذ البنا عليه بمقال عنوانه: «الإيمان والوحدة- والكفر والفرقة» قال فيه: «كتب إلينا الصديق الفاضل الأستاذ «توفيق الرخاوي» يلفت النظر إلى أن تفسير الإيمان بالوحدة وتفسير الكفر بالفرقة في مقال

«وحدتنا» في العدد (٤٨١) استعمال مجازي لابد له من قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، وإن هذه القرينة لم تظهر في المقال المذكور.

ونشكر للأخ الفاضل ملاحظته، ولم نذكر القرينة التي تصرف اللفظ إلى هذا المعنى اختصارًا، وهي ما روي في الصحيح عن زيد بن أسلم قال: «مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخًا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين، فمر بنفر من الأوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، وقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار، فأمر شابا من اليهود -كان معه- فقال له: اعمد إليهم واجلس معهم، ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب، وهما أوس بن قبطي أحد بني حارثة -من الأوس، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا، فقال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة، وغضب الفريقان جميعا، وقالا قد فعلنا، السلاح السلاح موعدكم الظاهر وهي الحرة، فخرجوا إليها وانضمت الأوس والخزرج بعضهم إلى بعض على دعواهم في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم، فقال: «يا معشر المسلمين، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم! بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا! الله الله». فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين. قال جابر: فما رأيت يوما أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني شاس اليهودي أصحابه ﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، أي: بعد وحدتكم متفرقين كما ترى. والله أعلم». [جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٨٨)، السنة الثانية، ٢١ محرم ١٣٦٧هـ- ٤ديسمبر ١٩٤٧م، ص(٣)]».

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد

مشاكلنا الداخلية في ضوء نظام الإسلام

٤ - نظام الحكم[(١)]

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١].

[احترام رأي الأمة - نظام الانتخاب:]

وأما عن احترام رأي الأمة ووجوب تمثيلها وإشراكها في الحكم إشراكًا صحيحًا، فإن الإسلام لم يشترط استبانة رأي أفرادها جميعًا في كل نازلة، وهو المعبر عنه في الاصطلاح الحديث «بالاستفتاء العام»، ولكنه اكتفى في الأحوال العادية «بأهل الحل والعقد» ولم يعينهم بأسمائهم، ولا بأشخاصهم، والظاهر من أقوال الفقهاء ووصفهم إياهم أن هذا الوصف ينطبق على ثلاث فئات هم:

١- الفقهاء المجتهدون الذين يعتمد على أقوالهم في الفتيا واستنباط الأحكام.

٢- وأهل الخبرة في الشئون العامة.

٣- ومن لهم نوع قيادة أو رياسة في الناس كزعماء البيوت والأسر وشيوخ القبائل ورؤساء الجماعات.

فهؤلاء جميعًا يصح أن تشملهم عبارة «أهل الحل والعقد».

ولقد رتب النظام النيابي الحديث طريق الوصول إلى اختيار «أهل الحل والعقد» بما وضع الفقهاء الدستوريون من نظم الانتخاب وطرائقه المختلفة، والإسلام لا يأبى هذا التنظيم ما دام يؤدي إلى اختيار أهل الحل والعقد، وذلك ميسور إذا لوحظ في أي نظام من نظم الانتخاب تحديد صفات أهل الحل والعقد، وعدم السماح لغيرهم بالتقدم للنيابة عن الأمة.

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٨٢)، السنة الثانية، ١٤ محرم ١٣٦٧هـ- ٢٧ نوفمبر١٩٤٧م، ص(١).

[عيوب نظم الانتخاب في مصر:]

ونحن في مصر قد أخذنا بنظام الانتخاب المباشر تارة في قانون سنة ١٩٢٣م، وبنظام الانتخاب على درجتين في قانون سنة ١٩٣٠م، وكلاهما في الواقع لم يحقق الغرض المقصود منه، وظهرت له حين التطبيق عيوب يجب أن نعمل على إصلاحها بتعديل شامل، وليس الخطأ عيبًا في ذاته، ولكن الرضا به والاستمرار عليه والدفاع عنه هو الخطأ كل الخطأ.

ولقد شعر الجميع بقصور قانون الانتخاب الحالي عن الوفاء بالغرض الذي وضع من أجله، وهو الوصول إلى اختيار الصالحين للنيابة عن الأمة، ووجهت إليه انتقادات مرة كشفت عن كثير من عيوبه التي من أهمها ما ذكره الدكتور «سيد صبري» في كتابه (مبادئ القانون الدستوري): «أنه أوجد هيئة ناخبة لا يمكنها تحقيق الغرض من الانتخاب على الوجه المطلوب، وأنه لم يحقق فكرة تمثيل الأمة تمثيلاً صحيحًا، وأنه لم يوصل إلى إيجاد هيئة تعمل للصالح العام مجردة من كل قيد...».

وقد أورد بعد ذلك إحصائية دقيقة خلص منها بالأرقام إلى أن قرارات البرلمان المصري في أدواره المختلفة لا تعبر عن رأي الأمة، ولا عن رأي أكثريتها، ولا عن رأي أقلية محترمة من أبنائها، وإنما تعبر عن رأي نسبة ضئيلة من مجموع من لهم حق الانتخاب لم تصل يومًا ما إلى ١٢٪ وبيان ذلك:

أن مجلس نواب ١٩٢٦ لا تمثل قراراته -مع أنها صحيحة ونافذة بحكم القانون- إلا ١٠.٧٥٪ من هيئة الناخبين، ومجلس ١٩٢٩ نسبة التمثيل فيه ٩.٧٥٪، ومجلس ١٩٣٦ النسبة فيه ٩.٢٥٪، ومجلس ١٩٣٨ النسبة فيه ١١.٧٥٪، ومجلس ١٩٤٢ النسبة فيه ٩.٧٥٪، والمجلس الحالي ليس أفضل مما تقدمه.

فكيف يقال بعد هذا: إن ذلك تعبير عن رأي الأمة وتمثيل لها تمثيلاً صحيحًا؟!

[تعديل وإصلاح:]

لابد من تعديل وإصلاح لقانون الانتخاب، ومن وجوه هذا الإصلاح الضرورية:

١- وضع صفات خاصة للمرشحين أنفسهم، فإذا كانوا ممثلين لهيئات فلا بد أن يكون لهذه الهيئات برامج واضحة وأغراض مفصلة يتقدم على أساسها هذا المرشح، وإذا لم يكونوا [ممثلين لهيئات][1] فلابد أن يكون لهم من الصفات والمناهج الإصلاحية ما

---

(١) في الأصل: «هيئات».

يؤهلهم للتقدم للنيابة عن الأمة، وهذا المعنى مرتبط إلى حد كبير بإصلاح الأحزاب في مصر، وما يجب أن يكون عليه أمر الهيئات السياسية فيها.

٢- وضع حدود للدعاية الانتخابية وفرض عقوبات على من يخالف هذه الحدود، بحيث لا تتناول الأسر ولا البيوت ولا المعاني الشخصية البحتة التي لا دخل لها في أهلية المرشح وإنما تدور حول المناهج والخطط الإصلاحية.

٣- إصلاح جداول الانتخاب وتعميم نظام تحقيق الشخصية منعًا لتزوير الشخصية، فقد أصبح أمر جداول الانتخاب أمرًا عجبًا بعد أن لعبت بها الأهواء الحزبية والأغراض الحكومية طول هذه الفترات المتعاقبة، وفرض التصويت إجباريًا.

٤- وضع عقوبة قاسية للتزوير من أي نوع كان، وللرشوة الانتخابية كذلك.

٥- وإذا عدل إلى الانتخاب بالقائمة لا الانتخاب الفردي كان ذلك أولى وأفضل، حتى يتحرر النواب من ضغط ناخبيهم، وتحل المصالح العامة محل المصالح الشخصية في تقدير النواب والاتصال بهم.

وعلى كل حال فأبواب الإصلاح والتعديل كثيرة، هذه نماذج منها، وإذا صدق العزم وضح السبيل، والخطأ كل الخطأ [في][1] البقاء على هذا الحال والرضا به، والانصراف عن محاولة الإصلاح[2].

* * *

---

(١) ناقصة من الأصل.

(٢) أوردت جريدة الإخوان هذا التعليق من أحد الإخوان والذي رد عليه الإمام البنا: «قانون الانتخاب» جاء من الأخ العزيز رشاد أفندي العاصي خطاب يلاحظ فيه أن انتخابات قانون سنة ١٩٢٣ لم تكن مباشرة، ولكنها كانت على درجتين، لا كما ورد في المقال من أن قانون سنة ١٩٢٣ كان ينص على أن الانتخابات مباشرة.

ونحن نشكر لحضرته هذا التصحيح، ونفيد بأن قانون ١٩٢٣م الذي صدر مع الدستور نص على الانتخاب على درجتين بطريقة المندوبين الثلاثينيين حقا وانتخب أول برلمان مصري على هذا الأساس، ولكن البرلمان حين اجتمع رأى تعديل هذا القانون وأخذ بالانتخاب المباشر، وصدر بذلك القانون رقم ٤ لسنة ١٩٢٤ تعديلا لقانون ١٩٢٣ وألغي هذا القانون في سنة ١٩٣٠ مع إبقاء الدستور، ولكنه أعيد في صورة القانون رقم ١٤٨ لسنة ١٩٣٥ وهو المعمول به الآن وجزى الله الأخ خيرًا» [الإخوان المسلمون اليومية، العدد (٤٨٨)، السنة الثانية، ٢١ محرم ١٣٦٧هـ- ٤ديسمبر ١٩٤٧م، ص(٣)].

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد

مشكلاتنا الداخلية في ضوء نظام الإسلام

٥- نظام الحكم(١)

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

عرضت في الكلمات السابقة لدعائم الحكم الصالح الثلاث في النظام الإسلامي أو النيابي على السواء، وهي:

١- مسئولية الحاكم

٢- ووحدة الأمة

٣- واحترام إرادتها

وأشرت -في إيجاز بالغ- إلى نواحي الغموض في التشريع، والقصور والفساد في التطبيق في أسلوب الحكم الذي جرينا عليه منذ صدور الدستور المصري إلى الآن، وقد كانت نتيجة هذا الغموض والقصور والفساد ما نحن فيه من حيرة وقلق وارتباك، وما وصلنا إليه من فرقة وتمزق وشتات.

[ضعف الحكومات:]

لا يجادل أحد في أن الحكومات المتعاقبة قد ضعفت عن أداء واجبها، وفقدت معظم هيبتها في النفوس كحكومة، بسبب هذا التجريح بالحق وبالباطل الذي تمليه الروح الحزبية البحتة، وبسبب هذا العجز الناتج عن عدم تحديد المسئولية والاضطلاع بها كاملة غير منقوصة، ولولا أن النفوس في مصر مطبوعة بطابع الطاعة والاستسلام والأعمال تسير بطريق روتيني لا تجديد فيه ولا ابتكار -لتعطل كل شيء، ولعجز الدولاب الإداري المضطرب عن أن ينهض بحاجات الشعب [أو](٢) أن يؤدي للناس عملاً.

(١) مجلة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٨٦)، السنة الثانية، ١٩ محرم ١٣٦٧هـ- ٢ ديسمبر ١٩٤٧م، ص(٢).

(٢) ناقصة من الأصل.

[هيبة القانون:]

ولا شك أن سلطان القانون قد تزعزع وفقد معظم احترامه كذلك، بسبب هذه الاستثناءات والمحسوبيات والحيل المتكررة، والاعتداء أحيانًا بنسخ القانون لغرض شخصي، ولو أن هذا النسخ بقانون في ظاهر الأمر، ولكن الدوافع تكون معروفة دائمًا ولا تخفى على أحد، فيعمل ذلك عمله في النفوس وينال من هيبة القانون واحترام النظام.

[حزبية عمياء:]

ولا شك أن نار الخصومة والحقد قد اضطرمت في نفوس[1] الحاكمين والمحكومين على السواء، بفعل هذه الحزبية الخاطئة التي لم نفهمها -نحن في مصر- في يوم من الأيام على أنها خلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، بل فهمناها عداوة وبغضاء تتعدى النظر في المصالح العامة إلى المقاطعة في كل الشئون عامة وخاصة، وإلى أن نرى الحق في جانب خصومنا الحزبيين باطلاً، والباطل في جانب أنصارنا الحزبيين حقا، ونصدر عن هذا الشعور في كل تصرفاتنا وصلاتنا، ويستفحل الداء ويستشري حتى في أحرج المواقف، فلا نستطيع أن نوحد صفوفنا في أي موقف قومي مهما كان يتوقف عليه صلاح أمرنا ومستقبل بلدنا.

وهذا الشعور البغيض والفهم الخاطئ للحزبية الذي تحول إلى عداوة متأصلة قد كان من نتائجه: أن انصرف معظم الجهود الفكرية والعملية إلى أمرين استغرقا كل اهتمام رجالنا، وهما: الإيقاع بالخصوم الحزبيين أو اتقاء مكائدهم، فالحاكم يصرف جل همه في هاتين الناحيتين، والمعارضة لا تقل عن الحاكم اهتمامًا بها، وفي سبيل ذلك تضيع الحقوق، وتتعطل المصالح، ويرثى الأصدقاء، ويشمت الأعداء، ويستفيد الخصم الجاثم على صدر البلاد.

هذه الحال قد أنتجت التحطم في المعنويات، والفساد والاضطراب في الماديات، وقد بلغ الأمر منتهاه ولم يعد في قوس الصبر منزع[2]، ولا بد من تغيير حازم حاسم سريع..

---

(١) في الأصل: «نفس».

(٢) مقتبس من قول الشاعر إبراهيم قفطان من الطويل:

وقائلة هيهات تأمل سلوةً ... ولم تبق في قوس الصبر منزعا

فإما أن يفقه أولو الأمر هذه الحقيقة ويقدروها فيبادروا في سرعة إلى إجراء التغيير الصالح برأيهم وعلى أيديهم، وفي ذلك السلامة والاستقرار، ولا زال في الوقت متسع للإصلاح. وإما أن يظلوا في هذا الانصراف فتسبقهم الحوادث، ويفلت من يدهم الزمام، ولا يدري عاقبة ذلك إلا الله.

يا أولي الأمر في هذا البلد، ويا دولة رئيس الحكومة، ويا رجال الأزهر الشريف، ويا زعماء الأحزاب والهيئات والجماعات، ويا ذوي الغيرة على هذا الوطن الأسيف:

تداركوا الأمر قبل الفوات.. وأمامكم سفينة النجاة من نظام الإسلام.. ولله عاقبة الأمور.

ألا هل قد بلغت... اللهم فاشهد.

* * *

(١) أصول الإسلام كنظام اجتماعي

اتجاه النهضة الجديدة في العالم الإسلامي[١]

إلى الإسلام:

يرى المراقبون الاجتماعيون والسياسيون والمعنيون بتطورات الحياة في الأمم والشعوب أن العالم الإسلامي -وفي مقدمته العالم العربي طبعًا- يتجه بنهضته الحديثة اتجاهًا إسلاميًّا، وأن هذا الاتجاه يقوى تياره بالتدريج.

وبعد أن كان الكتاب والمفكرون والعلماء والزعماء يتغنون بأصول الحضارة الأوروبية ووجوب الاصطباغ بصبغتها والأخذ الكامل بأساليبها ومناهجها، تبدلت هذه النغمة وحل محلها التحفظ والحذر، وارتفعت[٢] الأصوات المنادية بوجوب العودة إلى أصول الإسلام وتعاليمه ومناهجه، وتقريب الحياة العصرية في هذه الشعوب إليها -بقدر الإمكان- تمهيدًا للاصطباغ الكامل بصبغة الإسلام.

أسباب:

ويزعج هذا الاتجاه كثيرًا من الحكومات والدول الغربية التي عاشت طوال القرون الماضية في عقلية الذي لا يعرف عن الإسلام إلا التعصب والجمود، ولا يرى في المسلمين إلا شعوبًا مستضعفة للتسخير، وأوطانًا خصبة للاستعمار، وأخذوا يتحسبون من هذه الحركة، ويذهبون في تفسيرها وتأويلها كل مذهب، فمن قائل: إنها نتيجة قيام الهيئات المتطرفة والجماعات المتعصبة. ومن قائل: إنها رد فعل للضغط السياسي والاقتصادي الذي شعرت به هذه الأمم الإسلامية في هذه الأعصار. ومن قائل: إنها وسيلة يتوصل بها بعض طلاب الحكم والجاه إلى الظهور والمنصب. وكل هذه الأسباب -فيما نعتقد- بعيدة عن الحقيقة كل البعد، وهذا الاتجاه ليس إلا نتيجة لعوامل ثلاثة فيما نرى:

إفلاس الغرب:

أولها: إفلاس الأصول الاجتماعية التي قامت عليها حضارة الأمم الغربية، فحياة الغرب التي قامت على العلم المادي والمعرفة الآلية والكشف والاختراع وإغراق أسواق

---

(١) مجلة الشهاب، العدد (٢)، السنة الأولى، ١صفر ١٣٦٧هـ-١٤ ديسمبر١٩٤٧م، ص(٢٧-٣٢).

(٢) في الأصل: «ارتفعت».

العالم بمنتجات العقول والآلات، لم تستطع أن تقدم للنفس الإنسانية خيطًا من النور أو بصيصًا من الأمل أو شعاعًا من الإيمان، ولم ترسم للأرواح القلقة أي سبيل للراحة والاطمئنان، وليس الإنسان آلة من الآلات؛ ولهذا كان طبيعيًّا أن يتبرم بهذه الأوضاع المادية البحتة، وأن يحاول الترفيه عن نفسه.

ولم تجد الحياة الغربية المادية ما ترفه به عنه إلا الماديات أيضًا من الآثام والشهوات، والخمور والنساء والأحفال الصاخبة، والمظاهر المغرية التي تلهى بها حينًا، ثم ازداد بها بعد ذلك جوعًا على جوع، وأحس بصرخات روحه تنطلق عالية تحاول تحطيم هذا السجن المادي والانطلاق في الفضاء، واسترواح نسمات الإيمان والعزاء.

كمال الإسلام:

وثانيها -وهو العامل الإيجابي في الموضوع- اكتشاف المفكرين من رجال الإسلام ما في أصوله وقواعده من سمو ورقي وصلاحية واكتمال، وأنها أكمل وأدق وأفضل وأجمع وأشمل من كل ما كشفت عنه الفلسفات الاجتماعية والعقول المصلحة إلى الآن.

وقد كان المسلمون غفلوا عن ذلك حينًا من الدهر، فلما كشف الله عن بصائر مفكريهم، وقارنوا ما عندهم من قواعد دينهم الاجتماعية بما يتحدث عنه كبار الاجتماعيين وأساطين[١] المصلحين وجهابذة[٢] المفكرين، ووجدوا البون شاسعًا والفرق بعيدًا بين كنوز هذا الميراث الضخم وبين ما يلهو به هؤلاء، لم يملكوا أنفسهم من أن ينصفوا عقولهم وتاريخهم وشعوبهم، وأن ينادوا بنفاسة هذا الميراث، وأن يهيبوا بهذه الأمم الغافلة -إسلامية وغير إسلامية- أن تستفيد من هذا الإرشاد الرباني الكريم، وأن تنهج نهج هذا الصراط السوي المستقيم.

طبيعة التطور:

وثالثها: طبيعة التطور الاجتماعي بعد حربين طاحنتين اشتركت فيهما دول العالم جميعًا، وتناولتا النفوس والأوضاع والشعوب والأفراد، ونبتت بعدهما طائفة من المبادئ الإصلاحية والنظم الاجتماعية، قامت على أساسها دول، ونهضت بتطبيقها أمم، ثم لم

---

(١) يقال للرجل الطويل الرجلين والظهر: أُسطوان، وكذلك الجمل إذا كان مرتفعًا طويل العنق. [لسان العرب، مادة (سطن)].

(٢) الجِهبذ والجِهْباذ: الناقد الخبير بغوامض الأمور. [المعجم الوجيز، ص(١٢٢)].

يمض كبير وقت حتى تناولتها يد التبديل والتغيير، أو الهدم والتدمير، والمفكرون من المسلمين ينظرون ويرقبون ويوازنون ويقارنون، ويرجعون إلى ما بين أيديهم من كتاب ربهم -وهو مشرق- ومن سنة نبيهم- وهي بينة- ومن تاريخهم -وهو مجيد- فلا يرون لنظام من هذه النظم حسنة من الحسنات إلا وجدوا أنها مقررة في نظامهم الإسلامي الاجتماعي، وأنهم سبقوا إليها فتحدثوا عنها أو عملوا بها، ولا يرون لنظام من هذه النظم سيئة من السيئات إلا وجدوا أن نظامهم الإسلامي الاجتماعي قد حذر منها واحتاط لها ووصف طريق الوقاية من نتائجها وآثارها.

سادت العالم -حينًا من الدهر- هذه النظم الديمقراطية، وانطلقت الحناجر في كل مكان تسبح وتقدس بما جاء به هذا النظام الديمقراطي من حرية للأفراد وللشعوب على السواء، ومن إنصاف للعقل الإنساني بحرية التفكير، وللنفس الإنسانية بحرية العمل والإرادة، وللشعوب بأن تكون مصدر السلطات، وجاء النصر في الحرب العالمية الأولى معززًا لهذه الأفكار متوجًا إياها بأكاليل الغار.

ثم لم يلبث الناس أن تبينوا أن حريتها الاجتماعية لم تسلم من الفوضى، وأن حريتها الفردية لم تأخذ الحيطة من الإباحية، وأن سلطة الشعوب لم تبرئ المجتمع من كثير من الديكتاتوريات المستورة التي تضيع معها التبعات، ولا تحدد فيها الاختصاصات، إلى غير ذلك من المثالب والعيوب التي أدت إلى تفكك الأمم والشعوب، وتخلخل نظام الجماعات والبيوت، ومهدت لقيام النظم الديكتاتورية.

فقامت النازية في ألمانيا والفاشية في إيطاليا، وأخذ كل من موسوليني وهتلر بيد شعبه إلى الوحدة والنظام والنهوض والقوة والمجد، وسرعان ما خطا هذا النظام بهاتين الأمتين في مدارج الصلاح في الداخل، والقوة والهيبة في الخارج، وبعث في النفوس الآمال الخالدة، وأحيا الهمم والعزائم الراكدة، وجمع كلمة المختلفين المتفرقين على نظام وإمام، وأصبح «الفوهرر» أو «الدوتشي» إذا تكلم أحدهما أو خطب تفزعت الأفلاك والتفت الدهر[1].

ثم ماذا؟ ثم تكشف الأمر عن أن هذا الجهاز القوي المتماسك، الذي فنيت فيه

---

(١) مقتبس من قول البارودي من الطويل:

إِذَا اسْتَلَّ مِنْهُمْ سَيِّدٌ غَرْبَ سَيْفِهِ ... تَفَزَّعَتِ الأَفْلاكُ وَالْتَفَتَ الدَّهْرُ

إرادات الأفـراد في إرادات الزعمـاء أخطـأ حـين أخطئـوا، فطغـى بطغيـانهم، وانحـرف بانحرافهم، وهوى بسقوطهم، وانتهى كل شيء، وأصبح حصيدًا كأن لم يغن بالأمس بعد أن بذل العالم في حربه الثانية الملايين من زهرة الشباب، والقناطير المقنطرة من الأموال والعتاد.

ولمع نجم الاشتراكية والشيوعية بعد ذلك، وزاد في هذا البريق واللمعان معنى الفوز والانتصار، وتقدمت روسيا السوفيتية إلى الميدان الاجتماعي تبشر بدعوتها، وتدل[1] على الدنيا بنظامها الذي تبدل في ثلاثين عامًا عدة مرات، وأخذت دول الديمقراطيات، أو بعبارة أدق: دول الاستعمار القديمة البالية أو الجديدة الطامعة تعد العدة لتوقف هذا التيار، والصراع يقوى ويشتد تارة في العلانية وأخرى في الخفاء، والدول والأمم والشعوب الحائرة على مفترق الطرق لا تدري أين السبيل. ومنها أمم الإسلام وشعوب القرآن، والمستقبل في ذلك كله بيد الله، والحكم للتاريخ، والبقاء للأصلح على كل حال.

هذا التطور الاجتماعي وهذا الصراع العنيف القوي أيقظ همم المفكرين من المسلمين، فأخذوا يوازنون ويقارنون، وانتهوا بعد الموازنة إلى نتيجة صحيحة سليمة، هي: التخلص من كل هذه الأوضاع، ووجوب عودة شعوبهم وأممهم إلى الإسلام.

النظم الثلاثة في الصلاة:

قلت ذات مرة مداعبًا للسامعين في إحدى المحاضرات -وكانت خطرة موفقة كل التوفيق والحمد لله: إن هذه الصلاة الإسلامية التي نؤديها في اليوم خمس مرات ليست إلا تدريبًا يوميًّا على نظام اجتماعي عملي، امتزجت فيه محاسن النظام الشيوعي بمحاسن النظام الديمقراطي بمحاسن النظام الديكتاتوري، فعجبوا وقالوا: كيف كان ذلك؟ فقلت: إن أفضل ما في النظام الشيوعي من حسنات تدعيم معنى المساواة والقضاء على الفوارق والطبقات، ومحاربة الاعتزاز بالملكية التي يكون عنه هذا التفاوت، وهذه المعاني كلها يستحضرها المسلم ويشعر بها تمامًا، وتتركز في نفسه إذا دخل المسجد؛ لأنه يستشعر لأول دخوله أن هذا المسجد لله لا لأحد من خلقه، وأنه سواء العاكف فيه والباد، لا صغير فيه ولا كبير، ولا أمير ولا حقير، ولا فوارق ولا طبقات، فإذا صاح المؤذن: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، استوى هذا الجمع خلف إمامه كالبنيان المرصوص، فلا يركع

(١) تدل، أي: تمن، والدّلة: المِنة. والأدل: المنان بعَمَله. [انظر: لسان العرب، مادة (دلل)].

أحد حتى يركع الإمام، ولا يسجد حتى يسجد، ولا يأتي بحركة أو سكون إلا تابعًا له ومقتديًا به ومقلدًا إياه، وهذا هو أفضل ما في النظام الديكتاتوري: الوحدة والنظام في الإرادة والمظهر على السواء، ولكن هذا الإمام مقيد هو نفسه بتعاليم الصلاة ودستورها، فإذا انحرف أو أخطأ في تلاوة أو عمل كان للصبي الصغير وللرجل الكبير وللمرأة المصلية خلفه، كان لكل واحد من هؤلاء الحق كل الحق أن ينبهه إلى خطئه، وأن يرده إلى الصواب وفي أثناء الصلاة[1]، وكان على الإمام كائنًا من كان أن ينزل على هذا الإرشاد، وأن يعدل عن خطئه إلى الحق والصواب، وليس في الديمقراطية أروع من هذه الحسنات. فماذا بقي بعد ذلك لهذه النظم من فضل على الإسلام، وقد جمع محاسنها جميعًا، واتقى بهذا المزج البديع كل ما فيها من سيئات، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

لا مبرر للانزعاج:

والغربيون كما قلت -ومعهم الذين لا يعلمون- ينزعجون أشد الانزعاج لهذا الاتجاه، ويرونه من الخطورة بحيث تجب عليهم محاربته بكل سبيل؛ لأنه ليس أكثر في عرفهم من انتصار للمبادئ الرجعية، وتجميع للأمم الهمجية حولها ضد مبادئ الحضارة والمدنية وشعوب العلم والعرفان والنظام، وهذا وهم عريق في الخطأ، وظلم صارخ للحقائق الواضحة وضوح الشمس في وضح النهار.

ومهمتنا في هذه الكلمات أن نصل معهم إلى أمرين:

أولهما: إثبات سمو أصول النظام الاجتماعي الإسلامي، وفضلها على كل ما عرف الناس، تلك الأصول التي منها:

١- الإخاء الإنساني، والقضاء على روح الكراهية والتعصب.

٢- السلام، وخطأ الذين لا يعلمون في فهم مشروعية الجهاد.

---

(١) وقد أنكر رسول الله ﷺ سكوت أصحابه عن تذكيرهم إياه يوم نسي آية في الصلاة، فلم يدع بذلك عذرا لأحد في السكوت على خطأ إمامه؛ فقد روى أبو داود وغيره من حديث عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ صلى صلاة فقرأ فيها فلبس عليه، فلما انصرف قال لأبي (أبي بن كعب): «أصليت معنا»؟ قال: نعم. قال: «فما منعك؟»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» ح(٩٠٧).

٣- الحرية، وخطأ الذين يتهمون الإسلام بإباحة الرق، ومصادرة الحريات.

٤- العدل الاجتماعي، وفيه بيان رأي الإسلام في نظام الحكم والطبقات.

٥- الحياة الطيبة، وفيه بيان الخطأ في فهم حقيقة الزهد.

٦- الأسرة، وفيه الكلام على حقوق المرأة والتعدد والطلاق.

٧- العمل والكسب، وفيه الكلام على أنواع الكسب والخطأ في فهم التوكل.

٨- العلم، وفيه خطأ من يتهمون النظام الإسلامي بتشجيع الجهالة والخمول.

٩- النظام، وتقدير الواجب، وفيه خطأ من يظنون في طبيعة الإسلام النقص والإهمال.

١٠- التدين، وفيه حقيقة الإيمان بالله والفضيلة والجزاء.

وبقي بعد ذلك الكثير يأتي في أثناء هذه البحوث، أو يلحق بها، والله المستعان.

وثانيهما: إثبات أن من الخير للإنسانية كلها أن يتجه المسلمون إلى العودة لدينهم، وأن ذلك سيكون أكبر دعائم السلام على الأرض، وأن الدافع إلى ذلك ليس التعصب الأعمى، ولكن الاقتناع التام بفضل ما جاء به الإسلام، وانطباقه تمام الانطباق على أرقى ما كشف عنه التفكير العصري السليم من قواعد الاجتماع الصالحة، ودعائم نظمه القوية الثابتة. والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

* * *

(٢) أصول الإسلام كنظام اجتماعي

إعلان الأخوة الإنسانية والتبشير بفكرة العالمية[(١)]

جاء الإسلام الحنيف يعلن الأخوة الإنسانية، ويبشر بالدعوة إلى العالمية، ويبطل كل عصبية، ويسلك إلى تحقيق هذه الدعوة الكريمة السامية كل السبل النظرية والعملية.

تقرير وحدة الجنس والنسب:

فقد قرر وحدة الجنس والنسب للبشر جميعًا، «فالناس لآدم، ولا فضل لعربي على عجمي، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»[(٢)]، وحكمة التقسيم إلى شعوب وقبائل إنما هي التعارف لا التخالف، والتعاون لا التخاذل، والتفاضل بالتقوى والأعمال الصالحة التي تعود بالخير على المجموع والأفراد، والله رب الجميع يرقب هذه الأخوة ويرعاها، ويطالب عباده جميعًا بتقريرها ورعايتها، والشعور بحقوقها والسير في حدودها.

ويعلن القرآن الكريم هذه المعاني جميعًا في بيان ووضوح، فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويقول النبي محمد ﷺ في أشهر خطبه في حجة الوداع: «إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَة الجاهلية وتعظمها بالآباء والأجداد، الناس لآدم، وآدم من تراب»[(٣)]، «لا فضل لعربي على

---

(١) مجلة الشهاب، السنة الأولى، العدد (٣)، ١ربيع الأول ١٣٦٧هـ- ١٣يناير ١٩٤٨م، ص(٤٦-٥٥).

(٢) أخرجه أحمد في «بَاقِي مُسْنَدِ الأَنْصَارِ»، ح(٢٢٣٩١)، وقد صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط، (٣٨/ ٤٤٧) طبعة الرسالة.

(٣) أخرج أبو داود في «الأَدَبِ»، باب: «فِي التَّفَاخُرِ بِالأَحْسَابِ»، ح(٤٤٥٢)، والترمذي في «تَفْسِيرِ القُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، باب: «وَمِنْ سُورَةِ الْحُجُرَاتِ»، ح(٣١٩٣) ومواضع أخر، وأحمد في «مُسْنَدِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ»، ح(٨٣٨١) وموضع آخر، من طريق أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ

عجمي، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»[١]، ويقول: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية» رواه أبو داود[٢].

وبهذا التقرير قضى الإسلام تمامًا على التعصب للأجناس أو الألوان في الوقت الذي لا تزال فيه الأمم المتحضرة من أوروبا وأمريكا تقيم كل وزن لذلك، وتخصص أماكن يغشاها البيض، ويحرم منها السود حتى في معابد الله، وتضع القوائم الطويلة للتفريق بين الأجناس الآرية والسامية، وتدعي كل أمة أن جنسها فوق الجميع.

تقرير وحدة الدين:

وقرر الإسلام وحدة الدين في أصوله العامة، وأن شريعة الله -تبارك وتعالى- للناس تقوم على قواعد ثابتة من الإيمان والعمل الصالح والإخاء، وأن الأنبياء جميعًا مبلغون عن الله تبارك وتعالى، وأن الكتب السماوية جميعًا من وحيه، وأن المؤمنين جميعًا -في أية أمة كانوا- هم عباده الصادقون الفائزون في الدنيا والآخرة، وأن الفرقة في الدين والخصومة باسمه إثم يتنافى مع أصوله وقواعده، وأن واجب البشرية جميعًا أن تتدين وأن تتوحد بالدين، وأن ذلك هو الدين القيم وفطرة الله التي فطر الناس عليها، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ويقول القرآن الكريم مخاطبًا النبي محمدًا ﷺ: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥]، ويقول النبي محمد ﷺ مصورًا هذا المعنى أبدع تصوير: «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا

الْجِعْلَانِ التي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ». ومن طريق ابن عمر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلانِ بَرٌّ تَقِي كَرِيمٌ عَلَى اللهِ، وَفَاجِرٌ شَقِي هَيِّنٌ عَلَى اللهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ...».

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وضعت هذه اللبنة؟! فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين» أخرجه الشيخان(١).

وسلك الإسلام إلى هذه الوحدة مسلكًا عجيبًا، فالمسلم يجب عليه أن يؤمن بكل نبي سبق، ويصدق بكل كتاب نزل، ويحترم كل شريعة مضت، ويثني بالخير على كل أمة من المؤمنين خلت، والقرآن يفترض ذلك ويعلنه ويأمر به النبي وأصحابه ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، ثم يقفي على ذلك بأن هذه هي سبيل الوحدة، وأن أهل الأديان الأخرى إذا آمنوا كهذا الإيمان فقد اهتدوا إليها، وإن لم يؤمنوا به فسيظلون في شقاق وخلاف، وأن أمرهم بعد ذلك إلى الله فيقول: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

ويدعم هذه الوحدة بين المتدينين والمؤمنين على أساسين واضحين مسلمين لا يجادل فيهما إلا مكابر:

أولهما: اعتبار ملة إبراهيم عليه السلام أساسًا للدين، وإبراهيم -ولا شك- هو مرجع الأنبياء الثلاثة الذين عرفت رسالاتهم وهم: موسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا.

وثانيهما: تجريد الدين من أغراض البشر وأهوائهم، والارتفاع بنسبته إلى الله وحده؛ فنقرأ في سورة البقرة قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠] إلى قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ۝ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨-١٣٩]، ثم إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١].

---

(١) أخرجه البخاري في «الْمَنَاقِبِ»، باب: «خَاتِمِ النَّبِيِّينَ ﷺ»، ح(٣٢٧٠، ٣٢٧١)، ومسلم في «الْفَضَائِلِ»، باب: «ذِكْرِ كَوْنِهِ ﷺ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ»، ح(٤٢٣٧) ومواضع أخر، من حديث أبي هريرة.

إن القرآن يثني على الأنبياء جميعًا، فموسى نبي كريم ﴿وَكَانَ عِندَ اللهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وعيسى ﷺ ﴿رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١]، ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٦]، ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥] أكرمتها الملائكة، ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٤٢].

والتوراة كتاب كريم ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، والإنجيل كذلك كتاب كريم، فيه هدى ونور وموعظة، ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦]، وهما والقرآن معهما مصابيح الهداية للناس، ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۞ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣-٤]، وبنو إسرائيل أمة موسى أمة كريمة مفضلة ما استقامت وآمنت، ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، وأمة عيسى ﷺ أمة فاضلة طيبة ما أخلصت وعملت، ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ [الحديد: ٢٧].

والتعامل بين المسلمين وبين غيرهم من أهل العقائد والأديان إنما يقوم على أساس المصلحة الاجتماعية والخير الإنساني ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨-٩].

والجدال يكون بالتي هي أحسن إلا للذين ظلموا، وأساسه التذكير بروابط الرسالة السماوية ووحدة العقيدة الإيمانية، ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وبذلك قضى الإسلام على كل مواد الفرقة والخلاف والحقد والبغضاء والخصومة بين المؤمنين من أي دين كانوا، ولفتهم جميعًا إلى وجوب التجمع حول «شريعة الإسلام»

ونبذ كل ما من شأنه العداوة والخصام بين بني الإنسان، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

فإن أبى الناس إلا أن يفترقوا ويختلفوا ويحتكموا إلى أهوائهم باسم الدين، فإن الإسلام ونبي الإسلام وشريعة الإسلام الإنسانية العامة منهم براء ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۞ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٩-١٦٣].

تقرير وحدة الرسالة:

ولهذا جاء النبي «محمد» عليه الصلاة والسلام رسولاً عالميًا لا رسولاً إقليميًا، وأعلن القرآن الكريم هذه العالمية في آيات كثيرة، فقال: ﴿تَبَارَكَ الذي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الذي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الذي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ومن هنا كانت رسالته أيضًا ختام الرسالات، فلا رسالة تعقبها أو تنسخها، ولا نبي بعده، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ومن هنا كذلك كانت معجزته الخالدة الباقية هذا القرآن الكريم، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۞ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

ولقد كان الناس يتساءلون من قبل هذا العصر: وكيف يكون فرد واحد من أمة واحدة رسولاً للبشر جميعًا؟! فجاء هذا العصر الذي انمحت فيه المسافات، وتجمعت فيه أطراف الأرض بهذه المواصلات، وتشابكت فيه مصالح الأمم والدول والشعوب حتى

لكأنها بلد واحد كبير، لا ينفك جانب منه عن الجانب الآخر في قليل ولا في كثير، وانطلقت في أجواز[1] الفضاء أنباء الشرق يعلمها ساعة حدوثها الغرب، وأنباء الغرب يستمع إليها لحظة وقوعها الشرق، وتركزت آمال المصلحين اليوم في «العالم الواحد» و«النظام الواحد» و«الضمان الاجتماعي» و«السلام العالمي» فكان ذلك آية كبرى، ومعجزة أخرى لنبي الإسلام وشريعة الإسلام، وصدق الله العظيم، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الشورى: ٥٣].

وحدة الشعائر:

وقد كان الإسلام «عمليًا» كعادته، فلم يقف عند حد تقرير الأصول النظرية لهذه الوحدة الإنسانية، ولكنه رسم وسائل التطبيق، وقرر الشعائر والشرائع التي يتأكد بها هذا المعنى في النفوس، وتثبت دعائمه في المجتمعات، وهذا هو الفرق بين الرسالات الفلسفية والرسالات الإصلاحية، أو بين الفيلسوف والمصلح، فالفيلسوف يقرر النظريات، والمصلح يرسم قواعد التطبيق ويشرف بنفسه على تمامه، ومن هنا كان الإسلام نظريًا وعمليًا معًا؛ لأنه رسالة الإصلاح الشامل الخالد، وعلى هذا الأساس قرر الشعائر والشرائع التي يتحقق بالعمل بها، ما دعا إليه من إنسانية عالمية وأخوة حقيقية بين البشر على اختلاف أوطانهم وأجناسهم وألوانهم. ومن ذلك:

القبلة:

فعلى المؤمنين أن يصرفوا وجوههم وقلوبهم وأفئدتهم كل يوم خمس مرات على الأقل إلى «الكعبة» التي بناها إبراهيم أبو الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وأن يشعر كل منهم بما يحيط بهذا «الرمز الكريم» من معاني الأخوة والوحدة بين الناس جميعًا، كما أن طواف الطائفين بهذه الكعبة المشرفة إن هو إلا توكيد لهذا الشعور عمليًا كذلك، وينتهز بعض الذين لا يعلمون الحكمة البالغة والنظرة السامية في هذا التشريع الحكيم هذه الفرصة، فيغمزون الإسلام بأنه لا زال متأثرًا ببقية من وثنية العرب، وأن الكعبة والطواف من حولها، والحجر الأسود واستلامه، وما يحيط بذلك من معاني التقديس والتكريم إن هو إلا مظهر من مظاهر هذا التأثر.

---

(١) أجواز: جمع جوز، والجوز هو الوسط، والأجواز: أوساط. [انظر: لسان العرب، مادة (جوز)].

وهذا القول بعيد عن الصحة عار عن الصواب، فالمسلم الذي يطوف بالكعبة أو يستلم الحجر يعتقد اعتقادًا جازمًا أنها جميعًا أحجار لا تضر ولا تنفع، ولكنه إنما يقدس فيها هذا المعنى الرمزي البديع: معنى الأخوة الإنسانية الشاملة، والوحدة العالمية الجامعة، ويذكر في ذلك قول الله العلي الكبير، ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]، والرمزية: هي اللغة الوحيدة لتمثيل المعاني الدقيقة، والمشاعر النبيلة التي لا يمكن أن تصورها الألفاظ أو تجلوها العبارات، والذي يعظم عَلَمَ وطنه، يعلم أنه في ذاته قطعة نسيج لا قيمة لها ماديًا، ولكنه يشعر كذلك أنها ترمز إلى كل معاني المجد والسمو التي يعتز بها وطنه، وأنها تصور أدق المشاعر في وطنيته، فهو يحيي هذا العلَمَ ويعظمه ويحترمه ويكرمه لهذه المعاني التي تجمعت جميعًا وتمثلت فيه. والكعبة المشرفة عَلَم الله المركوز في أرضه ليمثل به للناس أوضح معاني أخوتهم، وليرمز به إلى أقدس مظاهر وحدتهم، وإنما كانت بناء ليكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، ومن أجمل الجميل أن يقوم على رفع قواعد هذا البناء إبراهيم الخليل أبو الأنبياء، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وما الحجر الأسود إلا موضع الابتداء، ونقطة التميز في هذا البناء، وعنده تكون البيعة لرب الأرض والسماء على الإيمان والتصديق والعمل والوفاء: اللهم إيمانًا بك -لا بالحجر- وتصديقًا بكتابك لا بالخرافة، ووفاءً بعهدك -وهو التوحيد الخالص- لا الشرك، واتباعًا لسنة نبيك ﷺ محطم الأصنام.

فأين هذه المعاني الرمزية العلوية من تلك المظاهر الوثنية الخرافية؟ إن الكعبة المشرفة رمز قائم خالد، ركز الإسلام من حوله أخلد وأقدس وأسمى معاني الإنسانية العالمية، والأخوة بين بني البشر جميعًا، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

واللغة:

وكما وحد الإسلام القبلة فقد وحد اللغة، وأعلن أن العربية هي لسان القرآن، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، وأن القرآن هو لسان المؤمنين، وأن دعوة الإيمان دعوة موجهة إلى العالمين، ويقرر علماء الاجتماع أن اللغة أقوى الروابط بين

الأمم والشعوب، وأقرب وسائل التقريب والتوحيد بينها، وهي نسب من لا نسب له، وقد أدرك الإسلام هذه الحقيقة، ففرض العربية فرضًا على المؤمنين في صلواتهم وعباداتهم، ومنح الجنسية العربية لكل من نطق بلغة العرب وجرى لسانه بها، واعتبر أن العربية هي اللسان. روى الحافظ ابن عساكر، قال جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال: هؤلاء الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل -يعني: النبي ﷺ- فما بال هذا وهذا؟ «مشيرًا إلى غير العرب من الجالسين». فقام إليه معاذ بن جبل رضي الله عنه فأخذ بتلابيبه، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره بمقاله، فقام النبي ﷺ مغضبًا يجر رداءه حتى أتى المسجد، ثم نودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فخطبهم قائلاً: «يا أيها الناس، إن الرب واحد، وإن الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي»[1].

وأي تشجيع أعظم من هذا على تعلم لغة العرب، وتعميمها بين الناس لتكون هي «الاسبرانتو»[2] العالمي الذي يربط البشرية بأقوى روابطها وهي: اللسان. وقد يقال: إن ذلك خيال لا يتحقق، والجواب أنه خيال حققته قوة أصحابه الروحية والحسية من قبل وتحققه من بعد، ولا خيال في الحقيقة إلا مع الضعف، وحقائق اليوم أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد، ولا تعاب الطريقة المثلى إذا هجرها الناس، وهذه هي الطريقة للوحدة «وكل من سار على الدرب وصل»[3].

الأذان:

وتستمع إلى الأذان، وهو الصوت العالي الذي تنطلق به حناجر المؤذنين في الصباح والمساء وعشيًّا وعند الظهيرة ومع الغروب: «الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله،

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، (٢١/ ٤٠٧)، وقد ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة»، (٢/ ٣٢٥).

(٢) طرحت فكرة الاسبرانتو عام ١٨٨٧م مع اللغوي والفيزيائي البولوني «لوديفيك زامنهوف»، في منطقة «بياليستوك» على الحدود البولونية الروسية وحاول «زامنهوف» أن يجعلها لغة عالمية هدفها أن تصبح اللغة الثانية للإنسان بغية تسهيل الاتصال الدولي وخلق حوار أفضل بين مختلف الشعوب.

(٣) مقتبس من قول ابن الوردي من الرمل:

لا تقلْ قدْ ذهبَتْ أربابُهُ ... كلُّ مَنْ سارَ على الدربِ وصلْ

أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله»، يكررها المؤذن أعدادها المعروفة، أو هو يقول: «حي على خير العمل» كما في بعض الروايات[1]، فهل ترى في هذا النداء دعوة إلى عصبية جنسية، أو هتافًا بنصرة طائفية، لا شيء إلا تمجيد الله، والحث على الخير والفلاح والطاعة والصلاة، والإرشاد إلى الأسوة الحسنة في محمد رسول الله.

الحقوق والواجبات ومظاهر العبادات والمساواة التامة:

هي شعار الإسلام في الحقوق والواجبات ومظاهر العبادات. فالجنس الإنساني مكرم كله، مفضل على كثير من المخلوقات، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

والناس جميعًا مخاطبون بهذه الدعوة الإسلامية، وكثيرًا ما يستفتح الخطاب في القرآن الكريم بـ«يا أيها الناس» إشارة إلى عموم هذه الرسالة وتسويتها بين الناس في الحقوق والواجبات.

والحقوق الروحية -فضلاً عن الحقوق المدنية والسياسية والفردية والاجتماعية والاقتصادية- مقررة للجميع على السواء، فما من شعب إلا بعث إليه رسول، ﴿وَإِن مِّنْ

(١) جاء هذا عن عبد الله بن عمر فيما رواه عنه البيهقي في «السنن الكبرى»، (١/ ٤٢٤)، كما روى البيهقي ذلك أيضًا عن علي بن الحسين في «السنن الكبرى»، (١/ ٤٢٥)، وقد قال البيهقي عقب إخراج هذه الآثار: (وهذه اللفظة لم تثبت عن النبي ﷺ فيما علّم بلالا وأبا محذورة ونحن نكره الزيادة فيه وبالله التوفيق)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الروافض زادوا في الأذان شعارًا لم يكن يُعرف على عهد النبي ﷺ، وهي: حي على خير العمل، وغاية ما يُنقل -إنْ صح النقلُ- أن بعض الصحابة كابن عمر كان يقول ذلك أحيانًا على سبيل التوكيد كما كان بعضهم يقول بين النداءين: حي على الصلاة، حي على الفلاح، وهذا يُسمَّى نداء الأمراء... إلى أن قال: ونحن نعلم بالاضطرار أن الأذان الذي كان يؤذّنه بلال وابن أم مكتوم في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، وأبو محذورة بمكة، وسعد القرظي في قباء لم يكن في أذانهم هذا الشعار الرافضي، ولو كان فيه لنقله المسلمون ولم يُهملوه، كما نقلوا ما هو أيسر منه، فلمّا لم يكن في الذين نقلوا الأذان من ذكر هذه الزيادة علم أنها بدعة باطلة، وهؤلاء الأربعة كانوا يؤذّنون بأمر النبي ﷺ، ومنه تعلّموا الأذان، وكانوا يؤذّنون في أفضل المساجد مسجد مكة والمدينة ومسجد قباء، وأذانهم متواتر عند العامة والخاصة» [ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، مؤسسة قرطبة، (٦/ ٢٩٤)].

أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

ومظاهر العبادات وطرق أدائها مشتركة بين الجميع، يؤدونها على قدم المساواة، فهم في الصلاة كالبنيان المرصوص، وهم في الحج قلب واحد يفدون من كل فج عميق، وهم في الجهاد صف لا يتخلف عنه إلا أعرج، أو مريض، أو أعمى، أو معذور، وهم في كل معنى من هذه المعاني كأسنان المشط، لا سيد ولا مسود، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقل مثل ذلك في جميع الحقوق والواجبات والفرائض والعبادات التي جاء بها هذا الإسلام.

تقرير معاني الرحمة والحب والإيثار والإحسان:

ولقد دعم الإسلام هذه المعاني النظرية والمراسم العملية ببث أفضل المشاعر الإنسانية في النفوس من حب الخير للناس جميعًا، والترغيب في الإيثار ولو مع الحاجة، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، والإحسان في كل شيء حتى في القتل[1]، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠]، ﴿إِن اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

وتقرير عواطف الرحمة حتى مع الحيوان، فأبواب الجنة تفتح لرجل سقى كلبًا، وتبتلع الجحيم امرأة لأنها حبست هرة بغير طعام[2]، كما جاء ذلك وغيره من كثير من مثله في أحاديث النبي محمد ﷺ حتى استغرب أصحابه، وقالوا: وإن لنا في البهائم لأجرًا

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه من حديث شداد بن أوس أنه قال: اثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ، قال: «إن اللهَ كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته».

(٢) أخرج البخاري في «الْمُسَاقَاةِ»، باب: «فَضْلِ سَقْيِ الْمَاءِ»، ح(٢١٩٢) ومواضع أخر، ومسلم في «الْكُسُوفِ»، باب: «مَا عُرِضَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ في صَلاةِ الْكُسُوفِ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»، ح(١٥٠٧) ومواضع أخر، منْ طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ. قَالَ: فَقَالَ وَاللهُ أَعْلَمُ: لا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا، وَلا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ» واللفظ للبخاري.

يا رسول الله؟ قال: «نعم في كل ذات كبد رطبة أجر»[(١)]. رواه البخاري، ولا شك أن هذه المشاعر هي التي تفيض على صاحبها أفضل معاني الإنسانية، وتوجهه إلى تقدير قيمة الأخوة العالمية.

شيوع هذه الإنسانية عمليًا في المجتمع الإسلامي:

وإن التاريخ ليحدثنا أن المجتمع الإسلامي سعد بتحقيق هذه المعاني في كل عصر من العصور التي ازدهرت فيها دعوة الإسلام، وطبقها المؤمنون فيها تطبيقًا صحيحًا، ففي عهد النبوة كان سلمان الفارسي إلى جانب صهيب الرومي، إلى جوار بلال الحبشي، ومعهم في نسق واحد أبو بكر القرشي، تضمهم جميعًا أخوة الإسلام، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ولم تعرف التعصبات الجنسية إلا يوم ضعف شعور المسلمين بسلطان التوجيه الإسلامي الصحيح، واجتالتهم شياطين التقليد، فانحرفوا عن هذا الصراط المستقيم.

عالم اليوم:

ولقد بشر زعماء العالم -إبان محنتهم في الحرب الماضية- بهذه الإنسانية العالمية، وهتفوا بالعالم الواحد السعيد الذي تسوده الطمأنينة والعدالة والحرية والوئام، فهل وصلوا إلى شيء من ذلك؟ أو حاولوا أن يصلوا إليه فيما قرروا من مؤتمرات وعقدوا من اجتماعات؟ وهل استطاعت هيئة الأمم المتحدة أن تسوي في الحقوق بين أبناء الوطن الواحد في إفريقيا الجنوبية؟ أو أن تحمل الأمريكان على ترك التفاضل بالألوان؟ لا شيء من هذا، ولن يكون إلا إذا تطهرت النفوس بماء الوحي العذب الطهور، وسقيت من معين الإيمان، وأخلصت للإسلام دين الأخوة والوحدة والإنسانية والسلام ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦-١٠٧].

* * *

---

(١) سبق تخريجه.

(٣) أصول الإسلام كنظام اجتماعي

السلام وحكمة مشروعية القتال في الإسلام[١]

الإسلام شريعة السلام ودين المرحمة، ما في ذلك شك، لا يخالف في هذا إلا جاهل بأحكامه، أو حاقد على نظامه، أو مكابر لا يقتنع بدليل، ولا يسلم ببرهان.

اسم الإسلام نفسه مشتق من صميم هذه المادة مادة السلام.

والمؤمنون بهذا الدين لم يجدوا لأنفسهم اسمًا أفضل من أن يكونوا المسلمين ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

وحقيقة هذا الدين ولبه: الإسلام لرب العالمين ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

وتحية أهل الإسلام فيما بينهم «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، وختام الصلاة عندهم: سلام على اليمين، وسلام على اليسار، وسلام في الأمام إن كانوا يصلون خلف إمام[٢]؛ كأنهم يبدءون أهل الدنيا من كل نواحيها بالسلام، بعد أن فارقوها بخواطرهم لحظات انصرفوا فيها لمناجاة الله الملك العلام.

وقد نزل القرآن الكريم في ليلة كلها سلام، تحف به ملائكة السلام ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ

---

(١) مجلة الشهاب، العدد (٤)، السنة الأولى، ١ربيع الآخر ١٣٦٧هـ- ١١فبراير ١٩٤٨م، ص(٢٧-٣٦).

(٢) ذهب الإمام مالك مخالفا لجمهور العلماء إلى أن الإمام والفذ يسلمان تسليمة واحدة، ويسلم المأموم الذي ليس على يساره أحد تسليمتين إحداهما رد على الإمام، ويسلم المأموم الذي على يساره غيره ثلاث تسليمات، ويقصد بالثالثة الرد على الذي عن يساره. قال ابن حزم: «وتفريق مالك بين سلام المأموم والإمام والمنفرد قول لا برهان له عليه لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا إجماع ولا قول لصاحب ولا قياس». [المحلى، (٤/ ١٣٣)].

﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلاَمٌ هي حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ١-٥].

وأفضل ما يلقى الله به عباده: «تحية السلام» ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وخير ما يستقبل الملائكة به الصالحين من عباد الله في الجنة «السلام» ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، والجنة نفسها اسمها: دار السلام ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، ﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس:٢٥].

والله -تبارك وتعالى- اسمه: «السلام» ﴿هُوَ اللهُ الذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ﴾ [الحشر: ٢٣].

ولن يتأخر المسلم عن الاستجابة لدعوة السلام ولن يردها أبدًا ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الذي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦١-٦٢]، ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ [النساء: ٩٤].

وليست في الدنيا شريعة دينية، ولا نظام اجتماعي فرض السلام تدريبًا عمليًّا، واعتبره شعيرة من شعائره، وركنًا من أركانه كما فرض الإسلام رياضة النفس على السلام بالإحرام في الحج، فمتى أهل المسلم به، فقد حرم عليه منذ تلك اللحظة أن يقص ظفرًا، أو يحلق شعرًا، أو يقطع نباتًا، أو يعضد شجرًا، أو يقتل حيوانًا، أو يرمي صيدًا، أو يؤذي أحدًا بيد أو لسان حتى لو وجد قاتل أبيه وجهًا لوجهه لما استطاع أن يمسه بشيء ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فهو بهذا الإحرام قد أصبح سلمًا لنفسه، سلمًا لغيره من إنسان أو حيوان أو نبات.

والإسلام دين الرحمة، فهي قرين السلام في تحية المسلمين، ونبي الإسلام إنما أرسله الله رحمة للعالمين، وشعار المسلم الذي يردده قبل كل قول أو عمل «بسم الله الرحمن

الرحيم».

والوصية بين المؤمنين الصبر والمرحمة ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۞ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد: ١٧-١٨].

وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد ﷺ وأعماله وتصرفاته، كلها تدل على سمو منزلة الرحمة بين الأخلاق التي يأمر بها هذا الدين.

لقد فتحت أبواب الجنة، وشملت مغفرة الله تعالى ومنته رجلاً سقى كلبًا يلهث الثرى من العطش، روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج، وإذا كلب يلهث الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له». قالوا: يا رسول الله: وإن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر»[(١)].

وفتحت أبواب النار لامرأة حبست هرة، وقست عليها، روى البخاري ومسلم أن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض»[(٢)].

ومن قبل أن تنشأ جمعيات الرفق بالحيوان في أوروبا أو غيرها، كان الرفق بالحيوان شعار الدين الإسلامي، ووصية النبي ﷺ لكل مسلم. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتخذوا ظهور دوابكم منابر؛ إنما سخرها الله لكم لتبلغوا إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجتكم»[(٣)] رواه أبو داود.

وعن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه ﷺ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود في «الْجِهَادِ»، باب: «في الوقوف على الدابة»، ح(٢٢٠٤)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٢٥٦٧).

فرأينا حمرة(١) معها فرخان لها فأخذناهما، فجاءت الحمرة تعرِّش(٢)، فلما جاء رسول الله ﷺ قال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»، ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال: «من أحرق هذه؟» قلنا: نحن، قال: «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار» أخرجه أبو داود أيضًا(٣).

وروى ابن عبد الحكم في سيرة عمر بن عبد العزيز ﷺ أنه نهى عن ركض الفرس(٤) إلا لحاجة(٥)، وأنه كتب إلى صاحب السكك: ألا يحملوا أحدًا بلجام ثقيل، ولا ينخس بمقرعة في أسفلها حديدة، وكتب إلى حيان بمصر: إنه بلغني أن بمصر إبلاً نقالات، يحمل على البعير منها ألف رطل فإذا أتاك كتابي هذا، فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل(٦).

وإنما سمي الفسطاط «مصر القديمة» بذلك؛ لأن فساط عمرو بن العاص حين الفتح، اتخذت من أعلاه حمامة عشًا لها، فلم يشأ عمرو أن يهيجها بتقويضه، فتركه، وتتابع العمران من حوله فكانت مدينة الفسطاط(٧).

---

(١) الحُمَّرَةُ والحُمَرَةُ: طائر من العصافير. [لسان العرب، مادة (حمر)].

(٢) التعريش: أن ترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها [لسان العرب، مادة (عرش)].

(٣) أخرجه أبو داود في «الْجِهَادِ»، باب: «فِي كَرَاهِيَةِ حَرْقِ الْعَدُوِّ بِالنَّارِ»، ح(٢٣٠٠)، وموضع آخر، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٢٦٧٥).

(٤) ركض الفرس، أي: ضرب الراكب بطن الفرس برجليه ليستحثه على الجري، [لسان العرب، مادة (ركض)].

(٥) انظر: أبو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق: أحمد عبيد، مكتبة وهبة، ص(٤٨).

(٦) انظر: السابق، ص (١٣٦).

(٧) الفسطاط يقال: فسطاط بضم أوله وفِسطاط بكسره وفُساط بضم أوله، والجمع فساطيط. والفُسطاط بيت من شعَر. وقيل: ضرْب من الأبنية. وقيل: إنه بيت من أدَم أو شَعْر كان لعمرو بن العاص. كما ذكر ابن الوردي أن عمرو بن العاص أمر بترك الفسطاط على حاله لئلا يحصل التشويش للحمامة بهدم عشها وكسر بيضها، وألا يهدم حتى تفقس عن فراخها وتطيرهم، وقال: «والله ما كنا لنسيء لمن لجأ بدارنا واطمأن إلى جانبنا». [ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٤/ ٢٦٣)- ولسان العرب، مادة (فسط)- وابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، (١/ ١٥)].

وما ذلك كله إلا أثرًا من آثار الرحمة التي يشيعها الإسلام في نفوس المؤمنين، فهو ولا شك دين المرحمة، وهو ولا شك دين السلام.

وإذا كان الإسلام دين السلام ودين المرحمة، فما موقفه من فكرة الحرب والقتال والجهاد؟ وهل انتشر بالسيف كما يقول عنه كثير من خصومه الذين لم يعرفوه أو تعمدوا أن يتجاهلوه؟ وهل انفرد دون غيره من الأديان بمشروعية القتال؟ هذه هي رءوس الموضوعات التي سنعالجها مختصرة في هذه الكلمات التالية:

الإسلام والحرب:

أ - الحرب ضرورة اجتماعية: القاعدة الأساسية التي وضعها الإسلام للحياة، هي -ولا شك- الطمأنينة والسلام والاستقرار، ولكن الإسلام مع هذا دين يواجه الواقع ولا يفر منه، وما دامت في الدنيا نفوس لها نوازع وأهواء ومطامع، وما دام هناك هذا الناموس الذي يطبق على الأفراد والجماعات على السواء، ناموس تنازع البقاء، فلابد إذن من الاشتباك والحرب، وحين تكون الحرب لردع المعتدي، وكف الظالم، ونصرة الحق، والانتصاف للمظلوم تكون فضيلة من الفضائل، وتنتج الخير والبركة والسمو للناس، وحين تكون تحيزًا وفسادًا في الأرض، واعتداء على الضعفاء تكون رذيلة اجتماعية، وتنتج السوء والشر والفساد في الناس.

ومن هنا جاء الإسلام يقرر هذا الواقع ويصوره، فيقول القرآن الكريم: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأرض وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، كما يقول في آية أخرى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١]، وبذلك كانت أولى نظرات الإسلام إلى الحرب أنها ضرورة اجتماعية، أو شر لابد منه، إلا لما يرجى من ورائه من خير، على حد قول الشاعر العربي:

والشر إن تلقه بالخير ضقت به ... ذرعًا وإن تلقه بالشر ينحسم[(١)]

والناس إذا ظلموا البرهان واعتسفوا ... فالحرب أجدى على الدنيا من السلم[(٢)]

ب - أغراض الحرب في الإسلام: وفي الوقت الذي يقرر الإسلام فيه هذا الواقع، يحرم الحرب ويسمو بها ولا يدعو إليها أو يشجع عليها إلا لهذه الأغراض الأساسية السامية العالية الحقة:

١- رد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وكانت أول آية من آيات القتال نزلت وفيها الإذن به قول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠]، وفي الآية الثالثة: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [النساء: ٧٥]... إلخ.

وروى مسلم والنسائي عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أرأيت إن عدي على مالي؟ قال: «فانْشُدْ بالله». قال: فإن أبوا عليَّ؟ قال: «انْشُدْ بالله» قال: فإن أبوا عليَّ؟ قال: «انشد بالله» قال: فإن أبوا عليَّ؟ قال: «قاتل فإن قُتلتَ ففي الجنة، وإن قتلت ففي النار»[(٣)].

وروى أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن سعد بن زيد ﷺ قال: سمعت

---

(١) البيت لأحمد شوقي، وهو من بحر البسيط.

(٢) البيت من بحر البسيط للشاعر محمد بن عبد المطلب بن واصل [١٢٨٨-١٣٥٠هـ = ١٨٧١-١٩٣١م]. من أسرة أبي الخير، من جهينة. شاعر مصري، من الأدباء الخطباء. ولد في باصونة (من قرى جرجا بمصر) وتعلم في الأزهر بالقاهرة، وتخرج مدرسًا، وشارك في الحركة الوطنية، بشعره ومقالاته وخطبه. وتوفي بالقاهرة. له (ديوان شعر). وله: (تاريخ أدب اللغة العربية) ثلاثة أجزاء، و(كتاب الجولتين في آداب الدولتين) الأموية والعباسية، و(إعجاز القرآن) وروايتا (الزباء) و(ليلى العفيفة) كلها لا تزال محفوظة. [الموسوعة الشعرية].

(٣) أخرجه النسائي في «تَحْرِيمِ الدَّمِ»، باب: «مَا يَفْعَلُ مَنْ تَعَرَّضَ لِمَالِهِ»، ح(٤٠١٤، ٤٠١٥)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن النسائي»، ح(٤٠٨٢).

رسول الله ﷺ يقول: «مَن قتل دون ماله فهو شهيد، ومَن قتل دون دمه فهو شهيد، ومَن قتل دون دينه فهو شهيد، ومَن قتل دون أهله فهو شهيد»(١).

وروى البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد»(٢).

٢- تأمين حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين، الذين يحاول الكافرون أن يفتنوهم عن دينهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ويقول في آية أخرى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ فَإِنِ انتَهَوا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

٣- حماية الدعوة حتى تبلغ إلى الناس جميعًا ويتحدد موقفهم منها تحديدًا واضحًا؛ ذلك أن الإسلام رسالة اجتماعية إصلاحية شاملة تنطوي على أفضل مبادئ الحق والخير والعدل، وتتوجه(٣) إلى الناس جميعًا، كما قال الله تبارك وتعالى لنبي الإسلام محمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، فلابد أن تزول من طريقها كل عقبة تمنع من إبلاغها، ولابد أن يعرف موقف كل فرد وكل أمة بعد هذا البلاغ، وعلى ضوء هذا التحديد تكون معاملة الإسلام وأهله للناس، فالمؤمنون إخوانهم والمعاهدون لهم عهدهم، وأهل الذمة يوفى لهم بذمتهم، والأعداء المحاربون ومن تخشى خيانتهم ينبذ إليهم، فإن عدلوا عن خصومتهم فبها، وإلا حوربوا جزاء اعتدائهم حتى لا يكونوا عقبة

---

(١) أخرجه أبو داود في «السُّنَّةِ»، باب: «فِي قِتَالِ اللُّصُوصِ»، ح(٤١٤٢)، والترمذي في «الدِّيَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِيمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»، ح(١٣٤١)، والنسائي في «تَحْرِيمِ الدَّمِ»، باب: «مَنْ قَاتَلَ دُونَ دِينِهِ»، ح(٤٠٢٧)، وأحمد في «مُسْنَد سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ ﷺ»، ح(١٥٦٥)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٤٧٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود في «السُّنَّةِ»، باب: «فِي قِتَالِ اللُّصُوصِ»، ح(٤١٤١)، والترمذي في «الدِّيَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، باب: «مَا جَاءَ فِيمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»، ح(١٣٤٠)، والنسائي في «تَحْرِيمِ الدَّمِ»، باب: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ»، ح(٤٠٢٠)، وأحمد في «مُسْنَد عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا»، ح(٦٥٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٤٧٧١).

(٣) في الأصل: «توجه».

في طريق دعوة الحق، أو مصدر تهديد وخيانة لأهلها، لا إكراهًا لهم على قبول الدعوة، ولا محاولة لكسب إيمانهم بالقوة، ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦]، والآيات والأحاديث ناطقة بذلك، مفصلة إياه في مثل قول الله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]، ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»[1].

٤- تأديب ناكثي العهد من المعاهدين أو الفئة الباغية على جماعة المؤمنين التي تتمرد على أمر الله، وتأبى حكم العدل والإصلاح، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۞ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٢-١٣]، ويقول: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

---

(١) أخرجه البخاري في «الإيمان»، باب: «﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾»، ح(٢٤) ومواضع أخر، ومسلم في «الإيمان»، باب: «الأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ...»، ح(٣٣) ومواضع أخر.

٥- إغاثة المظلومين من المؤمنين أينما كانوا، والانتصار لهم من الظالمين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ج - تحريم الحرب لغير ذلك من الأغراض: فكل ما سوى هذه الأغراض الإنسانية الإصلاحية الحقة من المقاصد المادية، أو الشخصية، أو النفعية فإن الإسلام لا يجيز الحرب من أجلها بحال من الأحوال، وذلك واضح كل الوضوح من إضافة الإسلام القتال أو الجهاد دائمًا إلى سبيل الله، فلا ترد واحدة من هاتين الكلمتين في بحث من البحوث الإسلامية إلا مقرونة بهذا السبيل، على أن القرآن الكريم قد صرح بتحريم كل قتال لغير هذه الأغراض المشروعة، وأكدت هذا التحريم أحاديث النبي محمد ﷺ، وسجل التاريخ ذلك لأصحابه الذين لم يريدوا بقتالهم شيئًا أبدًا إلا وجه الله، وتحقيق المقاصد المتقدمة كلها أو بعضها، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]، ويقول: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ لَوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨].

وأخرج الخمسة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1].

وأخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد

---

(١) أخرجه البخاري في «التَّوْحِيدِ»، باب: «قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾»، ح(٦٩٠٤)، ومسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هي الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(٣٥٢٥).

في سبيل الله، وهو يبتغي عرضًا[(١)] من الدنيا. فقال: «لا أجر له». فأعاد عليه ثلاثًا كل ذلك يقول: «لا أجر له»[(٢)].

ولقد تأثر أصحاب النبي ﷺ -حتى الأعراب منهم- بهذا السمو في الغرض من القتال، حتى روى النسائي عن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء فآمن بالنبي ﷺ ثم قال: أهاجر معك؟ فأوصى النبي ﷺ به بعض أصحابه، فكانت غزاة غنم النبي ﷺ فيها شيئًا فقسم وقسم له، فقال: ما هذا؟! فقال: «قسمته لك». قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا -وأشار بيده إلى حلقه- بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: «إن تصدق الله يصدقك»، فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي ﷺ محمولاً قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «أهو هو؟»، قالوا: نعم، قال: «صدق الله فصدقه»، ثم كفن في جبة النبي ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان مما ظهر من صلاته: «اللهم إن هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك فقتل شهيدًا، وأنا شهيد على ذلك»[(٣)].

وصحف التاريخ فياضة بمثل هذه الزهادة منهم في عرض الدنيا وغنائم الفتح، وأن غرضهم من الجهاد لم يكن شيئًا إلا إعلاء كلمة الله، وحماية دعوته في الناس.

د - **إيثار السلم كلما أمكن ذلك والتشجيع عليها:** فالمسلم لا يحارب إلا مكرهًا على القتال، بعد استنفاد وسائل المسالمة جميعًا، وحين تلوح بارقة أمل في السلم يوجب عليه الإسلام أن ينتهزها، وألا يدع الفرصة تفلت من يده، وعليه أن يعمل على إطفاء نار الحرب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

---

(١) في سنن أبي داود: «عرضًا من عرض الدنيا».

(٢) أخرجه أبو داود في «الْجِهَادِ»، باب: «فِي مَنْ يَغْزُو وَيَلْتَمِسُ الدُّنْيَا»، ح(٢١٥٥)، وأحمد في «مُسْنَد أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه»، ح(٧٥٥٩، ٨٤٣٨)، والحاكم في «المستدرك»، ح(٢٣٩٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقد حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٢٥١٦).

(٣) أخرجه النسائي في «الْجَنَائِزِ»، باب: «الصَّلاة عَلَى الشُّهَدَاءِ»، ح(١٩٢٧)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن النسائي»، ح(١٩٥٣).

وروى أبو داود عن الحارث بن مسلم عن أبيه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فلما بلغنا المغار -أي: مكان الغارة- استحثثت فرسي فسبقت أصحابي فتلقاني أهل الحي بالرنين، فقلت لهم: قولوا: لا إله إلا الله تحرزوا، فقالوها، فلامني أصحابي وقالوا: حرمتنا الغنيمة، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبروه بالذي صنعت، فدعاني فحسن لي ما صنعت، ثم قال لي: «أما إن الله قد كتب لك لكل إنسان منهم كذا وكذا من الأجر»، وقال: «أما إني سأكتب لك بالوصاة بعدي» ففعل وختم عليه ودفعه إلي(١).

هـ - الرحمة في الحرب ومراعاة أعلى آدابها الإنسانية: فإذا كانت الحرب ولابد، فإن المسلم يضرب فيها أروع المثل على الرحمة والتفضل ومراعاة أعلى آدابها الإنسانية، فإذا رجحت كفة المسلمين على أعدائهم، وظهرت الغلبة لهم، فإن عليهم بحكم القرآن الكريم أن يكفوا عن القتل، ويكتفوا بالأسر ليمنوا على الأسير بعد ذلك بحريته، أو يفتدوا به مثله من أساراهم(٢)، فيحسنوا إلى إنسانين من عباد الله، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

وأما الرق فسيأتي تفصيل الكلام عنه في بحث آخر، وحسبنا الآن أن نقول: إنه معنى من معاني الرحمة التي شرعها الإسلام في الحرب، فأبدل حكم الإعدام، وهو القتل بحكم السجن المؤبد، وهو الرق بعد الأسر، ثم جعل لهذا السجن بعد ذلك عدة منافذ، يستطيع الأسير فيها أن يسترد حريته بكل سهولة، ولا يبيح الإسلام الرق بحال من الأحوال إلا في هذا الموقف الذي تتجسم فيه معاني الرحمة والإحسان، والمسلم في قتاله لا يغدر، ولا يفجر، ولا يفسد، ولا يتلف، ولا ينهب مالاً، ولا يقتل امرأة ولا طفلاً ولا شيخًا كبيرًا، ولا يتبع مدبرًا، ولا يجهز على جريح، ولا يمثل بقتيل، ولا يسيء إلى أسير، ولا يتعرض لمسالم أو رجل دين، ولا يقصد أن يضرب وجهًا، أو يقتل صبيًا.

أخرج أبو داود عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أعف الناس قِتلةً أهل

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أسارى: جمع أسير، وهو جمع الجمع. يقال: أسير وأسرى، ثم أسارى. [لسان العرب، مادة (أسر)].

الإيمان»[١].

وأخرج البخاري عن عبد الله بن يزيد الأنصاري قال: نهى رسول الله ﷺ عن النهبى والمثلة[٢].

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه»[٣].

وأخرج أبو داود عن أبي يعلى قال: غزونا مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فأتي بأربعة أعلاج من العدو، فأمر بهم فقتلوا صبرًا[٤] بالنبل، فبلغ ذلك أبا أيوب الأنصاري ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن قتل الصبر، فوالذي نفسي بيده لو كانت دجاجة ما صبرتها فبلغ ذلك عبد الرحمن فأعتق أربع رقاب[٥].

وأخرج الستة إلا النسائي عن ابن عمر قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان[٦].

وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي عن بريدة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمّر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا»[٧].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه، والنَّهْبُ: الغنيمة. والنُّهبى: أَخْذُ مال مُسْلمٍ قَهْرًا. والمُثْلة بالضم: التنكيل. والمَثُلة بفتح الميم وضم الثاء: العُقُوبة، والجمع المَثُلاَت. [لسانُ العربِ، مادة (نهب)، ومختار الصحاح، (مثل)].

(٣) سبق تخريجه.

(٤) قُتِل فلان صَبْرًا، إذا حُبِسَ على القتل حتى يُقْتَلَ. [الصحاح، مادة (صبر)].

(٥) أخرجه أبو داود في «الْجِهَادِ»، باب: «فِي قَتْلِ الأَسِيرِ بِالنَّبْلِ»، ح(٢٣١٢)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، ح(٢٦٨٧).

(٦) أخرجه البخاري في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «قَتْلِ الصِّبْيَانِ فِي الْحَرْبِ»، ح(٢٧٩١)- ومسلم في «الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ»، باب: «تَحْرِيمِ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ فِي الْحَرْبِ»، ح(٣٢٧٩) وموضع آخر.

(٧) سبق تخريجه.

وكانت هذه الوصية شعار الخلفاء والأمراء، يوصون بها دائمًا قواد الجيوش حين يبعثون بهم إلى القتال. أوصى أبو بكر أسامة ﷺ فقال: «لا تخونوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً، ولا شيخًا كبيرًا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا للأكل، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقًا» ثم قال: اندفعوا باسم الله[1].

فهل رأت الساحات والميادين أرق من هذه الأفئدة، وألين من هذه القلوب؟!

* * *

(١) انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، (٢/ ٥٠).

(٤) أصول الإسلام كنظام اجتماعي

(٢) السلام وحكمة مشروعية القتال في الإسلام[١]

و - الوفاء بالعهود والمواثيق والشروط: فإذا كانت هدنة وموثق وعهد وصلح وشرط، فالإسلام يشدد في ملاحظة ذلك، والمحافظة على صورته ومعناه أدق المحافظة، ويتوعد المخالفين من أبنائه إن غدروا ولم يفوا بأشد الوعيد، والآيات والأحاديث في ذلك واضحة محكمة، لا تدع مجالاً لإباحة نقض العهد بالخيانة فيه وقت القوة، وعده قصاصة ورق عند إمكان الخروج عليه بالحيلة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۞ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هي أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ٩١-٩٢]، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئولاً﴾ [الإسراء: ٣٤].

وأخرج أبو داود عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء الصحابة عن آبائهم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَن ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفسه، فأنا حجيجه يوم القيامة»[٢].

قال أهل سمرقند لعاملهم سليمان بن أبي السري: إن قتيبة غدر بنا وظلمنا، وأخذ بلادنا، وقد أظهر الله العدل والإنصاف، فأذن لنا فليفد منا وفد إلى أمير المؤمنين -وهو يومئذ عمر بن عبد العزيز- يشكون ظلامتنا، فإن كان لنا حق أعطيناه، فإن بنا إلى ذلك حاجة، فأذن لهم، فوجهوا منهم قومًا إلى عمر فلما علم عمر ظلامتهم، كتب إلى سليمان يقول له: إن أهل سمرقند قد شكوا إلي ظلمًا أصابهم، وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى

---

(١) مجلة الشهاب، العدد (٥)، السنة الأولى، ١جمادى الأولى ١٣٦٧هـ- ١٢مارس ١٩٤٨م، ص(٢٣-٣٢).

(٢) أخرجه أبو داود في «الْخَرَاجِ وَالإِمَارَةِ وَالْفَيْءِ»، باب: «فِي تَعْشِيرِ أَهْلِ الذِّمَّةِ إِذَا اخْتَلَفُوا بِالتِّجَارَاتِ»، ح(٢٦٥٤)، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٣٠٥٢).

أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي هذا، فأجلس لهم القاضي، فلينظر في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة، فأجلس لهم سليمان «جميع بن حاضر» القاضي، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء، فيكون صلحًا جديدًا، أو ظفرًا عنوة، فقال أهل السغد[1]: بل نرضى بما كان، ولا نجدد حربًا؛ لأن أهل الرأي منهم قالوا: قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم وأمنونا وأمناهم، فإن عدنا إلى الحرب لا ندري لمن يكون الظفر. وإن لم يكن لنا نكون قد اجتلبنا عداوة في المنازعة، فتركوا الأمر على ما كان عليه، ورضوا ولم ينازعوا[2]. وهذا منتهى المبالغة في تقصي العدل والوفاء بالعهد.

ز - **الجزية**: ولسنا نحب أن تمر هذه الكلمات عن موقف الإسلام من الحرب، قبل أن نتناول أمر الجزية بكلمة توضح معناها والمقصود منها، وتكشف عن حكمتها، وكيف أنها أبلغ معاني الإنصاف والمرحمة التي جاء بها الإسلام؟ فنقول:

الجزية: ضريبة كالخراج تجبى على الأشخاص لا على الأرض، والكلمة عربية مشتقة من الجزاء؛ لأنها تدفع نظير شيء هو: الحماية والمنعة، أو الإعفاء من ضريبة الدم والجندية، وذهب بعض العلماء إلى أنها فارسية معربة وأصلها «كزيت» ومعناها: الخراج الذي يستعان به على الحرب، وقال: إن كسرى هو أول من وضع الجزية، وعلى هذا فهي: نظام في الضريبة نقله الإسلام عن الفارسية ولم يبتكره.

ولقد قرر الإسلام ضريبة الجزية على غير المسلمين في البلاد التي يفتحها نظير قيام الجند الإسلامي بحمايتهم وحراسة أوطانهم والدفاع عنها، في الوقت الذي قرر فيه إعفاءهم من الجندية، فهي «بدل نقدي» لضريبة الدم، وإنما سلك الإسلام هذه السبيل ولجأ إليها مع غير المسلمين، من باب التخفيف عليهم، والرحمة بهم، وعدم الإحراج لهم، حتى لا يلزمهم أن يقاتلوا في صفوف المسلمين، فيتهم بأنه إنما يريد لهم الموت والاستئصال والفناء، والتعريض لمخاطر الحرب والقتال، فهي في الحقيقة «امتياز في صورة

---

(١) في الأصل: «السند»، والسُّغْدُ: بضم أوله وسكون ثانيه وآخره دال مهملة: ناحية كثيرة المياه، نضرة الأشجار، متجاوبة الأطيار، مُؤنقة الرياض والأزهار، ملتفة الأغصان، خضرة الجنان، تمتد مسيرة خمسة أيام لا تقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها، وفيها قرى كثيرة بين بُخارى وسمرقند. [معجم البلدان، (٢/ ٤٥٦)].

(٢) تاريخ الطبري، (٤/ ٦٩).

ضريبة»، وفي الوقت نفسه احتياط لتنقية صفوف المجاهدين من غير ذوي العقيدة الصحيحة، والحماسة المؤمنة البصيرة، ومقتضى هذا: أن غير المسلمين -من أبناء البلاد التي تدخل تحت حكم الإسلام- إذا دخلوا في الجند، أو تكفلوا أمر الدفاع أسقط الإمام عنهم الجزية، وقد جرى العمل على هذا فعلاً في كثير من البلاد التي فتحها خلفاء الإسلام، وسجل ذلك قواد الجيوش الإسلامية في كتب ومعاهدات لا زالت مقروءة في كتب التاريخ الإسلامي ومنها:

١- كتاب خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا حين دخل الفرات، وأوغل فيه وهذا نصه: «هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه: إني عاهدتكم على الجزية والمنعة فلك الذمة والمنعة وما منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا». كتب سنة اثنتي عشرة في صفر[١].

٢- وفي حمص، رد الأمراء بأمر أبي عبيدة ما كانوا أخذوه من الجزية من أهلها وما إليها، حين جلوا عنها ليتجمعوا لقتال الروم، وقالوا لأهل البلاد: إنما رددنا عليكم أموالكم؛ لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وإنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك الآن، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط وما كان بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم.

فكان جواب أهل هذه البلاد: ردكم الله علينا ونصركم عليهم، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئًا وأخذوا كل شيء. لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم. وكذلك فعل أبو عبيدة نفسه مع دمشق حين كان يتجهز لليرموك[٢].

٣- كتاب العهد الذي كتبه سويد بن مقرن أحد قواد عمر رضي الله عنهما لرزبان وأهل دهستان[٣] وسائر أهل جرجان ونصه: «هذا كتاب سويد بن مقرن لرزبان صول ابن رزبان وأهل دهستان وسائر أهل جرجان، إن لكم الذمة وعلينا المنعة، على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم[٤]، ومن استعنا به منكم فله

(١) السابق، (٢/ ٣١٩).

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، (١/ ١٤٣).

(٣) دِهِستان: بلد مشهور قرب خوارزم وجرجان. [انظر: معجم البلدان، (٢/ ٢٥٦)].

(٤) في الأصل: «حال».

جزاؤه (أي: جزيته) في معونته عوضًا من جزائه، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم، ولا يغير شيء من ذلك». شهد سواد بن قطبة وهند بن عمر وسماك بن مخرمة وعتيبة بن النهاس وكتب في سنة ١٨ هـ- الطبري[١].

٤- كتاب عتبة بن فرقد أحد عمال عمر بن الخطاب وهذا نصه «هذا ما أعطى عتبة ابن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها[٢] وأهل مللها كلهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم، ومن حشر منهم في سنة -أي: جند منهم في سنة- وضع عنه جزاء تلك السنة، ومن أقام فله مثل من أقام من ذلك- الطبري[٣].

٥- العهد الذي كان بين سراقة عامل عمر وبين شهر براز، وقد كتب به سراقة إلى عمر فأجازه واستحسنه وهذا نصه: هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وملتهم ألا يضاروا ولا ينقصوا[٤]، وعلى أرمينية والأبواب الطراء منهم -أي: الغرباء- والتناء -أي: المقيمين- ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالي صلاحًا، على أن يوضع الجزاء -أي: الجزية- عمن أجاب إلى ذلك، ومن استغنى عنه منهم وقعد، فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء، فإن حشروا -أي: جندوا- وضع ذلك عنهم. شهد عبد الرحمن بن ربيعة وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبد الله، وكتب مرضي بن مقرن وشهد- الطبري[٥].

٦- وأخيرًا أمر الجراجمة فيما ذكره البلاذري، فقال: حدثني مشايخ من أهل أنطاكية أن الجراجمة من مدينة على جبل لكام[٦] عند معدن الزاج فيما بين بياس وبوقا يقال لها: الجرجومة، وأن أمرهم كان في استيلاء الروم على الشام وأنطاكية إلى بطريك[٧] أنطاكية

(١) تاريخ الطبري، (٢/ ٥٣٨).

(٢) في الأصل: «شعارها».

(٣) السابق، (٢/ ٥٣٩).

(٤) في «تاريخ الطبري»: «ينتقصوا».

(٥) السابق، (٢/ ٥٤٠).

(٦) في «فتوح البلدان»: «اللكام».

(٧) في «فتوح البلدان»: «بطريق».

وواليها، فلما قدم أبو عبيدة إلى أنطاكية وفتحها لزموا مدينتهم وهموا باللحاق بالروم، إذ خافوا على أنفسهم فلم يتنبه المسلمون لهم ولم ينبهوا عليهم، ثم إن أهل أنطاكية نقضوا وغدروا فوجه إليهم أبو عبيدة من فتحها ثانية، وولاها بعد فتحها حبيب بن مسلمة الفهري، فغزا الجرجومة فلم يقاتله أهلها، ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح، فصالحوه على أن يكونوا أعوانًا للمسلمين وعيونًا ومسالح في جبل لكام[(١)]، وألا يؤخذوا بالجزية، ودخل من كان في مدينتهم من تاجر وأجير وتابع من الأنباط وغيرهم وأهل القرى في هذا الصلح، ولم يؤخذ الجراجمة بالجزية قط، حتى إن بعض العمال في عهد الواثق العباسي ألزمهم جزية رءوسهم فرفعوا ذلك إليه فأمر بإسقاطها عنهم[(٢)].

وبهذا البيان يندفع كل ما يوجه إلى «ضريبة الجزية» من نقد أو اتهام، وتظهر حكمة الإسلام ورحمة الله بعباده في تشريعاته واضحة لا غموض فيها ولا إبهام.

ح - الحث على دوام الاستعداد، وكمال الشجاعة إذا تحتم الجهاد:

فإذا كان ولابد من الحرب لغرض من الأغراض الإنسانية المشروعة التي سبقت الإشارة إليها، فإن الإسلام يصرح بأن الجهاد والقتال فريضة على كل مسلم، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وهو حينئذ أفضل القربات إلى الله تبارك وتعالى، والموت في ساحاته «شهادة» توجب الإكبار في الدنيا والجنة في الآخرة، ولا يعفى منه إلا العاجزون عنه، وعليهم أن يجهزوا غيرهم إن كانوا قادرين على ذلك، وأن يخلفوهم في أهليهم بخير ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الذي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وأحاديث النبي محمد ﷺ في ذلك أكثر من أن تحصر، وقد باشر هو بنفسه القتال في

---

(١) في «فتوح البلدان»: «اللكام».

(٢) فتوح البلدان، (١/ ١٦٣).

أكثر من خمس وعشرين معركة[1] كان فيها مثال الشجاعة والنجدة والبأس، حتى قال فارس أصحابه علي -كرَّم الله وجه: «كنا إذا اشتد البأس، وحمي الوطيس، واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فيكون أدنانا إلى العدو»[2].

وكذلك كان أصحابه رضوان الله عليهم يفعلون. ولا يستطيع أحد أن يرى في هذه الأحكام والأخلاق لمثل ما شرعت له من مقاصد وأغراض إلا أكرم معاني الفضيلة الإنسانية، والجود بالنفس أقصى غاية الجود[3]، وأجمل ما يكون الحق إذا استعان بالقوة، وأفضل ما تكون القوة إذا استخدمت للحق بالحق.

ب -هل انتشرت دعوة الإسلام بالسيف؟

أولع خصوم الإسلام في كل عصر -وبخاصة في هذا العصر- بتوجيه هذه التهمة إلى الإسلام، والإسلام منها براء، فهو لم يكره الناس على الإيمان بالسيف، ولم يضعه على رقابهم ليشهدوا بشهادته، أو يدينوا بعقيدته، فهذه التهمة باطلة من وجوه عدة:

١ - باطلة: بشهادة التاريخ الذي يحدثنا بأن النبي محمدًا ﷺ مكث بمكة المكرمة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى دينه، كان فيها مضطهدًا أشد الاضطهاد حتى من أهله وعشيرته وأقرب الناس إليه، ومع ذلك فقد احتمل وصبر وصابر، وكان يمر على النفر من أصحابه، والأسرة من المؤمنين به يعذبون أشد العذاب، فلا يزيد على أن يقول لهم:

---

(١) وأما ما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما (١٢/ ٣٤٢، ٩/ ٣١٧) بسنديهما عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ كُنْتُ إِلَى جَنْبِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ فَقِيلَ لَهُ: كَمْ غَزَا النَّبِي ﷺ مِنْ غَزْوَةٍ؟ قَالَ: تِسْعَ عَشْرَةَ. قِيلَ: كَمْ غَزَوْتَ أَنْتَ مَعَهُ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ. قُلْتُ: فَأَيُّهُمْ كَانَتْ أَوَّلَ؟ قَالَ: الْعُسَيْرَةُ أَوْ الْعُشَيْرُ. فَذَكَرْتُ لِقَتَادَةَ فَقَالَ: الْعُشَيْرُ. فقد قال الإمام النووي: معناه أنه غزا تسع عشرة وأنا معه، أو أعلم له تسع عشرة غزوة، وكانت غزواته ﷺ خمسًا وعشرين، وقيل: سبعًا وعشرين، وقيل غير ذلك، وهو مشهور في كتب المغازي وغيرها. [شرح النووي على مسلم، (٤/ ٣٥٥)].

(٢) انظر: القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (١/ ١١٦).

(٣) مقتبس من قول أبي الشيص الخزاعي من البسيط:

أَمسى يَقيكَ بِنَفسٍ قَد حباكَ بها ... والجودُ بالنَّفسِ أَقصى غايةِ الجودِ

«اصبروا آل ياسر إن موعدكم الجنة»[١]، ومع هذا فقد آمن بالإسلام السابقون الأولون الثابتون من أبنائه وأبرهم به في عهد النبي ﷺ وبعد وفاته أعمق الإيمان، وآمن الأنصار - وهم أهل المدينة- بالنبي ﷺ بمجرد أن تحدث معهم في الموسم، وتوافدوا إليه يبايعونه في كل عام حتى كانت بيعة العقبة، وعلى أثرها كانت الهجرة، وكل ذلك ورسول الله ﷺ لا يقابل أهل العدوان بسيف ولا عصا، ولكن يصبر ويحتسب، ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[٢]، وما جاء الإذن بالقتال إلا في السنة الثانية من الهجرة بعد أن كثر خصوم الإسلام من المشركين واليهود وتألبوا عليه وأخذوا يتحرشون به ويكيدون له، فأنزل الله هذه الآيات المحكمة، وفيها أروع صور الإذن بالقتال لأنبل المقاصد والأغراض ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٩-٤١].

والتاريخ يحدثنا عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم فتحوا البلاد بأخلاقهم وحسن معاملتهم قبل أن يفتحوها بسيوفهم وعدتهم وعددهم، فلا يتصور أن عددًا قليلاً من هؤلاء العرب يثل[٣] عرش كسرى، ويدك ملك قيصر، ويرث هذه الإمبراطوريات الضخمة في هذا العدد من السنين بمجرد القوة، ولا يعقل أن ثمانية آلاف جندي يفتحون إقليمًا شاسعًا كمصر وينشرون فيها دينهم ولغتهم وآدابهم وثقافتهم وعقيدتهم بالإكراه والجبروت، ولكن بحسن الأحدوثة، وجميل العمل. وها نحن قد رأينا فيما تقدم كيف أن كثيرًا من أهل هذه البلاد كانوا يتمنون عودة العرب إليهم بعد جلائهم عنهم، فكيف يقال بعد هذا: إن الإسلام قام على السيف وانتشر بالسيف؟!

---

(١) أخرجه الحاكم بنحوه في «المستدرك»، (٣/ ٤٣٨)، والطبراني في «الأوسط»، (٢/ ١٤١) من حديث جابر بن عبد الله، و«الكبير» من حديث عثمان بن عفان، (٢٤/ ٣٠٢)، وقد صححه الألباني في تخريجاته على «فقه السيرة» للغزالي، ص(١٠٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ثُلَّ عَرْشُ فلان ثلاًّ: هُدِم وزال أمر قَوْمه. وزال قِوام أمره وأَثَلَّه الله. ويقال للقوم إذا ذهب عِزُّهم: قد ثُلَّ عَرْشُهُم. يقال: ثَلَّ اللهُ عَرْشَهم، أي: هَدَم مُلْكَهم. [لسان العرب، مادة (ثلل)].

٢ - وباطلة: بآيات القرآن الكريم، التي تقرر حرية العقيدة، وتقول في وضوح وصراحة: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، كما تقول: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، كما تقول[١]: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]، فهو يلزم المؤمنين إن استجار بهم أحد المشركين أن يبلغوه الدعوة، ويوضحوا له مقاصد الإسلام، ثم يحرسوه حتى يصل إلى مأمنه، ويتركوه ليسلم عن رغبة واقتناع، لا عن خوف ورهبة وإكراه.

٣ - وباطلة: لأن قواعد الإسلام وما جرى عليه العمل به منها تأباها كل الإباء، فأساس الإيمان في الإسلام الفكر والنظر، والاطمئنان القلبي ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] وأساس المؤاخذة في الإسلام بلوغ الدعوة على وجه يدعو إلى النظر، والتقليد في الإيمان ليس أساسًا صحيحًا له فضلاً عن الإكراه عليه، حتى قال بعض العلماء المتأخرين في منظومة فنية[٢]:

إذ كل من قلد في التوحيد ... إيمانه لم يخل من ترديد

وقول المكره في الإسلام مردود عليه، ولا يؤاخذ على عمله، فالدين الذي يعتبر العقل والحرية أساسًا للاعتقاد والمسئولية لا يمكن أن يقال فيه: إنه يقوم على السيف وينتشر به، وإن كان قد شرع الحرب والقتال لما تقدم من الأغراض التي لا يعترض عليها إلا واهم أو مكابر، وعلامة الإيمان الحق الاطمئنان إليه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

هل الإسلام وحده هو الذي أوصى بالسيف لحماية الحق؟

وليس الإسلام وحده هو الذي أشار إلى القتال والحرب والجهاد كوسيلة لحماية

---

(١) في الأصل: «يقول».

(٢) هو الشيخ إبراهيم بن اللقاني المالكي المتوفى في حدود سنة أربعين وألف. [انظر: كشف الظنون، (١/ ٦٢٠)].

الحق، بل إن الشرائع السابقة واللاحقة كلها جاءت بذلك.

فأسفار التوراة التي يتداولها اليهود اليوم طافحة بأنباء القتال والجهاد والحرب والتخريب والتدمير والهلاك والسبي، وهي تقرر شريعة القتال والحرب ولكن في أبشع صورها، فقد جاء في سفر التثنية في الإصحاح العشرين منه عدد (١٠) وما بعده ما يأتي نصه: «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد ذلك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربًا فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا فلا تبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريمًا الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفيرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك»(١).

وفي إنجيل متى المتداول بأيدي المسيحيين في الإصحاح العاشر عدد (٢٥) وما بعده يقول: «لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض، بل سيفًا فإنني جئت لأفرق الإنسان ضد ابنه والابن ضد أبيه، والكنة ضد حماتها... وأعداء الإنسان أهل بيته، من أحب أبًا أو أمًّا أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابنًا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني، من وجد حياته يضيعها، ومن أضاع حياته من أجلي يجدها»(٢).

والقانون الدولي العصري قد اعترف بالظروف والأحوال التي تشرع فيها الحرب ووضع لها قواعدها ونظمها.

وما جاء به الإسلام في هذا الباب أفضل وأدق وأرحم وأبر بالسلام من كل هذا، فلماذا تتوجه إليه الشبهات؟! وليس غيره سبيلاً إلى السلام ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

---

(١) سفر التثنية. الإصحاح العشرون الآية: ١٠-١٧.

(٢) إنجيل متى: الإصحاح العاشر، العدد: (٣٤)، (٣٥)، (٣٩).

خطوات الإسلام وما وضع من ضمانات لإقرار السلام:

وفي وسعنا بعد هذه النظرات أن نقول: إن الإسلام كان أول وأكمل تشريع خطا في سبيل إقرار السلام العالمي أوسع الخطوات، ورسم لاستقراره أوفى الضمانات التي لو أخذت الأمم بها، وسلك الحكام والزعماء والساسة نهج سبيلها لأراحوا واستراحوا، ومن ذلك:

١- تقديس معنى الإخاء بين الناس، والقضاء على روح التعصب، وقد تقدم موقف الإسلام من ذلك في الفصل السابق.

٢- الإشادة بفضل السلام، وطبع النفوس بروح التسامح الكريم، وقد تقدم في أول هذا الفصل موقف الإسلام في ذلك، مع افتراض الوفاء، وتحريم الغدر ونقض العهود والمواثيق.

٣- حصر فكرة الحروب في أضيق الحدود، وتحريم العدوان بكل صوره، وإشاعة العدل والرحمة، واحترام النظام والقانون حتى في الحرب نفسها، وللإسلام في ذلك القدح المعلى[1]، ويقول القرآن الكريم تأكيدًا لهذا المعنى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

٤- التأمين المسلح، وقد سبق الإسلام كل الخطوات العصرية إليه في قول القرآن الكريم: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا التي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ الله فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، ولقد ذكر رسول الله ﷺ ما كان في الجاهلية من هذا المعنى -وهو حلف الفضول بكل خير- وقال عنه: «لقد شهدت في بيت عبد الله بن

---

(١) القدح بكسر القاف: السهم. وقيل: النبل. تجمع على قداح وأقداح وقدوح. والمعلى على وزن المحلى: القدح السابع في الميسر، وهو أفضلها. وقيل: أول أسماء السهام: الفذ، ثم التوأم، ثم الرقيب، ثم الحلس، ثم النافس، ثم المسبل، ثم المعلى. [لسان العرب، مادة (علا)]، والمعنى: أن للإسلام الحظ الأوفر في إقرار السلام.

جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم» ثم قال: «ولو سئلت به في الإسلام لأجبت»(١).

أين خطوات زعماء هذا العصر من هذه الخطوات:

وبعد...

فأين خطوات زعماء هذا العصر وساسته وعلمائه ومشرعيه وفلاسفته من هذه النظرات؟! وماذا صنعوا لإقرار السلام على الأرض؟! وقد شهدت الدنيا في ربع قرن حربين عالميتين طاحنتين أكلتا الأخضر واليابس، وقامت بعد الحرب الأولى «عصبة الأمم» لإقرار السلام فكتب لها أن تموت قبل أن تولد، ووأدها الذين شهدوا مولدها بالأهواء السياسية والأطماع الاستعمارية، فلم تستطع أن تعالج قضية واحدة من قضايا الخلاف بين الأمم التي اشتركت فيها ووقعت ميثاقها، ولم تلبث إلا ريثما تهيأت الأمم والشعوب للحرب من جديد، وقيل: إن سبب فشلها خلو ميثاقها من النص على العقوبة العسكرية للمخالفين.

وعقب الحرب العالمية الثانية قامت هيئة الأمم المتحدة، وأنشئ مجلس الأمن واستكمل النقص التشريعي في بناء عصبة الأمم الموءودة، ومضى على ذلك وقت طويل، ولا زال الخلاف يشتد أثره ويقوى مظهره، ولم تنجح الهيئة ولا المجلس إلى الآن في علاج قضية أو تسوية خلاف، وليس وراء ذلك إلا الحرب الثالثة، وليس معنى الحرب الثالثة شيئًا إلا فناء الأرض ومن عليها؛ فنحن في عصر القنبلة الذرية.

فهل تفيء الإنسانية الحيرى إلى الله وتتلقى دروس السلام قلبيًا ونظريًا وعمليًا عن الإسلام دين المرحمة والسلام؟ ﴿قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

* * *

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»، (٦/ ٣٦٧)، وقد صححه الألباني في تخريجاته على «فقه السيرة» للغزالي، ص(٦٧).

١- النظام الاقتصادي[(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم

كتبت تحت عنوان: «مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي» عدة كلمات سالفة بينت فيها أن نظام الحكم الإسلامي يقوم على قواعد ثلاث:

أ- مسئولية الحاكم.

ب- احترام إرادة الأمة.

ج- والمحافظة على وحدتها.

وإن من حسن الحظ أن هذه هي أيضًا دعائم النظام النيابي الحديث الذي اخترناه لأنفسنا، كما بينت أننا لم نطبق هذا النظام ولا ذاك تطبيقًا صحيحًا، وبذلك اضطربت كل الأمور تبعًا لذلك، فإن هذا الأمر أصل وكل ما عداه تابع له «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[(٢)].

والحكومة -ولا شك- قلب الإصلاح الاجتماعي كله، فإذا فسدت أوضاعها فسد الأمر كله، وإذا صلحت صلح الأمر كله... وقد أهبت بالقائمين أن يبادروا بالإصلاح، وأن يعودوا إلى الإسلام الحنيف جماع الخير؛ ليهتدوا بهديه ويسيروا على ضوئه، وبغير ذلك لا يمكن أن نظفر بالإصلاح الحقيقي المنشود.

وهنا أتناول «وضعنا الاقتصادي» بمثل هذا البيان، رجاء أن تجد هذه الكلمات المخلصة آذانًا مصغية، وقلوبًا واعية، تستشعر الخطر وتعمل على تلافيه، من قبل أن يستشري الداء، ويعز الدواء، ويتسع الخرق على الراقع[(٣)]. ولا يحرك النفوس ويثير

---

(١) الإمام حسن البنا: رسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي، المطبعة العالمية، د.ت، ص(٧٣-١٠٠)، وقد أشير في الهامش أنها نشرت في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٧م.

(٢) أخرجه البخاري في «الإيمان»، باب: «فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ»، ح(٥٠)، ومسلم في «الْمُسَاقَاةِ»، باب: «أَخْذِ الْحَلالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ»، ح(٢٩٩٦).

(٣) اتسع الخرق على الراقع: يضرب في الأمر الذي لا يستطاع تداركه لتفاقمه. [الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، (١/ ٩)].

الخواطر ويؤلم المشاعر شيء كالضائقة المالية، تأخذ بخناق الجماهير، فتحول بينهم وبين الحصول على ضروريات الحياة فضلاً عن كمالياتها. ولا أزمة أعنف من أزمة الرغيف، ولا عضة أقوى من عضة الجوع والمسغبة. ولا حاجة أشد من حاجة القوت، وطالب القوت ما تعدى(١). دخلت الجارية على محمد بن الحسن الشيباني(٢) صاحب أبي حنيفة، فقالت: يا سيدي، فني الدقيق. فقال: قاتلك الله! أذهبت من رأسي أربعين مسألة.

[واقعنا الاقتصادي:]

وهناك حقائق لا يستطيع أحد أن ينكرها أو يتجاهلها منها:

أ - غنى طبيعي:

إن هذا البلد ليس فقيرًا بطبيعته، بل لعله أغنى بلاد الله -تبارك وتعالى- بخيراته الطبيعية وثرواته المختلفة، من زراعية ومائية وحيوانية ومعدنية، ونيله العجيب، وواديه الخصيب، وما شئت من فضل الله -تبارك وتعالى- على مصر وأهل مصر منذ القدم: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١].

ب - استغلال أجنبي

ومنها: أن الأجانب الذين احتلوا هذا الوطن بغفلة من أهله، وتساهل من

---

(١) ذكر الأبشيهي في «المستطرف» عن برهان الدين القيراطي هذه الأبيات:

قالوا اترك الخمر واجتنبها ... لا تتعد الحرام حدا

قلت أراها للروح قوتًا ... وطالب القوت ما تعدى

ولعل الإمام البنا أخذ هذا المعنى من الشطر الثاني من البيت الثاني.

(٢) «الشيباني [١٣١-١٨٩هـ = ٧٤٨-٨٠٤م]: محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله: إمام بالفقه والأصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة. أصله من قرية حرستة، في غوطة دمشق، وولد بواسط. ونشأ بالكوفة، فسمع من أبي حنيفة، وغلب عليه مذهبه وعرف به، وانتقل إلى بغداد، فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله، ولما خرج الرشيد إلى خراسان صحبه، فمات في الري. له كتب كثيرة في الفقه والأصول، منها «المبسوط»، و«الزيادات»، و«الجامع الكبير»، و«الجامع الصغير»، و«الآثار»، و«السير»، و«الموطأ»، و«الأمالي»، و«المخارج في الحيل»، و«الأصل»، و«الحجة على أهل المدينة». [الزركلي: الأعلام، (٦/ ٨٠)].

حكامه، وظلم من غاصبيه، أسعد حالا من أهله وبنيه، وأنهم قد وضعوا أيديهم على أفضل منابع الثروات فيه؛ شركات أو أفرادًا، فالصناعة والتجارة، والمنافع العامة، والمرافق الرئيسية، كلها بيد هؤلاء الأجانب حقيقة، أو الأجانب الذين اتخذوا من الجنسية المصرية شعارًا ولا زالوا يحنون بعد إلى أوطانهم ويؤثرونها بأكبر أرباحهم، وإن كثيرًا من هؤلاء الأجانب لا زال ينظر إلى المواطن المصري، والعامل المصري، والحاكم المصري، نظرة لا تقدير فيها ولا إنصاف.

ج - ثراء فاحش وفقر مدقع

ومنها: أن التفاوت عظيم، والبون شاسع، والفرق كبير بين الطبقات المختلفة في هذا الشعب، فثراء فاحش وفقر مدقع، والطبقة المتوسطة تكاد تكون معدومة، والذي نسميه نحن الطبقة المتوسطة ليس إلا من الفقراء المعوزين، وإن كنا نسميهم متوسطين على قاعدة «بعض الشر أهون من بعض»[1]. ورحم الله فقهاءنا الذين حبَّروا البحوث الطويلة في الفرق بين الفقراء والمساكين، وإن كان كلاهما من المحتاجين البائسين.

د - تخبط اقتصادي

ومنها -وهو الأهم: أننا في وسط هذا المعترك الحاد الصاخب العنيف بين المبادئ الاقتصادية من رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية، لم نحدد لونًا نصبغ به حياتنا الاقتصادية، في وقت تحتم فيه التحديد، وتعقدت فيه الأمور، بحيث لم تعد تنفع فيها أنصاف الحلول، ولم يعد يجدي إلا الوضوح الكامل، وتحديد الأهداف تحديدًا دقيقًا، والسير إليها في قوة وعزيمة.

وهذه الأوضاع -وإن امتزجت بها المعاني السياسية- إلا أنها في أغلب صورها ودوافعها ونتائجها تعاليم وأوضاع اقتصادية. ولهذا كان لا بد لنا من أن نختار لونًا من هذه الألوان -أو من غيرها إن استطعنا- لنعيش في حدود وضع معلوم له خصائصه ومميزاته، يحدد أهدافنا الرئيسية، ويرسم لنا طريق العمل للوصول إلى هذه الأهداف.

---

(١) مقتبس من قول أبي خراش الهذلي من الطويل:

حَمِدتُ إِلهي بَعدَ عُروَةَ إِذ نَجا ... خِراشٌ وَبَعضُ الشَّرِّ أَهوَنُ مِن بَعضِ

إلى الإسلام:

وأعتقد أنه لا خير لنا في واحد من هذه النظم جميعًا، فلكل منها عيوبه الفاحشة، كما له حسناته البادية، وهي نظم نبتت في غير أرضنا لأوضاع غير أوضاعنا، ومجتمعات فيها غير ما في مجتمعنا... فضلاً عن أن بين أيدينا النظام الكامل الذي يؤدي إلى الإصلاح الشامل في توجيهات الإسلام الحنيف، وما وضع للاقتصاد القومي من قواعد كلية أساسية، لو علمناها وطبقناها تطبيقًا سليمًا، لانحلت مشكلاتنا، ولظفرنا بكل ما في هذه النظم من حسنات، وتجنبنا كل ما فيها من سيئات، وعرفنا كيف يرتفع مستوى المعيشة وتستريح كل الطبقات، ووجدنا أقرب الطرق إلى الحياة الطيبة.

* * *

٢- النظام الاقتصادي[1]

قدمت في الكلمة السابقة أن مصر تتقاذفها الألوان الاقتصادية وتتضارب فيها النظم والآراء العصرية، من رأسمالية واشتراكية وشيوعية، وأن من الخير كل الخير أن تبرأ من هذه الألوان كلها، وأن تركز حياتها الاقتصادية على قواعد الإسلام وتوجيهاته العليا، وتستمد منه وتعتمد عليه، وذلك تسلم من كل ما يصحب هذه الآراء من أخطاء وما يلصق بها من عيوب، وتنحل مشاكلنا الاقتصادية من أقصر طريق.

قواعد النظام الاقتصادي في الإسلام:

ويتلخص نظام الإسلام الاقتصادي في قواعد أهمها:

١- اعتبار المال الصالح قوام الحياة، ووجوب الحرص عليه، وحسن تدبيره وتثميره.

٢- إيجاب العمل والكسب على كل قادر.

٣- الكشف عن منابع الثروات الطبيعية، ووجوب الاستفادة من كل ما في الوجود من قوى ومواد.

٤- تحريم موارد الكسب الخبيث.

٥- تقريب الشقة بين مختلف الطبقات، تقريبًا يقضي على الثراء الفاحش والفقر المدقع.

٦- الضمان الاجتماعي لكل مواطن، وتأمين حياته، والعمل على راحته وإسعاده.

٧- الحث على الإنفاق في وجوه الخير، وافتراض التكافل بين المواطنين، ووجوب التعاون على البر والتقوى.

٨- تقرير حرمة المال، واحترام الملكية الخاصة ما لم تتعارض مع المصلحة العامة.

٩- تنظيم المعاملات المالية بتشريع عادل رحيم، والتدقيق في شئون النقد.

١٠- تقرير مسئولية الدولة في حماية هذا النظام.

---

(١) نشرت بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٤٧م.

والذي ينظر في تعاليم الإسلام، يجد فيه هذه القواعد مبينة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب الفقه الإسلامي بأوسع بيان.

المال الصالح قوام الحياة:

فقد امتدح الإسلام المال الصالح، وأوجب الحرص عليه وحسن تدبيره وتثميره، وأشاد بمنزلة الغني الشاكر الذي يستخدم ماله في نفع الناس ومرضاة الله، وليس في الإسلام هذا المعنى الذي يدفع الناس إلى الفقر والفاقة من فهم الزهد على غير معناه.

وما ورد في ذم الدنيا والمال والغنى والثروة إنما يراد به ما يدعو إلى الطغيان والفتنة والإسراف، ويستعان به على الإثم والمعصية والفجور وكفران نعمة الله، وفي الحديث «نعم المال الصالح للرجل الصالح»[1]، وفي الآية الكريمة: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥].

وفي ذلك الإشارة إلى أن الأموال قوام الأعمال، وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال في غير وجهه، فقال: «إن الله ينهاكم[2] عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[3]، كما أن من مات مدافعا عن ماله فهو شهيد كما جاء في الحديث: «من مات دون عرضه فهو شهيد، ومن مات دون ماله فهو شهيد...»[4] الحديث.

العمل على كل قادر:

وفي الإسلام الحث على العمل والكسب، واعتبار الكسب واجبًا على كل قادر عليه، والثناء كل الثناء على العمال المحترفين، وتحريم السؤال، وإعلان أن من أفضل العبادة العمل، وأن العمل من سنة الأنبياء، وأن أفضل الكسب ما كان من عمل اليد، والزراية على أهل البطالة، والذين هم عالة على المجتمع مهما كان سبب تبطلهم -ولو

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في الروايات: «إن الله كره لكم».

(٣) أخرجه البخاري في «الزَّكَاةِ»، باب: «قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾...»، ح(١٣٨٣) ومواضع أخر، ومسلم في «الأَقْضِيَةِ»، باب: «النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ...»، ح(٣٢٣٦) ومواضع أخر.

(٤) سبق تخريجه.

كان الانقطاع لعبادة الله- فإن الإسلام لا يعرف هذا الضرب من التبطل.

والتوكل على الله إنما هو بالأخذ في الأسباب وأيضًا بالنتائج، فمن فقد أحدهما فليس بمتوكل.. والرزق المقدور مقرون بالسعي الدائب، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ويقول رسول الله ﷺ: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يده»[1]، ويقول عمر: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة»[2]، وفي الحديث: «لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم»[3].

الكشف عن منابع الثروات:

كما أن فيه لفت النظر إلى ما في الوجود من منابع الثروة ومصادر الخير، والحث على العناية بها ووجوب استغلالها، وأن كل ما في هذا الكون العجيب مسخر للإنسان ليستفيد منه وينتفع به: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، ومن قرأ آيات القرآن الكريم علم تفصيل ذلك بأوسع بيان وأوفاه.

تحريم الكسب الخبيث:

ومن تعاليمه: تحريم موارد الكسب الخبيثة، وتحديد الخبث في الكسب بأنه ما كان بغير مقابل من عمل: كالربا والقمار واليانصيب ونحوها. أو كان بغير حق: كالنصب والسرقة والغش ونحوها. أو كان عوضًا لما يضر: كثمن الخمر والخنزير والمخدر ونحوها.

---

(١) أخرجه البخاري في «الْبُيُوعِ...»، باب: «كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ»، ح(١٩٣٠).

(٢) انظر: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، (١/ ٤١٠)- ابن عبد ربه: العقد الفريد، (١/ ٢٦٠).

(٣) أخرجه البخاري في «الزَّكَاةِ»، باب: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا»، ح(١٣٨١)، ومسلم في «الزَّكَاةِ»، باب: «كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ»، ح(١٧٢٤، ١٧٢٥). المُزْعةُ بالضم قِطْعةُ لحم، وفي الحديث بمعنى قِطْعةٌ يسيرة من اللحم. [لسان العرب، مادة (مزع)].

فكل هذه موارد للكسب لا يبيحها الإسلام ولا يعترف بها.

التقريب بين الطبقات:

وقد عمل الإسلام على التقريب بين الطبقات بتحريم الكنز ومظاهر الترف على الأغنياء، والحث على رفع مستوى المعيشة بين الفقراء، وتقرير حقهم في مال الدولة ومال الأغنياء، ووصف الطريق العملي لذلك.

وأكثر من الحث على الإنفاق في وجوه الخير والترغيب في ذلك، وذم البخل والرياء والمنّ والأذى، وتقرير طريق التعاون والقرض الحسن ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى ورجاء ما عنده: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

حرمة المال واحترام الملكيات:

وقرر حرمة المال، واحترام الملكية الخاصة ما دامت لا تتعارض مع المصلحة العامة: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله»[١]، و«لا ضرر ولا ضرار»[٢].

تنظيم المعاملات المالية:

وشرع تنظيم المعاملات المالية في حدود مصلحة الأفراد والمجتمع، واحترام العقود والالتزامات، والدقة في شئون النقد والتعامل به، حتى أفردت له أبواب في الفقه الإسلامي تحرم التلاعب فيه كالصرف[٣] ونحوه، ولعل هنا موضعًا من مواضع الحكمة في تحريم استخدام الذهب والفضة باعتبارهما الرصيد العالمي للنقد[٤].

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب «البر والصلة والآداب»، باب: «تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ»، ح(٤٦٥٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «الأَحْكَام»، باب: «مَنْ بَنَى فِي حَقِّهِ مَا يَضُرُّ بِجَارِهِ»، ح(٢٣٣١، ٢٣٣٢). وأحمد في «بِدَايَة مُسْنَد عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، أَخْبَار عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ»، ح(٢٧١٩، ٢١٧١٤). وقد صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»، ح(٢٣٤٠).

(٣) الصرف: مبادلة تجري بين النقدين وتخضع لشروط خاصة تعرف في مراجعها من كتب الفقه.

(٤) يحرم الإسلام استخدام الذهب والفضة مطلقًا في الأواني والأدوات الخاصة، ويحرم الذهب كزينة للرجال، وكذا الإسراف فيه للنساء. ولعل ذلك لأن حاجة الدولة إلى رصيد ضخم من هذه المعادن أولى بالاعتبار من الاستعمال الفردي.

الضمان الاجتماعي:

وقرر الضمان الاجتماعي لكل مواطن، وتأمين راحته ومعيشته -كائنًا من كان- مادام مؤديًا لواجبه، أو عاجزًا عن هذا الأداء بسبب قهري لا يستطيع أن يتغلب عليه. ولقد مر عمر على يهودي يتكفف الناس، فزجره واستفسر عما حمله على السؤال، فلما تحقق من عجزه رجع على نفسه باللائمة وقال له: «ما أنصفناك يا هذا، أخذنا منك الجزية قويًا، وأهملناك ضعيفًا، افرضوا له من بيت المال ما يكفيه».

وهذا مع إشاعة روح الحب والتعاطف بين الناس جميعًا.

مسئولية الدولة:

وأعلن مسئولية الدولة عن حماية هذا النظام، وعن حسن التصرف في المال العام، تأخذه بحقه وتصرفه بحقه، وتعدل في جبايته، ولقد قال عمر ما معناه: «إن هذا المال مال الله، وأنتم عباده، وليصلن الراعي بأقصى الأرض قسمه من هذا المال، وإنه ليرعى في غنمه، ومن غَلّ غلّ في النار».

استغلال النفوذ.. من أين لك هذا؟

كما حظر الإسلام استخدام السلطة والنفوذ، ولعن الراشي والمرتشي والرائش، وحرم الهدية على الحكام والأمراء، وكان عمر يقاسم عمّاله ما يزيد عن ثرواتهم، ويقول لأحدهم: «من أين لك هذا؟ إنكم تجمعون النار وتورثون العار». وليس للوالي من مال الأمة إلا ما يكفيه، وقد قال أبو بكر لجماعة المسلمين حين ولي عليهم: «كنت أحترف لعيالي فأكتسب قوتهم، وأنا الآن أحترف لكم، فافرضوا لي من بيت مالكم»، ففرض له أبو عبيدة قوت رجل من المسلمين ليس بأعلاهم ولا بأوكسهم، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وراحلة يركبها ويحج عليها، وقُوِّمت هذه الفريضة بألفي درهم.. ولما قال أبو بكر: لا يكفيني، زادها له خمسمائة.. وقُضي الأمر.

تلك هي روح النظام الاقتصادي في الإسلام، وخلاصة قواعده أوجزناها منتهى الإيجاز، ولكل واحدة منها تفصيل يستغرق مجلدات ضخامًا، ولو اهتدينا بهديها وسرنا على ضوئها لوجدنا في ذلك الخير الكثير.

* * *

٣- النظام الاقتصادي[1]

استقلال النقد:

ذكرنا بعض الأصول التي يقوم عليها النظام الاقتصادي الإسلامي، والروح التي تمليها علينا تلك الأصول، التي تنتج مع التطبيق الصحيح وضعا اقتصاديا سليما ليس أفضل منه، فهي توجب استقلال نقدنا، واعتماده على رصيد ثابت من مواردنا ومن ذهبنا، لا على أذونات الخزانة البريطانية ودار الضرب البريطانية والبنك الأهلي البريطاني -وإن كان مقره مصر- وتأمل الآية الكريمة: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ التي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥].

ومن أفظع التغرير بهذا الشعب، أن يسلم جهوده ومنتجاته نظير أوراق لا قيمة لها إلا بالضمان الإنجليزي، وإن مصر إذا حزمت أمرها، وأحكمت تصرفاتها، ستصل ولا شك إلى هذا الاستقلال.

ولقد انفصلنا عن الكتلة الإسترلينية، وفكرنا في تأميم البنك الأهلي، وطالبنا بالديون الكثيرة لنا على الإنجليز، وكل هذه ونحوها مشروعات تؤمن النقد المصري... فماذا فعل الله بها؟ وماذا أعددنا العدة لإنفاذها؟

ولعل من المفارقات أن أكتب هذه الكلمات في الوقت الذي يذاع فيه أن المفاوضات بين مصر وإنجلترا حول الأرصدة الإسترلينية باءت أو قاربت أن تبوء بالفشل، لتعنت الإنجليز وتمسكهم بألا يدفعوا لمصر عن سنة ١٩٤٨م أكثر من ١٢مليونًا، في الوقت الذي تطلب فيه مصر طلبًا متواضعًا هو ١٨ مليونًا.

ولقد أنتج ضعف الرقابة على النقد، والاستهانة بأمره استهانة بلغت حد الاستهتار، هذه المآسي التي نصطلي بنارها من التضخم الذي استتبع غلاء المعيشة، وصعوبة الاستيراد والتصدير.

ولم يحدث في تاريخ الدول الراقية -فيما نعلم- أن بنكا يستغل قرارا من وزير هذا الاستغلال الشائن، كما فعل ذلك البنك الأهلي بقرار وزارة المالية غير الموقع عليه من

(١) نشرت بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٧م.

أحد في يونيو سنة ١٩١٦[1]، فيصدر بمقتضاه من الأوراق ما يشاء.

تمصير الشركات:

كما توجب هذه الأصول الاهتمام الكامل بتمصير الشركات، وإحلال رءوس الأموال الوطنية محل رءوس الأموال الأجنبية كلما أمكن ذلك، وتخليص المرافق العامة -وهي أهم شيء للأمة- من يد غير أبنائها، فلا يصح بحال أن تكون الأرض والبناء والنقل والماء والنور والمواصلات الداخلية والنقل الخارجي -حتى الملح والصودا- في يد شركات أجنبية تبلغ رءوس أموالها وأرباحها الملايين من الجنيهات، لا يصيب الجمهور الوطني ولا العامل الوطني منها إلا البؤس والشقاء والحرمان.

[استغلال منابع الثروة:]

واستغلال منابع الثروة الطبيعية استغلالاً سريعًا منتجًا، أمر يوجبه الإسلام، الذي لفت أنظارنا كتابه إلى آثار رحمة الله في الوجود، وما أودع في الكون من خيرات في الأرض وفي السماء، وأفاض في أحكام الركاز، وحث على طلب الخير أينما كان. في الماء عندنا ثروات، وفي الصحاري ثروات، وفي كل مكان ثروات، لا ينقصها إلا فكر يتجه، وعزيمة تدفع، ويد تعمل، وخذ بعد ذلك من الخير ما تشاء: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨]، والعلماء هنا -فيما أظن- الذين يعلمون علم الكائنات وما فيها للناس من خير، وما يتجلى في دقيق صنعها من واسع علم الله خالق الأرض والسموات.

والعناية بالمشروعات الوطنية الكبرى المهملة التي طال عليها الأمد، وقعد بها التراخي والكسل، أو أحبطتها الخصومة الحزبية أو طمرتها المنافع الشخصية، أو قضت

---

(١) تولت وزارة حسين رشدي باشا الثانية من ١٩ديسمبر ١٩١٤- ٩أكتوبر ١٩١٧، وشغل يوسف وهبة باشا فيها منصب وزير المالية، وصدر وقتذاك قرار عسكري بريطاني بأنه سيتم طرح العملة الورقية مع سحب التعامل بالذهب شيئًا فشيئًا؛ وقد كانت مصر لا تعرف الأوراق المالية وكان كل تعاملها قائمًا على العملة الذهبية. وكان من أسباب هذا القرار احتياج بريطانيا للذهب. وقد صدر قرار آخر عام ١٩١٧م بأن أي جنيه ذهب يدخل للقطاع المصرفي يتم حجزه، ثم يسلم لبنك إنجلترا مقابل جواب يقر بذلك يقدم من البنك الأهلي المصري، والذي كان يعد بنكًا إنجليزيًّا.

عليها الألاعيب السياسية والرشوة الحرام، كل هذه يجب أن تتوجه إليها الهمم من جديد: «إن الله يحب من أحدكم إذا عملَ عملاً أن يتقنه»[(١)].

كم كنا نربح لو أن مشروع خزان أسوان تحقق فعلا منذ سنة ١٩٣٧، وكم كنا نحتاج ونعرى لو لم يلهم الله طلعت حرب[(٢)] -عليه الرضوان- أن يتقدم بمشروعات (المحلة).

هناك مشروعات كثيرة درست وبحثت، ثم وضعت على الرف وطال عليها الأمد قبل الحرب، ولا موجب لهذا الإهمال، والضرورة قاسية والحاجة ملحة، والأمر لا يحتمل التأخير.

انفضوا الغبار عن ملفات هذه المشروعات واستذكروها من جديد ونفذوا: ﴿فَسَيَرَى[(٣)] اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

الصناعة:

والتحول إلى الصناعة فورًا من روح الإسلام الذي يقول نبيه ﷺ: «إن الله يحب المؤمن المحترف»[(٤)]، «من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورًا له»[(٥)]. والذي أثنى كتابه على داود وسليمان بهذا التقدم الصناعي، وذكر لنا من دقائق الرقي فيه ما أعجز البشر، واستغل قوى الجن والشياطين.

حرام على الأمة التي تقرأ في كتابها من الثناء على داود ﷺ: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(٦)] [سبأ: ١٠-١١]، وتقرأ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء:٨٠]،

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»، (٢/٤٠٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان»، (١١/٢٩٨). وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»، (٣/١٠٦).

(٢) محمد طلعت بن حسن محمد حرب [٢٥نوفمبر ١٨٦٧- ٢٣أغسطس ١٩٤١م]: مؤسس بنك مصر، قام على يده أول اقتصاد مصري، فقام بتأسيس بنك مصر وشركة مصر للغزل والنسيج، توفي في أغسطس ١٩٤١م.

(٣) في الأصل: «وسيرى».

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في الأصل: «عليم».

ثم لا يكون فيها مصنع للسلاح.

ثم تقرأ في كتابها: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۞ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٢-١٣]، ثم لا يكون فيها مسبك عظيم، ولا مصنع كامل للأدوات المعدنية.

ثم تقرأ: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ثم تهمل ما عندها من هذا المعدن هذا الإهمال، وهو من أجود الأنواع ويكفي العالم مائتي عام كما قدر الخبراء... حرام هذا كله!!!

* * *

٤- النظام الاقتصادي(١)

عرضت في الكلمة السابقة لبعض صور التطبيق التي تمليها علينا قواعد النظام الإسلامي الاقتصادي، وأعرض في هذه الكلمة لبعض الصور التي تمليها هذه القواعد أيضًا في صميم الإصلاح الاقتصادي القومي.

نظام الملكيات في مصر:

توجب علينا روح الإسلام الحنيف، وقواعده الأساسية في الاقتصاد القومي، أن نعيد النظر في نظام الملكيات في مصر، فنختصر الملكيات الكبيرة، ونعوض أصحابها عن حقهم بما هو أجدى عليهم وعلى المجتمع، ونشجع الملكيات الصغيرة، حتى يشعر الفقراء المعدمون بأن قد أصبح لهم في هذا الوطن ما يعنيهم أمره، ويهمهم شأنه.. وأن نوزع أملاك الحكومة حالاً على هؤلاء الصغار كذلك حتى يكبروا.

تنظيم الضرائب:

وتوجب علينا روح الإسلام في تشريعه الاقتصادي، أن نبادر بتنظيم الضرائب الاجتماعية، وأولها «ضريبة الزكاة»، وليس في الدنيا تشريع فرض الضريبة على رأس المال لا على الربح وحده كالإسلام، وذلك لحكم جليلة منها: محاربة الكنز وحبس الأموال عن التداول، وما جعلت الأموال إلا وسيلة لهذا التداول الذي يستفيد من ورائه كل الذين يقع في أيديهم هذا المال المتداول..

وإنما جعل الإسلام مصارف الزكاة اجتماعية بحتة لتكون سببًا في جبر النقص والقصور الذي لا تستطيع المشاعر الإنسانية والعواطف الطيبة أن تجبره، فيطهر بذلك المجتمع ويزكو، وتصفو النفوس وتسمو: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

فلا بد من العناية بفرض ضرائب اجتماعية على النظام التصاعدي -بحسب المال لا بحسب الربح- يعفى منها الفقراء طبعًا، وتجبى من الأغنياء الموسرين، وتنفق في رفع مستوى المعيشة بكل الوسائل المستطاعة.. ومن لطائف عُمر ﷺ أنه كان يفرض الضرائب

(١) نشرت بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٧م.

الثقيلة على العنب لأنه فاكهة الأغنياء، والضريبة التي لا تذكر على التمر لأنه طعام الفقراء، فكان أول من لاحظ هذا المعنى الاجتماعي في الحكام والأمراء ﷺ.

محاربة الربا:

ويوجب علينا روح الإسلام أن نحارب الربا حالاً، ونحرمه ونقضي على كل تعامل على أساسه: «ألا وإن الربا موضوع، وأول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب»[1] وصدق رسول الله.

ولقد كان المصلحون يتجنبون أن يقولوا في الماضي هذا الكلام حتى لا يقال لهم: إن ذلك مستحيل، وعليه دولاب الاقتصاد العالمي كله، أما اليوم.. فقد أصبحت هذه الحجة واهية ساقطة لا قيمة لها بعد أن حرمّت روسيا الربا وجعلته أفظع المنكرات في دارها، وحرام أن تسبقنا روسيا الشيوعية إلى هذه المنقبة الإسلامية، فالربا حرام... حرام... حرام وأولى الناس بتحريمه أمم الإسلام ودول الإسلام.

تشجيع الصناعات المنزلية:

وتوجب علينا روح الإسلام تشجيع الصناعات اليدوية المنزلية، وهذا هو باب الإسعاف السريع لهذه العائلات المنكوبة، وباب التحول إلى الروح الصناعي والوضع الصناعي.. وأول ما تفعله هذه الأيدي العاطلة، الغزل والنسيج بالأنوال الصغيرة، وصناعة الصابون، وصناعة العطور والمربيات[2]، وأنواع كثيرة وصنوف كبيرة تستطيع النساء والبنات والأولاد أن يشغلوا الوقت فيها، فتعود بالربح الوفير، وتمنعهم بؤس الحاجة وذل السؤال.

وقد رأينا هذا بأعيننا منذ زمن في «فوة» غربية، و«بني عدي» منفلوط، وغيرها من بلدان القطر المصري، ورأينا في هذه البلاد الثروة والغنى ويسر الحال. ولقد كانت وزارة الشئون قد فكرت في هذا المشروع الحيوي، واستحضرت أصنافا من المغازل، ولا ندري

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في «الْحَجِّ»، باب: «حَجَّةِ النَّبِي ﷺ»، ح(٢١٣٧)، من طريق جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ».

(٢) مفردها: المربَّى، [المعجم الوجيز، ص(٢٥٣)].

ماذا فعل الله بها.. ويوم الحكومة بسنة كما يقولون، ولكن الأمر لم يعد يحتمل الانتظار.

تقليل الكماليات والاكتفاء بالضروريات:

وإرشاد الشعب إلى التقليل من الكماليات والاكتفاء بالضروريات، وأن يكون الكبار في ذلك قدوة للصغار، فتبطل هذه الحفلات الماجنة، ويحرم هذا الترف والإسراف الفاسد، ويظهر الجد بخشونته وعبوسته ووقاره وهيبته على الدور والقصور والوجوه والمنتديات.. أمر يحتمه الإسلام الحنيف، وتحتمه الظروف القاسية الحاضرة والمنتظرة والمرتقبة، وكل ذلك يحتاج إلى إعداد.

هذه كلها واجبات لابد أن ننهض بأعبائها حالاً.. فإلى العمل.

وبعد...

فهنا نحن قد رأينا مما تقدم كيف أننا لم نسر على نظام اقتصادي معروف لا نظريًا ولا عمليًا، وأن هذا الغموض والارتجال قد أدّيا[1] بنا إلى ضائقة أخذت بمخانق الناس جميعًا.

وليس الشأن أن نرتجل الحلول، ونواجه الظروف بالمخدرات والمسكنات التي يكون لها من رد الفعل ما ينذر بأخطر العواقب، ولكن المهم في أن ننظر إلى الأمور نظرة شاملة محيطة، وأن نردها إلى أصل ثابت تستند إليه، وترتكز عليه. وليس ذلك إلا «النظام الإسلامي» الشامل الدقيق، وفيه خير السداد.

لقد أتاح الله لنا من أسباب اليسر الاقتصادي والنجاح المادي ما لم يتحه لغيرنا من الأمم والشعوب، فهذه الرابطة الوثيقة من اللغة والعقيدة والمصلحة والتاريخ بيننا وبين أمم العروبة والإسلام، وهي بحمد الله أغنى بلاد الله في أرضه: أخصبها تربة، وأعدلها جوًا، وأكثرها خيرات، وأثراها بالمواد الأولية وبالخامات من كل شيء..

هذه الرابطة تمهد لنا -لو أحسنا الانتفاع بها- سبيل الاكتفاء الذاتي والاستقلال الاقتصادي، وتنقذنا من هذا التحكم الغربي في التصدير والاستيراد وما إليهما.

ولا يكلفنا الأمر أكثر من أن نعزم ونتقدم، ونقوي الصلة، ونحكم الرابطة، ونوالي البعثات والدراسات، ونحاول بكل سبيل إنشاء أسطول تجاري، ونشيع روح الوحدة

(١) في الأصل: «أدى».

والتعاون بيننا وبين أمم العروبة وشعوب الإسلام.

لقد صبر الشعب المصري صبرًا طويلاً على هذه الحياة الجافة القاسية، وهذا الحرمان العجيب الذي لا يصبر عليه آدمي إلا بمعجزة من معجزات الإيمان، ومن نظر إلى العامل المصري والفلاح المصري ومن إليهما من عامة الشعب المصري، أخذه العجب مما يشاهد من فاقة وصبر.

لقد أخجلني أحد الإخوان الهنود -وقد قدم من إنجلترا حديثًا- حين عاد من جولة قصيرة في القاهرة، يقول لي: لقد كنا نظن أن ما تنشره الصحف في إنجلترا من سوء حالة الشعب المصري، وانخفاض مستوى معيشته، مجرد دعاية يراد بها الحطّ من كرامته، ولكني قضيت هذه الفترة القصيرة في القاهرة وزرت بعض أحياء عامتها فأسفت لما رأيت، فخجلت لقوله هذا، ولكنني رددت عن نفسي وعن الشعب بقولي له: سل هذه الجرائد التي تنشر، أليس هذا البؤس من مظالم الاحتلال؟

وتألمت مرة ثانية حين وجه إليّ مدير شركة أجنبي قوله: أأنت راضٍ عن حال هؤلاء العمال المساكين؟! ولكنني رددت عليه أيضًا: أولست تعلم أن السبب في هذه المسكنة استئثار هذه الشركات وبخلها على هؤلاء العمال بما يوازي ضروريات الحياة؟!

إن الأمر جدّ لا هزل فيه، وقد بلغ غايته، ووصل إلى مداه، ولا بد من علاج حاسم وسريع، ولن نجده كما قلت إلا في طب الإسلام الحنيف وعلاجه.

فيا دولة رئيس الحكومة، ويا رؤساء الهيئات والجماعات، ويا من يعنيهم أمر الطمأنينة والسلام في هذا الوطن:

تداركوا الأمر بحزم... وعودوا إلى نظام الإسلام.

ألا قد بلغت.. اللهم فاشهد.

* * *


شباب
النادي الشبابي

رسالة
الإخوان والانتخابات

(٢ذو القعدة ١٣٦٧هـ -٥ سبتمبر ١٩٤٨م)

تقديم

في يناير عام ١٩٤١م قرر المؤتمرون في المؤتمر الدوري السادس للإخوان المسلمين الإذن لمكتب الإرشاد بترشيح الأكفاء من الإخوان للهيئات النيابية المختلفة؛ لإبداء رأي الجماعة فيما يهم الدين والوطن.

واستنادًا إلى ذلك القرار ترشح الإمام البنا لانتخابات ١٩٤٢م، وتحت ضغط من الإنجليز طلب النحاس باشا من الإمام البنا التنازل عن الترشيح، فوافق الإمام البنا بعد عقد اتفاق مع النحاس يتم به إلغاء البغاء الرسمي، ووجوب استخدام الشركات للغة العربية في تعاملاتها، والسماح للإخوان بالعمل وإصدار جريدة خاصة بهم، وتفاديًا للاصطدام بقوة وطنية أخرى لا يستفيد من حدوثه إلا الإنجليز.

وفي عهد أحمد ماهر ترشح الإمام البنا وغيره من الإخوان، وثارت شبهات حول مشروعية الترشيح والقسم الدستوري وغيرها من القضايا التي رد عليها الإمام البنا في إحدى مقالاته في جريدة الإخوان المسلمين النصف شهرية بعنوان: «لماذا يشترك الإخوان في انتخابات مجلس النواب»؟

ثم أوردت الجريدة حديثًا صحفيًا للشيخ أبي زهرة يرد فيها على نفس الشبهات.

وتعميمًا للفائدة سنضع مقال الإمام والحديث الصحفي في ملحق بعد تلك الرسالة.

ولما ثار لغط حول الاشتراك في الانتخابات، وأنها سببت خصومات مع الغير، وأنها انحراف عن منهج الدعوة كتب الإمام البنا هذه الرسالة يعرض فيها الأمر على الهيئة التأسيسية للإخوان، مبينًا فيها حجة من يقول بدخول الانتخابات، وحجة من يطالب باعتزال ذلك المضمار.

وقد قررت الهيئة التأسيسية بعد ذلك خوض الإخوان غمار الانتخابات، ورغم ظروف حل الجماعة إلا أن بعض الإخوان ترشحوا في انتخابات ١٩٥٠م، كما أن الوفد نجح بتأييد الإخوان في تلك الانتخابات.

وقد عرضت هذه الرسالة على الهيئة التأسيسية للإخوان في اجتماعها بتاريخ ٢ شوال ١٣٦٧هـ الموافق ٧ أغسطس ١٩٤٨، ونشرت في جريدة الإخوان اليومية في العدد (٧١٩)، السنة الثالثة، ٢ ذو القعدة ١٣٦٧هـ الموافق ٥ سبتمبر ١٩٤٨م.

* * *

الإخوان والانتخابات[1]

أيها الإخوان الفضلاء أعضاء الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد...

فأنتم تعلمون أن الدعوة المقدسة التي عاهدنا الله تبارك وتعالى على أن نحيا لها، ونجاهد في سبيلها، ونموت عليها تهدف أول ما تهدف إلى أمر واحد هو «تحقيق النظام الاجتماعي الإسلامي في أرض الإسلام، وإبلاغ رسالته الجامعة للعالمين».

وإن وسيلتكم لذلك هي تصحيح الفكرة، ونشر الدعوة والتربية للفرد والتكوين للجماعة... حتى تقوم «الدولة الإسلامية» التي تتميز بهذا الوصف، وتعرف به، وتحرص عليه وتعمل جاهدة على حراسة أحكام الإسلام وقواعده في الداخل، وتبليغ رسالته في الخارج ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

وتعلمون أنكم في خلال هذا المجهود الشاق الذي تبذلونه ليلاً ونهارا في إقامة هذا البناء الإسلامي الكريم أخذتم أنفسكم بأن تبذلوا مجهودًا آخر في تشجيع فعل الخير، وتنظيم سبل البر، ومحاولة الإصلاح الاجتماعي وأن الله أجرى على يديكم من ذلك الشيء الكثير من المدارس والمعاهد والمستوصفات والمساجد، والإصلاح بين الناس بالمعروف، والحث على معاونة الفقراء، ومساعدة الضعفاء وإشاعة معاني الرحمة في كثير من النفوس والقلوب.

---

(١) الإخوان المسلمون اليومية، العدد (٧١٩)، السنة الثالثة، ٢ذو القعدة ١٣٦٧هـ- ٥سبتمبر ١٩٤٨م، ص(٧، ١٠)، وقد قدمت المجلة بما يلي: «كان من الموضوعات التي ناقشتها الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمين في اجتماعها الماضي غير العادي بتاريخ ٢ من شوال ١٣٦٧ الموافق ٧ من أغسطس ١٩٤٨ (موقف الإخوان من الانتخابات القادمة لمجلس النواب المصري). وقد ألقى الأستاذ المرشد العام هذا البيان التالي وعرض الاقتراح المرافق الذي وافقت عليه الهيئة وأذنت بنشره».

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وتعلمون تمام العلم أننا جميعًا حرصنا من أول يوم على قدسية الدعوة وطهر الجماعة وسمو الغاية واستقامة الطريق فلم نسمح لجماعتنا في يوم من الأيام أن تكون أداة لحزب أو هيئة أو مطية لحكومة أو دولة أو وسيلة إلى مغنم مادي أو كسب سياسي، ولهذا كان من القواعد الأساسية التي قام عليها بناء الجماعة ألا يخترق صفوفها أو يسجل في أعضائها عظيم أو وجيه من الذين عرفوا بميولهم السياسية الخاصة، أو نزعتهم الحزبية الحادة، مما جنبنا[1] كثيرًا من المزالق والعثرات في أول الطريق الشائك الذي أخذ أبناء هذه الدعوة على كاهلهم أن يتخطوا -بمعونة الله- عقباته، وأن يصلوا -بفضله وتوفيقه- إلى أبعد غاياته، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ الله الْعَزِيزِ الْحُكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وما كان يدور بخلد واحد من أبناء الدعوة صغيرهم وكبيرهم أو يخطر ببال مؤمن بها في أية شعبة من الشعب -ولن يكون هذا أبدًا بإذن الله- أن تسخر الدعوة المقدسة للوصول إلى حكم أو الحصول على غنم، أو مناورة حزب لحساب حزب، أو مناصرة فرد للنيل من فرد، أو لترجيح كفة هيئة على هيئة، أو لتدعيم مركز حكومة، أو إلقاء الوقود في تنور الفرقة والخصومة، فإن ذلك أبعد ما يكون عن تفكير أبناء هذه الدعوة الذين عاهدوا على الإيمان والجهاد ابتغاء وجهه وطلبًا لمرضاته، وإيثارًا لما عنده، ﴿فَمِنْهُم من قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ولولا ما علم الله تبارك وتعالى في أنفسهم من صدق، واطلع عليه سبحانه في نياتهم من خير وحق لما ظهرت لهم كلمة، ولما صادفوا كل هذا النجاح في وقت غلبت فيه المادية على كل شيء، وظهر فيه الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن هذه المعجزة الباقية الخالدة لرسول الله ﷺ ولأصحابه والمؤمنين برسالته، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ﴿فَعَلِمَ مَا في قُلُوبِهِمْ [فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ][2] فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

ولقد ظلت هذه القاعدة الأساسية للدعوة والدعاة مطبقة مرعية حتى أعلنت الحرب

---

(١) في الأصل: «جنينا».

(٢) في الأصل: «فأثابهم».

العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩م، وأعلنت في مصر الأحكام العرفية، وتعاقبت الوزارات وجاءت وزارة حسين سري باشا واشتد ضغط الإنجليز على الحكومة المصرية، لتقضي على نشاط الإخوان المسلمين، وتحل جماعتهم وتحارب دعوتهم، وذلك بعد أن يئسوا من أن يكسبوا هذه الجماعة إلى صفهم بالوعد والوعيد، والإغراء والتهديد، مما تعلمون الكثير منه وليس هذا موضع الإفاضة فيه، وسأوفيه حقه من الشرح والبيان في «مذكرات الدعوة والداعية» -إن شاء الله، والمهم أن ضغط الإنجليز على الحكومة المصرية في وزارة سري باشا كان من نتائجه أن تعطلت اجتماعات الإخوان، وتوقف نشاطهم، وروقبت دورهم، وأغلقت صحفهم ومجلاتهم، ومنعت الجرائد جميعًا من أن تذكر اسمهم في أية مناسبة، أو تشير إليهم بكلمة، وأغلقت مطبعتهم، وأذكر أن رقيب المطبوعات المستر فيرنس منع طبع رسالة المأثورات منعًا باتًا فلجأنا إلى أحد المسئولين إليه الأمر، وقلنا: هذه آيات وأحاديث يقرأها الناس في القرآن الكريم صباحًا ومساء، ويطالعونها في كتب السنة متى شاءوا وكيفما أرادوا، فكيف تجيزون لأنفسكم هذا المنع وبم تبررونه؟ وانتهى الموقف بعد أخذ ورد، بأن سمح بالطبع، ولكن بشرط أن تمحى جملة «من رسائل الإخوان المسلمين» من العنوان الجانبي للرسالة، وإلا فهي ممنوعة فاضطررنا أمام هذا التحكم إلى سترها بأن طبعنا فوقها حلية جميلة تشف عما وراءها من هذا التصرف العجيب.

وضاعف الإنجليز ضغطهم، وضاعفت الحكومة شدتها، فكان أول نزيل لمعتقل الزيتون الأستاذ عابدين السكرتير العام حتى قضى فيه ستة أشهر أو تزيد، وذلك المرشد والوكيل بعد نقل وتشريد ووعيد وتهديد، ومن الإنصاف أن نقول: إن فضل هذا الضغط كان على الدعوة عظيمًا، ورب ضارة نافعة، والذهب الإبريز يصفو على السبك[(١)]، وكم من منحة في طي محنة، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم، وكانت الملاحظة الواضحة الجلية أن المنفذ الوحيد للرأي، وأن المنبر الذي كانت تعلن فيه شكاية أهل الحق في ذلك الوقت منبر مجلس النواب الذي كانت الصحف لا تجرؤ حينذاك على التوقف عن نشر مضابطه، فكان ما ينشر من مناقشات المجلس هو البصيص الوحيد من النور الذي ينير الظلام أمام المكبوتين المضطهدين.

---

(١) مقتبس من قول أبي إسحاق الصابي من الطويل:

صليت بنار الهم فازددت صفوة   كذا الذهب الإبريز يصفو على السبك

[الثعالبي: يتيمة الدهر، (١/ ٢٥٨)].

وهذا هو الذي حدا بالمؤتمر السادس للإخوان -المنعقد في يناير ١٩٤١م- أن يصدر قرارًا خلاصته «الإذن لمكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين بالتقدم بالأكفاء من الإخوان إلى الهيئات النيابية المختلفة، ليرفعوا صوت الدعوة، وليعلنوا كلمة الجماعة فيما يهم الدين والوطن»، وكان هذا أول توجه من الإخوان المسلمين إلى اقتحام ميدان الانتخابات.

وانتهى عهد وزارة سري باشا وحل مجلس النواب، وجاءت وزارة النحاس باشا في فبراير ١٩٤٢م وباشرت إجراء الانتخابات لمجلس النواب الجديد.

ورأى الإخوان أن الفرصة سانحة لتطبيق قرارهم الماضي، ولكنهم مع ذلك كانوا حريصين أشد الحرص على ما أخذوا به أنفسهم من سنة التدرج فلم يتقدم منهم إلا المرشد العام، وفي دائرة الإسماعيلية بالذات التي كانت بصفة أعظم تهيئة لتلقي هذا الترشيح ومناصرته بكل سبيل، وحدد مكتب الإرشاد العام في نشرته بتاريخ المحرم سنة ١٣٦١هـ - مارس سنة ١٩٤٢م موقف الإخوان في هذه الانتخابات تحديدًا واضحًا دقيقًا، هذا نصه «ويتساءل البعض عن موقف الإخوان في هذه الانتخابات، والجواب على هذا أن الإخوان لابد أن يكون لهم موقف إيجابي إنفاذًا لقرار المؤتمر السادس.

وقد قرر المكتب ذلك وقسم المرشحين إلى ثلاثة أنواع:

١- من سيتقدمون على مبادئ الإخوان سافرة، وهؤلاء سيساعدهم المكتب بكل قواه، ويجب على كل أخ أن يساعدهم كذلك ما استطاع، والمعروف من هؤلاء الآن المرشد العام عن دائرة الإسماعيلية، والأستاذ محمد عبد الرحمن نصير عن دائرة بنها.

٢- من قدموا للإخوان خدمة سابقة، واتصلوا بالإخوان من قبل ثلة وثيقة، وبدا منهم حسن الاستعداد للفكرة الإسلامية، وهؤلاء سيناصرهم المكتب والإخوان أيًا كانت ألوانهم السياسية على أن تكون المناصرة بحكمة ولباقة، وهؤلاء لا يعرفون إلا بعد ظهور الترشيحات، وحينئذ سيرسم المكتب لكل دائرة طريق مناصرتها لمرشحها هذا.

٣- بقية النواب الذين لم تسبق للإخوان صلة بهم، وهؤلاء يناصر الإخوان منهم القوي المتدين الذي لا يجاهر بالعصيان، ويأخذون عليه العهد والموثق في وضوح وصراحة أن يكون إلى جانب الفكرة الإسلامية، وأن يخدمها في البرلمان، وسيكتب المكتب كذلك لكل دائرة عند ظهور الترشيحات بتوجيهاته المفصلة في هذه الناحية.

وقد انتهى هذا الدور الانتخابي بما تعلمون من تنازلي عن الترشيح بناء على محاولات رئيس الحكومة رفعة النحاس باشا الذي صرح بأنه أمام تبليغ من الإنجليز فإما التنازل وإما إعلان الحرب على الإخوان المسلمين بكل وسيلة، في الوقت الذي كنا نحن أحرص ما نكون على ألا نصطدم بقوة مصرية لتستفيد من هذا الاصطدام الدسائس الإنجليزية، وكنا نعمل جاهدين على ادخار هذه القوى جميعًا، وعدم تعريضها للضياع والتفريق إبان الحرب؛ لتعمل متكاتفة حين تنتهي، ويجيء الوقت المناسب في سبيل الوطن والأمة والإسلام، وبهذا التنازل تفادينا هذا الاصطدام فعلاً، وتمكنا من السير بالدعوة في طريقها المرسوم رغم ما تجدد بعد ذلك من عقبات، وتفصيل ذلك معلوم لديكم، وسنزيده إيضاحًا في المذكرات -إن شاء الله.

وأقيلت وزارة النحاس باشا في أكتوبر ١٩٤٤م، وجاءت وزارة أحمد باشا ماهر رحمه الله، وحل مجلس النواب، [و][١] باشرت الحكومة إجراءات الانتخابات من جديد، ودارت الساقية المعروفة دورتها المألوفة، وامتنع الوفد عن دخول الانتخابات، كما امتنعت الأحزاب من قبل، وكان الإخوان أمام قرار المؤتمر السادس من جهة، وأمام التزامهم لأهل دائرة الإسماعيلية من جهة أخرى، وأمام ما يأملون ويعلمون بالتجربة من أن البرلمان هو الرئة الوحيدة للتنفس، واستنشاق بعض نسمات الحرية في ظل الأحكام العرفية الخانقة يرون أنه لا بد لهم من التقدم إلى الترشيح من جديد، ومع هذا فلم يقدموا على هذه الخطوة إلا بكل حكمة ورزانة وتعقل، وإلا بعد أن كاشفوا رجال الحكومة القائمة بأنهم لا يقصدون بذلك إحراجها ولا مناوأتها، وإنما يريدون أن يزاولوا حقًا مكفولاً لكل مواطن بطريقه المشروع، ومع هذا الاحتياط فقد اجتمع مكتب الإرشاد العام وأصدر قرارًا واضحًا وأعلنه على رءوس الأشهاد وفي الصحف والجرائد السيارة «بأن هيئة الإخوان لا ترشح أحدًا من أعضائها بصفته الإخوانية، وأن من يرون أن يتقدموا إلى الترشيح فإنهم يتقدمون بصفتهم[٢] الشخصية كمستقلين، ولهذا فإنه محظور أن تستخدم دور الإخوان لدعاية انتخابية، أو أن يظهر خطباؤهم ورؤساؤهم والبارزون منهم في الحفلات التي تقام لهذا الغرض إلا بصفتهم الشخصية كذلك».

---

(١) زيادة من عندنا.

(٢) في الأصل: «بصفة».

وقد رجا المكتب بعد ذلك عددًا كثيرًا من الإخوان أن يعدلوا عن الترشيح والتقدم حتى أصبح عدد المتقدمين من الإخوان لا يزيد على بضعة أفراد: المرشد العام في الإسماعيلية، والأستاذ محمد نصير في بنها، والأستاذ أحمد السكري في الفاروقية، والأستاذ عبد الفتاح البساطي في الفيوم، والأستاذ عبد الحكيم عابدين في مطر طارس، والأستاذ محمد حامد أبو النصر في منفلوط، أما محمد أفندي حمودة الذي رشح في دائرة السويس فقد نهى عن ذلك نهيًا صريحًا فلم يصغ إليه وأبى إلا أن يتقدم لثقته بأصدقائه وإخوانه ومحبيه في هذه الدائرة التي كان له فيها جهاد مشكور، ولأسباب خاصة حالت الظروف دون التقدم للانتخابات.

وفي هذه الأثناء انتهت فترة من فترات التجديد النصفي لمجلس الشيوخ، فلم يشأ الإخوان أن يتقدموا؛ لأنهم يمتازون بحمد الله بميزتين تحول بينهم وبين دخول هذا الباب «الفقر والشباب»، ولعل ذلك هو الخير كل الخير للدعوة والداعين، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

لقد أقدمنا على هذا الميدان مخلصين كل الإخلاص، برآء كل البراءة، مدفوعين إليه بحب الخير، والحرص على المصلحة، والغيرة على الدعوة المقدسة، والرغبة في اختصار الوقت، وإعلان رسالة الإصلاح الإسلامي من فوق هذا المنبر الرسمي، وما كان يدور بخلدنا، أو يخطر ببالنا أن يتصور فرد واحد ما تقوله الناس بعد ذلك من أن هذا انحراف عن الخطة الوطنية المجردة إلى الحزبية السياسية البغيضة، وأنه استغلال للدعوة البريئة أريد به الوصول إلى الجاه الدنيوي والكرسي الحكومي، وأن الإخوان بعد أن كانوا دعاة دين قد أصبحوا محترفي سياسة، وأنهم بذلك ينافسون الأحزاب القائمة ويناوئونها ويخاصمونها، ويعلنون عليها حربًا لا هوادة فيها، فعليها أن تعلن عليهم الحرب من كل مكان، وأن تتغدى بهم قبل أن يتعشوا بها، هذه التي ما كانت تخطر لنا ببال، والتي ينقضها من أساسها مسلك[1] الإخوان في دورتين من دورات الانتخابات، فإن الذي يتابع ما ذكرنا من خطوات سابقة يخرج ولا شك بالنتائج الآتية:

(١) في الأصل: «سلك».

١- أننا لم نكن نطلب من وراء هذا الترشيح حكمًا ولا مغنمًا بدليل أننا لم نقدم في المرة الأولى إلا اثنين وفي المرة الثانية إلا ستة.

٢- وأننا لم نقصد بذلك مناوأة أحد أو خصومته بدليل أننا تنازلنا في المرة الأولى، وتفاهمنا في المرة الثانية، وأعلنا في كلا المرتين أننا نشجع أهل الخير والصلاح مهما كانت ألوانهم الحزبية.

٣- أننا لم ننحرف بذلك عن نهج الدعوة القويم، وصراطها المستقيم؛ فقد أعلنا في وضوح، وخصوصًا في المرة الثانية أن المرشحين إنما يتقدمون بصفتهم الشخصية لا بصفتهم الإخوانية، وأن من واجب الإخوان أن يناصروا من المرشحين من يأملون فيهم العمل لصالح الفكرة الإسلامية، هذا فضلاً عن أن نجاح الإخوان في البرلمان من خير ما يساعد على ظهور الدعوة وقوتها ونجاحها، وهو حق مكفول لكل مواطن، ومن الظلم أن يحرم منه شخص بسبب انتسابه إلى الدعوة، أو جهاده في سبيل الفكرة.

ولكن هكذا كان، وانطلقت الألسنة بقالة السوء تكيل الاتهام وتلغ[1] في الظلام، ووقفنا نحن أمام هذه الحملات الظالمة مستغربين مندهشين آسفين، نقول كما قال سيدنا وهادينا وإمامنا من قبل: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[2]، ونتمثل قول الله الحق المبين: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ • إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٥-٥٦].

ويقول بعض الخلصاء الذين لا يتهمون في رأي ولا نصيحة: إنكم تعجلتم الأمر قبل الأوان، وكان عليكم أن تنتظروا فترة طويلة حتى يتم النضج الشعبي، ويكتمل الوعي القومي، وحينئذ تكونون المطلوبين لا الطالبين، والمدعوين لا الداعين، وسواء أكان هذا القول صحيحًا كل الصحة أم مبالغًا فيه بعض المبالغة، فحسبنا أننا ما قصدنا إلا الخير، وما أردنا إلا النفع، وما تحرينا إلا ما اعتقدنا أنه الحق، وعلم ما بعد

---

(١) الوَلْغُ: شُرْبُ السِّباغ بألْسِنتها. ومن المجاز: فلان يأكل لحوم الناس ويلغ في دمائهم» [لسان العرب وأساس البلاغة، مادة (ولغ)].

(٢) سبق تخريجه.

ذلك عند الله العليم الخبير، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ولكل مجتهد نصيب إن أصاب فأجران، وإن أخطأ فأجر واحد، ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

والآن وقد قاربت دورة مجلس النواب الحالي الانتهاء، ولم يبق إلا عام واحد على الانتخابات الجديدة، ما لم يطرأ ما ليس في الحسبان، يتساءل الناس عن موقف الإخوان من الانتخابات القادمة هل يقدمون أم يحجمون؟ ولكل من الرأيين مرجحاته ومبرراته وحسناته وسيئاته، وإليكم بعض ما يقال من ذلك، والخير يقدمه الله ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

يقول الذين يرون التقدم والإقدام:

١- إن الإخوان قد جاهدوا عشرين سنة أو تزيد حتى وضحت للناس فكرتهم، واستبانت مقاصدهم، واجتمع لهم من القلوب والأنصار ما لم يجتمع لغيرهم، وإن لهم من تأثير دعوتهم ودقة نظامهم وشعلة حماستهم ما يضمن لهم النجاح مائة في المائة، هذا مع ملاحظة تفكك الأحزاب من غيرهم، واختلاط مناهجها، بل فقدان هذه المناهج، وضعف تشكيلاتها، بل انعدام هذه التشكيلات، وعجز رجالها وقادتها.. فكيف يسمح الإخوان لأنفسهم أن تفلت هذه الفرصة من أيديهم، وهي إن أفلتت فلا يدرون ما سيكون عليه الحال بعد ذلك.

٢- هذا مع تطور الحوادث العالمية، وجسامة التقلبات الدولية، وتعرض الشعوب العربية والإسلامية إلى كثير من التطورات التي تفرض على الغيورين عليها، والحريصين على مصلحتها أن يكونوا في مراكز تسمح لهم بالتوجيه والتواجد الحقيقي، ومن أولى بذلك وأقدر عليه من الإخوان، وهم قد درسوا هذه القضايا، ومارسوا الجهاد في سبيلها بألسنتهم وأقلامهم ودمائهم وأرواحهم، ونفذوا بذلك إلى دقائقها وخفاياها، وأصبحوا أعرف الناس بمواردها ومصادرها، فكيف يرضون لأنفسهم أن يتخلفوا عن الركب ويقعدوا في ساعة العسرة، وما الفرق بين هذا الموقف وموقف التولي يوم الزحف، والفرار عند لقاء الخصم، وعهدنا بالإخوان أنهم الكرارون لا الفرارون، وأنهم أسرع الناس إلى تلبية النداء وإجابة الدعاء.

٣- ولكن مع هذا صرحاء في الحق لا تأخذنا فيه لومة لائم، فنقول: هل أمام أصحاب الدعوات، وحملة الرسالات في هذا العصر من سبيل مشروعة إلى تحقيق مقاصدهم، والوصول إلى أهدافهم إلا هذه السبيل الدستورية: السلطة التشريعية أولاً، فالسلطة التنفيذية بعد ذلك، وإنما يكون طلب الحكم والسعي إليه عيبًا وعارا وسبة إذا أريد به الجاه الزائف والعرض الزائل، أما أن يقصد من وراء ذلك تحقيق مناهج الإصلاح، وإظهار دعوة الخير، وإعلاء كلمة الإسلام والحق فلا عيب فيه ولا غبار عليه بل لعله يكون من أقدس الواجبات وأعظم القربات، ويجب أن نطلب ونسعى إليها لا لأنفسنا، بل لدعوتنا ورسالتنا؛ ليحكم الناس بعد ذلك لنا أو علينا، أما هذا الموقف السلبي فليس وراءه إلا ضياع الوقت بغير طائل، وإلا فما هي الوسيلة التي يراها الإخوان لتحقيق رسالتهم غير التقدم إلى البرلمان؟ الوعظ والإرشاد والدعوة والإقناع ومخاطبة النفوس والأرواح وهي سبيل الفلاسفة والخياليين لا سبيل المصلحين العمليين.

٤- ثم ما لكم تنفرون من الانتخابات في مصر، وقد تقدم الإخوان سافرين إلى الانتخابات في سورية فنجح منهم سبعة في البرلمان السوري، كانوا بحمد الله مفخرة الشباب، وزينة النواب، وأصبح للدعوة في القطر الشقيق كلمتها المسموعة، ورايتها المرفوعة.

٥- وإذا قلتم: إن ذلك سيصبغنا بالصبغة الحزبية، وسيجر علينا الخصومات السياسية، وسيلون الدعوة بغير لونها الحقيقي، ويقذفها بسيل من الاتهامات المغرضة نحن في غنى عنه، ويباعد بيننا وبين كثير ممن يرجى منهم الخير، ويجعلنا حزبًا في مصاف الأحزاب، مع أننا نؤمن ونعتقد ونقول: إن دعوتنا بشمولها وعلوها وسموها تفوق الأحزاب.

والجواب على هذا: أن العبرة بالمقاصد والغايات لا بالمظاهر والشكليات، وبالحقائق والمسميات لا بالأسماء والصفات، وما دمنا بمقصدنا ودعوتنا وأسلوبنا فوق الخصومة الحزبية والغايات الشخصية والمطامع المادية فلا يضيرنا أبدًا ما يقول الناس، وسيجذب الله إلينا قلوب أهل الخير -أينما كانوا- وسيكون انصراف المنصرفين عنا دليلاً على تخير الله لنا، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وأية دعوة هذه التي تريد ألا يكون لها خصوم وأعداء، وسنة الله الماضية في الدعوات أن تظل هدفًا لسهام الخصومات والاتهامات ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ

مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣]، وما دمنا فكرة سامية ودعوة عالية، وجماعة نقية، وأمة تقية، فليقل الناس: حزب أو غير حزب، وليظنوا بنا ما شاءوا، فإن الظن لا يغني من الحق شيئًا، ومهمتنا أن نحاول بالدعاية الصادقة والجهود الدائبة أن تصحح الأفهام، وتحارب الأوهام، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨].

ويقول الذين يرون أن نحجم عن التقدم إلى الانتخابات بتاتًا أو هذه الدورة على الأقل:

١- إنه مع التسليم بما هو معروف عن الإخوان في كل مكان من أكثرية ساحقة، وأنهم بنصاعة فكرتهم، وتأثير دعوتهم، ودقة نظامهم، وتعلق القلوب بهم، وأن الأمة المصرية تستجيب لدعوة الدين، وصوت الإيمان واليقين، وبما يقابل ذلك من تفكك بقية الأحزاب والهيئات، وإقلالها من المناهج والأعمال سيضمنون النجاح مائة في المائة.

٢- ولقد أثار تقدم الإخوان للانتخابات في الدورتين الماضيتين غبارًا كثيفًا أخفى لمعان إخلاصهم عن العيون، وحجب إشراق دعوتهم عن كثير من القلوب، وصرف عنهم كثيرًا ممن كان يرجى منهم الخير فعلاً، ولكن لهم من ظروفهم أو أسلوب تفكيرهم ما يجعلهم يؤثرون العافية، ولا يريدون أن يقتحموا هذه المزالق مع المقتحمين، ومن الخير والحق كذلك أن نكون صرحاء، فنقول: إن الإخوان أمام تألب خصومهم على اختلاف أحزابهم عليهم، وأمام موجات الاتهامات الباطلة الغامرة التي وجهت إليهم، وأمام أساليب التهريج المضللة التي حوربوا بها أمدًا طويلاً، وأمام المفاجأة بهذا كله مفاجأة لم يكونوا ينتظرونها لطهر نفوسهم، وسلامة طويتهم، وتعففهم عن مثل هذه الأساليب لم يستطيعوا أن يحولوا بين جانب كبير من الرأي العام الشعبي، وبين التأثر بهذه الدعايات المضللة، فمن هذا الجانب من انصرف لشأنه، ومنهم من وقف يترقب نتيجة المعركة هواه مع الإخوان، وحجاب التضليل قائم بينه وبين ما يهوى، ومن الخير للإخوان ومن الرحمة بالناس، والرحمة أخص خصائص أهل الدعوة أن تعمل على غشيان هذا الميدان، وأن من أدب الإسلام الذي أدبنا به رسول الله ﷺ «ومن اتقى

الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»[١]، «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[٢].

٣- وأيضًا فإن الإخوان ينظرون إلى هذا النظام الحزبي بصورته الحاضرة على أنه نظام لا يرتاحون إليه، وليس معنى هذا أنهم ينكرون المبادئ الشورية أو القواعد الأساسية التي قام عليها النظام الدستوري المصري وكلها من حيث المبادئ العامة تتفق تمامًا مع الإسلام، وإذا كان هذا هو رأي الإخوان، فلماذا يورطون أنفسهم؟!

٤- وإذا قيل: فما الوسيلة إذن إلى تحقيق الفكرة، كان الجواب على ذلك لا دخول انتخابات وعلى الجميع أن يستقيموا على أمر الله العزيز الحميد، بعيدين عن مواطن الشبهات، ومزالق الاتهامات، دعاة مؤمنين مجاهدين نعبد الله مخلصين له الدين حنفاء لله رب العالمين، نقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر حتى يفتح الله بيننا وبين الناس بالحق، وهو خير الفاتحين، ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وبعد؛ فهذه حجج الطائفتين، ومنطلق الفريقين، أضعه أمام أنظاركم، ثم أقترح عليكم بهذه المناسبة اقتراحًا، أرجو أن يظفر بموافقتكم، فإن أسوأ الرأي الفطير[٣]، ونعوذ بالله من الرأس الدَّبري[٤].

أقترح أن ننتهز هذه الفرصة من الآن إلى الانعقاد العادي للهيئة في المحرم -إن شاء الله، فنوجه إلى الإخوان وإلى من شاء أن يدلي بدلوه في الدلاء.

---

(١) أخرج البخاري في «الإيمَان»، باب: «فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ»، ح(٥٠)، ومسلم في «الْمُسَاقَاةِ»، باب: «أَخْذِ الْحَلالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ»، ح(٢٩٩٦) من طريق النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ» واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه الترمذي في «صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، ح(٢٤٤٢)، وأحمد في «حَدِيثُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا»، ح(٢٩٩٦) ومواضع أخر، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، ح(٢٥١٨).

(٣) الفطير: كل شيء أعجلته عن إدراكه فهو فطير، ويقال: إياك والرأي الفطير، والمراد الرأي المتعجل. [الصحاح، مادة (فطر)].

(٤) يقال: شر الرأي الدبري: وهو الذي يسنح أخيرًا عند فوت الحاجة. [السابق، مادة (دبر)].

[فهل يحق للإخوان المسلمين][١] الابتعاد عن الانتخابات الحزبية، أم أن الخير للدعوة وأبنائها في اقتحام ميدان الانتخابات النيابية والتمثيل في هذه الهيئات الرسمية؟

وإذا كنت ترى ألا يتقدم الإخوان إلى الانتخابات، فهل لهذه الدورة فقط أم في كل الحالات والدورات؟!

وإذا كان من رأيك عدم التقدم، فهل تجيز أن يتقدم من شاء من الإخوان إلى الترشيح مستقلاً بصفته الشخصية لا بسمعته الإخوانية؟ (على أن يكون مفهومًا أن ذوي الصفات البارزة في الإخوان، كالمرشد والوكيل، والسكرتير العام والأمين خارجون عن هذا الجواز لصعوبة الفصل بين صفاتهم الخاصة والعامة).

كما أقترح أن ترسل الإجابات من الآن إلى ما قبل الموعد المضروب بأسبوعين باسم اللجنة السياسية للإخوان المسلمين، ثم تقوم بفحص الردود وكتابة تقرير وافٍ بنتيجة الاستفتاء، وبرأيها في الأمر يتلى على الهيئة، وتقول فيها كلمتها التي يصدر عنها الإخوان، ويحددون على ضوئها موقفهم من الانتخابات القادمة، على أن يكون مفهومًا تمام الفهم أن من واجب الإخوان أن يبادروا بقيد أسمائهم وتسجيلها في جداول الانتخابات في ديسمبر القادم إن شاء الله، وأن ينظموا شئونهم في هذه الناحية أدق التنظيم، فإنهم إن لم يكونوا مرشحين فسيكونون على أية حال ناخبين، ولن يضيرهم الاستعداد شيئًا، وقد قيل: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»، والله أسأل أن يلهمنا جميعًا السداد والرشد، وأن يوفقنا لكلمة الحق وعمل الخير، وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٢]

* * *

(١) في الأصل: «هذا الإخوان المسلمين»، وقد اجتهدنا في كتابة ما يريده الإمام.

(٢) وقد وافقت الهيئة على هذا البيان بالإجماع واللجنة السياسية الأم توجه الاستفتاء وتنظر الآراء، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

ملحق الإخوان والانتخابات

لماذا يشترك الإخوان

في انتخابات مجلس النواب؟[(١)]

قرر المؤتمر السادس للإخوان المسلمين المنعقد بالقاهرة في ذي الحجة ١٣٦١هـ أن يشترك الإخوان المسلمون في الانتخابات النيابية، وأخذ مكتب الإرشاد العام بهذا القرار وقدم بعض الإخوان في الانتخابات الماضية، وقرر الأخذ بهذا القرار كذلك في الانتخابات المزمع إجراؤها بعد حل مجلس النواب القائم.

وتساءل بعض الناس: لماذا يشترك الإخوان المسلمون في الانتخابات؟

والإخوان المسلمون كما عرف الناس -وكما أعلنوا عن أنفسهم مرارًا- جمعية للخدمة العامة، ودعوة إصلاحية تجديدية تقوم على قواعد الإسلام وتعاليمه.

فأما أنهم جمعية للخدمة العامة فذلك هو الواضح من ممارستهم في شعبهم لأنواع هذه الخدمة من: ثقافة وبر وإحسان ورياضة وإصلاح بين الناس، وإقامة للمنشآت ما بين مساجد ومعاهد ومشافٍ وملاجئ في حدود طاقتهم ومقدرتهم.

وأما أنهم دعوة إصلاحية فذلك أن لب فكرتهم وصميمها أن يعود المجتمع المصري والمجتمعات الإسلامية كلها إلى تعاليم الإسلام وقواعده التي وضعها في كل شئون الحياة العملية للناس.

ومن البدهي الذي لا يحتاج إلى بيان أن الإسلام ليس دين عقيدة وعبادة فقط، ولكن دين عقيدة وعبادة وعمل تصطبغ به الحياة في كل مناحيها الرسمية والشعبية.

أولئك هم الإخوان المسلمون، جمعية، ودعوة، والدعوة لب فكرتهم، وثمرة جهادهم، والهدف السامي لكفاحهم الطويل من قبل ومن بعد.

وعماد الدعوة لتنجح وتظهر، تبليغ واضح دائم يقرع بها أسماع الناس، ويصل بها

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (٤٦)، السنة الثانية، ١٨ ذو القعدة ١٣٦٣- ٤ نوفمبر ١٩٤٤، ص(٣-٤).

إلى قلوبهم وألبابهم، وتلك مرحلة يظن الإخوان المسلمون أنهم وصلوا بها[١] في المحيط الشعبي إلى حد من النجاح ملموس مشهود.

وبقي عليهم بعد ذلك أن يصلوا بهذه الدعوة الكريمة إلى المحيط الرسمي، وأقرب طريق إليه «منبر البرلمان»؛ فكان لزامًا على الإخوان أن يزجوا بخطبائهم ودعاتهم إلى هذا المنبر؛ لتعلو من فوقه كلمة دعوتهم، وتصل إلى آذان ممثلي الأمة في هذا النطاق الرسمي المحدود بعد أن انتشرت فوصلت إلى الأمة نفسها في نطاقها الشعبي العام؛ ولهذا قرر مكتب الإرشاد العام أن يشترك الإخوان في انتخابات مجلس النواب.

وإذن فهو موقف طبيعي لا غبار عليه، فليس منبر البرلمان وقفًا على أصوات دعاة السياسة الحزبية على اختلاف ألوانها، ولكنه منبر الأمة تسمع من فوقه كل فكرة صالحة، ويصدر عنه كل توجيه سليم يعبر عن رغبات الشعب، أو يؤدي إلى توجيهه توجيهًا صالحًا نافعًا.

وسيفيد الإخوان من هذه الخطوة فوائد جليلة.. سيفيدون على أسوأ الفروض انتهاز هذه الفرصة لنشر الدعوة في هذا المحيط الذي تعترك فيه الفكر، وتشتجر فيه الآراء، وما كان لدعوة الحق الكريم أن يخفت صوتها في وقت تعلو فيه كل الأصوات، ويختلط فيه الحابل بالنابل، ولا قيام للباطل إلا في غفلة الحق.

وسيفيدون -بعد ذلك- أن يفهم الناس أن دعوتهم لا تقف عند حدود الوعظ والخطابة، ولكنها تحاول أن تشق طريقها إلى المنابر والمجتمعات الرسمية، وأن على المؤمنين بهذه الدعوة أن يهيئوا أنفسهم لهذا الميدان، وأن يستعدوا لخوض غماره.

وسيفيدون إرشاد الناس إلى هذا المظهر الكريم من مظاهر التنافس الفاضل الشريف في هذا الميدان.

ستقوم دعاية الإخوان على المبادئ والأهداف، وسيرى الناس أمامهم لونًا فريدًا جديدًا من ألوان الدعاية الانتخابية البريئة المطهرة تستمد من قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ

---

(١) في الأصل: «بهم».

بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

هذه فوائد مقطوع بها مهما كانت النتيجة الانتخابية.

وسيفيد الإخوان بعد ذلك -إذا قدر لهم النجاح- وهو المأمول إن شاء الله هذه الصفة الرسمية لدعوتهم، وهذا التسجيل الرسمي لنجاحهم في وصولها إلى آذان الشعب ومداركه.

وسيرى كثير من الناس في هذا النجاح بوادر الأمل القوي في نهضة جديدة وحياة جديدة، ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢].

سيخوض الإخوان هذه المعركة وعمادهم تأييد الله إياهم، ودعايتهم فكرتهم التي اختلطت بصميم نفوسهم وأرواحهم، وعدتهم إيمان أنصارهم بأحقية الفكرة بأن تقود الأمة وتهدي الناس سواء السبيل.

ويتساءل فريق من الناس فيقولون: أليس معنى هذا الاشتراك أن الإخوان سيخرجون من حيزهم الديني إلى حيز سياسي فيصبحون هيئة سياسية بعد أن كانوا هيئة دينية؟!

ونقول لهؤلاء: إن الإسلام لا يعترف بهذا التفريق بين الأوضاع في حياة الأمة الواحدة؛ فالهيئة الدينية الإسلامية مطالبة بأن تعلن رأي الإسلام في كل مناحي الحياة، والطريق البرلماني هو أقرب الطرق وأفضلها لهذا الإعلان، ولا يخرجها هذا عن صفتها، ولا يلونها بغير لونها.

وتقول طائفة ثالثة: أليس هذا التنافس مما يكسب الإخوان أعداء ومنافسين، والدعوة أحوج ما تكون إلى مصادقة الجميع وتأييد الجميع؟

وذلك كلام طيب جميل، ونحن أحرص ما نكون على أن تظفر الدعوة بهذا الموضع من القلوب، وستكون المعركة الانتخابية الإخوانية معركة مثالية في البعد عن المثالب الشخصية، أو إثارة الأحقاد والحزازات، فإذا فهم الناس هذا المعنى وبادلونا إياه فسندخل أصدقاء ونخرج أصدقاء، وإذا لم يفهموه ولم يقدروه فهم الملومون، وليست الدعوة ولا أصحاب الدعوة بمكلفين بأن يتجنبوا طرائق نجاحها خشية الناس، والله أحق أن نخشاه، وأية دعوة في الدنيا نريد ألا يكون لها منافسون وخصوم؟ وحسب الدعوة

وأصحاب الدعوة شرفًا ألا يخاصموا الناس في الباطل، بل في الحق، وأن يحاربوا بأنظف الأسلحة وأنبل الوسائل.

ويوجه بعض المتسائلين سؤالاً جميلاً فيقولون: وماذا تصنعون في اليمين الدستورية إذا نجحتم، وفيها النص على احترام الدستور، وأنتم -معشر الإخوان- تهتفون من كل قلوبكم: القرآن دستورنا؟

والجواب على ذلك واضح مستبين: فالدستور المصري بروحه وأهدافه العامة من حيث الشورى، وتقرير سلطة الأمة، وكفالة الحريات لا يتناقض مع القرآن، ولا يصطدم بقواعده وتعاليمه، وبخاصة وقد نص فيه على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، وإذا كان فيه من المواد ما يحتاج إلى تعديل أو نضوج، فقد نص الدستور نفسه على أن ذلك التعديل والنضوج من حق النواب بطريقة قانونية مرسومة، وتكون النيابة البرلمانية حينئذٍ هي الوسيلة المثلى لتحقيق هتاف الإخوان.

وبعـــد...

فقد اختار مكتب الإرشاد العام هذا القرار، واتخذه بعد أن درس الموضوع من كل وجوهه، وهو مع ذلك يرقب سير الأمور عن كثب، وسيرسم للإخوان طريق اشتراكهم في هذه الانتخابات على ضوء ما سيرى من ظروف وملابسات، وسيكون رائده في ذلك الحكمة التامة، ومراعاة الظروف العامة والخاصة، وأن يكتسب للدعوة أعظم الفوائد بأقل التضحيات.

والأمور بيد الله وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

الإخوان المسلمون والانتخابات[1]

حديث مع الأستاذ محمد أبي زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول

س - ما رأيكم في أن يرشح بعض الإخوان المسلمين أنفسهم لكراسي النيابة في مجلسي الشورى في مصر؟

ج - إن ترشيح بعض الإخوان المسلمين الذين يستمسكون بالعروة الوثقى، وللدين الاعتبار الأول في نفوسهم أمر واجب جد واجب؛ لأنه يحمي جماعة الإخوان وينشر دعوتهم، ويفيد الحياة النيابية في مصر.

أما حمايته لجماعة الإخوان؛ فلأن وجود نواب يمثلونهم يمكن الجماعة من أن ترفع صوتها في دار الشورى بالشكاة العادلة مما عساه يقع على أعضائها من: مظالم، أو اضطهادات، أو نحو ذلك مما تتعرض له الجماعات في مصر.

وأما أنه سبيل لنشر فكرتها؛ فلأنها[2] تمكن ممثليها من أن يدلوا بآراء الجماعة الصحيحة في كل ما يعرض من قوانين تدرس في دار الشورى من مسائل إدارية ونظامية، وإن صوتهم سيكون صوت الإسلام يتردد تحت قبة البرلمان، وهو رقابة قوية تستمد قوتها من الدين كضمان وثيق لكي تسير أمور الدولة في جل أمرها غير متجانفة عن الإسلام، ولا مجافية لأحكامه.

وأما فائدتها للنيابة في مصر؛ فلأن نواب الجماعة سيكونون ممثلين لفكرة فوق تمثيلهم لناخبيهم، وسيعملون تحت سلطان هذه الفكرة على أن يكونوا رقباء على الحكومة فاحصين لأعمالها -ناقدين أو مؤيدين- على أساس من القسطاس المستقيم، وبذلك

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (٤٧)، السنة الثانية، ٢ذو الحجة ١٣٦٣هـ- ١٨نوفمبر ١٩٤٤م، ص(٧).

(٢) في الأصل: «فلأنه».

يعلم سائر النواب، وتعلم الأمة أن عمل النائب ليس التردد في الدواوين حاملاً للشفاعات، متوسلاً بالرجاء لقضاء الحاجات، فلا يكون عنده قوة للاعتراض على من توسل إليهم، ولا للرقابة عليهم.

إن عمل النائب الذي خلق له أن يراقب الوزراء لا أن يرجوهم، وأن يصلح الإدارة المصرية لا أن يفسدها، وأن يقطع السبيل على من يجعلون الأمور تسير بالشفاعة والضراعة، لا أن يروج الشفاعة في صفوف القائمين بالأمر في الكافة.

على هذه الجادة يسير ممثلو الإخوان، فيكونون مثلاً صحيحًا لممثلي الأمة، وما يجب أن يكون عليه النائب الذي يعرف غايته وغرضه وهدفه.

س - إن بعض الإخوان يقول: إن دخول نائب من الإخوان يقتضي ضمنًا الرضا بكل القوانين الحاضرة التي تسير عليها مصر، ومن هذه القوانين ما ترى الجماعة وجوب تغييره؛ ولذلك يتحرج هؤلاء من فكرة ترشيح بعض الإخوان لأنفسهم، فما رأيكم في ذلك؟

ج - إن المقرر فقهًا ومنطقًا أن الدلالات الضمنية لا تتعارض مع الدلالات الصريحة، وقد أعلنت الجماعة في كل دعواتها وجوب تغيير ما ترى تغييره من قوانين الدولة، فلا يمكن أن يكون دخول نواب منها دالاً على رضاهم بهذه القوانين، إلا إذا أعلنوا الرضا صراحة حتى يلغوا كلامهم الأول، وإن الطريق المعبد لتغيير ما يراد تغييره من قوانين هو دخول دار الشورى؛ لأن القوانين تغير بها.

ولو قلنا: إننا لا ندخل حتى تتغير القوانين التي نرى تغييرها فعلاً لكان معنى ذلك أن الإخوان لا يدخل أحد منهم دار الشورى إلا بعد الوصول إلى الغاية الكبرى للإخوان، وكأنهم بذلك يصدون أنفسهم عن باب من أبواب الجهاد، والجهاد باب من أبواب الجنة.

وإذا كان بعض الإخوان يتحرج من قسم النائب باحترام الدستور فليس لتحرجه

معنى؛ لأن الدستور في لب معناه تنظيم للشورى، ووضع حدود ورسوم لها، وليس في ذلك أي مجافاة للقرآن العظيم؛ لأن الشورى جاء بها القرآن فقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وليس ذلك بمانع من أقسم باحترام الدستور من أن يسعى في تغيير بعض القوانين التي تخالف الإسلام وتجافي أحكامه، وإلا لكان معنى ذلك أنه ليس للنواب أن يغيروا أي قانون، وذلك قول بعيد عن المنطق بعده عن الواقع وعن الدستور وعن نصوصه وأحكامه ومعانيه.

❊ ❊ ❊


النادي الشبابي

رسالة
قضيتنا

بين يدي الرأي العام المصري والعربي والإسلامي

يناير ١٩٤٩م

تقـــديم

هذه الرسالة هي آخر ما كتبه الإمام البنا، وقد رد فيها على الاتهامات التي وجهت للإخوان مثل: مقتل النقراشي، ونسف المحكمة، وبيَّن فيها السبب الحقيقي وراء إصدار أمر حل الجماعة، وموقف الحكومة المصرية من الإخوان، وماذا قدم الإخوان لوادي النيل.

وقد كتبت هذه الرسالة قبيل اغتيال الإمام البنا بوقت قصير في يناير ١٩٤٩م.

ولقد أصدر الأستاذ فهمي أبو غدير هذه الرسالة في كتيب عام ١٣٩٨هـ الموافق ١٩٧٨م وقدم لها، وأرفق بها الرد على مذكرة حل الجماعة والتي كتبها الإمام البنا يرد فيها على مذكرة عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية، والتي حدد فيها أسباب حل الجماعة.

* * *

قضيتنا

بين يدي الرأي العام المصري والعربي والإسلامي والضمير والعالمي[١]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكمل المؤمنين وسيد المجاهدين وعلى آله وصحبه أجمعين.

قضيتنا بين يدي الرأي العام المصري والعربي والإسلامي والضمير الإنساني العالمي:

تقديم:

لقد سمع الرأي العام المصري والعربي والإسلامي قضية الإخوان المسلمين من جانب واحد، هو جانب الحكومة التي اعتدت على هذه الهيئة بإصدار أمر عسكري بحلها، وهو الجانب الذي يملك كل وسائل الدعاية من الصحف الخاضعة للرقابة كل الخضوع، ومن الإذاعة التي تديرها وتهيمن عليها الحكومة، ومن الخطباء في المساجد الذين هم موظفون حكوميون، ولكن هذا الرأي العام لم يسمع من الطرف الآخر.. لم يسمع من الإخوان المسلمين الذين حُرِموا كل وسائل الدفاع عن أنفسهم وشرح قضيتهم للناس، فصودرت صحفهم، وعطلت أقلامهم، وكممت أفواههم، واعتقل كل خطيب لهم، واعتبر كل اجتماع خمسة منهم في أي مكان جريمة أقل عقوبتها السجن ستة أشهر.

لهذا كان من الواجب أن نتقدم بهذا البيان للرأي العام المصري والعربي والإسلامي والضمير الإنساني العالمي حتى لا يقع الخطأ ويظلم في الحكم ويحكم بسماع خصم واحد، وقد قيل: إذا جاءك خصم وعينه مقلوعة فلا تحكم حتى ترى خصمه فقد تكون عيناه الاثنتان مقلوعتين.

وإنا لنرجو بعد هذا أن يناصرنا الرأي العام على من اعتدوا علينا، وأن يطالب بكل شدة برفع هذا الظلم الصارخ عنا، وإطلاق حرية الدعوة الصالحة النافعة: دعوة المبادئ السامية والأخلاق الفاضلة لتقوم بنصيبها في خدمة المجتمع الإنساني المتعطش لهذا الغذاء من الروحانية وسمو الأخلاق.

---

(١) رسالة قضيتنا آخر ما كتب الأستاذ البنا وقدمها الأستاذ فهمي أبو غدير للنشر، ولقد اعتمدنا على طبعته التي نشرت عام (١٩٧٨م).

الفصل الأول

نماذج من المظالم الواقعة على الإخوان المسلمين

فهل يعلم هذا الرأي العام أن الأمر العسكري بحل الإخوان المسلمين قد وضع واستخدم ونفذ بالصورة التي أنتجت هذه المظالم التي تقشعر من هولها الأبدان وهذه بعض نماذج منها:

١ - الاعتقال:

اعتقل بالأمر العسكري إلى تاريخ هذا البيان (١٠٠٠) ألف شخص في القاهرة والأقاليم، وقد وزعوا على معتقلات.. وسجون الأقسام وسجون المديريات والمراكز في الريف وهؤلاء المعتقلون ليسوا متهمين في شيء ولا موجهة إليهم أية تهمة، وهم ما بين أستاذ الجامعة كالأستاذ حسين كمال الدين، أو في الأزهر كالأستاذ بهي الخولي[١]، أو في المعاهد العليا كالأستاذ عبد العزيز كامل[٢] وأحمد كامل سليم، أو في دار العلوم كالأستاذ أحمد عبد العزيز جلال، أو في معاهد التعليم على اختلاف درجاتهم، ومنهم المحامون الكبار والتجار الفضلاء والعمال الأوفياء والطلاب النجباء، وليس فيهم أبدًا متهم ولا مجرح.

وقد طبقت على هؤلاء المعتقلين قواعد هي الظلم المجسم لم يرها الناس ولم يعرفوها في أي نظم[٣] الاعتقال السياسي، وعوملوا أسوأ المعاملة.

ينامون في الأقسام على الأسفلت، ويعذبون فيها، ولا يصل إليهم شيء مما يقدمه[٤]

---

(١) البهي الخولي: أحد كبار العلماء من الأزهر الشريف الذي تربى على يديه عدد من جيل الإخوان أمثال الأستاذ يوسف القرضاوي والأستاذ أحمد العسال والأخ محمد الدمرداش وغيرهم من صفوة شباب الدعوة الأزهري في ذلك الحين، له كتابه القيم «تذكرة الدعاة» الذي هو منهج هام لكل داعية إلى الله، قدّمه الإمام البنا وأثنى عليه.

(٢) عبد العزيز كامل: نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف وشئون الأزهر في عهد السادات، الذي جاهد وابتلي كثيرًا في سبيل الدعوة، ابتعد عن مصر ردحًا من الزمن.

(٣) في الأصل: «نظام».

(٤) في الأصل: «يقدم».

لهم أهلوهم أو ذوو[١] قرباهم من طعام أو فراش وقد مضى على بعضهم -وهم الذين لم يتعودوا أبدًا هذه الحياة- أسابيع على هذا الحال في هذا البرد الشديد والجو القارس، وقد مرض بعضهم بالنزلات الشعبية وبمختلف الأمراض، ولم يجدوا أي نوع من العناية الطبية حتى أصبح يخشى على حياة بعضهم وهم صابرون محتسبون، والحكام عنهم غافلون والشعب لا يعلم حقيقة الحال!

فلقد أُوقف الموظفون منهم عن أعمالهم وحجزت مرتباتهم، وصودرت أموالهم الخاصة في المنازل بالتفتيش، وفي المصارف بالحجز، وفصل العمال منهم عن أعمالهم، ورفت الطلاب من مدارسهم، وأخذت عرباتهم الخاصة وآلات الراديو من منازل الكثير منهم، وعطلت تليفوناتهم، ووقع عليهم من أنواع الاضطهاد ما لا يعلم إلا الله. فمن أين تنفق ألف أسرة مصرية، وقد سدت أمامها الموارد، وأخذت عليها الطرق بهذه الصورة التي ليس لها أي نظير، وإذا علم أن أحد الأقرباء أو الأصدقاء تردد إلى هذه الأسر فعاد مريضها[٢] أو عال محتاجها كان نصيبه هو الآخر الاعتقال، ولم يراع في هذا الاعتقال أي معنى من المعاني الإنسانية؛ فكان يعتقل من البيت الواحد أربعة إخوة وثلاثة أصهار مثلاً، أو أخوان[٣] وأصهارهما وهم كل من يستطيع أن يقوم على هذا البيت، فتعطل المصالح وتغلق المتاجر وتقفر المساكن من السكان، فهل سمع الناس بمثل هذا حتى في معسكرات النازية حين كانت تعتقل اليهود، وهل فعلت الحكومات المصرية عُشر هذا مع معتقلي الصهيونية والحرب على أشدها؟ والله لا!

٢ - الفصل والنقل والتشريد

ولقد وقفت الحكومة من الموظفين الذين اتصلوا بالإخوان موقفا كله الخصومة والعداء، ففصلت أكثر من (١٥٠) موظفًا من الموظفين الصغار الذين تعلم أنهم لا يستطيعون حولا ولا قوة في مقاضاتها أمام مجلس الدولة، وشردت من القاهرة وحدها إلى الوجه القبلي (٥٠٠) موظفًا من مختلف المصالح، ومن كل مديرية قريبًا من هذا العدد بين مدرسين وكتبة ورؤساء أقسام.. إلخ في الوقت الذي بدأت فيه المدارس، وانتظم فيه الأبناء من الطلاب كل في معهده، وأخذت أزمة المساكن في كل مكان بمخانق الناس،

---

(١) في الأصل: «ذوي».

(٢) في الأصل: «مرضها».

(٣) في الأصل: «أخوين».

وكل تهمة هؤلاء الموظفين الذين يستحقون عليها هذا العذاب أنهم اتصلوا بالإخوان المسلمين في يوم من الأيام، ولقد أحدثت هذه الحركات اضطرابًا في النفوس والأعمال، فضلاً عن أنها فتحت الباب على مصراعيه للوشاية والكيد والدس والانتقام، واتخذها صغار النفوس سلاحًا للتنكيل بزملائهم في كل مكان، وصار كل من أراد أن ينتقم من موظف تقدم إلى إدارة الأمن العام بخطاب مجهول: أن هذا الموظف يعمل للإخوان، وما هي إلا ساعات حتى يرى نفسه في قنا أو أسوان من غير دليل أو برهان! فهل سمع الناس بمثل هذا الإجحاف في زمن من الأزمان؟

٣ - فصل الطلاب

ولقد أبعد عن كليات الجامعة والمدارس الثانوية نحو (١٠٠٠) ألف طالب أو يزيدون ممن عرف أنه كان له صلة بالإخوان المسلمين، وأغلقت في وجوههم معاهد التعليم، واعتقل الكثير منهم وفصل الباقون، وأصبحوا مشردين في الشوارع والطرقات في هذه السن التي تشتعل فيها قوة الشباب البدنية والذهنية، وتنمو فيها كل عوامل النشاط والحيوية التي إن لم تعرف الخير فإنها ولاشك تنصرف إلى الشر والضرر والفساد.

٤ - مصادرة الأموال الخاصة والشركات

وكان من أعجب الأمور أن تصدر الأوامر العسكرية بمصادرة مرتبات وأموال عدد كبير من المواطنين لا لشيء إلا أنهم كانوا في يوم من الأيام أعضاء في الإخوان المسلمين، فيذهب التاجر أو الموظف إلى المصرف لسحب بعض أمواله فيجد هناك الأمر العسكري قد سبقه بمنع البنك من صرف شيء حتى تصدر تعليمات أخرى، مع أن هذه الأموال أمواله الخاصة أو مرتبه الشخصي، فلا هي أموال هيئة أو أموال جمعية أو أموال مؤسسة ولكنها ماله الخاص، ومع ذلك لم تفرق الأوامر بين عام وخاص!

وهناك شركات هي:

شركة الإخوان للتجارة بميت غمر.

شركة المناجم والمحاجر العربية.

شركة الإخوان للنسيج.

شركة الإخاء الإسلامي بفرشوط.

شركة دار الإخوان للطباعة.

شركة دار الإخوان للصحافة.

وهذه كلها لا صلة لها بهيئة الإخوان أو مشروعات الإخوان ولا بمنشئات الإخوان، ولكنها وضعت هذا الاسم من باب الدعاية التجارية، وفيها رءوس أموال ضخمة ومساهمون[١] وضعوا كل ثروتهم فيها، فشركة الإخوان للتجارة بميت غمر يملكها خمسة وضع كل شريك منهم ألف جنيه هي كل ثروته، وبارك الله لهم في رزقهم وصاروا بشركتهم على خير حال حتى نكبوا بهذا النكبة التي لم تكن تخطر لهم على بال، وقد أثبتوا بالدليل القاطع أن هذه هي أموالهم الخاصة وأن لا صلة لها[٢] بأموال الإخوان، ومع ذلك فقد صدر الأمر بوضع هذه الشركة تحت الحراسة.. وبقية الشركات لا زالت إلى تاريخ هذا البيان مغلقة الأبواب.. ولقد بلغ عدد الموظفين المتعطلين بسبب إغلاق هذه الشركات (٥٠٠) خمسمائة شخص[٣] ما بين موظف وعامل وأصبحوا الآن ولا مورد لهم يهيمون على وجوههم في كل واد.

٥ - التفتيش والرقابة والإزعاج

وقد دأب البوليس منذ صدرت هذه الأوامر على مضايقة كل من يظن أن له أقل اتصال بالإخوان بتفتيش منزله في غسق الظلام وترويع النساء والأطفال عدة مرات أو تفتيش متجره كذلك ثم فرض رقابة على التليفونات والخطابات والأشخاص والمنازل والتنقلات حتى على السيدات تخنق الأنفاس وتقتل الحريات ويتنافى مع كل أمن وهدوء واطمئنان، وكثيرًا ما يدعى الناس إلى المركز أو الأقسام، وتوجه إليهم أسئلة في بلاغات كيدية أو اتهامات شكلية أو تافهة ولا يراد من ذلك كله إلا الإحراج والإعنات.

هذه بعض نماذج من المظالم الواقعة على الإخوان المسلمين في هذه الأيام، والتي لم ير التاريخ لها مثلاً في سالف الزمان، وإذا عرف أن الإخوان المسلمين منتشرون[٤] في كل قرية وفي كل مدينة وفي كل مصلحة وفي كل ديوان، وأنهم هم وأقاربهم وجيرانهم وكل

(١) في الأصل: «ومساهمين».

(٢) في الأصل: «له».

(٣) في الأصل: «شخص».

(٤) في الأصل: «منتشرين».

المتصلين بهم يعيشون في هذا الجو المضطرب أمكننا أن نتصور إلى أي مدى تعمل الحكومة نفسها على الإخلال بأمن الشعب وراحته وطمأنينته، وهي المسئولة عن أن تدفع عنه الظلم، وتوفر له الهدوء والاطمئنان.

٦ - المحاكمات والتلفيقات

وتنص أحكام الأمر العسكري على محاكمة كل خمسة من أعضاء الإخوان يجتمعون في مكان بقصد العمل على تحقيق بعض أغراض الجماعة، وذلك الشرط قلما ينظر إليه أحد، وكانت النتيجة أن أصبح الإخوان الذين عاشوا في مجموعات الأخوة عشرين سنة لا يستطيع خمسة منهم أن يلقى بعضهم بعضًا في أي مكان. لقد فتح هذا النص بابًا واسعًا للدسائس والوشايات، فيكفي أن يبلغ إنسان أن خمسة في دكان حلاق أو بقال أو في منزل صديق أو قريب حتى يداهمهم البوليس ويقبض عليهم ويسوقهم إلى السجن ثم النيابة العسكرية بعد عدة أيام ليحكم عليهم بعقوبة أقلها ستة أشهر، فهل رأى الناس مثل هذه الأحكام في أي بلد من البلدان؟

* * *

الفصل الثاني

بطلان اتهام الحكومة للإخوان

لقد اتهمت الحكومة الإخوان المسلمين بثلاث اتهامات كلها باطلة:

اتهمتهم بأنهم عصابة إرهابية تشجع الجريمة، وتهدد الأمن، وتعبث بالقانون، وبأنهم تحولوا من جماعة دينية إلى هيئة سياسية، وأنهم يعملون في سياستهم على قلب نظام الحكم.

وسنبين بالدليل والبرهان بطلان كل هذه الاتهامات، وأنها ليست إلا ذريعة لستر السبب الحقيقي للعدوان على الإخوان.

١ - بطلان اتهام الجريمة والإرهاب

أراد[١] سعادة وكيل الداخلية عبد الرحمن بك عمار أن يثبت على الإخوان هذا الاتهام، فكتب مذكرة مطولة اعتبرها الحاكم العسكري أساسًا لصدور الأمر بحل الإخوان، وعملت الحكومة على إذاعتها ونشرها على التجار والعمال والطلاب في كل مكان، وطبعت به ملحقًا خاصًّا للوقائع المصرية، وقد أورد فيها وكيل الداخلية [ثلاث عشرة][٢] حادثة أسماها جرائم ونسبها إلى الإخوان، وقد كتب المرشد العام للإخوان ردًّا على هذه المذكرة فند به كل ما جاء فيها، ولكن هذا الرد لم ينشر طبعًا، ولا يمكن طبعًا أن تسمح الرقابة بطبعه ونشره على الناس، بل إن وجود صورة منه مع أحد كانت كافية لاعتقاله وسجنه.

وخلاصة هذا الرد أن هذه الحوادث لا تخرج عن أربعة أقسام.. بعضها مكذوب، وبعضها مفترى لا أصل له كحادثة ضبط الإخوان بالإسماعيلية يتدربون على صنع القنابل والمفرقعات، وبعضها حكم فيها[٣] ببراءة الإخوان براءة تامة كالحادثة الأولى التي افتتح بها سعادة الوكيل مذكرته، وهي الجناية العسكرية التي اتهم فيها اثنان من الإخوان وحكم ببراءتهما من هذا الاتهام.. وبعضها كان العدوان فيه على الإخوان فلم يكونوا

---

(١) في الأصل: «أراء».

(٢) في الأصل: «ثلاثة عشر».

(٣) في الأصل: «فيه».

معتدين ولكن معتدى عليهم أفظع اعتداء، كقضية مدرسة شبين الكوم التي استشهد فيها أحد طلاب الإخوان، وحكمت المحكمة على قاتله بخمسة عشر عامًا، وتعويض قدره ألف من الجنيهات.. وبعضها فردية عن دوافع شخصية أو عائلية لا صلة مطلقًا بينها[1] وبين هيئة الإخوان، أو إحدى شعبها في أي مكان.

فكيف تتخذ أمثال هذه الحوادث دليلاً على إدانة يترتب عليها الحكم بالحل، وهو الإعدام على أكبر هيئة ظلت عشرين عامًا تخدم المجتمع والإسلام، ويكفي لدحض هذه التهمة وإبطالها أن الإخوان عاشوا عشرين عامًا طوالاً يزداد نشاطهم في ظل القانون، فلم يستطع أحد أن يعتدي عليهم إلا في غيبته وبسلاح الأحكام العرفية، وهي سلطة استثنائية لم تمنح لمثل هذه الشئون والأحوال.

رد شبهات:

أما ما يوجه للإخوان من شبهات في هذا الباب فهذا بيانه، ورد بغاية الوضوح والبيان.

١ - ما وجد في بعض أماكن للإخوان من أسلحة أو ذخائر أو مفرقعات معروف سببه:

وهو أن الإخوان كانوا هم الهيئة العاملة النشيطة التي ساعدت الهيئة العربية العليا في الحصول على أسلحة من مختلف الأماكن، وساعدت إخوان فلسطين عند حضورهم إلى مصر لتشتري[2] السلاح بكل ما استطاعت من مساعدة، وساعدت الجامعة العربية رسميًا في هذا السبيل، وجهزت معسكرًا كاملاً باسم الإخوان في السويس ثم في النصيرات وفي البريج، فهذه الأسلحة للمجاهدين من الإخوان أو الفلسطينيين أو الهيئة العربية، والحكومة نفسها تعرف ذلك ولم تكن تنكره حتى تغيرت سياستها عدة مرات، فكانت أحيانًا تطلق الحرية للناس، وأحيانًا تصادر ما يجمعونه بأموالهم من سلاح بعد إذنها لهم بذلك، وأحيانًا تسمح بسفر هذا السلاح للمجاهدين، وأحيانًا تمنع السفر إلى حين وهكذا، فهذا السلاح كان مدخرًا لقضية فلسطين التي أفسدتها علينا سياسة الحكومات المترددة التي أسلمت نفسها للمطامع تارة وللغاصبين تارة أخرى حتى وصلنا

---

(١) في الأصل: «بينه».

(٢) في الأصل: «لمشتري».

إلى هذه النتيجة المحزنة التي لم يكن يتوقعها أشد المتشائمين.

فالغرض من هذا السلاح معروف، والسبب في عدم تسليمه تردد الحكومة وتناقض سياستها واستمرار الأمل في الاستفادة منه بيد المجاهدين في فرصة من الفرص، فلم يكن عدة إرهاب، ولا أداة عدوان.

٢ -حوادث الانفجارات في المحلات اليهودية

يجب أن نكون منصفين في الحكم، وأن نسأل أنفسنا بخصوص هذه الحوادث هذه الأسئلة:

هل ثبتت هذه الحوادث على أحد بخصوصه إلى الآن؟ مع أنها لا زالت رهن التحقيق. وعلى فرض ثبوتها على أحد فهل ثبتت صلة هذا الفاعل بالإخوان المسلمين؟ وما مدى هذه الصلة إن وجدت؟ وإذا فرضنا أنه من صميم الإخوان فهل ثبت أن الهيئة أمرته بهذا أو شجعته عليه أو وافقت عليه أو أذنت له فيه؟

هذه أسئلة يجب أن نجيب عليها قبل أن نحمل الهيئة النافعة العاملة تبعة هذا الاتهام. على أن هذه الحوادث في حقيقتها لا تخرج عن أنها أثر من آثار تحمس بعض الشباب بمناسبة الحرب، وبمناسبة موقف المواطنين الإسرائيليين الجامد من مساعدة فلسطين العربية، وموقف بعض المصريين منهم بالمشايعة والمناصرة، وثبوت مساعدة كثير من العناصر اليهودية في مصر للصهيونيين في فلسطين مساعدة كبرى، كان لها أثر بالغ في ترسيخ أقدامهم، وتنظيم مستعمراتهم، وإمدادهم بالسلاح والمال.

وأمام هذه العوامل وفي غمرة السفور ومقتضياتها اندفع بعض الشباب إلى الأعمال، وعليهم وحدهم تبعتها، وأمرهم في ذلك لله.

٣ -حادثة الخازندار بك[1] رحمه الله

لم يكن أحد أشد أسفًا على هذا الحادث من الإخوان؛ لأنه ألقى عليهم هذه الشبهة التي ما كانوا يرضون لتلقى عليهم في يوم من الأيام، ولا يتصور أنه كان بتدبير من الهيئة أو بإيعاز منها، وكثيرًا ما تكون الحوادث وحدها هي الدافع إلى مثل هذا العمل، فقد

---

(١) هو القاضي أحمد بك الخازندار بك من مواليد ديسمبر عام ١٨٨٩م، عمل في سلك النيابة حتى وصل إلى وكيل محكمة استئناف القاهرة، توفي عام ١٩٤٨م.

جاءت أحكام الخازندار بك -رحمه الله- على الطلاب الذين ألقوا القنابل على أندية الإنجليز بالإسكندرية صارمة قاسية؛ إذ حكم على كل طالب منهم بعشر سنوات مع أنه أصدر [حكمًا][1] على «حسن قناوي» سفاح الإسكندرية -مثلاً- بسبع سنوات. وكان الطلبة يتصورون أنهم يستطيعون بحركاتهم هذه أن يحققوا أهداف الوطن ويزعجوا الإنجليز فلا يتشددون مع المفاوضين المصريين، ومثل هذه الأحكام -في عرفهم- تعوق نشاط هذه الحركة الوطنية فيما يعتقدون، ومن هنا اندفع هذان الطالبان إلى هذا العمل، ولسنا نسوق ذلك رضًا بما عملا أو دفاعًا عنهما بعد أن قال القضاء كلمته، ولكننا إنما نسوقه لندفع عن هيئة الإخوان أن تكون هي مصدر التدبير أو الإيعاز.

٤ -حادث دولة النقراشي باشا[2]

ولا زال بين يدي القضاء، وقد وقع ولا هيئة تسأل ولا قيادة تدبر؛ إذ كانت قيادة الإخوان بين معتقل أو مراقب، وهو رد الفعل الذي كنا نتحاشاه ونتمنى أن لا يقع، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه[3]، وعواقب الأمور بيد الله.

٥ -حادثة المحكمة

لقد استنكره المرشد العام أشد الاستنكار، وبعث بكلمة[4] في هذا الصدد للجرائد فلم تنشر، وألم له الإخوان في كل مكان أشد الألم، ونعتقد أنه تدبير ضد الإخوان أريد به إفساد خطتهم التي كانت تقوم على التفاهم مع الحكومة، والتي مهد لها المرشد العام

---

(١) زيادة من عندنا ليستقيم المعنى.

(٢) محمود فهمي النقراشي: ولد يوم ٢٦/ ٤/ ١٨٨٨م في ناحية الشمرلي بقسم أول الجمرك الإسكندرية، ولد في أسرة متوسطة حيث كان أبوه يعمل رئيسًا للحسابات بالبوستة الخديوية، عين النقراشي مدرسًا للرياضيات على الدرجة الرابعة. تقلد عدة مناصب منها وزارة المالية، ووزارة المواصلات، ووزارة المعارف ثم عين رئيسًا للحكومة مرتين، استطاع أن يحل جماعة الإخوان المسلمين، اغتيل عام ١٩٤٨ في يوم ٢٨ من شهر ديسمبر.

(٣) شطر بيت للمتنبي من بحر البسيط، وتمامه:

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى المَرءُ يُدرِكُهُ ... تَجرِي الرِّيَاحُ بِمَا لا تَشتَهِي السُّفُنُ

(٤) نشرتها الأساس لسان حال السعديين بعد اغتياله مباشرة لتوهم أن الإرهابيين هم الذين قتلوه، العدد (٥٢٦)، ١٧ربيع الآخر ١٣٦٨هـ- ١٥فبراير ١٩٤٩م.

بيانه[1] الذي نشر في الجرائد قبل الحادثة بيومين اثنين، ويجب -والحادث لا زال تحت التحقيق- أن نذكر أنفسنا بالأسئلة الثلاثة الماضية وهي: هل ثبت أن هذا المقبوض عليه هو الذي ارتكبه مع أنه مصر على الإنكار، وما مدى صلته بالإخوان؟ وهل أمر به أو شجع عليه من قبل أحد منهم؟ على أن العدالة تقضي بأن كل الحوادث التي تقع بعد الحل إنما يسأل عنها معهم الحكومة التي تحرم على الإخوان أن يجتمعوا أو يتناصحوا أو يزنوا تبعة عمل من الأعمال.

٦ -خطابات التهديد

ولقد توالت خطابات التهديد إلى الحكام ودور الحكومة والمنشآت العامة، وشجعت الحكومة نفسها هذه الحركة بنسبتها إلى الإخوان واتهامهم بها ظلما وعدوانًا، والنشر عنها في الجرائد حتى صارت عبثًا سخيفًا ومداعبة ثقيلة ومسلاة يتسلى بها الأطفال في المدارس، ويزعجون بها الآمنين من الأهلين، ومع هذا فلم يثبت إلى الآن أن خطابًا واحدًا من هذه الخطابات كتبه أحد الإخوان، وأن الإخوان ولاشك يستنكرون هذا الصغار، ويحذرون من الإصغاء أو التأثر[2] بمثل هذه الأوهام.

وقد بلغت الجرأة بهؤلاء العابثين أن يوجهوا مثل هذه الخطابات إلى القصر الملكي باسم الإخوان، والإخوان يبرءون إلى الله من كل من يلجأ إلى هذا الدس الحقير، ويسألون الله تبارك وتعالى أن يحفظ جلالة الملك المعظم ويؤيد عرشه، وأن يجعل عهده عهد أمن وطمأنينة وسلام وعدل وإنصاف آمين.

وبعد هذا البيان يتضح لكل منصف براءة الإخوان المسلمين من هذه التهمة تهمة الجريمة والإرهاب، وبقي أن نوجه هذا السؤال: من المسئول الآن عن اضطراب الأمن ووجود هذه الحالة من القلق والذعر في جميع أنحاء البلاد؟ وكيف السبيل إلى إعادة الأمور إلى وضعها الطبيعي من الهدوء والاستقرار؟

الحكومة بإقدامها على حل الإخوان المسلمين بلا مبرر، ومبالغتها بعد ذلك في ظلمهم واضطهادهم، وهم هذه المجموعة الضخمة من أبناء البلد، واستمرارها في هذا الظلم والاعتداء هي المسئولة ولاشك عن هذا الاضطراب، والسبيل إلى عودة الأمور إلى

(١) في الأصل: «بيانه».

(٢) في الأصل: «التأثير».

طبيعتها من الهدوء والاستقرار معبدة ميسرة مأمونة: هي إلغاء هذا القرار، ورفع هذا الظلم عن هؤلاء المواطنين الأخيار، وأخذ المجرم بجريمته في حدود القانون بالعدل والإنصاف، وبغير هذا ستظل هذه الحالة وتزداد، وتكون الحكومة قد وضعت بيدها بذور ثورة لا يعلم مداها إلا الله.

وإن الإخوان لا زالوا معتصمين بالحكمة والصبر، مستسلمين لقضاء الله تبارك وتعالى، راضين بحكمه، ولكن العقلاء منهم يخشون أشد الخشية أن يفلت الزمام منهم إن استمرت الحكومة في الاعتداء على الأبرياء، والتضييق على الأحرار الفضلاء، ونهاية الضغط الانفجار، وحق الدفاع عن النفس والمال حق مشروع في كل زمان ومكان.

بطلان اتهام الانحراف عن الدين إلى السياسة:

وهذه التي طالما كتب فيها الإخوان وأطالوا وأسهبوا، وخلاصة ما قيل ويقال: إن هناك أربع نظرات يجب أن يتأملها المنصف قبل أن يصدر حكمه في هذا الاتهام:

الأولى: أن طبيعة الدين الإسلامي نفسه لم تفرق بين الدين والسياسة، وتعرض الإخوان للسياسة سواء أكانت من حيث المطالبة بحرية البلاد وحقوقها، أم وجوب الأخذ بنظم الإسلام الحنيف في أوضاعها الاجتماعية على اختلافها ففرض مستمد من الإسلام نفسه ومعتمد عليه، وهو جزء من أجزاء هذا الدين لا انحراف فيه.

الثانية: أن الإخوان في الحقيقة قد اضطروا إلى ذلك اضطرارًا بفعل الحوادث والظروف وحدها، فقد كان نشوب الحرب العالمية الثانية وإعلان الأحكام العرفية وكبت الحريات وتوجيه الاضطهاد إلى الإخوان بحيث لم يكن منفذا للدفاع إلا مجلس النواب، ثم كانت الهدنة بعد ذلك، وتطلع الشعوب إلى استكمال استقلالها والحصول على حقها مع ضعف الهيئات السياسية في مصر وتفككها واختلافها.

كل ذلك دفع بالإخوان وهم هيئة شعبية كبرى إلى هذا المسرح، ومع هذا فقد أبلت أحسن البلاء في هذا الميدان، وساهمت في قضية الوطن وقضايا البلاد العربية والإسلامية بأوفى نصيب، ولو أخذ الساسة والحكماء بما أبدى الإخوان من آراء في علاج قضية فلسطين وحل قضية السودان لما وصل بهم إلى هذا الحال، وقرارات ومؤتمرات الإخوان وهيئتهم التأسيسية ومذكراتهم ورسائلهم خير شاهد على صدق هذا الكلام.

الثالثة: أن الإخوان لم يعملوا يومًا من الأيام على أساس المناورات الحزبية أو المغانم السياسية، ولكنهم عملوا بروح الوطنيين المتجردين الذين ينظرون إلى المسائل من حيث نفعها للوطن إحساسًا بمصلحته، وإن كانت طبيعة الحزبية السياسية لم تعفهم من مظاهر الخلاف والخصام، ولكنهم مع ذلك لم يخرجوا عن حدود الدفاع المهذب، وتمني الخير للجميع، والترحيب بالوحدة والجماعة والدعوة إليها في كل حدث من الأحداث.

الرابعة: أن الإخوان حين اقتحموا هذا الميدان منذ سنة ١٩٤٥ كانوا أمناء على مبادئهم وخطتهم ومشروعاتهم، فأعلنوا بمناسبة صدور قانون الجمعيات الخيرية أنهم يفصلون تمام الفصل نشاطهم الاجتماعي الخيري عن نشاطهم الديني والوطني، وظلوا يعملون في الميدانين في حدود النظام والقانون، وسجلت جمعياتهم في وزارة الشئون الاجتماعية، ولم تر حكومة من الحكومات في هذا الوضع انحرافًا عن الدين أو خروجا على القانون أو منافاة للنظام أو تنكرًا لمبادئ الجماعة نفسها، حتى يقول سعادة وكيل الداخلية: «إن هذه الجماعة قد خرجت على نظامها الأساسي» مع أن كل ما هناك تنظيم وتفصيل.

بطلان اتهام العمل على قلب نظام الحكم:

وهذه في الواقع أعجب الاتهامات، ولا ندري أي نظام حكم يعني هؤلاء المتهمون، إن نظام الحكم في مصر إما ديني وهو الإسلام الذي ينص الدستور على أنه دين الدولة الرسمي، وإما مدني وهو النظام الديمقراطي الذي يقوم على إرادة الشعب واحترام حريته، والذي فصله الدستور تفصيلاً فهل الإخوان المسلمون[1] يعملون على قلب أحد هذين النظامين؟ اللهم لا! وألف مرة: لا! فإن أساس دعوة الإخوان هو الإسلام، ولا وسيلة لهذه الدعوة ولا حماية لها إلا بالدستور الذي يكفل الحريات، فكيف يوجه إلى الإخوان مثل هذا الاتهام؟ والحق أن الذي قلب نظام الحكم فعلا هو هذه الحكومات التي أهملت أحكام الإسلام وعطلت روح الدستور.

هذه المنكرات الفاشية، وهذه الدور المشيدة للهو واللعب والخمر والميسر والرقص والعبث والفساد، وهذه الفرائض المهدرة التي لا يؤديها الكبار ليكونوا قدوة لغيرهم من الناس، وهذه الأحكام المستمدة من غير كتاب أحكم الحاكمين كل ذلك هدم للإسلام،

---

(١) في الأصل: «المسلمين».

وقلب لنظام المجتمع الذي يؤمن بالإسلام، وهذه المظالم الواقعة على الأفراد والجماعات وإهدار الحقوق وكبت الحريات ومنع المجالس والبرلمانات وتزييف إرادة الشعب في الانتخابات قلب لنظام الحكم المدني الذي يقوم على الدستور، وليس المسئول عن ذلك الإخوان المسلمين[١] ولكن الحاكمين المسيطرين، وإنما يريد الإخوان صلاح الحال واستقامة الأوضاع الدينية والدنيوية في هذا البلد الأمين بوسيلة معروفة مشروعة هي الدعوة والاجتماع والتربية وحسن التوجيه، وذلك حق لكل مواطن لا يحول بينه إلا كل ظالم معتد جبار، والله من ورائهم محيط.

على أنه إذا كان الكيد والألم من هذا الحال المقلوب، وهذا الباطل الزائف الذي يلبس ثوب الحق زورًا قد وصل ببعض الشبان من الإخوان أو غير الإخوان إلى أن يتخيلوا أو يفكروا أو يظنوا أن في مقدورهم أن يغيروا هذا الوضع الفاسد بوسائل من العنف كاستخدام القوة، فهؤلاء مسئولون عن نتائج تفكيرهم، وليست هيئة الإخوان مسئولة عنهم أو عن غيرهم ما دام طريقها واضحًا، ووسيلتها معروفة معلنة على الخاص والعام مقررة في قوانينها ونظمها ورسائلها لم تخرج عليها يومًا من الأيام.

ومن الإنصاف أن نقول لوجه الحق: إن الحكومات المتعاقبة، والتيارات السياسية في مصر مسئولة مسئولية كبرى مع هؤلاء الشبان عن سلوكهم هذا الاتجاه، فهي بتماديها في الباطل وكبتها للحق دفعتهم دفعًا إلى هذا السبيل، ونحن لا ندافع بهذا القول عن هذا الاتجاه الذي لا نشجعه ولا نرضاه، فإن خطتنا الصبر والمطاولة والتربية والتكوين والانتظار، ولكنها كلمة حق يجب أن تقال لعل فيها تبصرة وذكرى ونذيرًا للغافلين عن تطورات النفوس وتقلبات الأحوال.

* * *

(١) في الأصل: «المسلمون».

الفصل الثالث

السبب الحقيقي لإصدار أمر الحل

وموقف الحكومة المصرية من الإخوان

وإذا كانت هذه الأسباب التي ذكرها سعادة وكيل الداخلية في مذكراته كلها باطلة، وهذه الاتهامات التي وجهها للإخوان غير صحيحة، فما السبب الحقيقي لإصدار أمر الحل ووقوف الحكومة المصرية من الإخوان هذا الموقف الشاذ الذي لم تقفه من أحد حتى من الصهيونيين أعدائها المحاربين، والجواب على ذلك أن هناك عدة أسباب منها:

١ - الضغط الأجنبي:

فلقد أقر سعادة وكيل الداخلية بنفسه للأستاذ المرشد العام أن مذكرة قدمت إلى النقراشي باشا من سفير بريطانيا وسفير فرنسا والقائم بأعمال سفارة أمريكا بعد أن اجتمعوا في فايد في ٦ ديسمبر تقريبًا يطلبون فيها المبادرة بحل الإخوان المسلمين، وذلك بالطبع طلب طبيعي من ممثلي الدول الاستعمارية الذين يرون في الإخوان المسلمين أكبر عقبة أمام الامتداد لمطالبهم، ولشعبها في وادي النيل وفي بلاد العرب ومواطن الإسلام، وليست هذه أول المرات التي طلب فيها مثل هذا الطلب، بل هو طلب تقليدي كان يتكرر دائمًا على لسان السفير البريطاني في كل المناسبات لكل الحكومات، وكانت كلها تحجم عن إجابته حتى في أحرج الأوقات، فلقد طلبت السفارة من رفعة النحاس باشا في سنة ١٩٤٢ -والحرب العالمية على أشدها والألمان على الأبواب- حل الإخوان المسلمين وتعطيل نشاطهم، فأبى أن يجيبه إلى ذلك، واكتفى بإغلاق الشعب كلها مع بقاء المركز العام إلى حين، وكان في وسع دولة النقراشي باشا -رحمه الله- أن يرفض هذا الطلب، أو أن يتفاهم مع الإخوان على وضع يريحهم ويريحه، ولقد كان الإخوان على أتم الاستعداد لهذا التفاهم، وبخاصة بعد عودة المرشد العام من الحجاز على أنه لم يفعل ذلك، وخطا هذه الخطوة التي لا تدل إلا على أن مصر لا زالت للأجانب قبل أن تكون لأبنائها، وأنه لازال للأجانب كل النفوذ والسلطان في هذه الأوطان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢ - التمهيد للمفاوضات

كما أن من هذه الأسباب كذلك التمهيد لإجراء المفاوضات مع الإنجليز من جديد، وقد علم الخاص والعام أن الإخوان هم أعظم العقبات ضد المساومة على حقوق البلاد

والعبث البريطاني بها في مناورات المفاوضات، وقد أشارت إلى ذلك الصحف الأجنبية بمناسبة قرار الحل، فكان طبيعيًا أن يمهد للمفاوضات المنتظرة بحل الإخوان، وشغلهم بأنفسهم عن مجريات الأمور، وتقلبات الأحوال، وعن التطلع إلى ما يجري بالسودان من فظائع ومآسي ونكبات، وها هي ذي[1] بوادر السياسة ونتائجها بدأت في الظهور الآن، وسيعيد التاريخ نفسه من جديد فتتآلف الأحزاب وتتم المفاوضات وتوقع المعاهدة وتصبح معاهدة المجد والفخار.

٣ - ستر الفشل في قضيتي فلسطين والسودان

ولقد فشلت الحكومة المصرية والحكومات العربية فشلاً ذريعًا في حل قضيتي فلسطين والسودان، وتعلم الحكومة تمام العلم معرفة الإخوان الدقيقة ببواطن الأمور وأسباب هذا الفشل، وتشعر بأنهم سيشددون عليها الحساب، فأرادت أن تسبقهم إلى ذلك وأن تستر هذا الفشل بهذا الإجراء، ولعلها كانت تتوقع أن يثور الإخوان في مصر أو يتمرد المتطوعون منهم في فلسطين، فتحملهم تبعة ما يكون بعد ذلك، ولكن الإخوان لا يسعهم في دينهم وإخلاصهم لوطنهم وأمتهم إلا أن يسدوا على الفتنة كل الثغرات فلم يكن منهم إلا ضبط الأعصاب وتحمل الصدمة بالصبر والثبات ومعالجة الأمور بالحكمة والأناة والعاقبة[2] للمتقين[3].

٤ - الإعداد للانتخابات القادمة

كما وقر في نفس القائمين بالحكم أنهم هم الذين سيجرون الانتخابات القادمة في هذا العام، وأنهم بذلك يستطيعون أن يكتسبوا دورة برلمانية جديدة بالأساليب المعروفة في الانتخابات، وهم يعلمون مدى تغلغل فكرة الإخوان في نفوس الشعب ومختلف طبقاته، وبخاصة في القرى والريف، فكان طبيعيًا أن يحسبوا حساب منافستهم في هذا الميدان، وأن يحاولوا بمثل هذه الضربة أن يباعدوا بينهم وبين بعض الجمهور، ويشوهوا جهادهم هذا

---

(١) في الأصل: «ذا».

(٢) في الأصل: «العافية».

(٣) جاء في الهامش: «لقد حل الأمر العسكري الإخوان قبل وقف القتال نهائيًا والانسحاب من فلسطين، واغتالوا الإمام الشهيد قبل توقيع الصلح والهدنة الدائمة بعشرة أيام حتى لا يناهض ذلك».

التشويه على ملأ الناس، وهكذا تلعب الروح الحزبية دورها في مثل هـذا الشـأن الخطـير النتائج العميق[١] الآثار.

٥ - الأصابع الخفية

ولا ننسى في هذا المضمار عمل الأصابع الخفية والدسائس من ذوي الغايات الـذين خاصموا هذه الدعوة من أول يوم وتربصوا بها الـدوائر، حتـى أمكنـتهم منهـا الفرصـة وساعدتهم الظروف فأحكموا الخطة، ودأبوا على التدبير والكيد حتى وصلوا في النهايـة إلى ما يريدون، فاليهودية العالمية والشيوعية الدولية والدول الاستعمارية وأنصار الإلحـاد والإباحية كل هؤلاء من أول يوم يرون[٢] في الإخوان ودعوتهم السد المنيع الـذي يحـول بينهم وبين ما يريدون من تحلل وفوضى وإفساد، ولا يألون جهدًا في معـاداتهم بكـل مـا يستطيعون، وهم لم يستطيعوا كتمان شعورهم هذا، ولا إخفاء سرورهم وفرحهم لنجـاح خطتهم حين أعلن قرار الحل فأقاموا المآدب والولائم وتبادلوا التهاني، وجعلوه يومًا من أيام المواسم والأعياد.

وهكذا أقرت الحكومة المصرية بهذا التصرف أعين الضالين المضلين بالعـدوان علـى المؤمنين العاملين، وإلى الله المشتكى، ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُـونَ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّـاسِ﴾ [آل عمـران: ١٤٠]، ﴿وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُـورِ﴾ [الحج: ٤١].

* * *

(١) في الأصل: «العميقة».
(٢) في الأصل: «يرونه».

الفصل الرابع

ماذا قدم الإخوان لوادي النيل

وبلاد العروبة ووطن الإسلام

وحتى نقرب للتصور والأفهام مبلغ الخسارة الفادحة التي أصابت الوطن والإسلام بتعطيل نشاط الإخوان المسلمين -ولو إلى حين- نضع بين يدي الرأي العام هذه الصورة المصغرة جدًّا من آثار جهاد الإخوان خلال عشرين عاما مضت حافلة بأعظم الأعمال.

١ - فكرة جديدة وشعور جديد

لقد أعلن الإخوان في الناس أن الإسلام نظام اجتماعي كامل، فهو ليس دينًا فقط بالمعنى الذي قررته النظم الأوروبية في الأذهان مقتصرًا على المعابد والصوامع والخلوات، ولكنه: دين ودولة، ونظام كامل للحياة بتناوله كل شيء في مجتمع المؤمنين به، والمفتدين له، وليست هذه الفكرة جديدة في الحقيقة لأنها طبيعة الإسلام الذي جاء به رسول الله سيدنا محمد ﷺ عن ربه، فأنشأ دنيا وأحيا أمة وأقام دولة وأسس حضارة دونها كل الحضارات السابقة واللاحقة، ولكن الجديد هو إحياؤها في النفوس ولفت الأنظار إليها بعد أن كادت تصبح في زوايا النسيان والإهمال بسبب غلبة الثقافة الغربية، والخديعة بما جاءت به من نظم وإصلاحات، وقررته في الأذهان من مبادئ وأوضاع تفصل بين الدين والدنيا في مختلف شئون الاجتماع.

٢ - جيل جديد

ولاشك أن دعوة الإخوان أنشأت جيلاً جديدًا من الناس يعيش بفكرة ويعمل لغاية ويكافح في سبيل عقيدته، ويعطي ولا يأخذ ويؤمن بالله واليوم الآخر، ويتمسك بالفضيلة ومكارم الأخلاق، ويؤثر البذل والتضحية في سبيل الله وابتغاء مرضاته، ويعزف عن شهوات الدنيا ومطامعها الزائلة، ويتميز في المجتمع بذوق خاص وحكم خاص وفلسفة عالية يطبقها الصغير، ويوضحها الكبير، ويشترك في الشعور بها أبناء الفكرة على السواء وإن اختلف أسلوب التعبير.

لقد كان المواطن المصري يكره الغربة، وينفر من الهجرة، ويفر من الموت، ويخاف من

تبعات الجهاد لا في قصور في طبعه -فهو أفضل الطباع- ولا عن نقص في نفسه -فهي أعلى النفوس- ولكن على ضعف في أساليب التربية، وسوء في معاني التوجيه، وخلو من الأهداف والآمال، فجاءت دعوة الإخوان تحارب هذا كله بالتربية القويمة والتوجيه الصحيح، ووضع الهدف الواضح المستنير أمام هذه النفوس المشرقة بطبعها ومواريثها وعمق إيمانها، فنشأ جيل عزيز كريم مغامر لا يبالي أن يذهب إلى أقصى الأرض في سبيل مختار على قصر المدة واضطراب الظروف والأحوال، جيل غايته أن يلقى[١] الموت باسمًا كأنه يزف إلى عروس، ويقدم للجهاد ما يملك من طريف، ولقد ظهرت هذه الخصائص بأوضح صورها في المتطوعين من الإخوان في فلسطين، أولئك الذين أتوا بالأعاجيب، وكانوا أمثال الشجاعة والنزاهة والعفة والأمانة وحسن الأخلاق، وأقاموا[٢] دليلاً عمليًا على نجاح أسلوب الإخوان في تخريج الرجال، وبناء الأجيال يقطع لسان المكابرين، ويأخذ السبيل على المجاهدين.

٣ - مدارس ومعاهد ومساجد

ولقد تألف للإخوان في مصر وحدها (٢٠٠٠) ألفا شعبة، وفي السودان خمسين، فكانت كل دار من دورها معهدًا للثقافة الشعبية، ولقد أسس الكثير منها المنشآت العلمية والدينية وبعض المدارس والمعاهد الليلية والنهارية[٣]، فأحدثت حركة ثقافية كانت مثار[٤] التقدير والإعجاب.

٤ - شركات ومصانع ومنشآت اقتصادية

لقد وجهت هذه الدعوة الشباب إلى الميدان الاقتصادي، وساعدت على إنشاء عدة شركات تتبعها عدة مصانع كان يعمل فيها أكثر من (٥٠٠) شاب ما بين موظف وعامل، وأخذت روح المغامرة الاقتصادية تدب في نفوس الكثيرين من غيرهم، وكانت هذه المعامل والشركات تمثل فكرة اجتماعية طيبة، هي فكرة تضامن العامل مع صاحب

(١) في الأصل: «فيلقى».
(٢) في الأصل: «وقاموا».
(٣) في الأصل: «والنهاية».
(٤) في الأصل: «منار».

العمل بروح الأخوة الإنسانية مع المساهمة الاقتصادية أيضًا، فالعامل مساهم في المصنع وله جزء من رأس المال، وبذلك قضي تمامًا في هذه البيئة على أسباب الخلاف، وكانت تجربة موفقة ناجحة كل النجاح.

٥ - صحف وجرائد ومجلات

ولقد أمدت الدعوة المجتمع المصري بغذاء ثقافي بما نشرته من صحف وجرائد ومجلات وكتب، فكانت هناك جريدة الإخوان اليومية، ومجلة الإخوان الأسبوعية، ومجلة الشهاب الشهرية، إلى مجموعة من الكتب القيمة تسابق في تأليفها ونشرها كُتَّاب من الإخوان في التاريخ والأدب والاجتماع.

٦ - مؤسسات طبية وأندية رياضية وبر وإحسان

وكان لجماعات أقسام البر والخدمة الاجتماعية فضل كبير في إنشاء عيادات ومستوصفات في كثير من الأحيان، وإنشاء مستشفى شعبي في حي العباسية، مع توجيه الشباب إلى العناية بالناحية الرياضية والاتصال بالأندية في هذه الناحية مما جمع بين طب الوقاية وطب العلاج، ودرس مشروع التأمين الصحي للأعضاء وكان على وشك النفاذ، وكان للإخوان بعد هذا فضلا بتنظيم الإحسان والصدقات في كثير من القرى والبلدان.

٧ - وحدة جامعة

وفوق هذا كله فقد كانت دعوة الإخوان في الحقيقة وحدة جامعة للعناصر الحية العاملة المخلصة في كل بلاد العروبة ومواطن الإسلام، وكانت بذلك تمثل أحسن تمثيل الجامعة العربية الشعبية أو الجامعة الإسلامية بعبارة أوسع، فهي حلقة الاتصال بين الهيئات والجامعات الإسلامية في كل هذه البلاد والتواصل والتراسل دائم بينها في كل وقت وبخاصة أمام الظروف الطارئة والأحداث الجسام، ومن هنا ساهمت الدعوة في كل الحركات التحررية للبلاد العربية والإسلامية، فاتصلت بسوريا ولبنان في محنتهما حتى جلا عنها الفرنسيون وتم لهما الاستقلال، وأبلت في قضية فلسطين أحسن البلاء، وشاركت الباكستان في شعورها وأملها وألمها حتى ظهرت إلى الوجود، وكان لها في الحركة الإندونيسية الأثر المحمود؛ حتى إن الحزب الإسلامي أعلن انضمامه للإخوان،

وظلت الدعوة كذلك تناضل مع أحرار شمال إفريقيا في سبيل حقهم المغصوب إلى الآن، فضلاً عن تنبيهها الأذهان إلى حقوق الأقليات الإسلامية في مختلف الأوطان، فكانت بذلك وحدة بين المسلمين أينما كانوا أساسها وحدة الألم والأمل ولحمتها[١] العمل والإيمان.

هذا بعض ما قدم الإخوان المسلمون للأمة خلال كفاحهم المبارك، فهل من الأحزاب والهيئات من سلك هذا السبيل، أو قدم مثل هذا المنهاج والإنتاج؟! ويا ويح أمة تقدر على الهدم ولا تحسن البناء، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

(١) في الأصل: «لجمتها».

الفصل الخامس

خطوات التفاهم قبل الحل وبعده

إننا نعلم أن خصوم هذا الوطن كثيرون وهم له بالمرصاد، وأن الأمة في هذه الظروف أحوج ما تكون إلى كل ذرة من جهود أبنائها حاكمين ومحكومين، وكل دقيقة من وقتهم تصرف في النافع المفيد من الأعمال، وقد قدرنا التبعة التاريخية الجسيمة التي يتحملها من يتسبب في صرف الشعب عن واجبه في هذه الأوقات، ولهذا تحملنا الصدمة العنيفة التي لم نكن نتصورها بصبر عجيب وتلقيناها بهدوء وثبات، وحاولنا أن نمهد السبيل للحكومة لتراجع نفسها وتعيد الأمور إلى نصابها، وبذلنا جهد المستميت في سبيل تفادي الكارثة والعمل على حصر نتائجها السيئة في أضيق نطاق، وكل ما نرجوه[١] من وراء ذلك أن نعذر إلى الله والناس، ولكن المسئولين -هداهم الله- أبوا إلا أن يضاعفوا مظاهر الظلم ويسيروا في طريق الاعتداء إلى النهاية، ويبالغوا في التنكيل بالأبرياء.

من حق الرأي العام علينا أن نطلعه في هذا البيان بما اتخذنا من خطوات للتفاهم حتى يتحمل المعتدون وحدهم أمامه تبعة النتائج التي تترتب على مسلكهم، وحتى يعمل المخلصون الغيورون معنا على النصح لهم بالعدول عن خطئهم، ومن الإنصاف أن نقول للضارب: كف. قبل أن نقول للباكي: اسكت، والله نسأل أن يهدينا جميعًا سواء السبيل.

لقد اتصل المرشد العام للإخوان بالحكومة عقب عودته من الحجاز ليوضح لهم وجه الحق وليتفاهم معها على ما تريد، فأوصدت الباب واستعان في ذلك ببعض من لهم بها صلة، فأبت إلا ما اعتزمت من قرار، ولم يفل هذا من عزمه، فوالى اتصالاته بكل الجهات، ولكن الحكومة كانت قد صممت فلم يفد معها نصح الناصحين ولا مشورة المخلصين.

وفوجئت الأمة بهذا القرار الخطير -قرار حل الإخوان- الذي خسرت به البلد -إلى حين- هيئة من أنشط الهيئات العاملة لخيرها، ولم يكن أحد يتصور أن ملحقاته وتنفيذه سيكون بهذه الصورة التي لم ير التاريخ لها مثيلا مع ألد الخصوم والأعداء، وصبر الإخوان صبر الكرام تقديرًا للظروف والتبعات، واستأنف المرشد العام اتصالاته بالوزراء

---

(١) في الأصل: «ترجوه».

والمسئولين.

وكان كل ما يطلبه من الحكومة أمرين اثنين:

(أ) رفع المظالم التي وقعت على الناس بلا سبب في أموالهم بالمصادرة، وفي أعمالهم بالتعطيل، وفي أنفسهم بالسجن والاعتقال.

(ب) إطلاق حرية الدعوة في الوقت المناسب بالأسلوب الذي لا ينال من هيبة الحكومة ولا يعطل من نشاط الإخوة.

وفي نظير ذلك يتعهد المرشد العام ورؤساء الإخوان أن يكونوا أعوانا صادقين للحكومة في استقرار الأمن واستتباب النظام.

ومع[١] كل هذا فقد أبت الحكومة كل الإباء أن تقبل حتى فكرة التفاهم على أي أساس، وفوجئت الأمة بالكارثة الثانية كارثة وفاة النقراشي باشا الذي خسرت بها البلاد رجلا من زعماء نهضتها، وهي أحوج ما تكون إليه، وجاءت وزارة دولة إبراهيم عبد الهادي باشا[٢]، ودعت إلى الوحدة القومية وبدأت عهدها هذا البدء الكريم، فاتصل المرشد العام ببعض أصحاب المعالي الوزراء، ووجد منهم استعدادًا كبيرًا للتعاون على الخير حتى تستقر الأمور وتهدأ الحال، وكان هذا الاتجاه في الحقيقة أفضل علاج وأنجح دواء، ولكن ذوي الأغراض الذين لا يعيشون إلا على الصيد في الماء العكر لم يعجبهم هذا، فاتخذوا من حادث محاولة نسف مكتب النائب العام[٣] ذلك الحادث الذي لا ذنب للإخوان فيه ولا علم لهم به، بل اعتبروه موجهًا لهم قبل أن يكون موجهًا لغيرهم، وذريعة للمناداة بالويل والثبور وعظائم الأمور ووضع العراقيل في وجه دعاة التفاهم والإصلاح، والانطلاق في سبيل البغي والظلم والتنكيل والاعتداء، وأخذوا يعتقلون الأبرياء من غير حساب حتى بلغ من اعتقلوهم في يومين اثنين على أثر الحادث أكثر من ثلاثمائة شخص ليس فيهم متهم أو مجرح، وكان هذا التصرف كافيًا للعدول عن خطة

(١) في الأصل: «ومن».

(٢) ولد عام ١٨٩٦م، وتولى رئاسة الوزراء (من ٢٨ديسمبر ١٩٤٨م إلى ٢٥يوليو ١٩٤٩م) بعد مقتل النقراشي، وتوفي عام ١٩٨١م.

(٣) جاء في الهامش: «ظهر من التحقيق أن المتهم قصد نسف الدولاب الذي وضعت به أوراق سيارة الجيب».

التفاهم مع الذين يعمدون للمراوغة كسبًا للوقت وتمكنًا من الانتقام، ولكن الأستاذ المرشد أبى ذلك ولم ييئس وعاود اتصالاته بكل من يعرف أنهم يستطيعون أن يفعلوا شيئا لدرء هذه الأخطار، ولكن النتيجة كانت الإسراف في الظلم والاعتداء، وكانت الطامة الكبرى التفكير في أن ينقل هؤلاء المعتقلون إلى الطور، وهكذا رفضت الحكومة مصافحة اليد التي امتدت إليها بالسلام، وأصرت على أن تمضي في خطة الاعتداء والظلم والخصام، وكانت الأولى خيرًا لهم لو كانوا يعقلون.

* * *

الفصل السادس

معنى هذا الموقف ونتائجه

ومعنى هذا الموقف بوضوح أن الحكومة المصرية قد عمدت إلى نخبة ممتازة وصفوة كريمة من أعز أبناء هذه الأمة المثقفين المؤمنين الأطهار ذوي المصالح والأعمال لا يقل عددها عن نصف مليون من الأنفس، غير من يتصل بهم من الأقارب والأصهار والأصدقاء وذوي الأرحام، وحكمت عليهم جميعا بأنهم مجرمون متشردون لا يستحقون أن يعيشوا في بلدانهم عيشة المواطنين الآمنين، وصبت عليهم جام غضبها وسوء انتقامها، فاستلبت حريات الكثير بالاعتقال بل بالنفي والتغريب والإبعاد، وشردت الكثير بالفصل والانتقام، وصادرت أموالهم وأعمالهم وممتلكاتهم بعد أن احتجزت حقوقهم وكرامتهم وحرياتهم، وأشاعت عنهم بين مواطنيهم بكل وسائل الدعاية المختلفة والاتهامات التي لو صحت لكانت مصر بعد ذلك بلد الإجرام وموطن المجرمين لا ينازعها في ذلك منازع.. فأوجدت بيدها في الأمة الموحدة طبقة جديدة، وطائفة مظلومة مهضومة متميزة عن بقية المواطنين بهذا الطابع، طابع الظلم والكبت والاضطهاد في سبيل العقيدة والإيمان.

ومن هذه الطائفة؟

هي الإخوان المسلمون فلذة أكباد هذا الوطن، وخيرة شبابه ورجاله والجزء الشاعر الواعي في هذا الجسم الخامل المريض.

ولم كل هذا؟

لاتهام باطل لم يقم عليه دليل، ووهم كاذب لم يحققه برهان، وخوف داهم لا مبرر له، وحجة أوهى من بيت العنكبوت، وطريق الأمن والسلامة أمامهم لو أرادوا أن يسلكوه، ولا يكلفهم شيئًا إلا أن يكونوا عادلين، والعدل أساس الملك كما يقولون.

ومن الذي يفعل هذا، ويحكم به؟

الحكومة المصرية التي أخفقت في المفاوضات مع الإنجليز فقطعتها وذهبت إلى مجلس الأمن، فعادت منه بخفي حنين، وتركت قضية الوطن على رفوفه العالية في زوايا الإهمال

والنسيان، وتجاهلت الإنجليز بعد ذلك تجاهلاً تامًا[١] وتركتهم يفعلون ما يريدون حتى أضاعت بهذا التجاهل [السودان][٢]، واتبعت سياسة التردد والاضطراب في قضية فلسطين، قبلت الهدنة الأولى؛ فأضاعت بهذا القبول كل شيء وحرمت الجيش المصري الباسل ثمرة انتصاره، وأفقدت الوطن ملايين الجنيهات، وآلاف الرجال فضلا عن فقدان الكرامة وسوء الحال والمآل.

ودللت يهود مصر فلم تتخذ معهم أي إجراء مع مواقفهم من مناصرة أعداء الوطن وخصوم البلاد، والتي يعيش آمنًا في ظلها كل أجنبي أفّاق ومتشرد طريد وعابث عربيد آمنا مطمئنًا على نفسه وماله وعبثه وفساده، وتحمي حانات المسكرات وبيوت العاهرات ودور المنكرات وأبواب المراقص والبارات، والتي عجزت كل العجز عن إنقاذ شعبها من براثن الفقر والمرض والجهل والعطل والغلاء الفاحش الذي يئن منه الأقوياء فضلاً عن الضعفاء، والتي لا يؤيدها ولا يسندها إلا نفر قليل ضئيل من أصحاب المصالح الشخصية فهي في وادٍ والأمة في وادٍ.

هذه الحكومة التي تطارد الإخوان المسلمين، وهم الشعب، وتحكم عليهم بالإجرام والنفي والتشريد ومصادرة الأموال والأملاك والحريات، ولو أخذت الأمور وضعها الصحيح، وكانت الكلمة للحق لا للقوة لحَاكَمْناكم نحن أيها المفرطون على هذا التفريط، ولحاسبناكم على هذا العجز أشد الحساب، ولكن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وبأي سلاح هذا؟

بسلاح الأحكام، وبالسلطة الفردية الاستثنائية التي وضعت في يد الحاكم العسكري بحدود وقيود، وكانت الغاية من تخويله[٣] إياها -حماية الجيوش والمحافظة على سلامتها- فجاوز في استخدامها كل حدود، وتناسى[٤] كل قيد واستغلها في عكس ما وضعت له تمامًا، وحمى بها أعداء الجيش وحارب بها أصدقاء الجيش وزملاءه في السلاح.

---

(١) في الأصل: «تمامًا».

(٢) زيادة من عندنا.

(٣) في الأصل: «تخويلها».

(٤) في الأصل: «تناس».

من الذي يقول: إن الأحكام العرفية التي فرضت لحماية الجيش من اليهود تطبق بأفظع صورها على الإخوان المسلمين أصدقاء الجيش وأعداء اليهود؟ لقد هم المتطوعون من الإخوان بالتوقف حين بلغهم قرار الحل الذي كان له في نفوسهم أسوأ الأثر، ولكنهم راجعوا أنفسهم، وتذكروا أنهم في ميدان جهاد، وأن هذا التوقف ضار بموقفهم وبموقف[1] الجيش معهم، فعدلوا عنه واكتفوا بأن سجلوا احتجاجهم أمام قوادهم، وعادوا إلى ميادين جهادهم، فهل كان الحاكم العسكري بتصرفه هذا يحمي الجيش أم يعرض سلامته للخطر؟

إن الحاكم العسكري قد اعتدى على القانون:

أولاً: بتخطيه أصول المحاكمات العادية، وعدم انتظاره كلمة المحاكم فيما يوجهه إلى الإخوان من اتهامات باطلة، كما اعتدى على الأحكام العسكرية.

ثانيًا: بسوء استخدامها في غير ما وضعت له وفرضت من أجله، وهو بذلك قد ظلم ظلمًا لم يعرفه الناس حتى في عهد محاكم التفتيش التي كانت تستر طغيانها بستار صوري من الإجراءات والمحاكمات ولا تجرؤ أن تواجه الرأي العام بقرار كل سنده إرادة فرد يخطئ ويصيب.

يا حضرات السادة الحكام: لن ترضى هذه الجماعة لنفسها أن تضع لكم تقرير مصيرها، ولن تسمح لكم بأن تقلبوا الحقائق، وتعتدوا على الحريات، وتصادروا الأموال والممتلكات، وتظلموا الأبرياء بالباطل، وإنها لتحملكم أمام الرأي العام نتائج ما يحدث عن هذا العدوان وعلى الباغي تدور الدوائر.

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ[2] فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤١-٤٢].

* * *

(١) في الأصل: «بموقف».

(٢) في الأصل: «ظلم».


النادي الشبابي

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

المجلات والدوريات

مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية:

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد الثاني، السنة الثانية، ٢٦ محرم ١٣٥٣- ١١مايو ١٩٣٤م.

* جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٣)، السنة الثانية، ٣صفر ١٣٥٣هـ- ١٨مايو ١٩٣٤م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد الرابع، السنة الثانية، ١٠ صفر ١٣٥٣- ٢٥ مايو ١٩٣٤.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد الخامس، السنة الثانية، ١٧ صفر ١٣٥٣- ١ يونيو ١٩٣٤.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد السادس، السنة الثانية، ٢٥ صفر ١٣٥٣ -٨ يونيو ١٩٣٤.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد التاسع، السنة الثانية، ٢٣ ربيع الأول ١٣٥٣- ٦ يوليو ١٩٣٤.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد العاشر، السنة الثانية، ٣٠ ربيع الأول ١٣٥٣- ١٣ يوليو ١٩٣٤.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١١)، السنة الثانية، ٧ ربيع الثاني ١٣٥٣هـ- ٢٠ يوليو ١٩٣٤م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٢)، السنة الثانية، ١٤ ربيع الثاني ١٣٥٣هـ- ٢٧ يوليو ١٩٣٤م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٣)، السنة الثانية، ٢١ ربيع الثاني ١٣٥٣هـ- ٣ أغسطس ١٩٣٤م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٤)، السنة الثانية، ٢٨ربيع الثاني ١٣٥٣هـ- ١٠ أغسطس ١٩٣٤م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٥)، السنة الثانية، ٦ جمادى الأولى، ١٣٥٣هـ- ١٧ أغسطس ١٩٣٤م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٦)، السنة الثانية، ١٣ جمادى الأولى، ١٣٥٣هـ- ٢٤ أغسطس ١٩٣٤م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٧)، السنة الثانية، ٢٠ جمادى الأولى، ١٣٥٣هـ- ٣١ أغسطس ١٩٣٤م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٨)، السنة الثانية، ٢٧ جمادى الأولى، ١٣٥٣هـ- ٧ سبتمبر ١٩٣٤م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢١)، السنة الثانية، ١٨ جمادى الثانية، ١٣٥٣هـ- ٢٨ سبتمبر ١٩٣٤م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢٢)، السنة الثانية، ٢٥ جمادى الثانية، ١٣٥٣هـ- ٥ أكتوبر ١٩٣٤م.

* جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢٤)، السنة الثانية، ٩رجب ١٣٥٣هـ- ١٨أكتوبر ١٩٣٤م.

* جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢٦)، السنة الثانية، ٢٣ رجب ١٣٥٣هـ- ١نوفمبر ١٩٣٤م.

* جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢٧)، السنة الثانية، ٣٠ رجب ١٣٥٣هـ- ٨ نوفمبر ١٩٣٤م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد الثاني، السنة الثالثة، ٢٠ محرم ١٣٥٤هـ- ٢٣ أبريل ١٩٣٥م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد الثالث، السنة الثالثة، ٢٧ محرم ١٣٥٤هـ- ٣٠ أبريل ١٩٣٥م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد الرابع، السنة الثالثة، ٤ صفر ١٣٥٤هـ- ٧ مايو ١٩٣٥م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد السادس، السنة الثالثة، ١٨ صفر ١٣٥٤هـ- ٢١ مايو ١٩٣٥م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد السابع، السنة الثالثة، ٢٥ صفر ١٣٥٤هـ- ٢٨ مايو ١٩٣٥م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد الثامن، السنة الثالثة، ٤ ربيع الأول ١٣٥٤هـ- ٤ يونيو ١٩٣٥م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد العاشر، السنة الثالثة، ١٧ ربيع الأول ١٣٥٤هـ- ١٨ يونيو ١٩٣٥م.

مجلة النذير:

* مجلة النذير، العدد (٣٥)، السنة الأولى، ١٧ ذو الحجة ١٣٥٧هـ- ٧ فبراير ١٩٣٩.

* مجلة النذير، العدد (١)، السنة الثانية، ١ محرم ١٣٥٨هـ- ٢١ فبراير ١٩٣٩م.

* مجلة النذير، العدد (٤)، السنة الثانية، ٢٢محرم ١٣٥٨هـ- ١٤مارس ١٩٣٩م.

* مجلة النذير، العدد (٨)، السنة الثانية، ٢٠ صفر ١٣٥٨هـ- ١١ أبريل ١٩٣٩م.

* مجلة النذير، العدد (٣٦)، السنة الثانية، ١٧ رمضان ١٣٥٨هـ- ٣١ أكتوبر ١٩٣٩م.

* مجلة النذير، العدد (٣٩)، السنة الثانية، ٩شوال ١٣٥٨هـ- ٢١ نوفمبر ١٩٣٩.

* مجلة النذير، العدد (٤٢)، السنة الثانية، ٣٠ شوال ١٣٥٨هـ- ١٢ديسمبر ١٩٣٩م.

مجلة المنار:

* مجلة المنار، جزء (٧)، المجلد (٣٥)، ربيع الأول ١٣٥٩هـ- أبريل ١٩٤٠م.

* مجلة المنار، جزء (٨)، المجلد (٣٥)، ربيع الثاني ١٣٥٩هـ- مايو ١٩٤٠م.

* مجلة المنار، جزء (١٠)، المجلد (٣٥)، شعبان ١٣٥٩هـ- سبتمبر ١٩٤٠م.

مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية:

* مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (١)، السنة الأولى، ١٧ شعبان ١٣٦١- ٢٩ أغسطس ١٩٤٢.

* الإخوان المسلمون النصف شهرية، العدد (٢)، السنة الأولى، ١رمضان ١٣٦١هـ- ١٢سبتمبر ١٩٤٢م.

* مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (٣)، السنة الأولى، ١٥ رمضان ١٣٦١هـ- ٢٦ سبتمبر ١٩٤٢.

* مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (٤)، السنة الأولى، ٢٩ رمضان ١٣٦١هـ- ١٠ أكتوبر ١٩٤٢.

* مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (٥)، السنة الأولى، ١٤ شوال ١٣٦١هـ- ٢٤ أكتوبر ١٩٤٢.

* مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (٧)، السنة الأولى، ١٢ ذو القعدة ١٣٦١هـ- ٢١ نوفمبر ١٩٤٢.

* مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (٨)، السنة الأولى، ٢٦ ذو القعدة ١٣٦١هـ- ٥ ديسمبر ١٩٤٢.

* مجلة الإخوان المسلمين نصف الشهرية، العدد (٩)، السنة الأولى، ١٨ذو الحجة ١٣٦١هـ- ٢٦ديسمبر ١٩٤٢م.

* مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (١٧)، السنة الأولى، ١١جمادى الأولى ١٣٦٢هـ- ١٥مايو ١٩٤٣م.

* مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (٤٦)، السنة الثانية، ١٨ ذو القعدة ١٣٦٣- ٤ نوفمبر ١٩٤٤.

* مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية، العدد (٤٧)، السنة الثانية، ٢ذو الحجة ١٣٦٣هـ- ١٨نوفمبر ١٩٤٤م.

مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية [الأربعينيات]:

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٧٠)، السنة الثالثة، ١٤ شوال ١٣٦٤هـ- ٢٠ سبتمبر ١٩٤٥م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٧٣)، السنة الثالثة، ٧ ذو القعدة ١٣٦٤هـ- ١٣ أكتوبر ١٩٤٥م.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٧٤)، السنة الثالثة، ١٤ ذو القعدة ١٣٦٤هـ- ٢٠ أكتوبر ١٩٤٥.

* مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٨٩)، السنة الرابعة، ٧ ربيع الأول ١٣٦٥- ٩ فبراير ١٩٤٦.

جريدة الإخوان المسلمين اليومية:

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٢)، السنة الثانية، ٣ محرم ١٣٦٧هـ- ١٦ نوفمبر ١٩٤٧م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٣)، السنة الثانية، ٤ محرم ١٣٦٧هـ- ١٧ نوفمبر ١٩٤٧م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٤)، السنة الثانية، ٥ محرم ١٣٦٧هـ- ١٨ نوفمبر ١٩٤٧م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٥)، السنة الثانية، ٦ محرم ١٣٦٧هـ- ١٩ نوفمبر ١٩٤٧م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٦)، السنة الثانية، ٧ محرم ١٣٦٧هـ- ٢٠ نوفمبر ١٩٤٧م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٩)، السنة الثانية، ١١ محرم ١٣٦٧هـ- ٢٤ نوفمبر ١٩٤٧م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٨٠)، السنة الثانية، ١٢ محرم ١٣٦٧هـ- ٢٥ نوفمبر ١٩٤٧م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٨١)، السنة الثانية، ١٣ محرم ١٣٦٧هـ- ٢٦ نوفمبر ١٩٤٧م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٨٢)، السنة الثانية، ١٤ محرم ١٣٦٧هـ- ٢٧ نوفمبر ١٩٤٧م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٨٦)، السنة الثانية، ١٩ محرم ١٣٦٧هـ- ٢ ديسمبر ١٩٤٧م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٨٨)، السنة الثانية، ٢١محرم ١٣٦٧هـ- ٤ديسمبر ١٩٤٧م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٧١٩)، السنة الثالثة، ٢ذو القعدة ١٣٦٧هـ- ٥سبتمبر ١٩٤٨م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٧٤٩)، السنة الثالثة، ٧ ذو الحجة ١٣٦٧هـ- ١٠أكتوبر ١٩٤٨م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٧٥٠)، السنة الثالثة، ٨ ذو الحجة ١٣٦٧هـ- ١١أكتوبر ١٩٤٨م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٧٥١)، السنة الثالثة، ٩ذو الحجة ١٣٦٧هـ- ١٢أكتوبر ١٩٤٨م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٧٥٣)، السنة الثالثة، ١٤ذو الحجة ١٣٦٧هـ- ١٧ أكتوبر ١٩٤٨م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٧٥٤)، السنة الثالثة، ١٥ ذو الحجة ١٣٦٧هـ- ١٨ أكتوبر ١٩٤٨م.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٧٥٥)، السنة الثالثة، ١٦ ذو الحجة ١٣٦٧هـ- ١٩أكتوبر ١٩٤٨.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٧٥٧)، السنة الثالثة، ١٨ ذو الحجة ١٣٦٧هـ- ٢١ أكتوبر ١٩٤٨.

* جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٧٥٩)، السنة الثالثة، ٢١ذو الحجة ١٣٦٧هـ- ٢٤أكتوبر ١٩٤٨م.

مجلة الشهاب:

* مجلة الشهاب، العدد (٢)، السنة الأولى، ١صفر ١٣٦٧هـ-١٤ ديسمبر ١٩٤٧م.

* مجلة الشهاب، العدد (٣)، السنة الأولى، ١ربيع الأول ١٣٦٧هـ- ١٣يناير ١٩٤٨م.

* مجلة الشهاب، العدد (٤)، السنة الأولى، ١ربيع الآخر ١٣٦٧هـ- ١١فبراير ١٩٤٨م.

* مجلة الشهاب، العدد (٥)، السنة الأولى، ١جمادى الأولى ١٣٦٧هـ- ١٢مارس ١٩٤٨م.

الأساس:

* الأساس، العدد (٥٢٦)، ١٧ربيع الآخر ١٣٦٨هـ- ١٥فبراير ١٩٤٩م.

الكتب

* ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: د.كمال علي علي الجمل، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

* الأستاذ جمعة أمين عبد العزيز: أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، الكتاب الثاني، بدايات التأسيس والتعريف... البناء الداخلي [١٩٢٨-١٩٣٨م]، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

* جمعة أمين: سلسلة أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، الكتاب الرابع، مرحلة التكوين.. البناء الداخلي [١٩٣٨-١٩٤٣]، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

* الأستاذ جمعة أمين: سلسلة أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، الكتاب الخامس، مرحلة التكوين... استكمال البناء الداخلي [١٩٤٣-١٩٤٥]، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

* الإمام حسن البنا: رسالة المنهج، رجب ١٣٥٧هـ- سبتمبر ١٩٣٨م.

* الإمام الشهيد حسن البنا: المأثورات، دار الشهاب، د.ت.

* صبري أبو المجد، مذكراتي في السجن، صفحات مطوية من تاريخنا الوطني.

* فؤاد كرم: النظارات والوزارات المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية.

* فهمي أبو غدير: قضيتنا، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

* مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

* محمود متولي: مصر والحياة الحزبية والنيابية قبل سنة ١٩٥٢، دراسة تاريخية

وثائقية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة.

* د.يوسف القرضاوي: التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

الرسائل الصادرة عن المركز العام

* إلى الشباب، دار الكتاب العربي بمصر، د.ت.

* رسالة الجهاد، دار الكتاب العربي بمصر، د.ت.

* المؤتمر الدوري السادس بدار المركز العام بالقاهرة، ذو الحجة ١٣٥٩ الهجرية، يناير ١٩٤١ الميلادية.

* مؤتمر طلاب الإخوان المسلمين، ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م، لجنة المؤتمر بدار الإخوان المسلمين.

* مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي، دار الكتاب العربي بمصر، د.ت.

* من محفوظات الإخوان المسلمين، عقيدتنا وتعهدنا... الأدعية المأثورة في اليوم والليلة.. منشورات، د.ت.

* المناجاة، رجب ١٣٥٧هـ- سبتمبر ١٩٣٨م.

* المنهج، رجب ١٣٥٧هـ- سبتمبر ١٩٣٨م.

* نظام الأسر ورسالة التعاليم، دار الكتاب العربي بمصر، د.ت.

الإسطوانات المدمجة

* مكتبة الألباني، الإصدار الأول.

* المكتبة الألفية.

* المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

* مكتبة الفقه وأصوله.

* منظومة التحقيقات الحديثية.

* موسوعة الحديث الشريف (حرف) [الكتب التسعة].

* الموسوعة الشعرية.

* * *


النادي الشبابي

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

مَجمُوعَةُ رَسَائِلِ الإِمَامِ البَنَّا

هذا الكتاب الخامس عشر من سلسلة " من تراث الإمام البنا " وهو مجموعة الرسائل، والذي يعتبر ركيزة من أهم الركائز الدعوية للإخوان، فكراً، ورؤية، وعملاً.

واصدارنا هذا إصدار متميز لمجموعة الرسائل تميَّز عن غيره من الإصدارات بميزات عدة، نذكر منها:

١. أننا قمنا بمراجعتها على الأصول المنشورة، كالمقالات في المجلات، أو الكُتَيبات التي صدرت عن المركز العام للإخوان، مع إثبات الفروق التي قد تقع عند إعادة نشر الرسائل.

٢. ضبط المتن ضبطاً جيداً، مع تحقيق الأحاديث النبوية، والإشارة للأحداث التاريخية المذكورة، والتعريف بالأعلام.

٤. إستدارك النقص في بعض الإصدارات السابقة.

٥. إضافة بعض الرسائل الجديدة كرسالة: " المنهج "، و" الإخوان والانتخابات "، و" المؤتمر الشعبي ".

٦. ترتيب الرسائل ترتيباً تاريخيًا، وذلك اعتماداً على التواريخ المذكورة عند إصدارها أما الرسائل التي جائت غُفلاً عن ذكر التاريخ فرجعنا لمعرفة تواريخها لإخوة من الرعيل الأول، فأفادونا في تحديد التواريخ على وجه التقريب.

٧. وضع مقدمات مختصرة لكل رسالة على حدة، توضح تاريخ صدورها، والظروف والملابسات التي صاحبتها ما أمكننا ذلك.

ونحب أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أن رسالة " العقائد " لم نضعها في هذا الكتاب، لأننا سبق وأن وضعناها في الكتاب الأول من السلسلة، وهو كتاب " العقيدة والحديث ".

الناشر

المشرف العام: جمعة أمين عبد العزيز







9786059102292



www.nidayayincilik.com.tr
nida@nidayayincilik.com.tr
/nidayayincilik





النادي الشبابي

ملحق

تم إضافة رسالتين إلى الطبعة
الحديثة من
(مجموع الرسائل)
وهما :

- الله في العقيدة الإسلامية
- رسالة العقائد

من رسائل الإمام الشهيد
حسن البنا

الله
في العقيدة الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن قام بدعوته الى يوم الدين .

الكتاب الذى بين يديك — أيها القارىء الكريم — يضم أربعة رسائل للامام الشهيد حسن البنا — رضى الله تعالى عنه وأرضاه — وهى : « الله فى العقيدة الاسلامية ، والمناجاة ، والى الشباب ، ورسالة الجهاد » . . . واذا لم يكن لنا فى الحقيقة والواقع خيار فى ضم هذه الرسائل فى كتاب واحد الا ان ذلك كان أمرا . . لا ضرر منه ولا ضرار . . ذلك أنه اذا كان الاسلام كما أوضحه الامام الشهيد رضى الله عنه عقيدة وعبادة ، ودينا ودولة ، ومصحفا وسيفا . . فقد تلقى كل رسالة من هذه الرسائل ضوءا على هذا الجانب من النظام الاسلامى الشامل . . واذن فلا بأس بهذه الرسائل فى كتيب واحد .

وقد آثرنا أن نبدأ بالبحث الاول عن « الله فى العقيدة الاسلامية » تيمنا بلفظ الجلالة واستلهاما للتوفيق والسداد من الله عز وجل (وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) وقد نشر هـذا البحث فى كل من العدد الثانى والثالث والرابع من مجلة الشهاب التى كان يصدرها الامام الشهيد حسن البنا فى غرة صفر ، وربيع الأول ، وربيع الآخر سنة ١٣٦٧ هجرية ، ومن حق كاتب هـذه السطور الامام الشهيد ، وكذلك من حق القارىء ان نذكر هنا أن هذا البحث لم يتم فصولا ، فقد كانت له بقية كما أشير الى ذلك فى نهاية المقال الثالث . . حال دون نشرها استشهاد الامام الشهيد رضى الله تعالى عنه وأرضاه .

ولكن رغم ذلك فان تلك المقالات الثلاث ذاخرة بفيض من حكمة

الامام الشهيد وبلاغته ، وحسبك ان تقرا فيها كيف رد الامام على الذين يزعمون بان الدين افيون الشعوب ، وكيف تعرض الامام الشهيد لمشكلة القضاء والقدر ، فذكر فى سطور عدة ، مالايكفيه كتاب كامل ، وذلك حيث يقول الامام :

« ان الايمان بالقضاء والقدر كما جاءت به الاديان السماوية مفروض على المؤمنين فى النتائج لا فى الاسباب .. فهم مطالبون بالأسباب ، مفروض عليهم السعى لها ، والأخذ بها ، مطالبون بعد ذلك بأن يتركوا النتائج لله مدبر الكون ، الواحد الأعظم .... وما اتبع الناس هذا التواكل والكسل ، الا يوم آمنوا بعقيدة القضاء والقدر ايمانا معكوسا ، فاخذوا بها فى الاسباب فلم يستعدوا ، ونسوها فى النتائج فلم يرضوا ولا ذنب فى هذا العكس للعقيدة ولا للايمان » .

والرسالة الثانية هى رسالة « **الى الشباب** » وقد كتبها الامام الشهيد حسن البنا منذ أكثر من اربعين عاما هجرية مضت فى رمضان سنة ١٣٥٧ هـ ، وهو بعد لم يجاوز سن الشباب انفسهم .. ويوم أن تلقاها شباب الجامعات فى ذلك الوقت وتلقتها الرعيل الأول من طلاب الاخوان المسلمين بالجامعة ، وقفوا سدا منيعا ضد العلمانية والعلمانيين بالجامعة ، وكانت هذه الرسالة هى عصا التحويل .. هى المنطلق لذلك التيار الاسلامى الجارف فى الجامعة .. هى همزة الوصل بين العلم والدين منذ ذلك التاريخ الى الآن .

هذه الرسالة نقدمها اليوم الى شباب الجامعات فالمعركة مستمرة بين الحق والباطل ، كانت وستظل الى يوم القيامة . « يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها » .. نقدمها آملين أن يقوم شباب الجامعات اليوم بما قام به اسلافهم بالأمس ليصدق فيهم قول الشاعر :

نبنى كما كانت أوائلنا   تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

أما الرسالة الثالثة فهى « **رسالة الجهاد** » وهى تعالج تلك القضية التى هتف بها صاحب الدعوة الاولى ، منذ ان هتف بدعوته ، وشاهد المسلمين مستذلين لغيرهم ، محكومين بالكفار ، قد ديست ارضهم ،

وانتهكت حرماتهم ، وتحكم فى شئونهم خصومهم وتعطلت شعائر دينهم فى ديارهم ، فضلا عن عجزهم عن نشر دعوتهم ، فوجب وجوبا عينيا لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم،وأن ينطوى على نية الجهاد ، واعداد العدة له ، حتى تحين الفرصة ويقضى الله أمرا كان مفعولا .. نعم تعالج هذه الرسالة قضية الجهاد الذى اتخذها الامام الشهيد شعارا لدعوته ونبراسا لفكرته « **الجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا** .. »

ووقف فى محنة سنة ١٩٤٨ وقد أحيط به من كل جانب واعتقل اخوانه وأحبابه . موقف الأبطال الصناديد ... وقف وقفةالحسين فى كربلاء ... وقفة كانت أحسن الى صاحبها من الدنيا وما فيها :

أيا صاحبى قف لى مع الحق وقفة

أن شلبها وجداً وأصابها وجدا

وقل للملوك الأرض تجهد جهدها

فذا الملك ملكى لا يباع ولا يهدى

هذه الرسالة نقدمها اليوم الى الذين لا يجدون حلا لمشكلة الشرق الأوسط .. والحل بين أيديهم .. هو ما تضمه هذه الرسالة من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة . لو آمنوا بما فيها وعملوا بما بها وحسبك دليلا على ذلك ما قام به الشباب المسلم فى السويس حفظة كتاب الله تبارك وتعالى فى حرب رمضان عام ١٣٩٣ هـ حين ردوا وحدهم على قلة من العدة والعتاد والتدريب جيش اسرائيل الذى عبر القناة وفتح الثغرة .

والرسالة الأخيرة أيها القارىء الكريم هى « **رسالة المناجاة** » وهى توأم رسالة المأثورات نقدمها زادا للمتقين العابدين القانتين بآيات الله آناء الليل وأطراف النهار « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

الرسائل الاربع .. نقدمها الى الذين يؤمنون بالاسلام نظاما شاملا .. فهو عقيدة وعبـــادة .. ودين ودولـــة .. ومصحف وسيف ..

الى رهبان الليل وفرسان النهار نقدم اليهم الزاد والقوة والعتاد.
« والله غالب على أمره » ..

احمد سيف الاسلام حسن البنا

* * *

الله في العقيدة الإسلامية

١ *

« هو الله الذي لا اله
الا هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم » .

ترددت في اختيار الكلمة الأولى في هذا الباب ، باب العقائد طويلا ! أأكتب عن « الدين » ما هو وما صلته بالنفس والمجتمع وما أثره فيهما وما مدى حاجتهما اليه ؟ أم أكتب عن تاريخ العقائد في الاسلام وما طرأ على أسلوب تصويرها بفعل الأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية وتلون هذا الأسلوب بلون العصور التاريخية للأمة الاسلامية؟! أم أدخل في الموضوع مباشرة فأكتب عن أجل العقائد قدرا وأعمقها أثرا وهي العقيدة في « الله » . وأخيرا رأيتني مدفوعا الى هذا المعنى الأخير ولتلك البحوث موضعها ان شاء الله .

---

* نشرت في العدد الثاني من مجلة الشهاب الصادرة في غرة صفر ١٣٦٧ هـ (١٤ ديسمبر ١٩٤٧ م) .

اسـلوب البحث :

لن ألجأ الى المصطلحات الفنية التى تواضع عليها العلماء المختصون بعلم الكلام ولن أحاول الخوض فى النظريات الفلسفية أو الأساليب المنطقية التى درج عليها المتكلمون حين يعالجون مثل هذه الموضوعات ولكنى سألجأ الى القرآن الكريم والى السنة المطهرة والى ما عرفنا من سيرة الصدر الأول من المؤمنين بهذا الدين وهم لا شك أصفى الناس فطرة وألينهم قلوبا وأدقهم ادراكا للمقاصد وأعرفهم بمواقع الألفاظ والجمل والتراكيب وأعذبهم تذوقا لدقائق المعانى والمشاعر وبهذا كانوا نماذج الكمال لأهل هذا الدين .

وانى لأتمثل الآن فريقين من المؤمنين : فريق الصدر الأول الذى تلقى العقيدة الاسلامية ألفاظا مبسطة تنبض بالحياة وتفيض بالشعور وترف بالجمال والوجدان وتوجه الى العمل الصالح المنتج فلا يعلم للايمان معنى الا ما صوره به القرآن الكريم فى قول الله تبارك وتعالى : **« قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم من اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون .. »** الآيات ١ — ١١ المؤمنون .

وفريق العصر الأخير الذى تلقى هذه العقيدة مصطلحات فلسفية معقدة وكلمات فنية جامدة ميتة تكد الذهن وتتعب العقل وتضايق الروح وتتشعب بالفكر فى أودية من الفروض والأخيلة والقضـايا والبحوث والمقدمات والنتائج لا نهاية لها . فما هو الايمان ؟ وما الفرق بينه وبين التصديق ؟ وهل يزيد وينقص ؟ وهل هو الاسلام أو هو غيره ؟ وماذا بينهما من العموم والخصوص ؟ وهل العمل شرط فيه أو ركن من أركانه أو لازم من لوازمه؟الى غير ذلك مماهو من الترف العقلى والاسترسال الفكرى الذى لا صلة له بالنور فى القلب والاشراق فى النفس والتوجه الى العمل .

اتمثل هذين الفريقين فأعتقد أن من واجبنا أن نعود سريعا الى ما كان عليه سلفنا الصالحون وأن نستقى العقيدة من هذا النبع الصافى الذى لا لبس فيه ولا غموض وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه مالك عنه أنه قال : « **تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم** » . ولهذا آثرت أن أسلك فى عرض ما أكتب هذه السبيل وبالله التوفيق .

عناصر العقيــدة الاسلامية :

وتتكون العقيدة فى « الله » فى الاسلام من هذه العناصر :

١ ــ الاعتقاد بوجوده الواجب لذاته غير المستمد من ســواه ووصفه جل وعلا بصفات الكمال كلها نتيجة للنظر فى هذا الكون .

فالله تبارك وتعالى موجود موصوف بالعــلم وبالقدرة وبالحياة وبالسمع وبالبصر وبالجمال وبالحكمة وبالارادة الخ .. وذلك واضح معلوم علم اليقين لكل من نظر فى هذا الكون البديع الصنع فالخالق حكيم لوضوح أسرار هذه الحكمة فى المخلوقات وقادر وعالم بأجمع معانى العلم والقدرة وأسماها لأن هذا الكون البديع لا يكون الا عن علم واسع وقدرة محيطة ــ والقرآن الكريم يعدد هذه الصفات فى كثير من المناسبات ، ومن أجمع آياته فى ذلك خواتيم سورة الحشر « **هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحــكيم** » .

٢ ـــ نفى صفات المشابهة والنقص عن الخالق سبحانه • فالتجسيم منفى عنه لأن المادة تتحول والخالق بعيد عن وصف التحول ، والتعدد منفى عنـــه لأنه تركيب والاله لابد أن يـــكون واحـــدا • والأبوة والبنوة بعيـــدان عن صـــفاته لأنهمـــا تجزئة وانفصـــال والخالق لا يتجـــزأ وهـــكذا • والقرآن الكريم يقـــرر هـــذا فى وضـــوح ويجـــادل عنه فى منطق دقيـــق وحجة بالغـــة • فيقـــول فى نفى المشـــابهة « فاطر السموات والأرض جعل لكم من انفســـكم ازواجا ومن الانعـــام ازواجا يذرؤكم فيـــه ليس كمثله شىء وهو الســـميع البصـــير » • سورة الشورى الآية ١١ « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » ويقول فى نفى التعدد « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » سورة الأنبياء ٢١ ، ٢٢ وفى نفى البنوه والتعدد معا : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ســـبحان الله عما يصفون » • المؤمنون ٩١ ، وترى ذلك واضحا فى كثير من الآيات التى ناقش بها القرآن الكريم عقائد الأمم السابقة فنفى كل معانى النقص والمشابهة والقصور عن الخالق سبحانه وتعـــالى •

٣ ـــ عدم التعرض للحقيقة والماهية فى الذات والصفات من حيث هما مع الاحتراس الدقيق بتقرير المخالفة التامة بين ماهية ذات الاله وصفاته وماهية المخلوقات وصفاتهم • يقول القرآن الكريم فى سورة الأنعـــام « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل ، لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف

الخبير » • الأنعام ١٠٢ — ١٠٣ ، وفي الحديث « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا[1] » •

ومن البديهي أن هذا الموقف لا يؤخذ على الاسلام في شيء ولا يقال انه حجر على العقول وانتقاص من حرية الفكر فان العقل البشرى وهو عماد العقيدة في الاسلام يقف الى الآن موقف العجز المطلق أمام حقائق الاشياء جميعا وكل الذي وصل اليه انما هو الخواص وبعض الصفات والآثار أما البسائط المجردة فلم يصل الى حقيقتها بعد ، وما كان الاسلام ليكلف النـــاس ما لا تستطيع أن تدركه العقول والأفهام •

٤ — رسم الطريق الى معرفة صـفات الخالق وادراك كمالات الألوهية ومميزاتها وآثارها والوصول الى ذلك عن طريق النظر في الكون نظرا صحيحا وتحرير العقول والأفكار من الموروثات والأهواء والأغراض حتى تصل الى الحكم الصائب • والقرآن يحث دائما على النظر في الكون والتأمل في المخلوقات ويرفع من قيمة العقل ويعلى

---

(١) هذا الحديث ورد بالفاظ يتفق معناها . قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء رواه أبو نعيم في الحلة بالمرفوع منه باسناد ضعيف ورواه الاصبهانى فى الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه ورواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى في الشعب من حديث ابن عمر وقال هذا اسناد فيه نظر : فيه الوازع بن نافع متروك • وزاد الزبيدى فىالشرح قلت : حديث ابن عمر لفظه « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » . هكذا رواه ابن أبى الدنيا في كتاب التفكر وأبو الشيخ فى العظمة والطبرانى فى الأوسط وابن عدى وابن مردويه والبيهقى وضعفه الاصبهانى وأبو نصر في الابانة وقال غريب ورواه ابو الشيخ من حديث ابن عباس « تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره » ورواه ابن النجار والرافعى من حديث أبى هريرة « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله » الخ .. وتعدد هذه الروايات واجتماعها يكسبها قوة والمعنى صحيح كما قال الحافظ السخاوى في المقاصد . من تعليق السيد رشيد على رسالة التوحيـــد .

من قدر الفكر ، حتى لقد ذكر العقل فى أكثر من أربعين موضعا مقرونا بالتبجيل والتكريم ، والحث على الجد الى ادراك الحقائق وكشف مستورات الوجود مثل قول الله تبارك وتعالى : « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » البقرة ١٦٤ ، وقوله تعالى : « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » آل عمران الآيات ١٩٠ — ١٩١ ، وقوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء » فاطر ٢٧ ، ٢٨ وهو فى هذه الآية يحض على اكتشاف غرائب النبات والحيوان والجماد ثم يرتب على ذلك الخشية من الله اشارة الى ما بين معرفة الكون والعلم به ومعرفة مكونه والعلم به كذلك من صلة .

٥ — تقوية الصلة بين الوجدان الانسانى والخالق جل وعلا حتى يصل الانسان بذلك الى نوع من المعرفة الروحية هو أعذب وأصدق أنواع المعرفة جميعا . وذلك أن الوجدان الانسانى أقدر على كشف المستورات غير المادية من الفكر المحدود بقيود المادة ونتائج الأقيسة الحسية ، فالاسلام كثيرا ما يخاطب الوجدان ويستثير الخواص النفسانية الكامنة فى الانسان لتسموا الى حظائر الملأ الأعلى وتستشعر لذة معرفة الله تبارك وتعالى : « الذين آمنوا وتطمئن

قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب » الرعد ٢٨ ، وأوضح ما تكون هذه الصلة الخفية بين الضمير الانسانى وبين الخالق عند الشدائد التى تنقطع فيها الآمال الا من الله وحده . ويصور القرآن هذا المعنى فى مثل قول الله تعالى : « واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه » الاسراء ٦٧ وقوله تعالى : « هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم أحيط بهم دعــوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هــذه لنكونن من الشاكرين » يونس الآية ٢٢ .

٦ ــ مطالبة المؤمنين بأن تظهر فى أقوالهم وأفعالهم آثار هــذه العناصر العقيدية . فالمؤمن متى اعتقد أن خالقه قادر كانت النتيجة العملية لهذه العقيدة أن يتوكل عليه وأن يلجأ اليه ، واذا اعتقد أنه عالم راقبه واستولت عليه خشيته ، واذا اعتقد أنه واحد لم يدع سواه ولم يسأل غيره ولم يصرف وجهه الا اليه وهكذا . والآيات فى ذلك كثيرة من مثل قول الله تعالى : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمــانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصــلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقــا لهم درجات عنــد ربهم ومغفرة ورزق كريم » . الأنفــال ٢ ــ ٤ .

وبهذا التلخيص والتصوير البديع الدقيق جمع الاسلام كل ما يتصل بالعقيدة فى الله تبارك وتعالى ووضع حدا مانعا من التخبط والتحريف والتفلسف بالباطل والجدل التافه فى أقدس العقائد وأمسها بحيــاة الناس فى الأولى والآخرة ..

واظن أن الذين يفقهون هذه المعانى ويتذوقونها ليسوا بعد ذلك

فى حاجة الى أن يحفظوا أن الواجب فى حقه تعالى ثلاث عشرة صفة هى الوجود والقدم والبقاء ومخالفته تعالى للحوادث وقيامه بنفسه والقدرةو الوحدانية والارادةو العلم والحياة والسمعوالبصر والكلام وبقية الصفات العشرين وأن المستحيل فى حقه تعالى أضداد هذه الصفات وأن الجائز فعل كل ممكن أو تركه ، كما كنا نحفظ ذلك نحن من قبل .

وليسـوا فى حاجة كذلك الى التطويل فى معالجة البحوث الفرعية المتصلة بهذه العقائد كبحث الصفات والأسماء وهل هى توقيفية أو قياسية ومتعلقات هذه الصفات المسمى عين الاسم أو غيره ، والعمل شرط فى الايمان أو غير شرط فيه .. الخ مما يتصل بالفلسفة والترف العقلى أكثر مما يتصل بالعقيدة والاطمئنان القلبى .

ووصيتى الى القراء الكرام أن يلاحظوا هذه المقاصد وهم يقرءون كتاب الله تبارك وتعالى ويجتهدون حين القراءة فى التدبر على ضوئها وسيجدون فى ذلك لذة واشراقا لا يعدلهما شىء .

أما ماذا يقول الجاحدون من الملاحدة وبم يرد عليهم فهذا ماسنعرض له ـ فى الكلمة التالية ان شـاء الله .

* * *

الله فى العقيدة الإسلامية

٢ *

تطور عقيـدة الألوهيـة :

يقول الجاحدون بآيات الله : ان أساس عقيدة الألوهية نوع من « الضعف الانسانى » استحوذ على الانسان الأول حين رأى نفسه وحيدا فى مجاهل هذه الأرض ، هائما على وجهه بين المغاور والكهوف ، يخشى على نفسه الحيوانات المفترسة ، ويجد الوحشة والحيرة أمام حوادث الكون الغريبة على سمعه وبصره ، ويتلمس الفائدة وسـد حاجاته الطبيعية من طعام وشراب ودفء أينما وجد اليها سبيلا ، ويستشعر الراحة واللذة أحيانا فى ضروب من الأعمال أو المشاهدات ، كما يجد الألم والعناء فى أعمال ومشاهدات أخرى ، وكل ذلك دفع به الى أن يجد الرهبة لمـا هو أقوى منه ، والرغبة فيما يفيده وينفعه ، والاعجاب بما يسره ويطمئنه ، فخضع لهذه المعانى جميعا وظهر هذا الخضوع فى صورة عبودية وتأليه . فعبد وأله صنوفا من الحيوان والنبات ، وعبد وأله من هو أقوى منه من بنى الانسان ، وعبد وأله الشمس والقمر والنجوم والكواكب،وصنع التماثيل والرموز،واخترع

---

*، نشرت فى العدد الثالث من مجلة الشهاب الصادر فى غرة ربيع الأول ١٣٦٧ هـ (يناير ١٩٤٨ م) .

الصور والطقوس ليعبر بها عن هذه المشاعر ، وعبد وأله النار والنور ، والخير والشر ، وأقام لذلك كله المعابد . وجاء الرسل فاستغلوا فى الانسان هذا الشعور ووضعوا له هذه العقيدة فى « الله » وما هى الا عقيدة وهمية لا وجود لهـا ولا حقيقة وانما يؤمن بها السذج البسـطاء الذين ينخدعون بالظنـون وتروج عنـدهم الأوهـام ، أما الراسخون فى العلم فى عرفهم ، القائمون على دولة المنطق والفكر ، المستنيرون بثمرات البحث العقلى ، فهؤلاء لا يقيمون وزنا لهذه الآراء وخصوصا وأن أحدا من الناس لم ير هذا الاله بعينه ولم يدركه باحدى حواسه . والحواس هى وسائل المعرفة والادراك الذى لا شك فيه .

ويقولون أن لهذه العقيدة أثرها فى فساد المجتمعات ، فانهـا تعلم الناس الكسل والتواكل والرضا بالظلم والصبر على الضيم وتخدعهم عن حقهم فى الحياة بما تطبعهم عليه من الضعف والاستسلام وترقب حكم القضاء والاعتماد على القدر ، ولهذا أطلق بعض فلاسفة هذه الفكرة المادية الصرفة على العقائد والأديان « مخدر الشعوب » وجعلوا فى رأس مناهجهم الاصلاحية الاجتماعية أن يحاربوا « الدين » وأن ينزعوا عقائده من صدور أهله بكل سبيل ، وهم بمزاعمهم هذه الباطلة يحاولون أن ينالوا من عقيـدة الألوهية الحقة الواضحة فى مصدرها وأصلها ، وفى جليل نتائجها وعظيم أثرها ، ولن يستقيم لهم ذلك فانه باطل لا يقوم أمام الحق . « **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون** » سورة الأنبياء الآية ١٨ وهو ناموس الوجود الذى لا يتخلف أبدا « **فأما الزبد فيذهب جفـاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** » سورة الرعد الآية ١٧ .

لم يكون الوهم ولا تكون الفطرة ؟

ونقول لهؤلاء الجاحدين : انكم حملتم هذا الشعور بالحاجة الى

القوة المساعدة والاشراقة الهادية والسكينة المطمئنة الى الوهم والخيال ولا دليل لكم على ذلك الا مجرد التحكم والتلاعب بالألفاظ ، ولم لا يكون هذا الشعور هو « فطرة الانسان » التى فطره الله عليها ، وهى حقيقة لا وهم معها ولا خيال ، فللانسان مطالبه المادية التى يقوم عليها وجوده البدنى وله كذلك مطالبه النفسانية التى يتم بهـا كيانه الروحى ، وهذه الغرائز من الخوف والخشية والعواطف من الحب والاشفاق والمشاعر من اللذة والسرور هى وسائله الى هذا الرقى النفسانى الذى لا يبلغ الانسان مدارج الكمال فيه الا اذا عرف « الله » **« فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شـيعا كل حزب بما لديهم فرحون »** سـورة الروم الآيات ٣٠ ــ ٣٢ .

دليـل الفطرة اول الأدلة :

ان هذا الشعور الذى يراه الجاحدون دليلا على الاغراق فى الوهم يراه المؤمنون أول الأدلة على وجود الله تبارك وتعالى وعظمته وتأصل الاعتقاد بذلك فى نفوس البشر أجمعين الا من انحرفت فطرتهم ومرضت قلوبهم فضلوا عن السبيل ، كما يرونه كذلك النبع الصافى لمعرفة الله .

قد يختلف البشر فى تصور العقيدة فى « الله » عز وجل ولكنهم لم يختلفوا فى القديم ولا فى الحديث فى الايمان بوجوده وعظمته وضرورة معرفته والاتصال به .

وان الجماعة البشرية التى يبلغ تعدادها اليوم ١٥٠٠ مليون من

الأنفس لا تخلو حياة أمة من أممها عن مراسيم العبودية « لله » كائنة ما كانت هذه المراسيم والطقوس .

وان تاريخ هذه الأمم جميعا لم يخل يوما من الأيام من هذه العقيدة ، وان لغات العالم فى القـديم وفى الحديث على اختلاف لهجاتها واشتقاقاتها لم تهمل التعبير عما يخالج نفوس الناس من العقائد والمشاعر المتصلة بالله ، فعلى أى شىء يدل هذا كله الا على أن العقيدة فى الله الخالق العظيم ، فطرة فى نفوس البشر فطر عليها الناس يوم خلقهم وصدق الله العظيم « **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى** » سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

سأل رجل جعفر الصادق رضى الله عنه عن « الله » فقال : ألم تركب البحر ؟ قال : بلى ، قال : فهل هاجت بكم الريح عاصفة ؟ قال : نعم ، قال : وانقطع أملك حينئذ من الملاحين ووسائل النجاة ؟ قال نعم ، قال : فهل خطر ببالك وانقدح فى نفسك أن هناك من يستطيع أن ينقذك ان شاء ؟ قال نعم ، قال : فذلك هو « الله » ـــ والى هذا أشارت الآية الكريمة « **واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه** » سورة الاسراء الآية ٦٧ والآية الكريمة « **هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين** » سورة يونس الآية ٢٢ .

دليـــل البداهة :

ولأن العقيدة فى الله تبارك وتعـــالى مصدرها الفطرة الانسانية

أولا ذهب بعض الفلاسفة الى أن وجوده سبحانه وما يتصل بهذا الوجود من معانى العظمة العامة من البداهة التى لا تحتاج الى دليل ، وانما جاء الرسل وتنزلت الكتب لتدل الناس على ما سوى ذلك من صفات الكمال ، وما يجب أن يتنزه عنه الخالق سبحانه من صفات النقص التى لا تليق بجلاله ولترشدهم الى حقه عليهم وحدود صلتهم به وصلته بهم • وليس غريبا أن يصدق العقل الانسانى أو يؤمن القلب الانسانى بشىء بدون برهان ، فهذا شأنه فى كل المسائل البديهية وهى أوليات علومه ومعارفه وأحاسيسه • فالكل أعظم من الجزء حقيقة مقررة بدون برهان ، والواحد نصف الاثنين كذلك ، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان • وقائل هذا القول لم يبعد عن الحقيقة ، ولم يجاف الصواب عند من سلم ادراكه وصحت فطرته •

من الأدلة على صدق العقيدة فى الله :

على أن الأدلة على صدق العقيدة فى الله تبارك وتعالى : وجوده وعظمته وجميل صفاته وتقدسه عن كل نقص واستحقاقه لكل كمال أكثر من أن تحصر ، وهى واضحة بينة فى كل صفحة من صفحات هذا الكون ومظهر من مظاهر هذا الوجود •

تأمل سطور الكائنات فانها
من الملأ الأعلى اليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت سطرها
ألا كل شىء ما خلا الله باطل

وجود هذه الكائنات على اختلاف طبائعها وخصائصها ونواميسها دليل قاطع على وجود مكونها وقدرته وعظمته ، التناسق العجيب والارتباط الغريب بينها جميعا وما يعرض لها من اختلاف الخواص

والميزات بالتحليل والتركيب وتفاوت نسب العناصر والذرات دليل على واسع علمه ومطلق ارادته ، ومحال أن تكون المادة الصماء أو الصدفة العمياء هى مصدر هذه الحياة النابضة بالحس والحركة ومبعث هذا التناسب والتناسق بين هذه المكونات وانما هو صنع الله الذى أتقن كل شيء «**ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت**» (*) .

من شهادات علماء الكون :

ومن هنا كان علماء الكون من أعرف الناس بالله وأوثقهم اعتقادا به وكانت العلوم الكونية الطبيعية من الوسائل القريبة الى معرفة الله ، والى هذا أشارت الآية الكريمة « **ألم تر أن الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء** » سورة فاطر الآية ٢٧ — ٢٨ .

وذلك على عكس ما يظنه ويذهب اليه أغرار المخدوعين بقشور من المعرفة ، وزخرف أقوال تلقفوها عن الملاحدة فى عصر مضى أوانه وانقضى ابانه ، وهذه بعض أقوال أولئك العلماء الكونيين تنطق بالايمان بالله رب العالمين .

قال ديكارت : « انى مع شعورى بنقص ذاتى أحس فى الوقت نفسه بوجود ذات كاملة وأرانى مضطرا الى اعتقادى بأن هذا الشعور قد غرسته فى ذاتى تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال ، وهى « الله » .

(*) سورة الملك الآية ٣ .

وقال اسحق نيوتن : « لا تشــكوا فى الخالق فانه ممــا لا يعقل أن تكون المصادفات وحدها هى قاعدة هذا الوجود » .

وقال هرشل : « كلما اتسع نطاق العــلم زادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلى لا حــد لقدرته ولا نهاية . فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده » .

وأفاض هربرت سبنسر فى هذا المعنى فى رسالته فى التربية اذ يقول : « العلم يناقض الخرافات ولكنه لا يناقض الدين نفسه ، يوجد فى كثير من العلم الطبيعى الشائع روح الزندقة ولكن العلم الصحيح الذى فات المعلومات السطحية ورسب فى أعماق الحقائق براء من هذه الروح ، العلم الطبيعى لا ينافى الدين والتوجه للعلم الطبيعى عبادة صامتة واعتراف صامت بنفاسة الأشياء التى نعانيها وندرسها ثم بقدرة خالقها ، فليس هذا التوجه تسبيحا شفهيا بل هو تسبيح عملى ، وليس باحترام مدعى وانما هو احترام أثمرته تضحية الوقت والتفكير والعمل ، وهذا العلم لا يسلك طريق الاستبداد فى تفهيم الانسان استحالة ادراك كنه السبب الأول وهو « الله » ولكنه ينهج بنا النهج الأوضح فى تفهيمنا الاستحالة بابلاغنا جميع الحدود التى لا يستطاع اجتيازها ثم يقف بنا فى رفق وهوادة عند هذه النهاية وهو بعد ذلك يرينا بكيفية لا تعادل صغر العقل الانسانى ازاء ذلك الذى يفوت العقل ..» ثم أخذ يضرب الأمثلة على ما ذهب اليه فقال : « ان العالم الذى يرى قطرة الماء فيعلم أنها تتركب من الأوكسجين والايدروجين بنسبة خاصة بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئا آخر غير المــاء يعتقد عظمة الخالق وقدرته وحكمته وعلمه الواسع بأشــد وأعظم وأقوى من غير العالم الطبيعى الذى لا يرى فيها الا أنها قطرة

ماء فحسب • وكذلك العالم الذى يرى قطعة البرد (قطعة الثلج الصغيرة النازلة مطرا) وما فيها من جمال الهندسة ودقة التصميم لا شك أنه يشعر بجمال الخالق ودقيق حكمته أكثر من ذلك الذى لا يعلم عنها الا أنها مطر تجمد من شدة البرد •

قصــور العقل الانســانى :

والفكر الانسانى باجماع المفكرين والعقلاء قاصر عن ادراك كنه ما يحيط به من الموجودات الحسية جميعا فضلا عن القوى والكائنات التى لا تقع تحت حســه ــ وأن كان مجبولا على مواصلة البحث والنظر وتلك هى مهمته ووظيفته التى لا تنفك عنه ولا ينفك عنها ، على أن قصارى ما يصل اليه معرفة بعض المزايا والخصائص والصفات أما الحقائق المجردة والماهيات البسيطة فلم تقع فى دائرة ادراكه بعد • والذى يقوله الراسخون فى العلم أنها لن تقع فى ادراكه ، وأنه كلما حاول بحكم طبيعته الوصول اليها والحصول عليها ، أفلتت منه وتركت بين يديه بعض خصائصها وصفاتها •

العقل الانسانى لم يدرك بعـــد شيئا من حقائق العناصر المبسطة ، وكلما أوغل فى الجرى وراء حقيقتها انقلبت أمامه الى مركبات تضاعف جهله بها ، وبعد أن كان أمام عنصر واحد يجد فى البحث عن حقيقته يصبح أمام عنصرين أو أكثر عليه أن يبحث عن حقائقها من جـــديد ، وقل مثل ذلك من ماهية القوى الكونية التى تبدو فى الحياة واضحة كل الوضـــوح بآثارها ، مجهـــولة كل الجهالة بحقيقتها كالكهـــرباء والمغناطيسية والأثير والجاذبية الى غير ذلك من الأسماء والألفاظ والفروض والمصطلحات التى اخترعها الفكر الانسانى ليستر بهـــا حقيقة جهله « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » * •

* سورة الاسراء الآية ٨٥

والعقلاء جميعا متفقون على أن قصور العقل عن ادراك كنه حقيقة من الحقائق أو جهله بها ليس معناه عدمها أو خفاؤها فهى واضحة كل الوضوح بآثارها وخصائصها خفية كل الخفاء بأسرارها ودقائق ماهيتهـــا .

ان الفطرة الانسانية تهتف بالانسان دائما وأبدا أن يتعرف الى « الله » وكل مظاهر هذا الكون وموجوداته بما فيها نفس الانســـان لاتجد أمام الفكر الانسانى أى مجال لانكار « وجود الله وعظمة الله » والدلالة الواضحة على « الله » وأن القلب الانسانى اذا صـــفا وأشرق تذوق حقيقة لذة الايمان « بالله » ولقد سئل أحد العارفين عن الأدلة التى أقنعته بالايمان بالله فابتسم وقال أغنى الصباح عن المصباح متى احتاج النهار الى دليـــل ؟

فقصور العقل الانسانى عن ادراك حقيقة ذات الخالق وصفاته وقصور الحواس الانسانية الكليلة عن الوصول الى شىء من ذلك ليس معناه العدم والجحود والانكار ، وكما سلم العقل الانسانى والحس الانسانى بما لم يدركه من هذه القوى المحيطة به فان لزاما عليه أن يسلم برب هذه القوى ويسلم وجهه اليه **«وأمرنا لنسلم لرب العالمين»***

اى الطريقين خير ؟

وأما أن عقيدة الألوهية كان لها فى المجتمع الانسانى أسوأ الآثار فقول منقوض من أساسه لا يقوله الا جاهل بتاريخ البشر أو مكابر فى الحق بغير برهان .

وما وقعت هذه المفاسد التى يذكرونها الا حين ترك الناس هذه العقيدة أو آمنوا بها على غير وجهها ، ودواء ذلك الايمان والعلم ليس

* سورة الانعام الآية ٧١

الجحود والكفران . ان خلاصة ايمان المؤمنين بالله الحق أنهم موقنون بأن لهم الها اتصف بالكمالات كلها وتنزه عن النقائص كلها ، لا علم أوسع من علمه ، ولاقدرة أعظم من قدرته ، ولا كمال أفضل من كماله ، هو معهم أينما كانوا ، يرى ويسمع ، ويحصى ما يقولون وما يعلمون ، وأنه أمرهم بالخير كله لأنفسهم ولغيرهم ، ونهاهم عن الشر كله لأنفسهم ولغيرهم ، وأن تعرفهم اليه وصلة أرواحهم به هى السعادة كل السعادة والفوز العظيم والنعيم المقيم .

هذا الايمان — هو وحده ولاشيء غيره — سر حياة الضمير الانسانى ويقظة الشعور والوجدان وعماد الخلق ومصدر الفضيلة فى الانسان ، وعن هذا الايمان وحده تنبعث أكمل الصفات الانسانية الاجتماعية من الايثار والتضحية والحب والرحمة واسداء الجميل والتعاون على البر والتقوى واحتمال مشاق الجهاد والبذل فى سبيل الحق والخير واقرار المثل العليـــا فى أرض الله .

ولا يمكن أن يستقيم فرد بغير ضمير حى ووجدان مشرق ومحال أن تنهض أمة بغير الحب والتعاون والبذل والايثار والجهاد .

ومتى فقد الايمان فقدت هذه المزايا جميعا وانقلب المجتمع الى قطعان من الوحش والحيوان يأكل بعضها بعضا ومصداق ذلك فى تاريخ الأمم جميعا فى القديم والحديث على السواء .

ولم ير تاريخ الانسانية انقلابا أعظم ولا اصلاحا أتم ولا حضارة أبقى وأخلد من الانقلابات والاصلاحات والحضارات التى قامت على الأصول والقواعد التى جاء بها الأنبياء العظام موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وعصـــارة هذه الأصول وخلاصتها وأعلاها وأثبتها « الايمان بالله » .

فماذا يريد أولئك الجاحدون أن يفعلوا بأنفسهم وبالناس ؟

القضـــاء والقــدر :

ودعوى أن الايمان بقضـــاء الله وقدره مدعاة للتواكل معينة على الخمول والكسل ، دعوى منقوضة من أساسها كذلك . فان الايمان بالقضاء والقدر كما جاءت به الأديان السماوية مفروض على المؤمنين فى النتائج لا فى الأسباب ، فهم مطالبون بالأسباب ، مفروض عليهم السعى لهـا والأخذ بها ، مطالبون بعد ذلك بأن يتركوا النتائج لله مدبر الكون الواحد الأعظم .

ومن هنا كانت عقيدة الايمان بالقضاء والقدر سر عظمة المسلمين الأولين ، لأنهم أخذوا فى الأسباب وبذلوا جهدهم فى استقصائها انفاذا لأمر الله ولم يتهيبوا النتائج الضارة المؤلمة رضى بقضاء الله ، ففازوا بالحسنيين ، وكان أحدهم حين يخرج الى الجهاد فى سبيل الله لا يبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه وتأمل قول أحدهم :

أى يـــومى من المـــوت أفر يوم لا قـــدر أم يوم قـــدر
يـــوم لا قـــدر لا أرهبـــه ومن المقدور لا ينجى الحذر

لترى وتلمس أى معنى من معانى البطولة والشجاعة والاستبسـال قذفت به فى نفسه عقيدة القضاء والقدر فى الوقت الذى لم يكن لهـا عنده أى أثر فى اعداد العدة وتحين الفرصة والخروج الى الصف ومقارعة الأبطـــال .

وما ابتلى الناس بهذا التواكل والكسل الا يوم آمنوا بعقيدة القضاء والقدر ايمانا معكوسا : فأخذوا بها فى الأسباب فلم يستعدوا ، ونسوها فى النتائج فلم يرضوا ، ولا ذنب فى هذا العكس للعقيدة ولا للايمان .

الايمان بالله هو الدواء :

ان الانسانية الحائرة المعذبة الضالة لن تجد دواءها وهداها الا فى ظل عقيدة الايمان بالله ، وجميلقول ذلك الفيلسوف الغربى « لو لم يكن الله موجوداً لوجب علينا أن نخلقه » ، وقوله فى عبارة أخرى « يجب أن يزج فى السجن صاحب أية مدرسة يكون شعارها لا يعلم الدين هنا » وليس الدين الا الايمان بالله فهل يطلع ذلك الفجر الذى يغمر فيه هذه القلوب الحائرة المظلمة المتعبة ضياء الايمان بالله وتطلع عليها شمس معرفته بالدفء والحرارة والنور ؟

* * *

الله في العقيدة الإسلامية

٣ *

الأخطاء التي وقعت فيها الشعوب في عقيدة الألوهية وموقف القرآن منها

جاء القرآن الكريم يثبت في النفوس عقيدة الألوهية « الايمان بالله عز وجل » على النحو الذي ذكرناه آنفا ، وسلك الى هذا التثبيت أقوم السبل وأيسرها ، وأكثرها بساطة وسهولة ، والصقها بالفطرة الانسانية ، وأبعدها عن التكلف والتعقيد كما تقدم ، كما عنى القرآن مع هذا التثبيت بتصحيح هذه العقيدة ونفي الأخطاء والأغاليط والخرافات ، ومن أجل ذلك عرض لأوهام الشعوب وأخطاء الأمم الماضية ، ورد عليها ردا مفحما واضحا ، وحاربها حربا قوية صارمة وسد منافذها ومداخلها وذرائعها سدا محكما ، ولم يدع في ذلك زيادة لمستزيد .

وكانت جملة تلك الأخطاء فيما تناوله القرآن الكريم — الوثنية والتعدد والشرك والتبنى وتأليه البشر وغيرهم من خلق الله كالحيوان

---

* نشرت بالعدد الرابع من مجلة الشهاب الصادر في غرة ربيع الآخر ١٣٦٧ هـ (فبراير ١٩٤٨ م)

والشجر والكواكب ، وأصلها جميعا القصور فى الادراك والخطأ فى التصور ، والغلو فى التعظيم والحب ومحاولة ابراز خصائص الألوهية ولوازمها وما يتصل بها وتجسيمها فى صور محسة ، ثم سوء استخدام هذه الرمزيات الحسية حتى نسى المقصود الأصلى ، وانتقلت هذه الخصائص واللوازم الى تلك الرموز ، هذا مع سوء فهم التعبيرات الدينية أو تحريفها أو حملها على غير ما تقصد اليه ، والتعمق فى الفلسفة النظرية والاسترسال وراء الافتراضات العقلية بغير برهان واضح أو دليل قائم مما يورط فى تخيل ما يتنزه عنه ذات الخالق جل وعلا من حلول أو وحدة أو اتحاد أو غيرها من مزالق الآراء — وكثيرا ما تقع الشعوب فى هذه الأخطاء كلها أو بعضها جملة واحدة ، اذ أن أحدهما كثيرا ما يستتبع غيره ويأخذ بعضها بحجز بعض .

قوم نوح :

ذكر القرآن الكريم قوم نوح وأنهم كانوا يعبدون الأوثان وذكر من هذه الأوثان « ود » وهو صنم كان لقبيلة كلب بدومة الجندل ، و « سواع » وهو صنم لهذيل ، و «يغوث» وهو صنم غطيف من مراد بالجرف، «ويعوق» وهو صنم همدان، و«نسر» وهو صنم ذى الكلاع من حمير وقال بعض أهل التأويل انهم كانوا قوما صالحين فماتوا ، فصنع القوم لهم تماثيل يذكرونهم بها ويرمزون الى تقديرهم اياهم بوجودها ، ثم تطاول عليهم الزمن فنسوا المقصد الأصلى واعتبروها آلهة تعبد من دون الله ، وجاء نوح عليه السلام ليردهم الى الله العلى الكبير فلم يسمعوا له ولم يطيعوه فعاقبهم الله وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

« قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصــارا » . سورة نوح : الآيات ٢١ ــ ٢٥ .

قــوم ابراهيم :

وذكر القرآن الكريم قوم ابراهيم عليه السلام وســجل عليهم عبادة الأصنام والأوثان وعبادة الكواكب والنجوم والشمس والقمر والبشر أيضا . ويفهم من الآيات فى ذلك وفى موقف الخليــل عليه السلام منهم ان ذلك كان أمرا منتشرا بينهم متأصلا فيهم وأنه عليه السلام كان قويا فى دعوتهم الى توحيد الله ثابتا على الحق الذى آمن به وكلف بتبليغه ، واضح الحجة والبرهان أمام باطلهم ، وأنه كان كثيرا ما يحرجهم بوضوح محجته وقوة حجته وحسن تلطفه وبديع أسلوبه ، حتى ضاقوا به ذرعا وأرادوا به كيدا ولم يجدوا له عذابا الا النــار فقال بعضهم لبعض حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين فقال الله تبارك وتعالى لنارهم« كونى بردا وسلاما على ابراهيم »

ورد اسم ابراهيم عليه السلام وقصته فى خمس وعشرين سورة من سور القرآن الكريم فى البقرة . وآل عمران . والنساء . والأنعام . والتوبة . وهود . ويوسف . وابراهيم . والحجر . والنحل . ومريم . والأنبياء . والحج . والشعراء . والعنكبوت . والأحزاب . والصافات وص . والشورى . والزخرف . والذاريات . والنجم . والحديد . والممتحنة والأعلى . وجاءت على صور مختلفة مفصلة أحيانا وموجزة أحيانا أخرى . ومن أروع ما عرضه القرآن الكريم فى ذلك محاجته لقومه فى عبادة الأصنام وفى عبادة الكواكب وفى تأليه البشر .

وفى سورة الأنبياء ابتداء من الآية ٥١ الى الآية ٧١ عشرون آية تصور أبلغ تصوير محاجة ابراهيم لقومه فى عبادة الأصنام ، وكيف انتصر عليهم أروع انتصار . وفى سورة الأنعام ابتداء من الآية ٧٥ الى الآية ٨٣ ثمانى آيات تصور أبلغ تصوير محاجته اياهم فى عبادة الكواكب وكيف آتاه الله الحجة عليهم فلم يحيروا معه جوابا .

وفى سورة البقرة من الآية ٢٥٨ محاجة ابراهيم لهذا الذى ادعى الألوهية تجبرا وعتوا وكيف ألزمه الحجة « **فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين** » .

وفى الآيات ٤١ — ٥٠ من سورة مريم تصوير بديع لمحاورة ابراهيم لأبيه ودعوته اياه ، ولما كان يتحلى به عليه السلام من قوة فى الحجة ، ووداعة فى الخلق ، ولطف فى الأسلوب ، وصلابة فى الحق . ولقد ذهب بعض المفسرين الى أن (آزر) الذى جاء ذكره فى سورة الأنعام ليس اسما لأبى ابراهيم ولكنه اسم لصنم عظيم من أصنامهم التى كانوا يعبدونها ، وأن ابراهيم أراد نهى أبيه عن ذلك بقوله : « **آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين** » . سورة الأنعام الآية ٧٤ ، أى اترك آزر ودع عبادته ، وذهب بعضهم الى أن المخاطب ليس والد ابراهيم ، ولكنه عمه أو قريب هو منه بمنزلة الوالد ، وليس فى هذين القولين ما يباعد بينهما وبين الصحة ، بل لعل هناك ما يرجح ذلك ان شاء الله والله أعلم بالحق فى ذلك . والذى يتصل بما نحن فيه ، أن ابراهيم كان دائب المحاربة للأوثان وللأصنام باللين تارة وبالشدة أخرى ، لا يدع ذلك ولا يتسامح فيه حتى مع أقرب الناس اليه « **قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله**

وحده الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء • ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير » سورة الممتحنة الآية ٤ • « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه أن ابراهيم لأواه حليم » • سورة التوبة الآية ١١٤ • « وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين » سورة العنكبوت الآية ٢٥ ، ومن هنا وصفت ملة ابراهيم بأنها الحنيفية السمحة البريئة من الشرك ووصف ابراهيم بما جاء فى سورة النحل « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم » الآيتان ١٢١ ، ١٢٢ ، ومن هنا صار أبا للمسلمين أى للذين أسلموا وجوههم لله خالصة وبرئوا من ألوان الشرك وضروبه ولوثاته « ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » سورة الحج الآية ٧٨ •

وكأنما أراد الحق تبارك وتعالى أن ينصرف الناس بدعوة ابراهيم وعمله عن الرمزية الوثنية الخاطئة الى الرمزية البشرية الصحيحة فعهد الى ابراهيم عليه السلام أن يبنى الكعبة قياما للناس ويرفع قواعد البيت ليكون رمزا لمشاعر البشر الفردية والاجتماعية ومثابة لوحدتهم وأمنا لخوفهم وقلقهم لا رمزا لصـــفات الاله جل وعلا وخصائصه وأفعاله فصدع ابراهيم بأمر ربه وكان شعاره هو وابنه اسماعيل وهما يرفعان قواعد البيت هــذا الدعاء الكريم الذى مثل التوحيد الخالص « ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا امة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينـــا

انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين » سورة البقرة الآيات ١٢٨ — ١٣١ .

ولقد حرص ابراهيم على أن يجعل الاسلام نبراسا لذريته وبقية فى عقبه « وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون » سورة الزخرف الآية ٢٨ . « واذ قال أبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام » سورة ابراهيم الآية ٣٥ .

قوم موسى :

واستعرض القرآن بعد ذلك رسالة موسى عليه السلام للاسرائيليين والمصريين معا . وكانت مصر حينذاك تمثل جوانب الرقى الانسانى وأرقى ما فى الحضارة البشرية من علم ومعرفة وهداية ونور . ولم تكن الوثنية ديانة المصريين الأصلية ، ولكن أصل ديانتهم التوحيد على ما عرف من كثير من كتاباتهم وآثارهم وتجدد النهضات الدينية بينهم . ولكن العوامل التى تعدو على المجتمعات والشعوب فى عقائدهم عدت عليهم أيضا . فانتقل الدين من الوحدانية الخالصة الى الوثنية بمظاهرها المختلفة . فعبدوا الأوثان من التماثيل والمنحوتات ، وعبدوا الحيوان كالعجل والجعران ، وعبدوا الكواكب كالشمس وعبدوا الملوك والفراعنة واعتبروهم آلهة أو أشباه آلهة . وسرت منهم العدوى الى بنى اسرائيل وتمكنت من أنفسهم تمكنا ذريعا حتى أنهم بعد أن رأوا من آيات الله ما رأوا على يد موسى عليه السلام ، اقترحوا عليه على أثر خروجهم من مصر ونجاتهم من الغرق الذى أهلك الله به فرعون

وجنوده أن يجعل لهم آلهة لمجرد رؤيتهم بعض الوثنيين يعكفون على أصنام لهم ولما تجف أرجلهم من بلل الماء « **وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون** » سورة الأعراف الآيتان ١٣٨ ، ١٣٩ .

وقد طاوعوا السامرى على عبادة العجل ، وخالفوا هارون فى نهيهم عن ذلك بمجرد أن فارقهم موسى عليه السلام بعض أيام لميقات ربه « **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين** » سورة الأعراف الآية ١٤٨ .

ولم تذكر قصة فى سور كثيرة من القرآن الكريم كما ذكرت هذه القصة ، وتكررت بأساليب مختلفة وذلك لكثرة ما فيها من عظات وعبر ولصلتها بالمصريين وهم من أعرق الشعوب فى بناء الحضارة الانسانية ، وبالاسرائيليين وهم علة البشرية منذ وجدوا الى اليوم رغم ما أنعم الله عليهم به من النعم الحسية والمعنوية ولكنهم أبوا الا أن يبدلوا نعمة الله كفرا ويحلوا قومهم دار البوار ولله الأمر من قبل ومن بعد .

ذكر القرآن دعاوى فرعون الطويلة العريضة وتألهه على قومه « **ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى** » سورة النازعات الآيات ٢٢ ــ ٢٦ .

وذكر محاجة موسى لفرعون فى كثير من السور ومن أروعها وأجمعها فى ايجاز ما جاء فى سورة الشعراء من الآية ٢٣ الى الآية ٥١ ، ولقد كانت لموسى مع هذه المهمة الدينية البحتة ــ مهمة محاربة الوثنية ــ

مهمة أخرى سياسية هى تحرير بنى اسرائيل ، وقـد كان نجاحه فى الثانية أعظم بكثير من نجاحه فى الأولى ، وان كان الله قد انتقم من الذين لم يؤمنوا به من فرعون وجنوده أفظع انتقام « **ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** » •

قـــوم الياس :

ومما يتصل بقصص بنى اسرائيل فى القرآن قصـــة الياس عليه السلام مع قومه ، وقد كانوا يعبدون بعلا من دون الله ، وكانت مواطنهم حول مدينة بعلبــك ، والى هذا الصنم نسبت و « بك » معناها البيت فهى بيت بعل ، واختلفوا فى بعل هذا فقالوا هو صنم وقالوا هو امرأة وقالوا غير ذلك ، وعلى كل فقد كانت أول مهمات الياس عليه السلام أن يدعوهم الى الله وينكر عليهم دعوة بعل هذا « **وان الياس لمن المرسلين ، اذ قال لقومه الا تتقون ، أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين ، فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين** » سورة الصـــافات الآيات ١٢٣ ـــ ١٢٨ ، وانما يتصـــل ذلك بقصص بنى اسرائيل لأن قوم الياس بطن منهم وهو رسول من رسلهم بعد موسى عليه السلام •

الوثنية فى بلاد العرب :

وكانت الديانة الغالبة فى جزيرة العرب وبخاصة فى مكة وما جاورها ملة ابراهيم الحنيفية السمحة منذ بنى الكعبة ودعاهم الى الله واستوطن اسماعيل هذه الديار وأصبح أبا العرب المستعربة ، ولكنهم بعد ذلك أصابهم ما أصاب غيرهم من عدوى الوثنية •

قال الكلبى فى كتابه الأصنام «وكان الذى سلخ بهم الى عبادة الأوثان

والحجارة،أنه كان لايظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم وصبابة بالحرم وحبا له ، وهم بعد ذلك يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ثم سلخ بهم الى أن عبدوا مااستحبوا ونسوا ماكانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره•فعبدوا الأوثان وصاروا الى ما كانت عليه الأمم من قبلهم وانتجثوا (أى استخرجوا) ما كان يعبد قوم نوح عليه السلام منها على ارث ما بقى فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به •• فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام عمرو بن ربيعة بن لحى أبو خزاعة ، مرض مرضا شديدا فقيل له ان بالبلقاء حمة ان أتيتها برئت فأتاها فاستحم بها فبرىء ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال ما هذه فقالوا نستقى بهـــا المطر ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة » اهـ •

ولقـــد تعددت الأوثان والأصنام ببلاد العرب وقبائلهم حتى كان لكل واحد منهم اله فى منزله فى بعض الأحيان وكان بعضها من الحجر وبعضها من الخشب وبعضها من الشجر وبعضها من البلح ، وربما كان للقبيلة الواحدة اله أو آلهة متعددة ، ولم يمنع ذلك من أن يكون هناك أصنام رئيسية تتمتع بالتقديس والتعظيم من كل القبائل أو معظمها ومن هذه الأوثان :

١ ــ مناة : وهو من أقدم أوثان العرب وقد يسمون بعبوديته فيقولون (عبد مناة) أو (زيد مناة) وكان منصوبا على ساحل البحر

الأحمر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة ، وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حوله ويهدون له ، ولم يكن أحدا أشــد اعظاما له من الأوس والخزرج ، حتى كانوا لا يحلقون رؤوسهم بعد الحج ولا يحلون من احرامهم الا عنده ويرون ذلك من تمام الحج قــال شاعرهم :

أنى حلفت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج

والعرب تسمى الأوس والخزرج جميعا الخزرج .

٢ ـ اللات : وكانت بالطائف وهى أحدث من مناة وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يلت عندها السويق فسميت اللات ، وكان سدنتها من ثقيف بنو عتاب بن مالك وقد بنوا عليها بناء وكانت قريش والعرب جميعا تعظمها وتسمى بهــا فيقولون (زيد اللات وعبد اللات) وهى المذكورة فى قول عمرو بن الجعيد .

فانى وتركى وصــل كأس لكالذى

تــبرأ من لات وكان يدينهـــا

وقــد بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة بعد فتح مكة واسلام ثقيف فهدمها وعفى على آثارها .

٣ ـ العزى : وهى أحدث من اللات ومناة ، وكان الذى اتخذها ظالم بن أسعد وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض بازاء الغمر عن يمين المصعد الى العراق من مكة وذلك فوق ذات عرق ، وكانت أعظم الأصنام عند قريش ، يزورونها ويهدون اليها ويتقربون عندها بالذبح ويسمون بها ، واليها نسب عبد العزى بن عبد المطلب

وهو أبو لهب ، وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول « واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فانهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ، وكان لهـــا منحر ينحرون فيه هدايامهم يقال له الغبغب وفيه يقـــول الهذلى :

رأى قزعا فى عينهـــا اذ يســـوقها

الى غبغب العزى فوضع فى القسم

وكان سدنتها بنو شيبان بن جابر بن مرة من بنى سليم ـــ واختلفوا فى ماهيتها فقيل صخرة ـــ وقيل بيت ـــ وقيل ثلاث سمرات (شجرات) متشابكة ولا مانع من أن تكون صخرة فوق هذه السمرات فى هذا البيت

وقـــد بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه بعد الفتح أيضا فأزالها وهو يرتجز :

يا عز كفرانك لا ســـبحانك   انى رأيت الله قد أهانك

كانوا يقولون عن هذه الثلاثة انهن بنات الله فرد القرآن عليهم هذه الدعوى الكاذبة فى سورة النجم « **افرأيتم اللات والعزى ومنا الثالثة الأخرى الكم الذكر وله الأنثى تلك اذن قسمة ضيزى ان هو الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقـــد جاءهم من ربهم الهدى** » الآيات ١٩ ـــ ٢٣ النجم •

وكان لهم على هذا النحو أصنام كثيرة منها « هبل » و « اساف » و « نائلة » و « ســـعد » و « ذو الشـــرى » و « الأقيصـــر » و « ذو الخلصة » • ومن طرائفهم أن أعرابيا أتى يستشير ذا الخلصة هذا ، وهو مروة بيضاء بتبالة بين مكة واليمن . فى الأخذ بثأر أبيه

وضرب الا زلام ، فخرج له القدح الناهي فغضب وضرب وجه الصنم بالقداح جميعا وهو يخاطبه بقــوله :

لــو كنت يا ذا الخــلص الموتورا

مثــلي وكان شــيخك المقبــورا

لم تنه عن قتــل العــداة زورا

وبعض المؤرخين ينسب هذه القصة الطريفة لامرىء القيس حين خرج يطلب بثأر أبيه حجر ، ويقول ان امرأ القيس خاطب الصنم حينذاك بقوله : « قبحك الله والله لو كان أباك ما قعدت من ثأره » •

ومن تقرير الحقيقة أن نقول أن العرب لم يكونوا يؤمنون بالأوثان ايمانا واضحا ولا عميقا ، فهم تارة يعتبرونها آلهة ، وأخرى يعتبرونها بنات الله كما رأيت ، وثالثة يقولون انها وسطاء وشفعاء « **ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى**(*)» أو شركاء في الألوهية مع استعلاء الله عليها بالملكية كما يقولون في تلبيتهم : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك » • واحيانا يكفرون بهــا ويحقرون من شــأنها كما رأيت في قصــة ذي الخلصة ، فلم يكن لهم فيها رأي ثابت واضــح •

وهذا ما دعا كثيرا من عقلائهم الى التنزه عن عبادتها كزيد بن نفيل ، وأمية بن أبي الصلت ، وقس بن ساعدة ، وغيرهم من الحنفاء الذين أنفوا من الوثنية وتلمسوا طرق الهداية في غيرها من المعتقدات • ومما ينسبون من الشعر لزيد بن نفيل :

(*) سورة الزمر الآية ٣

عـــزلت اللات والعـــزى جميعـــا

كذلك يفعـــل الرجـــل الصـــــبور

فـــلا العـــزى آدين ولا ابنتيهـــا

ولا صــــــنمى بنى عمـــــرو آزور

ولـــكن آعبـــــد الرحمـــن ربى

ليغفـــر ذنبى الـــرب الغفـــــور

ومن هؤلاء من أدرك الاسلام ولم يسلم كأمية بن أبى الصلت ، ومنهم من أثنى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وبشر بنجاته وفوزه ، كورقة بن نوفل وقس بن ساعدة .

* * *

محتويات الكتاب


شباب
النادي الشبابي



عنى بالتعليق عليها وتحقيق أصولها
رضوان محمد رضوان

القاهرة
مطبعة دار الكتاب العربي
١٣٧١هـ — ١٩٥١م

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانَك ربى ! لا أحصى ثناء عليك ، أنتَ كما أثنَيتَ على نفسِك . وصلواتُك وتسليماتُك على محمدٍ نبيِّك ورسولِك ، وعلى آلِه وصحبِه المجاهدينَ لإعلاءِ كلمتِكَ ، الثابرينَ على نشرِ شريعتِك .

وبعد فقد نشرت « جريدةُ الإخوانِ المسلمين »[1] فصولا طريفةً شائقةً فى العقائدِ الإسلاميةِ ، لفضيلة الأستاذ المجاهد المرحوم الشيخ حسن البنا ، رضى الله عنه ، أتحف بها الأمةَ الإسلاميةَ ، ولا غرو فهو ابنُ بجدتِها ، وفارسُ حَلبتِها . وإليك كلمته ، طيب الله ثراه ، التى صدّر بها تلك الفصولَ الغاليةَ ، قال :

سنقصدُ فى الكتابة على بحوث هذا الفن ، إن شاءَ اللهُ تعالى ، إلى أمرين أساسيّين .

---

(١) « جريدة الإخوان المسلمين » مجلة أسبوعية أصدرتها جمعية « الإخوان المسلمين » فى يوم الخميس الثانى عشر من شهر صفر الخير عام اثنين وخمسين وثلثمائة وألف من الهجرة النبوية .

أولهما : الاعتمادُ على طريقةِ القرآنِ الكريمِ ، والرسولِ صلى الله عليه وسلم ، فى توصيلِ العقائد الدينيّةِ إلى النفوسِ ، واستيلائها على المشاعرِ والقلوبِ ، بدون تعمقٍ فى الألفاظِ ، أو تشعّبٍ فى البحوثِ ، أو إيرادٍ للآراء والمذاهبِ ، أو خوضٍ فى مصطلحاتِ الفلاسفةِ ، والمناطقةِ ، والكلاميين ، والجدَليين . وتلك طريقة السّلَفِ الصالحِ رضوانُ اللهِ عليهم .

وثانيهما : العنايةُ ببيانِ آثارِ هذهِ العقائدِ فى النفوسِ ؛ ليعلم القارىء أين نفسُهُ من درجة استيلاء العقيدةِ الإسلاميةِ عليها ، فإن كانت متأثرةً بها حمِدَ الله على نعمتِه ، وإن كانت هذه الآثارُ ضعيفةً فى نفسِه عمِلَ على علاجِها ، وتقويةِ إيمانِها ؛ فقد كانت العقائدُ عند أسلافنا عواطفَ مستقرةً فى القلوبِ ، ومشاعرَ مستوليةً على النفوسِ ، فلما أن صارت عندنا جدلاً وكلاماً ، ضعفَ إيمانُ الأمةِ ، وتسربَ إلى دينها الخللُ والوهَن .

وسنتّبع ذلك ، عند مناسباتِه ، بردِّ الشبهات الحديثةِ ، والاستدلالِ على العقائدِ الإسلاميّةِ ، بالنظريات العصريةِ ،

لا على سبيل المزجِ والاختلاطِ ، ولكن على سبيل الاستئناسِ والاستنباطِ ؛ نتأوّلُ قولَ اللهِ تعالى[1] : « سنُريهم آياتِنا فى الآفاقِ ، وفى أنفسِهم ، حتَّى يتبيَّنَ لهم أنه الحقُّ »[2] .

أُسنِد إلىَّ الإشرافُ على إخراجِ هذه العقائدِ وتحقيقِ أصولها ، فلبيتُ مسرورًا ، فطالما شُغِفتُ بنشرِها ونشرِ غيرِها من آثارِ فضيلة الأستاذ المؤلف رحمه الله الكثيرة النافعة .

وقد قابلتُ الآياتِ القرآنيةَ الكريمةَ فى العقائدِ على مصحف الملك فؤاد الأوّل تغمّده الله برحمتِه ، وضبطتُ بعضَ كلماتِها بالحركات ، وقابلتُ الأحاديثَ النبويةَ على « الجامعِ الصحيحِ » للإمام أبى عبد الله محمدِ بن إسماعيلَ البخارىِّ ، و « الجامعِ الصحيحِ » للإمام أبى الحسين مسلم ابن الحجاج القشيرىِّ ، و « السنن » للإمام أبى داودَ سليمانَ ابن الأشعث السجستانىِّ ، و « السنن » للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذىِّ وغيرها ، كما ضبطتُ بعضَ كلماتِ

---

(١) سورة فصلت آية ٥٣

(٢) إلى هنا انتهى كلامه رحمة الله عليه .

الحديثِ بالحركاتِ . وعلقتُ عليها تعليقاتٍ موجزةً اقتبستُها من تفسير الإمامين : جلالِ الدين محمد بن أحمد المحلىِّ ، وجلالِ الدين عبد الرحمن بن أبى بكرٍ السيوطىِّ ، وتفسير أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبىِّ . ومن شرح البخارىِّ للحافظ أحمد بن حجر العسقلانىِّ ، وشرح مسلمٍ للإمامِ محيي الدينِ يحيَى بنِ شرفٍ النووىِّ وشرح الترمذىِّ للأستاذ عبدِ الرحمنِ المبار كفورىِّ ومن غيرها .

واللهَ أســألُ الإخلاصَ والقبولَ ، وهو حسبى ونعم الوكيلُ .



غرة ربيع الأول سنة ١٣٧١ هـ

مقـــدمات

١ — تعريف العقائد

العقائد

العقائد : هى الأمورُ التى يجب أن يُصدِّق بها قلبُك ، وتطمئنّ إليها نفسُك ، وتكون يقينا عندك ، لا يمازجُه ريب ، ولا يخالِطه شك .

٢ — الناس فى درجات الاعتقاد

درجات الاعتقاد

والناس فى قوةِ العقيدة وضعفِها أقسام كثيرة ، بحسب وضوح الأدلة ، وتمكنها من نفوس كل قسم . ولنوضح لك هذا المقام بضرب المثال الآتى :

لو أن رجلا سمع بوجود بلد لم يرَه ، كاليمن مثلا ، من رجل آخر غيرِ معروفٍ بالكذب فإنه يصدق بوجود هذا البلد ويعتقدُه ، فإذا سمع هذا الخبر من عدّةِ رجالٍ زاد به ثقةً ، وإن كان لا يمنعه ذلك من أن يشك فى اعتقاده إذا عرضت له الشُّبُهات ، فإذا رأى صورته الفتوغرافية زاد اعتقادُه بوجودِه ، وأصبح الشك متعسراً عليه أمامَ قوةِ هذا الدليل ، فإذا سافر وبدت له أعلامُه وبشائرُه زاد

إيقانُه وزالَ شكه ، فإذا نزله ورآه رأى العين ، لم يعد هناك مجالٌ للريبة ، ورسخت فى نفسه هذه العقيدة رسوخاً قويًّا حتى يكون من المستحيل رجوعه عنها ولو أجمع الناس على خلافها ، فإذا سار فى طرقه وشـوارِعه ، ودرسَ شئونَه وأحوالَه ازدَاد به خبرةً ومعرفةً ، وكان ذلك أمراً موضحاً لاعتقاده زائداً عليه .

الناس أمام العقائد

إذا علمت هذا فاعلم أن النـاسَ أمامَ العقائدِ الدينيةِ أقسامٌ كذلك : منهم من تلقاها تلقيناً ، واعتقدها عادة ، وهذا لا يؤمن عليه من أن يتشكك إذا عرضت له الشُّبُهات ؛ ومنهم من نظر وفـكَّر فازداد إيمانُه ، وقوى يقينُه ؛ ومنهم من أدام النَّظرَ وأعملَ الفِـكْر ، واستعان بطاعةِ الله تعالى وامتثالِ أمرِه ، وإحسانِ عبادتِه ، فأشرقت مصابيحُ الهدايةِ فى قلبه ، فرأى بنور بصيرتِه ما أكملَ إيمانَه وأتمَّ يقينَه ، وثبَّت فؤادَه : « وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ [١] » .

وإنما ضربنا لك هذا المثل لترقى بنفسك عن مواطِنِ التقليدِ فى التوحيدِ ، وتُعْمِلَ الفِـكْرَةَ فى تَفَهُّمِ عقيـدتك ،

---

(١) سورة محمد آية ١٧

وتستعين بطاعةِ مولاكَ فى معرفةِ أصولِ دينِك حتى تصلَ إلى مراتبِ الرجالِ ، وتترقّى فى مدارج الكمال :

قد رشّحوكَ لأمرٍ لو فَطِنْتَ له
فَارْبأْ بنفسِك أن ترعَى مع الهَمَلِ

٣ — تقدير الإسلام للعقل وحثه على التفكير والنظر

تقدير الإسلام للعقل

أساسُ العقائدِ الإسلاميَّة ، ككل الأحكام الشرعية ، كتابُ الله تعالى ، وسنةُ رسولِه صلى الله عليه وسلم .

العقائد وتأييد العقل لها

ويجب أن تعلم ، مع ذلك ، أن كل هذه العقائد يؤيِّدُها العقل ، ويثبتها النظرُ الصحيحُ ؛ ولهذا شرف الله تعالى العقلَ بالخطابِ ، وجعلَه مناطَ التكليف ، وندبه إلى البحثِ والنظرِ والتفكيرِ . قال اللهُ تعالى : « قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمواتِ والأرضِ[1] وما تُغْنِي الآياتُ والنُّذُرُ عن قومٍ لا يؤمنونَ[2] » . وقال تعالى : « أفلم يَنظُرُوا إلى السَّماءِ

---

(١) « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » : أى من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى . « وما تغنى الآيات » : أى الدلالات . « والنذر » : أى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

(٢) سورة يونس آية ١٠١

فوقهم[١] كيف بنيناها ، وزيناها ، ومالها من فروج . والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا ، كذلك الخروج[٢] » ، وذم الذين لا يتفكرون ولا ينظرون فقال تعالى : « وكأين من آية[٣] في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون[٤] » وطالب الخصوم

(١) «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم» : أي نظر اعتبار وتفكر «كيف بنيناها» : أي رفعناها بلا عمد . « وزيناها » بالنجوم «ومالها من فروج» أي شقوق تعيبها « والأرض مددناها » : أي دحوناها « وألقينا فيها رواسي » جبالا تثبتها « من كل زوج » : أي صنف من النبات «بهيج » أي حسن يسر الناظرين «تبصرة» أي فعلنا ذلك تبصيراً منا «وذكرى» تذكيراً « لكل عبد منيب » رجاع إلى طاعتنا « فأنبتنا به جنات » : أي بساتين « وحب الحصيد » : أي وحب النبت المحصود . « والنخل باسقات » : أي طوالا « لها طلع نضيد » متراكب بعضه فوق بعض « كذلك الخروج » : أي من القبور .

(٢) سورة ق آية ١١ .

(٣) « وكأين من آية » : أي وكم من آية دالة على وحدانية الله تعالى « يمرون عليها » : أي يشاهدونها « وهم عنها معرضون » : أي لا يتفكرون فيها .

(٤) سورة يوسف آية ١٠٥

بالدليل والبرهان حتى فيما هو ظاهر البطلان ؛ تقديراً للأدلة ، وإظهاراً لشرف الحجة . وقد ورد فى الحديث أن بلالا جاء يُؤْذِنُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بصلاة الصبح فرآه يبكى فسأله عن سبب بكائه . فقال : « وَيْحَكَ يا بلالُ ! وما يمنعنى أن أبكيَ وقد أنزلَ اللهُ عَلَيَّ فى هذه الليلة « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ[1] » . ثم قال : « وَيْلٌ لمن قرأها ولم يَتَفَكَّرْ فيها ! » رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب « التفكر » .

ومن هنا تعلم أن الإسلام لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول ، وإن أرشدها إلى التزام حدِّها ، وعرفها قلّةَ علمها ، وندَبها إلى الاستزادةِ من معارِفها ، فقال تعالى : « وَمَا أُوتِيتُم من الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً[2] » ، وقال تعالى : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً[3] » .

---

(١) « لآيات لأولى الألباب » الذين يستعملون عقولهم فى تأمل الدلائل . قال القرطبى : ختم تعالى هذه السورة بالأمر بالنظر والاستدلال فى آياته إذ لا تصدر إلا عن حى قيوم قدير قدوس سلام غنى عن العالمين حتى يكون إيمانهم مستنداً إلى اليقين لا إلى التقليد . سورة آل عمران آية ١٩٠

(٢) سورة الإسراء آية ٨٥

(٣) سورة طه آية ١١٤

٤ — أقسام العقائد الإسلامية

أقسام العقائد الإسلامية

العقائد الإسلاميةُ تنقسمُ إلى أربعةِ أقسامٍ رئيسيةٍ ، تحت كل قسم منها فروع عِدّة .

القسم الأول : الإلٰهيات . وتبحث فيما يتعلق بالإلٰه سبحانه وتعالى من حيث صفاته وأسماؤه وأفعاله . ويلحق بها مايستلزمه اعتقادُها من العبد لمولاه .

القسم الثانى : النبوّات . وتبحث فى كل ما يتعلق بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث صفاتهم وعصمتهم ومهمتهم وإلى الحاجة إلى رسالتهم . ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالأولياء رضوانُ الله عليهم، والمعجزةِ والكرامةِ ، والكتبِ السماويةِ .

القسم الثالث : الرُّوحانيَّات . وتبحث فيما يتعلق بالعالَم غير المادى : كالملائكةِ عليهم السلام ، والجن ، والروح .

القسم الرابع : السَّمعيَّات . وتبحث فيما يتعلق بالحياةِ البَرْزَخِيَّة ، والحياة الأخروية : كأحوال القبر ، وعلاماتِ القيامةِ ، والبعثِ ، والموقفِ ، والحسابِ ، والجزاء .

القسم الأول – الإلهيات

١ — ذات الله تبارك وتعالى

ذات الله والعقل البشرى

اعلم يا أخى ، هدانا الله وإياك إلى الحق ، أن ذات الله تبارك وتعالى أكبر من أن تحيطَ بها العقولُ البشريةُ ، أو تدركها الأفكارُ الإنسانيةُ ؛ لأنها مهما بلغت من العلوّ والإدراك محدودة القوةِ ، محصورة القدرةِ . وسنفرد لك بحثاً خاصا إن شاء الله تعالى تعلم منه مبلغ قصور العقل البشرى عن إدراك حقائق الأشياء ، ولكن يكفى أن أذكرك بما نلمسه الآن من أن عقولنا ، من أكبرها إلى أصغرها ، تنتفع بكثير من الأشياء ولا تعلم حقائقها . فالكهربا ، والمغناطيس وغيرهما ، قوى نستخدمها وننتفع بها ولا نعلم شيئاً من حقيقتها ، ولا يستطيع أكبرُ عالم الآن أن يفيدك عنها بشىء ؛ على أن معرفةَ حقائق الأشياءِ وذواتِها لا يفيدنا بشىء ، ويكفينا أن نعرفَ من خواصها ما يعود بالفائدة علينا .

فإذا كان هذا شأننا فى الأمور التى نلمسها ونحسُّها فما بالك بذات الله تبارك وتعالى ؟ ! وقد ضل أقوام تكلموا فى ذات الله تبارك وتعالى فكان كلامهم سببا لضلالهم وفتنتِهم واختلافهم

لأنهم يتكلمون فيما لا يدركون تحديده ، ولا يقدرون على معرفةِ كُنْهِهِ ؛ ولهذا نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن التفكر في ذات الله ، وأمر بالتفكر في مخلوقاته .

التفكر في ذات الله

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوماً تفكَّروا في الله عز وجل فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « تَفَكَّرُوا في خَلْقِ اللهِ ، ولا تَتَفَكَّرُوا في اللهِ ، فإنكم لن تَقْدُرُوا قَدْرَهُ » قال العراقي : رواه أبو نُعَيمٍ في الحِلْية بإسنادٍ ضعيفٍ ، ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه ، ورواه أبو الشيخ كذلك ، وهو على كل حال صحيح المعنى .

وليس ذلك حجراً على حرية الفِكْر ، ولا جموداً في البحث ، ولا تضييقا على العقل ، ولكنه عصمةٌ له من التردى في مهاوِى الضلالةِ ، وإبعادٌ له عن معالجة أبحاث لم تتوفر له وسائلُ بحثها ، ولا تحتمل قوتُه ، مهما عظمت ، علاجَها . وهذه هي طريقة الصالحين من عباد الله العارفين بعظمةِ ذاتِه ، وجلالِ قدرِه . سئل الشِّبليُّ [1] رحمه الله تعالى

---

(١) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي . قال أبو القاسم القشيرى : بغدادى المولد والمنشأ ، وأصله من أسر وشنة ، صحب الجنيد ومن في عصره وكان نسيج وحده حالا وظرفا وعلماً ، مالكى المذهب ، عاش سبعاً وثمانين سنة ، ومات سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، وقبره ببغداد . ولما تاب الشبلي في مجلس « خير » النساج أتى دماوند وقال : كنت والى بلدكم فاجعلوني في حل . ومجاهداته في بدايته فوق الحد .

عن الله تبارك وتعالى فقال : هو الله الواحدُ المعروف ، قبل الحدود وقبل الحروف . وقيل ليحيي بن مُعاذٍ[١] : أخبرني عن الله عز وجل ؟ فقال : إلهٌ واحدٌ . فقيل له : كيفَ هو؟ فقال : مَلِكٌ قادرٌ . فقيل له : أين هو ؟ فقال : هو بالمِرْصادِ . فقال السائل : لم أسألك عن هذا . فقال : ما كان غير هذا كان صفة المخلوق ، فأما صفته فما أخبرتك عنه .

فاحصر همتك في إدراك عظمةِ ربِّك بالتفكرِ في مخلوقاتِه والتمسك بلوازم صفاتِه .

٢ — أسماء الله تبارك وتعالى

أسماء الله الحسنى

إن الخالق المتصرف جل وعلا تعرَّف إلى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله ، يحسن بالمؤمن حفظها تبركا بها ، وتلذذاً بذكرها ، وتعظيما لقدرها . وإليك الحديث الصحيح الذى جمعها ، فَنِعم المعلِّم حديثُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ونعم المرشدُ والهادى لسانُ الوحى ، ومشكاةُ النبوّةِ .

---

(١) هو أبو زكريا يحي بن معاذ الرازى . قال القشيرى : نسيج وحده فى وقته ، له لسان فى الرجاء خصوصاً ، وكلام فى المعرفة ، خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين . قال أحمد بن عيسى : سمعت يحي بن معاذ يقول : كيف يكون زاهداً من لا ورع له ، تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك . وقال يحي : لا تربح على نفسك بشيء أجل من أن تشغلها فى كل وقت بما هو أولى بها .

عن أبى هريرةَ رضى الله عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « للهِ تسعةٌ وتسعونَ اسماً مائةٌ إلا واحداً[١] لا يحفظها أحدٌ إلا دخلَ الجنةَ ، وهو وِتْرٌ[٢] يحبُّ الوِتْرَ » رواه البخارىُّ ومسلمٌ . وفى رواية للبخارى « من أحصاها » ورواه التِّرْمِذِىُّ وزاد : هو الله الذى لا إله إلا هو ، الرحمنُ الرحيمُ ، الملِكُ ، القُدُّوسُ ، السلامُ ، المؤمِنُ ، المُهَيْمِنُ ، العزيزُ ، الجبّارُ ، المتكبِّرُ ، الخالِقُ ، البارىء ، المصوِّرُ ، الغفّارُ ، القهّارُ ، الوهّابُ ، الرزّاقُ ، الفتّاحُ ، العليمُ ،

---

(١) قوله صلى الله عليه وسلم « مائة إلا واحدا » قال الحافظ العسقلانى فى شرح البخارى : قال جماعة من العلماء الحكمة فى قوله « مائة إلا واحداً بعد قوله « تسعة وتسعون » أن يتقرر ذلك فى نفس السامع جمعا بين جهتى الإجمال والتفصيل ، أو دفعا للتصحيف الخطى والسمعى .

(٢) قوله صلى الله عليه وسلم « وهو وتر » : أى أنه تبارك وتعالى الواحد الذى لا نظير له فى ذاته ولا انقسام . وقوله صلى الله عليه وسلم « يحب الوتر » قال القرطبى : الظاهر أن الوتر هنا للجنس ؛ إذ لا معهود جرى ذكره حتى يحمل عليه ، فيكون معناه أنه يحب كل وتر شرعه . ومعنى محبته له أنه أمر به وأثاب عليه ، ويصلح ذلك لعموم ما خلقه وترا من مخلوقاته ، أو معنى محبته له أنه خصصه بذلك لحكمة يعلمها . ويحتمل أن يريد بذلك وترا بعينه وإن لم يجر له ذكر . ثم قال بعد كلام : ويظهر لى وجه آخر وهو أن الوتر يراد به التوحيد ، فيكون المعنى إن الله فى ذاته وكماله وأفعاله ، واحد يحب التوحيد ؛ أى أن يوحد ويعتقد انفراده بالألوهية دون خلقه ، فيلتئم أول الحديث وآخره ، والله أعلم .

القابضُ ، الباسِطُ ، الخافِضُ ، الرافعُ ، المعِزُّ ، المذِلُّ السميعُ ، البصيرُ ، الحكَمُ ، العدلُ ، اللطيفُ ، الخبيرُ ، الحليمُ ، العظيمُ ، الغفورُ ، الشّكورُ ، العلىُّ ، الكبيرُ ، الحفيظُ ، المقيتُ ، الحسِيبُ ، الجليلُ ، الكريمُ ، الرّقيبُ ، المجيبُ ، الواسعُ ، الحكيمُ ، الودُودُ ، المجيدُ ، الباعثُ ، الشّهيدُ ، الحقُّ ، الوكيلُ ، القوىُّ ، المتينُ ، الولىُّ ، الحميدُ ، المحصِى ، المبدئ ، المُعيدُ ، المحيِي ، المميتُ الحىُّ ، القيُّومُ ، الواجدُ ، الماجدُ ، الواحِدُ ، الصمدُ ، القادرُ ، المقتدِرُ ، المقدِّمُ ، المؤخِّرُ ، الأوّلُ ، الآخِرُ ، الظاهرُ ، الباطِنُ ، الوالى ، المتعالِى ، البرُّ ، التوابُ ، المنتقمُ ، العفوُّ ، الرءوفُ ، مالِكُ الملكِ ، ذو الجلالِ والإكرامِ ، المقْسِطُ ، الجامعُ ، الغنىُّ ، المغنِى ، المانِعُ ، الضارُّ ، النافِعُ ، النورُ ، الهادِى ، البديعُ ، الباقى ، الوارثُ ، الرّشِيدُ ، الصبُورُ .

معانى بعض هذه الأسماء الكريمة

معانى أسماء الله

« الْقُدُّوسُ » المطهّرُ من العيوبِ . « السّلامُ » الأمان لخلقِه ، أو هو السالمُ من العيوبِ ، « الْمُؤْمِنُ » المصدِّقُ وعدَه لخلقِه والمؤمِّنُ لهم من عذابِه . « الْمُهَيْمِنُ » المسيطرُ

المتصرِّفُ ، أو الشهيدُ الرقيبُ . « العزيزُ » القاهرُ الغالبُ . « الجبَّارُ » المنفذ لأوامره . « المتكبِّرُ » العالى عن صفات الخلق المتفرِّدُ بصفات عظمتِه « البارىء » الخالقُ وهو فى خلق ذى الروح أظهر . يقال : بارىء النَّسَم وخالقُ السموات والأرض . « المُقيتُ » العالمُ العارفُ « الحَسِيبُ » الكافى لخلقِه . « المحْصِى » هو الذى أحصى كل شىء بعلمِه فلا يفوته شىء من الأشياءِ . « البَرُّ » المتعطِّفُ على عباده ببرِّه ولطفهِ . . « المقْسطُ » العادلُ فى حكمه . « الرشيدُ » الذى يرشِدُ الخلق إلى مصالحهم . « الصبور » هو الذى لا يعاجلُ العصاةَ بالانتقامِ منهم .

بحوث تتعلق بأسماء الله الحسنى

١ — الأسماء الزائدة عن التسعة والتسعين

أسماء الله كثيرة

هذه التسعة والتسعون ليست كل ما ورد فى أسماء الله تبارك وتعالى ، بل وردت الأحاديث بغيرها من الأسماء . فقد ورد فى هذا الحديث من رواية أخرى « الحنَّانُ » « المنان » « البديع » ، وورد كذلك من أسمائه تعالى « المُغيثُ » ، و « الكفيلُ » ، و « ذو الطَّوْل » ، و « ذو المعارِج » و « ذو الفضْلِ » ، و « الخلاقُ » .

قال أبو بكر بنُ العربىِّ فى شرح الترمذىِّ حاكيا عن بعضِ أهل العلم : إنه جمع من الكتاب والسنة من أسمائه تعالى ألف اسم . وفى كلام صاحب « القَصد المجرَّد » ما يفيد ذلك ، وأشار إلى ذلك الشوكانى فى « تحفة الذاكرين » ثم قال : وأنهضُ ما ورد فى إحصائها الحديثُ المذكور وفيه الكفاية .

٢ — الأحاديث التى وردت فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعالى على المجاز .

أسماء الله مجازية

ثم اعلم أن بعضَ الأحاديثِ وردتْ فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعالى ، ولكن قرائن الحالِ وأصل الوضع

يدل على غير ذلك ، فاعلم أن ذلك من قبيل المجاز لا الحقيقة ، ومن قبيل تسمية الشيء باسم غيره لعلاقة بينهما أو على تقدير بعض المحذوفات . مثال ذلك الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ » رواه مسلم ، وحديث عائشة رضى الله عنها : « دَعُوهُ يَئِنّ فَإِنَّ الْأَنِينَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى يَرْتَاحُ إِلَيْهِ الْمَرِيضُ » ذكره الجلالُ السيوطىُّ فى الجامع الصغير عن الرافعى وحسّنه ، وليس هو من رواية مسلم ، ولا من حديث أبى هريرة كما يخطىء بعض الناس ، ومنه ما ورد فى إطلاق اسم رمضان على الحق تبارك وتعالى فى بعض الآثار .

فكل هذه لا يراد منها ظواهرُها وحقيقةُ الإطلاق ، بل المقصودُ فى الأول مثلا : فإن الله هو المسبب لحوادث الدهر فلا يصح أن ينسب إلى الدهر شىء ولا أن يسب ويذم[1] ؛ وفى الثانى : فإن الأنين أثر قهر الله تعالى يرتاح إليه المريض وهكذا فى المعانى التى تدل عليها قرائن الأحوال .

---

(١) وقال النووى فى شرح مسلم : أى لاتسبوا فاعل النوازل فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزلها ، وأما الدهر الذى هو الزمان فلا فعل له ، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى .

٣ — التوقيف فى أسماء الله تعالى وصفاته

التوقيف فى أسماء الله

واعلم أن جمهورَ المسلمين على أنه لا يصح أن نطلق على الله تبارك وتعالى اسماً أو وصفاً لم يرد به الشرعُ ، بقصد اتخاذه اسما له تعالى وإن كان يُشعر بالكمال . فلا يصح أن نقولَ : مهندسُ الكون الأعظم ، ولا أن نقولَ مثلا : المديرُ العام لشئونِ الخلقِ ، على أن تكون هذه أسماء أو صفاتٍ له تعالى يصطلح عليها ، ويتفق على إطلاقها عليه تعالى ، ولكنها إن جاءت فى عرضِ الكلام لبيانِ تصرفه تعالى من باب التقريب للأفهام فلا بأس ، والأولى العدولُ عن ذلك تأدباً مع الحق تبارك وتعالى .

٤ — العلمية والوصفية فى هذه الأسماء

العلمية والوصفية فى أسماء الله

وهذه الأسماء المتقدمةُ منها علَم واحد وُضع للذاتِ القُدْسيةِ وهو لفظ الجلالة : اللهُ ، وباقيها كلها ملاحظ فيها معنى الصفات ؛ ولهذا صح أن تكون أخبارا للفظ الجلالة . وهل هو مشتقٌّ أو غير مشتق ؟ مسألةٌ خلافيةٌ ، لا يترتب عليها أمرٌ عمليٌّ ، وحسبنا أنْ نعلمَ أنَّ اسمَ الذاتِ هو هذا الاسم المفرد وبقية الأسماء مشربةٌ بالوصفيةِ ، وفى هذا الكفاية .

٥ — خواص أسماء الله الحسنى

خواص أسماء الله

يذكر البعضُ أنَّ لكلِّ اسمٍ من أسماءِ الله تعالى، خواصَّ وأسراراً تتعلق به على إفاضةٍ فيها أو إيجازٍ ، وقد يتغالى البعضُ فيتجاوزُ هذا القدر إلى زعمٍ أن لكلٍّ اسمٍ خادماً رُوحانيًّا يخدم من يواظب على الذكر به ، وهكذا ؛ والذى أعلمُه فى هذا ، وفوقَ كلِّ ذى علم عليمٌ ، أنَّ أسماءَ الله تعالى ألفاظٌ مشرفةٌ لها فضل على سائر الكلام ، وفيها بركةٌ ، وفى ذكرها ثوابٌ عظيمٌ ، وأن الإنسان إذا واظب على ذكر الله تعالى طهرت نفسُه ، وصفت روحُه ، ولا سيما إذا كان ذكره بحضورِ قلبٍ وفهمٍ للمعنَى . أما ما زاد على ذلك فلم يرد فى كتابٍ ولا سنة ، وقد نهينا عن الغلوّ فى دين الله تعالى ، والزيادةِ فيه ، وحسبنا الاقتصارُ على ماورد .

٦ — اسم الله الأعظم

اسم الله الأعظم

ورد ذكر اسمِ اللهِ الأعظمِ فى أحاديث كثيرة ؛ منها :

١ — عن بريدةَ رضى الله عنه قال : سمعَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلّم رجلا يدعو وهو يقولُ : اللّهُمَّ إنى أسألُك بأنّى أشهدُ أنك أنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ ، الأحدُ

الصَّمَدُ (١) الذى لم يلِد ولم يولَد ، ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ
قالَ : فقالَ : « والذى نفسى بيدِه لقد سأل اللهَ باسمِه
الأعظمِ (٢) ، الذى إذا دُعِيَ به أجابَ ، وإذا سُئِلَ به
أعطَى » رواه أبو داودَ والترمذيُّ والنَّسَائيُّ وابن ماجَهْ .
وقال المنذِريُّ : قال شيخنا أبو الحسن المقْدِسيُّ : هو
إسنادٌ لا مطعن فيه ، ولا أعلمُ أنه روى فى هـذا الباب
حديثٌ أجودُ إسناداً منه . وقال الحافظُ ابنُ حجر : هذا
الحديث أرجحُ ماورد فى هـذا الباب من حيث السند .

٢ — عن أنسِ بن مالكٍ رضى الله عنه قال : دخلَ
النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم المسجدَ ورجلٌ قد صلَّى (٣) وهو يدعو
ويقول فى دعائِه : اللَّهُمَّ لا إله إلا اللهُ ، أنتَ المنَّانُ ،

---

(١) « الصمد » : أى المقصود فى الحوائج . « ولم يكن له كفواً أحد » : أى ولم يكن له أحد مكافئاً ومماثلا .

(٢) « لقد سأل الله باسمه الأعظم » قال الطيبى : فيه دلالة على أن لله تعالى اسما أعظم إذا دعى به أجاب ، وأن ذلك مذكور ههنا ، وفيه حجة على من قال : كل اسم ذكر بإخلاص تام مع الإعراض عما سواه هو الاسم الأعظم ؛ إذ لا شرف للحروف ، وقد ذكر فى أحاديث أخر مثل ذلك وفيها أسماء ليست فى هذا الحديث إلا أن لفظ الله مذكور فى الكل فيستدل بذلك على أنه الاسم الأعظم .

(٣) « دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد ورجل قد صلى » قال النووى قال الخطيب هذا الرجل أبو عياش زيد بن الصامت الأنصارى الزرقى

بديعِ السمواتِ والأرضِ ، ذا الجلالِ والإكرامِ[1] . فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « أتدرون بم دعا اللهَ ؟ دعا اللهَ باسمِهِ الأعظمِ الذي إذا دُعِيَ به أجابَ ، وإذا سُئلَ به أعطى » رواه أبو داودَ والترمذيُّ والنسائيُّ وابن ماجَهْ .

٣ — عن أسماءَ بنت يزيدَ رضى الله عنها أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : اسمُ اللهِ الأعظمُ في هاتين الآيتين « وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ . وفاتحة آلِ عمران : الم اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » رواه أحمد وأبو داودَ والترمذيُّ وابنُ ماجَهْ . وقال الترمذيُّ : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

٤ — عن سعدِ بن مالكٍ رضى الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هل أدلكم على اسمِ اللهِ الأعظمِ ، الذى إذا دُعِيَ به أجابَ ، وإذا سُئِلَ به أعطى ؟ الدعوةُ التى دعا بها يونسُ حيث نادَى فى الظلماتِ الثلاثِ[2] : لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، سُبْحَانَكَ ! إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » . فقالَ رجلٌ : يا رسولَ اللهِ هل كانتْ ليونسَ

---

(١) «ذا الجلال والإكرام» : أى ياذا العظمة والكبرياء ، وذا الإكرام لأوليائك .

(٢) «فى الظلمات الثلاث» ظلمة الليل ، وظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر .

خاصة أم للمؤمنين عامةً ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ألاَ تسمعُ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ : « فَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ » رواه الحاكم .

فأنت تَرَى من هذه الأحاديثِ ومن غيرها أنها لم تعيِّن الاسمَ الأعظمَ بالذاتِ ، وأنّ العلماء مختلفون في تعيينه لاختلافهم في ترجيح الأحاديث بعضها على بعض ، حتى اختلفوا على نحو الأربعين قولا . والذى نأخذُه من هذه الأحاديث الشريفة ، ومن أقوالِ الثِّقاتِ من رجالِ المِلّة أن الاسمَ الأعظمَ دعاءٌ مركبٌ من عدة أسماء من أسمائه تعالى إذا دعا به الإنسانُ ، مع توفر شروط الدعاء المطلوبة شرعا استجاب الله له ، وقد صرحت به الأحاديثُ الشريفةُ في عِدّة مواضع .

وإذا تقرر هذا فما يدّعيه بعضُ الناس من أنه سرٌّ من الأسرارِ يمنح لبعض الأفراد ، فيفتحون به المغلَقات ، ويخرقون به العادات ، ويكونُ لهم به من الخواص ما ليس لغيرهم من الناس ، أمرٌ زائدٌ على ما ورد عن الله ورسوله . وإذا احتج هؤلاء البعض بالآيةِ الكريمة وهى قوله تعالى « قالَ الّذى عنده

علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفُك[1]
على القول بأن معنى : « عِنْدَه علمٌ من الكتابِ » أنه
اسمُ اللهِ الأعظمُ ، نقول لهم : قد صرح المفسِّرون بأن ذلك
المدعوّ به كان : يا حَىّ يا قَيُّومُ ، أو : اللهُ لا إلَهَ إلاّ هو
الحَىُّ القَيُّومُ . وادعى بعضُهم أنه سريانى لفظه(آهيا شراهيا) ،
وهى دعوَى بغير دليلٍ ، فلم يخرج الأمرُ عماورد فى الأحاديثِ
الصحيحةِ .

وخلاصةُ البحثِ أن بعضَ الناسِ ولِعوا بالمعَمَّيات ،
وادعاء الخصوصياتِ ، والزيادةِ فى المأثوراتِ ، فقالوا مالم يرد
فى كتابٍ ولا سنةٍ ، وقد نهينا عن ذلك نهيا شديداً ،
فلنقف مع المأثور .

---

(١) سورة النمل آية ٤٠

صفات الله تعالى

١ — صفات الله تبارك وتعالى فى نظر العقل السليم

صفات الله فى نظر العقل

أنت إذا نظرتَ إلى هذا الكون وما فيه من بدائع الحِكَم، وغرائبِ المخلوق ودقيقِ الصُّنع، وكبير الإحكام، مع العظمةِ والاتساع، والتناسقِ والإبداعِ، والتجدّدِ والاختراعِ؛ ورأيتَ هذه السماء الصافيةَ بكواكبها وأفلاكها وشموسها وأقمارها ومداراتها؛ ورأيت هذه الأرضَ بنبَاتها وخيراتِها ومعادِنها وكنوزِها وعناصرِها وموادِّها، ورأيتَ عالَمَ الحيوانِ وما فيه من غريبِ الهداية والإلهام؛ بل لو رأيتَ تركيبَ الإنسانِ وما احتواه من أجهزةٍ كثيرةٍ، كلٌّ يقومُ بعملِه، ويؤدى وظيفتَه، ورأيتَ عالمَ البحارِ وما فيه من عجائبَ وغرائب، وعرفتَ القُوَى الكونيةَ وما فيها من حكمٍ وأسرارٍ من كهرباء، ومغناطيس وأثير، وراديوم، ثم انتقلتَ من النظر إلى ذواتِ العالَم وأوصافها، إلى الروابط والصِّلاتِ فيما بينها، وكيفَ أنّ كلا منها يتصلُ بالآخرِ اتصالا محكما وثيقاً بحيث يتألفُ من مجموعها وحدة كونية كلّ جزء منها يخدم الأجزاء الأخرى كما يخدم العضوُ فى الجسم الواحدِ بقيةَ الأعضاء، لخرجت من كلِّ ذلك، من غيرِ أن يأتيك دليلٌ أو برهانٌ، أو

وحىٌ أو قرآنٌ ، بهذه العقيدةِ النظريةِ السهلةِ وهى : أن لهذا الكونِ خالقاً صانعاً مُوجداً ، وأن هذا الصانعَ لابد أن يكونَ عظيماً فوق ما يتصورُ العقلُ البشرىُّ الضعيفُ من العظمةِ ، وقادراً فوقَ ما يفهم الإنسانُ من معانى القدرةِ ، وحيًا بأكملِ معانى الحياةِ ، وأنه مستغنٍ عن كلِّ هذه المخلوقات ؛ لأنه كان قبل أن تكون ، وعليماً بأوسع حدودِ العلم ، وأنه فوق نواميس هذا الكون لأنه واضعها ، وأنه قبل هذه الموجودات لأنه خالقُها ، وبعدَها لأنه الذى سيحكم عليها بالعدم ؛ وإجمالا سترى نفسَك مملوءا بالعقيدةِ بأن صانعَ هـذا الكون ومدبِّرَه : متصفٌ بكلِّ صفاتِ الكمالِ فوق ما يتصورُها العقلُ البشرىُّ الصغيرُ ، ومنزَّهٌ عن كلِّ صفاتِ النقصِ ؛ وسترى هذه العقيدةَ وحْىَ وُجْدانِك لوجدانك ، وشعورَ نفسك لنفسك : « فِطْرَةَ اللهِ التى فطرَ النّاسَ عليها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلك الدِّينُ القيِّمُ[1] » .

ونسوقُ إليكَ بعد هذه المقدمةِ بعضَ غرائبِ الحوادثِ فى هذا الكون ، وسترى أنها ، على قلتها ، بالنسبة لعظمةِ الكونِ وما فيه من دِقَّةٍ وإحكامٍ ، ستكون كافية لأن تشعر فى نفسك بما قدّمتُ لك .

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

الملاحظةُ الأُولى : هـذا الهواء الذى نستنشقه مركبٌ من عدةِ عناصرَ ، منها جزءان هامان : جزء صالح لتنفس الإنسان ويُسمَّى باصطلاح الكيميائيين الأوكسجين ، وجزء ضار به ويُسمَّى الكربون . فمن دقائق الارتباط بين وحدات هذا الوجودِ المعجز أن هـذا الجزء الضار بالإنسان يتنفسُه النباتُ وهو نافع له ، ففى الوقت الذى يكون الإنسانُ فيه يستنشقُ الأوكسجين ويطردُ الكربون يكون النباتُ يعملُ عكسَ هذه العملية ، فيستنشقُ الكربون ويطرد الأوكسجين . فانظر إلى الرابطةِ التعاونيـةِ بين الإنسان والنبات فى شىء هو أهم عناصرِ الحياة عندهما ، وهو التنفس ، وقل لى ، بعد ذلك ، هل يفعل هذا فى الكون العظيمِ غيرُ عظيمٍ قادرٍ واسعِ العلمِ ، دقيق الحكمةِ ؟ .

الملاحظة الثانية : أنتَ تأكلُ الطعامَ وهو يتركبُ من عدةِ عناصرَ نباتية أو حيوانية ، يقسمها العلماءُ إلى مواد زُلاليةٍ ، أو نشَويَّةٍ ، أو دُهنيَّةٍ مثلا ، فترى أن الريقَ يهضمُ بعضَ المواد النّشويةِ ، ويذيبُ المواد السكريةَ ونحوَها مما يقبلُ الذوبانَ ، والمعدةَ يهضمُ عصيرُها الموادَّ

الزُّلاليةَ كاللحمِ وغيرِه ، والصفراءَ المنفرزةَ من الكبدِ تهضمُ الدّهنيات ، وتجزِّئها إلى أجزاء دقيقة يمكن امتصاصُها ، ثم يأتى البنكرياسْ بعد ذلك فيفرزُ أربعَ عصارات تتولى كل واحدة منها تتميم الهضم فى عنصر من العناصر الثلاثةِ النشوية ، أو الزلاليةِ ، أو الدهنيةِ ، والرابعةُ تحول اللبن إلى جبن . فتأمل هذا الارتباطَ العجيبَ بين عناصر الجسم البشريّ ، وعناصر النبات والحيوان والأغذيةِ التى يتغذى بها الإنسانُ ! .

الملاحظة الثالثة : ترى الزهرةَ فى النبات فترى لها أوراقاً جميلةً جذّابةً ملونةً بألوانٍ بهجةٍ ، فإذا سألت علماءَ النبات عن الحكمة فى ذلك ، أجابوك بأن هذا إغواء للنحل وأشباهه من المخلوقات التى تمتص رحيقَ الأزهارِ لتسقط على الزهرة ، حتى إذا وقفت على عيدانها علقت حبوب اللقاح بأرجلها ، وانتقلت بذلك من الزهرة الذَّكَر إلى الزهرةِ الأنثى فيتم التلقيح . فانظر كيف جعلت هذه الأوراقُ الجميلةُ فى الزهرة حلقة اتصال بين النبات والحيوان حتى يستخدم النباتُ الحيوانَ فى عملية التلقيح الضروريةِ للإثمار والإنتاج ! .

كل ما فى الكون ينبئك بوجودِ حكمةٍ عاليةٍ ، وإرادةٍ سامية ، وسيطرةٍ قويةٍ ، ونواميسَ فى غايةِ الدِّقةِ والإحكام يسير عليها هذا الوجود . وربُّ هذهِ الحكمةِ ، وصاحبُ هذه العظمةِ ، وواضعُ هذه النواميس هو : الله .

وقد أفاضَ القرآنُ فى ذلك ، وفى لفتِ الأنظارِ إلى هذه الحكمِ البارعةِ ، والأسرارِ العاليةِ ، فلا تكاد تخلو سورةٌ من سورةٍ من ذكر آلاء الله ونعمه ، ومظاهرِ قدرته وحكمتهِ ، وحثّ الناسِ على تجديدِ النظرِ فى ذلك ، ودوامِ التفكرِ فيه .

قال تعالى : « وَمِنْ آياتهِ[1] أَنْ خلقكُمْ من ترابٍ ، ثمَّ إذا أنتمْ بشرٌ تنتشرونَ . ومنْ آياتهِ أنْ خلقَ لكم من أنفسكُمْ أزواجاً لِتسكنُوا إليهاَ وَجعلَ بينكُمْ مودةً ورحمةً ؛ إنّ فِى ذٰلكَ لآياتٍ لقومٍ يَتفكّرُونَ . ومنْ آياتهِ خلقُ السموات والأرضِ ، واختلافُ ألْسنتِكمْ وألوانِكُمْ[2] ؛

(١) « ومن آياته » : أى ومن آيات الله تبارك وتعالى الدالة على قدرته . « ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » : أى تنتشرون فى الأرض تتصرفون فيما هو قوام معايشكم .

(٢) « واختلاف ألسنتكم وألوانكم » : أى اختلاف لغاتكم من عربية وعجمية وغيرهما ، واختلاف ألوانكم من بياض وسواد وغيرهما وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة .

إنَّ فِي ذَلكَ لآياتٍ لِلعالَمِينَ[1] . ومِنْ آياتِهِ منامكُمْ بالليلِ والنهارِ ، وابتغاؤكم منْ فَضلِه[2] ؛ إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقومٍ يسمعونَ . ومِنْ آياتِهِ يرِيكُم البَرْقَ خوْفاً وَطمعاً[3] ؛ ويُنزِّلُ منَ السماءِ ماءً فيُحيِي بهِ الأرضَ بَعدَ موتِها ؛ إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقوْمٍ يَعقلونَ[4] » .

وقال تعالى : « اللهُ الذى يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثيرُ سَحاباً[5] فيبسطُه فِي السَّماءِ كيفَ يشاء ، وَيجعلهُ كِسَفاً ، فترى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، فإذا أصابَ بِهِ مَنْ يشاء مِنْ عِبَادِهِ إذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وإنْ كانوا مِنْ قبلِ أنْ يُنزَّلَ عليهم من قبلِهِ لَمُبْلِسِينَ . فانْظر إلى آثارِ رحمةِ اللهِ كيفَ

---

(١) « إن فى ذلك لآيات للعالمين » بفتح اللام وكسرها : أى ذوى العقول وأولى العلم .

(٢) « وابتغاؤكم من فضله » : أى تصرفكم فى طلب المعيشة بإرادته « إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » : أى سماع تدبر واعتبار .

(٣) « ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا » : أى خوفا للمسافر من الصواعق وطمعا للمقيم فى المطر .

(٤) سورة الروم آية ٢٤

(٥) «فتثير سحابا» : أى تزعجه «ويجعله كسفا» : أى قطعاً متفرقة «فترى الودق» : أى المطر . «يخرج من خلاله» : أى من وسطه . « إذاهم يستبشرون » : أى يفرحون بنزول المطر عليهم . « وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين » : أى لبائسين من نزوله .

يُحْيِي الأرضَ بعدَ مَوْتِهَا ؛ إنَّ ذلكَ لَمحيِي الموتَى ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ[1] » .

وغيرُ ذلك كثيرٌ في سورةِ الرَّعْدِ، والقَصَصِ ، والأنبياء ، والنملِ ، وقَ ، وغيرها من سورِ القرآنِ الكريم .

٢ — مجمل صفات الله في القرآن .

صفات الله في القرآن

أشارت آياتُ القرآنِ الكريم إلى بعضِ الصفاتِ الواجبةِ للهِ تعالى ، والتي يقتضِيها كمالُ الألوهيةِ . وإليك بعضَ هذهِ الآياتِ الكريمةِ :

وجود الله تعالى

١ — قال الله تعالى : « اللهُ الذى رفعَ السمواتِ بغيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ، ثُمَّ استوَى على العرشِ ، وسخَّرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجرِي لِأجَلٍ مسمًّى ، يُدَبِّرُ الأمْرَ يُفصِّلُ الآياتِ لعلَّكُمْ بِلقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ . وهُوَ الذى مدَّ الأَرْضَ[2] ، وَجعلَ فِيها رَوَاسِيَ ، وَأَنْهارًا ، وَمِنْ كُلِّ الثمراتِ جعلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثنَيْنِ[3] ، يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ ؛ إنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ

---

(١) سورة الروم آية ٥٠ .

(٢) « وهو الذى مد الأرض » : أى بسطها طولا وعرضاً . « وجعل فيها رواسى » : أى جبالا ثوابت .

(٣) « جعل فيها زوجين اثنين » : أى من كل نوع « يغشى الليل النهار » : أى يغطى الليل بظلمته النهار .

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وفى الأرضِ قِطَعٌ مُتَجاوراتٌ ، وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ ، وزرعٌ ، وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ[١] يُسْقَى بماءٍ واحدٍ ونُفَضِّلُ بعضَها على بعضٍ فى الأُكُلِ[٢] إنَّ فى ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » . وقال تعالى : « وهُوَ الذى أنشأ لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدَةَ قليلاً ما تشكرونَ ، وهو الذى ذرأكم[٣] فى الأرضِ وإليهِ تُحْشَرُونَ ، وهو الذى يُحْيِي ويُميتُ ، ولهُ اختلافُ الليلِ والنَّهارِ أفلا تعقِلونَ ! »[٤] .

فكلُّ هذه الآياتِ تنبئُكَ بوجودِ الله تبارك وتعالى ، وتستدل عليه بما ترى من تصرُّفاتِهِ فى شئونِ هذا الكونِ العجيب .

قدم الله تعالى وبقاؤه

٣،٢ — قال الله تعالى : « هو الأوَّلُ والآخِرُ[٥] ، والظاهِرُ

---

(١) « ونخيل صنوان وغير صنوان » : جمع صنو وهو : النخلات والنخلتان يجمعهن أصل واحد وتتشعب منه رءوس فتصير نخلا .

(٢) « ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » . الأكل: الثمر ، يعنى الحلو والحامض ، وهو من دلائل قدرة الله تعالى . سورة الرعد آية ٤

(٣) « وهو الذى ذرأكم » : أى خلقكم . « واليه تحشرون » : أى تجمعون يوم القيامة للجزاء .

(٤) سورة المؤمنون آية ٨٠

(٥) « هو الأول » : أى قبل كل شىء بلا بداية « والآخر » بعد كل شىء بلانهاية « والظاهر » بالأدلة عليه « والباطن » عن إدراك الحواس .

والباطِنُ ، وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ[(١)] » . وقال تعالى : « ولا تدْعُ مع اللهِ إلٰهاً آخرَ ، لا إلٰه إلّا هو ، كلُّ شيءٍ هالِكٌ إلّا وجْهَه ، له الحكمُ وإليهِ تُرْجَعونَ[(٢)] » . وقال تعالى : « كلُّ من عليها فانٍ ، ويبقَى وجْهُ ربِّك ، ذو الجلالِ والإكرامِ[(٣)] » .

وفى هذه الآياتِ الكريمةِ إشارةٌ إلى صِفَتَى القِدمِ ، والبقاءِ لله تبارك وتعالى .

مخالفة الله للحوادث

٤ — قال الله تعالى : « قل هو اللهُ أحدٌ ، اللهُ الصَّمدُ[(٤)] لم يَلِد ولم يُولَد ، ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ[(٥)] » . وقال تعالى : « فاطِرُ السمواتِ والأرضِ[(٦)] جعلَ لكم من أنفسِكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً ، يذرؤكم فيه ، ليس كمثلِه شىءٌ ، وهو السميعُ البصيرُ[(٧)] » .

---

(١) سورة الحديد آية ٣

(٢) سورة القصص آية ٨٨

(٣) سورة الرحمن آية ٢٧

(٤) « الله الصمد » : أى المقصود فى الحوائج على الدوام .

(٥) « ولم يكن له كفواً أحد » : أى ولم يكن له أحد مكافئاً ومماثلا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . سورة الإخلاص .

(٦) « فاطر السموات والأرض » : أى خالقهما على غير مثال سبق .
« جعل لكم من أنفسكم أزواجاً » : أى حيث خلق حواء من ضلع آدم .
« ومن الأنعام أزواجا » : أى ذكوراً وإناثا .

(٧) سورة الشورى آية ١١

وفى ذلك إشارة إلى مخالفته تبارك وتعالى للحوادث من خلقه ، وتنزهه عن الولد والوالد والشبيه والنظير .

قيام الله تعالى بنفسه

٥ — قال الله تعالى : « يأيها الناسُ أنتم الفقراء إلى اللهِ ، واللهُ هو الغنيُّ الحميدُ[1] » . وقال تعالى : « ما أشهدتُهم خلقَ السمواتِ والأرضِ ولا خلقَ أنفسِهم[2] ، وما كنتُ متخذَ المضلِّينَ عَضُدًا[3] » .

وفى ذلك إشارة إلى قيامِه تعالى بنفسه واستغنائِه عن خلقِه مع حاجتهم إليه . .

وحدانية الله تعالى

٦ — قال الله تعالى : « وقال اللهُ : لا تتَّخِذوا إلٰهينِ اثنينِ إنما هو إلٰهٌ واحدٌ ، فإيَّايَ فارْهَبونِ[4] . وله ما فى السمواتِ والأرضِ ، وله الدِّينُ واصِبًا[5] ، أفغيرَ اللهِ تتَّقون ؟ ! وما بكم من نعمةٍ فمن اللهِ ، ثم إذا مسَّكم الضُّرُّ فإليه

---

(١) سورة فاطر آية ١٥

(٢) « ولا خلق أنفسهم » أى لم أشهد بعضهم خلق بعض . « وما كنت متخذ المضلين عضداً » : أى أعوانا فى الخلق .

(٣) سورة الكهف آية ٥١

(٤) « فإياى فارهبون » : أى خافون دون غيرى .

(٥) « وله الدين واصبا » : أى دائما .

تجأَرون[1] » . وقال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا : إنَ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ ، وما من إله إلّا إلهٌ واحِـدٌ ، وإن لم يَنْتَهُوا عما يقولونَ ليمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليمٌ . أفلا يتوبونَ إلى اللهِ ويستغفرونَه ؟ ! واللهُ غفورٌ رحيمٌ[2] » .

وقال تعالى : « أم اتَّخذوا آلهةً من الأرضِ هم يُنْشِرونَ[3] . لو كان فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفسدتا ، فسبحانَ اللهِ ربِّ العرشِ عما يصفونَ . لا يُسألُ عما يفعلُ وهم يُسألونَ . أم اتَّخذوا من دونِه آلهةً ؟ ! قل : هاتوا برهانَكم ! هذا ذِكْرُ مَن مَعِيَ[4] وذِكرُ مَن قَبْلِي ، بل أكثرُهم لا يعلمونَ الحقَّ فهم مُعْرِضونَ . وما أرسلْنا من قبلِك من رسولٍ إلّا نوحِي إليه أنّه لا إله إلا أنا فاعْبُدونِ[5] » . وقال تعالى : « قل : لِمَن الأرضُ ومَن فيها إن كنتم تعلمونَ ؟ سيقولون : للهِ ،

---

(١) « فإليه تجأرون » : أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون لغيره . سورة النحل آية ٥٣

(٢) سورة المائدة آية ٧٤

(٣) « هم ينشرون » : أي يحيون الموتى ، ولا يكون إلها إلا من يحيي الموتى .

(٤) « هذا ذكر من معي » : أي أمتي وهو القرآن . « وذكر من قبلي » من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله تعالى ، ليس في واحد منها أن مع الله إلها مما قالوا ، تعالى الله عن ذلك .

(٥) سورة الأنبياء آية ٢٥

قل أفلا تذكَّرون ؟! قل : مَن ربُّ السمواتِ السبعِ وربُّ العرشِ العظيمِ ؟! سيقولونَ : لِلّهِ . قل : أفلا تتقونَ ؟! قل : مَنْ بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ[1] وَهو يُجيرُ ولا يجارُ عليه إن كنتم تعلمونَ ؟! سيقولون : لِلّهِ . قل : فأنَّى تُسْحَرونَ[2] ؟! بل أتيناهم بالحقِّ وإنهم لكاذبونَ . ما اتَّخذَ اللهُ مِن ولَدٍ ، وما كان معه من إلهٍ ، إذاً لذهبَ كلُّ إلهٍ بما خلقَ[3] ولعلا بعضُهم على بعضٍ ، سبحان اللهِ عما يَصِفونَ . عالِمِ الغيبِ والشهادةِ فتعالى عما يُشْرِكونَ[4] » . وقال تعالى : « قل : الحمدُ لِلّهِ ، وسلامٌ على عبادِهِ الذينَ اصطفَى ، آللهُ خيرٌ أمّا يُشْرِكونَ . أمَّنْ خلقَ السمواتِ والأرض ، وأنزلَ لكم مِن السماء ماءً فأنبتنا به حدائقَ ذاتَ بهجةٍ[5] ما كان لكم أن تُنْبِتوا شجرَها ، أإلهٌ مع اللهِ ؟! بل هم قوم يَعْدِلونَ .

---

(١) « من بيده ملكوت كل شيء » : أي ملك كل شيء والتاء للمبالغة . « وهو يجير ولا يجار عليه » : أي يحمي ولا يحمى عليه .

(٢) « فأنى تسحرون » : أي تخدعون وتصرفون عن الحق وعبادة الله وحده : أي كيف يخيل لكم أنه باطل .

(٣) « إذاً لذهب كل إله بما خلق » : أي انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه « ولعلا بعضهم على بعض » مغالبة كفعل ملوك الدنيا .

(٤) سورة المؤمنون آية ٩٢

(٥) « فأنبتنا به حدائق ذات بهجة » جمع حديقة وهي البستان الذي عليه حائط . والبهجة : الحسن والجمال .

أمَّن جعلَ الأرضَ قَراراً[1] ، وجعلَ خِلَالها أنهاراً ، وجعلَ لهـا رواسِيَ ، وجعلَ بين البحرينِ حاجزاً ، أإلهٌ مع اللهِ ؟! بل أكثرُهم لايعلمونَ ، أمّن يُجيبُ المضطرَّ إذا دعاهُ[2] ، ويكشِفُ السوءَ ، ويجعلُـكم خُلَفاءَ الأَرضِ[3] ، أإلهٌ مع اللهِ ؟! قليلا ما تذكرونَ . أمن يهديكم فى ظلماتِ البرِ والبحرِ[4] ، ومَن يُرْسِلُ الرّياحَ بُشْرًا بين يَدَىْ رحمتِهِ[5] ، أإلهٌ مع اللهِ ؟! تعالى اللهُ عما يشركونَ . أمّن يبدأُ الخلقَ ثم يعيدُه ، ومَن يرزقُكُم مِن السماءِ والأرضِ ، أإلهٌ مع اللهِ ؟! قل : هاتوا برهانَـكم إن كنتم صادقينَ[5] » .

إلى غير ذلك من الآياتِ التى تثبتُ أنه تعـالى واحدٌ فى ذاتِه ، واحدٌ فى صفاتِه ، واحـدٌ فى أفعالِه وتصرفاتِه ، لا رب غيرُه ، ولا إله سواه .

---

(١) « أمن جعل الأرض قراراً » : أى لاتميد بأهلها . « وجعل لها رواسى » : أى جبالا أثبت بها الأرض . « وجعل بين البحرين حاجزاً » : أى بين العذب والملح لايختلط أحدهما بالآخر .

(٢) « أمن يجيب المضطر » : أى المكروب الذى مسه الضر . « ويجعلكم خلفاء الأرض » : أى سكانها يهلك قوما وينشىء آخرين .

(٣) « أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر » : أى يرشدكم إلى مقاصدكم بالنجوم ليلا وبعلامات الأرض نهاراً .

(٤) « ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته » : أى أمام المطر .

(٥) سورة النمل آية ٦٤

قدرة الله تعالى

٧ — قال الله تعالى : « يأيها النَّاسُ إن كنتُم في ريبٍ من البَعْثِ فإنّا خلقناكُم من ترابٍ ثم من نُطْفَةٍ[1] ثم من عَلَقةٍ ثم من مُضْغَةٍ مخلَّقةٍ وغيرِ مخلَّقةٍ ، لنبيِّنَ لكم ، ونُقِرُّ في الأرحامِ ما نشاء إلى أجل مُسَمًّى ، ثم نُخرِجُكم طِفلا ، ثم لتبلغوا أشدَّكم ، ومنكم من يُتَوفَّى ، ومنكم مَن يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ لكيلا يعلمَ من بعدِ علمٍ شيئًا ، وترى الأرضَ هامدةً فإذا أنزلْنا عليها الماءَ اهتَزَّت وربَتْ وأنبتَتْ من كلِّ زوجٍ بهيجٍ ؛ ذلك بأنّ اللهَ هو الحقُّ ، وأنّه يُحيي الموتَى ، وأنّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأنّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها ، وأنّ اللهَ يبعثُ مَن في القُبورِ[2] » .

وقال تعالى : « ما أشهدتُهم خَلْقَ السمواتِ والأرضِ ولا خَلْقَ

---

(١) « فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة » : أي خلقنا آدم عليه السلام من تراب ثم خلقنا ذريته من نطفة من مني « ثم من علقة » أي دم جامد « ثم من مضغة » وهي لحمة قدر ما يمضغ « مخلقة وغير مخلقة » : أي مصورة تامة الخلق وغير تامة الخلق . « ثم لتبلغوا أشدكم » : أي نعمركم لتبلغوا أشدكم ، أي الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة . « ومنكم من يرد إلى أرذل العمر » : أي أخسه من الهرم والخرف . « وترى الأرض هامدة » : أي يابسة لا تنبت شيئا . « فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت » : أي تحركت وارتفعت وزادت . « وأنبتت من كل زوج بهيج » : أي من كل صنف حسن .

(٢) سورة الحج آية ٧

أنفسهم ، وما كنتُ مُتَّخِذَ المضلّين عَضُدًا[١] » . وقال تعالى : « ولقد خلقنا السموات والأرضَ وما بينهما فى ستةِ أيامٍ ، وما مَسَّنا من لُغُوبٍ[٢] » . وقال تعالى : « وهو الذى مَرَجَ البحرَيْنِ[٣] هذا عذبٌ فُراتٌ ، وهذا مِلحٌ أُجاجٌ ، وجعلَ بينهما برزخاً وحِجْرًا محجوراً . وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نَسَباً وصِهْرًا وكان ربُّك قديراً[٤] » . وقال تعالى : « ألم تر أن اللهَ يُزْجِى سحاباً[٦] ثم يؤلِّف بينَه ، ثم يجعلُه رُكاماً فترى الوَدْقَ يخرجُ من خِلالِه ، ويُنَزِّلُ من السماء من جبالٍ فيها من بَرَدٍ فيصيبُ به مَن يشاء

---

(١) سورة الكهف آية ٥١

(٢) « وما مسنا من لغوب » : أى تعب . سورة ق آية ٣٨

(٣) « وهو الذى مرج البحرين » : أى أرسلهما متجاورين . « هذا عذب فرات » : أى حلو شديد العذوبة . « وهذا ملح أجاج » أى شديد الملوحة . « وجعل بينهما برزخا » : أى حاجزاً لايختلط أحدهما بالآخر . « وحجراً محجوراً » : أى ستراً مستوراً يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر . « وهو الذى خلق من الماء بشراً » : أى خلق من النطفة إنساناً . قال القرطبى : وفى هذه الآية تعديد النعمة على الناس فى إيجادهم بعد العدم ، والتنبيه على العبرة فى ذلك .

(٤) سورة الفرقان آية ٥٤

(٥) « ألم تر أن الله يزجى سحابا » : أى يسوقه . « ثم يؤلف بينه » : أى يجمعه ليقوى ويتصل ويكثف . « ثم يجعله ركاما » : أى مجتمعا يركب بعضه بعضا . « فترى الودق » : أى المطر .

ويصرفه عن مَن يشاء يكادُ سنا برْقه[1] يَذْهَبُ بالأبصارِ ، يقلِّبُ اللهُ الليلَ والنهارَ ، إنَّ في ذلك لعبرةً لأولي الأبصارِ . واللهُ خلق كلَّ دابَّةٍ من ماء فمنهم من يمشي على بطنِه ، ومنهم من يمشي على رجلَيْن ، ومنهم من يمشي على أربعٍ ، يخلقُ اللهُ ما يشاء ؛ إنَّ اللهَ على كلِّ شيء قدير[2] » .

إلى غير ذلك من الآياتِ الدالةِ على عظيمِ قدرتِه تبارك وتعالى وباهرِ عظمتِه .

إرادة الله تعالى

٨ — قال الله تعالى : « إنما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ لَهُ كُنْ فيكونُ »[3] وقال تعالى : « وإذا أردنا أنْ نُهْلِكَ قريةً أمَرْنَا مُتْرَفِيها[4] فَفَسَقوا فيها فحَقَّ عليها القولُ فَدَمَّرْناها تدميرا[5] » . وقال تعالى حكايةً عن الخَضِرِ في قصَّتِه مع

---

(١) « يكاد سنا برقه » : أي لمعان برقه « يذهب بالأبصار » الناظرة إليه : أي يخطفها « يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة » : أي دلالة « لأولي الأبصار » : أي لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى .

(٢) سورة النور آية ٤٥

(٣) سورة يس آية ٨٢

(٤) « أمرنا مترفيها » : أي منعميها بمعنى رؤسائها أي أمرناهم بالطاعة على لسان رسلنا . « فحق عليها القول » : أي بالعذاب « فدمرناها تدميراً » : أي أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها .

(٥) سورة الإسراء آية ١٦

موسى عليهما السلام : « فأرادَ ربُّكَ أن يبلغَا أشُدَّهما[1] ويستخرجا كنزَهما رحمةً من ربِّكَ ، وما فعلتُهُ عن أمري ، ذلكَ تأويلُ ما لم تَسْطِعْ عليهِ صبرًا »[2] . وقال تعالى : « يريدُ اللهُ ليُبيِّنَ لكم[3] ، ويهديَكُمْ سُنَنَ الَّذينَ مِنْ قبلِكم ، ويتوبَ عليكم ، واللهُ عليمٌ حكيمٌ . واللهُ يريدُ أن يتوبَ عليكم ويريدُ الذينَ يتَّبعون الشهواتِ أنْ تميلوا ميلاً عظيما . يريدُ اللهُ أنْ يُخَفِّفَ عنكم وَخُلِقَ الإنسانُ ضعيفا »[4] .

إلى غير ذلك من الآياتِ الكريمةِ التى تشيرُ إلى إثباتِ إرادةِ الله تعالى وأنها فوقَ كلِّ إرادةٍ ومشيئةٍ . « وَمَا تشاءونَ إلاّ أنْ يشاءَ اللهُ[5] ».

علم الله تعالى

٩ — قال الله تعالى : « الحمدُ لِلهِ الذى لهُ ما فى السموات وما فى الأرضِ ولهُ الحمدُ فى الآخرةِ وهوَ الحكيمُ الخبيرُ .

---

(١) « فأراد ربك أن يبلغا أشدهما » : أى إيناس رشدهما . « ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً » : أى تطق صبراً عليه .

(٢) سورة الكهف آية ٨٢

(٣) « يريد الله ليبين لكم » : أى شرائع دينكم ومصالح أمركم . « ويهديكم سنن الذين من قبلكم » : أى طرائق الذين من قبلكم من الأنبياء فى التحليل والتحريم فتتبعوهم .

(٤) سورة النساء آية ٢٦

(٥) سورة الدهر آية ٢٠

يعلمُ ما يَلِجُ فى الأرضِ[١] ، وما يخرجُ منها ، وما ينزِلُ مِنَ السماء وما يعرُجُ فيها ، وهو الرحيمُ الغفورُ » . وقال تعالى : « يعلمُ ما فى السموات والأرضِ ويعلمُ ما تُسِرُّونَ وما تُعْلِنُونَ واللهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ »[٢] . وقال تعالى حكاية عن لُقْمَان فى وصيتِه لابنه : « يا بُنَىَّ إنَّها إنْ تَكُ مِثقالَ حبَّةٍ من خَرْدَلٍ فتكنْ فى صخرةٍ أوْ فِى السمواتِ أو فى الأرضِ يأتِ بها اللهُ ، إنَّ اللهَ لطيفٌ خَبير »[٣] .

وقال تعالى فى حكاية ما وقع بين شُعَيْبٍ وقومِه . « قال الملا الذين استكبروا من قومِهِ : لَنُخْرِجَنَّكَ ياشُعَيْبُ والذين آمنوا معكَ من قريتنا أو لتعودُنَّ فى مِلَّتِنا . قال أوَ لَوْ كُنَّا كارهينَ ! قد افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كذِباً إنْ عُدْنا فِى مِلَّتِكُمْ بعدَ إذْ نجَّانَا اللهُ مِنها ، وما يكونُ لنا أن نعودَ فيها إلا أن يشاءَ اللهُ رَبُّنَا ، وَسِعَ رَبُّنَا كلَّ شىء عِلما ، عَلَى اللهِ توكلنا

(١) « يعلم مايلج فى الأرض » : أى يدخل فيها من ماء وغيره . « وما يخرج منها » أى من نبات وغيره « وما ينزل من السماء » من رزق وغيره . « وما يعرج فيها » أى يصعد فيها من الملائكة وأعمال العباد . سورة سبأ آية ٢

(٢) « والله عليم بذات الصدور » : أى بما فيها من الأسرار والمعتقدات . سورة التغابن آية ٤

(٣) سورة لقمان آية ١٦

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق[1] وأنت خير الفاتحين »

وقال تعالى : « ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم[2] ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ؛ إن الله بكل شيء عليم »[3] . وقال تعالى : « وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا[4] إذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين »[5] .

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على سعة علمه تبارك وتعالى ، وإحاطته بكل شيء ، قل أو كثر ، دق أو عظم .

---

(١) « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » : أى احكم . سورة الأعراف آية ٨٨

(٢) « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » : أى بعلمه .

(٣) سورة المجادلة آية ٧

(٤) « إلا كنا عليكم شهوداً » : أى نعلمه . « إذ تفيضون فيه » : أى تأخذون فيه . « وما يعزب عن ربك » : أى يغيب .

(٥) سورة يونس آية ٦١

حياة الله تعالى

١٠ — قال الله تعالى . « اللهُ لا إله إلا هو الحيُّ القيُّومُ[١] لا تأخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ، لَهُ مَا في السَّمٰوَاتِ وَمَا في الْأَرْضِ[٢] » . وقال تعالى : « الم اللهُ لا إلٰهَ إلاَّ هُوَ الحيُّ القيُّومُ ، نَزَّلَ عليكَ الكتابَ[٣] بالحقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يديهِ وأنزلَ التَّوْرَاةَ والإنجيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى للناسِ ، وأنزلَ الفُرْقان »[٤] . وقال تعالى : « اللهُ الذى جعلَ لكمُ الأرضَ قراراً ، والسماءَ بِنَاءً ، وصَوَّرَكُم فأَحْسَنَ صُوَرَكُم ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ ، ذٰلِكم اللهُ رَبُّكُمْ ، فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ . هُوَ الحيُّ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ ، فادْعُوهُ مُخْلِصِين لهُ الدِّينَ ، الحمدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمينَ »[٥] .

إلى غيرِ ذلك من آياتٍ كثيرةٍ تدل على أن الله تبارك وتعالى مُتَّصِفٌ بالحياةِ الكاملة التى ليس ثَمَّ أكمل منها .

(١) « القيوم » : أى القائم بتدبير خلقه . « لا تأخذه سنة » السنة بكسر السين : النعاس .
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥
(٣) « نزل عليك الكتاب » : أى القرآن « مصدقا لما بين يديه » : أى لما قبله من الكتب المنزلة . « وأنزل الفرقان » : أى الكتب الفارقة بين الحق والباطل .
(٤) سورة آل عمران آية ٤
(٥) سورة غافر آية ٦٥

سمع الله تعالى وبصره

١١ ، ١٢ — قال الله تعالى : « قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ [1] فِي زَوجِها ، وتشتكي إلى اللهِ ، واللهُ يَسْمَعُ تحاوُرَكُما : إنَّ اللهَ سميعٌ بصير » . وقال تعالى : « أرَأَيْتَ الذي يَنْهَىٰ عَبْدًا إذَا صَلَّىٰ ! أرَأَيْتَ إنْ كانَ عَلَى الْهُدَى أو أَمَرَ بالتقْوَى ! أرَأَيْتَ إنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ! أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ! [2] » . وقال تعالى لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون : « اذْهَبَا إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَىٰ . فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ . قالاَ : رَبَّنَا إنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا [3] أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ . قال : لا تَخَافَا إنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى » . وقال تعالى : « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ [4] وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، واللهُ يَقْضِي بالحقِّ والذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ، إنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [5] » .

---

(١) « قد سمع الله قول التي تجادلك » : أي تراجعك « والله يسمع تحاوركما » : أي تراجعكما . سورة المجادلة آية ١

(٢) سورة العلق آية ١٤

(٣) « قالا : ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا » : أي يعجل بالعقوبة . « أو أن يطغى » علينا : أي يتكبر . سورة طه آية ٤٦ .

(٤) « يعلم خائنة الأعين » : أي بمسارقتها النظر إلى محرم . « وما تخفي الصدور » : أي القلوب .

(٥) سورة غافر آية ٢٠

إلى غير ذلك من الآيات التى تدلُّ على اتصافه تبارك وتعالى بالسمعِ والبصرِ .

كلام الله تعالى

١٣ — قال الله تعالى : « وكلَّمَ اللهُ موسى تكليماً[١] »

وقال تعالى : « أفتَطْمَعُونَ أنْ يُؤْمِنُوا لكم وقد كان فَرِيقٌ منهم يَسْمَعُونَ كلام[٢] اللهِ ثم يُحَرِّفُونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون[٣] » .

إلى غير ذلك من الآيات التى تدلُّ على اتصافهِ تبارك وتعالى بصفة الكلامِ .

صفات الله لا تتناهى

وصفاتُ اللهِ تبارك وتعالى فى القرآن الكريم كثيرةٌ ، وكمالاتُه تبارك وتعالى لا تتناهَى ، ولا تدرِكُ كُنْهَها عقولُ البشر ، سبحانَه لا نحصِى ثناءً عليه هو كما أثنىَ على نفسِه .

بين صفات الله وصفات الخلق

صفات الله وصفات الخلق

والذى يجب أن يتفطَّنَ له المؤمنُ أن المعنى الذى يُقْصَدُ باللفظِ فى صفاتِ الله تبارك وتعالى يختلفُ اختلافاً كليًّا عن المعنى الذى يقصد بهذا اللفظ عينه فى صفاتِ المخلوقين .

---

(١) سورة النساء ١٦٤

(٢) « يسمعون كلام الله » : أى التوراة . « ثم يحرفونه » : أى يغيرونه . « من بعد ما عقلوه » : أى فهموه .

(٣) سورة البقرة آية ٧٥

فأنتَ تقولُ : الله عالم والعلم صفة لله تعالى ، وتقولُ : فلانٌ عالمٌ والعلمُ صفة لفلان من الناس ، فهل ما يقصدُ بلفظةِ العلمِ في التركيبين واحد ؟ حاشا أن يكون كذلك ؛ وإنما علم الله تبارك وتعالى علم لا يتناهَى كمالُه ولا يُعَدُّ علمُ المخلوقين شيئاً إلى جانبه . وكذلك الحياة ، وكذلك السمع ، وكذلك البصر ، وكذلك الكلام ، وكذلك القدرة والإرادة . فهذه كلها مدلولاتُ الألفاظِ فيها تختلفُ عن مدلولاتها في حق الخلقِ من حيثُ الكمالُ والكيفيةُ اختلافاً كليًّا ؛ لأنه تبارك وتعالى لا يشبه أحداً من خلقِه . فتفطن لهذا المعنى فإنه دقيق . ولستَ مطالباً بمعرفةِ كُنْهِها ، وإنما حسبُك أن تعلم آثارَها في الكون ولوازمَها في حقِّك . واللهَ نسألُ العصمةَ من الزللِ وحسنَ التوفيقِ .

الأدلة العقلية والمنطقية على إثبات صفات الله تعالى

صفات الله والعقل

يعمد علماء العقائد إلى إثباتِ صفاتِ الله تبارك وتعالى بأدلةٍ عقليةٍ ، وأقيسةٍ منطقيةٍ ؛ ونحن نقولُ : إن ذلك حسنٌ ؛ لأن العقلَ أساسُ المعرفةِ ، ومناطُ التكليفِ ، وحتى لا يكونَ في نفسِ أحدٍ أثرٌ من آثارِ الشُّبُهاتِ والأباطيلِ ؛ ولكن الأمرَ أوضحُ من ذلك ، ووجودُ الخالقِ تبارك

وتعالى وإثباتُ صفاتِ الكمالِ المطلقِ له صار في حكم البدهيات التي لا يُحتَاجُ في إثباتِها إلى دليلٍ أو برهانٍ ، ولا يطالِب بالدليل عليها إلا كلُّ مكابرٍ مريضِ القلبِ لا يُجْدِيه دليلٌ ، ولا تنفع معه حُجَّةٌ ؛ ومع هذا فتتميماً للفائدةِ نذكر بعضَ الأدلةِ العقليةِ الإجماليةِ والتفصيليةِ ، فنقولُ :

الدليل الأول : هذا الوجودُ الذى يدل بعظمتِه وإحكامِه على وجودِ خالقِه وعظمتِه وكمالِه .

الدليل الثانى : أن فاقدَ الشيء لا يعطيه ، فإذا لم يكن موجِدُ هذا الكونِ متصفاً بصفاتِ الكمالِ فكيف تكونُ آثارُ هذه الصفات فى مخلوقاتِه .

الدليل الثالث ، وهو خاصٌّ بأن هذا الخالقَ واحدٌ لا يتعدد : أن التعدُّد مدعاةُ الفسادِ والخلافِ والعلوِّ ولا سيما وشأنُ الألوهيةِ الكبرياء والعظمةُ ؛ وأيضاً فلو استقل أحدُ المتعددين بالتصرفِ تعطلتْ صفاتُ الآخرين ، ولو اشتركوا تعطلت بعضُ صفاتِ كل منهم ، وتعطيلُ صفات الألوهيةِ يتنافَى مع جلالِها وعظمتِها ، فلا بد أن يكون الإله واحداً لا رب غيره .

هذه نماذجُ من الأدلةِ المنطقيةِ على وجـودِ الخالقِ ، وإثباتِ صفاتِهِ . ومن أراد الاستيعابَ فعليه بالمطولاتِ . على أن الأمرَ مركوزٌ فى فِطَرِ النفوسِ الصافيةِ ، مستقرٌ فى أعماقِ القلوبِ السليمةِ « وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ » .

سؤال يقف أمام كثير من الناس

دفع الخواطر والوسوسة

وردَ فى حديثٍ عن أبى هريرةَ رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزالُ الناسُ يتساءلونَ حتى يُقالَ هذَا : خلقَ اللهُ الخلقَ فمَن خلقَ اللهَ ؟ فمَن وجدَ مِن ذلك شـيئاً فليَقل : آمنتُ باللهِ[1] » رواهُ مسلمٌ .

وهذا السؤالُ وإن كان خطأً من أساسِه ؛ لأننا أمرنا ألّا نبحثَ فى ذاتِ اللهِ تبارك وتعالى ؛ لأن عقولَنا القاصرةَ التى

(١) قال الإمام المازرى : ظاهر الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر فى إبطالها . قال : والذى يقال فى هذا المعنى أن الخواطر على قسمين فأما التى ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهى التى تدفع بالإعراض عنها وعلى هذا يحمل الحديث ، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة ، فكأنه لما كان أمراً طارئاً وبغير أصل دفع بغير نظر فى دليل ، إذ لا أصل له ينظر فيه . وأما الخواطر المستقرة التى اجتلبتها الشبهة فإنها لا تدفع إلا بالاستدلال والنظر فى إبطالها ، والله أعلم .

تعجز عن إدراك حقيقةِ نفسِها تعجزُ من باب الأولى ، عن إدراكِ حقيقةِ ذاتِ اللهِ تبارك وتعالى ، إلا أنه يختلج فى نفوسِ بعضِ الناس ، ونريدُ أن نوضِّحَ لهم الجوابَ عليه بمثالٍ يريحُ ضمائرَهم ، إن شاء اللهُ تعالى ، فنقول :

إذا وضعتَ كتاباً على مكتبِك ثم خرجتَ من الحجرة وعدتَ إليها بعد قليل فرأيت الكتابَ الذى تركتَه على المكتبِ موضوعاً فى الدرج فإنك تعتقدُ تماماً أن أحداً لا بد أن يكون قد وضعه فى الدرج ؛ لأنك تعلم من صفاتِ هذا الكتاب أنه لاينتقل بنفسِه . احفظ هذه النقطة وانتقل معى إلى نقطةٍ أخرى : لو كان معك فى حجرةِ مكتبِك شخص جالسٌ على الكرسيِّ ثم خرجتَ وعدتَ إلى الحجرةِ فرأيتَه جالساً على البساطِ مثلا فإنك لاتسألُ عن سببِ انتقالِهِ ، ولا تعتقدُ أن أحداً نقله من موضعِه ؛ لأنك تعلم من صفاتِ هذا الشخصِ أنه ينتقلُ بنفسِه ولا يحتاج إلى من ينقله . احفظ هذه النقطة الثانية ثم اسمع ما أقولُ لك : لما كانت هذه المخلوقاتُ مُحْدَثَةً ونحن نعلم من طبائِعِها وصفاتِها أنها لا توجدُ بذاتِها بل لابد لها من موجِدٍ ، عرفنا أن موجِدَها هو الله تبارك وتعالى ؛ ولما كان كمالُ الألوهيةِ يقتضى عدم احتياج الإله إلى غيرِه ، بل إن من صفاتِه قيامَه

بنفسِه ، عرفنا أن اللهَ تباركَ وتعالى موجود بذاتِه وغيرُ محتاجٍ إلى من يوجِدُه . وإذا وضعتَ النقطتين السابقتين إلى جانبِ هذا الكلام ، اتّضح لك هذا المقام ، والعقلُ البشريُّ أقصرُ من أن يتورّطَ فى أكثرَ من ذلك . واللهَ نسألُ العِصْمةَ من الزّللِ ؛ إنه رءوف رحيم .

وإليك أقوالَ علماء الأوربيين فى إثباتِ وجود اللهِ تعالى والإقرارِ بكمالِ صفاتِه ، واللهُ ولىُّ توفيقِنا وتوفيقِك :

كلام العلماء الطبيعيين فى إثبات وجود الله وصفاته

الطبيعيون ووجود الله

قدمنا لك أن هـذه العقيدةَ فطرية فى النفوسِ السليمة ، مستقرة فى الأذهانِ الصافيةِ ، تكاد تكون من بدهيّاتِ المعلوماتِ تؤيدها نتائجُ العقولِ جيلا بعد جيلٍ ، ولذلك اعتقدها علماء الكونِ من الأوربيينَ وغيرِهم وإن لم يتلقوها عن دينٍ من الأديانِ ؛ وسننقلُ لك بعضَ شهاداتِهم ، لا تأييداً للعقيدةِ ، ولكن إثباتاً لاستقرارِها فى النفوسِ ، وقطعاً لألسنةِ الذينَ يريدونَ أن يتحللوا من عقدةِ العقائدِ ، ويخادعوا ضمائرَهم وأرواحَهم بالباطلِ !

١ — قال ديكارت العالِم الفرنسىُّ :

شهادة ديكارت

« إنى مع شعورى بنقص ذاتى أحِسُّ فى الوقتِ نفسِه

بوجوبِ وجودِ ذاتٍ كاملةٍ ، وأرانى مضطرًا للاعتقادِ بأن هذا الشعورَ قد غرسَتْه فى ذاتى تلك الذاتُ الكاملةُ المتحليةُ بجميعِ صفاتِ الكمالِ ، وهى : اللهُ » .

فهو يثبتُ فى كلامِه هذا ضعفَ نفسِه ونقصَها ، ووجودَ اللهِ وكمالَه ، و يعترفُ بأن شعورَه و إحساسَه هبةٌ من اللهِ له وفِطْرةٌ فيه « فِطْرَةَ اللهِ التى فطَرَ الناسَ عليها[1] » .

٢ — وقال إسحاق نيوتن العالِمُ الإنجليزىُّ الشهير ، ومكتشفُ قانونِ الجاذبيةِ :

شهادة إسحاق نيوتن

«لاتشكوا فى الخالِقِ فإنه مما لايعقلُ أن تكون المصادفاتُ وحدَها هى قائدةَ هذا الوجودِ » .

٣ — وقال هرشل الفلكىّ الإنكليزىّ :

شهادة هرشل

« كلما اتسع نطاقُ العِلمِ ازدادت البراهينُ الدامغةُ القويةُ على وجودِ خالقٍ أزلىّ لاحد لقدرتِه ولا نهاية ؛ فالجيولوجيونَ والرياضيونَ ، والفلكيونَ ، والطبيعيونَ قد تعاونوا على تشييدِ صرحِ العلمِ ، وهو صرحُ عظمةِ اللهِ وحدَه » .

٤ — وقال لينيه ، كما نقله عنه كاميل فلامريون الفرنسىُّ فى كتابِه المسمَّى « اللهُ فى الطبيعة » :

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

شهادة لينيه

« إنَّ اللهَ الأزليَّ الأبديَّ العالِمَ بكل شيء والمُقتَدِرَ على كل شيء ، قد تجلّى لي ببدائعِ صُنعِهِ حتى صرتُ مندهشاً مبهوتاً ؛ فأيُّ قدرةٍ وأيُّ حِكمةٍ وأيُّ إبداع أبدعَه في مصنوعاتِه ! سواءٌ في أصغرِ الأشياء أو أكبرِها ! إن المنافعَ التي نستمدُّها من هذِه الكائناتِ تشهدُ بعظمةِ رحمةِ اللهِ الذي سَخَّرَها لنا ، كما أن كمالَها وتناسُقَها ينبئُ بواسعِ حِكمتِه ، وكذلك حفظُها عن التلاشِي وتجدُّدها يقرُّ بجلالتِه وعظمتِه » .

شهادة هربرت سبنسر

٥ — ويقول « هربرت سبنسر الإنجليزيُّ » في هذا المعنى في رسالته في التربية :

« العِلمُ يناقضُ الخرافاتِ ، ولكنهُ لا يناقضُ الدِّينَ نفسَه : يوجدُ في شيء كثيرٍ من العِلم الطبيعيِّ الشائعِ روحُ الزندقةِ ، ولكن العلمَ الصحيحَ الذي فاتَ المعلوماتِ السطحيةَ ، ورسبَ في أعماقِ الحقائقِ ، براءٌ من هذه الرُّوحِ . العلمُ الطبيعيُّ لاينافي الدينَ ، والتوجُّهُ للعِلم الطبيعيِّ عِبادةٌ صامِتةٌ[1] واعترافٌ صامِتٌ بنفاسةِ الأشياء التي تعايَن وتدرسُ ، ثم بقدرةِ خالِقها ، فليس ذلك التوجهُ تسبيحاً شفهيًّا ، بل هو

---

(١) وقد أشارت الآية الكريمة إلى ذلك في قول الله تعالى : « الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » المؤلف .

تسبيحٌ عمليٌّ ، وليس باحترامٍ مُدَّعًى ، إنما هو احترامٌ أثمرتهُ تضحيةُ الوقتِ والتفكير والعمل . وهذا العلمُ لايسلك طريقَ الاستبداد في تفهيمِ الإنسانِ استحالةَ إدراكِ السببِ الأوَّلِ وهو « اللهُ » ، ولكنهُ ينهجُ بنا النَّهْجَ الأوضحَ في تفهيمنا الاستحالةَ ، بإبلاغِنا جميعَ أنحاءِ الحدودِ التي لايستطاعُ اجتيازُها ، ثم يقفُ بنا ، في رِفْقٍ وهوادةٍ ، عند هذه النهايةِ ؛ وهو بعد ذلك يُرِينا بكيفيةٍ لا تعادَلُ صِغَرَ العقلِ الإنسانيِّ إزاءَ ذلك الذي يفوتُ العقلَ . . . »

ثم أخذَ يضربُ الأمثلةَ على ما يقولُ فقال : « إنَّ العالِمَ الذي يرى قطرةَ الماء فيعلمُ أنها تتركبُ من الأوكسجين والإيدروجين بنسبةٍ خاصةٍ ، بحيث لو اختلفت هذه النسبةُ لكانت شيئاً آخرَ غيرَ الماء ، يعتقدُ عظمةَ الخالقِ وقُدْرَتَه وحكمتَه وعِلْمَه الواسعَ بأشدَّ وأعظمَ وأقوى من غير العالِمِ الطبيعيِّ الذي لايرى فيها إلا أنها قطرة ماء فحسب ، وكذلك العالِمُ الذي يرى قطعةَ البَرَدِ[1] فيرى تحتَ مِجْهَرِه[2] ما فيها من جمالِ الهندسةِ ، ودقةِ التقسيمِ ، لاشك أنهُ يشعر بجمالِ

---

(١) أي قطعة الثلج الصغيرة النازلة مطراً . المؤلف .

(٢) المجهر : المنظار المكبر . المؤلف .

الخالِق ودقيقِ حِكمتِه أكبرَ من ذلك الذى لايعلم عنها إلا أنها مطرٌ تجمَّدَ من شدةِ البَرْدِ » .

وأقوالُ علماءِ الكونِ فى ذلك لاتقع تحت حصرٍ ، وفيما ذكرناهُ الكفايةُ . وإنما استشهدنا بذلك حتى يعلمَ شبابُنا أن دينَهُم مُؤَيَّدٌ من عِند اللهِ تباركَ وتعالى ، لايزيدُه العِلمُ إلا قُوَّةً وثباتاً وتأييدًا ، مِصْداقاً لقولِ اللهِ تعالى : « سَنُرِيهم آياتِنا فى الآفاقِ وفى أنفسِهم حتَّى يتبَيَّنَ لهم أنهُ الحقُّ ، أوَلَمْ يَكْفِ بربِّكَ أنهُ على كل شىء شهيدٌ »(١) .

آيات الصفات وأحاديثها

آيات الصفات وأحاديثها

وردت فى القرآنِ الكريمِ آياتٌ وفى السُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ أحاديثُ تُوهِمُ بظاهِرِها مشابهةَ الحق تبارك وتعالى لِخَلْقِهِ فى بعض صفاتِهِم ، نُورِدُ بعضَها على سبيلِ المثالِ ، ثم نُقَفِّى بذكرِ ما وردَ فيها من الأقوالِ . واللهَ نسألُ أنْ يوفقنا إلى بيانِ وجهِ الحق فى هذه المسألةِ ، التى طال فيها جدَلُ الناسِ ونقاشُهم إلى هذا العصرِ ، وأن يُجَنِّبَنا الزَلَلَ ، ويُلهِمَنا الصَّوابَ ، وهو حسبنا ونعم الوكيلُ .

---

(١) سورة فصلت آية ٥٣

نماذج من آيات الصفات

من آيات الصفات

١ — قال اللهُ تعالى : « كلُّ مَن عليها فانٍ[1] ، ويبقَى وجهُ رَبِّك ذو الجلالِ والإكرامِ » .

ومثلُها كل آيةٍ وردَ فيها لفظُ الوجهِ مضافاً إلى الحقِّ تبارك وتعالى .

٢ — قال اللهُ تعالى : « ولقد مننَّا عليك مرةً أُخرى ؛ إذْ أَوحينا إلى أُمِّك ما يُوحَى : أن اقذفيه فى التابوتِ فاقذِفيه فى اليمِّ[2] ، فليُلقِهِ اليمُّ بالساحلِ يأخذْهُ عدوٌّ لى وعدوٌّ له ، وألقيتُ عليك محبةً منى ، ولِتُصْنَعَ عَلَى عينِى » . وقال تعالى : « وأُوحِىَ إلى نوح أنه لن يؤمنَ من قومِك إلا مَن قد آمنَ فلا تبتَئِس[3]

---

(١) « كل من عليها » : أى على الأرض « فان » : أى هالك . « ويبقى وجه ربك » : أى ذاته . قال الزمخشرى : والوجه يعبر به عن الجملة والذات ، ومساكين مكة يقولون : أين وجه عربى كريم ينقذنى من الهوان . سورة الرحمن آية ٢٧

(٢) « فاقذفيه فى اليم » : أى فى نهر النيل . « فليلقه اليم بالساحل » : أى بالشاطىء . « ولتصنع على عينى » : أى تربى على رعايتى وحفظى لك . سورة طه آية ٣٩

(٣) « فلا تبتئس » أى فلا تحزن . « واصنع الفلك بأعيننا » : أى بمرأى منا وحيث نراك . وقال الربيع بن أنس : بحفظنا إياك حفظ من يراك . وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : بحراستنا .

بما كانوا يفعلونَ . واصنع الفلكَ بأَعْيُنِنَا ووحيِنا ، ولا تخاطبْنى فى الذين ظلموا إنهم مُغْرقونَ[١] » .

ومثلُها كل آية ورد فيها لفظ العين مضافاً إلى الله تبارك وتعالى .

٣ — قال الله تعالى : « إن الذينَ يبايعونَكَ[٢] إنما يبايعونَ اللهَ يَدُ اللهِ فوقَ أيديهم ، فمن نكثَ فإنما ينكُثُ عَلَى نَفْسِه ، ومن أَوْفَى بما عاهدَ عليهُ اللهَ فسيؤتيه أجراً عظيما » . وقال تعالى : « وقالتِ اليهودُ يدُ اللهِ مغلولةٌ[٣] غُلَّتْ أيديهم ولُعِنُوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطَتانِ ينفقُ كيف يشاء » . وقال تعالى :

(١) سورة هود آية ٣٧

(٢) « إن الذين يبايعونك » : أى بيعة الرضوان . « يد الله فوق أيديهم » : أى التى بايعوا بها النبى صلى الله عليه وسلم : أى هو مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها . « فمن نكث فإنما ينكث على نفسه » : أى فمن نقض البيعة فإنما يرجع وبال نقضه على نفسه . سورة الفتح آية ١٠

(٣) « وقالت اليهود يد الله مغلولة » : أى مقبوضة عن إدرار الرزق علينا ، كنوا بذلك عن البخل تعالى الله عن ذلك . « غلت أيديهم » : أى أمسكت عن فعل الخيرات . « بل يداه مبسوطتان » : مبالغة فى الوصف بالجود ، وثنى اليد لإفادة الكثرة ؛ إذ غاية ما يبذله السخى من ماله أن يعطى بيديه . سورة المائدة آية ٦٤

« أَوَلَمْ يَرَوْا أنا خلقنا لهم مِمَّا عملت [1] أيدينا أنعاماً فهم لها مالكونَ » .

٤ — قال الله تعالى : « لا يتخذِ المؤمنونَ الكافرينَ أولياءَ من دونِ المؤمنينَ ، ومن يفعلْ ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقُوا منهم تقاةً ، ويحذرُكُمُ الله نفسَه [2] وإلى الله المصيرُ » . وقال تعالى : « وإذ قال اللهُ ياعيسى ابنَ مريمَ أأنتَ قلتَ للناسِ اتخذونِي وَأُمِّيَ إلٰهَيْنِ مِنْ دونِ اللهِ . قال : سبحانَك ! ما يكونُ لي أن أقولَ ما ليس لي بحقٍ ، إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسِك [3] ؛ إنك أنت علامُ الغيوبِ » .

٥ — قال الله تعالى : « الرَّحمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ [4] »

---

(١) « أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما » : أي أبدعناه وعملناه بلا شريك ولا معين . والأنعام هي الإبل والبقر والغنم . سورة يس آية ٧١

(٢) « ويحذركم الله نفسه » أي يخوفكم الله إياه . آل عمران آية ٢٨

(٣) « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » : أي تعلم سري وما انطوى عليه ضميري الذي خلقته ، ولا أعلم شيئاً مما استأثرت به من غيبك وعلمك . سورة المائدة آية ١١٦

(٤) « الرحمن على العرش استوى » : العرش سرير الملك . واستوى قال أبو الحسن الأشعري وغيره : استوى على عرشه بغير حد ولا كيف كما يكون استواء المخلوقين . وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : يريد : خلق ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة وبعد القيامة . طه آية ٥

ومثلُها كل آية نُسب فيها الاستواء على العرش إلى الله تبارك وتعالى .

٦ — قال الله تعالى : « وهو القاهرُ فوقَ عبادِه[1] ويرسِلُ عليكم حفظةً حتى إذا جاءَ أحدَكُمُ الموتُ توفَّتْه رُسُلُنا وهم لا يفرِّطونَ » . وقال تعالى : « أأمنتم مَن في السماءِ[2] أن يَخْسِفَ بكمُ الأرضَ فإذا هي تَمُورُ » وقال تعالى : « من كانَ يريدُ العِزَّةَ فَلِلّهِ العزةُ جميعاً إليهِ يصعَدُ الكَلِمُ[3] الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفعُه والذين يمكرونَ السيئاتِ لهم عذابٌ شديدٌ ، ومكرُ أولئك هو يبورُ » .

مما يؤخذ منه نسبةُ الجهة لله تبارك وتعالى .

---

(١) « وهو القاهر فوق عباده » قال القرطبي : القهر : الغلبة والقاهر الغالب . ومعنى « فوق عباده » فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم : أي هم تحت تسخيره لا فوقية مكان ، كما تقول السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة . « ويرسل عليكم حفظة » : أي ملائكة تحصى أعمالكم « توفته رسلنا » أي الملائكة الموكلون بقبض الأرواح . سورة الأنعام آية ٦١

(٢) « أأمنتم من في السماء » أي أأمنتم من في السماء سلطانه وقدرته . قال القرطبي : وخص السماء وإن عم ملكه ، تنبيها على أنه الإله الذي تنفذ قدرته في السماء لا من يعظمونه في الأرض « فإذا هي تمور » : أي تذهب وتجيء . سورة الملك آية ١٦

(٣) « إليه يصعد الكلم الطيب » : أي إلى الله تبارك وتعالى يصعد الكلم الطيب : أي يعلمه « والعمل الصالح يرفعه » : أي يرفعه الله : أي يقبله . والكلم الطيب : هو التوحيد الصادر عن عقيدة طيبة . « ومكر أولئك هو يبور » : أي يهلك . سورة فاطر آية ١٠

٧ — قال الله تعالى : « إِنَّ الذين يؤذونَ اللهَ [1] ورسولَه لعنهم اللهُ فى الدنيا والآخرةِ ، وأعدَّ لهم عذاباً مُهيناً » . وقال تعالى : « ومريمَ ابنةَ عِمْرانَ التى أحْصَنَتْ فرجَها فنفخنا فيه من رُوحِنا وصدَّقَتْ بكلماتِ ربِّها وكُتُبِهِ ، وكانت من القانتين [2] » . وقال تعالى : « كلاَّ إذا دُكَّتِ الأرضُ دكاً دكاً . وجاء ربُّكَ والملكُ صفاً صفاً [3] » .

نماذج من أحاديث الصفات

من أحاديث الصفات

وردت فى الأحاديث الشريفة ألفاظٌ كالتى وردت فى الآياتِ السابقةِ ، منسوبةٌ إلى الله تبارك وتعالى : كالوجهِ

---

(١) « إن الذين يؤذون الله ورسوله » هم الكفار يصفون الله تعالى بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله صلى الله عليه وسلم . سورة الأحزاب آية ٥٧

(٢) « التى أحصنت فرجها » أى حفظته عن الفواحش « فنفخنا فيه » : أى أرسلنا جبريل فنفخ فى جيبها « من روحنا » أى روحا من أرواحنا وهى روح عيسى عليه السلام « وصدقت بكلمات ربها » : أى بشرائعه « وكانت من القانتين » : أى من المطيعين . سورة التحريم آية ١٢

(٣) « دكا دكا » : أى مرة بعد مرة وزلزلت فكسر بعضها بعضاً فتكسر كل شىء على ظهرها « وجاء ربك » أى أمره وقضاؤه « والملك » أى الملائكة « صفاً صفاً » : أى صفوفاً . سورة الفجر آية ٢٢

واليدِ ، ونحوهما ، فنكتفى بالآيات عن ذكرها ؛ وورد فى أحاديث كثيرةٍ ألفاظٌ أخرى من هذا القبيل منسوبةٌ إلى ذاتِ اللهِ تباركَ وتعالى نوردُ بعضَها ؛ فمن ذلك :

١ — عن أبى هريرةَ رضى الله عنهُ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « خلقَ اللهُ آدمَ عَلَى صورتهِ[1] طولُه ستون ذراعاً ، فلما خلقَه قال : اذهب فسلِّمْ عَلَى أُولئك — نفرٍ من الملائكةِ جلوسٍ — فاستَمع ما يحيُّونَك فإنها تحيّتُك وتحيّةُ ذريتك ، فقالَ : السلامُ عليكم . فقالوا : السّلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ ، فزادوهُ ورحمةُ اللهِ ، فكل من يدخلُ الجنةَ على صورةِ آدمَ ، فلم يزلِ الخلقُ ينقصُ بعدُ حتى الآنَ » رواهُ البخاريُّ ومُسلمٌ .

٢ — عن أنسِ بن مالكٍ رضى الله عنهُ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تزالُ جهنمُ يُلقَىْ فيها وتقولُ : هل من مزيدٍ حتى يضعَ رَبُّ العِزَّةِ فيها قدمَه[2]

(١) « على صورته » أى على صورة آدم عليه السلام . قال الحافظ العسقلانى : المعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التى خلقه عليها لم ينتقل فى النشأة أحوالا ولاتردد فى الأرحام أطواراً كذريته ، بل خلقه الله رجلا كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح .

(٢) « حتى يضع رب العزة فيها قدمه » . قال الزمخشرى : وضع القدم على الشىء مثل للردع والقمع فكأنه قال : يأتيها أمر الله فيكفها =

فينزوِى بعضُها إلى بعضٍ ، وتقولُ : قط قط بعزّتك وكرمك ، ولا يزالُ فى الجنةِ فضلٌ حتى ينشئَ اللهُ لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنةِ » رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ .

٣ — عن أبى هريرةَ رضى اللهُ عنهُ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « للهُ أشدُّ فَرَحًا[1] بتوبةِ أحَدِكم مِنْ أحَدِكم بضالَّتِهِ إذا وَجَدَهَا » رواهُ البخاريُّ وَمُسْلِمٌ .

انقسم الناس فى هذه المسألة على أربع فرق :

المجسمة وآيات الصفات وأحاديثها

١ — فرقة أخذت بظواهرها كما هى ، فنسبت إلى اللهِ وجهاً كوجُوه الخلقِ ، ويدًا أو أيدياً كأيديهم ، وضحكاً كضحكهم ، وهكذا حتى فرضوا الإله شيخاً ، وبعضهم فرضه شابا ، وهؤلاء هم المُجَسِّمة والمشبِّهةُ ، وليسوا من الإسلام فى شىء ، وليس لِقولِهم نصيبٌ من الصحةِ ، ويكفى

= عن طلب المزيد فترتدع . وقوله صلى الله عليه وسلم : « فينزوى بعضها الى بعض » أى ينقبض بعضها إلى بعض « وتقول قط قط » : أى تقول حسبى حسبى .

(١) « لله أشد فرحاً » . قال النووى : قال المازرى : الفرح ينقسم على وجوه : منها السرور ، والسرور يقاربه الرضا بالمسرور به ، فالمراد هنا أن الله تعالى يرضى بتوبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته ، فعبر عن الرضا بالفرح تأكيداً لمعنى الرضا فى نفس السامع ومبالغة فى تقريره .

فى الردِّ عليهم قولُ اللهِ تعالى : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (١) » . وقولُهُ تعالى : « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ، لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » .

المعطلة وآيات الصفات وأحاديثها

٢ — فرقة عطّلَت معانى هذه الألفاظِ على أىِّ وَجْهٍ ، يقصدونَ بذلك نفى مدلولاتِها مطلقاً عن الله تبارك وتعالى ، فاللهُ تبارك وتعالى عندهم لا يتكلمُ ولا يسمعُ ولا يُبْصِرُ ؛ لأن ذلك لا يكون إلا بجارحةٍ والجوارحُ يجبُ أَنْ تُنْفَى عنهُ سبحانه ؛ فبذلك يعطِّلون صفات اللهِ تبارك وتعالى ويتظاهرون بتقديسِهِ ، وهؤلاء هم المعطِّلَةُ . ويطلِق عليهم بعضُ علماءِ تاريخ العقائدِ الإسلاميةِ : الجَهْمِيَّة ، ولا أظن أن أحداً عندهُ مُسْكَةٌ من عقلٍ يستسيغ هذا القولَ المُتَهَافِتَ ! وها قد ثبتَ الكلامُ والسَّمعُ والبصَرُ لبعض الخلائق بغيرِ جارحةٍ ، فكيفَ يتوقفُ كلامُ الحقِّ تبارك وتعالى على الجوارحِ ؟! تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرا .

هذان رأيان باطلانِ لاحظّ لهما من النظرِ ، وبقى أمامَنا رأيانِ هُما محلُّ أنظارِ العلماء فى العقائدِ ، وهما رأى السَّلَفِ وَرأى الخَلَفِ .

---

(١) سورة الشورى آية ١١

مذهب السلف والخلف فى آيات الصفات وأحاديثها

السلف وآيات الصفات وأحاديثها

٣ — أما السَّلَفُ رضوان اللهُ عليهم فقالوا : نؤمِنُ بهذه الآياتِ والأحاديثِ كما وردت ، ونتركُ بيانَ المقصودِ منها لِلهِ تباركَ وتعالى ، فهم يثبتون اليد والعين والأعين والاستواء والضَّحِكَ والتعجبَ . . . الخ وكلُّ ذلك بمعانٍ لا ندركها ، ونتركُ لِلهِ تبارك وتعالى الإحاطةَ بعلمها ، ولا سيما وقد نهينا عن ذلك فى قول النبىّ صلى الله عليه وسلم : « تفكَّروا فى خَلْقِ اللهِ ولا تتفكَّروا فى اللهِ فإنكم لن تَقْدُرُوهُ قَدْرَهُ » . قال العِراقىُّ : رواهُ أبو نعيمٍ فى « الحِلْيَةِ » بإسنادٍ ضَعيفٍ ، ورواهُ الأصبهانىُّ فى الترغيبِ والترهيبِ بإسنادٍ أصحّ منه ، ورواهُ أبو الشيخ كذلك مع قطعهم رضوان اللهِ عليهم بانتفاء المشابهةِ بينَ اللهِ و بين الخلقِ . وإليك أقوالهم فى ذلك :

الإمام محمد وآيات الصفات وأحاديثها

(١) روى أبو القاسم اللالكائىُّ فى « أصولِ السُّنة » عن محمدِ بنِ الحسنِ صاحبِ أَبى حنيفةَ رضى الله عنهما قال : « اتفقَ الفقهاء كلُّهم من المشرقِ إلى المغربِ على الإيمانِ بالقرآنِ والأحاديثِ التى جاءت بها الثقاتُ عن رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم فى صفةِ الرَّبّ عزَّ وجلّ من غير تفسيرٍ ولا وصفٍ ولا تشبيهٍ ، فمن فسر اليوم شيئا

من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم وفارق الجماعة ؛ فإنهم لم يصفوا ولم يفسِّروا ، ولكن أفتوا بما فى الكتابِ والسُّنةِ ثم سكتوا » .

الإمام أحمد وآيات الصفات وأحاديثها

(ب) وذكر الخلالُ فى كتابِ « السُّنةِ » عن حنبلٍ وذكرهُ حنبلٌ فى كُتُبه مثلَ كتاب « السُّنةِ والمحنةِ » قال حنبلٌ : « سألتُ أبا عبدِ اللهِ عن الأحاديثِ التى تروى « إن اللهَ تبارك وتعالى ينزلُ إلى سماء الدنيا » . و « إن اللهَ يرى » و « إنّ اللهَ يضعُ قدمَه » وما أشبه هذه الأحاديث ؟ فقال أبو عبدِ اللهِ : نُؤْمِنُ بها ونُصَدِّقُ بها ولا كيف ولا معنى ولا نردّ منها شيئا ، ونعلمُ أن ما جاء بهِ الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم حقٌّ إذا كان بأسانيدَ صِحاحٍ ، ولا نرد على اللهِ قولَه ، ولا يوصف اللهُ تباركَ وتعالى بأكثرَ مما وصف به نفسَه بلا حدّ ولا غايةٍ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » .

الإمام مالك وآيات الصفات وأحاديثها

(ج) وروى حَرْملةُ بنُ يحيَى قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ ابنَ وَهْبٍ يقولُ : سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقولُ : مَنْ وصف شيئا من ذات اللهِ مثل قَوْلِه : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مغلولَةٌ[1] » فأشار بيده إلى عنقهِ ، ومثل قولِه

(١) سورة المائدة آية ٦٤

« وهُوَ السَّمِيعُ البصيرُ[(١)] » فأشار إلى عينِه أو أُذُنِه أو شيء من يديه ، قطع ذلك منه ؛ لأنهُ شبَّه اللهَ بنفسه . ثم قال مالكٌ : أما سمعتَ قولَ الْبَرَاءِ حين حدَّث أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لا يضحي بأربعٍ من الضحايا وأشارَ البَرَاءُ بيدِهِ كما أشارَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ، قال البَرَاءُ : ويدى أقصرُ من يَدِ رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فكرِه البراءُ أن يصِفَ يَدَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم إجلالاً لَهُ وهو مخلوق ، فكيف الخالق الذى ليس كَمِثْلِهِ شيءٌ ؟ !

الماجشون وآيات الصفات وأحاديثها

(د) وروى أبو بكرٍ الأثْرَمُ ، وأبو عَمْرو الطلمنكيُّ وأبو عبدِ اللهِ بنِ بطَّةَ فى كتبهم وغيرُهم عن عبدِ العزيزِ ابنِ عبدِ اللهِ بنِ أبى سَلَمَةَ الماجشون كلاماً طويلاً فى هذا المعنى ختمهُ بقولهِ : « فما وصفَ اللهُ مِنْ نَفْسِهِ فسماهُ عَلَى لسانِ رسولهِ سمَّيناهُ كما سمّاهُ ، ولم نتكلَّفْ منهُ صفة ما سواهُ ، لا هذا ولا هذا ، لا نجحد ما وصفَ ، ولا نتكلّفُ معرفةَ ما لم يصِف » .

اعلم ، رحمك اللهُ ، أن العصمةَ فى الدينِ أن تنتهى حيثُ انتهى بك ، ولا تجاوز ما قد حُدَّ لك ؛ فإنَّ من قِوامِ

---

(١) سورة الشورى آية ١١ .

الدِّينِ معرفةَ المعروفِ ، وَإنكارَ المنكرِ ، فما بسطتْ عليه المعرفةُ ، وسكنتْ إليهِ الأفئدةُ ، وذكر أصله فى الكتابِ والسُّنةِ ، وتوارثَ عِلْمَهُ الأمةُ فلا تخافنَّ فى ذكرِهِ وصفتِه من ربك ما وصف من نفسِه عيناً ، ولا تكلفنَّ بما وصف من ذلك قدراً ، وما أنكرته نفسُك ، ولم تجد ذكره فى كتابِ ربِّك ، ولا فى الحديثِ عن نبيِّك من ذكر صفة ربك فلا تتكلَّفَنَّ علمه بعقلِك ، ولا تصفه بلسانك ، واصمُتْ كما صَمَتَ الربّ عنه من نفسِه ؛ فإنّ تكلّفك معرفة ما لم يصف به نفسه مثل إنكارك ما وصف منها ، فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه ، فكذلك أعْظِمْ تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها ، فقد واللهِ ، عزّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف ، وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر ، يسمعون ما وصف اللهُ به نفسَه من هذا فى كتابِه ، ومايبلغهم مثلهُ عن نبيِّه ، فما مرض من ذكر هذا وتسميته من الرب قلبُ مسلم ، ولا تكلّف صِفة قدره ، ولا تسمية غيره من الرب مؤمنٌ ، وما ذكر عن رسول اللهِ صَلّى اللهُ عليه وسلم أنه سماهُ من صِفة ربه فهو بمنزلة ما سمَّى ووصفَ الرّب

تعالى من نفسِه ، والرَّاسخونَ فى العِلْمِ ، الواقفونَ حَيْثُ انتهى بهم علمُهُمْ ، الواصِفونَ لربهم بما وصَفَ نفسَهُ ، التاركون لما تركَ من ذكرها لاينكرون صفة ماسمَّى منها جَحداً ، ولا يتكلّفون وصفه بما لم يسم تعمقاً ؛ لأن الحق ترك ما ترك وسمى ما سمَّى « ومَن يتَّبِعْ غيرَ سبيلِ المُؤمِنين نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ ، ونُصْلِه جهنَّمُ وساءَتْ مَصِيرا » وهَبَ اللهُ لنا ولكم حكما ، وألحقنا بالصالحين .

مذهب الخلف فى آيات الصفات وأحاديثها

الخلف وآيات الصفات وأحاديثها

قدمتُ لك أنَّ السلَفَ ، رضوانُ اللهِ عليهم ، يؤمنونَ بآياتِ الصفاتِ وأحاديثِها كما وردت ويتركون بيانَ المقصودِ منها لِلّهِ تبارك وتعالى مع اعتقادِهم بتنزيه اللهِ تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقِه .

فأما الخلَفُ فقد قالوا : إننا نقطعُ بأن معانى ألفاظِ هذه الآياتِ والأحاديثِ لا يرادُ بها ظواهرُها ، وعلى ذلك فهى مجازاتٌ لا مانع من تأويلها ، فأخذوا يؤوِّلون الوجهَ بالذاتِ واليدَ بالقدرةِ وما إلى ذلك ؛ هرباً من شبهةِ التشبيه . وإليكَ نماذجَ من أقوالِهم فى ذلك :

١ — قال أبو الفرج بنُ الجوزىِّ الحنبلىُّ فى كتابه

« دفع شبهة التشبيه » : قال الله تعالى : « ويبقى وجهُ ربِّكَ[1] » قال المفسرون : يبقى ربك ، وكذلك قالوا في قوله تعالى : « يريدونَ وَجْهَهُ[2] » : أى يريدونه . وقال الضحّاكُ وأبو عبيدةَ : « كلُّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وَجْهَهُ[3] » أى إلا هو .

وعقد فى أول الكتاب فصلا ضافياً فى الرد على من قالوا إن الأخذَ بظاهرِ هذه الآياتِ والأحاديثِ هو مذهبُ السلَفِ ؛ وخلاصةُ ما قاله أن الأخذ بالظاهرِ هو تجسيمٌ وتشبيهٌ ؛ لأن ظاهرَ اللفظِ هو ما وُضع له ، فلا معنى لليد حقيقةً إلا الجارحة ، وهكذا . وأما مذهبُ السلَفِ فليس أخذها على ظاهرِها ، ولكن السكوتُ جملةً عن البحثِ فيها . وأيضاً فقد ذهبَ إلى أن تسميتها آيات صفاتٍ وأحاديث صفات تسمية مبتدعة لم ترد فى كتاب ولا فى سنة ، وليست حقيقية فإنها إضافات ليس غير ، واستدل على كلامه فى ذلك بأدلةٍ كثيرةٍ لا مجالَ لذكرِها هنا .

---

(١) سورة الرحمن آية ٢٧
(٢) سورة الأنعام آية ٥٢
(٣) سورة القصص آية ٨٨

الرازى وآيات الصفات وأحاديثها

٢ — وقال فخرُ الدينِ الرازىُّ فى كتابه « أساسُ التقديس » : واعلم أن نصوصَ القرآنِ لا يمكنُ إجراؤها على ظاهرِها لوجوهٍ : الأول أن ظاهرَ قوله تعالى : « وَلِتُصْنَعَ على عينِي[1] » يقتضى أن يكون موسى عليه السلام مستقراً على تلك العين ملتصقاً بها مستعلياً عليها وذلك لا يقولُه عاقلٌ ، والثانى أن قوله تعالى : « وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأعْيُنِنَا[2] » يقتضي أن يكون آلة تلك الصنعة هى تلك العين ، والثالثُ أن إثبات الأعين فى الوجه الواحد قبيح فثبت أنه لابد من المصير إلى التأويل ، وذلك هو أن تُحملَ هذه الألفاظُ على شدةِ العنايةِ والحراسةِ .

الغزالى وآيات الصفات وأحاديثها

٣ — قال الإمامُ الغزالىُّ فى الجزء الأول من كتابه « إحياء علوم الدين » عنــد كلامهِ عَلَى نسبةِ العِلمِ الظاهرِ إلى الباطنِ وأقسام مَا يتأتى فيهِ الظهورُ والبطونُ ، والتأويلُ وغير التأويلِ : القسمُ الثالثُ أن يكون الشىء بحيثُ لو ذُكِرَ صريحاً لفهم ولم يكن فيه ضررٌ ، ولــكن يُكنى عنهُ عَلَى سبيل الاســتعارة والرمزِ ؛ ليكونَ وقْعُهُ فى قلبِ المستمعِ أغلبُ . . . ومنه قوله صلى اللهُ عليه وسلم :

(١) سورة طه آية ٣٩
(٢) سورة هود آية ٣٧

« إنَّ المسجدَ لَيَنْزَوِي[1] من النُّخَامةِ كما تنزوي الجِلْدَةُ على النـار » . ومعناهُ أن روحَ المسجدِ وكونَهُ معظَّماً ، ورميَ النخامة فيـه تحقيرٌ لهُ فيضاد معنى المسجدية مضادَّة النارِ لاتصال أجزاء الجلدةِ . وأنت ترى أن ساحةَ المسجدِ لا تنقبضُ من نخامةٍ ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « أَمَا يخشَى الذي يرفَعُ رَأْسَهُ قبـلَ الإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَه رَأْسَ حِمارٍ »[2] وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكونُ ، ولـكن من حيث المعـنى هو كائنٌ ؛ إذ رأسُ الحمارِ لم يكن بحقيقته وكونه وشكله بل بخاصيته ، وهى البلادةُ والحمقُ ، وَمَنْ رَفعَ رَأسَه قبـلَ الإمام فقد صار رَأْسُهُ رَأْسَ الحمارِ فى معنى البلادةِ والحمقِ ، وهو المقصودُ دونَ الشكلِ . وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليلٍ عقليٍّ أو شرعيٍّ . أما العقليُّ

---

(١) قوله صلى الله عليه وسلم : « إن المسجد لينزوى » أى لينقبض . قال الزبيدى فى شرح الإحياء : قال العراقى : هذا لم أر له أصلا فى المرفوع وإنما هو من قول أبى هريرة ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه . قلت : ورواه كذلك عبد الرزاق موقوفاً على أبى هريرة ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى نخامة فى المسجد فى القبلة فقال : « ما بال أحدكم مستقبل ربه فيتنخع أمامه ! أيحب أحدكم أن يستقبل فيتنخع فى وجهه ؟ » .

(٢) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة .

فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « قلبُ المؤمنِ بين إصبعين من أصابع الرحمنِ[1] » إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصابع ، فعلم أنها كناية عن القدرة التى هى سرُّ الأصابعِ ورُوحُها الخفىُّ ، وكَنَى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعاً فى تفهم تمام الاقتدار » .

وقد تعرض لمثل هذا الكلام فى موضع آخرَ من هذا البحث ، وفيما ذكرناه كفاية .

إلى هنا وضح أمامَك طريقَا السَّلَفِ والخلَفِ ؛ وقد كان هذان الطريقان مثارَ خلافٍ شديدٍ بين علماءِ الكلام من أئمة المسلمينَ ، وأخذ كلٌّ يدعمُ مذهبَه بالحجج والأدلةِ ، ولو بحثتَ الأمرَ لعلمتَ أن مسافة الخُلْفِ بين الطريقين لا تحتملُ شيئا من هذا لو ترك أهلُ كلٍّ منهما التطرفَ والغلوَّ ، وأن البحثَ فى مثل هذا الشأن ، مهما طال فيه القولُ ، لا يؤدى فى النهاية إلا إلى نتيجةٍ واحدةٍ ، هى التفويضُ لله تبارك وتعالى ، وذلك ما سنفصله لك إن شاء الله تعالى .

---

(١) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

بين السلف والخلف

بين السلف والخلف

قد علمتَ أن مذهبَ السَّلَفِ فى الآياتِ والأحاديثِ التى تتعلقُ بصفاتِ الله تبارك وتعالى أن يُمِرُّوها على ما جاءت عليه ، ويسكتوا عن تفسيرِها أو تأويلها ، وأن مذهب الخلف أن يؤوِّلوها بما يتفقُ مع تنزيهِ اللهِ تبارك وتعالى عن مشابهة خلقهِ ، وعلمتَ أن الخلافَ شديدٌ بين أهل الرأيين حتى أدى بينهما إلى التنابزِ بالألقاب العصبيةِ ؛ وبيانُ ذلك من عدة أوجهٍ :

أولا : اتفقَ الفريقانِ على تنزيهِ الله تبارك وتعالى عن المشابهةِ لخلقهِ .

ثانيا : كلٌّ منهما يقطعُ بأن المرادَ بألفاظِ هذه النصوصِ فى حقِّ الله تبارك وتعالى غيرُ ظواهرِها التى وُضِعتْ لها هذه الألفاظُ فى حق المخلوقاتِ ، وذلك مترتبٌ على اتفاقهما على نفى التشبيه .

ثالثا : كلٌّ من الفريقين يعلمُ أن الألفاظَ تُوضَع للتعبير عما يجولُ فى النفوسِ ، أو يقعُ تحتَ الحواسِ مما يتعلق بأصحاب اللغة وواضعيها ، وأن اللغاتِ ، مهما اتسعت ، لا تحيطُ بما ليس لأهلها بحقائقِه علمٌ ، وحقائقُ ما يتعلقُ

بذاتِ الله تباركَ وتعالى من هذا القبيلِ ، فاللغةُ أقصرُ من أن تواتينا بالألفاظِ التى تدلُّ على هذه الحقائق ، فالتحكمُ فى تحديدِ المعانى بهذه الألفاظِ تغريرٌ .

وإذا تقرر هذا فقد اتفقَ السّلَفُ والخلَفُ على أصل التأويلِ ، وانحصرَ الخلافُ بينهما فى أنَّ الخلَفَ زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورةُ التنزيهِ إلى ذلك حفظا لعقائدِ العوام من شبهةِ التشبيهِ ، وهو خلافٌ لا يستحقُّ ضجةً ولا إعناتاً .

ترجيح مذهب السلف

ونحن نعتقدُ أن رأى السلَفِ من السكوتِ وتفويضِ علمِ هذه المعانى إلى اللهِ تباركَ وتعالى أسلمُ وأولى بالاتباع ، حسما لمادةِ التأويلِ والتعطيلِ ؛ فإن كنتَ ممن أسعدَه اللهُ بطمأنينةِ الإيمانِ ، وأثلجَ صدرَه ببردِ اليقينِ فلا تعدل به بديلا ؛ ونعتقدُ إلى جانب هذا أن تأويلاتِ الخلَفِ لا توجبُ الحكمَ عليهم بكفرٍ ولافسوقٍ ، ولا تستدعى هذا النزاعَ الطويلَ بينهم وبين غيرِهم قديماً وحديثاً ، وصدرُ الإسلام أوسعُ من هذا كلّه . وقد لجأ أشدُّ الناسِ تمسكا برأى السلَف ، رضوانُ اللهِ عليهم ، إلى التأويل فى عدَّةِ مواطنَ ، وهو الإمام أحمدُ بنُ حَنْبلٍ رضى الله عنه ؛

من ذلك تأويلهُ لحديثِ : « الحجرُ الأسودُ يمينُ اللهِ في أرضِه [1] » وقوله صلى الله عليه وسلم : « قلبُ المؤمنِ بين إصبعينِ من أصابعِ الرّحمنِ [2] » وقوله صلى الله عليه وسلم : « إني لأجد نَفَس الرّحمنِ من جانب اليمن [3] » .

وقد رأيتُ للإمام النوويّ رضي الله عنه ما يفيد قرب مسافة الخلافِ بين الرأيينِ مما لا يدعُ مجالاً للنزاع والجدالِ ولا سيما وقد قيد الخلفُ أنفسهم في التأويلِ بجوازه عقلا وشرعاً ، بحيث لا يصطدمُ بأصلٍ من أصولِ الدينِ .

قال الرازيُّ في كتابه « أساسُ التقديسِ » : « ثم إن جوّزنا التأويلَ اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلاتِ على التفصيلِ ، وإن لم نجز التأويلَ فوّضنا العلم بها إلى اللهِ تعالى ، فهذا هو القانون الكليُّ المرجوعُ إليه في جميع المتشابهاتِ ، وبالله التوفيقُ » .

وخلاصةُ هذا البحثِ أن السّلَفَ والخلَفَ قد اتفقا على أن المرادَ غيرُ الظاهرِ المتعارفِ بين الخلقِ ، وهو تأويلٌ

---

(١) قال العراقي : رواه الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

(٣) قال العراقي : رواه أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه : « وأجد نفس ربكم من قبل اليمن » ورجاله ثقات .

فى الجملةِ ، واتفقا كذلك على أن كلَّ تأويلٍ يصطدمُ بالأصولِ الشرعيةِ غيرُ جائزٍ ، فانحصرَ الخلافُ فى تأويلِ الألفاظِ بما يجوزُ فى الشرعِ ، وهو هينٌ كما ترى ، وأمرٌ لجأَ إليه بعضُ السلفِ أنفسُهم ، وأهمُّ ما يجبُ أن تتوجَّه إليه همُ المسلمينَ الآن توحيدُ الصفوفِ ، وجمعُ الكلمةِ ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، واللهُ حسبنا ونعمَ الوكيلُ .

* * *

إلى هنا انتهت تلك الفصولُ التى حررها فضيلةُ الأستاذ المؤلف رضى الله عنه وكنا نود أن يتابعَ فضيلتُه الكتابةَ بهذا الأسلوبِ الممتع النفيس حتى يواتينا بما رسمه فى صدر هذه الفصولِ ، فيحدثنا عن النبوّاتِ ، وعن الروحانيات ، وعن السمعياتِ ، كما حدثنا عن الإلهياتِ ، ولكن هذا قدَرُ الله ولا رادَّ لقضائه .

رضوان محمد رضوان

فهرس العقائد

لفضيلة الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا


النادي الشبابي

الفهارس

فهرس مجموع الرسائل

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *


النادي الشبابي

فهرس رسالة :
/ الله في العقيدة الإسلامية /

محتويات الكتاب



شباب
النادي الشبابي

فهرس العقائد

لفضيلة الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا


النادي الشبابي